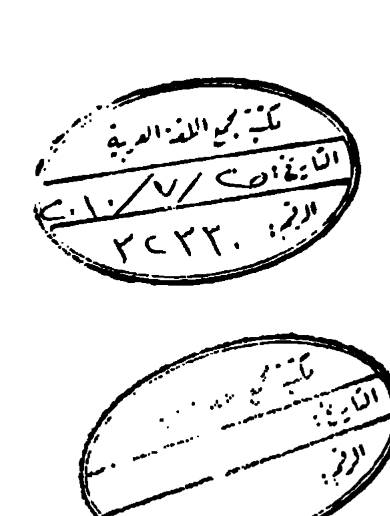
نصوص ودروس - المجموعة الأدبية

الشُّعَراء الجاهليُّون الأوائل

الدكتور عادل الفريجات



دار المشرق
بيروت


مكتبة مجمع اللغة العربية
التاريخ:
الرقم: ٣٢٢٢٠

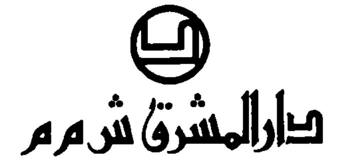

الشعراء الجاهليون
الأوائل

الشُّعراءُ الجاهِليُّون الأوائِل

تـأليف

الدكتور عادل الفريجات

طبعة ثانية



جميع الحقوق محفوظة، طبعة ثانية ٢٠٠٨
دار المشرق ش.م.م.
ص.ب. ١٦٦٧٧٨
الأشرفية، بيروت ٢١٥٠ ١١٠٠
لبنان
http://www.darelmachreq.com

ISBN 2-7214-8116-9

التوزيع: المكتبة الشرقيّة
الجسر الواطي - سنّ الفيل
ص.ب: ٥٥٢٠٦ - بيروت، لبنان
تلفون: (٠١) ٤٨٥٧٩٣
فاكس: (٠١) ٤٨٥٧٩٦ - ٤٩٢١١٢
Website: www.librairieorientale.com.lb
E-mail: admin@librairieorientale.com.lb
E-mail: libor@cyberia.net.lb

الإهداء

إلى زوجتي...
رفيقة الدرب المخلصة...
تقديرًا وإكرامًا وودًا...

إلى أبنائي الأربعة...
هالة، رزان، مجد وبشرى
أبوّة وحبًا وأملاً بمصير زاهر لكلّ منهم

ولكلّ الطامحين والطيّبين والمنصفين
في جميع ميادين الحياة.

عادل



المقدّمة

تَحْفلُ قضايا الشعر الجاهليّ التاريخيَّة والفنّيَّة بمشكلاتٍ كثيرة قابلة للدرس والتمحيص، فكثيرةٌ هي المسائل التي استقرَّ في أذهان الناس عنها مُسلَّمات وبدهيّاتٌ بلا فحص عميق أو امتحان دقيق لمعطياتها وملابساتها. وكذلك كثيرة هي المشكلات التي لم يولِها الباحثون جهدهم الكافي، أو لم يكرِّسوا لها وقتهم الوافي، للدرس والتحليل والتوثيق... ومن تلك المشكلات الكبرى أقدميَّة الشعر العربيّ، ومُمثِّلو هذه الأقدميَّة، أعني الشعراء الجاهليِّين الأوائل. لذا وقع خيارُنا على هذه المشكلة، لِمَا لها من أهمِّيَّة قُصوى تتَّصل بتأريخ الشعر الجاهليّ، وبفَهم مرحلة هامّة من مراحله، وبمعرفة بواكيره الأولى، وتحديد عمره الصحيح، من خلال عطاء شعرائه الأول الذين شكّلوا صُلْب هذه الأطروحة، ومحورها الأساسيّ.

ولا يصحّ الزعم أنّ هذه القضيَّة لم تدرس قطّ، فقلَّما يوجد كتاب يتناول تاريخ الشعر العربيّ، في الجاهليَّة، لم يعرض لأوليَّة هذا الشعر، ولم يتقرَّب من المحاولات الباكرة لإبداع العرب في فنّ القول، سواءٌ أكانَ مُؤَلِّفُ هذا الكتاب عربيًّا من أبناء هذه الأمّة، أم مُستشرقًا أراد أن يُدلي بَدلوه بين دلاء الباحثين في هذا الباب، فقد عرض لهذه القضيَّة المتشعِّبة، على سبيل المثال، لا على سبيل الحصر، عبد العزيز مزروع الأزهريّ في كتابه: الأسس المُبتكرة لدراسة الأدب الجاهليّ. وكذلك كرّس د. محمد عونيّ عبد الرؤوف كتابًا كاملاً في الموضوع وسمه بـ: بدايات الشعر العربيّ بين الكمّ والكيف. وبحث المشكلة ذاتها د. نجيب محمّد البهبيتيّ في أجزاء من كتابه الهامّ: المدخل إلى دراسة التاريخ والأدب العربيَّين، ود. جواد علي في الجزء السادس من أجزاء موسوعته الكبرى: المُفصَّل في تاريخ العرب قبل الإسلام. ووقف عندها أيضًا، في فصول، تطول أو تقصر، د. شوقي ضيف، ود. يحيى الجبوريّ، ود. علي العتوم في

كتبهم المنصبَّة على تاريخ الشعر الجاهليّ وقضاياه. وأولاها عنايته أيضًا د. عادل البيَّاتي في بحث له مستقلّ بعنوان: مدخل إلى البدايات الشعريَّة عند العرب، نشره في مجلّة كلِّيَّة الآداب بجامعة بغداد، وفعل الشيء ذاته د. يوسف خليف في دراسةٍ له بعنوان: الشعر الجاهليّ: نشأته وتطوّره، نشرها في مجلّة عالَم الفكر الكويتيَّة. وكذلك أنشأ الشاعر صلاح عبد الصبور مقالاً في المسألة هو: رأي في بدايات الشعر، ظَهر في مجلّة الشعر القاهريَّة.

وقدَّم د. عرفان شهيد دراسة ممتازة حول: نَظم الشعر في القرن الرابع الميلاديّ، لتكون إحدى موضوعات كتاب: دراسات تاريخ الجزيرة العربيَّة (بالإنكليزيَّة). وطالَعَنا في رحلتنا العلميَّة أبحاثًا، مُسهبة أو مبتسرة، وضعها بعض المستشرقين المهتمّين بالأدب الجاهليّ، أمثال المستشرق (كارل بروكلمان) في كتابه: تاريخ الأدب العربيّ، و(فؤاد سزكين) في كتابه: تاريخ التراث العربيّ. وبرز في المشكلة عينها دراساتٌ تُعالج جوهرها، أو تناقش أفكارًا تتّصل بها، نهض بها مستشرقون أُخَر، أمثال (ديفد صموئيل مرجليوت) الذي كتب بحثًا بعنوان: نشأة الشعر العربيّ، تجده معرَّبًا في كتاب الدكتور عبد الرحمن بدويّ: دراسات المستشرقين حول صحّة الشعر الجاهليّ. وأمثال المستشرق (غوستاف فون غرونباوم) الذي ترجم له د. إحسان عبّاس كتاب: دراسات في الأدب العربيّ. وكانت دراسته المَعنيّة هنا حول: أوزان الشعر الجاهليّ وآفاقها. وممّا وقفنا عليه أيضًا من جهود المستشرقين بحث قيّم للمستشرق (م. ماكدونالد) حول: الشعر المنقول شِفاهًا في الجزيرة العربيَّة قبل الإسلام والمجتمعات الأخرى قبل مرحلة التدوين. وقد نشرته مجلّة الأدب العربيّ الصادرة في ليدن عام ١٩٧٨ (بالإنكليزية).

وقد راجعتُ الكتب والفصول والفقرات القصيرة التي أشرتُ إليها، وغيرها، فوجدتها لا تبرئُ علّةً، ولا تنقع غلّةً، ويصدق فيها قولُ المثلِ العربيّ القديم: «لم تقطعْ بها جُهَيْزَةُ قولَ كلِّ خطيب»، لذا وجدتُ البابَ مفتوحًا لإمكانيَّة إقامةِ بَحث أصيل ومتكامِل حول بدايات الشعر العربيّ، وحول الشعراء الجاهليّين الأوائل، معتقدًا أنّ المكتبة العربيَّة بحاجة ماسَّة إلى سَدّ هذه الثغرة فيها، وأنّ رفوفها ترحّب بدراسةٍ علميَّة جادَّة تتناول فجر الإبداع الشعريّ عند العرب، لتحتلّ مكانها فيها، فعزمتُ على هذه الدراسة، ومضيتُ في إعدادها.

وقد كان وكدي فيها، أوّلاً، أن أُؤرِّخَ، بالاعتماد على النصوص التاريخيّة والشعريّة، للفترة الزمنيّة التي سبقت الشاعر الجاهليّ المعروف: امرأ القيس الكندي، أو وقع تداخلٌ بسيط بين أواخر سنيها وأوائل سنيه. ولكن البحث قادني بعيدًا، حتّى إنّني رجعتُ في بدايات الشعر الجاهليّ إلى القرن الثالث الميلاديّ، لأنّني رجّحْتُ أنّ بعض شعرائي الأوائل عاشوا فيه... فصارت الفترة الزمنيّة التي ظهر فيها الشعراء الأربعون ـ موضوع هذه الأطروحة ـ تمتدّ إلى ثلاثة قرون كاملة، هي القرون الواقعة ما بين القرن الثالث الميلاديّ والقرن السادس الميلاديّ.

وبعد أن جَمَعتُ مادّة هذا البحث من مظانّـها المختلفة، رأيتها مرشّحةً لأن توزَّع على ثلاثة أبواب رئيسيَّة، تناولتُ في الباب الأوّل منها أوّليَّة الشعر العربيّ. وقسّمتُ مباحثي فيه إلى ثلاثة فصول، تَحدَّثْتُ في الفصل الأوّل عن قضايا بدايات الشعر العربيّ من خلال ثلاثة مباحث هامّة هي: بذور الشعر العربيّ، ونماذج الشعر القديم، ببواعثها، وآفاقها، وأوزانها، وعمر الشعر الجاهليّ. وقد انتهيتُ في هذا البحث الأخير إلى أنّ عمر هذا الشعر، الذي نتدارسه اليوم ونفهم نصوصه، أطولُ ممَّا حدَّدهُ له الجاحظ بقرنٍ كامل، وأنّ لدينا شعراء جاهليّين أوائل ذكرهم مؤرِّخو الأدب ينتمون زمنيًا إلى القرن الثالث الميلاديّ ـ كما قدَّمنا.

وفي الفصل الثاني من هذا الباب وقفْتُ عند قصَّة الشعراء الأوائل في كتب التراث، من خلال خطوات تقوم على أساس التدرُّج الزمنيّ لظهور تلك الكتب عبرَ القرون، فوجدتُ أنّ الشعراء الأول كثيرون جدًّا، وأنّ الكتب التي حوت أسماء شعراء، أو أبيات شعر، لِمُبدعين عاشوا قبل امرئ القيس، كثيرة جدًّا أيضًا، لذا لجأتُ إلى التمثيل العشوائيّ، نسبيًّا، في اختيار الشعراء، لأنّ الاستقصاء محال، خاصّة أنّ أمّة العرب هي أمّة الشعر، والشعر فيها كان ينثال على كلّ لسان في الأزمنة الغابرة، أو يكاد، كما أنّ الفترة الزمنيّة التي قاد إليها البحث كانت طويلة جدًّا.

وعلى الرغم ممَّا سبق، فقد حاولتُ أن أنسجَ خيطًا، ولو نحيلاً، لمسيرة أجيال من الشعراء، تبدأ بالشاعر الجاهليّ خُزَيْمَةَ بن نَـهد القضاعيّ، الذي قال أبو عبيد البكري فيه: «إنَّ شِعْرَهُ أوّلُ الشِّعْرِ»، وتنتهي بالشاعر مُحَمَّد بن حُمران الجُعْفي، الذي لقَّبه امرؤ القيس بن حُجْر الكِنْدي بـ «الشُّوَيْعِر». وبين هذا وذاك ثمانية وثلاثون شاعرًا عاش

بعضهم ما بين القرنَين الثالث والخامس الميلاديَّيْن، وبعضهم ما بين القرنَين الخامس والسادس الميلاديَّين.

وقد انتقلت في الفصل الثالث من الباب الأوّل إلى توثيق أشعار الأوائل. وفي هذا الفصل أنشأتُ كلمةً عامّة حول النحلِ والتوثيق في غير أشعار أوائلنا الذين جمعتُ أشعارهم، ثمّ ركّزت الحديث، في فترة ثانية، لا على جميع شعر شعرائي، فهذا غير مُمكن، بل على أشعار شعراء خمسة ظهروا في القرن الثالث الميلاديّ، هم: خُزَيْمة بن نَهْد القضاعي وجُدَيُّ بن الدَّلْهاث القُضاعي، وجَذِيمة الأبْرَش الأزْدِي، وعَمْرو بن عَدِي اللَّخْمِي، وعَمْرو بن عَبْد الجِنّ التنّوخي. وكنْتُ اعتقدتُ أنّ الثقةَ بأشعار هؤلاء الخمسة تثبت أطروحتي القائلة: بأنّ القرن الثالث الميلاديّ قد شهد ظهور شعرٍ عربيّ جدير بالثقة، وتردُّ قولَ (نولدكه)، ونصُّه: «لا يوجدُ لدينا بيتٌ شعريٌّ وثيقُ النصِّ يمكنُ أن يرجعَ إلى ما قبل سنة ٥٠٠ ميلاديَّة». ولمّا كان الشعر الذي عالجتهُ ينقسم إلى مُقطَّعات وقصائد، انتهيت في هذا المجال إلى أن شكل المقطوعة الشعريَّة التي لا تتجاوز سبعة أبيات، هو الشكل الأقدم للشعر العربيّ في بواكيره، ولكنَّ التقصيدَ، أو تطويل الشعر، لم يتأخّر ـ كما روى ابن سلاَّم ـ إلى زمن عبد المُطَّلب أو هشام بن عبد مناف، بل وقع، على الأرجح، منذ زمن الشاعر الجاهليّ أبي قِلابة الهُذَلِي ـ أوّلِ قائلٍ للشعر الموثوق في قبيلة هُذَيْل، والذي قدَّرْنا ظهوره في القرن الخامس الميلاديّ، لأنّه والد الجدَّة السادسة للرسول عليه السلام.

أمّا الشعراء الأُخَر الذين يمكن الشكّ في بعض أشعارهم، فتركْتُ توثيقَ شعرهم الباعث على الشكّ إلى المباحث المُتَّصلة بهم، اعتقادًا منّي بأنّ هذا الأمر أكثر مناسبة، لأنّ شأنَ القول في توثيق أشعارهم، كشأنِ القول في توثيق أشعار الجاهليّين الآخرين في الأزمنة اللاحقة.

وقد كان الزمن، لا المنهج، هو الفاصل الشكليّ بين البابَيْن الأخيرَين من دراستي هذه.. وهذان البابان هما عِمادُ هذا العمل برمّته، وقوامُهُ، ففي الباب الأوّل منهما تناوَلْتُ بالدرس والتمحيص أخبار (١٨) شاعرًا، كما حقّقتُ وخرَّجتُ جميعَ أشعارهم. وقد عاش هؤلاء الشعراء، على الأرجح، ما بين القرنَين الثالث والخامس الميلاديَّين. وبدأ هذا الباب بالشاعر خُزَيْمة بن نَهْد القُضاعي، الذي ظهر إثرَ تفرُّق قُضاعة وانسياحها

في العراق قبل معركة شهرزور سنة ٢٣١ م. وانتهى بالشاعر الجاهليّ التميميّ ذُؤَيْب بن كَعْب ـ حَكَم العرب في سوق عكاظ في القرن الخامس الميلاديّ، بعد عامِر بن الظَّرِبِ العدوانيّ، وسَعْد بن مالك، اللذين هما أيضًا من شعراء هذا الباب.

أمّا الباب الثالث والأخير من هذه الأطروحة، فقد كرّسْتُه للشعراء الجاهليّين الأوائل، الذين عاشوا بين القرنَين الخامس والسادس الميلاديَّين. وكان عددهم (٢٢) شاعرًا. وهم يبدؤون بالشاعر التميميّ الأضْبط بن قُرَيع السعديّ، وينتهون بالشاعر محمّد بن حُمْران الجُعفِي. وقد كان مِنْ هؤلاءِ الشعراء مَنْ هُوَ شاعِرٌ مُقِلٌّ، فيما يبدو، لم يصلْ إلينا من شعره سوى البيت أو البيتَين أو الثلاثة أو الأربعة أو الخمسة، أمثال: هُنَيّ بن أَحْمَر الكِناني، وحُلَيْل بن حَبْشِيَة، وهُبَل بنِ عبدالله، وعبّاد بن شدّاد اليَرْبوعي، وَبكْر بن غالِب الجُرْهمي، وكَعْب بن الرُّواع الأسدِي، وكَلَدَة بن عَبْد بن مُرارة الأسدي، وقَطَن بن نَهْشَل التميميّ... ومَن هو شاعِر مكثر، نسبيًّا، نُسِبَ إليه من الأشعار ما يربو على مئة بيت. والشعراء الذين زادت أشعارهم المجموعة على مئة بيت، ثلاثة هم: الفِنْدُ الزِّمّاني، وزُهَيرْ بن جَناب الكَلْبِي، وأُحَيْحَة بن الجُلاَح الأوْسِي. بيدَ أنّ أبيات الفِنْدِ التي بلغت ٢٠٠ بيت لا يصحُّ أن نثقَ بنسبة أكثر من ٥٥ بيتًا منها إلى الفِنْد، وما عداها منحول على الأرجح. وهو يشبه الشعر الجاهليّ المصنوع الذي قطعتُ بنحله في فَصل توثيق أشعار الأوائل، والذي يُنْسَب إلى عاد وثمود وطَسم وجَدِيْس، وإلى بعض الأنبياء، وبعض أجداد القبائل المُغْرِقِيْن في القِدَم، وإلى تُبّع أيضًا. وذاك شعر تطفح به بعض الكتب التي لا يركن إلى أصالةِ الشعر الوارد فيها، مثل كتاب (البَسُوْس) المَنْسُوب إلى محمّد بن إسحق، وكتاب (التيجان وملوك حِمْيَر) لوَهْبِ بن مُنبِّه، وكتاب (أخبار عُبَيْد بن شريّة الجُرْهمي) لعُبَيْد بن شريّة، وكتاب (ملوك العرب الأوّليَّة) المنسوب إلى الأصمعيّ، وغيرها من كتب القصص والسِّيَر الشعبيّ والتاريخ والمسامرات وما شاكلها..

وما سبق قوله في أشعار الفِنْد يصدق على بعض أشعار الشاعر الجاهليّ سَعْد بن مالِك، وهو من شعراء أطروحتنا هذه، وقد بلغ مجموع أشعاره ٦٦ بيتًا، لم نوثِّق له منها، أكْثرَ من ثلاثين بيتًا.

أمّا الشاعران الآخران اللذان يُطْمَأَنُّ إلى كثرة أشعارهما، فهما ـ كما ذكرنا ـ

زُهَيْر بن جَناب الكلبي، وعدد أبياته ١٣٧ بيتًا، بينها عشرة أبيات عُزِيَتْ له ولغيره من الشعراء، وأُحَيْحَة بن الجُلاح وله ١٢٤ بيتًا، بينها ١١ بيتًا عُزِيَتْ له، ولغيرِهِ من الشعراء أيضًا.

والحقُّ أنّ مجموع الشعر، الذي طالَعْتهُ في المظانِّ المختلفة التي عاينتُها، كان جَمًّا جدًّا. فاخترتُ منه ما يقرب من ألفِ بيتٍ نُسِبَت إلى أربعين شاعرًا، فيهم ٣٥ شاعرًا لا يتجاوز شعرُ أيٍّ منهم الخمسين بيتًا. ولعلَّ قِلَّةَ عدد الأبيات التي عُزِيَتْ إلى كلّ شاعر من الشعراء المُخْتارِين تَتَّسِقُ مع كون هؤلاء الشعراء شعراءَ أوائل أو شعراءَ قُدامَى جدًّا، ذلك لأنّ ابنَ قتيبة كان يقول: «لم يكنْ لأوائلِ الشعراء إلاَّ الأبيات القليلة يقولها الرجل عند حدوث الحاجة». ويتَّضح لكلّ ناظر في الشعر المجموع والمُحَقَّق في عملنا هذا، أنّ عدد المقطَّعات التي لا تصل أبياتُها إلى سبعة أبيات هو ١٢٨ مقطّعة. ونسبتُها إلى مجموع القصائد والمقطّعات البالغ ١٦٤ قصيدة ومقطّعة هي ٧٨,٠٤٪. وهذا أمر آخر يؤيِّد الحكم بأنّ الشعراء الذين وقفنا عندهم، شعراء قُدامَى وأوائل، كان لنا منهج خاصّ في تأكيد أوّليَّتهم، وفي «صُنْعِ» أشعارهم. وهو منهج لم يعتمدْ على عدد أبيات الشاعر فحسب، لأنّ ضياع الشعر الجاهليّ المُغْرِق في القِدم أمرٌ واقع ومحْتَمل ومأخوذ في الحسبان...

وقبل أن أُشير إلى الأدلّة التي اعتمدْتُ عليها في تحديد زمن كلّ شاعر، وهذا أمرٌ أساسيّ في دراستي هذه، أذكر ملامح الخطَّة العامّة، لا التفصيليّة، في دراسة كلّ شاعر، وفي «صُنْعِ» شعره: ففي تلك الدراسة كنت أعالج المعلومات التي تقدّمها المصادر والمراجع بموضوعيّة وتجرُّد، دون أن يكون لي خيار واسع في الاتّساع بها. وفي الأعمّ الأغلب، كان عملي يقوم، ما أمكن، على ضَبْطِ اسمِ كلِّ عَلَم تخيَّرْتُه، وعلى الكلام على نَسَبِهِ وأسْرَته وقبيلتهِ وصفاتهِ، وعلى أبرز الأحداث التي شهدها أو عاصرها. وكان الوقوف عند جداول النسب يعنيني كثيرًا... ومن ثمّ كنتُ أذهب إلى تَمحيص أخبار الشاعر وصلاته برجال عصره، لأخلُصَ إلى تحديد زمانه، سواء أسْعَفَتْني جداول الأنساب بهذا التحديد، أم لم تسعفني... وكنت أنتقل أخيرًا إلى الحديث عن شعره، لأخلصَ بعد الفراغ مِمَّا سبق، إلى «صُنْعِ» هذا الشعر. وهو المرحلة الثانية والهامّة في معالجة كلّ شاعر.

وقد كان الشرط الأساسيّ في «صُنْعِ» شِعْرِ كلِّ شاعر هو عَدَم وصولِ ديوانٍ له صَنْعَهُ من قبلُ عالِمٌ من التراث. ولم أكن أبالي، أحيانًا، بأنّ بعض المُحدَثِيْن نهض بجمع شعر بعض شعرائيّ، كما هي الحال في شعر أُحَيْحَةَ بنِ الجُلاَح، أو في شعر بعض شعراء قبيلة تميم كسَعْدِ بن زَيْد مَناة، أو يَرْبوع بن حَنْظَلة، أو الأَضْبَط بن قُرَيْع أو المُسْتَوْغِر بن رَبيعة، وذلك لاختلاف المنهج وفَرْق المصادر فيما بيننا.

أمّا مسألة تحديد زمن الشاعر الأوّل، وهي الركيزةُ الأساسيّة في عملي هذا، فقد كان بلوغي إليها، من خلال غيرِ سبيل، ومن تلك السُّبُلِ ما يقوم على معاصرة الشاعر لِحَدَثٍ بارز معروف تاريخه لدينا. ومنها ما يقوم على نَسَبِ الشاعر ذاتِهِ، أو نَسَبِ مَنْ له صِلةُ رَحمٍ به، ومنها ما يتَّكِئ على شهادات العلماء القدماء بتقدُّمه وأوّليّته، وهناك شعراء تضافرت السبل الثلاث المتقدِّمة جميعها لتثبتَ قِدَمهم وأوّليَّتهم.

ومن الشعراء الذين عاصروا حَدَثًا بارزًا معروفًا تاريخه لدينا مثلاً، الشاعرُ القضاعي جُدَيُّ بنُ الدَّلْهاث، الذي عاصر معركة شهرزور عام ٢٣١ م، وأرّخها بشعره، وكذلك عَمْرو بنُ عَدِيّ اللخميّ ــ خليفة جَذِيمَةَ الأَبْرَش، وصديق المانويِّين، ومراسِل الإمبراطور الفارسيّ (نارس)، للشفاعة لهم عنده، في أواخر القرن الثالث الميلاديّ.

ومن الشعراء الذين حَدَّدتُ أزمانهم على أساس جداول الأنساب مثلاً، دُوَيْد بن زَيْد بن نَهْد القضاعي، وأَعْصُر بن سَعْد بن قَيْس عيلان، وسَعْد بن زَيْد مَناة، وأبو قِلابة الهُذَلي. وقد كنت أحسب زمن كلٍّ مِنْ هؤلاء وغيره، اعتمادًا على قاعدةٍ طبَّقْتُها في هذا الباب، وهي احتساب عشرين سنة لكلّ أبٍ يَرِدُ في جدول نَسَبِ الشاعر، انحدارًا من الشاعر، أو مَن يعاصره، إلى حفيدٍ من الأحفادِ، معروفِ تاريخ وجوده. والحقيقة أنّ النتائج التي وصلتُ إليها ها هنا كانت تحوز حدًّا عاليًا من الثقة، ولا سيَّما أنّني احتكمْتُ، أحيانًا، إلى أكثر من جدول نَسَبٍ واحد، كما هي الحال في تحديد زمن الشاعر الجاهليّ القديم أَعْصُر بن سَعْد بن قَيْس عَيْلان، الذي عاش على الأرجح، في القرن الرابع الميلاديّ حسب ثلاثة جداول أنساب يتّصل أوّلها بالشاعر الجاهليّ طُفَيْل الغَنَوي، وثانيها بالشاعر الجاهليّ النابغة الذُّبياني، وثالثها بالشاعر زُهَيْر بن جَناب، أحد شعرائنا الأوائل المعروفين. ومن المعروف أنّ كثيرًا من جداول الأنساب العربيّة كان يُتناقَلُ من الجاهليّة مكتوبًا في السطور، أو يُتوارَث محفوظًا في الصدور.

أمّا الشعراء الذين شَهِد القدماء بتقدُّمهم فكثيرون، وأسماؤهم، أو أسماء بعضهم، موجودة في مُؤلَّفات ابن سلاَّم الجُمَحي، وابن قُتَيْبة، وأبي أحمد العَسْكريّ، وأبي عُبَيْد البَكْرِي، هذا الذي قال مثلاً في شعر خُزَيْمة بن نَهْد القُضاعي، وهو من شعراء هذه الدراسة: «هو أوَّلُ الشعر». وكذلك حَكَم أبو أحمد العسكري له بسَبْقِ مُهَلْهِل، وعَمْرو بن قَمِيئة، وأبي دُؤَاد، وامرئ القيس، في كتابه: شرح ما يقع فيه التصحيف والتحريف.

ومِمَّن تضافرت سُبُلٌ كثيرة لتأكيد قِدَمِهِ وأوَّليّته، الشاعر عامِرُ بن الظَّرِب العَدْواني، الذي أثبتَتْ تقدُّمَه ثلاثةُ جداولِ أنسابٍ، أحدها ينتهي، صعودًا، بأخيه ثَعْلَبة ابن الظَّرِب. وهو نَسَبُ الشاعر المعروف ذي الإصبع العدواني. وثانيها ينتهي بصعصعة ابن معاوية، وهو صِهْر عامِر بن الظَّرِب العدواني. وثالثها ينتهي بالجدّة الثامنة للرسول عليه السلام، وهي عاتِكة بنْت عامِر بن الظَّرِب.

وشهد لعامر، من زاوية ثانية، بالتقدُّم والأوّليَّة، العالِمُ التّراثيّ (الأسودُ الغنْدُجاني) الذي قال: «إنّ عامرًا وُجِد قبلَ الإسلام بمئتي عام». ومن زاوية ثالثة، فقد أفادتنا كتب التاريخ بأنّ عامرًا شهد يوم البَيْداء، (أو البيضاء)، الذي وقع، على الأرجح، في القرن الخامس الميلاديّ. لذا فهذا القرن، وللأسباب المتقدِّمة جميعها، هو القرن الذي عاش فيه عامِر بن الظَّربِ العَدْواني.

أمّا الشعراء الأُخَر، الذين صرْنا معهم أقرَب إلى نهاية الفترة الزمنيَّة التي عايشها شعراؤنا، فَخَطْبُهم يَسِيْرٌ، لأنّ بعضَهم شَهِدَ أحداثًا جَرَتْ في القرن السادس الميلاديّ، أمثال زُهَير بن جَناب الكلبي، وأُحَيْحة بن الجُلاح الأوْسي. وعاصَرَ بعضهم رجالاً من القرن ذاته، كما هي الحال مع محمَّد بن حُمْران الجُعْفي، الذي نَعَتَهُ امرؤ القيس بـ «الشُوَيْعِر». وفي ثنايا بحوثنا عن هؤلاء، ومَنْ شابههم، ما يوضِّحُ ويشرح، أكثرَ مِمَّا وَضَّحْنا وشَرَحْنا في هذه المقدّمة.

وبعد،

فالحقُّ أنّني قد سَلَخْتُ من عمري سنواتٍ طوالاً، لأجلِ إعداد هذا البحث، وعانَيْتُ في جَمْع مادّته ومعالجة أخبار أعلامه الأربعين المُضْطَرِبة، والمُتَناقِضة، أحيانًا، معاناةً عميقةً وعنيفة... وكانت رحلتي العِلْميَّة للوصول إلى الشأْوِ المُرْتَجى، رحلةً

فريدةً وعجيبة، ورُبَّما لا تكفيها كلمةٌ عابرة، إو إشارة مختصرة... وهي بما شابَها من ظروف ومشكلات وملابسات تُكْتَب عملاً فنِّيًا يُؤَرِّخ، فيُؤْسي أحيانًا، ويُبْهج أحيانًا أخرى... ورُبَّما يَسْتَخْلِصُ المرءُ من مجموع المراحل التي مرَّ بها هذا البحث معاني من الاستغراب والاستهجان والدهشة... كما قد تُثار في نفسه - في ضوء علم النفس - مشاعر من الإشفاق والتسامح والتسامي... فينتهي إلى القول: إنَّ الإرادة الصّلبة تُثْبتُ أنَّه، في النهاية، لا يصحُّ إلاَّ الصَّحيح، وأنَّ الصَّغير يبقى صغيرًا، والكبيرَ يَبْقى كبيراً، وأنَّ «مَنْ يفرح يفرح أخيرًا».

وقد كان من أسباب الفرحة، بعد رحلة التعب الطويلة، أن التقيتُ رجلَيْ عِلم كبيرَين هما الأبُ الدكتور لويس بوزيه، والأستاذ أهيف سنّو، فأشرفا على عملي هذا، وقدَّرا الجهد المبذول أفضل تقدير، لذا أرفع عظيم تحياتي لهما لِمَا اتّصفا به من سعة في الأفق، ونزاهة في العلم، ومنطقيَّة في الحوار، ولِمَا أسبغاه عليَّ من إطراء وتقييم، كما أشكر بعمق الأب كميل حشيمه الذي أسدى إليَّ معروفًا لا أنساه، إذ قرأ هذا العمل وزكّاه، ثمَّ قرَّر أخيرًا أن يحتلّ مكانه بين منشورات دار المشرق التي يشرف عليها اليوم.

وأخيرًا، فهذا جُهدٌ متواضع لا أزعم فيه أنّني «قطعتُ قولَ كلِّ خطيب» بل على العكس، فبحثي هذا إنْ هو إلاَّ محاولةٌ لِفَتح باب جديد لتأريخ الشعر العربيّ في بواكيره الأولى، ولا يمثّل سوى لَبِنَةٍ من لبنات عمارة تاريخ الأدب العربيّ الشامخة، التي تقوى فيها لبناتُها الواحدة بالأُخريات اللاتي حولها... ومن المسلَّم به أنّ باب الاجتهاد كان، وما يزال، مفتوحًا أمام الأجيال... ومَن يدري فقد يأتي بعدي باحثون أكثر معرفةً، وأرسخ علمًا، فيصحِّحون ما رُبَّما أخطأت فيه، أو ينقحّون بعض ما توهَّمته صوابًا، أو قد يضيفون، أو يحذفون، إلى أو من عملي شيئًا، أو يجزمون بما كنتُ رَجَّحْتُهُ ترجيحًا؛ فالترجيحُ كان يسم جلَّ أحكامي في مسألة البدايات... ولا جَرَمَ في ما سبق، لأنّ الأطاريح الجامعيَّة لا بُدَّ أن تنطوي، غالبًا، على تصوّرات ورُؤًى تقبل النقاش والجدال، ولكنَّ تلك الأطاريح، ليست، بحالٍ من الأحوال، بلا أساس علميّ، وليست هي، بأيِّ شكل من الأشكال، من بنات الخيال الشعريّ، ولا تنتسب قطّ إلى عالم الأوهام الذي ليس له أصلٌ نقليٌّ أو عقليٌّ بالمرَّة...

ومِمَّا يمدُّ المرءَ بالتشجيع والثقة عبارات للعماد الأصفهاني أثبتها ياقوت الحموي في

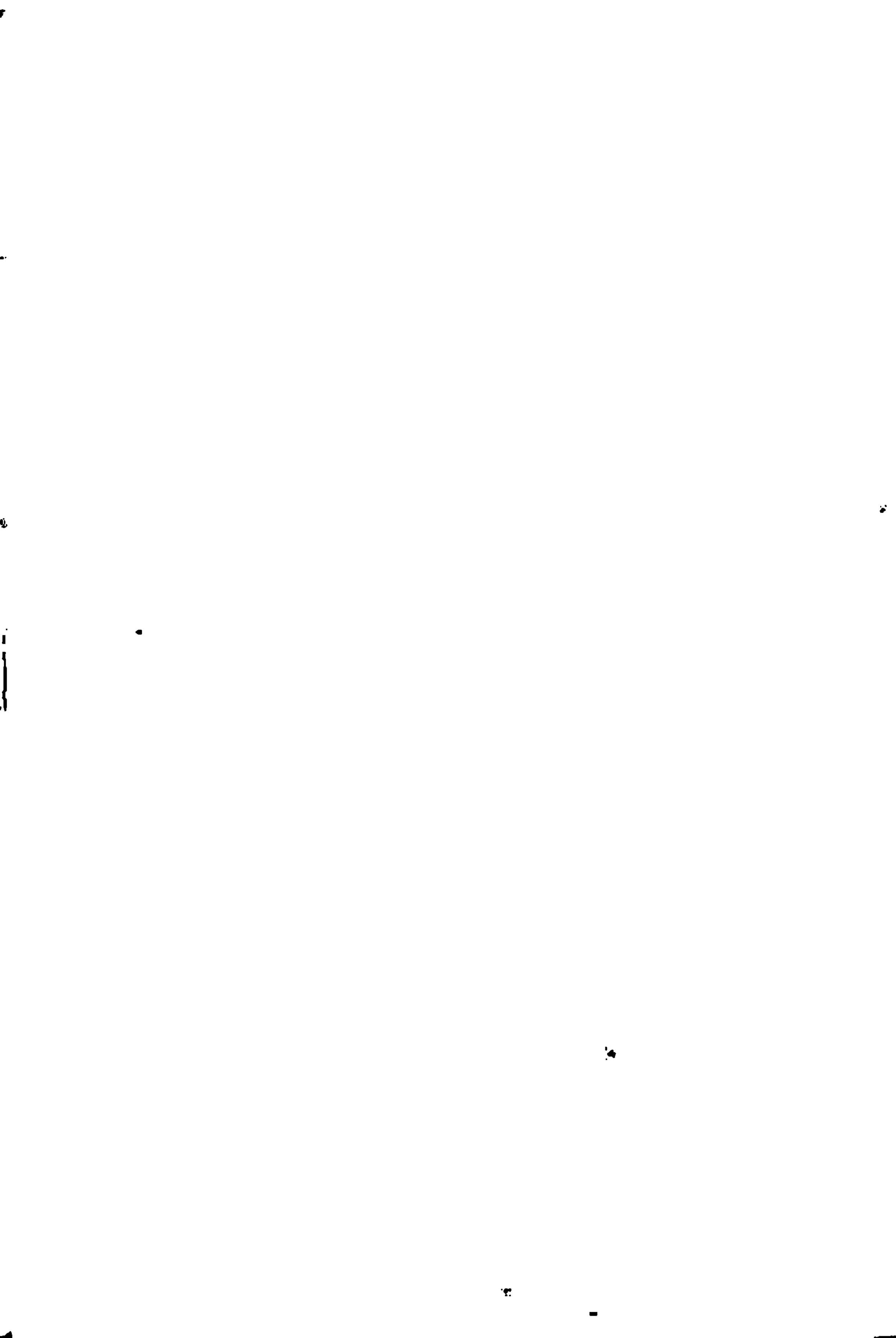
مطلع كتابه الكبير «معجم الأدباء» تقول:

«إنّي رأيتُ أنّه لا يكتب إنسانٌ كتابًا في يومِهِ إلاّ قال في غَدِه: لَو غُيِّرَ هذا لكان أحسن، ولو زيد كذا لكان يُستحسن، ولو قُدِّم هذا لكان أفضل، ولو تُرك هذا لكان أجمل. وهذا من أعظم العِبَر، وهو دليلٌ على استيلاء النقص على جملة البشر».

دمشق في ١٩٩٣/٢/٢٠ **د. عادل الفريجات**

الباب الأوّل

أوّليّـة الشعر العربيّ



قضايا بدايات الشعر العربيّ

يثير البحث في أوائل الشعراء الجاهليّين مجموعةً من القضايا، ويطرح جملة من المشكلات، نرى من الملائم أن نعرضَ لها قبل أن ننتقل إلى الحديث عن أوائل الشعراء في كتب التراث في الفصل الثاني من هذا الباب.

وعلى الرغم من أنّ الشعراء الذين تخيَّرناهم ليُمثّلوا جيل الأوائل من المبدعين الجاهليّين، الذين ربّما يُطْمأنُّ إلى أشعارهم، نسبيًّا، لا يتجاوز أقدمهم القرن الثالث الميلاديّ، فإنّ المرحلة التي سبقتهم ينبغي الوقوف عندها قليلاً، فلعلّها تكون قد أرهصتْ لأشعارهم، بشكلٍ أو بآخر، أو أشارت إلى بذور تطوّر عنها الشعر الجاهليّ الناضج والتامّ التكوين، ذلك لأنّ تاريخ الأدب، شأنه شأن التاريخ العامّ بأسره، يندر أن يعرف الطفرات، فهو حلقات متّصلات متواليات، ترتبط إحداها بما قبلها، وبما بعدها، في سلسلة يحكمها منطق الأحداث والأشياء، وقانون العلّة والمعلول، ومبدأ الترابط والتتابع.

وينبغي لنا أن نُقِرَّ، هنا، بقصورنا عن الكشف عن جميع حلقات تلك السلسلة التي نتصوّرها من التطوّر، فما أصبناه لا يعدو أن يكون مجموعة من الأخبار والاجتهادات والملاحظات، التي قد لا تفلح في إنشاء الصورة بوضوح وتماسك، مهما حاول الباحث رَدم المهاوي بين عناصرها، فالضباب والظلام ما يزالان يحيطان ببدايات الشعر العربيّ، كما يحيطان بتاريخ الجاهليّة الأولى، وبما قدّمه العرب الأول من عطاءات فنّيّة قد تكون وثيقة الصلة بالشعر الجاهليّ المعروف اليوم. ولهذا فإنّ بابًا للاجتهاد والتخمين سيبقى مفتوحًا. ولعلّ مقولة: «إنّ ما لا يُدْرَك كُلُّه لا يُتْرَك جُلُّه» أَصْدَقُ ما تكون ها هنا.

ولهذا سنبحث في هذا الفصل في ما عسى أن يكون بذورًا للشعر العربيّ، وفي

آفاق تلك البذور عامّةً، وصلتها بطَوْرٍ من أطوار اللغة العربيّة، وتأثُّرها بأساطير الساميّين عامّة، والبابليّين خاصّة، ونتنقل إلى الحديث عن نماذج من الشعر الجاهليّ قديمة قِيْلَتْ في ظروف معيّنة، ونخصّ بالاهتمام أوزانها، ممّا يُسْلِمنا إلى أجناس أدبيّة، ربّما تكون قد سبقت الشعر الجاهليّ المعروف اليوم بأوزانه المستقرّة، التي يعدّ الرجَزُ والرملُ مُحطَّتَين من محطّات تطوّرها.. ونسعى أخيرًا إلى محاولة لتقدير عمر الشعر الجاهليّ، الذي وصلت إلينا منه نصوصٌ موثوقة في دواوين مفردة، أو في مجموعات شعريّة معروفة للناس اليوم.

١ ـ بذور الشعر العربيّ

لا شكَّ أنّ تاريخَ أيّ شعرٍ يسيرُ في موازاة تاريخ الشعب الذي يُبدعه، فهو يتطوَّر بتطوُّره، ويرقى برقيّه. وتلك هي العلاقة بين الشعر العربيّ، والجنس العربيّ. وبين أيدي المؤرِّخين اليوم وثائق لا يرقى إليها الشكّ تشير إلى أنّ ظهور الجنس العربيّ على مسرح التاريخ يرجع إلى ما قبل الميلاد بتسعة قرون، وذلك حسب نقش الملك الآشوريّ (سلمانصّر) الذي أرّخ فيه لانتصاره على (حدو) صاحب آرام (دمشق)، وعلى (جندب العربيّ) وغيرهما..[١].

ولا بُدَّ للعرب، آنذاك، من أن يكون لهم، كما لغيرهم، فنونهم المتنوِّعة، كالغناء والموسيقى والشعر وما شابهها...، وقد أشار (هـ. ج فارمر) مُعتمدًا على نقش (لآشور بانيبال) (القرن السابع ق.م) إلى «أن الأسرى العرب كانوا يقضون وقتهم في الغناء (أليلي A'lili) والموسيقى (ننجوتي Ninguti) وهم يشتغلون لسادتهم الآشوريّين، ممّا أطرب الآشوريّين لدرجة جعلتهم يسألون المزيد»[٢]. ويبدو أنّ العلاقة بين الغناء والشعر علاقة وثيقة. وسنرى في ما بعد أنّ الأوزان الشعريّة المعروفة اليوم ذات صلة بالغناء العربيّ الأحدث عَهدًا، أو ببعض أنواعه في الجاهليّة.

(١) فيليب حتّي: **تاريخ العرب** ١: ٤٥، ونسيب وهيبة الخازن: **من الساميّين إلى العرب** ١٥٢ ـ ١٥٣. وجواد علي: **المفصّل في تاريخ العرب** ١: ١٦ ومقال د. خالد العسلي: **الأعراب في النقوش العربيّة الجنوبيّة ـ مجلّة العرب** ـ السنة الخامسة ج ٥ ص ٢٦.

(٢) أنظر فارمر هـ. ج.: **تاريخ الموسيقى العربيّة** ص ٣.

وإذا افترضنا أنّ غناء العرب لأسيادهم الآشوريِّين في القرن السابع قبل الميلاد، كان شعرًا، أو كلامًا موقَّعًا يشبه الشعر، بمعناه الواسع العريض، فإنّنا نكون أمام نتيجة مؤدّاها: أَنَّ بذور الشعر العربيّ ربّما تكون قد وُجدت قبل الميلاد بقرون. ولكن هذا الافتراض يبقى افتراضًا، ليس لدينا من البراهين والأدلّة عليه ما يكفي... وإن كنّا نعتقد أنّ استواء الشعر الجاهليّ الذي بين أيدينا لا يمكن أن يتمّ دون أن يمرّ بأطوار طويلة تطويها حِقَبُ التاريخ، وقد يبقى لنا منها ظلال أو ما يشبه الظلال تُوْمِئ إليها من بعيدٍ بعيد...

ولعلَّ أقدم إشارة إلى مرحلة من مراحل ذاك الشعر ما جاء على لسان محمّد بن إسحق (١٥١ هـ ـ ٧٦٨ م) الذي نقل عنه ابن النديم (٣٨٥ هـ ـ ٩٩٥ م) قوله:

«فأمّا الذي يُقارب الحقَّ وتكاد النفس تقبله، فذِكْر الثقةِ أنّ الكلام العربيّ بلغةِ حِمْيَرَ وطَسْم وجديسٍ وارَمَ وحَوَيْلٍ، فهؤلاء هم العرب العاربة. وإنّ إسميعيل لمّا حصل في الحرم ونشأ وكبر تزوّج في جُرْهم إلى معاوية بن مُضاض الجُرْهُمِي، فهم أخوال ولده، فعُلّم كلامهم، ولم يزلْ وَلَدُ إسميعيل على مرّ الزمان يشتقّون الكلام بعضه من بعض، ويضعون للأشياء أسماء كثيرة بحسب حدوث الأشياء الموجودات وظهورها. فلمّا اتّسع الكلام ظَهَرَ الشعرُ الجيِّدُ الفصيح في العدنانيّة، وكَثُر هذا بعد معدٍّ بن عَدْنان»[1].

والحقيقة أنّ هذا النصّ ينطوي على إشارات موجزة تُوْمِئ من بعيد بعيد إلى مراحلَ من تطوّر العربيّة وظهور الشعر فيها، فهو يشير إلى أنّ العرب العاربة كانوا يتكلّمون العربيّة، وأنّ إسماعيل ـ أبا العرب المُستعربة قد تعلّم عربيّته من جُرهم، وأنّ أولاده قد طوّروها ووسّعوا نطاقها، وأغنوا مفرداتها مع الزمن، وبعد ذلك ظهر الشعر الجيّد الفصيح، في «العدنانيّة»، وكثر بعد «معدّ بن عدنان».

ويبدو لفاحص تلك الإشارات أنّ الأخبار تتضافر لتؤكّد بما يُشبه الإجماع أنّ لغة العرب العاربة هي لغة عربيّة، وقع تطويرها على أيدي أبناء إسماعيل بن إبراهيم القادمين من العراق إلى شِبه الجزيرة العربيّة. وفي تصداق ذلك نقرأ عند الأزرقيّ (٢٥٠ هـ ـ ٨٦٤ م) عن جُرْهُم، وقَطُورا، وهم من العرب العاربة، التالي: «وكانوا قومًا عربًا وكان اللسانُ عربيًّا»[2] ويقول الهمداني (٣٤٦ هـ ـ ٩٥٧ م) عن أُمم ذكرها أيضًا: «وكانت

(١) أنظر ابن النديم: **الفهرست** ص ٨.

(٢) الأزرقيّ: أخبار مكّة ص ٣٧.

هذه الأمم كلّها ما خلا وَلَد أمَيْم تتكلّم باللسان العربيّ، وهم من العرب العاربة» [1].
وكذلك يشير ابن عبد البرّ (٤٦٣ هـ ـ ١٠٧٠) إلى العرب العاربة، ثمَّ يضيف: «إنّ لسانهم كان عربيًّا» [2].

وعلى الرغم ممّا تقدَّم، فليس في مقدورنا معرفة الصورة الحقيقيَّة التي كانت عليها العربيَّة في عصورها الغابرة، أعني قبل امتزاج أبناء إسماعيل بالعرب العاربة، وتحوّلهم إلى عرب مستعربة. ولكنّها، فيما يتوقّع، كانت تختلف عن عربيّة القرآن وعربيَّة الشعر الجاهليّ. ولهذا فعلى الرغم من قول ابن عَبْدِ البَّر: إنّ العربيَّة الفصيحة التي في ربيعة، هي التي ألهمها الله إسماعيلَ [3]، نجد السيوطي (٩١١ هـ ـ ١٥٠٥ م) يقول: إنّ عربيَّة القرآنِ وما تكلّمت به العرب على عهد النبيّ ﷺ يختلف عن عربيَّة إسماعيل وعربيَّة العرب العاربة [4]. بيدَ أنّ هذا الاختلاف لا يمنع من القول إنّ الأصل واحد ولعلّه هو الأصل الساميّ الذي تفرَّعت عنه اللغات الساميَّة جميعها.

ويبدو ممّا استفاض في كتب التراث العربيّ من أخبار تتصّل بإسماعيل بن إبراهيم أنّ العرب يعتقدون أنّ (إسماعيل) كان نقطة تحوّل بارزة في تاريخهم وتاريخ لغتهم. ورحيله مع أبيه إبراهيم من العراق إلى مكّة كان إيذانًا ببدء مرحلة من التطوّر أصابت اللغة التي كان العرب العاربة ينطقون بها في الألف الثاني قبل الميلاد. فإسماعيل في نظر علمائنا القُدامى: هو أوّل مَن تكلَّم العربيَّة ونسي لسان أبيه ـ كما يقول أبو عمرو بن العلاء (١٥٤ هـ ـ ٧٧٠ م) [5]. وفي استدراك على هذا الخبر يُرْوَى عن (إسماعيل) أنّه أوّل مَن كَتَب بالعربيَّة، يقول ابنُ عَبْد البَرّ: «فقد رُويَ عن ابن عبّاس أنّه قال: أوّلُ مَن كَتَب بالعربيَّة إسماعيل يريد العربيَّة المُبيْنة الفصيحة، وأظنّ رواية من رَوى: (كتب) أصحُّ من رواية من روى: (تكلّم) وأولى بالصواب، لأنّ العرب كانت قبل إسماعيل وقبل أبيه وجده» [6].

والملاحظ أنّ تلك الإشارات إلى مراحل تطوّر العربيَّة في كتب التراث لم تكن

---

(١) الهمداني: الإكليل ١: ١٥٦ (ط بغداد).
(٢) إبن عبد البرّ: القصد والأمم ص ١٣ و١٤.
(٣) م. ن. ص ١٦.
(٤) السيوطي: المزهر ١: ٣٣.
(٥) أنظر: إبن سلاّم: طبقات فحول الشعراء ١: ٩.
(٦) أنظر ابن عَبد البَرّ: القصد والأمم ص ١٧ ـ ١٨.

إشارات بلا أساس، أو بلا معنى، فمن المعروف أنّ إسماعيل بن إبراهيم قد وُجِد في الألف الثاني قبل الميلاد، ومن المعقول أن تكون لغة الشعر الجاهليّ قد احتاجت إلى قرون عديدة لتأخذ مفرداتها، ومصطلحاتها، وصيغها، وأساليب تعبيرها، وقواعد صرفها، ونحوها، طريقها إلى النضج والاستقرار. ولهذا فربّما كان الدكتور (فابريزيو. أ. بيناشيتي) الأستاذ في جامعة البندقيّة غير مُجازِف حين قال: «لذلك يمكننا الافتراض أنّ اللغة العربيّة بدأت تتكوّن في القرون الأخيرة من عصر الألف الثاني قبل الميلاد. وهي القرون الأخيرة التي أصبحت فيها اللغة الآراميّة، أو اللغة القريبة منها هي السائدة بين الشعوب الساميّة التي عاشت تحت الهيمنة الأورية في جنوب بلاد ما بين النهرين»[١].

والاطمئنان النسبيّ إلى مثل هذا الافتراض يتيح للباحث أن يعيد بذور الشعر الجاهليّ المعروف اليوم إلى زمن سحيق يرجع إلى ما قبل (مَعَدّ بن عدنان) هذا الذي أشير إلى كثرة الشعر الجيّد الفصيح بعده ـ حسب خبر **الفهرست** السابق الذكر.

و(مَعَدّ بن عدنان) عَلَمٌ عظيم عند علماء النسب القُدامى؛ فهو الاسم الأخير لكثير جدًّا من الأنساب العربيّة. وتنقطع الثقة بأعمدة النسب فيما وراءه. وقد قال ابن الكلبي (٢٠٦ هـ ـ ٨٢١ م): «كان رسول الله ﷺ إذا انتهى في النسب إلى معدّ بن عدنان أمْسَكَ، ثمّ قال: كذب النسّابون»[٢]. وممّا يتّصل بأبوّة (عدنان) ـ والد (معدّ) ـ للأنساب العربيّة قول ابن سلاّم الجُمحي (٢٣١ هـ ـ ٨٤٥ م): «لم يجاوز أبناءُ نزار في أنسابهم وأشعارهم عدنانَ، اقتصروا على معدّ. فما فوق عدنان أسماء لم تُؤْخَذْ إلاّ عن الكتب، والله أعْلَمُ بها، ولم يذكرها عربيّ قَطُّ»[٣].

وممّا هو جدير بالملاحظة أنّ ابنَ دُرَيْد (٣٢١ هـ ـ ٩٣٣ م) عدَّ مِن أمّهات النبيّ ﷺ إحدى وعشرين أُمًّا، إلى أمّ عدنان، واسمُها عنده بَلْهاءُ بنت يعرب. ولمّا وصل إليها قال: «وما بعد هذا، فهي أسماء سريانيّة»[٤]. ويتساءل المرء هاهنا: هل تشير عبارة ابنِ دُرَيْد السابقة إلى وضع لغويّ ربّما كانت فيه السريانيّة أكثر سيادةً من العربيّة بين

(١) أنظر مقال فابريزيو. أ. بيناشيتي: **العرب والآراميّون قبل الإسلام، وبداية تكوّن اللغة العربيّة**، في مجلّة **الفكر العربيّ** ـ العدد الستّون ص ٢١٣.

(٢) أنظر ابن الكلبي: **جمهرة النسب** ١: ٦٥ (ط الكويت)، والسهيلي: **الروض الأنف** ١: ١١، والبلاذري: **أنساب الأشراف** ١: ١٢، وابن عساكر: **تاريخ دمشق** (قسم السيرة) ١: ٤١.

(٣) إبن سلاّم الجمحي: **طبقات فحول الشعراء** ١: ١٠.

(٤) إبن دُرَيْد: **الاشتقاق**: ١: ٤٣، وابن الكلبي: **جَمْهرة النَّسب**: ١: ١١٦. (ط الكويت).

ظهراني أبناء إسماعيل؟ وهل تعني أنَّ زمناً مديداً مرَّ على مرحلة التفاعل والاحتكاك بين العربيَّة القديمة والسريانيَّة منذ الألف الثاني قبل الميلاد إلى أن بدأت الأسماء تتحوَّل تدريجيًّا لتصبحَ أسماء عربيَّة يألَفُها المؤرِّخون السابقون؟

وإذا تساءلنا عن الزمن الذي وُجِد فيه (معدّ بن عدنان)، وجدنا تضارُبًا واختلافًا شديدَين في تحديده، فهذا ابن سلاَّم يرى أنّه كان «بإزاء موسى بن عمران»[1]. وبما أنّ موسى كان قبل الميلاد بأربعة عشر قرنًا، فزمن (معدّ) يعود إلى هذا التاريخ، أي الثلث الأخير للألف الثاني قبل الميلاد. وهناك إخباريّون يَرَوْن أنّه كان في عهد (بَخْتَنَصَّر)، أي في أواخر القرن السابع قبل الميلاد[2]، وقد استخلص (نجيب محمّد البهبيتي) من خلال تحليله لروايات ابن خلدون عن (عدنان) ــ والد (معدّ) ــ أنّ هذا الأخير كان حقًّا معاصِرًا لِــ (بَخْتَنَصَّر)، وأنّه كان أقرب ملوك العرب إلى العراق. بل لعلّه كان فيها[3] ونلتقي بأخبار أخرى تقول إنّ (معدًّا) كان على عهد عيسى بن مريم. فقد ساق الذهبيّ (٧٤٨ هــ ــ ١٣٤٧ م) في **تاريخ الإسلام** هذا الخبر: «قال هشام بن الكلبيّ: سَمِعْتُ مَن يقول: إنّ معدًّا كان على عهد عيسى بن مريم عليه السلام»[4].

ويبدو أنّ التباين الواضح في تلك الأخبار حول زمان وجود (معدّ بن عدنان) يعود إلى إشكال في فهم مدلول كلمة (معدّ)، هذا الذي كَثُرَ الشعرُ الجيّد الفصيح بعده. فمَدْلول تلك الكلمة هو عِلّة ذاك التبايُن فيما يبدو. ومن الجائز أن يكون لفظ (معد) يدلُّ على قومٍ لا ندري كيف اكتسبوه، وليس شخصيَّة تاريخيَّة محدّدة. وقد رأى (جواد علي) في هذا الصدد أنّ (معدًّا) كلمة أُريد بها أعرابٌ كانوا يتنقّلون في البوادي ثمّ صارت اللفظة عَلَمًا لرجلٍ صُيِّرَ أبًا للقبائل التي عاشت حياةً قاسيةً صعبة[5].

ومهما يكن من أمر، فإنّنا لا نرى غرابة في أن يربط القدماء بين عهدَيْن من عهود العربيَّة، وعهود الشعر فيها، هما العهد الذي سبق معدَّ بن عدنان، والعهد الذي تلاه،

---

(١) ابن سلاَّم: .م س. ١: ١١.

(٢) أنظر: البلاذري: أنساب الأشراف: ١: ٢٢، والطبري: تاريخ الأمم والملوك ٢: ٢٧١، والسهيلي: الروض الأنف ١: ١١، وابن الأثير: الكامل في التاريخ: ٢: ٣٢، وابن كثير: البداية والنهاية: ٢: ١٩٤.

(٣) البهبيتي: المدخل إلى دراسة التاريخ والأدب العربيّين ٥٨٣.

(٤) الذهبي: تاريخ الإسلام: ١: ١٩.

(٥) جواد علي: المفصَّل في تاريخ العرب: ١: ٣٨٩. وقارن بما جاء في تاج العروس (عدد) حيث ينقل المُرتضى الزبيدي قول الرسول ﷺ: «تَمَعْدَدُوا واخْشَوشِنوا وامشوا حُفاةً أيْ تَشَبَّهوا بعيش معدّ. وكانوا أهل تقشّف وغلظة في المعاش يقول: كونوا مثلهم ودعوا التنعُّم وزيّ الأعاجم».

وخاصّة إذا فهمنا من كلمة (إسماعيل) (قوم إسماعيل)، ومن كلمة (معدّ) قوم (معدّ). ولعلّ هذا الفهم هو الفهم الأوجه. ذلك لأنّه من المُحال أن نطمئنّ إلى ما زعمته بعض المصادر العربيّة القديمة من أنّ (إسماعيل) أو (يَعْرُبَ بن قَحطان) مثلاً، أو (عَمْلِيق بن لاوِذ) أو (هُوْدًا) كان أوّلَ مَن نَطَقَ بالعربيّة، لأنَّ تشكّل اللغات أو اللهجات المنحدرة من أرومة واحدة، هو حصيلة تطوّرٍ بطيءٍ جدًّا، وتحوّل تدريجيّ يستغرق زمنًا مديدًا للغاية.

ومن مسوّغات الربط بين (معدّ)، وجدّه الأبعد (عدنان)، أنّ إسماعيل وبنيه كان العراق موطنهم، وأنّ (معدًّا) وبنيه كانت البادية وشبه الجزيرة مقرّهم. ولغتا هذَين الفريقَين، في الأعمّ الأغلب، ترجعان لأرومة واحدة. ولهما أصل واحد، هو الأصل الساميّ المُغيَّب عنّا اليوم. وفيهما من التشابُهِ والتقارُب ما سمح للمؤرّخين القُدامى بأن يشيروا إشارات خاطفة ومبتسرة إلى مراحل غامضة من التطوّر والتحوّل بين عربيّة العراق القديم وعربيّة الحجاز والبادية.

والحقّ أنّ التفاعل الحضاريّ بين العراق والحجاز لم ينقطع منذ أقدم الأزمنة، وهذه المنطقة العربيّة كانت تمرّ باضطرابات سكّانيّة كبيرة، وتشهد هجرات بشريّة واسعة، منها ما يتّجه شرقًا ومنها ما يتّجه غربًا. وفي ظلّ ذلك التحرُّك السكّانيّ وتلك الهجرات البشريّة كانت اللغات تأخذ وتعطي، ثمّ تتواشج وتتقارب، فيحدث التفاعُل والاحتكاك بين كلّ مظاهر القول الفنّي عند الناطقين بلهجات اللغة الواحدة الأمّ... وبسبب ما تقدَّم لم يجد باحث معاصر معروف هو (نجيب محمّد البهبيتي) شَططًا في أن يرى بذور الشعر العربيّ، الموصوف (بالجيِّد الفصيح) فيما بعد، في الأدعية والصلوات التي كان (إسماعيل بن إبراهيم) ومن ثمَّ بنوه يصعِّدونها إلى معبودهم، فيقول: «إنّ بذورَ الشعر الجديد الأولى لا بُدَّ أن تكون قد برزت في الأدعية والصلوات الدينيّة التي أنشأها الجدّ المستعرب الأوّل (إسماعيل). ولعلّ قولي هذا نبوءة بغيب لا دليلَ عليها مُباشرًا. لكنّنا إذا ذكرنا أنّ إبراهيم من العراق في ذلك العهد القديم، وأنّ معابد العراق كان يتعبّد فيها بالأناشيد الباقية بعض نماذجها، ومن بينها أجزاء من جيلجامش، وكلّها أشعار منظومة، وأنّ تجديد العقيدة لم يعزل، في التاريخ كلّه، الجديد عن القديم، عزلاً مطلقًا، وذكرنا أنّ إسماعيل كان يتابع أوضاعًا وطقوسًا دينيّة سنّها أبوه على ضوء تجاربه الدينيّة في بيئته الأولى، وكان ينقلها إلى لغته الجديدة، أدركنا أنّه كان محتومًا أن ينظم فيها الصلوات

في الأشكال التي سنّها أبوه، أي أن ينظمها شعرًا»[1].

ويؤيِّد ما ذهب إليه (البهبيتي) من حيث المبدأ، لا من حيث الحَتْم والتفصيل، البحّاثة (فؤاد سزكين)، حين يقول: «وليس من الخطأ التفكير في تأثير الشعر البابليّ المتأخّر في الشعر العربيّ، وذلك في إطار التطوّر الحضاريّ أواخر العصور القديمة، وما حدث في المجالات الأخرى للعلوم الفكريَّة والطبيعيَّة»[2].

وممّا يدعم الرأي القائل بأنّ نشأة الشعر العربيّ جاءت متأثّرة بأصول أسطوريَّة ودينيَّة وفكريَّة ساميَّة، وخاصّة أساطير السومريِّين والبابليِّين ودياناتهم، وأساطير أقوام بلاد الشام وجزيرة العرب، ما تسلَّل من بقايا تلك الأصول الأسطوريَّة والدينيَّة إلى الشعر الجاهليّ الماثل أمامنا الآن. وهي بقايا تُوْمِئ بعض الإيماء إلى منابع إلهام وثقافة كان الشاعر الجاهليّ القديم يؤول إليها، أو كانت هي تتسلَّل إلى إبداعه، عفوًا، بفعْلِ انتحائِهِ التقليديّ سَمْتَ نماذجَ قديمة جدًّا لا تتَّضح لنا كُلُّ أبعادها بدقَّة، ولا نعرف الآن كلّ آفاقها عرفان اليقين... وقد قارب هذه القضايا الدكتور (عبد الجبّار المطَّلبي) في بَحث له قيِّم نشره منذ عشرين عامًا وعنوانه: (قصَّة الثور الوحشيّ وتفسير وجودها في القصيدة الجاهليَّة)[3]. ففي هذا البحث يتقرَّى الباحث (المطلبيّ) آفاق هذه القصَّة في الشعر الجاهليّ، فيجد لها أصولاً مغرقة في القدم، تتَّصل بأساطير السومريِّين والبابليِّين والفينيقيِّين والحثيِّين، وغيرهم من شعوب الشرق القديم التي كانت تعبد الإله ـ الثور.

وقد اتَّخذت عبادتهم لهذا الإله صُوَرًا شتَّى، وصِيَغًا عديدةً، وطقوسًا مختلفة، ولكنّها جميعًا مترابطة ومتواكبة ومتشابهة، الأمر الذي يشهد بوحدة ثقافيَّة وحضاريَّة وتاريخيَّة لشعوب ما بين النهرين وبلاد الشام والحجاز وجزيرة العرب، ومصر منذ خمسة آلاف سنة[4].

---

(١) نجيب محمّد البهبيتي: المدخل إلى دراسة التاريخ والأدب العربيَّين ص ٥٨٠.

(٢) فؤاد سزكين: تاريخ التراث العربيّ: مج ٢ (١: ١٨ ـ ١٩).

(٣) أنظر البحث المذكور في مجلّة كلّيَّة الآداب بجامعة بغداد ـ العدد ٢٢ ص ٢٠٣ ـ ٢٤٤. وانظر أيضًا مقالاً في المعنى ذاته، لأمين حامد، بعنوان: الحيوان في فنّ الرافدين القديم، في: مجلّة فكر، بيروت، العدد ٣٥ ـ ٣٦ ص ٢٤٤ ـ ٢٥٧.

(٤) أنظر في هذه الفكرة: بيير روسي: مدينة إيزيس ـ تاريخ العرب الحقيقيّ، ص ٣٧ فما بعدها. ومقال د. محمّد حرب فرزات: الكتابة والحضارة، في مجلّة المعرفة السوريَّة ـ العدد ٢٩٨ ـ ٢٩٩.

فممّا أشار إليه الدكتور (المطلبي) في بحثه المذكور أنّ الثور، واسمه (إنليل) كان إله العواصف عند السومريِّين، وقد عبدهُ السومريّون، وعبدوا معه البقرة الإلاهة. وأصبح هذا الإله، من ثمّ، إلهًا عند البابليّين ــ وَرَثة السومريِّين ــ واتّخذ اسمًا له هو (مَرْدُوخ). وفي ملحمة جلجامش كان (جلجامش) هو الثور الوحشيّ القدير... وكذلك عبد الآشوريّون الإله ــ الثور، والتمسوا عنده بعض الحماية... وكان الثور عند الحثيِّين إلهَ المطر والبرق والبرد والعواصف، وسُمّي الثور عند الساميِّين الشماليّين بالإله (بعل)، ومعناه: السيِّد والربّ، وكان رمز الخصب والمطر. وقد بقي سكّان سورية ولبنان وفلسطين يعبدون الثور لقرون عدّة. وفي الرقم الأوغاريتيّة التي اكتُشفت عام ١٩٢٩، في رأس شمرا، كان الإله (بعل) إله الخصب والحقول والمواشي. وهو يموت ويبعث ثانية، وعدوّه إله الموت ــ إله الجفاف والعالم السفلي. وفي كنعان كان الإله (إيل = EL) أبا الآلهة وأبا الإنسان. وانتهى الدكتور المطّلبي إلى القول: «ونخلص الآن إلى أنّ أقوامَ الهلال الخصيب قد عبدت الإله ــ الثور، إله العواصف بالصلاة والقرابين والترانيم لتنال صفاته المميّزة، وهي القوّة والخصب. وفي عملهم هذا أقاموا الدليل على أنّ الإله ــ الثور إله القوّة والخصب. وقد ظهر بلا منافس إلهًا للشرق الأدنى طوال آلاف السنين»[١].

وانتقل الدكتور المطّلبي إلى الحديث عن عبادة الثور عند عرب الجنوب منذ الألف الأوّل قبل الميلاد، وامتزاجها بعبادة القمر، إذ كان رمز إلههم ــ القمر ثورًا. ودُعِيَ القمر في بعض النصوص ثورًا. ومن المعروف أنّ الإله (ألْمَقَه) هو إله السبئيِّيْن، ولكنّنا لا نعرف شيئًا كثيرًا عنه سوى أنّ القرابين والصور والأوثان التي كان عَبَدَتُه يقدّمونها إليه اشتملت على صور ثيران، وفي تُدْمر أيضًا عُبِد الإله (بعل) وهو إله الخصب عند الكنعانيِّين ــ كما مرّ بنا.

وإذا انتقلنا إلى المنطقة الشماليّة من شبه الجزيرة العربيّة، وجدنا أنّ العرب الثموديِّين واللحيانيِّين قد عبدوا الإله (ودًّا). وهو أشهر إله عندهم. ولعلّه صفة للإله (إيل) ــ الإله الساميّ القديم، كما يذكر (جواد علي)[٢].

---

(١) أنظر مجلّة كلّيّة الآداب بجامعة بغداد ــ العدد ١٢ ص ٢٢٦

(٢) جواد علي: المفصّل في تاريخ العرب ٦: ٢٩٤، وأحمد أبو الفضل عوض الله: مكّة في عصر ما قبل الإسلام، ط ٢، ص ٧٢.

وإذا تركنا قليلاً بَحْثَ الدكتور (المطَّلبي) هذا، وتساءلنا عن وجود الإله (وُدّ) في الشعر الجاهليّ، لاحظنا أنّ أحد شعرائنا الأوائل، وهو زُهَير بن جناب الكَلبي، قد ذكره على أنه «معبود»، إذ قال:

فحيَّاكِ وُدٌّ زَوِّدِينا تَحِيَّةً لَعَلَّ بها عانٍ مِنَ الكَبْلِ يُطْلَقُ[1]

وكذلك ذكره النابغة فقال:

حيَّاكِ وُدٌّ، فإنَّا لا يَحِلُّ لَنا لَهْوُ النِّساءِ، وإنَّ الدِّيْنَ قدْ عَزَما[2]

وأنشد في اللسان، والتاج، بلاعزو:

بودِّكِ ما قومي على ما تركتِهِمْ سُلَيْمَى، إذا هبَّتْ شَمالٌ وريحُها

وقال صاحب اللسان: «والوُدُّ صَنَم كان لقومِ نُوْح، ثمَّ صار لكَلْب، وكان بدُوْمة الجَنْدَل. وكان لقريش صَنَمٌ يدعونه وُدًّا»[3].

وقد لاحظ (محمَّد عبد المعين خان) علاقة ما بين اسم (ودّ) وأشعار الحُبّ العربيَّة فقال: «ومثَّل ودٌّ دورَ الحبّ عند العرب أيضًا. وكان أوّل مَن أجاب دعوةَ عَمْرو ابن لُحَيّ إلى ذلك الصنم عَوْفُ بن عُذْرة. وقبيلة عُذرة لا تحتاج إلى مزيد التعريف في كُونها المَثَل الأعلى للحبّ والعشق...»[4].

وإذا عدنا إلى الملمح الذي بدأنا حديثنا عنه، وهو قصّة الثور الوحشيّ في القصيدة الجاهليَّة، وجدنا الدكتور (المطّلبي) يقول أخيرًا في هذه القصّة: «إنَّما هي تطوُّرٌ لترانيم، أو ملاحم، أو تفوّهات دينيَّة قديمة تتّصل بقدسيَّة الثور، وما كان يرمز إليه من الخصب والاتِّحاد بالصيد. ولكنّها لم تعد تحمل مغزىً دينيًّا، بل انتهت إلى الشعراء الجاهليِّين المعروفين تقاليد أدبيَّة، وإن لم تخلُ من إشارات وسمات هي بقايا قدسيَّة انقرضت، ويستطيع المُلِمّ بأصولها فَهْمَها والنفاذَ إلى إيماءاتها ومراميها، فكلّ صورة في القصائد التي تردُ في قصّة الثور تذكر ليلة مُمْطِرة، أو إشارة إلى ليلة ممطرة، أو إلى المطر،

---

(١) أنظر القصيدة (١٥) في شعر زُهَير بن جَناب في هذه الدراسة. ويُرْوَى: «فحُيِّيْتِ عنّا».

(٢) ديوان النابغة الذبياني بشرح ابن السكّيت ص ١٠٦ . ويُروى: «حيَّاكِ ربِّي».

(٣) اللسان، والتاج (ورد). وانظر في (وُدّ) ابن الكَلْبي: الأصنام ص ٥٥ ــ ٥٦. والبيت المذكور في ديوان عَمْرو بن قَمِيْئة ص ٣٣ .

(٤) عبد المعين خان: الأساطير العربيَّة قبل الإسلام ص ١٣١ .

ممّا يدلّ دلالة واضحة على ذلك الارتباط القديم بين الثور والخصب والمطر»[1]. ثمّ يسوق الباحث النصوص الشعريّة التي تشهد على ما يذهب إليه من أشعار أَوْس بن حَجَر، وَعبِيْد بن الأبرص، والنابغة الذبياني، وزُهَيْر بن أبي سُلْمى، ولَبِيْد بن رَبيعة، وبِشْر بن أبي خازم الأسديّ.

وما تقدّم يقود إلى نتيجة نصوغها على النحو التالي: إنّ عبادة العرب في جزيرتهم قد تأثّرت بعبادة الساميّين القدماء، ولهذا فمن المعقول جدًّا أن تتأثّر أشعارهم بأشعار أسلافهم الساميّين، تمامًا كما تأثرت ديانة العرب الجاهليّين بديانة المنطقة العربيّة بأسرها. وبالتالي فإنّ بذور الشعر الجاهليّ وبعض نماذجه الأولى كانت تكمن في طوايا مراحل تطوّر الآداب الساميّة التي سبقت زمن استواءِ الشعر العربيّ وتاريخ نضجه[2]. ومن هنا فإنّ الشاعر (صلاح عبد الصبور) لم يُجافِهِ الصوابُ حين قال في هذا الصدد: «فالشعر الجاهليّ الذي ندرسه والذي استنبط منه الخليلُ عروضَه إذًا شعرٌ قديم التجربة، أوّليّاتُه في لغة غير لغته، كما نجد أوّليّات الشعر الإيطاليّ في اللاتينيّة. وهو ليس صنيع قوم بداة جفاة، بل هو ثمرة حضارة الأمم الساميّة القديمة. ولعلّنا بهذا وحده نستطيع أن نعلّل الغنى العروضيّ والموسيقي له»[3]. وإذا كانت النماذج المبكرة مُغَيَّبة عنا بصورها وموسيقاها وعروضها القَلِقة، فلدينا اليوم نماذج أخرى تشير إلى مراحل أكثر حداثة، وتدلّ على أوزان أكثر استقرارًا.

٢ ـ نماذج الشعر القديمة: بواعثها، وآفاقها، وأوزانها

إنّ النماذج التي سنقف عندها ربّما يدلّ بعضها الموجود على بعضها المفقود، وهي بما رافقها من ظروف مصاحبة، ومصطلحات مواكبة، يمكن أن تُعَدَّ، من زاوية من الزوايا، شواهدَ على نظرتَين أو رأيَين عَرَضا لنشأة الفنون عامّة، والشعر خاصّة، وعن

(١) مجلّة كلّيّة الآداب بجامعة بغداد: العدد ١٢ ص ٢٣٨.

(٢) أنظر في تأثّر الوثنيّة العربيّة الشماليّة بالوثنيّة البابليّة: أحمد أبو الفضل عوض الله، مكّة في عصر ما قبل الإسلام ـ ط ٢ ص ٧٣. وعبد المعين خان: الأساطير العربيّة قبل الإسلام، ص ١١١. وفي تأثّر الشعر الجاهليّ بالشعر السامي القديم، أنظر بحث مريم البغداديّ: التأصيل الفنّيّ للبكائيّة القديمة في الشعر الجاهليّ في مجلّة أبحاث اليرموك ـ المجلّد الرابع ـ العدد الأول ص ٢٩ ـ ٦١، وبحثاً آخر للباحثة ذاتها، وفي المجلة ذاتها، بعنوان: النمطيّة في شعر الغزل الجاهليّ مج. ٤ ع: ٢.

(٣) أنظر مقال صلاح عبد الصبور: رَأْيٌ في بدايات الشعر ـ مجلّة الشعر ـ العدد ١٦ ـ ص ٧٦ ـ ٧٩.

البواعِث العمليَّة، والبواعث (الميثولوجيَّة) التي كانت وراء نشأة الشعر. ويمكن أن نقسم تَيْنكَ النظرتَين إلى نظرة دنيويَّة نفعيَّة، ونظرة (ميثولوجيَّة) دينيَّة.

ونحن نرى أنّ وقوفنا عند بواعث النماذج القديمة وآفاقها، ومصطلحاتها، وأوزانها، لا بُدَّ أن يضيءَ جانبًا من جوانب نشأة الشعر العربيّ، هذه التي نحاول، قدرَ الطاقة، وبما تسمح به لنا هذه الدراسة من بناءٍ مَنْطقيّ، أن نزيحَ عنها أسداف الظلمة التي تكتنفها.

وإذا كُنّا نُرجِئ الآن الحديث عن النظرة (الميثولوجيَّة) الدينيَّة، فإنّنا نشير إلى أنّ أنصار النظرة الدنيويَّة النفعيَّة، يرون أنّ الشعر خاصّة، والفنّ عامّة، قد نشأ بتأثير العمل وفي جوائه، لا بِفعل الدين وهياكله وطقوسه... فليس غرض الفنّ، منذ ولادته، إلاّ أن يكونَ ـ كما يقول (أرنست فيشر): «أداةً أو سلاحًا سحريًّا في يد الجماعة الإنسانيَّة فيّ صراعها للبقاء»[1]. وبالتالي لم يكن له، منذ فَجره أدْنَى صلة بالنوازع الجماليَّة. بل كان ذا هدفٍ نفعيّ... ولهذا فإنّ ألوان القول ذات الإيقاع والنغم التي كانت ترافق العمل كان غرضها زيادة قوّة الإنسان، ودَفعه إلى إنجاز عمله في أجمل اللحظات وأكثرها مواتاة... وربّما كانت حركات العمل المنتظمة هي التي توحي بتلك الأنغام والأناشيد وتدفع لإبداعها. وفي هذا المعنى نجد (كارل بروكلمان) يقول: «أراد باحث الاجتماع والاقتصاد السياسيّ (كارل بوخر) أن يُقرِّر في كتابه: **العمل والنغم**، أنّ حركات العمل الطبيعيَّة المنتظمة، ولا سيَّما حركات العمل الجماعيّ، كانت تحثُّ من تلقاء نفسها على التغنّي بأغان موزونة مصاحبة للعمل، ومُيسِّرة له تيسيرًا نفسيًّا، وقد رُوِيَت عن العرب أيضًا مثل هذه الأغاني التي تصاحب العمل»[2].

وربّما كان (بروكلمان) هنا يُشير إلى أنواع الغناء العربيّ التي كانت تؤلَّف وتنشَد عند حفر الآبار، أو الاستقاء منها، وعند محاربة الأعداء، أو حُداء الإبل، أو بناء البيوت، أو ترقيص الأطفال ـ وفي هذا الصدد أشار القدِّيس (نيلوس)، عند حديثه عن بدو شبه جزيرة سيناء، إلى أنّ هؤلاء كانوا يغنّون، وهم يستقون من الآبار، فعدَّ بعض الباحثين تلك الإشارة من أوائل الإشارات إلى وجود شعر عربيّ قديم[3].

(١) أرنست فيشر: ضرورة الفنّ ص ٤٧.
(٢) كارل بروكلمان: تاريخ الأدب العربيّ ١: ٤٤ ـ ٤٥.
(٣) أنظر غرونباوم: دراسات في الأدب العربيّ ص ١٣٣ ـ ١٣٤، وفؤاد سزكين: تاريخ التراث العربيّ مج ٢ (١: ١٤).

وإذا كان غناء أولئك الأعراب قد ضاع، أو غُيِّب عنّا، فبين أيدينا اليوم نماذج باقية كانت تنشَد في مواقف مشابهة، ويحسن أن نذكر في هذا المجال ما يُعزَى إلى رجل من الحاجّ، قال في بئرٍ حفرها (قُصَيُّ بن كِلاب) قرب مكّة، تدعى العجول:

نَــرْوي عــلــى الــعَــجُــول ثــمَّ نَــنْــطــلــقْ
إنَّ قُـــصـــيًّـــا قَـــدْ وَفَـــى وقَـــدْ صَـــدَقْ
بــالــشّــبْــعِ لِــلْــحــاجِ، وريٍّ مُــغْــتَــبَــقْ[١]

ولا ريبَ أنّ هذا النموذج من الغناء الجمعيّ الذي اتُّخذ من الرجز مطيّةً له، لا يعدُّ أوّلَ الشعر العربيّ، ولكنّه يُعَدّ، على الأرجح، شكلاً من أشكال النماذج القديمة التي يضاف إليها أشعار الحروب أيضًا، تلك التي روى بشأنها (سوزومينوس) في كتابه: تاريخ الكنيسة المؤلّف بين عامَي (٤٤٣ ـ ٤٥٠ م) أنّ العرب كانوا ينشدون أشعارًا ألّفوها بمناسبة انتصار ملكتهم (ماويّة) حوالي السنة ٣٧٢ م، أو ٣٨٠ م على جيوش الروم[٢]. ولكنّنا نجهل أوزان تلك الأشعار، فهل كانت أرجازًا تشبه الأرجاز التي قيلت عند حفر الآبار، أو الاستقاء منها، أم أنّها شِعرٌ حماسيّ آخر من وزن آخر؟؟ وقد عدَّ بعضُ الباحثين هذه الأناشيد لونًا من ألوان الشعر الذي نُظمَ نظيرهُ في أيّام العرب في الجاهليّة المتأخّرة، وذلك قياسًا للمجهول على المعلوم[٣].

ويضاف إلى ذينك النوعَين من المناسبات حُداء الإبل، فقد روى البلاذري (٢٧٩ هـ ـ ٨٩٢ م) أنّ مُضَرَ بن نِزار هو أوَّل مَنْ حَدَا، قال: «وحدَّثني عبّاس عن هشام عن أبيه عن جدّه قال: كان مُضَر من أحسن الناس صوتًا، فسقط عن بعيره، فانكسرت يده،

---

(١) ياقوت الحموي: معجم البلدان: (العجول). والأبيات في الأزرقي: أخبار مكّة ٢: ٦٤، ٦٧، (ط مكّة)، والبكري: معجم ما استعجم: ٣، ٩٢٣ . والرواية فيه: «تروي على... تنطلق» و«وبشبع الحجّ وريّ مغتبق».

(٢) ذكر (فون غرونباوم) أنّ انتصار (ماويّة) على الروم كان في السنة ٣٧٢ م. وذكر (عرفان شهيد) أنّ الانتصار كان في السنة ٣٨٠ م. وذلك في المرجَعين المذكورَين لاحقًا في الحاشية (٣) هنا.

(٣) أنظر: (فون غرونباوم): دراسات في الأدب العربيّ ١٣٤، و(فؤاد سزكين): تاريخ التراث العربيّ مج ٢ (١: ١٤) ومقال عرفان شهيد:
The Composition of Arabic Poetry in the Fourth Century
في كتاب: دراسات تاريخ الجزيرة العربيّة ـ الكتاب الثاني: الجزيرة العربيّة قبل الإسلام: القسم الأجنبي P.87.

فجعل يقول: يا يَدَاْهُ يا يَدَاْهُ، فأنست الإبل لصوته وهي في المرعى، فلمّا صلح وركب، حَدَاْ. فهو أوّلُ مَنْ حَدَا...» ثمّ مضى البلاذري فقال: «واستعمل الناسُ الحُداء بالشعر بعده، وتزيّدوا شيئًا بعد شيء. وقيل: إنّه ضَرَب يد غلام له بعصا، فجعل يقول له: يا يداه، فاجتمعت الإبل»[1].

وإذا دقّقنا النظر في عبارات الحُداء وهي: «يَايَدَاْهُ، يايَدَاهُ» وجدْناها أقرب إلى بَحْر الرَّمَل ـ وأصل تفعيلاته «فاعلاتن» ستّ مرّات ـ منها إلى بَحْر الرَّجَز، ووزنه: «مُسْتَفْعِلن» ستّ مرّات، إلاّ أنّ الحُداء، وهو لَوْنٌ من ألوان الغناء العربيّ، كان يأتي على أكثر من وزن من أوزان الشعر المعروفة اليوم. وربّما كان الرَّجَز أشهر تلك الأوزان وأكثرها دَوَرانًا. ولكنّ الرمل أيضًا نوع من الغناء كما يقول التِّبْرِيْزي[2]. وهو قريب من الرجَز والبحران قريبان من الهَزَج. وربّما كانت العلاقة بينها جميعًا وراء إدراج الخليل بن أحمد الفراهيدي (١٧٠ هـ ـ ٦٨٦ م) هذه البحور الثلاثة في دائرة عروضيّة واحدة.

ولكنّنا نجد ابنَ رَشِيْق (٤٦٣ هـ ـ ١٠٧٠ م) يشير إلى أنّ الحُداء لم يكن غناء العرب وحده، فهو يقول: «وغناء العرب قديمًا على ثلاثة أوجه: «النَّصْب والسِّناد والهَزَج.

فأمّا النَّصْبُ، فغِناءُ الركبان والفتيان. قال إسحق بن إبراهيم الموصلّي. وهو الذي يُقال له المرائي، وهو الغناء الجَنابي اشتقّه رجل من كَلْب يُقال له جَناب بن عبدالله بن هُبَل، فنُسِبَ إليه. ومنه كان أصْلُ الحُداء. وكُلُّه يخرج من أصل الطويل في العروض»[3].

وإذا كان النصْب حقًّا من اختراع جناب بن عبدالله، فهو حديث عهد، لأنّ جَنابًا هذا هو أخو أحدِ شعرائنا الأوائل هنا، هُبَل بن عبدالله، ووالد شاعر آخر من شعرائنا أيضًا، هو زُهَيْر بن جَناب بن هُبَل بن عبدالله. وعصْرُ جَناب بن عبدالله لا يتجاوز القرن الخامس الميلاديّ على الأرجح. أمّا خروج ذاك الغناء من أصلِ البحر

(١) البلاذري: أنساب الأشراف: ١: ٣٠ ـ ٣١، وابن رَشِيق: العُمدة ٢: ٣١٤ ـ ٣١٥، وابن كثير: البداية والنهاية: ٢: ١٩٩.

(٢) التبريزي: الكافي في العروض والقوافي ٨٣.

(٣) إبن رَشيق: العُمدة: ٢: ٣١٣.

الطويل، فهذا أمرٌ، إن صحَّ، يشير إلى قِدَم هذا البحر النسبيّ، وإلى أصالته. ولا غَرْوَ في ذلك، فهناك أشعار للشعراء الأوائل الذين تخيَّرناهم، من البحر الطويل، عاشَ قائلوها في القرن الثالث الميلاديّ، في أغلب الظنّ، ومثالها نَقِيضتا عَمْرو بن عَدِيّ، وعَمْرو بن عَبْدِالجِنّ التَّنوخي.

ويهمّنا مِمّا سبق أن ننتهي إلى القول: إنّ بين نشأة الأوزان، والغناء العربيّ، علاقة أكيدة وقديمة أشرنا إليها آنفًا وسنفصّل القول فيها هنا، لِمَا لها من أهمّيَّة في هذا الباب. وقد لاحظ (كارل بروكلمان) تِلْكَ العلاقة فقال: «أمّا الأوزان العروضيَّة فلا ريبَ أنّ بناءها تَمَّ بتأثير فنٍّ غنائيّ، وإن كان بدائيًّا. ويتَّضح مظهر ذلك الفنّ على الخصوص في الحداء بالركبانيّة»[1].

و«الركبانيّة» لونٌ من ألوان النصب. والنصب، اصطلاحًا، هو غناء العرب. وفي علاقة «الركبان» بالشعر العربيّ يقول أبو عُبَيْدة (٢٠٩ هـ ـ ٨٢٤ م): «قال جعفر: إذا قال أحدهم الشعر بالركبانيّة أكفأ. والركبانيّة أن يتغنّى به، ويقطع كما يقطع العروض»[2]. ومعنى قوله «أكفأ»: خَالَفَ، أي لم يُقِم القافية، وبعبارة أخرى أفسد الشعر[3].

ويبدو أنّ «الركباني» كان أدنَى رتبةً، وأقلّ جودةً في غناء الأعراب من غيره، وخاصّة إذا قِيْسَ «بالنصب» الذي يقول فيه مؤلّف اللسان إنّه: «ضَربٌ من أغاني العرب شبيهٌ بالحداء ـ وقيل هو الذي أُحْكِمُ مِنَ النشيد وأُقِيمَ وزنه»[4].

ولعلَّ «الإكفاء» أو «المُخالَفة» أو «فَساد القافية» الذي يقع في «الركبانيَّة» يشير إلى مرحلة من مراحل تطوّر الشعر العربيّ، كانت المُخالَفة فيها تقع بين حروف الرويّ، فقد قال الأخفش (٢١٥ هـ ـ ٨٣٠ م) مخالفًا الخليلَ: «وسألْتُ العربَ الفصحاءَ عن الإكْفاء فإذا هُمْ يجعلونه الفسادَ في آخر الشعر، والاختلاف ـ من غير أن يحدّوا في ذلك شيئًا ـ إلاَّ أنّني رأيْتُ بعضَهم يجعله اختلافَ الحروف، وأنشدتُهُ:

---

(١) كارل بروكلمان: **تاريخ الأدب العربيّ**: ١: ٥١ ـ ٥٢.

(٢) أبو عُبَيدة: **النقائض**: ١: ٥٦.

(٣) الأخفش: **القوافي**: ٤٣، ٥١.

(٤) إبن منظور المصري: **اللسان**، والمرتضى الزبيدي: **التاج**: (نصب).

كَـــأنَّ فَـــا قـــارورةٍ لَـــمْ تُـــعْـــفَـــصِ
مِـنْـهـا حَـجَـاْجَـا مُـقْـلَـةٍ لَـمْ تُـلْـخَـصِ
كَـــأنَّ صِـــيـــرانَ المَهَـــا المُنَـــقَّـــزِ

فقال هذا إكْفاء. وأنشده آخرُ قوافيَ على حروفٍ مختلفة، فعَابَهُ، ولا أعلمه إلاَّ قال: قد أكفأت»[1] ويمضي الأخفش فيسوق أمثلة كثيرة على الإكفاء في الشعر القديم، وقع فيها تَوالِي الميم والنون في رويّ الأبيات، وكذلك الباء والميم، والميم والراء، والعين والغين، والنون واللاّم[2].

وإذا كان الأخفش قد رأى في تلك النماذج الشعريَّة ذات الرويّ المختلف غَلَطًا[3]، فإنّنا نرى فيها نحن مُؤشِّرًا إلى مرحلةٍ من المراحل كان فيها الشعر، أو بعضه، مُتَلَبِّسًا بهذا الغَلَط الذي لم يحتشم عربيّ فصيح من إنشاده ـ كما يقول الأخفش ذاته.

وأمّا النوع الآخر من الغناء العربيّ الذي جعله ابن رَشيق ثلاثة أنواع، فهو السناد. وبين السناد، وأحد عيوب الشعر، علاقةٌ واضحة، فالأخفش يقول: «وأمّا ما سمعتُ من العرب من السناد، فإنّهم يجعلونه كلَّ فساد في آخر الشعر، ولا يحدّون في ذلك شيئًا، وهو عيب عندهم»[4]. ونقرأ في **لسان العرب** أمثلة كثيرة على السناد منها مثلاً ما رواه أبو عُبَيْدة لعَبِيْد بن الأبرص من قوله:

فَـقَـدْ أَلِـجُ الخِبـاءَ عـلـى جَـوارٍ　　　كَـأَنَّ عـيـونَـهُـنَّ عُـيـونُ عِـيْـنِ

ثمَّ:

فـإنْ يَـكُ فـاتَـنـي أَسَـفًـا شَـبـابِـي　　　وأَضْـحَـى الرأْسُ منّـي كاللُّـجَـيْـنِ[5]

فالسناد هنا هو اختلاف الأرداف، إذ قال: «عِيْنِ وجَيْنِ». وأضاف صاحب اللسان: «ورُوي عن ابن سلاَّم أنّه قال: السناد في القوافي مثل شَيْب وشِيب[6]. «وقال ابنُ جِنّي: بالجملة إنَّ اختلافَ الكسرة والفتحة قبل الردف عَيْب...»[7]. ولربّما لمثل

---

(1) الأخفش: **القوافي** ص ٤٣ .

(2) الأخفش م.ن ٤٣ ـ ٥٣، وقارِن بابن قُتيبة: **الشعر والشعراء** ١: ٩٧ حيث يسمّي الخليل هذا العيب بـ (الإجازة).

(3) أنظر الهمداني: **الإكليل** ٢: ٤٩ ـ ٥٠ حيث يذكر نماذج أخرى من أوّليّات الشعر وينبّه على الاختلاف الذي وقع فيها.

(4) الأخفش: **القوافي**: ٥٥ .

(5) و(٦) و(٧) ـ إبن منظور المصري: **اللسان**: (سند).

هذا السبب امتُدِحَ امرؤ القيس الكندي بأنّه: «أوّل مَن أحْكَمَ القوافي»[1].

أمّا الهَزَجُ، وهو النوع الثالث من الغناء العربيّ، فاسمه يدلُّ دلالة واضحة على علاقته ببحور الشعر وأوزانه، حتّى إنّه أُطلِقَ على أحد بحور الشعر (الهَزَج)، فبعد أن كان مُصطلحًا غنائيًّا صار مصطلحًا عروضيًّا.

أمّا أصل (الهَزَج) اللغويّ فهو: «صوتٌ مطْرِب. وكلُّ كلامٍ مُتداركٌ متقارب في خفّة، هَزَج، وبه سُمّي. وقيل سمّي هَزَجًا تشبيهًا بهَزَج الصوت. قاله الخليل. وقيل لطِيْبه لأنّ الهَزَج من الأغاني»[2].

وهكذا نرى ممّا تقدّم أنّ ثمّة علاقة وثيقة بين نشأة الشعر العربيّ والغناء العربيّ. ولكنّ السؤال المهمّ يبقى: هل نشأ الشعر العربيّ بفعل هذه الأجناس من الغناء، أم أنّه وُجِد قبلها؟ يقول ابن خلدون (٨٠٨ هـ ـ ١٤٠٥ م). «وأمّا العرب فكان لهم أوّلاً فنُّ الشعر.. ثمّ تَغَنّى الحُداةُ منهم في حداء الإبل والفتيان في فضاء خلواتهم، فرجّعوا الأصوات وترنّموا، وكانوا يسمّون الترنّم إذا كان بالشعر غناء»[3]. وربّما يُفهَم من هذا أنّ ابنَ خلدون يرى أنّ الشعرَ وُجِد أوّلاً، ثمّ غُنّي به. ولعلّ الرأي الأرجح هو أنّ الغناء والشعر قد هَبَطا معًا في البداية[4]، ولم يكن في الغالب هناك فَصلٌ بين المغنّي والشاعر. وربّما لمثل هذا نشأ مصطلح «إنشاد الشعر» الذي يدلّ على خلقه وقرضه وإنشاده في الوقت نفسه. وقد ألمعنا في ما مضى من هذا الفصل إلى أنّ غناء الأسرى العرب لسادتهم الآشوريّين يمكن أن يكون حلقة من حلقات النماذج الأولى للشعر العربيّ، وبعبارة أدقّ بذرةً من بذور الشعر المُغرق في القِدَم...

ومهما يكن من أمر، فإنّ علاقة الشعر بالغناء قديمة قِدَمَ التعبُّد والتديّن، وقِدَم الصلوات التي كان الإنسان العربيّ القديم يتلوها في هياكل آلهته المقدّسة بإيقاع خاصّ، وهذا يقودنا إلى الحديث عن النظرة (الميثولوجية) الدينيّة التي أشرنا إليها في مطلع هذا البحث. وهي نظرة ترى في الشعر نسكًا وثنيًّا، بل تراه لونًا من ألوان الأناشيد التي

---

(١) أبو عبدالله الشبلي: محاسن الوسائل إلى معرفة الأوائل (مخطوط) ق ٨٤/أ.

(٢) الزبيدي: التاج ـ (هزج).

(٣) إبن خلدون: المقدّمة: ٣: ٩٦٩ .

(٤) أنظر شكري عيّاد: موسيقى الشعر ٥٧ .

يرفعها العابد إلى معبوده. فالفنّ ـ عند أنصار هذه الرؤية ـ كان يواكب الدين والسحر، ويلازمهما... والحقّ أنّه في مقدور الباحث أن يلحظ، دون كبير عناء، علاقة واضحة بين نشأة الشعر العربيّ، والسحر والدين وطقوس العبادة، ممّا يؤيّد القول: إنّ الشعر العربيّ كان، في بعض نماذجه، على الأقلّ، حلقة متّصلة بما سبقها من تُراث الأمّة العربيّة منذ عهد (إسماعيل بن إبراهيم) عليه السلام، هذا الذي كان ـ كما يرى (البهبيتي) ـ ينظم صلواته وأدعيته لمعبوده شعرًا، بالمعنى الواسع لهذه الكلمة. وهو شعرٌ لم تزل أشكالٌ فنّيّة من الكلام العربيّ الموروث تشير إليه، وتوحي بأنّها قريبةُ الشبه به، أو تحمل قسماتٍ من قسماته، أو ملامح من ملامحه.

ومن الأدلّة على ذلك ما توحيه الأخبار التالية من جوٍّ قدسيّ، ومُناخٍ سحريّ كانا يكتنفان الشعر الجاهليّ من جهة، ومواقف الشاعر، وأثر شعره في منشدِيْهِ وسامِعِيْه، من جهة أخرى، فقد روى ابنُ طَيْفُور (٢٨٠ هـ ـ ٨٩٣ م) أنّ الناس يرون أنّ القصائد السبعَ التي سبَّعها عبدُ الملك بن مروان كان يُصَلّى بها في الجاهليّة[1].

ومن المعروف أيضًا أنّ (عُكاظًا)، وهو سوقٌ يتناشد فيها الشعراء أشعارهم قبل الإسلام، كان مكانًا مقدَّسًا، وفيه يقول ياقوت الحمويّ (٦٢٦ هـ ـ ١٢٢٩ م): «وكانت هناك صخور يطوفون بها ويحجُّون إليها»[2]. وقد رأى المستشرق اليوغوسلافي (راوي بوجوفتش) أنّ عكاظًا والمربد والأسواق الأخرى أماكن للطقوس[3].

وقد ساق الزبيدي، بسنده، هذا الخبر عن قصيدة المتلمّس الميْمِيّة، وهي الأصْمَعِيّة (٩٢): «قال أبو عمرو بن العلاء كانت العرب إذا أرادت أن تنشد قصيدةَ المتلمّس توضّؤوا لها:

تُعَيِّرني أُمِّي رِجالٌ ولَنْ تَرَى ... أَخَا كَرَمٍ، إلاَّ بأَنْ يَتَكَرَّما»[4]

والوضوء منذ الجاهليّة البعيدة كان طقسًا من طقوس العبادة. وهو شعار دينيّ قديم بلا خلاف.. وللصلة الوثيقة بين الشعر العالي الرفيع، والأناشيد الدينيّة، توضّأ العرب لقصيدة المتلمّس.

---

(١) إبن طيفور: المنثور والمنظوم ٣٩.

(٢) ياقوت الحموي، معجم البلدان ـ مادة (عكاظ).

(٣) بوجوفتش: بحث عن ذاتيّة الشاعر الجاهليّ، دراسة في مجلّة التراث العربيّ ـ العدد ٢٠ ص ٢٢٢.

(٤) الزبيدي: طبقات النحويّين واللغويّين ٣٩.

وهم لم يَتَوضَّؤوا للشعر العظيم فحسب، بل سَجَدُوا أيضًا. وسَجدة الفرزدق لبيتٍ من معلَّقة لَبِيْد بن رَبِيْعة العامريّ معروفة، فقد رَوَى الراغب الأصفهانيّ (٥٠٢ هـ ــ ١١٠٨) ما يلي: «مرَّ الفرزدق بمؤدِّبٍ كان ينشد عليه صَبِيٌّ قول الشاعر:

وَجَـلاَ السُّيُوْلَ عَـنِ الطلولِ كـأنَّـهـا زُبُــرٌ تُـجِــدُّ مُـتُـوْنَـهـا أقـلامُـهـا

فنزلَ وسَجَدَ، فقال المعلِّم: ما هذا؟ فقال: هذه سَجْدةُ الشعر نعرفها كما تعرفون سَجدةَ القرآن»[1].

وفي أمالي المرتضى خَبَرٌ يفيد أنّ الشاعر كان يتخيَّل نفسه ساحرًا، يفعل شعرُهُ فِعلَ السحر في خصمه، لذا فهو، لكي يعمِّق هذا التأثير في الخصم والسامعين، كان يقلِّد الساحر في لباسه، ويتَّخذ لنفسه هيئةً كهيئته. وهذا ما فعله لَبِيْد بن ربيعة في حضرة النعمان بن المنذر، وكان يهجو الربيع بن زياد العبسيّ، يقول الخبرُ، فقام لَبِيْد وقد دَهَن أحد شقَّيْ رأسه، وأرْخى إزارَهُ، وانتعل نَعلاً واحدة، وكذلك كانت الشعراء تفعل في الجاهليَّة إذا أرادت الهجاء، فمَثل بين يدَيه، ثمَّ قال:

يـا رُبَّ هَـيْـجا، هِـيَ خَـيْـرٌ مِـنْ دَعَـةْ إذْ لا تَـزالُ هـامَـتِـي مُـقَـزَّعَـةْ

نَـحْـنُ بَـنِـي أُمِّ الـبنين الأرْبَـعَـةْ ونَـحْـنُ خَـيْـرُ عامرِ بنِ صَـعْـصَـعَـةْ

المُطْـعِـمـونَ الجَفْـنَـةَ المُدَعْـدَعَـةْ والضارِبُونَ الْهامَ تَحْتَ الخَيْضَعَةْ»[2]

وإذا كانت هذه الأخبار تشير إلى إطار دِينيّ قُدْسيّ، وطقوس سحريَّة وأسطوريَّة تحيط بأجواء الشعر العربيّ القديم وآفاقه، فإنّ لدينا نماذجَ معيّنة، تكاد تظهر قُرْبَ بدايات الشعر العربيّ من الترانيم الدينيَّة، وربّما تؤيِّد فكرة نشوء بعض نماذج الشعر القديمة في أحضان الدين، وفي رحاب مُقدَّساته، وإيحاءات طقوسه وشعائره. وهذه النصوص هي التلْبيات الجاهليَّة التي كانت، في القرون الخوالي الجاهليَّات، تعابير فنّيَّة موقَّعة مُغنَّاة.

---

(١) الراغب الأصفهاني: «محاضرات الأدباء ١: ٨١، وابن حجر: الإصابة ٣: ٣٢٧ (ط بولاق)، وشرح ديوان لبيد ــ ط ٢، ص ٢٩٩. وانظر خبرًا في كتاب محمّد بن إسحق: البسوس ص ٨٦ يقول إنّ العرب [illegible] يختسنون عندما يريدون إنشاد قصيدةٍ لِمُهَلْهِل على القاف، أوَّلُها:

جـ[illegible] بَنِي بَكْـرٍ ولَمْ يَـعْـدِلُـوا والمَرْءُ قَـدْ يَـعْـرِفُ قَـدْرَ الـطَّـرِيْـقِ

وقصيدة [illegible] هذه من (المنتقيات) في كتاب جمهرة أشعار العرب، للقُرَشِي ج ٢ ص ٥٨٥. وهي في [illegible] بيتًا وقد سُمِّيت بالداهِيَة.

(٢) [illegible] أمالي المُرْتَضى ١: ١٩١.

وهي صلوات كان العرب يصلّونها في قدس أقداسهم (الكعبة الشريفة)، منذ زمن سحيق لا نستطيع تحديده.

وممّا يؤكّد أنّ التلبيات كانت قريبة الشبه بالشعر العربيّ القديم أمران، أوّلهما: أنّها كانت تُنشد أو تُغنّى في الجاهليّة القديمة. وثانيهما: أنّها وصلت إلينا في نوعَين: نوع يمثّل شعرًا موزونًا، ونوع يمثّل سجعًا ليس له وزن مستقرّ، فكأنّها الجسر الذي تكفّل بالوصل بين السجع من جهة، والرجز والقريض[1]، من جهة أخرى. وقد وقف عند هذه التلبيات أبو العلاء المعرّي (٤٤٩ هـ ــ ١٠٥٧ م) وقفةً طويلةً نسبيًّا، فقال فيها:

«إنّها جاءت على ثلاثة أنواع: مسجوع لا وزن له، ومنهوك، ومشطور، فالمسجوع كقولهم:

لَـبَّـيْـكَ رَبَّـنـا لـبَّـيْـكْ والخَيْـرُ كُـلُّـهْ بـيـدَيْـكْ

والمنهوك على نوعَين، أحدهما من الرجز، والآخر من المُنْسَرِح، فالذي من الرجز كقولهم:

لَـبَّـيْـكْ إنَّ الحَمْـدَ لَـكْ والمُلْـكَ لا شَـرِيـكَ لَـكْ
إلاّ شـريـكٌ هُـوَ لَـكْ تَـمْـلُـكُـه، ومـا مَـلَـكْ
أبُوَ بَناتٍ بِفَدَكْ

فهذه من تلبيات الجاهليّة، و«فَدَك» يومئذٍ فيها أصنام.

والذي من المنسرح جِنْسان، أحدهما في آخره ساكنان، كقولهم:

لَـبَّـيْـكَ رَبُّ هَـمْـدانْ مِـنْ شـاحِـطٍ ومِـنْ دانْ
جِـئْـناكَ نَـبْـغي الإحْـسانْ بِـكُـلِّ حَـرْفٍ مِـذْعـانْ
نَـطْـوِي إليـكَ الـغِـيْـطـانْ نـأمُـلُ فَـضْـلَ الْـغُـفْـرانْ

والآخر لا يجتمع فيه ساكنان، كقولهم:

لَـبَّـيْـكَ عَـنْ بَـجِـيْـلَـهْ الـفَـخْـمـةِ الـرَّجِـيْـلَـهْ
وَنِـعْـمَـتِ الـقَـبِـيْـلَـهْ جـاءَتْـكَ بـالْـوَسِـيْـلَـهْ
تُؤَمِّلُ الفضِيْلَهْ...

---

(١) القريض: مُصطلح يقابل الرَّجز، وإن كان كلاهما شعرًا «قال النحّاس: القريض عند أهل اللغة والعربيّة الشعر الذي ليس بِرَجَز» ــ البغدادي: حاشية على شرح بانت سعاد ص ٤٩. وسنجري في استخدام (القَريْض) وفق هذا المفهوم في الصفحات القادمة.

والمشطور جِنْسان، أحدهما عند الخليل من الرجَز، كما يُرْوى في تلبية (تَمِيْم):

لَبَّيْكَ لولا أنْ بكْرًا دُوْنَكا يَشْكُرك النَّاسُ ويَكْفُرُوْنَكا
ما زالَ مِنّا عَثَجٌ يأْتُوْنكا[1]

والآخر من السريع، وهو نوعان: أحدهما يلتقي فيه ساكنان، كما يروون في تلبية هَمْدان:

لبَّيْكَ مع كلِّ قَبِيلٍ لَبُّوكْ هَمْدانُ أبناءُ الملوكِ تَدْعُوْكْ
قَدْ تَرَكُوا أصنامهُم وانْتَابُوْكْ فاسْمَعْ دُعاءً في جميعِ الأُمْلُوكْ[2]

... والمَشْطُور الذي لا يلتقي فيه ساكنان، كقولهم:

لبَّيْكَ عَنْ سَعْدٍ وعَنْ بَنِيْها وعن نساءٍ خَلْفَها تَعْنيها
سارَتْ إلى الرَّحمةِ تَجْتَنِيْها

والموزون من التلبية يجب أن يكون كلّه من الرجز عند العرب، ولم تأتِ التلبية بالقصيد، ولعلّهم قد لبّوا به، ولم تنقلْهُ الرواة»[3].

ولا شكَّ في أنّ هذه التلبيات كانت تُنْشَد إنشادًا، والشعر الجاهليّ برمّته كان ينشد إنشادًا. وما مصطلح «الإنشاد»، في نظرنا، إلاَّ مؤشّر آخر على أنّ الشعر الجاهليّ الفصيح أو بعضه، قد مرَّ في مرحلة من المراحل تطوَّرت فيها بعض الأناشيد الدينيَّة في المعابد والهياكل إلى شيءٍ يشبه هذا الشعر الذي نتدارسه اليوم، ولكنّه ليس هو تمامًا... وبعبارةٍ أخرى، ربّما أُحْتُذِيَتْ هذه الأناشيد الدينيَّة في أقوال فنِّيَّة أخرى لم يكن غرضها العبادة فحسب. ولعلَّ هذه الفكرة هي التي دفعت الدكتور (عادل البيّاتي) إلى القول: «فإنّ أقوى النظريَّات، وأكثرها قبولاً ورواجًا هي تلك التي تعزو الأَوَّليَّة الشعريَّة إلى وظيفة دينيَّة، حيث كان الشعر مَحْضَ ترديدات وترانيم دينيَّة بدائيَّة يُقْصَد بها السحر

---

(١) العَثَج: الجماعة من الناس في السفر.

(٢) الأُملُوك: اسم جَمْع، بمعنى الملوك، وقال ابن دُرَيْد: الأمْلوك قوم من العرب. زاد غيره من حِمْيَر، ولعلّ هذا أقوى في المعنى، إذ المُلبّون (هَمْدان) وهم حِمْيَريّون. حا/ص ٥٣٧ من رسالة الغفران.

(٣) المعرّي، رسالة الغفران، (ط ٦) ص ٥٣٤ ـ ٥٣٧، وانظر أيضًا قُطْرُبًا: الأزمنة وتلبية الجاهليَّة ص ١١٦ ـ ١٢٦، فقد بلغت تَلْبِيةُ جُرْهُم أَحَدَ عَشَر بيتًا من الشعر، وتلبية بني أسد تسعة أبيات. وبهذا يكون توقُّع أبي العلاء بخصوص التلبية بالقصيد صحيحًا، إذا حسبنا أنّ القصيدة هي كلّ ما زاد على سَبعة أبيات.

وتخاطب المجهول الذي شغل النفس الإنسانيّة، وامتلك مشاعرها، فكان توجُّهه إليها غامضًا مَشوبًا بالرهبة، ثمّ تحوّل إلى شعورٍ مليءٍ بالتقديس، فتحوّل الشعر إلى أناشيد دينيّة في المعابد والهياكل وبيوت الآلهة. ثمّ إلى ملاحم وتمثيليّات تُنْشَد في المناسبات الاحتفاليّة والمواسم التي تتّصل بعباداتهم، وأعمالهم، وأسواقهم، وزرعهم، وحصادهم وزواجهم، ووفاتهم، وبقيّة أنشطتهم الإنسانيّة»[1].

بيد أنّ ما تقدّم لا يعني أنّ أصلَ الشعرَ العربيّ هو أناشيد دينيّة بحتة، فأناشيد العمل، والحرب، والفرح، والحزن... إلخ كانت أيضًا تشكّل جزءًا من تراث كبير جدًّا، وموروث شعبيّ عظيم جدًّا وقع ـ في نظرنا ـ اصطِفاءٌ أفضله، وأكثره وقعًا في النفوس، وقدرةً على الحياة، ثمّ تطوّر هذا، خلال زمن مديد، إلى الأوزان الشعريّة المعروفة.

لقد لاحَظْنا أنّ أوزان التلبيات الجاهليّة، التي رأينا أمثلةً لها في رسالة الغفران، قد حَوَتْ سَجْعًا، لا وزنَ له، وشعْرًا فيه الرجزُ وفيه القريض.

ووصولُ مثل هذا الشكل الفنّيّ من الكلام، ربّما يوحي بمرحلة من مراحل تطوّر الشعر العربيّ التقى فيها السجعُ والرجَز. ولعلَّ هذه المرحلة التي تمثّلها التلبياتُ سُبِقت بمرحلة قبلها كان السجع عنوانَها، ثمّ تُلِيَتْ بمرحلة ثالثة كان القصيدُ عنوانَها. وهي المرحلة التي كاد المُصنّفون والعلماء يُجْمِعون على أنّها بدأت بمُهَلْهِلٍ، وامرئ القيس وغيرهما، أو بدأت بمَن هو أقدم منهما قليلاً، كما سنرى.

وفيما يتّصل بأوّليّة السجع يقول (كارل بروكلمان): «ينبغي أن يكون أقدم القوالب الفنّيّة العربيّة هو السجع، أي النثر الفنّيّ المُقَفّى المُجرّد من الوزن الدقيق. ويبدو أنّ النقوش اليمنيّة تدلُّ على اتّجاهات إلى استعمال القافية. وليس لدى الأحباش من قوالب اللغة الفنّيّة سوى التقفية، أي استعمال السجع. ولا يقتصر ذلك على الأغاني الكنسيّة بلغة الجعز، بل هو الشأن أيضًا في الأغاني الشعبيّة بالأمهريّة القديمة، وفي أشعار القبائل التكريّة والتكرانيّة في هذا العصر. والسجع هو القالب الذي كان يصوغ العرّافون والكهنة فيه كلامَهم وأقوالهم كما جاء في القرآن. واستعمل الحَكَمُ الحضريّ قالب

(١) أنظر مقال د. عادل البياتي: مدخل إلى البدايات الشعريّة عند العرب، في مجلّة كلّيّة الآداب ـ جامعة بغداد ـ العدد ٢٥ ص ٦٢٧. وبخصوص العلاقة بين الكاهن والشاعر في الجاهليّة، أنظر البهبيتي: المعلّقة العربيّة الأولى ص ٧٨ ـ ٧٩.

السجع البدائيّ في الهجاء حتّى على عهد بني أميّة». ويتابع (بروكلمان) حديثه عن المرحلة الثانية، فيقول: «وتَرَقّى السجع إلى بَحْرِ الرَّجَز»[1].

واقتفى (فؤاد سزكين) إثرَ (بروكلمان) في هذا الصدد، فقال: «بل إنّ أقدم أشكال الهجاء كان سَجعًا. وقد نشأ ذلك السجع من الإيقاع بشكل بسيط غير متطوّر، ثمّ نشأ عنه، في مرحلة متقدّمة، وزنُ الرَّجَز بقوافيه المشتركة بين شطرين. ولم يكن أصل الهجاء ذي السجع الموزون في أقدم العصور مجرّد قَدْح وسَباب». ويضيف (سزكين): «وبتكوّن الرجز فَقَدَ السجعُ شيئًا فشيئًا مكانتَه بوصفه وسيلةً للهجاء، ومن الناحية الأخرى فقد استُخدِم السجع في الشعر القديم للنياحة على الموتى، وفي مرحلة تالية من التطوّر يبدو أنّ المرثيّة قد حلّت محلّ شعر النياحة الأقدم، ونظم ذلك بوزن الهزج، وهو ضربٌ من الرجز، ثمّ يقول: وفي وقت لا نعرفه، ولكنّه على أيّةِ حال، قبل سنة ٥٠٠ م، تكوّن للشعر العربيّ أهمُّ أشكاله الفنّيّة، وهو شكل القصيدة»[2].

وممّا يدلُّ على قُرب الرجَز من السجع، ما نقرؤه في **اللسان** عن اختلاف القدماء في تصنيف الرجز وتحديده، فمنهم مَن عدّهُ شعرًا، ومنهم مَن لم يرَ ذلك. قال ابن منظور في الرجز: «وقد اختلف فيه، فزعم قومٌ أنّه ليس بشعر، وأنّ مجازه مجاز السجع»[3]. وكذلك نقل الأزهريّ (٣٧٠ هـ ــ ٩٨٠ م) في **التهذيب**: «وزَعم الخليلُ أنّ الرجز ليس بشعر. وإنّما هو أنصاف أبيات أو أثلاث...» وقال أيضًا: «قال الخليل: الرجز المشطور والمنهوك، ليسا من الشعر كقوله: أنا النبيُّ لا كَذب. والمشطور الأنصاف المسجعة»[4]. ونقرأ في **اللسان** أيضًا: «والرجز ليس بشعر عند أكثرهم»[5].

ونجد الرجز يُطلَق على المشطور من بعض البحور الشعريّة المعروفة، وعلى المنهوك منها. فابنُ رشيق (٤٦٣ هـ ــ ١٠٧٠ م) يقول: «وقد خصّ الناس باسم الرجز المشطور والمنهوك وما جرى مجراهما، وباسم القصيد ما طالت أبياته»[6]. ثمّ يضيف: «المقصَّد ما

---

(١) بروكلمان: **تاريخ الأدب العربيّ** ١: ٥١، وعوني عبد الرؤوف: **بدايات الشعر العربيّ بين الكمّ والكيف** ٥٨.

(٢) سزكين: **تاريخ التراث العربيّ**: مج ٢ (١: ١٤ ـ ١٥).

(٣) إبن منظور: **اللسان** (رجز).

(٤) الأزهري: **تهذيب اللغة** ١٠: ٦١، وانظر القالي: **البارع** ٦٥٨ ـ ٦٥٩.

(٥) إبن منظور: **اللسان** (رجز).

(٦) إبن رشيق: **العمدة** ١: ١٨٢. والبغدادي: **حاشية على شرح بانت سعاد** ٤٦ ـ ٤٧.

ليس برجز، وهم يسمّونه رجزًا لتصريع جميع أبياته، وذلك هو مشطور السريع، نحو قول الشاعر أنشدناهُ أبو عبدا لله محمّد بن جعفر النحويّ:

هلْ تعرفُ الدَّارُ بأغْلَى ذِي القُوَرْ غيَّرها نَأْجُ الرِّياحِ والمُوَرْ

وأنشد أبو عبدالله لابن المُعْتَزّ:

ومُقْلةٍ قَدْ باتَ يَبْكِيها فَيْضُ نَجِيعٍ مِنْ مآقِيها

... وهذا عند الجوهريّ من البسيط، والذي أنشده أبو عبدالله، على قول الجوهريّ من الرجز»[1].

ونخلص ممّا تقدَّم إلى أنّ الرجز شعرٌ، ولكنّه، في بعض معانيه، شعرٌ من نوع خاصّ، يُطلَق على الأبيات المشطورة أو المنهوكة. ولعلّ إطلاق مصطلح (الرجز) على الأبيات المشطورة والمنهوكة يشير إلى مرحلة كان فيها الشعر دون القصيدة، وكان الرجز فيها مصطلحًا خاصًّا ليس هو القريض، دون رَيب. وفي هذا المعنى يقول ابن رَشيق: «وزعم الرواة أنّ الشعر كلّه إنّما كان رجزًا وقطعًا، وأنّه إنّما قُصِّد على عهد هاشم ابنِ عَبْد مَناف...»[2] وكذلك ميَّز البغداديّ (١٠٩٣ هـ ـ ١٦٨٢ م) بين مُصطلحَي القصيد والرجز، فقال: «واعلم أنّ الشعر يُطلَق على أبيات كلٍّ من القصيد والرجز. والقريض يخصّ بما قابل الرجز. قال النحّاس: القريض عند أهل اللغة والعربيّة، الشعر الذي ليس برجز»[3].

ويبدو أنّ العرب في الجاهليّة كانوا يُفرّقون بين مُصطلحات ثلاثة هي: الرجز، والهزج، والقريض، ففي **اللسان**: «وفي حديث الوليد بن المُغِيْرة حينَ قالتْ قُرَيْش للنبيّ ﷺ إنّه شاعر، فقال: لقد عرفْتُ الشِّعْرَ، ورَجَزَه، وهَزَجَهُ، وقَرِيْضَه فما هُوَ بِهِ»[4].

وكذلك فرَّق (الأغْلَبُ العِجْلي)، وهو راجِزٌ مُخَضْرَم (١٩ هـ ـ ٦٤٠ م) بين الرجز والقصيد، فقال:

أَرَجَزًا تُرِيدُ أمْ قَرِيْضا كِلَيْهما أَجِدُ مُسْتَرِيْضا[5]

---

(١) م. ن ١: ١٨٣: والبغدادي: م. س ٤٧ .

(٢) ابن رشيق م. ن ١: ١٨٩ .

(٣) البغدادي: م. س ٤٩، وابن رَشِيق: م. س ١: ١٨٥ .

(٤) إبن منظور: اللسان (رجز).

(٥) م. ن (قرض).

وكان الأغلب ـ كما يقول ابن قُتَيْبة (٢٧٦ هـ ـ ٨٨٩ م) ـ أوّلُ مَن شَبَّه الرجز بالقصيد وأطاله، وكان الرجز قبله إنّما يقول الرجل منه البيتَين أو الثلاثة، إذا خاصم، أو شاتم، أو فاخر وقد ذكره العجّاج، فقال:

«إنّـي أنـا الأغـلَـب أضـحـى قـد نُـشـر»[1]

وغرضنا ممّا تقدّم أن نشير إلى أنّ الرجز كان، على الأرجح، متقدِّمًا على القريض، وعلى القصيد، ولعلّه تطوَّر عن السجع، وربّما كان الوزن الشعبيّ الذي كَثُر ركوبه في العصر الجاهليّ فكأنّه كان يجري على كلّ لسان. وقد لاحظ الدكتور (شوقي ضيف) كثرة الزحّاف فيه، الأمر الذي يدلُّ على شعبيّته، وعلى إكثار سواد الناس من تناوله، لذا قال فيه: «قلّما نَجِد شعراءهم المُبَرِّزين ينظمون فيه، كأنّهم تركوه للجمهور يتعهّده ويرعاه»[2].

ومن المصطلحات التي ينبغي أن نقف عندها، في قضيّة الأوزان، (الرمل)، فهذا المصطلح يتّصل، على الأغلب، بمرحلة ما قبل استواء الشعر على ساقَيه. وقد قال فيه الأخفش (٢١٥ هـ ـ ٨٣٠ م): «وفي الشعر الرمل. وهو عند العرب عيبٌ. وهو ممّا يسمّي العرب، وهو كلُّ شعرٍ مهزول، ليس بمؤلَّف البناء، ولا يحدّون في ذلك شيئًا، وهو نحو قول عَبِيْد:

أَقْـفَـرَ مِـنْ أَهْـلِـهِ مَـلْـحُـوْبُ   فـالْـقُـطَّـبِـيَّـاتُ فـالـذَّنُـوْبُ

ونحو قول ابن الزبعرى:

أَلاَ للهِ قَــــوْمٌ وَ   لَـدَتْ أُخْـتُ بَـنِـي سَـهْـمِ

هِـشَـامٌ وأَبُـوْ عَـبْـدِ   مُـنَـافٍ مِـدْرَهُ الخَصْـمِ

وعامّة المجزوء يجعلونه رَمَلاً»[3].

---

(١) إبن قتيبة: الشعر والشعراء ٦١٣.

(٢) شوقي ضيف: العصر الإسلامي ٣٩٥. ويقول الدكتور علي العُتُوم في سيطرة الرجز على غيره من البحور، وفي كونه أصلاً لغيره من البحور الشعريّة: «وأكاد أزعم أنّ الأبْحُر الأخرى في العروض هي جميعًا مُنقلبة عن هذا البحر، ولعلّ المقارنة بين تفعيلاتها وتفعيلاته توضِّح هذا الزعم» ـ قضايا الشعر الجاهليّ ص ٤٣.

(٣) الأخفش: القوافي ص ٦٧ ـ ٦٨. وقد قال ابن كناسة في قصيدة عَبِيْد البائيّة: «ولم أرَ أحدًا ينشد هذه القصيدة على إقامة العروض» وذكر هذا الدكتور فَخْر الدين قَباوة في شرح القصائد العشر ص ٤٦٨/حاه. ووزن القصيدة المذكورة عند العروضيّين المتأخّرين من مُخَلّع البسيط. وانظر التبريزي: الكافي في العروض والقوافي ص ٤٣، والزبيدي: التاج (رمل).

و(الرمل) ـ وفق ما جاء عند الأخفش ـ مصطلح يخصّ به الشعر الذي لم يَستكمِل شَرطَي الاكتمال والاستواء، فهو إذًا لون من ألوان الشعر مختلف. وآية ذلك هذا القول الثمين للأخفش: «سمعتُ كثيرًا من العرب يقول: جميع الشعر قصيدٌ، ورَملٌ، ورجَز. أمّا القصيد: فالطويل، والبسيط التامّ، والكامل التامّ والمديد التامّ، والوافر التامّ، والرجز التامّ. وهو ما تغنّى به الركبان، ولم نسمعهم يتغنّون إلاّ بهذه الأبنية. وقد زعم بعضهم أنّه يتغنّون بالخفيف. والرملُ كلّ ما كان غير هذا من الشعر، وغير الرجز، فهو رَمَل»[1]. زِد على ذلك أنّ معنى كلمة الرمل اللغويّ، وهو الاضطراب ونقصان الأصل، يدلُّ على قِدَم هذا البحر. وقد ذهب (ابن جنّي) (٣٩٢ هـ ـ ١٠٠١ م) إلى أنّ هذا المعنى للرمل هو الأساس، ذلك أنّ العروضيّين لم ينقلوه عن موضعه لا نَقْلَ العلَم ولا نَقل التشبيه، كما هي الحال في بعض مصطلحات العروض الأخرى[2].

ومهما يكن من أمر، فليس في طوقنا أن نعرف المدى الذي استمرّت فيه رحلة الشعر العربيّ ما بين السجع، والرجز، أو الرمل، من جهة، والقريض أو القصيد، من جهة أخرى. وهي أشكال قد لا تكون متعاقبة تعاقُبًا حادًّا. وليس في وسعنا أن نعرف المدّة التي قضاها العرب في تطوير إبداعهم ليصل إلى مرحلة القريض، أو القصيد. فتقديرٌ مُحكَمٌ لعُمر الشعر العربيّ وأطواره، قبل ظهور القصيدة، أمرٌ ليس في إمكان الباحثين، فيما أقدِّر... ولكنّ التأمُّل في القصيدة الجاهليّة التي استوت على أيدي شعراء جاهليّين قُدامَى، أمثال أبي قِلابة الهُذَلي، وعَمْرو بن قَمِيئة البكري، وزُهَيْر بن جَناب الكَلْبِي، وامرئ القيس الكندي، وغيرهم، يُوحي بأنّها ابنة تطوّر طويل، وزمن مديد.

٣ ـ عمر الشعر الجاهليّ المعروف اليوم

نستطيع القول: إنّ عمر الشعر الجاهليّ هو عمر استواءِ اللغة العربيّة الفُصحَى التي نُظِمَ بها، ولهذا أشرنا بإيجاز إلى ما عسى أن يكون لحظات تطوّرها وتكامُلها. وكلّها أطوار تمّت قبل القرن الرابع الميلاديّ (قرن نقش النمارة) بكثير[3]. ولا شكّ في أنّ شِعرًا

(١) الأخفش: م.س ٦٨، والمرزباني: الموشح ص ٢٣ ـ ٢٤.

(٢) إبن منظور: اللسان، والزبيدي: م. س (رمل).

(٣) آثرنا ذكر هذا النقش هنا، لأنّ بعضهم يرى أنّ العربيّة قد دخلت التاريخ مع كتابة هذا النقش في القرن =

من جنسٍ ما، أو شكلٍ ما، وذا خصائص فنّيّة نجهل طبيعتَها الدقيقة، كان يُنْشَد بعربيّته آنئذٍ. وذلك الشعر هو الذي يمثّل الطورَ الأوّل في بناء تاريخ الشعر العربيّ الشامِخ.

أمّا عمر الشعر الذي نتدارسه اليوم ونفهمه، فهذا مُخْتَلَفٌ فيه، ذلك أنّ بين أيدينا قصائد وأشعارًا لرجالٍ وُجِدوا منذ زمن سحيق. وقد كان للقدماء والمُحدثين آراء في تقدير عمر الشعر العربيّ. وفي هذا الصدد يبرز أمامنا نصّان للجاحظ (٢٥٥ هـ ـ ٨٦٨ م) يتّصلان بهذه القضيّة، وخبر آخر أتى به ابن فارس (٣٩٢ هـ ـ ١٠٠١ م) يُستَشفّ منه ما يتّصل بعمر الشعر الجاهليّ أو بعضه، وملاحظة رابعة تتعلّق بالمسألة ذاتها تأتي في حينها.

أمّا نصّا الجاحظ فأوّلهما يقول: «وأمّا الشعر فحديث الميلاد، صغير السنّ، أوّل مَن نهج سبيلَه، وسهّل الطريق إليه امرؤ القيس بن حُجْر، ومُهَلْهِل بن رَبِيْعة. وكتب أرسطاطاليس ومعلّمه أفلاطون، ثمّ بطليموس، وديمقراطس، وفلان وفلان، قبل بدء الشعر بالدهور قبل الدهور، والأحقاب قبل الأحقاب. ويدلّ على حداثة الشعر قول أمرىء القيس:

إنّ بني عوفٍ ابْتَنَوا حَسَبًا ... ضَيَّعَهُ الدُّخْلُلُوْنَ إذْ غَدَرُوا

أدّوا إلى جارِهِمْ خَفارَتَهُمْ ... ولم يَضِعْ بالمغيبِ مَنْ نَصَرُوا

لا حِمْيَريٌّ وَفَى ولا عُدَسٌ ... ولا استُ عَيْرٍ يَحُكُّها الثَّفَرُ

لَكِنْ عُوَيْرٌ وَفَى بِذِمَّتِهِ ... لا قِصَرٌ عابَهُ ولا عَوَرُ

فانظُر كم كان عُمْرُ زُرارة، وكم كان بين موت زُرارة ومولد النبيّ عليه الصلاة والسلام، فإذا استظهرنا الشعرَ، وَجَدْنا له إلى أن جاء الله بالإسلام، خمسين ومائة عام، وإذا استظهرنا بغاية الاستظهار فمائتَي عام»[1].

= الرابع الميلاديّ ـ انظر مقال (ديترش فيشر): اللغة العربيّة في إطار اللغات الساميّة، في مجلّة حوليّة الجامعة التونسيّة ـ ١٩٨٤ ـ العدد ٢٣ ص ٥٠، ومقال عرفان شهيد:

The Composition of Arabic Poetry in the Fourth Century

في كتاب دراسات تاريخ الجزيرة العربيّة ـ الجزيرة العربيّة قبل الإسلام ـ الجزء الثاني ـ القسم الأجنبي ص ٨٧ ـ ٩٣.

(١) الجاحظ: الحيوان ١: ٧٤. وانظر الأبيات في ديوان امرئ القيس ص ١٣٢ ـ ١٣٣. وهي هناك برواية مختلفة.

هذا هو النصّ الأوّل للجاحظ. ويستدلّ فيه على حداثة عمر الشعر الجاهليّ الذي بين أيدينا بذكر امرئ القيس لموتِ زُرارة بن عُدَس. وهذا استدلال ضعيف، لأنّه يصدر عن فكرة مُسْبَقة تسلّم بأنّ امرأ القيس أوّلُ الشعراء وأقدمهم. وهذا، كما سنرى، قابل للنقاش، ونقاشُه آتٍ بعد قابل.

أمّا النصّ الثاني، فهو: «وقد قِيل: الشعرُ قبل الإسلام في مقدارٍ أطول ممّا بيننا اليوم وبين أوّل الإسلام»[1]. وبما أنّ الجاحظ قد توفّيَ سنة (٢٥٥ هـ ـ ٨٦٨ م)، فهذا يعني أنّ عمر الشعر الجاهليّ، في خبر الجاحظ الثاني، نحو مئتَي وخمسين سنة، أي أنّ ظهور الشعر يرجع إلى أواسط القرن الرابع الميلاديّ تقريبًا.

ويستخلص من خبر ابن فارس التالي ما هو قريب من تقدير الجاحظ لعمر الشعر الجاهليّ، فقد روى ابن فارس هذا الخبر: «سَمِعْتُ أبي يقول: حَجَجْتُ فلقيتُ ناسًا من (هُذَيْل)، فجارَيْتُهم ذِكْرَ شعرائهم، فما عرفوا أحدًا منهم، ولكنّي رأيتُ أمثَلَ الجماعة رجلاً فصيحًا، وأنشدني:

إذا لمْ تَـحْـظَ فـي أرْضٍ فَـدَعْـهـا   وحُـثَّ اليَـعْـمَـلاتِ على وَجَـاها»[2]

ويسوق أربعة أبيات.

فهذا الخبر يفيد أنّ الحجيج من (هُذَيْل) قد نسوا أسماء شعراء هذيل. ولعلّهم نسوا أيضًا شعرهم. وهُذَيل هي مَن هي: إنّها أشعرُ الناس حيًّا في الجاهليّة حسبما يرى حسّان بن ثابت[3]، وفيها نيّفٌ وسبعون شاعرًا ـ كما يقول ابنُ حَزْم[4]. وهذا يعني أنّ الشعر المنقول شِفاهًا يتلاشى، غالِبًا، من ذاكرة الأجيال بعد مِضِيّ ثلاثة قرون على ابتداعِهِ. وهي القرون التي مَضَتْ ما بين قَوْل هُذَيل للشعر، في الجاهليّة، وسؤال ابن فارس للحجيج منها. ومن المرجَّح أنّ السؤال قد وقع في مطلع القرن الرابع الهجريّ، وأنّه كان يَنصبّ على شعر هُذَيْل وشعرائها الجاهليّين، لأنّ الإسلامَ، أو ما بعده، قريبٌ جدًّا من زمن والد ابن فارس. وفي إبّانه بُدِئ بتدوين أشعار القبائل[5].

---

(١) الجاحظ م. ن: ١: ٢٧٧.
(٢) ياقوت الحموي: معجم الأدباء ٤: ٨٥ (ط الرفاعي). وانظر ابن فارس: الصاحبي في فقه اللغة ـ المقدّمة ص (ب، جـ).
(٣) إبن سلاّم: طبقات فحول الشعراء ١: ١٣١، وابن رَشِيق: العُمْدة ١: ٨٨.
(٤) أنظر ابن حَزْم الأندلسيّ: جَمْهرة أنساب العرب ص ١٩٨.
(٥) أنظر ناصر الدين الأسد: مصادر الشعر الجاهليّ ص ٥٥٨.

والملاحظة الرابعة مآلُها يؤيِّد ما سبق أن قِيل في عمر الشعر الجاهليّ الشفويّ ففي **كتاب تاريخ الكنيسة** المُؤلَّف بين عامَي (٤٤٣ ـ ٤٥٠ م) يذكر (سوزومينوس) أنّ العرب نظموا أشعارًا يمجِّدون بها انتصار ملكتهم (ماويّة) على الروم نحو السنة ٣٨٠م[1]. ولكن هذه الأشعار، كما هو معروف حتّى الآن، لم تُحفَظ، ولم يصل إلينا منها شيء... وذلك لأنها ـ على الأرجح ـ لم تدوَّن، أو دُوِّنت ثمّ ضاع تدوينُها. وفي الحالتَين، فإنّ الرواية الشفويَّة لها أخفقت في حَمْلِها إلى زمن التدوين الواسع، في القرن الأوّل للهجرة، وهذا يعني أنّ أشعارًا كثيرة مثلَها، قِيلت في زمانها (أواخر القرن الرابع الميلاديّ)، ولكنّها ضاعت، أو انداحت في غياهب النسيان.

والسؤال الآن: هل كان عُمْرُ الشعر الجاهليّ المعروف اليوم مئتَي سنة حقًّا أو مئتَين وخمسين سنة فقط؟ وبعبارة أخرى هل كان الجاحظ مُصيبًا تمامًا عندما قدَّر له هذا العمر؟

وفي الإجابة نقول: إنّ بين أيدينا نصوصًا من الشعر الجاهليّ المُرَجَّحة صحّته ترقى إلى ما قبل الإسلام بأربعمئة عام. فقد أصبنا أبياتًا لشعراء جاهليِّين وُجِدوا في القرن الثالث الميلاديّ، أمثال (جَذِيْمة الأبرش) (٢٦٨ م)، وابن أخته (عَمْرو بن عَدِي)، وغريم هذا الأخير (عَمْرو بنِ عَبْدِ الجِنّ التّنوخي). والثقة بأشعار هؤلاء وغيرهم، تجعل عمر الشعر الجاهليّ المعروف اليوم يزيد مئة عام عمّا حدَّده له الجاحظ من زمن. ومن المعروف أنّ القرن الثالث الذي نتّخذه منطَلقًا لظهور الشعر الجاهليّ، المستكمِل أسبابَ نضجه وتكامله، هو القرن الذي شهد تأسيس دولة المناذرة في الحيرة.

ومن دواعي ما ذَهبنا إليه أنّ الحيرة، عاصمة المناذرة، كانت الوسط الثقافيّ الألْمَعَ في العصر الجاهليّ. وقد أشار إلى ذلك الدكتور (عبد العزيز سالم) إذ قال: «ازدهرت الحياة العلميَّة في الحيرة ازدهارًا لم تشهدْه عاصمة عربيَّة في العصر الجاهليّ، إذ كانت تفخر بمعاهد العلم ومدارسه، فقد تلقّى (إيليّا الحيريّ) مُؤسِّس دير مار إيليّا دراسته الدينيَّة في مدرسة بالحيرة... وفي الحيرة تعلَّم المُرَقِّش الأكبَر وأخوه حَرْمَلَة الكتابةَ على أحد النصارى من أهلها»[2]. وذكر (محمّد سعيد الطُّرَيْحي) كثيرين من أعلام العلوم

---

(١) أنظر: غرونباوم: **دراسات في الأدب العربيّ** ص ١٣٤ . وسزكين: **تاريخ التراث العربيّ** مج ٢ ـ (١: ١٣ ـ ١٤). ومقال د. عرفان شهيد المشار إليه آنفًا في كتاب **دراسات تاريخ الجزيرة العربيَّة ـ الجزء الثاني ـ القسم الأجنبيّ** ٢: ٨٧ .

(٢) أنظر عبد العزيز سالم: **تاريخ العرب في العصر الجاهليّ** ص ٢٦٧ ـ ٢٦٨ .

والفنون والمعارف الحِيْرِيّين قبل الإسلام، وأشار إلى أنّ مدارسَها ودياراتها «كانت تمثّل أكاديميّات علميّة»[1]. ومما يُنْسَب إلى الحيرة، وما حولَها، اختراعُ الخطّ العربيّ المتطوّر[2]. كما يُنسَب إلى ملوكها المتأخّرين رعايةٌ فائقةٌ لشعراء العربيّة، وعناية كبرى بقريضهم، الأمر الذي جعل منها محجّةً بارزة لكثير من الشعراء، فقد وَفَدَ إليها من شعراء الجاهليّة: المرقّش الأصغر، والمرقّش الأكبر، وعَمْرو بن قَمِيئة، والمُتَلَمِّس، وطَرَفَة بن العَبْد، وعَبِيْد بن الأبْرَص، والمُثَقّب العَبْدي، والنابغة الذبياني، والمُنَخّل اليَشْكُري، وحَنْظَلَة الطائي، ولَبِيْد بن ربيعة، والرَّبيع بن زِياد العَبْسي، وحسّان بن ثابِت، ويَزِيْد بن عَبْد المدان، والأَسْوَد بن يَعْفُر، والنابِغة الجَعْدي، وحاتِم الطائي، وسَلامة بن جَنْدَل... إلخ، وظهر فيها من الشعراء إبّان دولة المناذرة جَذِيْمة الأبْرش، وعَمْرو بن عَدِي، وعَمْرو بن عَبْد الجِنّ التنّوخي. وفي أواخر عصر المناذرة ظهر أبو دؤاد الإيادي، وعَدِي بن زيد العبادي، وإياس بن قَبِيْصة الطائي[3]. فهل كان وفود أولئك الشعراء إلى الحِيْرة، وظهور هؤلاء القدماء والمُحْدثين من شعرائها مسألة لا دلالة فيها؟ أم أنّ الأمرَ يتّصل باحتضان بيئة الحيرة لأصولِ الشعر العربيّ منذ القرن الثالث الميلاديّ، أو لمرحلة متطوّرة وهامّة من مراحله؟

هذا من جهة، ومن جهة أخرى فإنّ من أسباب وقوفنا في تاريخ ظهور الشعر الجاهليّ عند القرن الثالث الميلاديّ اعتماد الرواية الشفويّة نَهْجًا أساسيًّا لنَقْلِه، وحَمْلِه من جيلٍ إلى جيل، قبل عهد التدوين. ولكن هذا لا يعني أنّه لم ينتقل إلينا شعر جاهليّ قبل القرن الهجريّ الأوّل عن طريق الكتابة، بل يعني أنّ هذا الشعر المكتوب في الجاهليّة البعيدة البعيدة كان قليلاً، بل قليلاً جدًّا... وقِلّة هذا الشعر لا تحول دون الحُكْم بأنّ الرواية الشفويّة عجزت عن حَمل إبداع العرب القدماء الذين عاشوا قبل القرن الثالث الميلاديّ. وليست هذه الحالة خاصّة بالشعر العربيّ وحده، بل تنطبق على غيره من آداب

(١) محمّد سعيد الطريحي: الديارات والأمكنة النصرانيّة في الكوفة ص ٢٦ ــ ٢٨.

(٢) أنظر ابن النديم: الفهرست ٧ ــ ٨، والقلقشندي: صبح الأعشى ٣: ١٤، وسُهَيْلة الجبوري: أصل الخطّ العربيّ وتطوّره ص ٢٦ ــ ٢٩.

(٣) أنظر: عبد العزيز سالم: تاريخ العرب في العصر الجاهليّ ص ٢٧٠، وجواد علي: المفصّل في تاريخ العرب ٣: ٢٤٢، وغرونباوم: دراسات في الأدب العربيّ ٢٦٥ ــ ٢٦٦ وهنا يرى (غرونباوم) أنّ أبا دؤاد الإيادي يعرض علينا في شعره أغنى تنوّع عروضيّ في الشعر العربيّ القديم، فشعره جاء على اثني عشر بحرًا.

الأمم الأخرى المنقولة شفاهًا، ففي مقالٍ لِـ (م. ماكدونالد) بعنوان: «الشعر المنقول شفاهًا في الجزيرة العربيَّة قبل الإسلام والمجتمعات الأخرى قبل مرحلة التدوين»، يخلص الباحث إلى القول: «إنّ الفكرة التي تقول أحيانًا إنّ الشعر العربيّ قد قفز، بطريقة غامضة، إلى الوجود فجأة، في القرن الخامس، تبدو غير واقعيَّة أبدًا، وبالرغم من أنّ الشعر المنقول شفاهًا يمكن أن يبقى في ذاكرة الشعب لزمن معيَّن، فإنّ الدراسات في الحضارات الأخرى يبدو أنّها تبيِّن أنّ مئتَي سنة هي الزمن الأقصى نهائيًّا لمقطوعة من الشعر يمكن أن تبقى في ذاكرة الأجيال... وهكذا يُنسى الشعر العربيّ الأقدم ببساطة»[1].

ولعلَّ ما أصاب الشعر العربيّ الأقْدَم من النسيان والضياع، قبل عهود الكتابة، كان قد أصاب الشعر الإغريقيّ القديم، فمن المعروف أنّ (إسخيلوس) و(سوفوكليس)، و(يوروبيدس)، وهم شعراء يونانيّون عاشوا ما بين القرن السادس والخامس قبل الميلاد، قد عُزِيَ إليهم نحو /٣٠٠/ مسرحيَّة. ولكن لم يصل إلينا مِن هؤلاء الشعراء الثلاثة سوى ما يزيد عن الثلاثين مسرحيَّة. وحسب عبارة الدكتور (أحمد عتمان): «فإنّ نسبة ما وصلنا إلى مجمل نتاج هؤلاء الشعراء الثلاث (كذا) ليس سوى العُشر تقريبًا. وإذا أضفنا إلى ذلك الأعداد الهائلة من شعراء تراجيديِّين آخرين سَمِعنا بهم، ولم يصلنا سوى شذرات متفرِّقة، أو لم يصلنا منهم شيء البتّة، لأمكننا القول بأنّ ما وصلنا من نتاج المسرح الإغريقيّ التراجيديّ، ككلّ، لا يعدو الفتات المُتَبقِّي من مائدة كانت ضخمة وحافلة»[2].

وتبدو لنا أهمِّيَّة هذا الكلام إذا تذكّرنا أنّ الإغريق الذين طوَّروا الأبجديَّة الساميَّة، واقتبسوا الحروف الفينيقيَّة، لم يعرفوا أبجديَّة خاصّة بهم إلاَّ منذ القرن الثامن ق.م، وهو القرن الذي شهد ظهور (هوميروس) اليونانيّ، كما يرجِّح[3]، في حين يرجع عمر الشعر الشفويّ الإغريقيّ إلى قرون أربعة سابقة. ولكن ذاك الشعر ضاع واندثر[4].

(١) أنظر مجلّة *Journal of Arabic Literature, IX. 1978. p. 14-31.*

(٢) أحمد عتمان: **الشعر الإغريقيّ ـ تراثًا إنسانيًا وعالميًا** ص ٥ .

(٣) م. ن. ص ٢١ و٢٣ . وانظر في المسألة الهومرية كتاب **مصادر الشعر الجاهليّ** ص ٣٠٢ حيث يستخلص من نظريّة (وولف) أنّ الذاكرة البشريَّة يمكن أن تحتفظ بنصوص شعريَّة غير مكتوبة لأربعة قرون كاملة.

(٤) م. ن. ص ١٨ .

ومثلُ ضِياع الشعر الإغريقيّ، ضاع الشعر العربيّ الشفويّ. وقد أشار إلى ذلك أبو عَمْرو ابن العلاء (١٥٤ هـ ـ ٧٧٠ م) حين قال: «ما انتهى إليكم مِمَّا قالت العرب إلاَّ أقلُّهُ، ولو جاءكم وافرًا لجاءكم عِلْمٌ وشِعْرٌ كثير»[1].

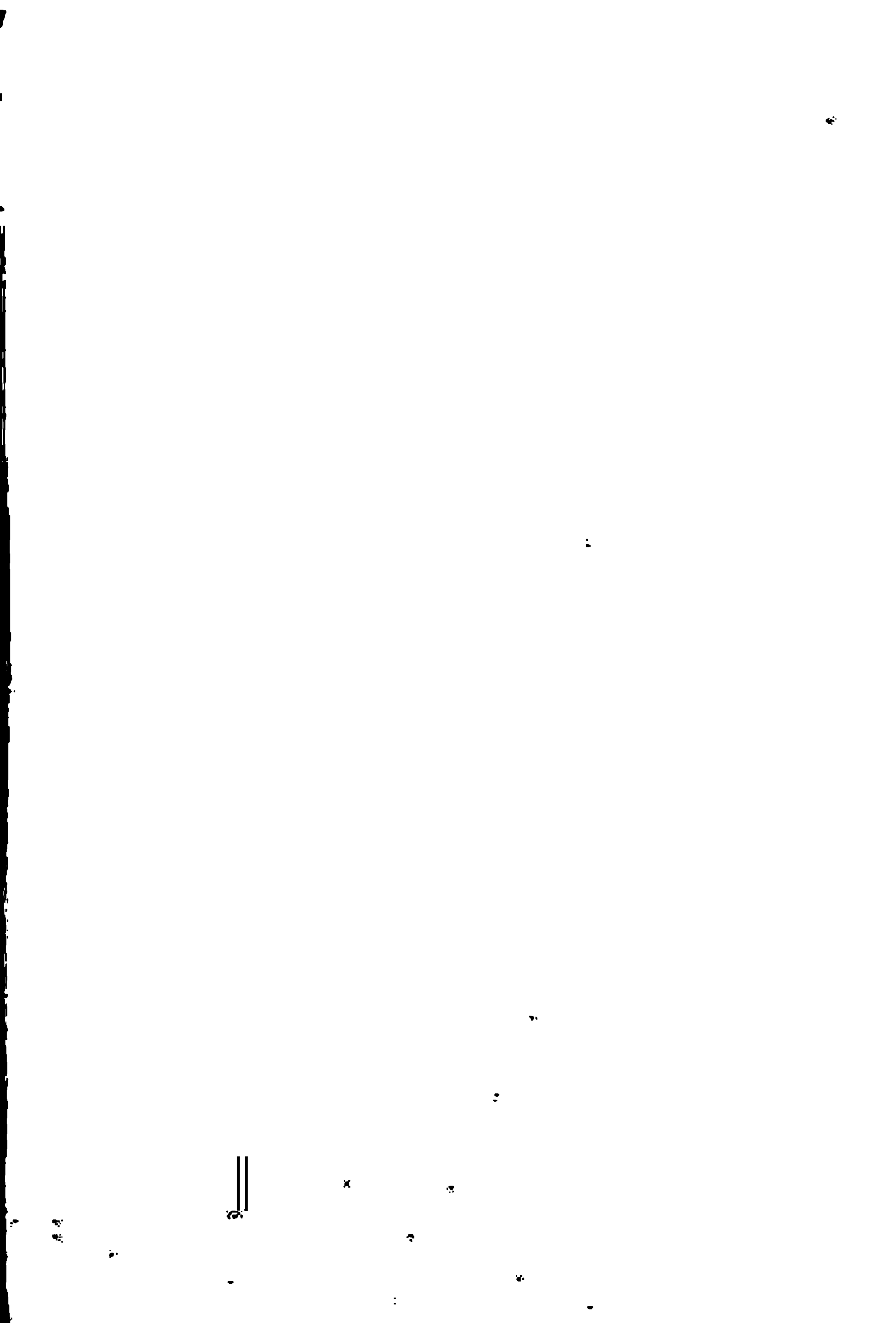
وصَفوة القول: أَنَّ الجاحظ المؤرِّخ العربيّ التراثيّ و(م. ماكدونالد) الباحث الأجنبيّ المعاصر، وغيرهما مِمَّن اهتمُّوا بفحص قضايا البدايات الشعريَّة قَصدًا، أو عَرَضًا، كادوا يتّفقون على أنّ عمر الشعر الجاهليّ الذي نعرفه اليوم يقع ما بين مئتين، ومئتَين وخمسين سنة. ولكن ثمّة علماء تراثيِّين قُدامى، غير الجاحظ، كابن سلاَّم، وسواه، شجَّعونا على أن نمدَّ في عمر هذا الشعر قَرنًا ثالثًا إلى الوراء، لأنَّهم ذكروا لنا في آثارهم أَسماء شعراء، ونماذج من الشعر القديم ترقى إلى القرن الثالث الميلاديّ.

والخلاصة أنّ البحث في قضايا بدايات الشعر العربيّ شائكٌ جدًّا. وقد عرفنا من خلال ما تقدَّم أنّ إسماعيل هو أبو العرب المُستعرِبة عامّة، وأنّه تعلَّم لغة العرب العاربة من جُرْهُم، ثمَّ علَّمَها بنيهِ وأحفادَه الذين كان منهم معدّ بن عدنان، هذا الذي ظهر الشعر الجيّد الفصيح من بعده، وقد كان إسماعيل، ومعدّ بن عدنان، أو عدنان أبو الأخير، عَلَمَيْن بارزَين احتفظت ذاكرة العرب بذكراهما، بوصفهما عنوانَين لمرحلتَين من مراحل تطوّر العربيَّة، وتطوّر الشعر فيها، هذا الذي نضجت أداتُه قبل القرن الرابع الميلاديّ بكثير، بعد أن حملت في مسيرتها الطويلة مؤثّراتٍ سابقة كثيرة تدلُّ على أنّ النماذج الشعريَّة الأقدم بأوزانها المختلفة، وما تلاها من شعر جاهليّ، مُحصَّلةٌ لتراث ساميّ عظيم، تمامًا كما كانت وثنيَّة العرب في الشمال وثيقة الصلة بالوثنيَّات السابقة التي تقدَّمَتها. وقد تبيَّن لنا من خلال بعض النماذج القديمة أنّ الشعر العربيّ ربَّما تطوَّر عن السجع، كما دلَّت بعض مصطلحات العروض على أطوار من القول الفنِّيّ لم تكن تبلغ حدّ (القريض) الذي كان مصطلحًا يقابل (الرجز) أو يقابل (الرمل). وهذان مصطلحان يشفّان عن بعض المحاولات الشعريَّة التي ربّما مثَّلت طفولة الشعر العربيّ المعروف اليوم. وهي طفولة لم ندرِ كم امتدّ بها العمر بدقّة، ولكنّنا نرجِّح أنّ عُمْرَ الشعر الجاهليّ الذي نتدارسه يبدأ من القرن الثالث الميلادي، آخذين في الحسبان أنّ التدوين لم

---

(١) إبن سلاَّم: طبقات فحول الشعراء ١: ٢٥، وابن جنّي: الخصائص ١: ٣٨٦ والسيوطي: المزهر ٢: ٤٧٤.

يكن على الحالة التي تتيح حمل الشعر العربيّ من زمنٍ أبعد من القرن الثالث الميلاديّ، وهو القرن الذي أشارت كتب التراث إلى وجود أسماء شعراء جاهليّين فيه يمكن الاطمئنان إلى حقيقتهم التاريخيَّة. وما جاء في كتب التراث عن هؤلاء الشعراء، وعن شعراء أوائل آخرين، هو موضوع الفصل الثاني من هذا الباب.



الشعراء الأوائل في كتب التراث

١ ـ الشعراء الأوائل عند خلفائهم من الشعراء

إنّ تعاقب الأجيال في تاريخ الأدب حقيقةٌ لا مراء فيها، فمنذ العصر الجاهليّ، الذي مضى لنا بحث في مسائل بداياته، وتقدير عمر شعره، أحسّ بعض الشعراء الذين عاشوا في أواخره بهذا التعاقب، فهم حين تلفّتوا إلى الوراء وجدوا أنفسهم مسبوقين بأجيال أخرى وواجهوا تراثًا مُعيّنًا متقدّمًا صنعه شعراء بأعيانهم، ثمّ غبروا. وفي هذا المعنى يقول عَنْتَرةُ بنُ شدّاد في مُفْتَتح مُعَلّقته:

هَـلْ غـادَرَ الـشُّـعَـراءُ مِـنْ مُـتَـرَدَّمِ أَمْ هَـلْ عَـرَفْـتَ الـدَّارَ بَـعْـدَ تَـوَهُّـمِ

فعنترةُ إذًا يضجر من سطوة تراثٍ سالِفٍ، فيجأر بهذا التساؤل الذي يوحي بأنّ الشاعر الجاهليّ يكاد لا يرى جديدًا في زمانه... وقد أجمع شُرّاح المعلّقات على أنّ عنترة، في صدر بيته السابق، يستفهم مستنكرًا: لِمَ لَمْ يترك الشعراء لي شيئًا أصوغه؟ لقد سُبِقْتُ بأقوامٍ لم يدعوا مُسْتَرْقَعًا أَرْقعه، أو مُسْتَصْلَحًا أصلحه[1]. وأوضح ابنُ رَشِيْق (٤٦٣ هـ ـ ١٠٧٠ م) الصورة إذ قال: «وقَوْلُ عنترة: هل غادرَ الشعراء من متردَّمِ، يدلّ على أنّه يعدُّ نفسَهُ مُحْدَثًا قد أدرك الشعر بعد أن فرغ الناس منه، ولم يغادروا له شيئًا»[2].

(١) أنظر ابن الأنباري: شرح القصائد السبع الطوال ص ٢٩٥، والزوزني: شرح المعلّقات السبع ص ٢٦١، والتبريزي: شرح القصائد العشر ٢٦٤، وابن منظور: اللسان (ردم).

(٢) إبن رشيق: العمدة ١: ٩١.

وإذا كان عنترة يطرح مسألة الأوائل من الشعراء دون أن يذكر شعراء بأسمائهم، فإنّ هناك شعراء جاهليّين سمّوا مَن سبقهم: فقد ذكر امرؤ القيس بن حُجْر الكندي شاعرًا قبلَه يُدعَى (ابن خِذَام)، أو (حِذَام)، أو (خِدَام)، فقال:

عُـوْجـا عـلى الطَّـلـلِ المُحِـيْـلِ لأنَّـنـا   نَـبْـكي الدِّيارَ كَـمَـا بَـكَـى ابْـنُ خِـذامِ

وذكر الشنتمري (٤٧٦ هـ ـ ١٠٨٣ م) ـ شارح الديوان ـ أنّ ابنَ خِذام رجلٌ ذكر الديار قبل امرئ القيس وبكى عليها[١]. وقد كان هذا الشاعر أحد الشعراء الذين وقع اختيارنا عليهم ليمثّلوا جيل الأوائل في هذا البحث.

وقال المُسيَّب بن عَلَس مُشيرًا إلى شاعر تقدَّمهُ بزمن، يُدعَى (سامَةَ بن لُؤَيّ):

وقَـدْ كـانَ سـامَـةُ فـي قَـوْمِـهِ   لـهُ مَـأكَـلٌ ولـه مَـشْـرَبُ
فَـسـامُـوْهُ خَـسْـفًـا فَـلَـمْ يُـرْضِـهِ   وفي الأرضِ عنْ خَسْفِهِمْ مَذْهَبُ[٢]

وروى المسيَّب قصّة (سامة بن لُؤَي) شعرًا. وهي قصّة ساقها الكلبيّ في كتاب له مفقود اسمه: **نوافل بني نزار**، ونقلها الوزير المغربيّ (٤١٨ هـ ـ ١٠٢٧ م) في كتابه: **الإيناس**[٣] ويهمُّنا من القصّة الشعرُ الذي سِيقَ على لسان سامة بن لؤي، وهو أخ للأب الثامن للرسول عليه السلام: كَعْب بن لؤي. وسامةُ شاعرٌ، أيَّد صفتَهُ هذه الرسول ﷺ[٤].

وكذلك أشار لَبِيْدُ بن رَبِيْعة في ديوانه إلى شاعرَين جاهليَّين قديمَين هما المُرَقِّش ومُهَلْهِل، حين قال:

والـشَّـاعِـرُونَ الأوَّلُـونَ أراهُـمُ   سَلَكُوا سَبِيْلَ مُرَقِّشٍ ومُهَلْهِلِ[٥]

وعلى الرغم من أنّ الشاعر أراد: أنَّ مَن سَبقهُ من الشعراء قد مات، كما مات مُرَقِّش ومُهَلْهِل، فإنّنا نتمكّن من القول: إنّ مُرَقّشًا ومُهَلْهِلاً شاعران جاهليّان

---

(١) ديوان امرئ القيس ١١٤.

(٢) أنظر شعر المسيَّب بن علس في الصُّبح المُنير ٣٥٠، وأخبار سامة في: جَمْهرة النسب ١: ٤٣٣ (ط الكويت)، والسيرة النبويَّة ١: ٩٨، ونسب قريش ٤٤٠ ـ ٤٤٣، وتاريخ اليعقوبي ١: ٢٣٤، وأنساب الأشراف ١: ٤٦ فما بعدها، وجَمْهرة أنساب العرب ١٧٢ ـ ١٧٦، ومعجم ما استعجم ١: ٤٦.

(٣) الإيناس في علم الأنساب ١٧٥ ـ ١٧٧.

(٤) م. ن. ١٧٦.

(٥) ديوان لبيد ٢٧٦، ويُروى «سلكوا طريق...».

متقدّمان، وأخبارهما في كتب التراث تشهد بذلك.

أمّا حارثة بن بَدْر الغداني، وهو شاعر مُخَضْرَم، فقد ذُكِرَ، في بيتَين يعزوان له، أربعة شعراء يمكن أن نعدَّهم قُدَامى، هم: مُرَقِّش، ومُهَلْهِل، وأبو دُؤَاد، وعَبِيْد، قال:

قَبَحَ الإلهُ الإلْفَ إلاَّ ما مَضَى والشِّعْرُ بَعْدَ مرقِّشٍ ومُهَلْهِلِ
وأبي دُؤَادٍ أوْ عَبِيْدٍ كلَّما نَطَقُوا أصابُوا فيهِ فَصَّ المَفْصِلِ[1]

وفي العصر الإسلاميّ والأمويّ نلتقي بشاعرَيْن ذَكَرا شعراء جاهليِّين تقدَّموهما، وأوَّل ذينك الشاعرين سُرَاقة البارِقي المُتوفَّى سنة (٧٩ هـ ـ ٦٩٨ م)، وهو القائل:

وَلَقَدْ أَصَبْتُ مِنَ القَرِيْضِ طريقةً أَعْيَتْ مصادِرُها قرينَ مُهَلْهِلِ
بعدَ امرئِ القيسِ المُنَوَّه بِاسْمِهِ أيّامَ يَهْذِي بالدَّخُوْلِ فَحَوْمَلِ
وأبو دؤادٍ كانَ شاعِرَ أُمَّةٍ أَفِلَتْ نُجُوْمُهُمْ، ولمَّا يَأْفُلِ[2]

والشاعر الثاني هو الفَرَزدق (١١٤ هـ ـ ٧٣٢ م)، وقد فعل مثل سراقة البارقي، فذكر، في لامِيَّةٍ له معروفة، مجموعة من الشعراء الذين تقدّموه، ووهبوه القصائد وفنّ القريض، ومن بين هؤلاء ينعت (المُهَلْهِلَ) بأنّه الأوّل:

وَهَبَ النَّوابِغُ ليَ القصائِدَ إذْ مَضوا وأَبُو يَزِيْدَ، وذُوْ القُرُوْحِ وَجَرْوَلُ
وأخو بني قَيْسٍ، وهُنَّ قَتَلْنَهُ ومُهَلْهِلُ الشُّعَرَاءِ ذاكَ الأوّلُ[3]

وقد سُقنا هذه الشواهد جميعها لتأكيد وجود جيل من الشعراء الأوائل، أشار إليه شعراء جاهليّون، ومخضرمون، وأمويّون. ومستحيل أن يتّفق هؤلاء جميعًا على باطل. وهذه الحقيقة تعدّل كثيرًا، بل تُبْطِل، ما قاله (كارل بروكلمان) من أنّ: «ما يذكره علماء العربيَّة عمَّن يسمّونهم أوائل الشعراء عند مختلف القبائل يُعَدُّ من قبيل مُخترعات العلماء، كسائر الأوائل التي رواها العسكري وغيره»[4].

ومِمّا يؤكّد بُطلان قول (بروكلمان) انتقالُ قضيَّة الأوائل إلى أيدي العُلماء والمصنِّفين. ومن شأن عَرضنا لها في مؤلّفاتهم أن يكشف النقاب عن زيف ذاك الزعم،

---

(١) أنظر العسكري: شرح ما يقع فيه التصحيف ص ٤٢٥.
(٢) ديوان سُراقة البارقي ص ٦٤.
(٣) ديوان الفَرَزْدَق (ط الصاوي) ٢: ٧٢١، و(ط صادر) ٢: ١٥٩.
(٤) كارل بروكلمان: تاريخ الأدب العربيّ ١: ٤٤ حا/٢.

وأن يطلعنا شيئًا فشيئًا على أسماء الشعراء الأوائل الذين تناولتهم كتب التراث المختلفة. وفي هذا المجال نرى أنّ العلماء والمُصنِّفين القدامى الذين عرضوا لمسألة الأوائل، والبدايات، قد اختلفوا في طرق تأتّيهم إليها، فمنهم مَن اكتفى بالإشارة العابرة إلى المشكلة، دون قَصدٍ منه إلى أن يكون حديثه عن الأوائل والبدايات غرضًا بعينه، أو محورًا من محاور مُصنَّفه. ومنهم مَن حدَّد شعراء مُعَيَّنين جعلهم يمثّلون الشعر القديم جدًّا. ومنهم مَن وقف عند المشكلة وقفة طويلة نسبيًّا، فناقش آراء مَن تقدَّمه، ولاحظ مقدار التبايُن الزمنيّ والتاريخيّ في أخبار السالفين، وثمّة فريق اكتفى، أخيرًا، بما قاله سابقوه، دون تمحيص أو نقد أو تحليل. وسنعرض لأقوال مجموعة من هؤلاء العلماء ملاحظين تعاقُبَهم الزمنيّ، ومناقِشين ما نراه جديرًا بالنقاش. ولعلّنا هنا نصحِّح بعض الأوهام، ونوضِّح بعض المبالغات التي أُطلِقت جُزافًا، وشابت أخبار الأوائل.

٢ ـ الشعراء الأوائل في مُصنَّفات القرن الثالث الهجريّ (التاسع الميلاديّ)

ونبدأ من القرن الثالث الهجريّ (التاسع الميلاديّ) فنقف عند مجموعة من المؤلّفات في هذا القرن، هي: **السيرة النبويّة، وطبقات فُحول الشعراء، ونَسب قريش، والمعمَّرون، والشعر والشعراء، ومجالس ثَعْلَب.**

ففي كتاب **السيرة النبويّة** الشريفة، الذي ألّفه محمّد بن إسحق (نحو ١٥٠ هـ ـ ٧٦٧ م)، وهذّبه ابن هشام (نحو ٢٠٦ هـ ـ ٨٢١ م) فعُرِف باسمه، يستطيع الدارس أن يستخلص أسماء شعراء قُدامى، وأن يقرأ أبياتًا تُعْزَى إليهم. ومن هؤلاء مثلاً: ذو رُعَيْن، أخو حسّان بن تبّان بن أسعد أبي كَرِب، وقد رُوِيَ عنه قولَه:

ألاَ مَنْ يشتري سَهَرًا بِنَوْمٍ ... سَعِيدٌ مَنْ يَبِيتُ قَرِيرَ عَيْنِ
فإمَّا حِمْيَرٌ غَدَرَتْ وخانَتْ ... فمعذرةُ الإلهِ لِذِي رُعَيْنِ[1]

ومنهم المُسْتَوغِر بن رَبِيْعة، وقد أنشد له ابن هشام ثلاثة أبيات[2]. ومنهم سامَةُ ابن لُؤَيّ، وساق له مُصنِّف السيرة سبعة أبيات[3]. وثَعْلَبة بن سَعْد بن ذُبْيان بن

(١) ابن هشام: السيرة النبويّة ١: ٢٨.
(٢) م. ن: ١: ٨٧ ـ ٨٨.
(٣) م. ن: ١: ٩٨.

بَغِيْض، وله بيت واحد[1]. وعَمْرو بن الحارث الجُرْهُمي[2]، وهذا شاعرٌ مهمٌّ، ينبغي أن نقف عنده قليلاً، ذلك أنّ ابنَ إسحق يسوق له قصيدة تتألّف من ستّة عشر بيتًا، يقول فيها:

وقـائـلـةٍ والـدَّمْـعُ سَـكْـبٌ مُـبـادِرُ ... وقَـدْ شَـرِقـتْ بالدَّمْعِ فِيْـهـا المَحاجِـرُ
كَأَنْ لَمْ يكُنْ بَيْنَ الحَجُونِ إلى الصَّفا ... أنيـسٌ ولَـمْ يَـسْـمُـرْ بمكّـةَ سـامِـرُ
فَقُلْتُ لها، والقلْبُ مِنِّي كَأنَّـما ... يُـلَـجْـلِـجـهُ بينَ الجَناحَيْـنِ طائِـرُ
بَلَـى نَـحْـنُ كُـنَّـا أهْـلَـهـا فـأزَالَـنـا ... صُرُوْفُ الليـاليّ والْـجُـدُوْدُ الـعَـواثِـرُ

ثمَّ نقرأ في السيرة عن هذا الشاعر ما يأتي: «قال ابن إسحق: وقال عَمْرو بن الحارث أيضًا يذكر بكرًا وغبشان، وساكني مكّة الذين خُلّفوا فيها بَعْدَهم:

يا أيُّـهـا الـنَّـاسُ سِـيْـروا إنَّ قَـصْـرَكُـمُ ... أنْ تُـصْـبِـحوا ذاتَ يوم لا تَـسِـيْـرُونا
حُـثُّـوا المطـيَّ وأرْخُـوا مـنْ أزِمَّـتِـهـا ... قَبْـلَ الْـمَـماتِ وقضّـوا ما تقضُّـونا
كُـنَّـا أُنـاسًـا كَـمَـا كُـنْـتُـمْ، فغَـيَّـرنا ... دَهْـرٌ، فأنْـتُـمْ كَـمَـا كُـنَّـا تَـكُـونُـوْنا

قال ابن هشام: هذا ما صحَّ له مِنْها. وحدَّثني أهل العلْم بالشعر: إنَّ هذه الأبيات أوَّلُ شِعْر قِيل في العرب، وأنّها وُجِدت مكتوبة في حجر باليمن، ولم يُسَمَّ لي قائِلُها»[3].

وفي هذا الخبر قضايا تستحقّ المناقشة، فإذا وثقنا به، فإنّه يعني أنّ بعض الشعر العربيّ قد وُجِد مكتوبًا قبل الإسلام، ومنذ زمن عَمْرو بن الحارث الجُرْهمي. والسؤال الذي يطرح نفسه الآن: متى وُجِد عَمْرو بن الحارث الجُرْهمي؟ والجواب: ليس لدينا دليل قاطع على زمانه، ففي حين يجعله المرزباني (٣٨٤ هـ ـ ٩٩٤ م) أدرك الإسلام[4]، نرى أنّ التدقيق في بعض جداول الأنساب يُفْضي إلى الاستنتاج أنّ وجوده كان في القرن الثالث الميلاديّ، ذلك أنّنا أصبنا صِلةً ما بين عَمْرو بن الحارث الجُرْهمي ونَسَب الرسول عليه السلام، يتمثّل بكَوْن ابنة الحارث بن مَضاض الجُرْهمي، وهي أخت عمرو

---

(١) م. ن: ١: ٩٩.
(٢) م. ن: ١١٤ ـ ١١٦.
(٣) إبن هشام: **السيرة** ١: ١١٦، والأزرقي: **أخبار مكّة** ١: ٥٧. وهي هنا ٨ أبيات. والسُّهَيْلِي: **الروض الأنف** ١: ١٤٠، وابن كثير: **البداية والنهاية** ٢: ١٨٦.
(٤) المرزباني: **معجم الشعراء** ١٠.

الشاعر، قد تزوّجت مالك بن النضر، الأب الثاني عشر للرسول ﷺ. فابن إسحق مؤلّف السيرة يقول: «فَوَلَدَ مالكُ بن النَّضِر فِهْرَ بن مالك، وأمُّه جَنْدَلَةُ بنت الحارث بن مضاض الجُرْهمي»[1]. وهذا الخبر يعني أنّ أخا جندلة شاعرنا عمرو بن الحارث الجرهمي، كان يُعاصر، دون ريب، مالِكَ بن النَّضِر، الأب الثاني عشر للرسول ﷺ. فإذا قدَّرنا لكلّ أبٍ من الآباء الذين يقعون بين الرسول ﷺ، وجدّه مالك، عشرين سنة فقط، تبيَّن لنا أنّ نحوًا من (٢٤٠) سنة تفصل زمن الرسول ﷺ عن زمن جدّه الأبعد مالِك بن النَّضِر، الذي تزوَّج جَنْدَلة بنت الحارث الجُرْهمي ـ أخت عَمْرو بن الحارث الجُرْهمي. وذلك يعني أنّ عَمْرو بن الحارث كان قبل زمن الرسول بنحو (٢٤٠) سنة، أي في القرن الثالث الميلاديّ تقريبًا.

والحقُّ أنّ تقديرنا هذا مرهون بكون عَمْرو بن الحارث الجرهمي لم يدرك الإسلام، وبكونه مُعاصِرًا لإجلاء خُزاعةَ لجُرْهم عن البيت الحرام. أمّا إذا كان ثمَّةَ (عَمْرو بن حارث جُرهميّ) آخر أدرك الإسلام[2] ـ كما يقول المزرباني ـ فلَسْنا حينئذٍ أمام شاعر جاهليّ أوَّل. وليس بين أيدينا الآن وسيلة للفصل في هذه المشكلة.

ومن شعراء السيرة القُدامى أيضًا مُرّ بن أدّ بن طابخة، وأُنشِد له بيتان[3]. والغَوْث بن مُرّ بن أدّ، وله بيت واحد[4]. ورِزاح بن رَبِيْعة، أخو قُصَيّ بن كِلاب لأمّه، وعُزِيَ له ستَّة عَشَرَ بيتًا[5]. وقُصَيُّ بن كِلاب، ونُسِب إليه أربعة أبيات[6]. ولم نعتمد من هؤلاء الشعراء جميعًا سوى المُسْتَوْغِر بن رَبِيْعة، ورِزاح بن رَبِيْعة النَّهْدِي، لأنّ هَدفَنا هو التمثيل، وليس الاستقصاء.

وإذا كان ابن إسحق وابن هشام من بعده لم يجعلا مسألة الأوائل مسألةً محوريَّةً يُدار الكلامُ عليها قصدًا، لا عَرَضًا، فإنّ محمّد بن سلاَّم الجُمَحي (٢٣١ هـ ـ ٨٤٥م)،

(١) إبن هشام: م. ن ١: ٩٥.

(٢) أنظر المرزباني: معجم الشعراء ١٠، ويقول المرزباني في عَمْرو بن الحارث بن مَضاض الجُرْهمي: «ويقال إنّه مُدِّلَه في العمر إلى أن أدرك الإسلام، وقارن بابن الأنباري: شرح القصائد السبع الطوال ٢٥٤ ـ ٢٥٥.

(٣ و٤) ـ إبن هشام: السيرة ١: ١١٩.

(٥) م. ن ١: ١٢٦، ١٢٩.

(٦) م. ن ١: ١٢٨.

فسح لهذه القضيَّة مكانًا لائِقًا في كتابه: **طبقات فحول الشعراء**، إذ نجده يقول: «ولم يكن لأوائلِ العربِ من الشعرِ إلاَّ الأبيات يقولها الرجل في حاجته، وإنّما قُصِّدتِ القصائد وطُوِّل الشعر على عَهْدِ عَبْدِ المُطّلب، وهاشِم بن عَبْدِ مَناف، وذلك يدلّ على إسقاط شِعر عاد وثَمُود وحِمْيَر وتُبَّع»[1].

وقول ابنِ سلاَّم: إنّ أوائل الشعراء قالوا أبياتًا قليلة أو مقطَّعات قولٌ صحيح ومعقول، في الأغلب. أمّا أن يكون الشعر قد قُصِّد أوّلَ ما قُصِّد على عهد عَبْدِ المطّلب وهاشم بن عَبْد مَناف، فهذا يقبل النقاش، لأنّ لدينا قصائدَ طويلة يمكن الثقة بها قِيلَت قبل هذين الرجلَين، اللذين أحدُهما هو الجدُّ الأوّل للرسول ﷺ، والثاني جدّه الثاني، ففي شعر أبي قِلابة الهُذَلي، وهو زوج الجدّة السادسة للرسول عليه الصلاة والسلام، وأحد شعراء هذه الدراسة، ثلاث قصائد، كلٌّ منها يقع في سبعة أبيات أو أكثر. وأبو قِلابة من رجال القرن الخامس الميلاديّ فيما نُرجِّح[2]. أمّا إسقاط شعر عاد وثَمُود وحِمْيَر وتُبَّع فستأتي مناقشته في الفصل الثالث من هذا الباب. لذا نمضي في دراسة قضيَّة الأوائل عند ابن سلاّم فنرى أنّه بعد أن ساق ذاك الخبر، راح يعدِّد أسماء محدّدة لشعراء قُدامى، ويسوق الأمثلة لعطاء كلٍّ منهم، فقد ذكر من هؤلاء:

١ ـ العَنْبَر بن عَمْرو بن تَمِيم ٢ ـ سَعْدَ بنَ زَيْد مَناة ٣ ـ دُوَيْد بن زَيْد بن نَهْد القُضاعي ٤ ـ أعْصُرَ بن سَعْد بن قَيْس عَيْلان ٥ ـ المُسْتَوْغِر بن رَبِيْعة ٦ ـ زُهَيْر بن جَناب ٧ ـ جَذِيْمة الأبْرَش ٨ ـ ابن حِذام ٩ ـ المُهَلْهِل. وهذا الأخير جعله ابن سلاّم أوّلَ مَن قصَّد القصيد، وذكر الوقائع[3].

وقد قُمنا بجَمع أشعار هؤلاء جميعًا عدا مُهَلْهِل، فتبيَّن لنا أنّ أيًّا منهم لم تزد أبياتُهُ على (١٩) بيتًا، باستثناء زهير بن جَناب الكَلْبي الذي بَلَغَ مجموع شعره (١٣٧) بيتًا، ضمَّت خَمْسَ قصائد لا تقلّ أبيات كلّ منها عن سبعة أبيات.

أمّا أزمان هؤلاء الشعراء، فتتراوح ما بين القرن الثالث والقرن السادس الميلاديَّين، وذلك لأنّ جَذِيْمة الأبْرَش تُوفِّيَ نحو السنة (٢٦٨ م)، وهو أقدمُ من ذكرهم ابنُ سلاّم حسبما انتهينا إليه.

---

(١) إبن سلاّم: طبقات فحول الشعراء ١: ٢٦.

(٢) أنظر دراستنا لأخبار أبي قِلابة الهُذَلِي في الباب الثاني من هذه الأطروحة.

(٣) إبن سلاّم: طبقات فحول الشعراء ١: ٢٦ ـ ٤٠.

ويبدو أنّ ابن سلاّم لم يكن يستهدف ذِكر جميع الأوائل الذين قالوا شعرًا، وكأنّه كان يعلم أنّ الشعر كان ينثال على كلّ لسان تقريبًا، لذا فالاستقصاء ليس غرضه، كما هو ليس غرضنا. ولكن «ما لا يُدْرَكُ كلُّهُ لا يُتْرَكُ جُلُّهُ». لذا فنحن هنا نقدِّم ما وصل إليه اجتهادنا، وما تمكنّا من إصابته من أسماء لشعراء أوائل.

وقد كان من هؤلاء مثلاً شاعرٌ هُذَلي مَرّ بنا اسمُهُ سابقًا، هو أبو قِلابة الهُذَلي، وقد ذكره مُصْعَب الزُّبَيْري (٢٣٦ هـ ـ ٨٥٠ م) في كتابه نَسب **قريش**، ونَعَتَهُ بأنّه كان أوّلَ مَن قال الشعر في هُذيل[١]، وأبياته عندنا (٣٩) بيتًا.

ويستوقفنا في القرن الثالث أيضًا كتاب **المعمرون** لأبي حاتم السجستاني (٢٥٠ هـ ـ ٨٦٤ م)، فهو يتيح للباحث في بدايات الشعر العربيّ، وللباحث عن أسماء شعراء عاصروا امرأ القيس أو تقدَّموه، أن يُصيبَ عددًا طيِّبًا من الرجال الذين عُزِيَ لهم شعرٌ مختلف فيه، فمنه ما هو موضع رِيْبة، ومنه ما هو موطن ثقة. ومن تلك الأسماء: المُعافِر ابن يَعْفُر بن مرّ، وقد رَوى له السجستاني ثلاثة أرجاز، قالها قبل أن يموت، هي:

أنا المُعافِرُ بنُ يَعْفُرَ بن مُرّ ولَستُ مِنْ ذِي يَمَنٍ بِغُرْ

لكنّني مُضَريٌّ حُرّ[٢]

والأضبط بن قُرَيْع السَّعْدي، وله خمسة أبيات[٣]. والمُسْتَوْغِر بن رَبِيْعة، وله أربعة أبيات[٤]. ودُوَيْد بن زَيْد بن نَهْد القُضاعي، وروى له صاحب **المعمرون** ثمانية أرجاز[٥]. وعَمْرو بن حَمَمَة الدَّوْسِي، وله خمسة أبيات[٦]. وكَهْمَس بن شُعَيْب الدَّوْسِي، وله ثمانية أبيات. وزُهَيْر بن جَناب الكَلْبِي، وله سبعة وعشرون بيتًا[٧]. وتَيْم ابن ثَعْلبة، وله بيت واحد[٨]. وعَبْدالله بن سُبَيْع الحِمْيَري، وله بيتان[٩]. والحارث بن

(١) مُصْعَب الزُّبَيْري: **نسب قريش** ٢١ ـ ٢٢.
(٢) السجستاني: **المعمرون** ٦.
(٣) م. ن ١١ ـ ١٢.
(٤) م. ن ١٢.
(٥) م. ن ٢٥.
(٦) م. ن ٢٨ ـ ٢٩.
(٧) م. ن ٣١ ـ ٣٦.
(٨) م. ن ٤٠.
(٩) م. ن ٤٣.

مضاض الجرهمي، وله ستة أبيات[1]. وعامِر بن الظَّرِب العَدْواني، وله ثلاثة أبيات[2]. وعبَّاد بن شدَّاد اليَرْبُوعي التَّمِيْمي، وله أربعة أبيات[3]. وعَبِيْد بن الأبْرَص الأسدِي، وله تسعة أبيات[4]. وطيّئ، وله ثلاثة أبيات، وبيتان من الرَّجَز[5]. وعَمْرو بن قَمِيْئة البكري، وأنشد له أبو حاتم ثلاثة أبيات[6]. والأفْوَه الأودِيّ، وله سبعة عشر بيتًا[7].

وقد كانت الأدلّة على قِدَم هؤلاء تختلف من شاعر إلى آخر، فمنها ما يعتمد على نَسَبِه، ومنها ما يقوم على صلتِهِ بشاعر آخر معروف، ومنها ما يتّكِئ على شهادات القدماء في سَبْقِه وتقدّمه. وقد اخترنا من هؤلاء الشعراء الستّة عشر، ستّةَ شعراء هم: الأضْبط بن قُرَيع، والمُسْتَوْغِر بن رَبيعة، ودُوَيْد بن زَيْد، وزُهَيْر بن جَناب، وعامِر بن الظَّرِب، وعبَّاد بن شدَّاد اليَرْبُوعِي. وأخبار هؤلاء مُفَصَّلة في ما يأتي من هذا البحث.

ومن مُصنِّفي القرن الثالث الهجريّ، بعد ابن هشام، وابن سلاَّم، ومُصْعَب الزُّبَيْري، والسِّجِسْتاني، نلتقي ابنَ قُتَيْبة (٢٧٦ هـ ـ ٨٨٩ م) الذي قال في أوائل الشعراء: «ولمْ يكنْ لأوائلِ الشعراء إلاَّ الأبيات يقولها الرجل عند حدوث الحاجة، فمن قديم الشعر قول دُوَيْدِ بن زَيد بن نَهْد القُضاعي:

الْيَومَ يُبْنَى لِدُوَيْدٍ بَيْتُهُ	لو كانَ لِلدَّهْرِ بِلىً أبْلَيْتُهُ
أو كانَ قِرْنِي واحِدًا كَفَيْتُهُ	يا رُبَّ نَهْبٍ صالِحٍ حَوَيْتُهُ

ورُبَّ عَبْلٍ خَشِنٍ لَوَيْتُهُ»[8]

ثمَّ مضى ابن قُتَيْبة فذكر مِن هؤلاء الأوائل: أعْصُرَ بنَ سَعْد بن قَيْس عَيْلان، والحارث بن كعب، وتحدَّث، من بعد، عن امرئ القيس بن حُجْر الكِنْدي[9]. فالشعراء الأوائل عنده ثلاثة. وإذا كان يشترك مع ابن سلاَّم في إدْراج اثنين منهما، فإنّه ينفرد عنه

(١) م. ن ٥٤.
(٢) م. ن ٥٦.
(٣) م. ن ٧٢.
(٤) م. ن ٧٥ ـ ٧٦.
(٥) م. ن ٩١.
(٦) م. ن ١١٢.
(٧) م. ن ١٣٠ ـ ١٣١.
(٨) إبن قتيبة: الشعر والشعراء ١: ١٠٤.
(٩) م. ن ١٠٤ ـ ١٠٥.

بالثالث، وهو الحارِث بن كَعْب، الذي قدَّرنا أنّه وُجِد في القرن الخامس الميلاديّ. وهؤلاء الثلاثة جميعًا هم من شعراء هذه الدراسة.

ويبدو أنّ قضيَّة أوائل الشعراء في أواخر القرن الثالث، صارت تُشكِّل ميدانًا للتأليف المنفصل، لذا وجدنا ابنَ طَيْفور (٢٨٠ هـ ـ ٨٩٣ م) يؤلِّف كتابًا يُسمِّيه: **أسماء الشعراء الأوائل**[1]. ولكنَّ هذا الكتاب ـ لسوء الحظّ ـ لم يصل إلينا، لذا لا نستطيع أن نعرف مَن هم أولئك الذين ذكرهم ابن طيفور، في كتابه المذكور، وإن كُنَّا نقدِّر أنّ بعضهم سبق أن ذكره علماء سابقون، كابن سلاَّم، وابن قتيبة. ونضيف عالمًا آخر، هو عُمَربن شَبَّة (٢٦٢ ـ هـ ٨٧٥ م) تَتلْمَذَ عليه ابن طيفور[2]. وسنرى رأْيَهُ في أوّليَّة الشعر بعد قليل.

ونقف مع نهاية القرن الثالث عند خَبرٍ ساقه ثَعْلَب (٢٩٠ هـ ـ ٩٠٢ م) في **مجالسه** ونصُّه: «قال الأصمعيّ: أوَّلُ مَنْ تُرْوَى له كلمة تبلغ ثلاثين بيتًا من الشعر، مُهَلْهِلٌ، ثمَّ ذُؤَيْب بن كَعْب بن عَمْرو بن تميم، ثمَّ ضَمْرة رجل من بني كِنانة، والأَضْبَط بن قُرَيْع، وأَنْشَد لذُؤَيْب بن عَمْرو بن تَمِيْم:

يـا كَـعْـبُ إنَّ أخـاكَ مُـنْـحَـمِـقٌ فـاشْـدُدْ إزارَ أخِـيْـكَ يـا كَـعْـبُ

وأنشد لضَمْرة:

يا ضَـمْـرُ أخْـبِـرني ولسْـتُ بفاعِـلٍ وأخـوكَ نـافِـعُـكَ الـذي لا يَـكْـذِبُ

وللأَضْبَط:

يـا قَـوْمُ مَـنْ عـاذِري مِـنَ الْـخُـدَعَـهْ أدْفَـعُ عَـنْ نَـفْـسِـهِ وَيَـخْـدَعُـنـي

وقال الأصمعيّ:

فـصِـلَـنَّ الـبَـعـيدَ إنْ وَصَـلَ الْـحَـبْــ ـلَ، واقْـطَـعَـنَّ الـقَـرِيْـبَ إنْ قَـطَـعَـهْ

هكذا سمعْتُ هذا البيت، قال: وكان بين هؤلاء وبين الإسلام أربعمائة سنة، قال وكان امرؤ القيس بعدَ هؤلاء بكثير»[3].

---

(١) إبن النديم: **الفهرست** ١٦٣، وياقوت الحموي: **مُعجم الأدباء** ٣: ٩٠.

(٢) ياقوت الحموي: م. ن ٣: ٨٧.

(٣) ثَعْلَب: مجالس ثعلب ٢: ٤٧٩ ـ ٤٨٠، والسيوطي: **المُزْهِر** ٢: ٤٧٧.

فالأوائل عند الأصمعي أربعة شعراء هم: مُهَلْهِل، وذُؤَيْب بن كَعْب، وضَمْرَة الكناني، والأَضْبَط بن قُرَيْع. وقد تبيَّن لنا من مناقشة هذا الخبر، في الباب الثالث، أنّ ضَمْرَة الكِناني هو ـ على الأرجح ـ هُنَيّ بن أحْمَر الكِناني[1]. وكذلك اتَّضح لنا أنَّ هؤلاء رُبَّما كانوا قبل الإسلام بزمن ما، ولكنّهم ليسوا قبلَه بأربعمائة سنة على أيّة حال.

٣ ـ الشعراء الأوائل في مُصَنَّفات القرن الرابع الهجريّ (العاشر الميلاديّ)

وإذا ما انتقلنا إلى القرن الرابع الهجريّ، وجدنا مجموعة كبيرة من الرواة والعلماء قد عرضوا لمسألة البدايات وأخبار الشعراء، لعلَّ أبرزهم: أبو زيد القُرشي (توفّيَ ما بين سنتَي ٣٠٠ و٣١٠ هـ أو ٩١٢ ـ ٩٢٢ م)[2]. وأبو حاتم الرازي (٣٢٢ هـ ـ ٩٣٣ م). والمسعوديّ (نحو ٣٤٦ هـ ـ ٩٥٧ م)، وأبو الفرج الأصفهاني، وأبو أحمد العسكري (٣٨٢ هـ ـ ٩٩٢ م)، وأبو هلال العسكري (٣٩٥ هـ ـ ١٠٠٤ م). وثمّة عالمان ألّفا كتابَين وقفاهُما على الشعر والشعراء، وقد وصلا إلينا، وهما: **المُؤتَلِف والمُختلف**، للآمدي (٣٧٠ هـ ـ ٩٨٠ م)، **ومعجم الشعراء**، للمرزباني (٣٨٤ هـ ـ ٩٩٤ م). لذا وقفنا عندهما وفق تسلسهما الزمنيّ في مؤلّفات هذا القرن المختارة.

ونبدأ بأبي زَيد القرشي، فنجده يقول، تحت عنوان: (أوَّلُ مَن قال الشعر): «أخبرَنا أبو عبدالله، المُفضَّل بن عبدالله بن محمّد المُجَبِّري قال: سألتُ أبي: مَن أوَّلُ مَن قال الشعر؟ فأنشَدَني هذه الأبيات:

تَغَيَّرَتِ البِلادُ ومَنْ عَلَيْها ... فَوَجْهُ الأرْضِ مُغْبَرٌّ قَبِيْحُ
تَغَيَّرَ كلُّ ذِيْ لَوْنٍ وطَعْمٍ ... وَقَلَّ بشاشَةَ الوَجْهُ الصَّبِيْحُ
وجاوَرَنا عَدُوٌّ لَيْسَ يَفْنَى ... لَعِينٌ لا يموتُ فنَسْتَرِيْحُ
أهابِلُ إنْ قُتِلْتَ فإنَّ قَلْبي ... عليكَ الْيَوْمَ مُكْتَئِبٌ قَرِيحُ

قال: ثمَّ سمعتُ جماعةً من أهل العلم يأثرون أنّ قائلها آدَمَ ﷺ، حين قتل ابنُه

(١) أنظر أخبار ضَمْرة الكناني، أو هُنَيّ بن أحْمَر الكِناني في الباب الثالث من هذه الدراسة.

(٢) أنظر تحقيق وفاة أبي زَيْد القُرَشي في مقدّمة الدكتور محمّد علي الهاشميّ، لِجَمْهَرة أشعار العرب ج ١ ص ٢٧.

قابيلُ هابيلَ. والله أعلم. ويُقال إنّ إبليسَ، لعنهُ الله، أجابه، فقال:

تَـنَـحَّ عـن الـبِـلادِ وسـاكـنِـيْـهـا فَـقَـدْ في الخُلْـدِ ضاقَ بكَ الفَسِيْـحُ
وكـنْـتَ بـهـا وزوجُـكَ فـي رخـاءٍ وقـلـبُـكَ مِـنْ أذى الـدُّنـيـا مـريْـحُ
فـما بَـرِحَـتْ مكـايَـدَتِـي ومَـكْـرِي إلـى أنْ فـاتَـكَ الـثـمـنُ الـرَّبـيـحُ
ولـولا رحـمـةُ الـرحـمـن أمْـسـى بكفِّـكَ من جِـنانِ الخُلْـدِ رِيْـحُ»[1]

ثمَّ يسوق أبو زَيد أشعارًا لِجبْرِيْلَ، ولمعاوِيَةَ بن بَكْر، ولمَرْثد بن سَعْد بن عُفَير، وهو من أصحاب هُوْد النبيّ عليه السلام، ومَيْدَع بن هَرِم من ولد عَوْض بن إرَم بن سام بن نُوْح، وهو من مُسْلِمِي ثَمُود[2]. وينتقل إلى ذكر نماذج من شعر الجنّ وشياطين الشعراء[3]. ونُعْرِض هنا عن إيراد نماذج كثيرة من أشعار هؤلاء، مُرْجِئِين ذلك إلى مكانه في البحث، بيدَ أنّنا نشير إلى أنّ هذه الأشعار تُحاكي أشعار عاد، وثَمُود، وتبّع، وحِمْيَر، التي أسقطها ابن سلاّم من قبل[4].

ولكن أبا زيد يسوق، في موضعٍ آخر من فاتحةِ كتابه، خبرًا عن أبي عُبَيْدَة، يقول: «قِيل لأبي عُبَيْدَة: هل قال الشعرَ أحدٌ قبلَ امرئ القيس؟ قال: نَعَمْ، قَدِمَ علينا عشرون رجلاً من بني جَعْفر بن كِلاب من أهل البادية، فكنَّا نأتيهم، ونكتب عنهم ما قالوا، ونسألهم عنه وعن قائله، فقالوا: مَن ابنُ حِذام؟ قُلْنا: ما سمعنا به، قالوا: بل قد سمعنا ورجونا أن يكون عندكم منه عِلمٌ، لأنّكم أهل أمصار. ولقد بكى في الدمن من قبل امرئ القيس، وهو الذي يذكره امرؤ القيس في شعره الذي يقول فيه:

عُـوْجـا خَـلَـيْـلَـيَّ الـغَـداةَ لَـعَـلَّـنـا نبكي الدِّيارَ كَمَا بَكَى ابْنُ حِذامِ»[5]

ويسكت الخبر هنا. وبذا يكون أبو زيد قد أشار إشارةً خاطفة إلى هذا الشاعر، الذي صيَّرناه أحد شعراء مجموعتنا، ولكنّه لم يفصِّل القول فيه.

أمّا أبو حاتم الرازي فقد سمّى مجموعة من الأوائل، هم: ١ ـ دُوَيْد بن زَيد ٢ ـ

(١) أبو زيد القرشي: جمهرة أشعار العرب ١: ١٤٠ ـ ١٤١.
(٢) م. ن ١٤٢ ـ ١٤٥.
(٣) م. ن ١: ١٦٥ فما بعدها.
(٤) أنظر ابن سلاّم: طبقات فحول الشعراء ١: ٢٦.
(٥) القرشي: م. س ١: ١٨٥ ـ ١٨٦.

أغْصُر بن سَعْد بن قَيْس عيلان ٣ ـ زُهَيْر بن جَناب الكلبي ٤ ـ جَذِيْمة الأبْرَش ٥ ـ لُجَيم بن صَعْب ٦ ـ مَعْدِي كَرِب الحِمْيَري.

وبعد أن فرغ من هؤلاء، ذاكرًا لكلٍّ منهم مثالاً من شعره، حذا حذوَ ابن سلاّم، فقال: «وإنّما إنشاء الشعر أيّام هاشِم وأيّام عَبْد المُطّلب، فقصَّدوا القصائد وطوَّلوها. قال: وأوَّلُ مَن قصَّد القصائد، وذكر الوقائع، مُهلْهِلُ بنُ رَبِيْعة التَّغْلبِي في قَتْل أخيه كُلَيْب قَتَلَتْه بنو شَيْبان»[1]. وقد نصَّ الرازي على أنَّ مصدره هو **طبقات فحول الشعراء**، ولكنّه زاد على ما طُبع من (الطبقات) اسمَي شاعرَين، هما: لُجَيْم بن صَعْب، ومَعْدِي كَرِب الحِمْيَري، فنبَّه على ذلك مُحقِّق (الطبقات) في حواشيه. وقد جعلنا (مَعْدِي كَرِب الحِمْيري) أحد شعراء مجموعتنا المختارة، على الرغم ممّا أحاط بشخصيَّته من غموض واضطراب، وما اكتنف مشكلة تعرُّف زمانه من مشقّة وعقبات، غير أنّ الرازي، وغيره من الرواة، لم يذكروا ـ فيما نعلم ـ لِلُجَيْم بن صَعْب سوى بيتٍ واحد، هو:

إذا قـالَـتْ حَـذامِ فَـصَـدِّقُـوهـا فـإنّ الـقـولَ مـا قـالـتْ حَـذامِ

وهو بيت ينازعه فيه شعراء كثيرون، منهم زُهَيْر بن جَناب الكلبي. وكذلك لم يذكر الرازي، ولا غيره من الرواة، لمعدي كرب الحميري، سوى هذين البيتَين:

أَرانـي كُـلَّـمـا أَفْـنَـيْـتُ يـومًـا أتـانِـي بـعـدَهُ يـومٌ جـديـدُ
يَـعُـوْدُ شَـبـابُـه فـي كـلِّ يـومٍ ويـأْبَـى لـي شَـبـابي مـا يـعـودُ[2]

ويقتضي عرضُنا هذا أن نذكر أنّنا صادفنا عند المسعودي (نحو ٣٤٦ هـ ـ ٩٥٧ م)، خبرًا يُستَنتج منه قِدَم شاعر جاهليّ، هو لَقِيْطُ بنُ يَعْمُر الإيادي. ولكنّ هذا الخبر مَدْخُوْل مدفوع، لأنّه يجعل (لقيطًا) من رجال القرن الرابع الميلاديّ. والحقّ أنّه من رجال القرن السادس وبعض السابع الميلاديَّين. فقد قال المسعودي: «ثمّ مَلَكَ بعد هِرْمِز ابن نَرْسي، سابورُ بن هرمز، وهو سابور الأكتاف... فغَلَبت العربُ على سواد العراق... وكانت جمهرة العرب مِمّن غلب على العراق وَلَدُ إياد بن نزار، ومَلِكُها يومئذ الحارثُ ابن الأغرّ الإيادي. وكان في حَبْس سابور (لعلّها في جَيْشِ) رجلٌ منهم يقال له

(١) أبو حاتم الرازي: الزينة في الكلمات الإسلاميّة ١: ٣٥ ـ ٣٧.
(٢) م. ن ١: ٣٧.

(لقيط)، فكتب إلى إياد شعرًا ينذرهم به، ويعلمهم خبرَ مَن يقصدهم، وهو:

سَلامٌ في الصَّحِيفةِ مِنْ لَقِيْطٍ ... عَلى مَنْ في الجزيرةِ من إيادِ

فإنَّ اللَّيْثَ يأتيكُمْ دِلافاً ... فلا يَحْسَبْكُمُ شَوْكَ القَتادِ

... فلم يُعْبَأ بكتابه، وسراياهُ تكرُّ نحو العراق، وتُغِير على السواد، فلمَّا تجهَّز نحوهم، أعاد إليهم كتابًا يخبرهم فيه أنّ القوم قد عسكروا وتحشّدوا لهم، وأنّهم سائرون إليهم، وكتب لهم شعرًا، أوّله:

يا دارَ عمرةَ مِنْ تذكارِها الْجَرَعا ... هَيَّجْتِ لي الهَمَّ والأَحْزانَ والْوَجَعَا

... إلخ»[١].

وطِبقًا لهذا الخَبَر يصبح (لقيط) مُعاصرًا لسابور ذي الأكتاف (٣٧٩ م). وحقيقة الأمر أن لقيطًا لم يكن قد وُجِد في هذا التاريخ، فهو نظم قصيدته العينيَّة، التي يُعَدُّ البيت السابق من أبياتها، في يوم ذي قار، وذلك لتحذير قومه من الفرس ونواياهم العدوانيَّة، فقد قال ابن عَبْد رَبّه (٣٢٨ هـ ـ ٩٣٩ م): «وكَتَبَ لقيط الإيادي إلى بني شيبان في يوم ذي قار شعرًا يقول في بعضه:

قُومُوا قِيامًا على أمْشاطِ أَرْجلِكُمْ ... ثُمَّ افزعوا، قَدْ يَنالُ الأمْرَ مَنْ فَزِعا

وَقَلِّدوا أمرَكُمْ ـ للهِ دَرُّكُمُ ـ ... رَحْبَ الذِّراعِ بأَمْرِ الحَرْبِ مُضْطَلِعا»[٢]

وقد وقع يوم ذي قار في مطلع القرن السابع الميلاديّ. والعجيب أنّ المسعودي نفسه يعود، بعد صفحات من خبره المُشكل السابق، إلى القول: «وكانت وقعة ذي قار لتمام أربعين سنة من مولد رسول الله ﷺ، وهو بمكّة، بعد أن بُعِثَ، وقيل بعد أن هاجر، وفي رواية أخرى أنّها كانت بعد وقعة بدر بأشهر»[٣].

وزمن ذي قار هذا، هو الزمن الذي سبق للطَّبري وغيره من المؤرِّخين أن أخذوا

---

(١) المَسْعُودي: مُرُوج الذهب ١: ٢٥٤ ـ ٢٥٥، وانظر النُّوَيْري: نهاية الأَرَب ١٥: ١٧٣ حيث ينقل النويري الخبر ذاته دون تَمْحيص.

(٢) إبن عَبد رَبّه: العقد الفريد ٥: ٢٦٨، وانظر خَبَرَ وقعةِ ذي قار في الأصفهاني: الأغاني ٢٤: ٥٣ فما بعدها، وياقوت: معجم البلدان (قار)

(٣) المسعودي: م. س ١: ٢٧٨، والنويري: م.س ١٥: ٤٣١ وهنا يفعل النُّوَيْري كما فعل المَسعودي، وكأنّه ينقل عنه حرفيًا.

به[1]. وانسياقًا مع خبر المسعودي الأوّل المضطرب، زعم الباحث المعاصر (عَبد العزيز المزروع الأزهري) أنّ سابور زحف على الإياديِّين سنة ٣٢٥ م، لذا فإنّ قصيدة (لقيط) العينيَّة وكذلك الداليَّة، قِيلَتا سنتئذٍ! وهكذا توهَّمَ، وجَزَمَ، دون أدنى حَذَر، أنّ لقيطًا وُلِدَ سنة ٢٨٧ م![2].

ومثلُ ذلك عدّ (خليل إبراهيم العطيَّة) (لقيطًا) من رجال القرن الرابع، مُعتمِدًا في ذلك على **دائرة المعارف الإسلاميَّة**، **والأعلام** للزركلي[3]، ولا شكَّ في أنّ تأريخ هذه المراجع جميعها لزمان لقيط بن يعمر الإيادي لا يصمد للتحقيق العلميّ، كما أوضحنا[4].

ونشير أخيرًا إلى أنّنا في كتاب **مُرُوج الذهب**، هذا الذي وقفنا عنده، نقع على أبيات منحولة كثيرة معزوَّة إلى يَعرُب بن قحطان، وعاد، وجَدِيس، وعِمْلاق، وطَسْم، وجُرْهُم، وأُمَم، ومعاوية بن بَكْر، ومَرْثَد بن سعد، وحارِثة بن كَلِمُن[5]. وستكون لنا وقفة عند هذه الأشعار في فصل توثيق شعر الأوائل.

وفي القرن الرابع الهجريّ نصادف أعظم مُصنَّف عربيّ في تراجم الشعراء وأخبارهم، وهو كتاب **الأغاني**، لأبي الفرج الأصفهاني (٣٥٦ هـ ـ ٩٦٦ م)، فثمَّة عدد غير قليل من الشعراء الأوائل ورد لهم خبر، أو شعر في هذا المصدر الكبير. وإذا كُنّا لم نقع فيه على خبر محدّد يناقش قضيَّة الأوائل بدقَّة، ويذكر أسماءَهم مجتمعين بانتظام، كما هي الحال عند ابن سلاّم، أو ابن قُتَيْبة، أو الرازي، فإنّنا لا نستطيع أن نتجاوزه في أثناء دراستنا لأخبار هؤلاء، ذلك لأنّه حوى فصولاً تطول أو تقصر، وإشارات وجيزة عابرة، أو طويلة متأنيَّة، عن كلٍّ من: ١ ـ خُزَيْمة بن نَهْد القضاعي ٢ ـ الأضْبَط بن قُرَيْع السعدي ٣ ـ أُحَيْحَة بن الجُلاح الأوْسِي ٤ ـ زُهَير بن جَناب الكلبي ٥ ـ الفِنْد الزِّمّاني، ٦ ـ المُهَلْهِل التغلبي ٧ ـ سَعْد بن مالِك البكري ٨ ـ عَبيد بن الأبرص الأسدي ٩ ـ عَمْرو بن قَمِيئة البكري ١٠ ـ خُزَز بن لوذان السدوسي ١١ ـ

---

(١) أنظر الطبري: **تاريخ الأمم والملوك** ٢: ١٩٣، وياقوت: م.س (قار)، وعبد المُنعِم الحميري: **الروض المِعْطار** ٢٦٢، والآمدي: **المؤتلف والمختلف** ٢٢٦.

(٢) عبد العزيز الأزهري: **الأسس المبتكرة لدراسة الأدب الجاهليّ** ٢٠٣.

(٣) أنظر **ديوان لقيط بن يعمر** ــ (تحقيق العطيّة) ٩.

(٤) أنظر م. ن (تحقيق محمّد عبد المعين خان) ١٧ ــ ١٨.

(٥) المسعودي: **مروج الذهب** ٢: ٤٥، ٤٦، ٥٠، ٥٢، ١٣٣ ــ ١٥٢.

عامِر بن الظَّرِب العُدواني ١٢ ــ الأفوَه الأودي... إلخ[١]. وهي فصول أو أخبار ضمَّتْ أنسابًا، أو أشعارًا، أو قرائن أخرى، أعانتنا على تحديد تقريبي لأزمنة هؤلاء، وأسعفتنا في التحقّق من أوّليَّتهم، وسبقهم الزمنيّ.

كما عرفنا من خلال هذا المصدر الهامّ أسماء شعراء آخرين قالوا شعرًا في الزمن الذي عاش فيه الذين جعلناهم عماد دراستنا في البابَيْن الثاني والثالث، ففي حديث أبي الفرج عن خُزَيْمة بن نَهْد القضاعي، وتفرُّق قُضاعة، نقرأ أبياتًا لشعراء معاصرين له، مثل مالِك بن زُهَيْر القضاعي، والزرقاء بنت زهير القضاعية، وعَمْرو بن مالك التزيدي القضاعي، والحارث بن قُراد البهراني القضاعي[٢]. كما نقرأ في ثنايا أخبار الفِنْد الزِّماني شعرًا لابنتَيْهِ اللتين قالت أولاهما:

وَعَــا وَعَــا وَعَــا وَعَــا حَــرُّ الجُوادُ والْــتَــظَــى
وُمِــلـئَــتْ مـنـهُ الــرُّبــى يــا حَــبَّــذا يــا حَــبَّــذا
المُلْحِقونَ بالضُّحَى

وقالت ثانيتُهما:

إنْ تُــقْــبِــلــوا نُــعــانِــقْ ونَــفْــرِشِ الــنَّــمــارِقْ
أو تُــدْبِــرُوا نُــفــارِقْ فِــراقَ غــيــرِ وَامِــقْ

وكذلك ساق أبو الفرج الأصفهاني لعوف بن مالك، أخي سَعد بن مالِك البكري قوله:

أنــا الــبُــرَكْ أنــا الــبُــرَكْ أنْــزِلُ حــيــثُ أُدْرَكْ[٣]

وهناك شعر كثير لأناس من تَغْلِب، ومن بَكْر، قيل في حرب البَسُوس، يشبه شعرَ الفِنْد، وشعر سَعْد بن مالك البكريّيْن، اللذين انتزعناهما من دائرة الشعر في حرب البسوس[٤]، هذا الشعر الذي كان وحده موضوعًا لرسالة علميَّة قائمة بنفسها[٥]. وكلّ

(١) أخبار هؤلاء في الأغاني مرتبة وفق ترتيبهم في المتن ١ ــ ١٣: ٧٨ ــ ٨٣، ٢ ــ ١٨: ١٢٧ ــ ١٣٠ ــ ٣ ــ ١٥: ٣٧ ــ ٥١، ٤ ــ ١٩: ١٤ ــ ٢٩، ٥ ــ ٢٤: ٩١ ــ ٩٦، ٦ و٧ ــ ٥: ٣٤: ٢٦، ٨ ــ ٢٢: ٨١ ــ ٩٥، ٩ ــ ١٨: ١٣٨ ــ ١٤٥، ١٠ ــ ١٠: ١٨٠، ١١ ــ ٤: ٣٠٥، ١٢ ــ ١٢: ١٦٩ ــ ١٧١.

(٢) الأصفهاني: الأغاني ١٣: ١٧ فما بعدها.

(٣) م. ن ٢٤: ٩٤ ــ ٩٥.

(٤) م. ن ٥: ٣٤ ــ ٦٤.

(٥) الرسالة هي الشعر في حرب البسوس، وصاحبها عبد العزيز نبوي، وقد قدَّمها إلى إحدى الجامعات المصريَّة، عام ١٩٧٠.

ما سبق، وما سيأتي، يُؤكّدان أنّ الاستقصاء في جمع شعر الأوائل، وتحقيقه، ودراسة أخبار أصحابه، ليس في طوق باحث واحد، لذا لجأنا إلى الاختيار والتمثيل، نجاةً من هذا الفيض، الذي نحن فيه...!

ولو مكثنا قليلاً عند كتاب **الأغاني**، لرأَيْنا أيضًا أنّ أبَا الفرج قد أفادنا في أثناء كلامه على زهير بن جناب أنّ هُبَل بن عبدالله ــ جدّ زهير ــ كان يقول شعرًا، من ذلك مثلاً قوله:

يا رُبَّ يومٍ قَدْ غَنِي فيهِ هُبَلْ لَهُ نَوالٌ ودُرُوزٌ وجَذَلْ
كأَنَّهُ في العِزِّ عَوْفٌ أو حَجَلْ[1]

وقد أدرَجْنا هُبَلَ بن عبدالله هذا بين شعرائنا الأوائل. وفي **الأغاني** أيضًا نقرأ شعرًا كثيرًا يُعْزَى إلى طَسْم، وَجدِيس، وتُبَّع، وأمثال هَزِيلة الجديسيّة، وعَفِيْرة بنت عبّاد أخت الأسود الذي سكن جَبَلَيْ أجأ وسلمى فقتلتْه طيّئ في غابر الزمان... وحلَّت محلّه، وشعرًا لهذا الأسود نفسه[2]... ونلتقي أيضًا شعرًا للتبّع حسّان بن تبَّع، وصاحبه ذي رُعَيْن[3]. وشعراً لبعضِ الجَراهمة الذين من أبرزهم مضاض بن عمرو الجرهمي القائل:

كأَنْ لَمْ يَكُنْ بين الحَجُون إلى الصَّفا أنِيسٌ ولَمْ يَسْمُرْ بِمكّةَ سامِرُ

وهي خمسة عشر بيتًا[4]. وقد مَرَّ بنا أنّ هذه الأبيات لعمرو بن الحارث الجُرْهمي، كما في **السّيرة** وفي غيرها من المصادر[5].

ونقرأ في **الأغاني**، عَرَضًا، شعرًا قليلاً لبعض آباءِ الرسول عليه السلام فقد ذكر أبو الفَرجَ لكعْب بن لُؤيّ، وهو الأب الثامن للرسول ﷺ، هذَين البيتَين في رثاء أخيه سامةَ بن لُؤيّ:

عَيْنُ جُوْدِي لسامةَ بنِ لُؤيٍّ عَلِقَتْ ساقَ سامةَ العلاَّقَهْ

---

(١) الأصفهاني: **الأغاني** ١٩: ٢٤.
(٢) م. ن ١١: ١٦٣ ــ ١٦٩.
(٣) م. ن ٢٢: ٣١٦ ــ ٣١٩.
(٤) م. ن ١٥: ١٨ ــ ١٩.
(٥) أنظر ابن هشام: **السيرة** ١: ١١٤ ــ ١١٦، والأزرقي: **أخبار مكّة** ٥٦ ــ ٥٧، وابن كثير: **البداية والنهاية** ٢: ١٨٦.

رُبَّ كـأْسٍ هَـرَقْـتَـهـا ابـنَ لُـؤيٍّ حَـذَرَ الموتِ لم تـكـنْ مُـهْـرَاقَـهْ[1]

ونقف هنا، لأنّ الحديث عن الأوائل في **الأغاني** أحرى بفصلٍ طويل مستقلّ.

وننتقل إلى كتاب آخر من القرن الرابع وقفه مؤلِّفهُ على الشعراء وضَبط أسمائهم، هو **المُؤتَلِف والمُختَلِف** للآمدي (٣٧٠ هـ ـ ٩٨٠ م). وقد تمكّنًا من استخلاص خمسة عشر شاعرًا، لدينا أدلّة على قِدَمهم، من بينهم ستّة شعراء يشكّلون قسمًا من شعراء هذه الدراسة، وهم: ١ ـ امرؤ القيس بن الحُمام ٢ ـ جَذِيمة الأبْرَش ٣ ـ مُرَّة ابن الرُّواغ (أو الرّواع) ٤ ـ كَعْب بن الرُّواغ (أو الرُّوَّاع) ٥ ـ زُهَيْر بن جَناب ٦ ـ عامِر بن الظَّرِب العَدواني. أمّا التسعة الآخرون فهم: ١ ـ عَبِيْد بن الأبْرص ٢ ـ ثَوْب بن النار بن عُبادة ٣ ـ الضبَّان بن النار ٤ ـ القَعْقاع بن النار. وأبناء النار هؤلاء كانوا من زمنِ امرئ القيس بن حُجر الكندي. ٥ ـ جارِية بن مُرّ الطائي ٦ ـ خُزَز بن لُوذان ٧ ـ مُحَمَّد بن حُمْران بن أبي حُمْران ٨ ـ عَمْرو بن مَعْدِي كرب الزبِيْدي الأكبر ٩ ـ عَمْرو بن قَمِيْئة البكري[2].

ونصادف قبل نهاية القرن الرابع الهجريّ، الذي ما زِلنا مع مؤلّفاته، خبرًا طويلاً، نسبيًّا، عن الأوائل جاء في كتاب **شَرْح ما يقع فيه التصحيف والتحريف**، فقد جمع أبو أحمد العسكري (٣٨٢ هـ ـ ٩٩٢ م) أخبارًا كثيرة عن الأوائل. وكانت ميزته فيها أنّه ساقها بروحٍ نقديَّة طيِّبة.

ويمكن لنا في ضوء ما تقدّم أن نُصنِّف حديث أبي أحمد العسكري عن الأوائل في أربع أفكار رئيسيَّة:

أوْلاها : حديثُهُ عن أبي دُؤاد الإيادي وقِدَمِه.

وثانيتها : حديثُهُ عن مُهَلْهِل وامرئ القيس وزمانهما.

---

(١) الأصفهاني: م. س ١٠: ٢٠٣. وقد عُزِي هذان البيتان مع خمسة أُخَر لسامة بن لؤي في ابن هشام: **السيرة** ١: ٩٧ ـ ٩٨. وانظر فيهما الوزير المغربيّ: **الإيناس في علم الأنساب** ١٧٥ ـ ١٧٦، **وأمالي الزجاجي** ٣٤، **واللسان** (فوق). وروى مؤلّف الإيناس أنّ الرسول ﷺ أطلق على سامة بن لؤي صفة الشاعر ـ **الإيناس** ١٧٦.

(٢) أنظر أخبار هؤلاء التسعة، والأدلّة على قِدَمهم، في صفحات **المؤتلف والمختلف** الموافقة لترتيبهم في المتن ١ ـ ص ٦٣، ٢٢٧. ٢ ـ ٤ أبناء النار ص ٩٣ ـ ٩٤ ٥ ـ ص ١٣٩ ـ ١٤٠. ٦ ـ ص ١٤٣، ٧ ـ ص ٢٠٨، ٨ ـ ص ٢٣٣، ٩ ـ ص ٢٥٤.

وثالثتها : نَصُّ عُمَر بن شَبَّة عن أوّليَّة الشعر، ودعاوى القبائل في ذلك، وانتهاؤه إلى القول: إنّ زهير بن جَناب الكلبي أقْدَم من مُهَلْهِل.

ورابعتها : ولعلّها أهمّها جميعًا، إشارتُهُ إلى ثُلَّة من الشعراء سَبَقُوا مُهَلْهِلاً ومعاصريه، مثل دُوَيْد بن زَيْد، وُخُزَيْمة بن نَهْد، وأَعْصُر بن سَعْد.

فقد ذكر العسكري أبا دؤاد وادّعاء قومه بتقدّمه، وعرضَ حجّتهم في ذلك، فقال: «ويحتجُّون بقوله، وهو في أيّام سابور ذي الأكتاف:

على رغمِ سابورَ بنِ سابورَ أصبحتْ قِبابُ إيادٍ حولَها الخَيْلُ والنَّعمُ

وكان لأبي دُؤاد أخوان يقولان الشعر، اسمهما ماريّة وآريّة. واسم أبي دُؤاد جارية بن الحجّاج»[1]. ولنناقِشْ زعم إياد بتقدّم شاعرها أبي دُؤاد، فسبقه لامرئ القيس ابن حُجْر مُمْكِن، ذلك لأنّ الأخير كان راوية الأوّل. وفي ذلك يقول ابن رَشِيْق (٤٦٣ هـ ـ ١٠٧٠ م): «وكان امرؤ القيس راوية أبي دؤاد الإيادي، مع فَضْل نَحِيْزة، وقوّة غريزة، ولا بُدَّ مع ذلك أن يلوذَ به في شعره، ويتوكّأ عليه كثيرًا»[2]. ومن المعروف أنّ راوية الشاعر أحدَثُ عهدًا منه في قرض الشعر، وربّما أصغر منه سنًّا. ولكن من المستبعد أن يكون أبو دؤاد معاصِرًا لسابور ذِي الأكتاف (٣٧٩ م)، فقد كان على خيل المنذر بن ماء السماء (٥٥٤ م). وقد أرّخ (غرونباوم) لحياته بين سنتَي ٤٨٠ م بدايةً، و٥٤٠ أو ٥٥٠ نهايةً[3].

وممّا ذكره أبو أحمد العسكري من مبالغات الرواة وأغاليطهم خَبَرٌ عن ابن الأعرابيّ، يقول: «إنّ مُهَلْهِلاً قبل امرئ القيس بمائة سنة أو أكثر، وإن بين مهلهل والإسلام أربعمائة أو ثلاثمائة سنة»[4]. وهذا خبر مضطرب، وفيه مبالغة كُبرى، فالمعروف أنّ مهلهلاً هو خال امرئ القيس، ومن المستبعد أن يفصل بين الخال وابن الأخت مئة سنة. وكذلك من المحال أن يكون بين مهلهل والإسلام أربعمائة عام، لأنّ مهلهلاً بقي حيًّا إلى أن وضعت حربُ البسوس أوزارها نحو السنة ٥٢٥ م[5]. فهو إذًا

(١) أنظر: أبا أحمد العسكري: شَرْح ما يقع فيه التصحيف والتحريف ٤٢٥ . والبيت المذكور ليس في ديوان أبي دُؤاد المطبوع.
(٢) إبن رشيق: العُمْدة ١: ١٩٨ .
(٣) أنظر غرونباوم: دراسات في الأدب العربيّ ٢٥٧، وسزكين: تاريخ التراث العربيّ مج ٢ (١: ١٠٥).
(٤) أبو أحمد العسكري: شَرْح ما يقع فيه التصحيف ٤٢٥ .
(٥) عُمَر فروخ: تاريخ الجاهليّة ٩٨ .

لم يكن بعيدًا عن زمن مجيء الإسلام بأكثر من مئة وخمسين سنة. والشيء ذاته يمكن أن نقوله عن المرقّش الذي يَروي العسكري، بسنده، أنّه قبل الإسلام بثلاثمائة عام! ولكن العسكري، والحق يقال، أبدى تشكُّكًا واضحًا في صحّة هذا الخبر، فقال: «وهذا أحسبه حكاه عن ابن الأعرابيّ عن شرقيّ بن القطامي، أو ابن الكلبي. وعلماء البصرة أضبط لمثل هذا. وأصحّ أخباراً وأكثر تحصيلاً»[1].

والفكرة الثالثة في حديث العسكري عن الأوائل تتمثّل بما جاء في النص الثمين الذي نُقل عن عُمَر بن شبّة، صاحب كتاب **طبقات الشعراء** المفقود، وهو: «قال أبو زيد: للشعر والشعراء أوّلٌ لا يُوقَف عليه، وقد اختلف في ذلك العلماء، وادَّعت القبائل كلّ قبيلة لشاعرها أنّه السابق. ولم يدَّعوا ذلك لقائل البيتَين والثلاثة لأنّ أولئك لا يُسَمُّون شعراء، حتّى يقول أحدُهم الشِعرَ بعد الشعرِ، فادّعت بنو أسدٍ لِعَبِيْدِ بن الأبْرَص، وتَغْلِبُ لِمُهَلْهِل، وبَكْر لعَمْرو بن قَمِئَية والمرقّش الأكبَر، وإياد لأبي دُؤاد، واليمانيّة لامرئ القيس، واحتجُّوا في تقدّم بعض هؤلاء بعضًا بأشعار لِلَبِيْد، ولحارثة بن بَدْر، وللفرزْدَق..»[2].

وواضح هنا أنّ العصبيَّة القبليّة كانت وراء خَلْع كلّ قبيلة بُرْدَ الأسبقيَّة على شاعر من شعرائها قديم. ومضى أبو أحمد العسكري ينقل مناقشة أبي زَيْد ــ عمر بن شبّة لأوليّة مُهلْهِل، ويبدِّد الوهم المحيط بها، فيقول: «قال أبو زَيْد: وليس في هذه الأشعار ما يدلّ على الأقدم فالأقدم منهم. وقد قال الشعر مع مُهلْهِل في حرب البسوس غير واحد، منهم جسَّاس بن مُرَّة بن ذُهل بن شَيْبان، قال لأبيه:

تأهَّبْ عنكَ أُهْبَةَ ذي امْتِياحِ   فإنَّ الأمْرَ جَلَّ عن التَّلاحِ
وإنّي قَدْ جَنَيْتُ عليكَ حَرْبًا   تُغِصُّ الشَّيْخَ بالماءِ الْقُراحِ

فيُقال إنّ أباه قال يُجيْبُهُ:

إنْ تَكُ قَدْ جَنَيْتَ عليَّ حَرْبًا   فلا وَكِلٌ ولا رَثُّ السِّلاحِ
سألبسُ ثَوْبَها وأذبُّ عنّي   بها ثوبَ المذَلّةِ والوَقاحِ

ويُقال إنّ هذين مصنوعان»[3].

---

(١) أبو أحمد العسكري: م. س ٤٢٥ .

(٢) العسكري: شَرْح ما يقع فيه التصحيف ٤٢٦ .

(٣ و٤) م. ن ٤٢٧ . والمُلاحَظ هنا أنّ الحديث عن سَبْق مُهَلْهِل ينصبُّ على الناحية الزمنيّة، أمّا ما =

ويَرْوي العسكري بعدئذٍ رأي أبي زيد الذي يدفع القول بتقدُّم مِهلهل، وهو: «قال أبو زيد: ومِمّا لا شكٌّ فيه أنّ زُهَيْرَ بن جَناب الكلبي أقدم من مهلهل، وله أشعار كثيرة جيّدة منها:

أَلْـمَـوْتُ خَـيْـرٌ لِـلْـفَـتَـى ... فَـلْـيَـهْـلـكَـنْ وبـهِ بَـقِـيَّـهْ

مِـنْ أنْ يُـرَى الـشَّـيْـخَ الـبَـجـا ... لَ وقَـدْ تَـهـادَى بـالـعَـشِـيَّـهْ»[٤]

والفكرة الرابعة في شَرْح ما يقع فيه **التصحيف** تتّصل بالثالثة، إذ تتضمَّن الإشارة إلى أنّ جماعةً من الناس سبقت مُهلْهِلاً، وزهيرًا، وأبا دؤاد، وابن قَميئة، وامرأ القيس، والأفْوَه الأودي، والمرقّش. وتتجلّى تلك الفكرة في هذه العبارات: «قال الشيخ: وقد قال قبل هؤلاء الشعراء جماعةٌ، ولا يسمُّون شعراء، لأنّهم قالوا الأبيات اليسيرة، فمنهم دُوَيْد بن زَيْد بن نَهْد، ومن شعره:

أَلْـيَـومَ يُـبْـنَـى لِـدُوَيْـدٍ بَـيْـتُـهُ ... لـو كـانَ لِـلـدَّهْـرِ بِلِـىً أبْـلَـيْـتُـهُ

أوْ كـانَ قِـرْنـي واحِـدًا كَـفَـيْـتُـهُ ... يـا رُبَّ نَـهْـبٍ صـالِـحٍ حَـوَيْـتُـهُ

ورُبَّ غَيْلٍ حَسَنٍ لَوَيْتُهُ

ومنهم خُزَيْمة بن نَهْد، ومنهم أعْصُر بن سَعْد، ومن قوله:

أَعُـمَـيْـرَ إنّ أبـاكِ غَـيَّـرَ رأْسَـهُ ... كَـرُّ الـلـيـالـي واخـتـلافُ الأعْـصُـرِ

... ومنهم امرؤ القيس بن حُمام بن عُبَيْدة بن هُبَل بن أخي زُهَيْر بن حُمام بن هُبَل. وكان يقال له عِذْل الأصِرَّة، ويزعم بعضهم أنّه هو الذي عناه امرؤ القيس بقوله:

يـا صـاحِـبيَّ قِـفـا الـنَّـوائِـحَ سـاعـةً ... نَـبْـكِـي الدِّيارَ كما بَكَـى ابنُ خِذامِ

وكان يغزو مع مهلهل، وإياه أراد مهلهل بقوله:

لمَّا توغَّـرَ فـي الكُـلابِ هَـجِـيْـنُـهُـمْ ... هَـلْـهَـلْـتُ أَثْـأَرُ جابرًا أو صِـنْـبِـلا

وكـأنَّـه بـازٍ عَـلَـتْـهُ كَـبْـرةٌ ... يَـهْـدِي بِـشـكّـتِـهِ الـرَّعـيـلَ الأوّلا

= استفاض في كتب الأدب واللغة من أنّ مهلهلاً كان أوّل مَن قصَّد القصائد وذكر الوقائع. (أنظر مثلاً طبقات فحول الشعراء ١: ٣٩) ـ فيبدو أنّه يتّصل بتطوير الشكل والمقدرة الفنّيّة ـ وانظر مناقشة هذه القضيّة في مقال الدكتور سليمان الشطّي: قراءة في مقدّمة طبقات فحول الشعراء، في مجلّة عالم الفكر الكويتيّة ـ المجلّد الثامن عشر ـ العدد الأوّل ـ إبريل، مايو ـ يونيو ١٩٨٧ ص ١٨٠ ـ ١٨٣.

فالهجين، هو امرؤ القَيس بن حُمام، وجابرٍ وصِنْبِل رجلان من بني تَغْلِب»[1].

وإذا جمعنا بعض قول العسكري إلى بعضه الآخر، ولَمَمْنا أطراف حديثه عن البدايات، استطعنا القول إنّ الشعراء الذين مثّلوا فَجْرَ الشعر العربيّ عنده، ودار كلامه عليهم، قسمان: القسم الأوّل يُمَثّله تسعة شعراء في سَبْقِهم خِلافٌ، ووراء الحكم بأوليّتهم عصبياتٌ قبليّة، وأهواءٌ، وأوْهام... والقسم الثاني هو الأقدم، لكن ليس لممثّليه شِعرٌ كثير، لذا لا يُسمّون شعراء. وشعراء القسم الأوّل هم: ١ ـ مُهَلْهِل التَّغْلِبي ٢ ـ المرقّش البَكْري ٣ ـ امرؤ القيس بن حُجْر الكِنْدِي ٤ ـ عَبِيْد بن الأبْرَص الأسَدِي ٥ ـ عَمْرو بن قَمِيْئة البَكْري ٦ ـ أبو دؤاد الإيادي ٧ ـ جسّاس بن مُرَّة التَّغْلِبي ٨ ـ مُرَّة بن ذُهْل والد جسّاس ٩ ـ زُهَيْر بن جَناب الكلبي الذي عُدَّ أقْدَم من مُهَلْهِل. وشعراء القسم الثاني هم: ١ ـ دُوَيْد بن زَيْد القُضاعي ٣ ـ خُزيْمة بن نَهْد القضاعي ٣ ـ أعْصُر بن سَعْد بن قَيْس عَيْلان ٤ ـ امرؤ القيس بن الحُمام. وبذا يصبح مجموع هؤلاء ثلاثة عشر شاعرًا. ويمكن لنا أن نضيف إليهم شاعرًا آخر ذكره أبو أحمد العسكري عَرَضًا، هو المُفَضَّل بن قَيْس بن غَوْث الطائي، وهو «أوَّلُ مَنْ قال الشعر بعد طَيِّئ»[2]. ولا نعرف زمانه بدقّة، ويبدو أنّه يمكن سَلْكه مع شعراء القسم الثاني.

وقد وقع اهتمامنا في البحث بخمسة من هؤلاء جميعًا، أحدهم هو زُهَيْر بن جَناب الكلبي، والأربعة الأُخر هم من شعراء القسم الثاني.

وإذا كان أبو أحمد العسكري يذكر (١٤) شاعرًا من الأوائل، فإنّ المرزباني (٣٨٤ هـ ـ ٩٩٤ م) يذكر منهم ما يزيد على ضعف هذا العدد، وذلك في ما وصل إلينا من كتابه **معجم الشعراء**. ولكن الفارق بين الاثنين هو في أنّ الأوّل كان يدير حديثه عن الأوائل وأوّليّة الشعر بوَصْفِها «إشكالاً»، وهذا هو مصطلحه الحَرْفِي بالذات، والثاني كان غرضُه ضَمَّ عدد كبير من الشعراء، دون النصّ على أنّ هذا تقدَّم ذاك، أو سَبَقه زمنيًا. فلقد راجعنا **معجم الشعراء** شاعرًا فشاعرًا، فتمكّنا من أن نميِّز فيه، بقرائن مختلفة[3]، الشعراء القدامى جدًّا الذين نرجِّح أنّهم عاشوا في النصف الأوّل من القرن

(١) العسكري: شرح ما يقع فيه التصحيف ٤٢٨ ـ ٤٢٩ .
(٢) العسكري: م.ن ٤٢٩ .
(٣) من هذه القرائن: عمود النسب، والعلاقة بشخص معروف زمانه لدينا.

السادس الميلاديّ فما قبله، وقد كانوا عند المرزباني خمسة وثلاثين شاعرًا هم: ١ ـ هاشم ابن عَبْد مَناف، جدّ الرسول عليه السلام ٢ ـ عَمْرو بن قَمِيئة ٣ ـ المرقّش الأكبر ٤ ـ المرقّش الأصغر ٥ ـ عَمْرو بن الحارث الجُرْهمي ٦ ـ عَمْرو بن عَدِي بن نَصْر اللَّخمي ٧ ـ عَمْرو بن مَرْثَد بن سَعْد بن مالِك ٨ ـ عَمْرو بن حَمَمة الدَّوْسِي ٩ ـ عَمْرو بن عَبْدِ الجِنّ التنوخِي ١٠ ـ عمْرو بن مالِك، أخو سَعْد بن مالِك ١١ ـ المُسْتَوْغِر بن رَبِيْعة ١٢ ـ عَمْرو بن مالك بن زَيْد البَكْري الذي أزال رئاسة يَشْكُر بن بَكْر عن رَبِيْعة ١٣ ـ أبو قِلابة الهُذْلي ١٤ ـ مُهَلْهِل بن رَبِيْعة التغلبي ١٥ ـ عَدِيّ بنَ رَبيعة، أخو مُهَلْهِل ١٦ ـ القلمّس الأكبر ١٧ ـ العَنْبَر بن عَمْرو بن تَمِيْم ١٨ ـ فِهْر بن مالِك، الأب الحادي عشر للرسول ﷺ ١٩ ـ قَيْس بن ثَعْلَبة (جدّ قبيلة) ٢٠ ـ ثَقِيْف (جدّ قبيلة) واسمُهُ قَسِيّ بن منبّه بن هَوازِن ٢١ ـ القَمْقام بن العَباهِل وهو تُبَّع الثاني، أو الثالث، ملك حَضْرَمَوْت ٢٢ ـ كَعْب بن لُؤَيّ بن غالِب، الأب الثامن للرسول عليه السلام ٢٣ ـ كَعْب بن الرُّواع الأسدي ٢٤ ـ كُلَيْب بن رَبِيْعة ٢٥ ـ لُجَيْم بن صَعْب ٢٦ ـ المُنْذِر بن ماء السماء، مَلِك الحِيْرة اللَّخْمي ٢٩ ـ مُرَّة بن الرُّواع الأَسَدِي ٣٠ ـ مُرّة بن ذُهْل ـ والدجّاس ٣١ ـ أعْصُر بن سَعْد بن قَيْس عَيْلان ٣٢ ـ غَلْفاء بن الحارث الكِنْدي، عمّ امرئ القيس ٣٣ ـ المُطَّلِب بن عَبْد مَناف بن قُصَيّ ٣٤ ـ هِجْرِس بن كُلَيْب التَّغْلِبي ٣٥ ـ ذو رُعَيْن الذي كان في زمان حسّان بن أسْعَد الحِمْيري[1].

ولا شكَّ في أنّ هذا المعجم قد حوى أسماء شعراء عاشوا في زمن هؤلاء الخمسة والثلاثين، ولكنّ افتقارنا إلى القرائن الدالّة على ذلك جَعَلَنا نُحْجِم عن إدراجهم ها هنا. وقد دَرَسْنا من هؤلاء الذين ذكرهم المرزباني ثمانية شعراء، وقُمْنا بِجَمْع أشعارهم وتحقيقها.

ونختم حديثنا عن مصادر الأوائل في القرن الرابع بوقفة موجزة عند كتاب **الأوائل** لأبي هِلال العَسْكري (٣٩٥ هـ ـ ١٠٠٤ م) الذي جاء فيه: «أوَّلُ مَنْ قصَّد

(١) أنظر أخبار هؤلاء الشعراء ونماذج من أشعارهم في معجم الشعراء بالترتيب الآتي الموازي لتسلسل أسمائهم في المتن: ٣ ـ ٤، ١٠٠، ١٣ ـ ١٤، ١٧، ١٨، ٢٠، ٢٣، ٣٩، ٧٩، ٨٠، ٨٢، ١٢٥، ١٧٤، ١٩١، ٢٠٠، ٢٢١، ٢٢٣، ٢٢٨، ٢٣٣، ٢٤٨، ٢٤٩، ٢٥٣، ٢٥٨، ٢٦٩، ٢٩٤، ٤٣٣، ٤٣٥، ٤٣٥، ٤٧٠ ـ ٤٧١، ٥٠٥.

القصائد مُهَلْهِل، يقول الفرزدق:

ومُهَلْهِلُ الشُّعراءِ ذاكَ الأوّلُ

وهو خال امرئ القيس، واسمه عَدِيّ بن ربيعة، وأُسِرَ يومَ قِضَة، وهو آخر أيّام بَكْر وتَغْلِب»[1]. وفي حديث آخر عن أوّل مَن وقف على الديار، وبكى، واستبكى، يشير أبو هلال إلى أنّه امرؤ القيس بن حجر الكندي، ثمَّ يقول: «وقالوا: امرؤ القيس بن حارثة ابن الحُمام، وإيّاهُ عَنَى امرؤ القيس في قوله:

يا صاحِبَيَّ قِفا النَّواعِجَ ساعةً نَبْكِي الدِّيارَ كما بَكَى ابنُ خِذامِ

وقالوا: ابن حِذام، وأنشدوا لامرئ القيس:

عُوْجَا على الطَّللِ المُحِيْلِ لَعَلَّنا نَبْكِي الدِّيارَ كما بَكَى ابنُ حِذام

وامرؤ القيس (الكندي) أوّلُ مَن قال: (دَعْ ذا)، في الخروج عن النسيب إلى المديح وغيره، وأوّلُ مَن شبَّه الخيلَ بالعصا واللَّقْوةِ والسِّباعِ والطَّيْرِ، وأوَّلُ مَن شبَّه النساءَ بالظِّباءِ وأوَّلُ مَن شَبَّه تشبيهَين ببيتٍ واحد، وهو قوله:

كأنَّ قلوبَ الطَّيْر رَطْبًا ويابِسًا لَدَى وَكْرِها العُنَّابُ والحَشَفُ البالي

وأوَّلُ مَن شبَّه الحمارَ بِمِقْلاء الوليد، وهو عُود يضرب بالقلّة، ويلعب بها الصبيّ، وأوّل مَن شبَّهه بكَرّ الأندري، وهو الحَبْل، وهو أوَّلُ مَن شَبَّه الطَّلل بالوحي وبالزبور في العُسُب»[2]. فأبو هِلال، إذًا، اقتصر على القول: إنّ مُهَلْهلاً أوَّلُ مَن قصَّد القصيد، وأنّ امرأ القيس بن حُجْر، أو امرأ القيس بن حُمام، أوَّل مَن وقف بالدِّيار وبكى واستبكى، ولكنّه خَصّ المَلِكَ الضليلَ بمجموعة من الأساليب الفنّيّة والشعريَّة، وجعله أوّل مَن اخترع أمثال (دَعْ ذا) وأوّل مَن شَبَّه الخيلَ بالعصيّ واللَّقْوة والسِّباع، ومَن شَبَّه النساء بالظباء... إلخ.

---

(١) أبو هلال العسكري: الأوائل ٢: ٢١٧.

(٢) م.ن ٢: ٢٢١ ـ ٢٢٢.

٤ ـ الشعراء الأوائل في مُصنَّفات القرن الخامس الهجريّ (الحادي عشر الميلاديّ)

وإذا ما انتقلنا إلى القرن الخامس الهجريّ، فإنّنا نصادف ثلاثة مصنِّفين عرضوا لمسألة الأوّليّات، وهم: عَبْد الكريم النَّهْشَلي (٤٠٣ هـ ـ ١٠١٢ م)، صاحب **المُمْتِع في علْم الشعر وعَمَلِه**، وابن رَشِيْق القَيْرَوانيّ (٤٦٣ هـ ـ ١٠٧٠ م)، مؤلِّف **العُمْدة**، وأبو عُبَيْد البَكْري (٤٨٧ هـ ـ ١٠٩٤ م) مُصنِّف **فَصْل المقال في شَرْح كتاب الأمثال**.

فقد قال النَّهْشلي: «قال محمّد بن سلاّم الجُمَحي: إنّ القصيدَ حديثُ الميلاد، وإنّما قُصِّد الشعر على عهد هاشِم بن عَبْد مَناف، أو عَبْد المطّلب بن هاشِم، وإنّما كانت العرب تقول الأراجِيْز، والأبيات اليسيرة، فتُحْفَظ ويُتَغَنَّى بها». وأضاف النهشلي: «قال الجاحِظ:

قال امرؤ القيس:

لا حِمْيَرِيٌّ وَفَى ولا عُدُسٌ ولا اسْتُ عيرٍ يحكُّها الثَّفَرُ

وكان زُرارة من أسنان عُدُس بن زَيْد، وهو أوّلُ المقصّدين، ومُهَلْهِل بن ربيعة، فيُقال: إنَّ بين موت زُرارة بن عُدُس إلى أن جاء الإسلام مائة وخمسين سنة»[1].

ويبدو أنّ النَّهْشلي، أو مَنْ روى عنه لم يدقّق في الذي نقله عن ابن سلاّم، فابن سلاّم، في ما طُبِع من كتابه: **طبقات فحول الشعراء**، لم يذكر تلك الفقرة بدقّة، بل قال: «ولم يكن لأوائل العرب من الشعر إلاّ الأبيات يقولها الرجل في حاجته، وإنّما قُصِّدت القصائدُ وطُوِّل الشعر على عهد عَبْد المطّلب، وهاشِم بن عَبْد مَناف»[2]. والفرق واضح بين النصَّيْن!

وكذلك نقل النَّهْشَلِيّ عن الجاحظ اسم شاعر جديد هو زُرارة بن عُدُس. وقال: إنّ بين موته ومجيء الإسلام مئة وخمسين سنة. وهو التاريخ الذي حدّده الجاحظ لعمر

(١) عبد الكريم النهشلي: **المُمْتع في عِلْم الشعر وعمله** ٣٣، وقوله من أسنان عُدُس بن زَيد: أي من أكابرهم سنًّا وشرفًا.

(٢) إبن سلام: **طبقات فحول الشعراء** ١: ٢٦.

الشعر الجاهليّ في أحد أقواله. ولكنّ الجاحظ أيضًا، في خبره الذي أوردناه في الفصل الأوّل، لم يصف زُرارة بن عُدُس بأنّه أوّل المُقَصِّدِين، بل كان نصّ الجاحظ في هذا الصدد هو: «ويدلّ على حداثة الشعر قول امرئ القيس:

إنَّ بَنِي عَوْفٍ ابْتَنَوا حَسَبًا	ضَيَّعَهُ الدُّخْلُلُونَ إذْ غَدَرُوا
أدَّوْا إلى جارِهِمْ خِفارَتَهُمْ	ولم يَضِعْ بالمَغِيبِ مَن نَصَرُوا
لا حِمْيَرِيٌّ وَفَى ولا عُدُسٌ	ولا اسْتُ عَيْرٍ يَحُكُّها الثَّفَرُ
لكنْ عُوَيْرٌ وَفَى بذِمَّتِهِ	لا قِصَرٌ عابَهُ ولا عَوَرُ

فانظرْ كَمْ كان عمر زُرارة، وكم كان بين موت زُرارة وَمَوْلِد النبيّ عليه الصلاة والسلام، فإذا استظهرنا الشعر، وجدْنا له إلى أن جاء الله بالإسلام خمسين ومائة عام، وإذا استظهرنا بغاية الاستظهار فمائتَيْ عام»[1].

وهكذا يتبيَّن مقدارُ السَّقْط والخَلْط في خبر النَّهْشَلِي. وقد يتساءل المرء عن زُرارة بن عُدُس، هذا الذي زُعِم أنّه أوّلُ المُقصِّدين عند النهشلي، وأنّ ذِكْره في شعر امرئ القيس دليلٌ من دلائل حداثة الشعر الجاهليّ. والجواب أنّ زُرارة هو ابن عُدُس بن زَيْد بن عَبْدالله بن دارِم بن حنْظَلة بن مالِك بن زَيْد مَناة. وهو أب لعشرة رجال منهم لقيط بن زرارة وحاجب بن زرارة[2]. وقد قُتِلَ ابنُه لَقِيْطٌ في يوم جَبَلَة الذي وَقَعَ قبل الإسلام بأربعين سنة[3]. وأمّا زُرارة ذاته، فقد روى الوزير المغربي أنّه كان صاحب يوم أوارة مع عَمْرو بن هِنْد (٥٦٩ م)[4]. وهذا كلّه يدلّ على مدى الاضطراب والتناقُض في خبر النهشلي، الذي نقرؤه في ما طُبِع من كتاب **المُمتِع في عِلْم الشِّعْر وعَمَلِه**. ولعلّ في الكلام سَقْطًا لا نعرفه أحالَ هذا الخبر إلى هذه الصورة من الاضطراب والغرابة.

وقد أصبنا في كتاب **العُمْدة** لابن رَشِيْق ثلاثة أخبار تتّصل بأوّليّة الشعر العربيّ وأوائله، أوّلها قوله: «وَزَعَمَ الرّواة أنّ الشعرَ كلّه إنّما كانَ رَجَزًا وقِطَعًا. وإنّه إنّما قُصِّد على عهد هاشِم بن عَبْد مَناف. وكانَ أوّلَ مَنْ قَصَّدَهُ مُهَلْهِلٌ وامرؤ القيس، وبينهما

(١) أنظر الجاحظ: الحيوان ١: ٧٤، والأبيات في ديوان امرئ القيس ١٣٢ برواية مختلفة.
(٢) أنظر ابن حَزْم: جَمْهرة أنساب العرب ٢٣٢.
(٣) أنظر تأريخنا لهذا اليوم في كتابنا: بِشْر بن أبي خازِم الأسَدِي ص ٥٧.
(٤) أنظر الوزير المغربي: الإيناس ٢٠٨.

وبين مجيء الإسلام مائة ونيِّف وخمسون سنة، وذكر ذلك الجُمَحِي وغيره»[1]. وهذا الخبر لا يذكر أسماء شعراء أوائل، وإنّما يشير إلى أنّ مهلهلاً وامرأ القيس أوّلا مَن قصَّد القصيد. وكان ذلك قبل الإسلام بنيّف ومائة وخمسين سنة.

وثاني تلك الأخبار يشير إلى قِدَم أبي دؤاد. وقد مرَّ بنا أنّ امرأ القيس كان راوية له[2]. في أثناء عرضنا للمسألة عند أبي أحمد العَسْكَرِي.

وثالثها نَقَلَه ابنُ رَشِيْق عن أبي عُبَيْدة، ويقول: «أُفْتُتِحَ الشعر بامرئ القيس، وختم بابن هرمة»[3]. ويبدو أنّ أبا عُبَيْدة يشير في عبارته السالفة إلى ظاهرة التَّفَنُّن وليس إلى قضيَّة البدايات.

أمّا أبو عُبَيْد البَكْرِي (٤٨٧ هـ ـ ١٠٩٤ م) فمأْثُرَتُهُ عندنا أنّه فتح أعيننا على اسم شاعر قديم، هو خُزَيْمة بن نَهْد القُضاعي عندما ساق بيته التالي:

إذا الْـجَـوْزاءُ أَرْدَفَـتِ الـثُّـريَّـا ... ظَـنَـنْـتَ بـآلِ فـاطِـمـةَ الـظُّـنـوْنـا

ثمَّ قال: «وصِلَةُ بيتِ خُزَيْمة، وهو أوّل الشعر:

ظَـنَـنْـتُ بِـهِـمْ، وظَنُّ المرءِ حَـوْبٌ ... وإنْ أَوْفَـى، وإنْ سَـكَـنَ الحَجُـوْنـا

وَحـالَـتْ دونَ ذلـكَ مِـنْ هُـمُـومِـي ... هـمـومٌ تُـخْـرِجُ الـشَّـجَـنَ الدَّفِـيْـنَـا

أَرَى ابنةَ يَـذْكُـر ظَـعَـنَـتْ فَـحَـلَّـتْ ... جنوبَ الحَزْنِ، يا شَـحْـطًا مُـبِـيْـنا»[4]

ويتبيَّن لنا من فَحص أخبار خُزَيْمة بن نَهْد أنّه كان، على الأرجح، من أوائل الشعراء الذين عاشوا في القرن الثالث الميلاديّ، لذا صَدَّرْنا قائمتَنا المختارَة بِهِ، وقد سبق لأبي أحمد العسكريّ أن روى أنّ خُزَيْمَة بن نَهْد، ودُوَيْد بن زَيْد، وأَعْصُر بن سَعْد، كانوا قبل مُهَلْهِل وعَمْرو بن قَمِيْئة والأَفْوَه الأَوْدِي، وغيرهم، ولكنّه لم يعدّ هؤلاء شعراء، لأنّهم لم يقولوا الشعر بعد الشعر. ولكن هذا الذي قالوه ضاع جميعه، أو كاد، لتقدُّمهم، وموتِ رُواةِ أشعارهم، وقد قال ابن الكلبي (نحو ٢٠٦ هـ ـ ٨٢١ م) في هذا الصدد: «ولم تحفظِ العَرَبُ من أشعارِها إلاّ ما كان قُبَيْل الإسلام»[5]. وممَّا يشجِّعنا على

---

(١) إبن رَشيق: **العُمْدة**: ١: ١٨٩.

(٢) م. ن ١: ١٩٨.

(٣) ابن رشيق ١: ٩٠.

(٤) أبو عُبَيْد البكري: **فصل المقال** ٤٧٣ ـ ٤٧٤.

(٥) إبن الكلبي: **الأصنام** ١٢.

احتساب خُزَيْمة شاعرًا أنّ أبا الفرج الأصفهاني عدَّهُ من الشعراء الجاهليّين المُقِلّين القُدامى[1]، وفي هذا المعنى نجد الآمدي في المؤتلف والمختلف قد ذكر شعراء بين أعلامه لم يُعْرَف لهم شِعرٌ البتّة، فقال مثلاً في عَمْرو بن معدي كَرِب الزبيدِي الأكبر: «ولا أعرف لعَمْرو بن معدي كَرِب هذا شِعرًا»[2].

٥ ـ الشعراء الأوائل في مُصنَّفات القرن السادس الهجريّ (الثاني عشر الميلاديّ وما بعده)

لم يكن البكريّ وحده بين مؤلّفي كتب الأمثال الذي أشار إلى شاعر جاهليّ أوّل، فنحن نجد عند المَيْداني (٥١٨ هـ ـ ١١٢٢ م) أيضًا إشارات إلى مثل هذا، ففي **مجمع الأمثال** عرفنا شاعرة جاهليّة قديمة تدعى (الوِرْثة)، وهي امرأة ذُهْل بن شَيْبان ابن ثَعْلَبة. وقد تزوّج زوجها ذُهْل بن شَيْبان رقاشِ بنت عَمْرو بن عثمان من بني ثعلبة، بعد أن طلّقها زوجها كَعبُ بن مالك بن تَيْم الله بن ثَعْلَبة بن عُكابَة، فانتقلت (الوِرْثَة) إلى ذُهْل، فدخل بها، وكانت لا تترك لِذُهْل امرأةً إلاّ ضربَتْها، وأخرجَتْها، فاصطدمت برقاش، فتمكّنت هذه من (الوِرْثة) وغلبَتْها، فقالت الوِرْثة:

يا ويحَ نَفْسي اليَوْمَ أَدْرَكَنِي الكِبَرْ   أأبْكي على نفسي العشيَّةَ أمْ أَذَرْ

فوا للهِ، لو أدركْتِ فيَّ بَقِيَّةً   للاقيتِ ما لاَقَى صواحِبُكِ الأُخَرْ

فولدت رِقاش لِذهْل بن شَيْبان مُرَّةَ، وأبا ربيعة، ومُحَلِّمًا، والحارث بن ذُهْل[3]. وقد عرفنا قِدم هذه الشاعرة لأنّنا علمْنا أنّ ابنها مرّةَ بن ذُهْل بن شَيْبان هو جدّ شاعر قديم جدًّا يُدعَى مُرّة بن هَمّام بن مرّة بن ذُهْل بن شَيْبان، وهو الأب الخامس في عمود النسب للشاعر الجاهليّ عَبْد المَسِيْح بن عَسَلَة الغَسّاني[4].

---

(١) أبو الفرج الأصفهاني: **الأغاني** ١٣: ٧٨.

(٢) الآمدي: **المؤتلف والمختلف** ٢٣٣ ـ ٢٣٤.

(٣) الميداني: **مجمع الأمثال** ١: ١١٠، وانظر فيه أيضًا شعرًا لسيّد العماليق في مكّة: معاوية بن بكر ١: ١٣١ ـ ١٣٢.

(٤) الآمدي: م. س ٢٣٥، والمرزباني: **معجم الشعراء**: ٣٠٠، وابن حزم الأندلسيّ: **جمهرة أنساب العرب** ٣٢٥ ـ ٣٢٦.

ولعلَّ الحديث يطول بنا إذا ما شِئْنا أنْ نُثْبِت جميع النصوص التي يمكن أن نستنبط منها شاعرًا جاهليًا قديمًا جدًا، فما تبقى في جُعْبتنا من أخبار بعد القرن السادس الهجريّ يمكن أن يعد تكرارًا لِمَا سبق، لذا نرى أن نُوجِزَ الكلام هنا، لننتقل، من ثمَّ، إلى الحديث عن مجموعتنا التي تخيَّرْناها، فنمرُّ مَرًّا سريعًا بأخبار عثرنا بها في **نَشْوة الطَّرَب**، و**محاسن الوسائل إلى معرفة الأوائل**، و**صُبْح الأعشى**، و**كتاب الأوائل لأبي بَكْر تقيّ الدّيْن بن زَيْد الحَنْبَلِي**، وبعض مؤلّفات السيُوْطِي.

فقد قرأنا في **نشوة الطرب** لابن سَعِيْد الأندلسيّ (٦٨٥ هـ ـ ١٢٨٦ م) خبرًا يفيد أنّ أوّلَ مَن قال الشعر في العرب يَعْرُبُ بن قَحْطان ووزنه وتفنَّنَ في أعاريضه...[1].

أمّا أبو عبدالله الشِّبْلِي (٧٦٩ هـ ـ ١٣٦٧ م) فقد روى في كتابه **محاسن الوسائل إلى معرفة الأوائل** هذا الخبر: «أوّل مَنْ نَطَق بالشعر: قد تقدَّم ما رواه أبو زُرعة الرازي من نِسبة ذلك إلى آدم عليه السلام، وأنّه قال حين قَتَل ابنُ آدم أخاه:

تَغَيَّرتِ البِلادُ ومَنْ عَلَيْها ... فوَجْهُ الأرْضِ مُغْبَرٌّ قَبيحُ
تَغَيَّر كُلُّ ذِيْ طَعْمٍ ولَوْنٍ ... وقَلَّ بشاشَةُ الوجْهِ المَلِيْحِ

أوّل مَن قال القريض والرجز (يمن)، وهو يَعْرُب بن قَحْطان قاله ابن هشام، نقله السُّهَيْلي عنه، وقد تقدّم ذكره، أوّل مَن أحكم قوافي الشعر امرؤ القيس، روى الزُّهْري عن أبي هُرَيْرة قال: قال رسول الله ﷺ: امرؤ القيس قائد الشعراء إلى النار، لأنّه أوّل مَن أحكَمَ قوافيها، رواهُ أبو عَروبة، وامرؤ القيس اسمُه حُنْدُجُ»[2].

وكذلك أشار القَلْقَشَنْدِي (٨٢١ هـ ـ ١٤١٨ م) إلى أنّ: «أوّل مَن قصَّد القصيد مُهَلْهِل، خال امرئ القيس. والقصيد ما زاد على سبعة أبيات»[3].

وفي القرن التاسع أيضًا نطالع لأبي بَكْر الحَنْبَلِي (٨٨٣ هـ ـ ١٤٧٨ م) قوله بعد أن أنشد هذا البيت لعَمْرو بن الحارث الجُرْهُمِي:

كَأَنْ لَمْ يكُنْ بينَ الحَجُوْنِ إلى الصَّفا ... أَنِيْسٌ ولمْ يَسْمُرْ بمكَّةَ سامِرُ

---

(١) أنظر ابن سَعِيْد الأندلسي: **نشوة الطَّرَب** ١: ٩٠ وانظر أيضًا شعرًا مصنوعًا في م. ن ١: ٩٧، ١١٣.
(٢) أبو عَبْدالله الشبلي: **محاسن الوسائل إلى معرفة الأوائل** (مخطوط) ق ٨٤ أ.
(٣) القَلْقَشَنْدِي: **صبح الأعشى** ١: ٤٣٣ ـ ٤٣٤.

«هو ـ فيما زعموا ـ أوّل شِعْر قيل في العرب»[1].

أمّا السيوطي (٩١١ ـ ١٥٠٥ م) فقد جمع كثيرًا من النصوص عن الأوائل، فهو يورد خَبر عُمَر بن شبّة السابق ذكره، في ثلاثة من كتبه هي: **شَرْح شواهد المُغنِي**[2]، **والمُزْهِر**[3]، **والوسائل إلى معرفة الأوائل**[4]. ولكن السيوطي في الكتاب الثالث يسلّم بما هو عَصِيٌّ على التصديق فيقول: «إنّ أوّلَ مَنْ نَطَقَ بالشعر آدمُ عليه السلام». كما يسوق في الكتاب نفسه هذا النصّ: «وفي **أمالي القالي**: أوّلُ مَنْ أرَقَّ المراثي مُهَلْهِلُ بن رَبِيْعة، وهو أوّل مَنْ قصّد القصائد. وفيه يقول الفرزْدَق: (ومُهَلْهِلُ الشعراء ذاكَ الأوّلُ) قال: ولم يقلْ أحَدٌ قبله عشرة أبيات»[5]. وقد مرَّ بنا بُطْلان هذا الحُكم، لأنّ شعراء كثيرين سبقوا مُهَلْهلاً، أو على الأقلّ شاركوه في نظْم القَرِيْض، وإطالة الشعر إلى حدٍّ يتجاوز عشرة أبيات، نذكر منهم مثلاً: زُهَيْر بن جَناب الكلبي، وأبا قِلابة الهُذَلي، وأُحَيْحَة بن الجُلاح الأوْسِي.

٦ ـ نتائج

وبعد، فإنّنا نستطيع أن نخلص من العرض السابق إلى نتائج محدَّدة نصوغها على النحو التالي:

١ ـ إنّ الكُتب التي حَوت أخبارًا، أو أسماء لشعراء جاهليّين أوائل، ولأوّليّة الشعر العربيّ، كتب كثيرة ومتنوّعة وهي تنتمي إلى أصناف من المعارف مُتباينة. وطَلَبُ استيفائها عَسيرٌ وبعيدُ المَنال. وقد ورد بعض تلك الأخبار، أو الإشارات، أو الأسماء، قَصْدًا، وجاء بعضُها عَرَضًا.

٢ ـ إنّ ثمّة أسماء كثيرة جدًّا قالت الشعر في الفترة التي هي محور حديثنا. ومن المحال استقصاؤها جميعًا، لذا لجأنا إلى الاختيار والتمثيل. وقد ارتأينا أن يكون الاختيار

(١) أبو بَكر الحَنْبَلي: **الأوائل** ١٣٧.

(٢) السيوطي: **شرح شواهد المغني** ١: ٢٣.

(٣) السيوطي: **المزهر** ٢: ٤٧٧.

(٤) السيوطي: **الوسائل إلى معرفة الأوائل** ١٢٢، وانظر القالي: **الأمالي** ٢: ١٢٦، ففيه من الخبر فقط: «وإنّما سُمّي مُهَلْهلاً لأنه أوّلُ من أرقَّ المراثي».

(٥) السيوطي: م.س ١٢٢، والبغدادي: **الخزانة** ٢: ١٦٥ ـ (ط هارون).

أقرب إلى العشوائيّة النسبيّة، منه إلى التحكُّم، ذلك لأنّ الخيارَ الأوّل، فيما يبدو، قد يكون أكثر ملاءمة لتمثيل حالة الشعر الجاهليّ قبلَ منتصف القرن السادس الميلاديّ.

٣ ـ إنّ مسألة الأوائل مسألة خِلافِيّة، وإشكالِيّة ـ كما يقول أبو أحمد العَسْكَرِي ـ وتحديد أزمان الأوائل مَظَنّة للتبايُن والتناقُض عند الرواة. وقد وقع تصحيح بعض الأوهام المتّصلة بهؤلاء، كما هو الأمر بشأنِ لَقِيْط بن يَعْمُر الإيادي، وأبي دؤاد الإيادِي.

٤ ـ هناك ما يُشبه الإجماع على أنّ الشعراء الأوائل جِيلان: الجِيل الأوّل يتقدّم الثاني، ولكن مُمثّليه لا يعدّون، في عرف بعض العلماء، شعراء، «لأنّهم لم يقولوا الشعر بعد الشعر، ومنهم: خُزَيْمة بن نَهْد، ودُوَيْد بن زَيْد، وأعْصُر بن سَعْد بن قَيْس عَيْلان... إلخ، أمّا الجيل الثاني فهو الذي قصّد القصيد، وأبرز ممثّليه: مُهَلْهِل، وزُهَيْر بن جَناب، وعَبِيْد بن الأبرص، وأبو قِلابة الهُذَلي، وسَعْد بن مالِك، والفِنْد الزِّمّاني... إلخ. وهؤلاء مُتقارِبون في أزمانهم، لعلّ أقدمهم لا يسبق الهجرة النبويّة الشريفة بمئة وخمسين سنة، أو مئتي سنة في أبعد تقدير. وقد وقع خيارنا على أسماء من هذَين الجيلَيْن لتمثيل الأوائل خير تمثيل.

٥ ـ ويُبْنَى على ما تقدّم أنّ هناك فَرْقًا بين مَن قال الشعر، ومَن قصّد القصيد. ومن المُعْجِز والمُحال أن يُعرَف مَن أوّل قائل للشعر العربيّ في غابر الزمان. ولعلّ القول بنشأة الشعر الشعبيّة يَحلّ الإشْكال، فالشاعر الأوّل هو الشعب العربيّ العريق بأسره، وليس فردًا بعينه يُستطاع تحديد زمانه ومكانه. وفي هذا المعنى يمكن الاستشهاد بقول (سبتينوموسكاتي)، ونصّه: «والحقّ أنّه يمكن القول: إنّ فكرة الملكيّة الأدبيّة كانت غريبة كلّ الغرابة عن عقليّة الشرق الأدنى القديم، ومنه أرض الرافدَين، فاسم المؤلّف نفسه لم يكن أمرًا ذا بال، ولهذا كان الإنتاج الأدبيّ في الغالب مجهول الصاحِب»[1].

---

(١) موسكاتي: الحضارات الساميّة القديمة ٨٢، وكتاب أيّام العرب لأبي عُبَيْدة، للدكتور عادل البيّاتي ٢٧. ويشبه هذه الحالة في تراثنا أيضًا أنّ كتب القبائل التي يُرجّح أنّها أُلّفت في القرن الأوّل الهجريّ كانت مجهولة المؤلّف ـ أنظر مقال الدكتور يوسف العِشّ: نشأة تدوين الأدب العربيّ، في كتاب المحاضرات العامّة للجامعة السوريّة ص ٦٩ ـ ٧٠.

أمّا الأقوال التي تزعم أنّ مُهَلْهِلاً أوّل مَن قصَّد القصيد، أو أنّ أمرأ القيس أوّل مَن أحكم القوافي، فقد تبيَّن لنا مقدار الاضطراب الذي داخلَها. والحَصر فيها مردود، لابتعادها عن الدقّة المتوخّاة، ذلك لأنّ شعراء كثيرين نظموا القريض في زمن المُهَلْهِل، فهم عاصروه أو سبقوه، وقد مرَّ بنا قول أبي أحمد العسكري في سبق زُهَيْر بن جَناب لمهلهل، وهو: «وممّا لا يُشَكُّ فيه أنّ زُهَير بن جَناب الكَلبي أقدمُ مِن مُهَلْهِل»[1].

٦ ـ وقد تبيَّن من العرض السابق أيضًا أنّ بعض العلماء والرواة رووا شعرًا منحولاً كثيرًا على لسان آدم، وطَسْم، وجَدِيْس، وعاد، وثَمُود، ويَعْرُب بن قَحْطان... إلخ، وهو شعر لا يمكن الثقة به، كما سنرى فيما يأتي من هذا الباب.

أمّا الآن فإنّنا نشير إلى أنّنا تخيَّرنا من بين الشعراء الذين ذُكروا في كتب التراث على أنّهم من الأوائل مجموعة عِدّتها أربعون شاعرًا لعلّهم يمثّلون، بحقّ، الشعراء الجاهليّين الأوائل.

وبعد أن درسنا أخبار هؤلاء، ودقّقنا النظر في القرائن المُعِينة على تحديد أزمانهم، رأينا أنّهم يُقْسَمون إلى قسمَين رئيسيَّين هما:

أوّلاً ـ شعراء وُجِدوا ما بين القرنَين الثالث والخامس الميلاديَّين، وعددهم ثمانية عشر شاعرًا وهم: ١ ـ خُزَيْمة بن نَهْد القُضاعي ٢ ـ جُذَيّ بن الدُّلْهات القُضاعي ٣ ـ جَذِيْمة الأبرش الأزدي ٤ ـ عَمْرو بن عَدِي اللَّخْمي ٥ ـ عَمْرو بن عَبْد الجِنّ التَّنُوْخِي ٦ ـ دُوَيْد بن زَيْد بن نَهْد ٧ ـ أَعْصُر بن سَعْد بن قَيْس عَيْلان ٨ ـ عامِر بن الظَّرِب العَدْواني ٩ ـ سَعْد بن زَيْد مَناة التميمي ١٠ ـ العَنْبر بن عَمْرو بن تَمِيْم ١١ ـ مَعْدِي كَرِب الحميري ١٢ ـ كِلاب بن مرّة ١٣ ـ يَرْبُوع بن حَنْظَلة التَّمِيْمِي ١٤ ـ حَبْشِية بن سَلول الخُزاعي ١٥ ـ فِراس بن غَنْم الكِناني ١٦ ـ أبو قِلابة الهُذَلي ١٧ ـ الحارِث بن كَعْب المَذْحِجي ١٨ ـ ذُؤَيْب بن كَعْب بن عَمْرو بن تَمِيْم.

ثانيًا ـ شعراء وُجِدوا ما بين القرن الخامس وأواسط القرن السادس الميلاديّين، وربّما لم يشهد بعضهم القرن الخامس أبدًا، وعددهم اثنان وعشرون شاعرًا وهم: ١ ـ الأضْبط بن قُرَيع السعدي ٢ ـ هُمام بن رِياح بن يَرْبوع التَّمِيْمِي ٣ ـ ثَعْلَبة بن صُعَيْر المازِنيّ ٤ ـ قَطَن بن نَهْشَل التَّمِيْمِي ٥ ـ مُرّة بن هَمّام البَكْرِي ٦ ـ كَلَدَة بن عَبْد بن

(١) أبو أحمد العكسري: شرح ما يقع فيه التصحيف ٤٢٧ .

مَرارة الأسدِي ٧ ـ عبَّاد بن شدَّاد اليَرْبُوعِي ٨ ـ هُبَل بن عَبْدا لله الكَلْبي ٩ ـ حَلِيْل ابن حَبْشِيَّة الخُزاعي ١٠ ـ بَكْر بن غالِب الجُرْهُمي ١١ ـ رِزاح بن رَبِيْعة النَّهْدِي ١٢ ـ المُسْتَوْغِر بن رَبِيْعة السَّعْدي ١٣ ـ امرؤ القيس بن الحُمام الكَلْبي ١٤ ـ سَعْد بن مالِك البَكْري ١٥ ـ الفِنْد الزِّمّاني ١٦ ـ مُرَّة بن الرُّواع الأسَدِي ١٧ ـ كَعْب بن الرُّواع الأَسَدي ١٨ ـ زُهَيْر بن جَناب الكَلْبي ١٩ ـ أُحَيْحَة بن الجُلاح الأوْسِي ٢٠ ـ هُنَيّ بن أحْمَر الكِناني ٢١ ـ الأسْعَر الجُعْفِي ٢٢ ـ مُحَمَّد بن حُمران الجُعْفي.

أمّا مجموع أشعار الشعراء كلّهم، فقد بلغ ٩٤٢ بيتًا، قُمْنا بجمعِها، وشرحها، وتحقيقها، وتخريجها، وصنَّفناها بحسب تعاقب أصحابها الزمنيّ، تقريبيًا. ويمكن أن نقسم هؤلاء الشعراء، من حيث كمّيَّة الشعر التي عُزيت إلى كلّ منهم إلى ثلاثة أقسام هي:

آ ـ شعراء مُقِلُّون لا تتجاوز أبيات أيّ منهم الخمسين بيتًا. وهم الأغلبيَّة الساحقة. وعددهم (٣٥) شاعرًا.

ب ـ شاعران أبيات كلّ منهما ما بين الخمسين والمئة بيت. وهما: عامِر بن الظَّرِب العَدْواني، وسَعْد بن مالِك البَكْري.

جـ ـ ثلاثة شعراء تجاوزت أبيات كلّ منهم المئة بيت. وهم: أُحَيْحَة بن الجُلاح الأوْسِي، وزُهَيْر بن جَناب الكَلْبي، والفِنْد الزِّمّاني.

ونظنُّ ظنًّا أنّنا بهذا التصنيف قد رَسَمْنا خطًّا لتعاقُب أجيال من الشعراء الجاهليّين عاشوا ما بين القرن الثالث، وأواسط القرن السادس الميلاديَّين. وهي مرحلة زمنيَّة مديدة، اقتضت منّا عَمَلاً مُضْنِيًا، ورحلة طويلة في كتب التراث المختلفة.

وفيما يلي جدول يوضِّح أسماء الشعراء الذين سنتناول توثيق أشعارهم في الفصل الثالث من هذا الباب، تمهيدًا لدراسة أخبارهم تفصيليًا، و«صُنْعِ» أشعارهم في القسم الباقي من هذه الأطروحة.

أسماء الشعراء الجاهليّين الأوائل المصنوع شعرهم وأبيات كلّ منهم، والفترة التي ينتمي إليها تقريبًا

اسم الشاعر وقبيلته	عدد أبياته	الفترة التي ينتمي إليها تقريبًا	اسم الشاعر وقبيلته	عدد أبياته	الفترة التي ينتمي إليها تقريبًا
شعراء الباب الثاني					
١ ـ خُزَيْمَة بن نَهْد القُضاعي	٠٠٧	الثالث الميلاديّ	٢١ ـ ثَعْلَبة بن صُعَيْر المازِني	٠٢٦	الخامس وبعض السادس
٢ ـ جُدَيٌّ بن الدلهات القضاعِي	٠٠٨	الثالث الميلاديّ	٢٢ ـ قَطَنُ بن نَهْشَل التَّميمي	٠٠٥	الخامس وبعض السادس
٣ ـ جَذِيمَة الأبْرَش الأزدِي	٠١٩	الثالث الميلاديّ	٢٣ ـ مُرَّة بن همام البكرى	٠٠٩	الخامس وبعض السادس
٤ ـ عَمْرو بن عدي بن نصر اللَّخْمِي	٠١٠	الثالث الميلاديّ	٢٤ ـ كَلَدَة بن عَبْد بن مرارة الأسدى	٠٠٥	الخامس وبعض السادس
٥ ـ عَمْرو بن عبد الجنّ التَّنوخِي	٠٠٣	الثالث الميلاديّ	٢٥ ـ عَبّاد بن شَدّاد اليربوعي	٠٠٤	الخامس وبعض السادس
٦ ـ دُوَيْد بن زَيْد بن نَهْد القضاعي	٠٠٩	الثالث وبعض الرابع	٢٦ ـ هُبَل بن عبدالله الكلبي	٠٠٤	الخامس وبعض السادس
٧ ـ أعْصُر بن سَعْد بن قَيْس عَيْلان	٠٠٣	الرابع الميلاديّ	٢٧ ـ حَلِيل بن حَبْشية الخُزاعي	٠٠٣	الخامس وبعض السادس
٨ ـ عامِر بن الظَّرِب العَدْواني	٠٥٢	الرابع وبعض الخامس	٢٨ ـ بَكْر بن غالِب الجُرْهمي	٠٠٥	الخامس وبعض السادس
٩ ـ سَعْد بن زَيْد مَناة التَّمِيمي	٠٠٨	الرابع وبعض الخامس	٢٩ ـ رِزاح بن ربيعة النَهْدى	٠٢٣	الخامس وبعض السادس
١٠ ـ العَنْبَر بن عَمْرو بن تميم	٠٠٣	الرابع وبعض الخامس	٣٠ ـ المُسْتَوْغِر بن رَبيعة السعدى	٠٢٧	الخامس وبعض السادس
١١ ـ مَعْدِي كَرب الحِمْيَرِي	٠٠٢	الرابع وبعض الخامس	٣١ ـ امْرُؤُ القيس بن الحُمام الكلبي	٠٠٦	الخامس وبعض السادس
١٢ ـ كِلاب بن مُرَّة القُرَشي	٠٠٢	الخامس الميلاديّ	٣٢ ـ سَعْد بن مالِك البكرى	٠٦٦	الخامس وبعض السادس
١٣ ـ يَرْبُوع بن حَنْظَلَة التَّمِيمي	٠٠٣	الخامس الميلاديّ	٣٣ ـ الفِنْد الزِّمّاني البكرى	٢٠٠	الخامس وبعض السادس
١٤ ـ حَبْشِيَة بن سَلُول الخُزاعي	٠٠٢	الخامس الميلاديّ	٣٤ ـ مُرَّة بن الرَّواع الأسدي	٠٠٩	الخامس وبعض السادس
١٥ ـ فِراس بن غَنْم الكِناني	٠٠٢	الخامس الميلاديّ	٣٥ ـ كَعْب بن الرَّواع الأسدِي	٠٠٥	الخامس وبعض السادس
١٦ ـ أبو قِلابة الهُذَلي	٠٣٩	الخامس الميلاديّ	٣٦ ـ زُهَيْر بن جَناب الكلبي	١٣٧	الخامس وبعض السادس
١٧ ـ الحارِث بن كَعْب المَذْحِجي	٠١٩	الخامس الميلاديّ	٣٧ ـ أُحَيْحَة بن الجُلاح الأوْسِي	١٢٣	الخامس وبعض السادس
١٨ ـ ذُؤَيْبَ بن كَعْب بن عمرو التميمي	٠١١	الخامس الميلاديّ	٣٨ ـ هُنَيّ بن أحْمَر الكِناني	٠٠١	الخامس وبعض السادس
شعراء الباب الثالث			٣٩ ـ الأشعر الجُعْفِي	٠٤٨	الخامس وبعض السادس
١٩ ـ الأضْبَط بن قُرَيْع السَّعْدي	٠١٩	الخامس وأوائل السادس	٤٠ ـ مُحَمَّد بن حُمْران الجُعْفِي	٠٢٠	الخامس وبعض السادس
٢٠ ـ هَمّام بن رِياح التَّمِيمي	٠٠٥	الخامس وأوائل السادس			

ملاحظات:

١ ـ المجموع: (٤٠) أربعون شاعرًا . ٢ ـ عدد الأبيات: (٩٤٢) بيتًا من الشعر. ٣ ـ أزمنتهم ما بين القرن الثالث وأواسط السادس الميلاديَّين.

توثيق أشعار الأوائل

مرَّ بنا في الفصل السابق أنّ الشعراء الأوائل يمكن أن يكونوا جيلَين اثنَين، الأوّل لم يقل أعلامه الشعر، على نحو متّصل، أو ربّما قالوه، ولكنّ بُعد الهوّة الزمنيّة بينهم وبين عهد التدوين، حالَ دُونَ وصول جميع أشعارهم إلى أيّامنا هذه. ومن أبرز مُمَثّلي الجيل الأوّل الذين سنركّز حديثنا، فيما بعد، حول توثيق أشعارهم: خُزَيْمة بن نَهْد القُضاعي، وُجدَيّ بن الدّلْهاث القُضاعي، وجَذِيْمة الأبْرَش الأزْدي، وعَمْرو بن عَدِي اللَّخمِي، وعَمْرو بن عَبْد الجِنّ التّنُوْخِي. أمّا الشعراء الأُخَر، فسندع توثيق مَن يمكن الحديث عن توثيق شعره إلى مكانٍ آخر من البحث. فهدفنا هنا هو محاولة إثبات مقولة جوهريّة، فَحْواها: أنَّ شعرًا عربيًّا فصيحًا وناضِجًا، وهو شعر مُقَطَّعات، قد وُجِد منذ القرن الثالث الميلاديّ، في حين احتضن القرن الخامس الميلاديّ ظهور القصيدة العربيّة الطويلة نسبيًّا.

ولا بُدَّ لنا قبل الدخول في رحلة التوثيق للأشعار التي تنتمي إلى القرن الثالث الميلاديّ، ترجيحًا، من وقفة سريعة عند أشعار جاهليّة قديمة، ينتمي بعض مَن تُعزى إليهم إلى فترات زمنيّة أقدم من القرن الثالث، أو هي تقارب هذا القرن. وربّما وُجِد بعضهم في زمن أحدث من ذلك. وفي كلّ ما سيأتي لن نغفل عن أيّة شواهد أو أخبار أو ملاحظات تتّصل بتوثيق شعر شعرائنا جميعهم، أو تتّصل بأسباب القول بزَيْف بعض الشعر الجاهليّ ونحله.

والحقّ أنّه يمكن أن نُنَزِّلَ الشعرَ الجاهليّ، من حيث الصدق والأصالة، منازلَ، فهناك أوّلاً: شعرٌ مُفتَعل موضوع ليس من الأصالة في شيء، وهو ليس جديرًا بالثقة البتّة، وشعر آخر زِيد على أصول صحيحة لسبب من الأسباب، وشعر ثالث، ربّما يكون

صحيحًا، ولكنّه مُضطرب النسبة، يتنازعه شعراء كُثُر قد يصعب البتُّ إلى أيّ منهم يُعزَى.

ولقد رُوِيت قصائد طويلة أو قصيرة لأُناس يستحيل أن نثبت أنّهم قالوا الشعر، وحتّى لو قالوه في زمانهم، فلسنا نعرف بالضبط ما هي لغتهم، وما هي طبيعتها وخصائصها، وإلى أيّ مدى وصلت من الرقيّ والنضج والاستواء. ومنذ القرن الثالث الهجريّ (التاسع الميلاديّ) أشار محمّد بن سلاّم الجُمَحِي (٢٣١ هـ ـ ٨٤٥ م) إلى هذا الشعر المفتعل الموضوع حين قال: «وفي الشعرِ مُفْتَعَلٌ مَوْضُوْعٌ كَثِيْرٌ لا خيرَ فيه ولا حُجَّةَ في عربيّته، ولا أدَبٌ يُستفاد ولا معنًى يُسْتَخْرَج، ولا مَثَلٌ يُضْرَب... وقد تداوله قومٌ من كتابٍ إلى كتابٍ لم يأخذوه عن أهل البادية، ولم يعرضوه على العلماء، وليس لأحد ـ إذا أجمع أهْلُ العِلْم والرواية الصحيحة على إبطال شيء منه ـ أن يقبل عن صحيفة، ولا يُرْوَى عن صُحُفِيّ»[١].

ويبدو أنّ هذا الصُنْعَ والافتعالَ للشعر كانا قديمَين جدًّا، ولعلّهما كانا يَجْريان في الوقت الذي يجري فيه إبداع الشعر الأصيل الصحيح. وفي الإمكان الاعتقاد أنّ ذَينك العملَين: المُزيَّف والأصيل كانا يقعان في الجاهليَّة المتأخّرة، فقد روى أبو العلاء المَعَرّي (٤٤٩ هـ ـ ١٠٥٧ م) على لسان ابن القارح في حوار له مع (تأبَّط شرًّا) هذا النصّ: «فيقول ـ أسْنَى الله حظّه من المغفرة ـ لتأبَّط شرًّا: أَحَقٌّ ما رُوِيَ عنكَ من نِكاح الغِيْلان؟ فيقول: لقد كنّا في الجاهليَّة نَتَقَوَّلُ ونتخرَّصُ، فما جاءك عنّا مِمّا ينكره المعقول فإنّه من الأكاذيب، والزمن كلّه على سجيّة واحدة، فالذي شاهده مَعدّ ابن عدنان كالذي شاهده نَضاضةُ وَلَدُ آدم...»[٢].

وقَولة أبي العلاء هذه تشجّع على تحكيم العقل، وتسخير كلّ سُبُل العلم، لتوثيق الشعر القديم الذي يبدو، أحيانًا، أنّه يصلح فيه الاحتكام إلى الرواية لا إلى الدراية، ذلك لأنّ الجاهليّين يتقوّلون ويَتَخَرَّصون[٣]، وما ينكره المعقول فهو من الأكاذيب والزمن كلّه

(١) إبن سلام: طبقات فحول الشعراء ١: ٤.

(٢) المعرّي: رسالة الغُفران ٣٥٨. وقد ساق أبو العلاء أبياتًا لتأبَّطَ شرًّا في المعنى الذي دار عليه كلامه... ولتأبّط شرًّا أبيات أخرى في الغِيلان في ابن قتيبة: الشعر والشعراء ١: ٣١٣، والمسعودي: مُروج الذهب ٢: ١٥٥.

(٣) أنظر في تقوُّلات الجاهليّين، وتخرُّصاتهم، وعودتهم إلى كتب فيها أخبار السير، والأحاديث القديمة، ابن عَبْد ربّه: العقد الفريد ٦: ٩.

على سجيّة واحدة كما يقول أبو العلاء.

١ ـ النحل في غير أشعار أوائلنا

وممّا ينكره المعقول والبحث والنظر أن نثق بشعر ينتمي قائلوه إلى أزمان بعيدة جدًّا عن القرن الثالث الميلاديّ. وأوّل تلك الأشعار المنحولة التي ينبغي أن نردّها، دون تردّد، ما زُعِم على لسان آدم عليه السلام من شعر، فقد تكرّر في كثير من الكتب أنّ آدم قال لمّا قتل ابنُه قابيل، أخاه هابيلَ:

تَغيَّرتِ البلادُ ومَنْ عَلَيْها ... فَوَجْهُ الأرْضِ مُغْبَرٌّ قَبِيْحُ
وَجاوَرَنا عدوٌّ لَيْسَ يُهْدَى ... لَعِيْنٌ لا يموتُ فأستريحُ
أَيَا هابِيلُ يا ثَمَرَ الفُؤادِ ... أَبَعْدَ العَيْنِ مَسْكَنُكَ الضَّريحُ
مَحَلٌّ تَخْلُقُ الأجسامُ فِيْهِ ... ويَبْلَى عندَهُ الْوَجْهُ القَبيحُ
فَعَيْني لا تَجِفُّ عَلَيْكَ سَحًّا ... وَقَلبي الدَّهْرَ مَحْزُونٌ قَرِيْحٌ[١]

ومن دواعي رَدّنا لهذه الأبيات واتّهامها بالافتعال أنّ وَهْبَ بن مُنَبِّه (١١٤ هـ ـ ٧٣٢ م) صاحب **كتاب التيجان** الطافح بالشعر المفتعل الموضوع لم يتمالك أن يقول: «قال جُبَيْر بن مُطْعِم: هذه القصيدة ليست لآدم، هي **مَنْحُولة**»[٢]. وكذلك نجد أبا العلاء المعرّي يُجري على لسان آدم هذا الردّ على مَن يُنسب إليه هذا الشعر، فيُقَوِّله: «أعزز علي بكم معشر أُبَيْنِيَّ إنّكم في الضلالة مُتَهَوِّكون، آلَيْتُ ما نطقتُ هذا النظيم، ولا نُطق في عصري إنّما نظمه بعض الفارغين، فلا حول ولا قوّة إلاّ بالله! كذبتُم على خالقكم وربّكم، ثمّ على آدم أبيكم، ثمّ على حوّاء أمّكم، وكذب بعضكم على بعض، مآلكم في ذلك إلى الأرض»[٣].

ويمكننا أن نضيف إلى الصنف المتقدّم من الشعر المزيّف ما رُوِي على لسان

(١) وَهْب بن مُنَبِّه: **التِّيجان في ملوك حِمْيَر** ٢٤ ـ ٢٥ . وهذه الأبيات، أو بعضها في القُرَشي: **جَمْهرة أشعار العرب**: ١: ١٤، والمسعودي: م. س ٢: ١٣٣ فما بعدها، وحمزة الأصفهاني: **التنبيه على حدوث التصحيف** ٥٩ ـ ٦٠، والمعرّي: م. س ٣٦٢، والمُظفّر العلوي: **نُضرة الإغريض في نُصْرة القريض** ٢٤٦ ـ ٢٤٧، والسيوطي: **الوسائل إلى معرفة الأوائل** ١٢٢ .

(٢) وَهْب بن مُنبّه: **التيجان** ٢٥ .

(٣) المعرّي: **رسالة الغفران** ٣٦٤ .

يَعْرُب بن قَحطان، الذي زَعَم فيه وَهْب بن مُنَبّه أنّه: «أوّل مَن قال الشعر ووزنه وذهب في جميع الأعاريض ومدح ووصف وقصّ وشبَّبَ، فتعلّم منه إخوته وبنو عمّه حتّى وصل الأمر إلى المتعرّبين ببابل عاد وثمود وطسم وعملاق ورائش. فاستطابوا الشعر وخفّ على ألسنتهم فنسج لهم قوله»[1]. ويسوق عبيد بن شرية ليَعرُب بن قحطان هذه الأبيات:

أنا ابنُ قحطانَ الهُمامِ الأقْيَلِ ... لَستُ بنِكْالٍ ولا مُؤَمَّلِ
إنّي أنادي باللسانِ المُسْهِلِ ... بالمَنْطِقِ الأبْيَنِ غَيْرِ المُشْكِلِ
بَرَزْتُ والأمّة في تَبَلْبُلِ ... نَحْوَ يَمينِ الشَّمْسِ في تَمَهُّلِ
ونَقْهَرُ الأمّة في تَفَضُّلِ ... قَدْ جاءَنا نُوحٌ بِقَوْلٍ فَيْصَلِ[2]

أمّا أشعار عاد وثمود وطَسْم وجَدِيْس وغيرهم من العرب العاربة، فقد رُوِي منها شيء كثير في كتاب **التيجان وملوك حمير**، وفي مقدّمة **جمهرة أشعار العرب**، وفي **مروج الذهب**، وغيرها من الكتب[3].

ولعلّ من الملائم أن نسوق هنا بعض ما يُعزى إلى تلك الأقوام البائدة من شعر، ذلك لأنّنا بعد قليل سَنَتَّهِم هذه الأشعار، ولا نَمْنَحُها أدنى درجة من الأصالة، فقد روى عَبِيْد بن شريّة الجُرْهمي، لعاد هذه الأبيات:

إنّي أنا عادُ الطَّويلُ النادِي ... ذو العِزِّ والقوّةِ والسَّدادِ
والبَطْشِ والأموالِ والأولادِ ... يا قَوْمُ أجيبُوا صوتَ النادِي
فَقَدْ سَمِعْتُمُوه إذْ يُنادي ... مِنْ غَيْرِ ما شخصٍ ترونَ بادِي
ففيهِ عبرةٌ لِذي السَّدادِ ... فسِرْتُ بالطارِفِ والتِّلادِ[4]

وكذلك روى عَبِيْد لثَمود بن عابِر قوله:

يا قومُ سِيْروا واعلمُوا القعودا ... لعلَّنا ندركُ ذا الوُفودا

---

(١) إبن منبّه: م. س ٤١ .

(٢) إبن شريّة: أخبار عَبِيْد بن شَرِيّة (ضمن كتاب التيجان) ٣٢٩، وأوّل البيت الثاني: «والمبتدي» وقد أصلَحْنا الرواية وفق ما جاء في **التيجان** ص ٤ .

(٣) أنظر ابن منبّه: م. س ٤٧ فما بعدها، والقرشي: **جمهرة أشعار العرب** ١: ١٤٠ ـ ١٤٢، والمسعودي: **مروج الذهب** ٢: ١٣٣، فما بعدها.

(٤) إبن شريّة: م. س ٣٣ . وانظر المسعودي: م. س ٢: ١٣٤ .

ويـعـربَ المتـوَّجَ الـصـنّـديـدا   وخـلّـفـوا الأرذالَ والـوفـودا
والمَغْـشَـرَ الأنـذالَ والـعَـبِـيْـدا   قـد مـاتَ نـوحٌ راشِـدًا مـحـمـودا[1]

أمّا طَسْم بن لاوِذ بن إرم بن سام بن نُوْح، فقد أنشد له عُبَيد هذه الأبيات:

إنّـي أنـا طَـسْـمٌ شـبـيـهُ سـامِ   ووالـدي لاوِذُ بـن إرامِ
لمّا رأيـتُ مِـنْ بـنـي أعـمـامـي   وإخـوتـي الـرحـيـلَ بـاعْـتِـزام
قـد اقـتـدَوا بـيـعـرُبَ الـهُـمـامِ   كـرهْـتُ بـعـدَ إخـوتـي مَـقـامِـي[2]

وتمتلئ بعض كتب القصص والسيَر والأخبار والتاريخ والأدب[3] بمثل هذه الأشعار الباردة الغَثّة التي لا يقرؤها المرء حتّى يشعر على التوّ أنّها مفتعلة وموضوعة يكاد يستحيل إثبات أنّ أصحابها قد نظموها حقًّا بلغة الشعر الجاهليّ الموثّق الأصيل، ذلك لأنّ بُعْدَ الفترة ما بين أزمان مَن تُنسَب إليهم، وأزمان التدوين العلميّ الصحيح للشعر الجاهليّ، يحول دون الثقة بها، أو الاطمئنان إلى أنّ مَن تُعْزَى إليهم قد نظموها حقًّا.

ومثل تلك الأشعار، نجد في ثنايا بعض تلك الكتب أشعارًا تُروى للتبابعة والحِمْيَريّين. ومن أمثلة هذه الأشعار ما يرويه عبيد بن شريّة لتبّع الأقْرَن. وقد زعم أنّه غزا الترك والخَزَر، فالتقى بهم عند (آذرْبيْـجان والمُوصِل) فهزم الترك، وقتل المقاتلة وسبى الذراري، ثمّ قال:

مَـنَـعَ الـبَـقـاءَ تـقـلُّـبُ الـشَّـمْـسِ   وطُـلُـوْعُـهـا مِـنْ حَـيْـثُ لا تُـمْـسِـي
وطـلـوعُـهـا بـيـضـاءَ صـافـيـةً   وغـروبُـهـا صـفـراءَ كـالـوَرْسِ
تجري عـلـى كَـبـدِ الـسَّـمـاءِ كَـمـا   يـجـري حُـمـامُ الموتِ بـالـنَّـفْـسِ[4]

وروى أيضًا على لسان تبّع الأكْبَر قوله:

أنا تبَّـعُ الأملاكِ مِنْ نَـسْـلِ حِـمْـيَـر   مـلـكْـنـا عـبـادَ اللهِ فـي الـزمـنِ الخالـي

(١) إبن شريّة: أخبار عَبِيْد بن شَرِيّة (ضمن كتاب التيجان) ٣٣٠ ـ ٣٣١، والمسعودي: مروج الذهب ٢: ٣٤.
(٢) إبن شريّة: م. س ٣٣٢.
(٣) من أمثلة هذه الكتب: التيجان في ملوك حمير، وتاريخ العرب الأوّليّة للأصمعي، والمعمّرون للسجستاني، والأخبار الطوال للدينَوري، وجمهرة أشعار العرب للقرشي، ومروج الذهب للمسعودي، ونشوة الطرب لابن سعيد الأندلسي، وغرر الخصائص الواضحة للوطواط.
(٤) إبن شريّة: م. س ٤٤٩ ـ ٤٥٠، وانظر الهمداني: الإكليل ٢: ٥٥، والأبيات في المرزباني: معجم الشعراء ٢٢٣. وتنسب إلى القمقام بن العباهل وإلى أسقف نجران.

ملكناهُمُ قهرًا، وسادتْ خيولُنا إلى الهندِ، والأسبابُ تردي بأبطالِ
وكلُّ بلادِ اللهِ قدْ وَطئتْ لنا خيولٌ لعَمْري غيرَ نِكْس وأعْزالِ[1]

ولو شِئنا أن نقف قليلاً عند أحد هؤلاء التبابعة، وهو التبَّع أسعد بن مَلكِي كَرِب المُسمَّى أحيانًا أسعد تُبَّع، ونقارن بين ما رواه الأقدمون فيه، وما حقَّقه المعاصرون، لوجدنا اضطرابًا كبيرًا... فقد تحدّث نشوان الحِمْيَري (٥٧٣ هـ - ١١٨٧ م) عنه فقال: «أعظم التبابعة وأفصح شعراء العرب، ولذلك قال بعض العلماء فيه ذهب مُلْكُ تبَّع بشعره، ولولا ذلك ما قُدِّم عليه شاعر من العرب... وهو الذي نَهَى النبيّ عليه السلام عن سَبِّه، لأنّه آمن به قبل ظهوره بسبعمائة عام، وليس ذلك إلاّ بوحي مِنَ الله عزّ وجلّ، وهو القائل:

شَهِدْتُ على أحْمَدَ أنَّهُ رسولٌ مَن اللهِ باري النَّسَمْ»[2]

وإذا قرأنا أخباره عند مَن هو أقدم من نشوان الحِمْيَري، وجدْنا مبالغات عجيبة، فالهمداني مثلاً يقول فيه نقلاً عن ابن هشام: «الرائش بن عَدِي بن صَيْفِي بن سَبَأ الأصغرَ بن كَعْب... وهو الذي آمن برسول الله ﷺ ولم يَرَهُ. وكان ملكًا عظيمًا شاعرًا فصيحًا عارفًا بالنجوم وأحكام القرآن (كذا)، عُمِّر ثلاثمائة وإحدى وخمسين سنة. وكان ملكه ثلاثمائة وستًّا وعشرين سنة، وآمن بالنبيّ، وقال فيه قصيدته المشهورة التي أوّلها حيث يقول:

شَهِدْتُ على أحمدَ أنَّهُ رسولٌ منَ اللهِ باري النَّسَمْ
لَهُ أُمَّةٌ سُمِّيتْ في الزبورِ فأمّةُ أحْمَدَ خَيْرُ الأمَمْ
فَلَو مُدَّ عُمْري إلى عُمْرِهِ لكُنْتُ وزيرًا له وابنَ عَمْ
وكنتُ ظهيرًا على المُشْركين أسْقِيهم كأسَ حُزْنٍ وهَمْ

وهي قصيدة طويلة ذكرها أبو محمّد وَهْب بن مُنَبِّه»[3].

وقد عُزِيَ للتبَّع المُسمَّى (أسْعَد) قصائد طويلة في كتاب التيجان، والإكليل.

(١) إبن شريَة: م. س ٤٥٣.
(٢) نَشْوان الحميري: شَمْس العلوم ٢١٩ - ٢٢٠.
(٣) الهَمَداني: الإكليل ٨: ٢٨٠، وابن منبِّه: التيجان ٣٠٨، وفيه بيتان من المقطوعة السابقة. أمّا كتاب أخبار عبيد بن شريّة فقد ضمّ ٢٤ بيتًا من الميميّة المعنيّة، وانظر أيضًا ابن سعيد الأندلسيّ: نشوة الطرب ١٤٨ فما بعدها.

وفي أخبار عبيد بن شريّة رُوِيَ لهذا التبّع قصيدة تبلغ ٥٠ بيتًا، قالها عندما كَسَا البيت الحرام، يقول في مطلعها:

جَـدّدي الخَيْـلَ لا تـربّـي الـولـيـدا وصـلـيني ولا تـخـونـي الـعـهـودا[١]

وفي كتاب التيجان ذاته عُزِيَ لهذا الملك الحميري قصيدة تبلغ ٥١ بيتًا، أوّلها:

نـحـنُ الملـوكُ ذوو الـعُـلا والـسُّـؤْددِ نـحنُ الحماةُ بنو الـهُـمامِ الأمْـجدِ[٢]

وفي الإكليل روى الهمداني لأسعد بن مَلْكِي كَرِب قصيدة تبلغ ٥٦ بيتًا، مطلعها:

أَتَـهْـجُـرُ مَـنْ لمْ يَـكُـنْ يَـهْـجُـرُ وتَـقْـصُـرُ، فـالْـمَـرْءُ قـدْ يـقـصـرُ[٣]

ويطول بنا الحديث عن شعر هذا التبّع وحده الذي، لو جُمِع، لبلغ مئات الأبيات، ولكن هذا الشعر، فيما يبدو، ليس من الأصالة في شيء. ودليلنا على استبعاده، والقول بنحله أنّ أخبار هذا الملك الحِمْيري الموثّقة لا تجعله قبلَ الإسلام بسبعمائة عام، بل قبل الإسلام بمئتَي عام. وقد أرّخ (أ. كريفيني)، من خلال النقوش المكتشفة، لمُلكِه بما بين سنتَي ٣٧٨ م و٤١٠ م[٤]. وكان (جرجي زيدان) قد أرّخ لمُلْكه بما بين سنتي ٣٨٥ و٤٢٠ م[٥]. في حين قال فيه (حمزة الأصفهاني) (٣٦٠ هـ ـ ٩٧٠ م): إنّه تبّعُ الأوسط وهو المَعْنيّ في القرآن. وكان مُلْكه مئة وعشرين سنة، ثمّ أضاف إنّه قرأ في كتاب من كُتُب أخبار اليمن أنّ حفيد هذا المَلِك هو عَمْرو بن تبّع بن حسّان بن أسعد كان في زمن سابور بن أردشير، أي في القرن الثالث الميلاديّ[٦].

أمّا حُجَجُنا في تضعيف تلك القصائد، أو تأكيد افتعال البعض منها، فمنها ما يتّكِئ على أقوال القدماء، ومنها ما يستند إلى شكل ذلك الشعر ومضمونه ومدى

---

(١) إبن شريّة: م. س ٤٧١ ـ ٤٧٣ .

(٢) إبن منبّه: م. س ١٢١ ـ ١٢٤ والقصيدة تقع في ١١ بيتًا في الهمداني: م. س ٢: ٣١٩ .

(٣) الهَمْداني: الإكليل ٢: ٣٨٨، والقصيدة في ابن شريّة: أخبار عبيد ٤٥٨ في ٤٤ بيتًا، وانظر الأصمعي: ملوك العرب الأوّليّة ص ٣٧ حيث قصيدة لأسعد بن مَلكي كرب في ٣٠ بيتًا.

(٤) أنظر مقال أ. كريفيني: *Poemetto di Qudam Ben Qadim* في: *Rivista degli Studi Orientali* VII-P.325.

(٥) جرجي زيدان: العرب قبل الإسلام ١٢٨ ـ ١٢٩ .

(٦) أنظر حمزة الأصفهاني: تاريخ سِنِي ملوك الأرض ١٠٢ ـ ١٠٣ وقارن بالنُّوَيْري: نهاية الأرب: ١٥: ٢٩٦ .

ملاءمته لطبيعة المرحلة التي يزعم أنّه قيل فيها. وهي ما بين القرنَين الرابع والخامس الميلاديَّين.

فمن قبيل الحُجَجِ الأولى أنّ السُّهَيْلي (٥٨١ هـ ـ ١١٨٥ م) ساق من قصيدة التبَّع أسْعَد بن مَلْكي كَرِب الدالية الطويلة، التي أشرنا إليها آنفًا، هذَيْن البيتَين:

ولقدْ أذلَّ الصعبُ صَعْبَ زمانِهِ وأناطَ عروةَ عِزِّهِ بالفَرْقدِ

لم يدفعِ المقدورَ عنهُ قُوَّةٌ عندَ المنونِ ولا سموُّ المَحْتَدِ

ثمَّ قال: «والصنعة بادية في هذا البيت، وفي أكثر شعره»[1].

ومن قبيل الحُجَج الثانية أنّ طولَ القصائد المنسوبة لذاك التبَّع ولغيره من التبابعة يُعَدّ سببًا من أسباب اتّهامها وإسقاطها، فهي تُناقِض طبيعة المرحلة التي رُبّما وُجد فيها مَن تُعْزَى إليه، فقد لاحظنا من خلال عدد أبيات الشعراء الذين عاشوا في الفترة المماثلة غياب القصيدة الطويلة التي تبلغ أبياتها الخمسين بيتًا أو أقلّ بقليل. فالشعراء المرجَّح وجودُهم قبل القرن الخامس الميلاديّ، في دراستنا هذه، لم يصل إلينا من إبداعهم شِعر بمثل طول قصائد التبَّع أسْعَد بن مَلْكِي كَرِب، ولعلّ مثل هذه الحقيقة كان ماثلاً في ذِهْن ابن سلاَّم الجُمَحي (٢٣١ هـ ـ ٨٤٥ م) حينما أسقط شعر عاد وثَمود وحِمْير وتُبّع بقوله: «ولم يكن لأوائل العرب من الشعر إلاّ الأبيات يقولها الرجل في حاجته، وإنّما قُصّدت القصائد وطُوّلَ الشعر على عهد عَبْدِ المُطّلب وهاشم بن عبد مَناف، وذلك يدلّ على إسقاط شعر عاد وثمود وحِمْيَر وتُبّع»[2].

وهناك أمر ثالث يدفع بشعر تُبّع هذا، أو ببعضه، إلى هاوية الافتعال والاصطناع، وهو ما حَوَاهُ شعره من إشارات إلى إيمانه بالرسول العربيّ (محمّد) عليه السلام، حين قال:

شَهِدْتُ على أحْمَدَ أنّه رسولٌ منَ اللهِ باري النَّسَمْ

وكذلك ورود بعض المصطلحات الإسلاميّة في هذه القصيدة، كقوله:

«المشركين» و«خاتم النبيِّين» وإشارته إلى أصل «الأنصار» في قوله:

---

(١) السّهَيْلي: الروض الأنف: ١: ٣٩.

(٢) إبن سلاّم: طبقات فحول الشعراء ١: ٢٦.

ومِـنْ نَـسْـلِ قـومِـي لـهُ نـاصِـرٌ   فـيـؤونَـهُ ثـمَّ لا يـهـتـضـم(1)

وهكذا نعتقد أنّ هذه الأشعار التي عُزيَت إلى آدَم ويَعْرب بن قَحْطان وعاد وثَمود وتبّع وحِمْيَر، وما أشْبَهها، مُولَّدةٌ ومُخْتَلَقَة. ولم يقلْها أصحابُها المنسوبة إليهم البتَّة وقد تحدَّث عن طريقة اختلاقها القدماء. وانتهى بعض المعاصرين إلى القَطْع بأنّها موضوعة.

وفيما يتّصل بطريقة اختلاق مثل ذلك الشعر، ساق حمزة الأصفهاني (٣٦٠ هـ ـ ٩٧٠ م) خبرًا، فحواه أنّ أوّل مَن وضع الكتابة العربيّة قوم من الأوائل نزلوا في عدنان ابن أدّ بن أُدَد، فاستعربوا، ووضعوا هذه الكتابة على حروف أسمائهم، وهم:

أبْجَد، هَوَّز، حُطّي، كَلمُن، سَعْفَص، قَرِشَتْ، وهم ملوك اليمن، فهلك رئيسهم (كَلِمُنْ)، فقالت أُخته، (أو ابنته)، ترثيه:

كَـلِـمُـونٌ هَـدَّ رُكْـنِـي   هـالِـكًـا وَسْـطَ الْـمَـحَـلَّـهْ
سـيِّـدُ الـقـومِ أتـاهُ الْـ   ـحَـتْـفُ نـارًا وَسْـطَ ظُـلَّـهْ
جُـعِـلَـتْ نـارًا عـلـيـهـم   دارهُـمْ كـالْمُضْـمَـحِـلَّـهْ(2)

ثمّ ردَّ حمزة هذا الخبر من وجوه، لعلّ، أهمّها ـ وهو ما نريد الوصول إليه هنا ـ أنّ هذا الخبر صادر عن رجل كان يُولّد الأخبار على الأمم الذين بادُوا، كعاد وثَمود وطَسْم وجَدِيْس وأضرابهم، فإذا احتاج إلى توليد أشعار تُؤكّد بها تلك الأخبار خرج إلى ظاهر المدينة لامتحان الأعراب مُلتمسًا مَن يحسن قول الشعر، فإذا عثر على واحد عَدلَ به إلى منزله فغَدَّاه وكساهُ وحباهُ، ثمّ سأله أن يقول شعرًا من جِنس ما يريده، فكان يعملون له مثال:

كَـلِـمُـونٌ هَـدَّ رُكْـنِـي   هُـلْـكُـهُ وَسْـطَ المَحـلَّـهْ

وهذا الرجل هو الذي ادَّعى على آدم عليه السلام أنّه كان شاعرًا، وروى له:

تَـغَـيَّـرتِ الـبـلادُ ومَـنْ عـلَـيْـهـا   فَـوَجْـهُ الأرضِ مُـغْـبَـرٌّ قَـبِـيْـحُ

فنسب بغباوته إلى نبيٍّ من أنبياء الله شعرًا ركيكًا واهي الركن ضعيفَ الأسر ذا

---

(1) ابن شريّة: أخبار عَبِيْد ٤٦٨ .

(2) حَمْزة الأصفهاني: التنبيه على حدوث التصحيف ٥٥ ـ ٥٦ . والأبيات في الفهرست ٧ .

إقواء، ولم يعلم أنّ الإقواء من أكبر عيوب الشعر. وليتَ شعري ما معنى قوله: تغيّرت البلاد؟ وأينَ كانت رقاع هذه البلاد؟ ومَن كان بانِيها؟ وماذا أراد بقوله: ومَن عليها؟»[1].

وفي هذا العصر وقف عند هذه النصوص الشعريَّة المصنوعة ـ التي تمثّل لمصادرها بكتابَي عَبِيْد بن شَرِيّة، ووَهْب بن مُنَبِّه على التوالي: **أخبار عبيد بن شريّة، والتيجان في ملوك حِمْيَر** ـ وقف عندها الدكتور (حسين نصّار) فرأى أنّه يمكن تقسيم الشعر الذي جاء به عَبِيْد بن شريّة إلى ثلاثة أقسام:

١ ـ قِسْمٌ ضعيفٌ سخيف ركيك ليس من الشعر الحقّ في شيء. ومن أمثلته ما نُسِب إلى طَسْم بن لاوِذ بن إرم وغيره. وقد مرّ بنا نموذج منه.

٢ ـ قسمٌ آخر: أجْوَد من السابق، ولكنّه من الموضوعات أيضًا. ومن أمثلته ما يُنسب إلى تبَّع، وكذلك مرّ بنا نماذج منه.

٣ ـ وقسم ثالث: أشعارٌ تنسب إلى شعراء معروفين مثل العبَّاس بن مِرْداس وأعشى بني وائِل وحسّان بن ثابت وأميّة بن أبي الصَّلْت وعَبِيْد بن الأبرص والنابِغة الذُّبياني. وأكثر تلك الأشعار وردت في دواوين أصحابها.

وما قِيل في الأشعار التي جاءت في كتاب عبيد بن شرية يصدق على ما رُوِيَ من أشعار في كتاب وَهْب بن منبّه. والتشابُهُ بين ذينِكَ الكتابَين، اللذين كانا مصدَرين لكثير من المؤلّفات التي حوت أشعارًا مصنوعة، لا يقوم بين طبيعتَي الأشعار التي حوياها فحسب، بل يقوم أيضًا ـ كما يقول حسين نصّار ـ بين طريقتَي العرض أيضًا من حيث: «إطلاق العنان للخيال، وتلوين الحوادث التاريخيَّة بأطياف الخيال، وإدخال الحوادث، التاريخيَّة التي لا أصل لها، فقد كانا امتدادًا للحركة القصصيّة التاريخيَّة التي كانت موجودة في الجاهليَّة. ولعلَّ الذي نَسَخَ الكتابَين في نسخة واحدة رجلٌ حكيم عَرَفَ مواطن الشَّبَهِ هذه التي لا تجعلنا نشعر بينهما كبيرَ فَرق»[2].

وكذلك نقرأ لفاروق خورشيد، وقد أحصى لِتُبَّع من الأشعار ٦٩٤ بيتًا في

(١) الأصفهاني: م. س ٥٩ ـ ٦٠.

(٢) حسين نصّار: نَشأة التدوين التاريخيّ عند العرب ١٨ ـ ٢٠، وانظر فاروق خورشيد: في الرواية العربيّة ـ عصر التجميع ١٦٨ ـ ١٦٩ حيث يكرّر المؤلّف رأي نصّار ذاته. وجواد علي: المُفَصَّل في تاريخ العرب ١: ٨٤ فما بعدها، ومقدّمة د. عبد العزيز المقالح لكتاب التيجان (ط ٢) ٧ ـ ٨.

كتاب عبيد بن شرية فقط، نقرأ له قولَهُ: «قد لا نختلف في قيمة هذا الشعر من ناحيتَيْه التاريخيَّة والفنِّيَّة، فالشعر الوارد على لسان تبّع موضوع قَطعًا»[1].

وخلاصة ما تقدَّم أنّ شعر تُبّع مُفتعل موضوع، في الأغلب الأعمّ. وقد يتساءل المرء عن زمن نظم هذه الأشعار التي رُويت على لسان تبّع. وتتمثّل إجابتنا في ملاحظة أنّ عبيد بن شرية ـ سمير معاوية بن أبي سفيان ـ كان قد أدرك الجاهليّة[2]، فالأشعار التي يرويها يمكن أن تكون قد نُظِمت في أواخر العصر الجاهليّ. وقد أيّد هذا الاحتمال البحّاثة (فؤاد سزكين)، إذ قال: «وهناك شِعرٌ يُنسَب إلى حِمْيَر وحاكمها تبّع كان مُتداولاً، ولا يمكن في رأيي إلاّ أن يكون من تأليف شعراء عاشوا قُبَيل الإسلام ـ وعدُّوا أنفسهم وَرَثَة فِكْر حِمْيَر. وقد جُمِعَ هذا الشعر بعد ذلك بعدّة أجيال، جَمَعَهُ عبيد بن شرية وابن مُفرِّغ دون أم يُفْصِحا عن شكٍّ في أصالته»[3]. وقد مرّ بنا أنّ أبا العلاء المعرّي قال: إنّ الجاهليّين كانوا يتقوّلون ويتخرّصون، فينظمون الشعر على لسان الجنّ والغِيْلان[4]. وهم لم ينظموا على لسان الجِنّ والغِيْلان فحسب، بل نظموا أيضًا على لسان آدم ويَعْرُب وعاد وثَمود وتبّع.

بيد أنّ شعر تُبّع لم يكن ليُنظم بأسره في الجاهليّة المتأخّرة، بل جاء بعضه في العصر الأمويّ أيضًا، والدليل تلك الإشارات الإسلاميّة التي وَردت مثلاً في بعض قصائد تُعْزَى إلى تبّع، نحو قوله في قصيدة عدَّتُها ٥١ بيتًا:

حتَّى أتاني مِنْ قُرَيْظةَ عالِمٌ ... مِنْ خير حَبْرٍ في اليهودِ مُسَوَّدِ
قالوا: إزْدَجِرْ عن قريةٍ مَحْجُوبةٍ ... لِنَبيٍّ مَكَّةَ مِنْ لُؤَيٍّ أحْمدِ
فعفوتَ عَنْها عَفْوَ رَاجٍ ربَّهُ ... وتركْتُها لعقاب يَوْمٍ سَرْمَدِ

ونحو قوله:

ومَضَيْتُ قَصْدًا نحوَ مَكَّة عائِذًا ... وَتَرَكْتُ ترْك مُؤَدَّب ومُسَدَّدِ
قَوْمًا إلى البيتِ العتيقِ صَلاتُهُمْ ... أكْرِمْ بقومٍ رُكَّعٍ أوْ سُجَّدِ

---

(١) فاروق خورشيد: م. س ١٨٠.
(٢) أنظر ياقوت الحموي: **معجم الأدباء** ١٢: ٧٣، وابن النديم: **الفهرست** ١٠٢.
(٣) فؤاد سِزْكِيْن: **تاريخ التراث العربيّ**: مج ٢ (١: ١٣).
(٤) المعرّي: **رسالة الغفران** ٣٥٨.

قَـوْمٍ يكون مُـحـمَّـدٌ مِـنْ نَـسْـلِـهِـمْ   إنَّ الـكـريمَ إلى الأكـارم يَـهْـتَـدِي[1]

وواضح أنّ مثل هذا الشعر، المُؤكّد اختلاقُه، قد نُظِم في الإسلام، وبعد أن بُعِث الرسول العربيّ محمّد بن عبدالله عليه السلام.

ورُبَّ قائل يقول: وما الدافع لتوليدِ هذه الأشعار؟ وإجابتنا هنا تتمثَّل في نصّ ساقَهُ السيوطي قال فيه: «وفي المبتدأ لأبي حذيفة عن ابن إسحق بِسند له: الشعر ديوان العرب لأنّ الأشعار كانت مصاديق ما يتحدّثون به عمَّن سَبقهم، وكان إذا حدَّث الرجل منهم في ذلك حديثًا لم يسمَعُوه، ولم ينتهِ إليهم علمُهُ، قالوا: هَلُمَّ لنا شِعْرًا يُصدِّق ما قُلْتَ»[2].

ولعلَّ هذا هو الذي كان يجري بين عُبيْد بن شريّة، ومعاوية بن أبي سُفيان. ففي كتاب **أخبار عبيد بن شريّة** نلاحظ أنّ عبيدًا كان يسوق خبرًا من أخبار التبابعة فيقول له معاوية: وهل عندك شعر يصدِّق ذلك، فيُنْشِئ عُبيْدُ، أو يروي من حِفظه هذا الشعر. ولنمثِّل على ذلك بهذا الحديث الذي دار بين الرجلَين وانتهى بقصيدة تبلغ خمسين بيتًا: «قال لله أبوك يا عبيد حدَّثْتَني عجبًا! فأنشدني الشعرَ الذي قاله تبّع في كسوة الكعبة، قال: نعم يا أمير المؤمنين، قال هذا الشعر، وأنشأ يقول:

جـدّدي الحيـل لا تـربـي الـولـيـدا   وصـليني ولا تـخـونـي الـعـهـودا»[3]

وكثيرة هي الأمثلة التي تشبه هذا الخبر في كتاب **أخبار عبيد**، ومن قبيل التزيُّد إيراد المزيد منها... ولم يكن عبيد وحده صانع أشعار تبَّع، فقد شاركه في ذلك شاعرٌ أمويّ آخر، هو (يَزِيْد بن مُفَرِّغ) (٦٩ هـ ــ ٦٨٨ م)، فقد روى أبو الفرج بِسَندِهِ: قال «سُئِل الأصمعي عن تبَّع وقصّته ومَن وضعها، فقال ابن مفرّغ، وذلك أنّ يَزِيْد بن مُعاوية لمَّا سيَّره إلى الشام وتخلّصه من عبّاد بن زياد أنزله الجزيرة، وكان مُقيمًا برأس عين، وزعم أنّه من حِمْيَر، ووضع سيرة تبّع وأشعاره»[4].

ولكنّ هناك إشكالاً، فحواه: هل كان مَحْضُ الاختلاق والاختراع وراء وجود هذه الأشعار المعزوّة للتبابعة؟ أم أنّ عرب الجاهليّة، ومَن تلاهم، كانوا يترجمون آثارًا فنّيّة

(١) إبن منبّه: **التيجان** ١٢٢، وانظر ابن شريّة: **أخبار عبيد** ٤٦٦ ــ ٤٦٨ .

(٢) السيوطي: **الوسائل إلى معرفة الأوائل** ١٢٣ .

(٣) عبيد بن شريّة: **أخبار عبيد** ٤٧١ ــ ٤٧٣ . وفي البيت تحريف وتصحيف لا يقوم بهما المعنى.

(٤) الأصفهاني: **الأغاني** ١٨: ٢٥٥ .

كانت بين أيديهم في صحف أو مهارق أو طنوج لا نعرف كُنْهَها اليوم بدقّة، ولا الحرف الذي دُوِّنت به فعلاً؟

إذا كان احتمال الاختلاق والوَضْع وارِدًا، كما سبق أن ذكرنا، فإنّ الاحتمال الثاني ليس ببعيد، بل هو مُحْتَمَل ومُتَوَقَّع. فقد قال أبو العلاء المعرّي في شعر يَعْرُب: «إنّ بعضَ أهلِ السِّيَر يزعم أنّ هذا الشعر وَجَدَهُ يَعْرُب في متقدّم الصحف بالسريانيّة فنقله إلى لسانه، وهذا لا يُمْنَع أن يكون»[1]. فإمكانيّة الترجمة، بغضّ النظر عن أيّة لغة، وإلى أيّة لغة، موجودة في نظر أبي العلاء. وإذا كنّا نشكّ في أن يكون شعر يعرب بالذات قد تُرجم عن السريانيّة، فإنّنا ربّما لا نشكّ في أن يكون عبيد بن شرية، أو يزيد ابن مفرغ الحِمْيَريّان يترجمان شعرًا عن الحِمْيَريّة، فكلاهما ينتسبان إلى اليمن، ولا جَرَمَ أن يكونا قد عرفا الحِمْيَريّة. وهذا ليس بهُجْنة عند عَلَمَيْن إسلاميَّيْن أُمَوِيَّين، ذلك لأنّ معرفة اللغات وقراءتها لم تكن غريبة على شعراء الجاهليّة. وفي حوزتنا أسماء أكثر من ثلاثين شاعرًا جاهليًا أشاروا إلى الكتابة أو إلى بعض أدواتها. وكثير منهم كان يعرف القراءة والكتابة بالعربيّة، وبغيرها، كَعَدِيّ بن زَيْد العبادي الذي كان تُرْجمانًا في ديوان كسرى[2]، وورَقة بن نَوْفَل الذي قال فيه أبو الفَرَج الأصفهاني إنّه: «كان يكتب الكتاب العِبْراني فيكتب بالعبرانيّة من الإنجيل ما شاء أن يكتب»[3]. وما لنا نذهب بعيدًا عن (الحِمْيَريّة) ولدينا خبر يؤكّد أنّ المرقّش الأكبر كان يعرفها، ويكتب شعره الفصيح بها، فابن قُتَيْبة يقول عنه: «ويقال: بل كَتَب هذه الأبيات على خَشَبِ الرحل، وكان يكتب بالحِمْيَريّة فقرأها قومه»[4].

ومن المعروف أنّ أميّة بن أبي الصَّلْت كان مُلِمًّا أو عارفًا بلغات أخرى غير العربيّة كالسريانيّة أو الآراميّة أو الحَبَشيّة، وذلك بدليل وجود بعض الألفاظ الأعجميّة، في شعره بكثرة[5]. ويذهب (أ. بروينلش) إلى أنّ كثيرًا من العرب الجنوبيّين كانوا يتكلّمون لغتَين اثنتَين[6].

---

(١) المعرّي: رسالة الغفران ٣٦٢.
(٢) الأصفهاني: الأغاني ٢: ١٠١.
(٣) م. س ٣: ١٢٠.
(٤) إبن قتية: الشعر والشعراء ١: ٢١١.
(٥) أنظر ديوان أميّة بن أبي الصَّلْت ـ تحقيق ودراسة ص ٢٩.
(٦) أنظر كتاب: دراسات المستشرقين حول صِحّة الشعر الجاهليّ ١٣٢.

ويبدو أنّ ما كان يجري إبّان الإسلام، وفي العصر الأمويّ ليس بِدعًا في تاريخ المنطقة العربيَّة خاصّة، وحضارات الشعوب الساميَّة عامّة، بل هو نَهْجٌ سارٍ منذ زمن سحيق. وقد أشار إلى ذلك الدكتور (عادل البيّاتي) حين قال: «عَمِل الساميّون (الآشوريّون والأكاديّون) على ترجمة الملاحم السومريّة إلى لغاتهم الساميَّة في عصرهم وعملنا نحن اليوم على ترجمة الملاحم السومريّة من لغاتها إلى عربيّتنا الفصحى. وهذه الحالة ستفسِّر لنا ظاهرة النصوص الشعريَّة العديدة التي لا يتردّد البعض عن عَزوها إلى آدم ونوح وإسماعيل وعاد وثَمود فهي نصوص مُتوارَثة انتقلت عبر الأجيال التي تؤول إليها، فهي عبارة عن ترجمات شعبيَّة لأشعار قديمة. وهي أيضًا قد تحمل بعض الأصالة في مضامينها وفي القصَّة التي تُحاك حولها. ولكن ليس في الشكل واللغة مُطلقًا»[1]

ويبقى لدينا أشعار من نوع آخر من الصعب إثبات أصالتها. والقاسم المشترك فيها أنّها تُعزَى لآباء القبائل العربيَّة الأباعد، فقد روت بعض كتب النَّسَب لإلياس بن مُضَر أنّه قال لولده:

يا عَمْرو قَدْ أدْرَكْتَ ما طَلَبْتَ ... وأنْتَ قَدْ أنْضَجْتَ ما طَبَخْتَ

وأنْتَ قدْ أسَأتَ إذْ قَمَعْتَا[2]

وكذلك روى ياقوتِ الحَمَوي لِطَيِّئ، الذي يُعَدُّ أبًا لقبيلةٍ عربيَّة كبيرة، قولَهُ:

إنَّا مِنَ القومِ اليَمانِينا

إنْ كُنْتِ عنْ ذلكَ تَسْألِينا

وقدْ ضَرَبْنا في البِلادِ حِينا

ثُمَّتَ أقْبَلْنا مُهاجِرينا

إذ سامَنا الضَّيْمَ بنو أبِينَا

وَقَدْ وَقَعْنا اليَوْمَ فِيما شِينَا

رِيفًا وماءً واسِعا ومِينا[3]

---

(١) أنظر مقال د. عادل البيّاتي: مدخل إلى البدايات الشعريَّة عند العرب، في: مجلّة كلّيّة الآداب ـ جامعة بغداد ـ العدد ٢٥ ص ٦٢٥.

(٢) إبن الكَلبي: جمهرة النسب (ط الكويت) ١: ٧٦ ـ ٧٧، والبَلاذُري: أنساب الأشراف ١: ٣٤، والطبري: تاريخ الأمم والملوك ٢: ٢٦٧، والسُّهَيْلي: الروض الأُنُف ١: ٩٩.

(٣) ياقوت الحموي: معجم البلدان (أجا).

وزعم المرزوقي (٤٢١ هـ ـ ١٠٣٠ م) أنّ أسد بن خزيمة، وهو أبو قبيلة عدنانيّة معروفة، قال مُنتميًا في شعره إلى إسماعيل عليه السلام:

أبونا الذي لَمْ تُرْكبِ الخيْلُ قَبْلَهُ ... ولمْ يدرِ شَيْخٌ قبْلَه كيفَ يَرْكبُ
وعوَّدَنا فيما مَضَى مِنْ ركوبِها ... فصرنا عليها بعدَهُ نتقلَّبُ
لَعَمْرُكَ ما عمَّايَ شمْر وَبيْهسٌ ... ولكنَّما عمَّايَ بَكْرٌ وتَغْلِبُ
فإنْ يَكُ أقوامٌ أضاعُوا أباهُمُ ... سَفاهًا فَمَا ضَلَّت ربيعَةُ أكْلُبُ[1]

ومن دواعي الشكّ في هذه الأبيات صعوبة نقلها شفاهًا لقرون طويلة، تبدأ من أزمان إلياس بن مُضَر، وطيِّئ، وأَسَد بن خزيمة، وافتقاد الأدلّة التي تقود إلى الاعتقاد أنّها دُوِّنَت منذ قيلَت... فهي، في الأغلب الأعمّ، من جنس تلك الأشعار التي رُوِيت لجدود الأنساب العربيّة لإثبات قُدمة أو سابقة[2]. وتكاد تشبه، من حيث صحّة عزوها إلى أصحابها، ذلك الشعر المزوَّر الذي نُظِم ليؤيِّد انتماء قُضاعة إلى حِمْيَر، فقد قال مصعب الزّبَيْري (٢٣٦ هـ ـ ٨٥١ م) فَوَلَدَ معدّ بن عدنان نزارًا، وقضاعةُ بن مالك ابن حِمْيَر بن سبأ... وزوَّروا في ذلك شِعرًا فقالوا:

يا أيُّها الدَّاعِي ادْعُنا وابْشرِ ... وكُنْ قُضاعيًّا ولا تَنَزَّرِ
قضاعةُ بن مالكِ بن حِمْيَرِ ... ألنَّسَبُ المعروفُ غيرُ المُنْكَرِ

وأشعار قُضاعة في الجاهليَّة، وبعد الجاهليَّة، تدلّ على أنّ نَسَبهم في مَعَدّ[3]. هذا أمرٌ والأمرُ الآخر الذي يدفع الأبيات إلى دائرة الاتّهام، نسجُها الشعريّ الذي تبدو عليه علائم التلفيق والصنعة، ثمّ المضمون الذي جاء في بعضها، فإذا تأمّلنا في ما يُنسَب إلى أسد بن خُزَيْمة لاحظنا شيئًا عجبًا... فقد أجمع النسّابون: على أنّ قبيلة أسد قبيلة عدنانيّة شماليَّة ينتهي نَسبها بمعدّ بن عدنان[4]، وعلى الرغم من أنّ ما بين عدنانَ

---

(١) المرزوقي: الأزمنة والأمكنة ٢: ٣٣١ ـ ٣٣٢، ويُرْوَى البيت الأوّل: «لم يركب الخيل» ولعلّ الصواب ما أثبتنا.

(٢) أنظر أيضًا ابن عَبْد ربّه: العِقْد الفريد ٣: ٣٣٧ حيث ثلاثة أبيات أخرى تُعْزَى إلى رَبيْعة بن نِزار، زُعِمَ أنّها قيلت في وصف البقرة الوحشيّة.

(٣) مُصعب الزُّبَيْري: نسب قريش ٥، والبيتان في السهيلي: الروض الأنف ١: ٢٣، ويُعزَوان لعَمْرو بن مرّة، وهو صحابي.

(٤) أنظر حديثنا عن قبيلة أسد في الفصل الأوّل من كتابنا: بِشْر بن أبي خازِم الأسَدِي، وخاصّة ص ١٥ وص ٦٩.

وإسماعيلَ من النسب لا يُوثق به، فإنّه لا يوجد في الشعر المنسوب إلى أسد بن خُزَيْمة ما يُشْعِر بانتسابه إلى إسماعيل، كما قُدِّم له على لسان المرزوقي، ولكلّ ما سبق نرى الأبيات منحولة.

ولم يقف النحل والافتعال للشعر عند حَدٍّ وضع أشعار معيّنة على ألسنة جدود قدامى جدًّا في الجاهليّة البعيدة البعيدة، بل اتّخذ أشكالاً أخرى كثيرة في الجاهليّة القريبة، وقف عندها الدكتور ناصِر الدين الأسد في كتابه **مصادر الشعر الجاهليّ**[1]. وبما أنّنا لا نبغي أن نكرّر ما سبق أن قيل، فإنّنا نكتفي بإشارة واحدة إلى ظاهرة التزيُّد والتطويل التي وقعت في قصائد بعينها تنتمي إلى الجاهليّة الأخيرة، لتكون هذه الإشارة مِهمازًا ينقلنا إلى الحديث عن شِعر بعض الشعراء الذين جمعنا أشعارَهم. فقد روى أبو الفرج الأصفهاني أنّ عامر بن عَبْد الملك وأخاه مِسْمَعًا، وهما من طبقة أبي عمرو بن العلاء (١٥٤ هـ ـ ٧٧٠ م)، لم يُصحّحا من قصيدة الحارِث بن عُباد سوى ثلاثة أبيات هي:

قَرِّبا مَرْبِطَ النَّعامةِ منّي لَقِحَتْ حَرْبُ وائلٍ عن حِيالِ
لا بُجَيْرٌ أغْنَى فتيلاً ولا رَهْـ ـطُ كُلَيْب تَزاجروا في ضَلالِ
لَمْ أكُنْ مِنْ جُناتِها عَلِمَ اللّـ ـهُ وإنّي بحَرِّها، الْيَوْمَ صالِ[2]

في حين نجدها في كتاب **بَكْر وتَغْلِب** المعروف باسم **البسوس** والمنسوب إلى محمّد بن إسحق (١٥١ هـ ـ ٧٦٨ م) تربو على مئة بيت، ومطلعها:

كلُّ شيءٍ مَصِيرُهُ لِزوالِ غيرَ ربِّي وصالحِ الأعمالِ[3]

وقد أُتْبِعت هذه القصيدة بنقيضة لمهلهل ـ خَصْم الحارث بن عُباد ـ مطلعُها:

هَلْ عرفْتَ الغَداةَ من أطْلالِ رَهْنَ رِيحٍ ودِيمةٍ وعَزالِ

وأبياتها تربو على أبيات قصيدة الحارث بن عباد المشار إليها سابقًا، بل هي (١٠٤) أبيات[4]. وهذه الكثرة من الأبيات، مُتَّهمة وباطِلة، ويؤيِّد اتّهامها وبطلانها أنّ

---

(١) أنظر ناصر الدين الأسد: **مصادر الشعر الجاهليّ** ٣٢١ ـ ٣٥١.
(٢) الأصفهاني: **الأغاني** ٥: ٤٧ ـ ٤٨.
(٣) أنظر ابن إسحق: **البسوس** ٩٨ ـ ١٠٤ (ط بغداد).
(٤) أنظر ابن إسحق: **البسوس** ١٠٤ ـ ١١٠.

الزيادات التي أُلحِقت بأصول قصيدة ابن عُباد، صَنَعَ ناظمُها (٤٥) بيتًا، تبدأ جميعها بهذا الشطر:

«قَـرِّبـا مَـرْبِـطَ الـنَّـعـامَـةِ مِـنِّـي»

ولا يختلف أحدهما عن الآخر إلاَّ بالعجز فحسب؟ والشيء ذاته يصدق على الزيادات التي صنعها الناظم وأضافها إلى ما عسى أن يكون أصلاً قاله المُهَلْهِل في الردّ على الحارث بن عُباد، فقد افتعل ذاك الرجل ٤٠ بيتًا تبدأ جميعها بهذا الصدر:

«قَـرِّبـا مَـرْبِـطَ المُشَـهَّـرِ مِـنِّـي»

ويبدو أنّ النحل والحمل على شعر مهلهل كانا كثيرين جدًّا، الأمر الذي دفع بالأصمعي إلى القول: «أكثرُ شِعْرِ مُهَلْهِلٍ مَحْمُولٌ عليه»[1]. وسنرى أنّ هذا الحكم يصدق على قسم من أشعار شاعرَيْن من شعراء حرب البسوس وقفنا عندهما في دراستنا هذه، هما الفِنْد الزِّمّاني، وسَعْد بن مالِك البَكْري. وخاصة ما نُسِب إليهما في كتاب البسوس.

وبسبب ما تقدَّم نستطيع أن نذهب بعيدًا فنسقط كثيرًا جدًّا من الشعر المفتعل المدسوس الذي نجده في الكتاب المذكور آنفًا، ونضيف إلى إسقاطنا لذاك الشعر، استهجاننا للمحاولة التوثيقيَّة للأشعار الواردة في ذلك الكتاب، التي نلتقيها عند (البهبيتي) القائل: «وأنا لا يكاد يُخامرني أيُّ شكّ في أنّ كثيرًا جدًّا من الشعر الجاهليّ الصحيح النسبة إلى أصحابه، وإلى العهد الجاهليّ، قائم في الكتب الباقية بين أيدينا الآن، وأنّ كثيرًا من التاريخ الجاهليّ الصحيح، مثل الشعر، قائم كذلك في هذه الكتب، ولكنّها ليست من الكتب التاريخيّة المشهورة ولا من مجاميع الشعر الجاهليّ الذائعة الصيت». وإذا سألنا البَهْبِيْتي عن هذه الكتب أجاب: «ومن هذا القبيل كتاب فتوح الشام للواقدي، ومنها كتاب بَكْر وتَغْلِب ابني وائل، ومؤلِّفه غير مُثْبِت عليه اسمه. وقد طُبع بمطبعة تدعى نخبة الأخبار سنة خمس وثلاثمائة وألف من الهجرة»[2].

---

(١) المرزباني: المُوَشَّح ٧٤.

(٢) البهبيتي: المعلّقات ـ سيرةً وتاريخًا ١٨٩ ـ ١٩٠. وقد أُعِيد طبع كتاب بكر وتغلب في بغداد ١٩٢٨، دون أيّ تعديل أو تصحيح، رغم أنّ غلافه وُشّح بعبارة: «وعُني بملاحظته وتصحيحه سلمان الصفواني صاحب جريدة المعارف».

والحقيقة أنّ كتاب بكر وتغلب، أو البسوس، هذا الذي يشير إليه (البهبيتي)، لَم يحوِ تزيُّدًا في أشعار الحارِث بن عُباد، ومُهَلْهِل بن ربيعة، فحسب، بل حوى أيضاً تزيُّدًا وتكثُّرًا وافتعالاً لأشعار بعض شعرائنا الأوائل، الذين آن الأوان لكي نقف عند أشعار البعض منهم، كما قدَّمنا، بُغيَة إثبات مقولة ظهور الشعر العربيّ الموثوق منذ القرن الثالث الميلاديّ، مُرْجِئين النظر في توثيق بعض أشعار الشعراء الأُخر إلى مواطنه، متجاوزين، هنا وهناك، الأبيات أو القصائد التي لا نرى في مَتْنها ما يبعث على اتِّهامها في جميع الأشعار التي جَمَعْناها.

٢ ـ توثيق أشعار شعراء القرن الثالث الميلاديّ وأوائل الرابع

بين شعرائنا الأربعين الأوائل شعراءُ نعتقد أنّـهم عاينوا القرن الثالث الميلاديّ وأوائل الرابع هم: خُزَيْمة بن نَـهد القُضاعي، وجُدَيُّ بن الدَّلْهاث القُضاعي أيضًا، وجَذِيْمة الأبْرَش الأزْدِي، وعَمْرو بن عَدِيّ اللَّخْمي، وعَمْرو بن عَبْد الجِنّ التَّنُوخِي. وتبلغ أبيات هؤلاء الشعراء (٤٦) بيتًا. والثقة بهذه الأشعار، أو ببعضها على الأقلّ، تؤيِّد الرأيَ القائل بوجود شعر عربيّ أصيل مستوفٍ لأسباب تكوّنه من لغة عربيَّة ناضجة، بمفرداتها وصيغها وأساليب تركيبها... إلخ، ومن وزن وقافية وإيقاع سائغ، منذ ما قبل الإسلام بأربعة قرون. وسنعتمد في هذا الباب معيارَين اثنَين، هما: الرواية أوّلاً، وشَكْل الشعر ومضمونه ثانيًا، وكلّ ما يداخل هذين المعيارَين من تفصيلات.

أوّلاً ـ خُزَيْمة بن نَـهْد القُضاعي:

ليس لدينا سَبَبٌ قويّ للشكّ في أشعار خُزَيْمة بن نَـهْد، فبيتاهُ الأوّلان من المقطوعة الأولى في شعره:

فَـتـاةٌ كَـأَنَّ رُضـابَ الـعَـبِـيْـرِ ... بِـفِـيْـهـا يُـعَـلُّ بِـهِ الزَّنْـجَـبِـيْـلُ

قَـتَـلْـتُ أبـاهـا عـلـى حُـبِّـهـا ... فـتـبـخـلُ إنْ بَـخُـلَـتْ أوْ تُـنِـيْـلُ

عُزِيا للشاعر عند كلّ من الرواة والعلماء: ابن قُتَيْبة، والبَلاَذُري، وأبي الفرج الأصفهاني، والبَكري، والزمخشري، وابن مَنظور المصريّ، دون أن يُفصِح واحدٌ منهم عن شكّه فيهما.

ومن أسباب عدم اتّهامنا لهذَين البيتَين الامتثال لأحد مبادئ محمّد بن سلاّم الجُمَحي في التوثيق إذ يقول: «وقد اختلفتِ العلماء بعد في بعض الشعر، كما اختلفت في سائر الأشياء، فأمّا ما اتّفقوا عليه، فليس لأحد أن يخرج منه»[1].

أمّا المقطوعة الثانية من شِعر خُزَيْمة التي يقول فيها:

إذا الْـجَـوْزاءُ أرْدَفَـتِ الـثُّـرَيَّـا ... ظَـنَـنْـتُ بِـآلِ فـاطِـمـةَ الـظُّـنُـونـا

فقد وردت أبياتها، أو بعضها، في كثير من المصادر مَعْزُوَّة له، مثل **كتاب الأمثال لأبي عُبَيْد، والمَعارف، وديوان الهُذليّين، وأنساب الاشراف، والأغاني، وجَمهرة الأمثال، ومُعْجَم ما اسْتَعجَم، وفَصل المقال، ومُختار الأغاني، وتاج العروس**[2]... إلخ. وهذا أمرٌ لا نجد معه تَسويغًا لأن نشكّ في الأبيات جميعها. ولكنّنا نجد تسويغًا، في ضوء ما قدّمنا عن طبيعة **كتاب البسوس**، لكي نتّهم البيت الخامس من المقطوعة التي نتحدَّث عنها، فالذي يبدو أنّه كان مَزيدًا على أصول الأبيات الأربعة الأولى، لأنّه وصل إلينا عن طريق مصدر حَمَل تزيُّدًا وتطويلاً على أصولٍ ربّما تكون صحيحة ــ كما سبق أن أشرنا.

ثانيًا ــ جُدَيٌّ بن الدّلْهاث:

ولا نجد شُبْهَة أيضًا يمكن أن تَلحق بمقطَّعتَي جُدَيّ بن الدّلْهاث. وأبيات كلّ منهما أربعة. فالأولى منهما تقترن بحادثة حصار مدينة (الحَضْر)، والثانية تقترن بوقعة تاريخيَّة هي (وقعة شَهْرَزُوْر). وكِلاَ الحدثَين سيمرّ بنا الكلام عليه في أخبار الشاعر. وليس هناك في لغة الأبيات ما يحمل على اتّهامها. ثمّ إنّ قصرَها يبدو مُتَّسِقًا مع شَكْل الشعر في الفترة التي نُقدِّر أنّ الشاعر وُجِد فيها. وهي القرن الثالث الميلاديّ. أمّا عَزْوها إلى جُدَيّ بن الدّلْهاث ذاته، وليس إلى غيره من الشعراء، فقد آثَرنا فيه رواية ياقوت الحموي بدلاً من غيرها، لأنّ ياقوتًا، على تأخُّره عن غيره من العلماء، زمنيًا، يُصحِّح خطأً شائعًا فحواه أنّ الذي حاصر مدينة (الحَضْر) ودمَّرها هو سابور الجنود، لا سابور ذو الأكتاف. وسابور الجنود، هو سابور بن أردشير فَتَح الحَضْر سنة ٢٤١ م[3]. ومن

---

(١) إبن سلاّم: طبقات فحول الشعراء ١: ٤ .
(٢) أنظر تخريج المقطوعة في شعر خُزَيْمة بن نَهْد في الباب الثاني من هذا البحث.
(٣) أنظر تفصيلات أوْفَى في: أخبار جُدَيّ بن الدّلْهاث في الباب الثاني هنا.

المتوقَّع ممَّن يُصحّح مثل هذا الخطأ التاريخيّ الذي وقع فيه رجال كبار، كأبي الفرج الأصفهاني[1] أن يتثبَّت من اسم الشاعر الذي نظنّ أنّه كان معاصرًا لحدث انهيار الحضر أمام سابور بن أردشير (٢٧١ م). ولهذا رجَّحنا كون اسم الشاعر الذي تُروى له تلك الأبيات: جُدَيّ بن الدَّلْهاث وليس عَمْرو بن آلة، والله أعلم.

ثالثًا ـ جَذِيمة الأبْرَش:

إذا كانت المُقَطَّعتان اللتان تُعْزَوان، تَرجيحًا، إلى جُدي بن الدَّلْهاث، لا تتناقضان مع شكل الشعر الصحيح للفترة التي نحن بصددها، من حيث اتِّصافه بالقصر، فإنّ طولَ قصيدة جَذِيمة الأبرش التائيّة لا يلائم ذلك، فهذه تبلغ (١١ بيتًا)، أوّلها:

رُبَّـمـا أوْفَـيْـتُ فـي عَـلَـمٍ ... تَـرْفَـعَـنْ بُـرْدِي شَـمـالاتُ

ويبدأ الإقواء في القصيدة عند البيت الثامن، ويستمرّ حتّى النهاية، الأمر الذي يُثير شكًّا في أن يكون جَذِيمة قد نظم الأبيات جميعها، فالمألوف في الشعر الجاهليّ الصحيح الأصيل أن يقع الإقواء فيه مرّة أو مرّتين، لا أن يقع بشكل متتابع في أربعة أبياتٌ متتالية... لذا يمكننا أن نزعم أن التزيّد والتطويل قد أصابا هذه القصيدة على أيدي الرواة. فهي، في هذا، تشبه قصيدتَي الحارث بن عُباد ومُهَلْهِل بن ربيعة المشار إليهما آنفًا. ولم يكن القدماء في غَفْلَةٍ عن هذه المسألة، فقد قال ابن الكلبي: «ثلاثة أبيات من هذه القصيدة حقٌّ، والبقيَّة باطِلٌ»[2]. وكذلك قال أبو زيد الأنصاري (٢١٥ هـ ـ ٨٣٠م) بعد أن روى البيت الأوّل من القصيدة: «ولا أعرف لجذيمة غير هذا البيت»[3]. وفي ضوء ما تقدّم نرى أنّ الأبيات المَزِيْدة على الأبيات الثلاثة الأولى لجذيمة الأبرش شِعر مُتَّهم، وتراكيبه الغَثَّة الركيكة تفضحه وتسقطه، فما هو هذا الشعر الذي يقول فيه ناظِمُه:

ثُـبَـةُ الأخْـيـار شـاهـدةٌ ... ذاكُـمُ قـومـي وأهـلاتِـي

قـد شَـرِبْـتُ الخَـمْـرَ وَسْـطَـهُـمُ ... نـاعِـمًـا فـي غـيْـر أصـواتِ

فَـعَـلَـى مـا كـانَ مِـنْ كَـرَمٍ ... فَـسَـتَـبْـكِـيْـنـي بُـنَـيَّـاتِـي

أنـا رَبّ الـنَّـاسِ كـلّـهِـمِ ... غـيـرَ رَبِّـي الـكـافِـتِ الـفـاتِ؟!

(١) أنظر الأصفهاني: الأغاني ٢: ١٤١، وقارن بالطبري: تاريخ الأمم ٢: ٤٧ ـ ٤٩ .

(٢) الطبري: م. س ١: ٦١٣ ـ ٦١٤ .

(٣) أبو زيد الأنصاري: النوادر ص ٥٣٦ ـ ٥٣٧ .

وهكذا ننتهي إلى أنّ قصيدة جَذِيْمَة التائيّة لا يصحّ منها غير الأبيات الثلاثة الأولى، وما تبقّى منها فهو منحول على الأرجح. وهي، بشكلها هذا، تُضارع قصيدة ذي الإصبع العدوانيّ الضاديّة التي روى أبو الفرج الأصفهاني، بسنده عن أبي عَمْرو بن العلاء، أنّه لا يصحّ منها إلاّ أبيات مُحدَّدة وسائرها منحول. وكان أبو الفرج قد روى منها ١٢ بيتًا[١].

وما قلناه الآن، نقوله في المقطوعة الثانية لِجَذِيْمة الأبْرَش، وعدتها ٦ أبيات، يقول أحدها:

والمُلْـــك كـــانَ لـــذي نُـــوا   سِ حَــوْلَــهُ تَــرْدِي يَــحـابِــرْ

فالمعروف أنّ جذيمة من رجال القرن الثالث الميلاديّ، وذو نواس الذي أُشير إليه، في هذا البيت من رجال القرن الخامس وأوائل السادس الميلاديَّين. وهو صاحب وقعة الأخدود التي تمّت سنة ٥٢٣ م. وذِكْرُ المتقدّم لِمَن يأتي بعده، في غير النبوءات، مُحال. لذا فالثقة في البيت الذي يذكر (ذا نواس) مستحيلة. وهذا أيضًا يلقي بظلّه على سائر الأبيات التي كان مروج الذهب مصدرًا لبعضها، أعني البيتَين الأخيرَين.

ويمكننا أيضًا أن نُصنِّف البيتَين الأخيرَين من شعر جَذِيْمة في المقطوعة رقم (٣) من شعره، ضمن الشعر القصصيّ الذي كان ينظم لِتَحْلِية السرد وتجميله في نفوس السامعين، ذلك لأنّنا نرى أنّ قصّة رقاش وعَمرو بن عَدِي وزواجهما، على غير رغبةٍ من جَذِيمة الأبرش، أسطورة، نظنُّ ظنًّا أنّ مُنشِئَها أراد بها تعليل انتقال الملك من جذيمة، إلى ابن أخته عَمْرو بن عَدِي، فاخترع قصّة الزواج، كما اخترع معها ذَينَك البَيتَين[٢].

رابعًا ـ شِعر عَمْرو بن عَدِي، وعَمْرو بن عبد الجِنّ التنوخي:

إنّ ظلال الشكّ في الشعر الوارد في ثنايا قصّة جذيمة ورَقاش وعَمْرو بن عَدِي، والمعزوّ إلى جذيمة تمتدُّ لتحوم حول بعض أبيات عَمْرو بن عَدِي التي نُظِمت لتسويغ أحداث تلك القصّة. بَيد أنّنا نستدرك فنقول ليس كلّ ما قاله عَمْرو بن عَدِي من شعر مُتَّهمًا مَردودًا، فثمّة نقيضتان جاءتا على لساني عَمْرو بن عَدِيّ وعَمْرو بن عبد الجِنّ

(١) الأصفهاني: الأغاني ٣: ٩٦، ثمّ ٩٢.
(٢) أنظر أخبار جذيمة الأبرش في هذه الدراسة.

تستحقّان مناوقفة أطول وتفصيلاً أوفى، فلعلّنا ننتهي إلى أنّهما ربّما تكونان أقدم نقيضتَين صحيحتَين في الشعر العربيّ، ولهذا جمعنا بين الشاعرَين في حديثنا هنا.

ومن المعروف أنّ ابنَ عَدِي، وابن عَبْد الجِنّ قد تنازعا بعد مقتل جذيمة الأبرش، ولكنّهما اصطلحا بوساطة من رجل يُدعى (قصيرًا اللخمي)، فانقاد ابن عَبْد الجِنّ إلى ابن عَدِي، وورث الأخير مُلْكَ خالِهِ جذيمة، وأصبح ملكًا على عرب الحيرة في الثلث الأخير من القرن الثالث الميلاديّ. وكان ابن عَدِي قد قال في تلك الحادثة التاريخيّة بينه وبين ابن عَبْد الجِنّ:

دَعَوْتُ ابنَ عبْدِ الجِنِّ للسِّلْمِ بَعْدَ ما ... تَتَابَعَ في غَرْبِ السَّفاهِ وكَلْسَمَا
فَلَمَّا ارْعَوَى عَنْ ضُرِّنا في اعْتِزامِه ... مَرَيْتُ هَواهُ مَرْيَ أَخٍ أو ابْنَما[1]

فأجابه عَمْرو بن عَبْد الجِنّ:

أَمَا وَدِماءٍ مائِراتٍ تَخالُها ... على قُنَّةِ العُزَّى أو النَّسْرِ عَنْدَمَا
وما قَدَّسَ الرُّهْبانُ في كلِّ هَيْكلٍ ... أبِيْلَ الأبيلِيْنَ الْمَسِيْحَ بنَ مَرْيَمَا

وفي حِجَجِنا للقول بأصالة هاتَين المقطّعتَين سنشير إلى وجود أصحابهما تاريخيًّا، وإلى الوسط الذي أنتج ذلك الشِعر، وعلاقته بالمضمون الذي ورد فيه، وإلى إمكانيّة نَقل هذا الشعر عن طريق آخر غير طريق الرواية الشفويّة.

وقد تبيَّن لنا من دراسة أخبار الشاعرين أنّ ابنَ عَدِيّ شخصيّةٌ تاريخيّة تؤكّد النقوش وأوراق البَرْدي أنّه حكم الحِيْرة في القسم الأخير من القرن الثالث. وقد ناصر المانويّين، وكان واحدًا منهم، وجَعَلَ من مدينة الحيرة ملجأ لهم، وقد بعث (إينايوس) إلى الأمبراطور الفارسيّ (نارِس) المُضْطَهِد الأكبر للمانويّين ليرأفَ بهم[2].

هذا أمر، والأمر الآخر مآله أنّ ابنَ عَدِيّ وُصِف بأنّه شاعر في كتابَين من كتب تراجم الشعراء، هما: **من اسمه عَمْرو من الشعراء** لابنِ الجَرَّاح (القرن الثاني الهجريّ ـ الثامن الميلاديّ)، و**مُعْجَم الشعراء** للمَرْزُباني[3]. أمّا عَمْرو بن عَبْد الجِنّ، فهو، تاريخيًّا، خصم عَمْرو بن عَدِيّ، وكان بحقّ على خيل جَذِيْمة الأبْرَش، وليس هناك ما

---

(١) أنظر الطَّبَري: **تاريخ الأمم** ١: ٦٢٢.
(٢) أنظر نغرين: **ماني والمانوية** ١٥٣.
(٣) انظر أخبار عَمْرو بن عَدِيّ في الباب الثاني من هذه الدراسة.

نحتجّ به على عدم وجود الرجلَين، ولا سيّما أنّ الطبري والمَرْزُباني وغيرهما قد أكّدوا ذلك[1]. أمّا الوسط الثقافيّ الذي شهد ميلاد شعرهما، فهو الحِيرة. والحِيرة هي البيئة الثقافيّة اللامعة في العصر الجاهليّ. وقد استمرّت على هذا المنوال لثلاثة قرون خَلَت قبل ظهور الإسلام، وقد قدّمنا القول في هذا المعنى في الفصل الأوّل من هذا الباب.

هذا، والأمر الثالث يتّصل بالمضمون الذي حَوَتْهُ تلك الأشعار، فليس ثمّة سبب قويّ يظهرُ زَيْفَ تعبيرها عن المكان والزمان اللذَين ظهرت فيهما، ففي شعر عَمْرو بن عَبْد الجِنّ التنوخي قَبَسٌ من إيمان دينيّ عميق يتمثّل بِقَسَمِهِ بالدماء المائِرات على قُنَّة (العزّى) و(النسر)، وإشارة إلى (الرهبان) و(المسيح بن مَرْيَم). وهذا يوحي بأنّ هذا الشعر نِتاج بيئة مُماثِلة لبيئة الحِيرة، حيث تَمَثَّلت كلّ من الوثنيّة والمسيحيّة والمانويّة. زِد على ذلك أنّ استخدام تَعابير، مثل (المسيح بن مريم) و(أبيل الأبيلِيْن) يوحي بتأثير سريانيّ ــ آراميّ مُماثِل لذلك التأثير السائد آنئذ على الحِيرة. ففي وسط الحيرة الثقافيّ والدينيّ يقول جواد علي: «وكانت للوثنيّة من أهل الحِيرة أصنام، منها اللاّت، والعزّى، وسَبَد، ومُحَرّق، وبهِ تسمّى بعض الرجال تبرُّكًا وتَقَرُّبًا إليه، ولقد كان مُعظم نَصارى الحِيرة على مذهب النساطرة، وهو مذهب شجّعه الفرس نكايةً بالروم، غير أنّ هناك جماعة كانت على مذهب اليعاقبة، كما كان بعضهم على مذاهب نصرانيّة أخرى لا مجال للحديث عنها في هذا المكان»[2].

وبعد، فإنّنا نضمّ صوتَنا إلى صوت الدكتور (عِرْفان شَهيد) إذ يقول: «فمن الصعب أن نتخيّل أنّ شاعرًا من الفترة الإسلاميّة المتأخّرة كان مُطّلِعًا بشكل جيّد على حيرةِ القرنِ الثالث، بحيث استطاع أن يعكس، بمثل هذه الدقّة، في أشعاره، الوسطَ الثقافيّ لتلك المدينة، أو أن يكون لديه الاهتمام بنظم مثل هذا الشعر الذي، وفقًا لبعض المُرْتابِيْن، لا يخدم أيًّا من الأهداف التي حفزت مَزوِّري الشعر الجاهليّ على نظمه في العصور الإسلاميّة»[3].

ومِمّا يدخل في قضيّة الدفاع عن صحّة عَزْوِ تَيْنِكَ النقيضتَين لابن عَدِي، وابن

---

(١) أنظر الطَّبري: م. س ١: ٦٢٢، والمرزباني: معجم الشعراء ١٠ و١٨.

(٢) جواد علي: المفصّل في تاريخ العرب ٣: ١٧٢.

(٣) أنظر مقال د. عرفان شهيد: *The Composition of Arabic Poetry in the Fourth Century* في كتاب دراسات تاريخ الجزيرة العربيّة ــ الكتاب الثاني ــ القسم الأجنبيّ P. 90.

عَبْد الجِنّ، أن نتصدّى إلى مشكلة أخرى تتّصل بالطريقة التي تكفَّلَتْ بحملهما إلينا منذ ما قبل الإسلام بنيّف وثلاثة قرون، علمًا بأنّنا كُنّا قد قلنا: إنّ الذاكرة الإنسانيّة ربّما تعجز، في الأعمّ الأغلب، عن حمل الشعر الشفويّ، لأكثر من قرنَين من الزمان[1].

وحلّ هذه المشكلة ليس عسيرًا، وهو يتجسّد في القول: إنّ هذا الشعر كان على الأرجح، قد كتب في الجاهليّة البعيدة، ولم تتكفَّل الذاكرة وحدَها بحفظِه إلى زمن التدوين. وإيضاح ذلك في الآتي: إنّ عَمْروَ بن عَدِي ـ مؤسِّس الحِيرة قد تزعَّم وسطًا ثقافيًا مُصطَخِبًا بألوان المعارف والمذاهب والفنون والمدارس كما سبق أن ذكرنا، وقد رُوِي عنه أنّه كاتَبَ ملك الفرس (نارِس) مدافعًا عن المانويِّين. وإذا كان الاحتمال بأن يكون القائم بالكتابة شخصًا آخر واردًا، فإنّ احتمال أن يكون القائم بها الملك اللخمي نفسه (عَمْرو بن عَدِي) واردٌ أيضًا. ومعطيات تاريخ المناذرة ترجِّح الاحتمال الثاني، ذلك لأنّ ملوكهم كانوا يحرصون على تسجيل إنجازاتهم الثقافيّة والحربيّة والسياسيّة. وليس نقش النمارة الذي وُجِد على شاهدة قبر امرئ القيس بن عَمْرو بن عَدِيّ (٣٢٨م)، إلاّ دليلاً على أنّ سُنَّةَ التسجيل والنقش والكتابة معروفة وقديمة عند اللخميِّين... ويبدو أنّ بعض تلك السجلاّت والنقوش اللخميّة بَقِيت بحالة سليمة إلى زمن التأليف العربيّ المنظَّم. ومن هاتَين المجموعتَين الأدبيّة والنقشيّة كان أستاذ المؤرِّخين العرب وكبيرهم (ابن الكلبي) يستمدّ معلوماته عن المناذرة والعرب الآخرين. ومن شأن تلك الوثائق أن تحفظ شعر مؤسِّس السلالة اللخميّة، الذي كان هو أيضًا مُتعلِّمًا وكاتبًا، في أغلب الظنّ[2].

وتأييدًا لِمَا سبق نُذكِّر بما رواه ابن سلاّم، وهو أكبر المُصَنِّفين القدامى في صحّة الشعر الجاهليّ، في نصّه الآتي: «قد كان عند النعمان بن المنذر منه ديوان فيه أشعار الفحول، وما مُدح هو وأهل بيته به، صار ذلك إلى بني مروان، أو صار منه»[3]. وكذلك روى ابن جنّي (٣٩٢ هـ ـ ١٠٠١ م) بسنده عن حمّاد الرواية أنّ النعمان بن المنذر أمر «فنُسخت له أشعار العرب في الطنوج ـ قال: وهي الكراريس ـ ثمّ دفنها في قصره الأبيض، فلمّا كان المختار بن أبي عُبَيد، قيل له: إنّ تحت القصر كنزًا، فاحتفره، فأخرجَ

(١) أنظر ص ٤٩ من هذا البحث.

(٢) إستفدنا هنا من مقال الدكتور عرفان شهيد المذكور في م. س ــ ص ١٠٩.

(٣) ابن سلاّم: طبقات فحول الشعراء ١: ٢٥.

تلك الأشعار، فمن ثمَّ أهل الكوفة أعْلَمُ بالشعر من أهل البصرة»[1]. وليس من المستبعد على مَن يأمر بجمع أشعار العرب وتدوينها أن يأمر هو، أو أسلافه، بجمع أشعار أجداده السالفين وتدوينها كشعر عَمْرو بن عَدِي، وغيره، وليس غريبًا أيضًا أن تكون أشعار هذا الملك اللخمي قد جاءت في أحد الأخبار التي رواها ابن الكلبي، عن سجلاّت الحِيرة، ونقوش بِيَعِها، كما يشير الطَّبري (٣١٠ هـ ـ ٩٢٢ م) إلى مصادر ابن الكلبي حيث يقول: «وحدِّثت عن هشام بن محمّد الكلبي أنّه قال: إنّي كنتُ أستخرج أخبار العرب وأنساب آل نصر بن ربيعة ومبالِغ أعمار مَن عمل منهم لآل كِسرى، وتاريخ سِنِيهم من بِيَع الحِيرة، وفيها ملكهم وأمورهم كلّها»[2].

ومِمّا يَستأنِس به مَن يقول باحتمال تدوين أشعار عَمْرو بن عَدي، وابن عَبْد الجِنّ، أنّ الطبري، الذي يسوق خبر المُساجلة الشعريَّة بين الشاعرين، يقول بعد أن ينشد بيتَي ابن عَبْد الجِنّ:

أمَــا ودِمــاءٍ مــائِــراتٍ تَـــخــالُـــهــا ... على قُنَّةِ العُزَّى أو النَّسْرِ عَنْدَمَا

وما قدَّسَ الرهبانُ في كلِّ هَيْكلٍ ... أبيلَ الأبيلِيْن المسيحَ بن مَرْيَماْ

يقول: «قال: هكذا وُجِد الشعر ليس بتامّ. وكان ينبغي أن يكون البيت الثالث: لقد كان كذا وكذا»[3].

وإذا وضعنا هذا الخبر إلى جانب الأدِلَّة السابقة، نجده يكاد يشفّ عن أصالة مقطّعة ابن عَبْد الجِنّ، فكأنّ الطَّبري، أو مَن نقل عنه، كان ينقل عن أصول مكتوبة لم يستوفِ ناسِخها الشعر، أو استوفاه، ثمَّ عَدت عليه الأيّام فضاع، فوجده الطَّبري ناقصًا غير تامّ... ولعلّه لا يسوغ لنا أن نتجاهل الدلالة في مصطلح الطبري الذي استخدمه في خبره، وهو: «وُجِدَ الشِعرُ ليسَ بتامّ» فقد استخدم «وُجِدَ» ولم يَقُل «أُنشِد» أو «رُوِيَ» أو «سُمِعَ». وهي المصطلحات الشائعة في مثل هذا المقام آنئذٍ.

وإذا كان وَرَعُ الطَّبري، وإيثاره للأمانة والصدق في التأريخ، قد منعاه من زيادة بيت ثالث على بيتَي ابن عَبْدِ الجِنّ لإتمام المعنى، فإنّ رواةً أُخَر لم يتحرَّجوا من زيادة بيت ثالث على هذين البيتَين، لذا فإنّنا نتّهم هذا البيت، ولا سيّما أنّه عُزِيَ في اللسان

(١) ابن جنّي: الخصائص ١: ٣٨٧، وابن مَنظور: اللسان، والزَّبيدي: التاج (طنج).

(٢) الطبري: تاريخ الأمم ١: ٦٢٨.

(٣) م. ن ١: ٦٢٣.

إلى حُمَيْد بن ثَوْر[1]. فأدخله المرحوم عَبْد العزيز المَيْمَني في **ديوان حُمَيْد** الذي أخرجه في هذا العصر[2].

أمّا عَزو المقطّعة الأخيرة لابن عَبْد الجِنّ، فقد أيّده نصًّا، العَيْنِيُّ (٨٥٥ هـ ـ ١٤٥١ م) عندما عقّب على شعر ابن عَبْد الجِنّ بعد إنشاده بقوله: «أقول: قائله هو عَمْرو بن عَبْد الجِنّ شاعر جاهليّ. وقيل: قائله رجلٌ جاهليّ مجهول الاسم، والأوّل أصحّ»[3]. وحين عزا ياقوت الحموي الأبيات الثلاثة في **معجم البلدان** للأخطل[4]، عارضه (أنطون صالحاني) ـ ناشر **ديوان الأخطل** بقوله: إنّ هذه الأبيات ليست للأخطل[5].

ولكلّ تلك الأسباب مجتمعة يبدو من الصعوبة بمكان أن ننكر صحّة هذه الأشعار الجاهليّة، التي تُنسَب إلى رجال عاشوا في القرن الثالث الميلاديّ، دون أن نَتغافل عن كثير من حقائق التاريخ، ومُعطَيات الحضارة العربيّة في العصر الجاهليّ، ودون أن نُثيرَ تساؤلاً كبيرًا يطالب بإثبات الأدلّة التي تقدّم النقيض وتبرهن على حقيقته.

وبهذه النتيجة نكون زعزعنا الاعتقاد بما ذهب إليه (نولدكه) حين قال: «لا يوجد لدينا بيتٌ شعريّ وثيق النصّ يمكن أن يرجع إلى ما قبل سنة ٥٠٠ ميلاديّة»[6].

٣ ـ الشكل وصلته بالثقة بأشعار الأوائل

إنّ حصيلة ما جمعناه من شعر تبلغ ٩٤٢ بيتًا، توزّعتها ١٦٤ مُقطّعة وقصيدة، أبيات كلّ منها تتراوح بين بيت واحد، وستّة وسبعين بيتًا. وهذا الرقم الأخير هو مجموع أبيات قصيدة (الفِنْد الزِّمّاني) الرائيّة التي نُرجِّح افتعالها وعدم أصالتها.

ويتّضح من معاينة عَزْو لكلّ شاعر من قصائد ومقطوعات أمران اثنان:

١ ـ **أوّلـهما**: إنّ عدد المقطوعات التي وصلت إلينا، منسوبةً إلى شعراء جاهليّين قدامى

---

(١) إبن مَنظور: **اللسان** (لعع).

(٢) أنظر **ديوان حُمَيْد بن ثَوْر** ص ٣١.

(٣) العَيْني: **المقاصد النحويّة** (على هامش خزانة الأدب) ١: ٥٠٠.

(٤) أنظر ياقوت الحموي: **معجم البلدان** (نسر).

(٥) أنظر **ديوان الأخطل** ص ٢٤٩.

(٦) أنظر **دراسات المستشرقين حول صحّة الشعر الجاهليّ** ص ١٨.

عاشوا، على الأرجح، ما بين القرنَين الثالث وأواسط السادس الميلاديَّين، يبلغ ١٢٨ مقطوعة، ونسبة هذا العدد إلى مجموع المقطوعات والقصائد التي تشكّل مجموعة الأشعار التي جمعناها تبلغ ٧٨,٠٤٪. وهي نسبة تشجِّع على الاطمئنان إلى أنّ هؤلاء الشعراء هم شعراء أوائل يصدق عليهم، وعلى أزمانهم، وحال الشعر في عصورهم، قول ابن سلاّم الجُمَحي: «ولم يكن لأوائل العرب من الشعر إلاّ الأبيات يقولها الرجل في حاجته»[١]. وقول ابن قتيبة: «لم يكن لأوائل الشعراء إلاّ الأبيات القليلة يقولها الرجل عند حدوث الحاجة»[٢].

٢ ـ **وثانيهما**: إنّ مجموع القصائد التي تصل أبياتها إلى سبعة أبيات فما فوق هو ٣٧ قصيدة تتوزّع على ستّة عشر شاعرًا. والجدول التالي يوضّح أسماء أولئك الشعراء، وعدد قصائدهم، وعدد أبيات كلّ قصيدة منها، بحسب ترتيبها في شعره:

إسم الشاعر	عدد قصائده	عدد أبيات كلّ قصيدة حسب الترتيب
١ ـ جَذِيمة الأبْرَش	١	١١
٢ ـ عامِر بن الظَّرِب	١	٨
٣ ـ أبو قِلابة الهُذَلِي	٤	٧، ٧، ١١، ١٢
٤ ـ مُرّة بن همّام	١	٩
٥ ـ ثَعْلَبة بن صُعَيْر	١	١٦
٦ ـ رِزاح بنَ ربيعة	١	١٧
٧ ـ ذُؤَيْب بن كَعْب	١	١١
٨ ـ الأضبَط بن قُرَيْع	١	٩
٩ ـ المُسْتَوْغِر بن رَبِيْعَة	٢	٧، ٧
١٠ ـ سَعْد بن مالِك	٢	٣٤، ٧
١١ ـ الفِنْد الزِّمّاني	٦	٢٨، ٧٨، ٢٠ ٩، ٢٦، ٢٤
١٢ ـ مُرّة بن الرّواع	١	٧
١٣ ـ زُهَيْر بن جَناب	٥	١٤، ١١، ٢٣ ٨، ١٥
١٤ ـ أُحَيحَة بن الجُلاح	٧	٨، ٨، ٧، ٧ ٢٤، ٧، ٩
١٥ ـ الأشعَر الجعْفِي	١	٣٥
١٦ ـ محمّد بن حُمْران	٢	٩، ١٠

(١) إبن سلاّم: طبقات فحول الشعراء ١: ٢٦.

(٢) إبن قُتَيْبة: الشعر والشعراء ١: ١٠٤.

والجدول السابق لا يعني أنّ هذه القصائد جميعها موثّقة النسبة إلى أصحابها، فالفِنْد الزِّمّاني، وإن عُزِي إليه ستُّ قصائد، فلا يصحّ له منها أكثر من قصيدتَين اثنتَين، وسنُرجّح صحّة عَزو القصيدة الثالثة ترجيحًا. وعليه فطول قصيدته الرائيّة، البالغ ٧٨ بيتًا، لا يعتدُّ به للقول: إنّ أطول قصيدة في ديوان الشعراء الأوائل بلغت هذا المقدار... فالقصيدة منحولة بأدلّة سنبسطها عند الحديث عن شِعر الفند، لذا نشير هنا إلى أنّ أطول قصيدة موثوقة في ديوان الأوائل الذي صنعناه تبلغ ٣٥ بيتًا. وهي قصيدة الأسعر الجُعفي، التي جاءت أطول رواية لها في كتاب **الحماسة الصغرى — الوحشيّات** لأبي تمّام. ومنها ثلاثون بيتًا في **الأصمعيّات**. **والوحشيّات، والأصمعيّات** مجموعتان جديرتان بالثقة.

ويلي هذه القصيدة، من حيث الطول، خمس قصائد تبلغ أبيات كلّ منها ما يزيد على عشرين بيتًا، قائلوها هم: ثَعْلَبة بن صُعَيْر، ومفضليّته الرائيّة (٢٦) بيتًا، والفِنْد الزِّمّاني، وله قصيدتان هما: التي على النون، وأبياتها (٢٦) بيتًا، والتي على اللام وهي (٢٤) بيتًا. وزُهَيْر بن جَناب، وله قصيدة على القاف أبياتها (٢٣) بيتًا. وأُحَيْحة بن الجُلاح الأوْسِي، وله المُجَمْهَرَة اللاميّة وتبلغ (٢٤) بيتًا، حسب أوفَى رواياتها.

ومن المعروف أنّ لهؤلاء الشعراء قصائد ومقطّعات أُخَر... أمّا أصحاب القصيدة الواحدة اليتيمة في مجموعتنا، الذين لم نجد بيتًا واحدًا لهم، غيرها، رغم بذل الجهد، فثلاثة شعراء، هُم: ذُوَيْب بن كَعْب التَّمِيْمِي، وثَعْلَبة بن صُعَيْر المازِني، ومُرَّة بن همّام البَكْري.

وإذا انتقلنا إلى أوزان الأشعار التي جمعناها لنلاحظ علاقتها بأوّليّة الشعر العربيّ، وجدنا أنّ جميع الأبيات التي وصلت إلينا عن الشعراء الأوائل لم تكن مختلّة الوزن، باستثناء بيت واحد لعَمْرو بن عَدِيّ جاء في **مختار الأغاني**، لابن منظور المصريّ. وبعض الأبيات التي وردت في **كتاب البسوس، وكتاب التيجان** وغيرها من كتب تحفل بالشعر الملفّق والمنحول والمرذول. وهو شعر من العسير، أحيانًا، إقامة وزنه، أو تدبُّر مَبناه ومَعناه.

وغياب الخروج الواضح عن أوزان الشعر، المكتشفة في القرن الثاني الهجريّ، يحول دون الإشارة إلى مرحلة مبكّرة جدًّا من مراحل نظم الشعر الجاهليّ كان فيها

الشعر مضطرِبًا، أو عاطِلاً من النغم والإيقاع على نحو مُطَّرِد، باستثناء بعض النماذج التي تلبَّسها الإكفاء أو السناد، والتي ذكرها الأخفش في كتابه **القوافي**(١).

وربّما يصحّ لنا أن نعلِّل غياب الاضطراب والتشويش في أشعار الأوائل بسقوط ذاك الشعر المضطرب والمشوَّش من أذهان الرواة قبل عهد التدوين، أو بقيام الرواة بإصلاح ذاك الشعر المحطَّم الوزن، إذ كان أولئك الرواة المصلحون يرَون أنّه لا معنى لإنشادِ شعر مختلّ الوزن، مضطرب اللغة، بعد أن تمّ إرساء أسس الكثير من علوم اللغة العربيّة. وقد صحّح أولئك الرواة، على سبيل المثال، بعض شعر امرئ القيس، وبعض شعر عَدِيّ بن زَيْد، وشعرًا لِلَبِيْد بن رَبِيْعة. حتّى إنّ ابنَ مُقبل قال: «إنّي أرسل البيوت عُوجًا فتأتي الرواة بها قد أقامَتها»(٢).

وكلّ ما سبق يوصلنا إلى نتيجتَين اثنتَين هامَّتَين هما:

أوّلاً : إنّ الشعر الذي يعبِّر عن طفولة اللغة العربيّة، أو يُشير إلى عهد سحيق متوهَّم من عهود الشعر العربيّ، شعرٌ مُضيَّع ومفقود. وسبب ضياع محاولات الابتكار الشعريّ الأولى، التي قد تبدو عليها دلائل الارتباك والاضطراب والتخبُّط، يكمن في بُعدِ الزمن بين طفولة الشعر العربيّ القديمة، وعهد الشعر العربيّ الصحيح، الذي نقدِّر أنّه وصلت إلينا نماذج صحيحة منه منذ القرن الثالث الميلاديّ. وقد ترتّب على بُعد الزمن هذا بين الطفولة الشعريّة البعيدة، وتمام بنيان الشعر وسلامة أركانه، نسيان الرواة لتلك المحاولات الأقدم أو تجاهلها أو إصلاحها ليستقيم لها البقاء في ديوان الشعر العربيّ.

ثانيًا : إنّ الشعر الذي نظنّ أنّه أقدم المحاولات الإبْداعيّة عند العرب قد وصل إلينا سليم اللغة، تامّ التكوين، كامل البناء، ليس في مبناه أو معناه، في الأعمّ الأغلب، ما يدلّ دلالةً قاطعة على مَرحلةٍ مبكّرة جدًّا. ولكنّ فيه ما يشجِّع على الاعتقاد أنّ شكل المقطوعة هو الشكل الأقدم للشعر عند العرب، وأنّ التقصيد، أو تطويل الشعر، ليصبح قصيدةً تتجاوز سبعة أبيات، وقع فيما بعد، ولكنّه لم يبقَ حتّى عهد عبد المطّلِب أو هاشم بن عَبْد مَناف، كما يقول

---

(١) أنظر ص ٣٣ ـ ٣٤ من هذا البحث.

(٢) ثَعْلَب: مجالِس ثعلب ٤٨١، وانظر في هذه الفكرة ناصر الدين الأسد: مَصادر الشعر الجاهليّ ص ص ٢٤١ ـ ٢٤٤.

ابن سلاّم[1]. بل وقع، على الأرجح، منذ عصر أبي قِلابة الهُذَلي ـ والِد الجدَّة السادسة للرسول ﷺ، وأوَّل قائلٍ للشعر الموثوق في هُذَيْلٍ، أي منذ أواسط القرن الخامس الميلاديّ. وهو الأمر الذي سنعاينه في أخبار هذا الشاعر، التي ستكون أحد مباحث الباب الثاني من هذه الدراسة.

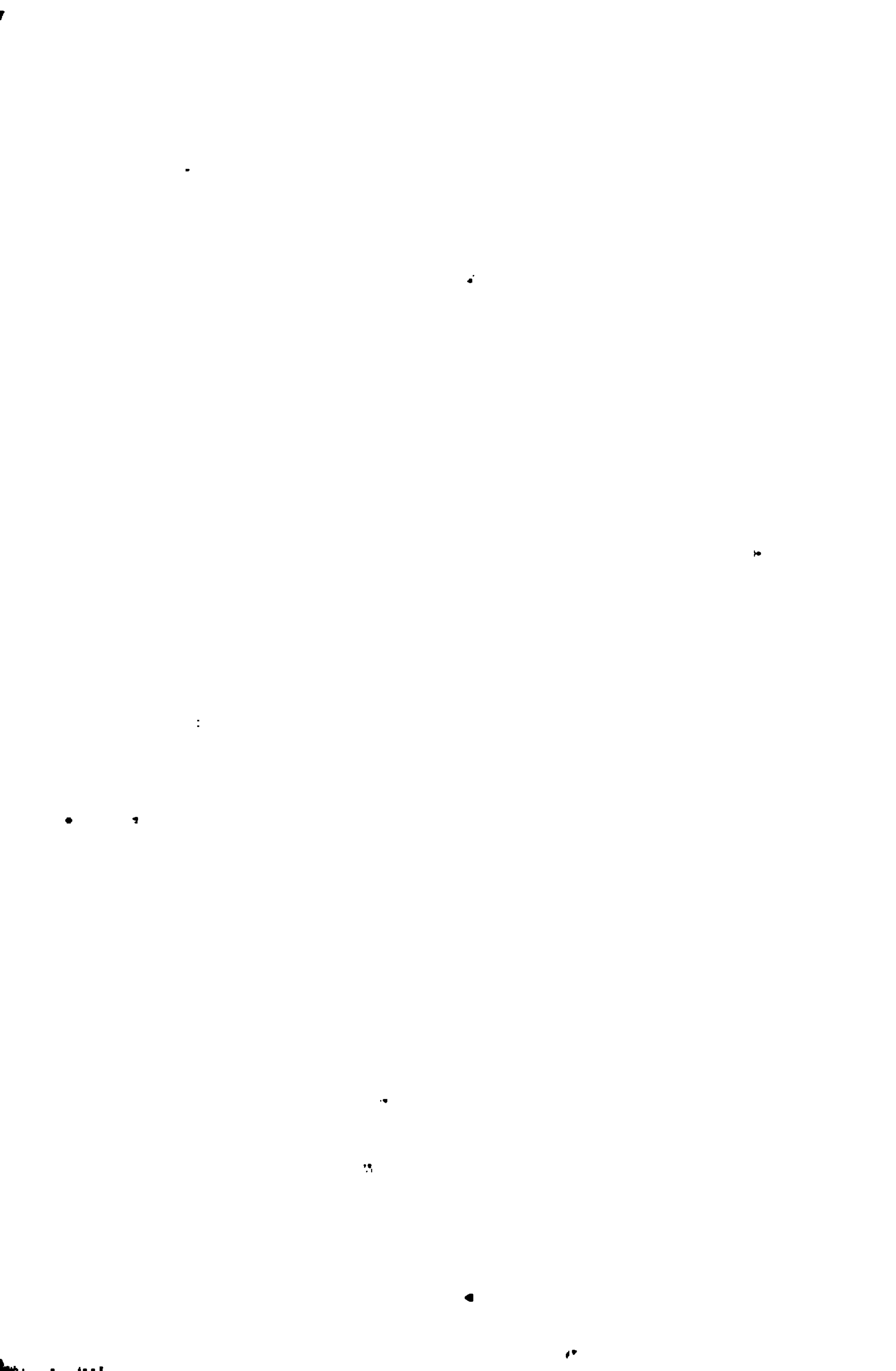
(١) إبن سلاّم: طبقات فحول الشعراء ١: ٢٦.

الباب الثاني

شعراء ما بين القرنَين الثالث والخامس الميلاديَّين

وهم ثمانية عشر شاعرًا:

١ ـ خُزَيْمَةُ بن نَهْد القُضاعِي
٢ ـ جُدَيّ بن الدّلْهاث القُضاعي
٣ ـ جَذِيمة الأَبْرَش الأَزْدِي
٤ ـ عَمْرو بن عَدِي اللّخْمِي
٥ ـ عَمْرو بن عَبْد الجِنّ التّنُوخي
٦ ـ دُوَيْد بن زَيْد بن نَهْد القُضاعي
٧ ـ أعْصُر بن سَعْد بن قَيْس عَيْلان
٨ ـ عامِر بن الظَّرِب العَدْوانِي
٩ ـ سَعْد بن زَيْد مَناة التَّمِيمِي
١٠ ـ العَنْبَر بن عَمْرو بن تَمِيْم
١١ ـ مَعْدِي كَرِب الحِمْيَري
١٢ ـ كِلاَب بن مُرَّة
١٣ ـ يَرْبُوْع بن حَنْظَلة
١٤ ـ حَبْشِيَة بن سَلول الخُزَاعِي
١٥ ـ فِراس بن غَنْم الكِنَانِي
١٦ ـ أبو قِلابة الهُذَلِي
١٧ ـ الحارِث بن كَعْب المَذْحِجِي
١٨ ـ ذُؤَيْب بن كَعْب بن عَمْرو بن تَمِيْم



مدخل

قبل أن ندخل في معالجة هذا الباب لا بُدَّ من الإشارة إلى أنّ الصفحات القادمات تعالج أخبار ثمانية عشر شاعرًا نُقدِّر أنّهم وُجِدوا ما بين القرنَين الثالث والخامس الميلاديَّين، ونقول: «نُقدِّر» لأنّ قضيَّة تحقيق زمن الشاعر الجاهليّ المُغْرِق في القِدم مَدْعاةٌ للحَيْرة والتردُّد، وموطنٌ للشكّ والريبة، بسبب اضطراب الأخبار الجاهليَّة، وتناقضها أحيانًا. وقد مرّ بنا أمثلة على هذه الحقيقة في الفصل الثاني من الباب الأوّل.

ولكن ما يُطمَأَنُّ نِسْبِيًّا إليه هو أنّ ثمّة ثلاثة شعراء من بين شعراء هذا الفصل عاشوا، على الأرجح، في القرن الثالث الميلاديّ، وهم: جَذِيمة الأَبْرَش، وعَمْرو بن عَدِي، وعَمْرو بن عَبْد الجِنّ التنوخي، وقد أضفنا إليهم، ترجيحًا، شاعرَين اثنَين، هما: خُزَيْمةُ بنُ نَهْد القُضاعي، وجُدَيٌّ بنُ الدُّلْهاث القُضاعي. وقدَّمنا الأوّل على جميع شعراء مجموعتنا هذه، لأنّنا استنبطنا، من أخبار جاهليَّة كثيرة، أنّه وُجِد قبل تفرُّق قُضاعة، وانسياحها إلى العراق، وابتعادها عن معدّ، واصطدامها هناك بالفرس، في (معركة شَهْرَزور)، و(معركة الحَضْر) قبل منتصف القرن الثالث الميلاديّ. أمّا جُدَيّ بن الدُّلْهاث، فهو شاعر قُضاعة الذي سجَّل بشعره ذكرى ذينكَ الحَدَثَيْن الكبيرَين، فهو إذن، ولأسباب أخرى، من شعراء القرن الثالث الميلاديّ، ترجيحًا.

أمّا الشعراء الثلاثة عشر الآخرون، وهم دُوَيْد بن زَيْد بن نَهْد القُضاعي، وأَعْصُر ابن سَعْد بن قَيْس عَيْلان، وعامِر بن الظَّرِب العدواني، وسَعْد بن زَيْد مَناة التميميّ، والعَنْبَر بن عَمْرو بن تميم، ومَعْدِي كَرِب الحِمْيَرِيّ، وكِلاب بن مرة، ويَرْبُوع بن حنظلة،

وحَبْشِيّة بن سَلُوْل الخُزاعي، وفِراس بن غَنْم الكِناني، وأبو قِلابة الهُذَلي، والحارِث بن كَعْب، وذُؤَيْب بن كَعْب بن عَمْرو بن تَمِيْم، فقد وُجِدوا، حسب تقديرنا، في غضون القرنَين الرابع والخامس الميلاديَّين. وقد كانت إحدى سُبُلنا في تحقيق زمان هؤلاء الاعتماد على القرائن المُرَجِّحة التي كان نسب الشاعر أبرزها وأهمّها.

وبخصوص الأنساب العربيَّة، لا بُدَّ أن نشير منذ الآن إلى أنّنا اعتمدنا عليها اعتمادًا كبيرًا، في كثير من الأحيان، وذلك على الرغم من أنّ مسألة الثقة بها خِلافِيَّة، فمن المعلوم أنّ بعض الأنساب العربيَّة قد داخَلَها بعض الاضطراب، أو التداخُل، أو النقص، أو التزيُّد...[1] ولكن بعضها الآخر بقي، في نظرنا، يحوز حدًّا أدنى من الثقة. وخاصّة إذا لم يكن كثير الامتداد والتوغُّل في الجاهليَّة البعيدة. وقد تبيَّن لنا ذلك عندما احتكمنا إليها في أكثر من مرَّة قدَّرنا فيها زمن شاعر من الشعراء الأوائل، كما هي الحال بشأن الشعراء: أعْصُر بن سَعْد بن قَيْس عَيْلان، وعامِر بن الظَّرِب العَدْواني، وسَعْد ابن زَيْد مَناة التَّمِيْمِي.

ولعلَّ من النوافل الإشارة إلى ازدهار علم النسب عند العرب قبل الإسلام وبعده، وإلى أنّ العرب اهتمّوا بالأنساب اهتمامًا عظيمًا، فقد قال ابن فارس (٣٩٥ هـ ـ ١٠٠٤ م): «وللعرب حِفْظ الأنساب. وما يعلم أحدٌ من الأمم عُني بحفظ النسب عناية العرب»[2]. ومن مُسوّغات اعتمادنا على جداول الأنساب أيضًا، في حالة غياب الأدلّة التاريخيَّة الأخرى، أنّ بعض الأنساب قد كُتِب منذ الجاهليَّة. وهذا ابن الكلبيّ (٢٠٦ هـ ـ ٨٢١ م) يقول: «كنت أستخرج أخبار العرب وأنساب آل نَصْر بن ربيعة، ومَبالِغ أعمار مَن عَمِل منهم لآل كسرى وتاريخ سِنِيْهم من بِيَع الحِيرة، وفيها مُلْكُهم وأمورهم كلّها»[3]. ويبدو أنّ هناك سجلاّت لأنساب قبائل أخرى كانت تُتوارث من الجاهليَّة، جيلاً عن جيل، إلى أن دوَّن العرب أشعارَهم وأنسابهم في القرن الأوّل

---

(١) أنظر ابن الكلبيّ: جمهرة النسب ٤٢ ـ ٤٣، وأبا عُبَيْد القاسم بن سَلاَّم: كتاب النسب ٣٢٩، وقارِن بـ محبّ الدين الخطيب: مقدّمة كتاب الإكليل ج ١، (ط مصر)، والهمداني: كتاب الإكليل ٢: ٣٨٦ ـ ٣٨٧ (ط القاهرة)، وابن قُتَيبة: المعارف ٨٢ ـ ٨٣، وابن عَبْد ربّه: العِقد الفريد ٣: ٣٥١، وابن حَزْم: جَمْهرة أنساب العرب ٢٥٠.

(٢) إبن فارس: الصاحبي في فقه اللغة ٧٨، والنَوَيري: نهاية الأرب ٢: ٢٧٦.

(٣) الطبري: تاريخ الأمم ١: ٦٢٨.

الهجريّ[1]. فقد أصبت نصًّا للهمداني يقول: «وقد سكنتُ بها (أي بِصَعْدة) عشرين سنة، فأطللتُ على أخبار خولان، وأنسابها، ورجالها، كما أطللتُ على بطن راحتي، وقرأت بها سِجِلّ محمّد بن أبان الخَنفري المُتوارَث من الجاهليّة، فمن أخبارهم ما دخل هذا الكتاب، ومنها ما دخل في كتاب الأيّام»[2]. وخَبَرا ابن الكلبي، والهمداني، يَبعثان بعض الاطمئنان إلى صَنيعنا في الاعتماد على جداول الأنساب، في تقدير أزمان بعض شعراء هذا الباب، وبعض شعراء الباب الثالث أيضًا.

وإيضاحًا لِمَا سلكناه، فإنّنا نشير، هنا، إلى أنّنا استهدَينا بالقاعدة التي قرَّرها، من قبل، علماء الحديث الشريف في تقديرهم للفترة الزمنيّة التي تكون بين طبقة وطبقة من الرواة أو المُحدّثين، وهي أن يُحسَب عشرون سنة، أو ما يقاربها، عن كلّ أبٍ يذكر في جدول نسبٍ من الأنساب. ونجد مثالاً على تلك الطريقة في ترجمة المُحدِّث المعمَّر أبي علي الحَسن بن عَرَفة العبدي البغداديّ المؤدّب المتوفّى سنة (٢٥٧ هـ ــ ٨٧٠ م) وقد ترجم له غير كتاب[3]. وله من العمر مئة وسبع سنين، وفي رواية مئة وعشر سنين. فقد كان ابن عَرَفة يقول: كتب عنّي خمسة قرون، يعني خمس طبقات. ويفهم من كلام هذا المحدّث أنّ بين كلّ طبقة وطبقة نحو العشرين سنة. وقياسًا على هذا نقول: إنّنا جعلنا إزاء كلّ أب من الآباء الذين يفصلون بين الشاعر الجاهليّ القديم، ورجل معروف زمانه في الجاهليّة المتأخّرة، أو في الإسلام، عشرين سنة. ثمّ قدَّرنا زمان الشاعر، رجوعًا إلى الوراء...

ويحسن أن نذكر أنّ هذه القاعدة الحسابيّة لم تطبَّق إلاّ بَدءًا من الشاعر الخامس في هذا الباب، وهو دُوَيْد بن زَيد بن نَهْد القُضاعي.

ولا بُدّ من الإشارة أخيرًا إلى أنّ اليقين، في محاولاتنا التاريخيّة، لم يكن قريب

---

(١) أنظر ناصر الدين الأسد: مصادر الشعر الجاهليّ ١٦٥ و٥٥٨ ــ ٥٥٩، وسزكين: تاريخ التراث العربيّ مج ٢ (١: ٣١).

(٢) الهَمداني: م. س ١: ٢٧٥ (ط بغداد). وانظر أيضًا جواد علي: المُفَصَّل في تاريخ العرب قبل الإسلام ٤: ٣٥٣ ــ ٣٥٤ حيث يقول جواد علي: «وحِفْظ النسب هذا هو استمرارٌ لِما كان عليه الجاهليّون من حِرْص على حفظ أنسابهم. وإذا كنّا لا نملك اليوم جرائِد جاهليّة في النسب، فإنّ في بعض الكتابات الجاهليّة تأييدًا لِما نقول...».

(٣) أنظر: الذهبي: العِبَر في خَبَر من غَبَر ٢: ١٤ (ط الكويت)، وابن حُجْر: تهذيب التهذيب ٢: ٢٩٣ (ط الهند)، وابن العِماد الحَنْبَلي: شَذَرات الذَّهَب ٢: ١٣٦ (ط القُدْسِي).

المنال، فتحديد الزمن في الجاهليَّة البعيدة، دون الاعتماد على النقوش أو الوثائق المكتوبة، مَن أعقد المسائل وأكثرها صعوبة... لذا كُنَّا نوشّي عبارتنا، غالبًا، بالظنّ أو الترجيح. وإذا كنُا قد ضُلِّلنا، فَرَضًا، فعذرنا أنّنا اجتهدنا، وليس من الضروريّ للمجتهد أن يكون مُصيبًا دومًا... وقد عالجنا ما بين أيدينا من نصوص، أو أخبار، بلا موقف تشكُّكي مسبَق، ودونما ثقة ساذجة بكلّ ما وقفنا عليه من أخبار أو نصوص.

ذاك كان بخصوص أزمان الشعراء الأوائل وأخبارهم وحيواتهم، أمّا بخصوص أشعارهم التي تلت دراستهم، فإنّي أذكر أنّه تَيَسَّر لي جَمْع ما يقرب من ألف بيت لشعرائي الأربعين الذين مرّت أسماؤهم من قبل. وقد جمعت تلك الأشعار من خلال رحلة علميَّة واسعة ومجهِدة قمت بها في رِحاب مصادر اللغة والأدب والتاريخ والجغرافية، وكتب التراث المختلفة، ثمّ عدتُ إلى تلك الأبيات المجموعة فصنَّفْتُها، وشرحتُها، وخرَّجتُها، وَفْقَ المنهج التالي الذي حَكَم مسألة صُنع شعر كلّ شاعر:

آ ـ رَتَّبْتُ أشعار كلّ شاعر، بعد الفراغ من دراسة كلّ ما وصلنا عنه من أخبار، وفقًا لتسلسُل قوافيها الألِفْبائِي، مُعطيًا لكلّ قصيدة أو مقطّعة رقمًا مستقلاًّ، حتّى إذا فرغتُ ممّا خلصت نِسْبته إلى الشاعر، أَتْبَعْتُهُ بما يُنسَب إليه وإلى غيره من الشعراء.

ب ـ رَتَّبْتُ القوافي المُتَّفِقة بحرفٍ بعينِهِ، وفاق روِّيها المرفوع أوّلاً، فالمكسور، فالمفتوح، فالموقوف.

جـ ـ ذكرتُ بعد رقم كلّ قصيدة أو مقطَّعة المصدرَ الأساسيّ للقصيدة أو للمقطّعة، ثمَّ أتبعتُهُ بغيره إذا حوى أبياتًا جديدة لم يذكرها المصدر الأوّل، على نحوٍ يُشعِر بجمعها من مصادر مختلفة، ويشير إلى ما بينها من انقطاع، ثمَّ أشرتُ إلى مصادر الروايات المختلفة في الحواشي، موازنًا بينها جميعًا، مختارًا الرواية الأصوب أو الأعلى، مُنبِّهًا على ما في بعض الروايات من تصحيف أو تحريف.

د ـ شَرحتُ الألفاظ الغريبة الواردة في شعر كلّ شاعر، مُعتمدًا على كتب اللغة والمعاجم والشروح الشعريَّة، وكنت أستأنسُ، في بعض الأحيان، بشروح القدماء، كشروح السُّكّري، وابن الأنباري، وابن جِنّي، والمرزوقي، والتبريزي، بل واعتمدتُها أحيانًا عندما وجدت ذلك مناسبًا.

هـ ـ تَصدَّيت ـ وقدر الطاقة ـ لحلِّ كثيرٍ من المشكلات التي واجهَتني، وما أكثرَها..!

سواء كانت مشكلات لغويّة أو نحويّة أو عروضيّة، مستفيدًا من كتب اللغة والنحو والعروض، وندّت عن الحلّ مشكلات عجزتُ عن فكّ مغاليقها، أو حلّ طلسمها.

- أتبعتُ حياة كلّ شاعرٍ وأخبارَه وشعرَه، بتخريج أشعاره من المظانّ الرئيسيّة التي وُجِدت فيها، ورتّبت المظانّ حسب تسلسل الأبيات في متن الشعر، وحسب احتوائها على أكثر الأبيات المجموعة لكلّ شاعر، وحسب تتابع وفيّات مُؤلّفيها. وبذا صار كلّ ما يتّصل بالشاعر من أخبار، وأشعار، بين يدي القارئ على نحو شامِل ومتكامِل، وبالمقدار الذي وصلنا عنه من معلومات ومن عطاء شعريّ.

١ ـ خُزَيْمَةُ بنُ نَهْدِ القُضَاعِي

إنَّ أخبارَ هذا الشاعر التي أصبناها نزرة وشحيحة، وهي تتّصل باسمِهِ ونسبه وعشقه لفاطمة، وقتله لأبيها (يذكر بن عَنَزَة)، وبأدلّة تشير إلى أنّه من الشعراء الجاهليّين القُدامى جدًّا، أبرزها وجودهُ قبل تفرُّق قُضاعة عن معدّ.

١ ـ إسمه ونسبه

فهو «خُزَيْمَة بن نَهْد بن زَيْد بن لَيْث بن سُوْد بن أسْلَم بن الحافِ بن قُضاعة»[١] وجعل صاحب اللسان (٧١١ هـ ـ ١٣١١ م) (مالِكًا) أبًا لخزيمة، فقال: «خُزَيْمة ابن مالِك بن نَهْد»[٢]. في حين عدَّ ابن حَزْم (٤٥٦ هـ ـ ١٠٦٣ م) (مالِكًا) بين إخوة خُزَيْمة الثلاثة عشر. وهؤلاء الأخوة هم: مالِك، وصُباح، وحَزِيْمة، وزَيْد، ومعاوية، وكَعْب، وأبو سُودة ـ كلّهم بطون في اليمن يسكنون قرب نَجْران ـ وعامِر، وعَمْرو، وحَنْظَلة حاكِم العرب، والطول، ومُرّة، وأبان، هؤلاء كلّهم سكنوا الشام»[٣]. وإذا أضفنا إلى هؤلاء شاعرنا خُزَيْمة، يصبح أبناء نَهْد بن زَيْد القضاعي أربعة عشر ولدًا. وقد أنجبهم نَهْد من امرأتَين اثنتَين هما: بَرَّة بنت مُرّ بن أدّ بن طابِخة بن إلياس بن مُضَر ـ وهي أمّ أسد بن خُزَيْمة، قبل أن يتزوَّجها نَهْد القُضاعي. والثانية: إمرأة من

(١) الأصفهاني: الأغاني ١٣: ٧٨، وابن حَزم: جمهرة أنساب العرب ٤٤٦ .
(٢) إبن منظور: اللسان (ردف)، وانظر أبا عُبَيْد: الأمثال ٣٤٥، والمَيْداني: مَجْمَع الأمثال ١: ٧٥ .
(٣) إبن حَزْم: م. س ٤٤٦ .

قُضاعة من بني القَيْن بن جَسْر[1]. ولا نعرف بدقّة مَن منهما كانت أُمًّا لخُزَيْمة بن نَهْد.

ولقد وقع اضطراب في عَزْوِ أشعار خُزَيْمة، إلى أخيه حَزِيْمة في بعض المصادر[2]. والأرجح أنّ الشاعر هو خُزَيْمة ـ وليس حَزِيْمة. وفي هذا الصدد يقول أبو أحمد العَسْكري (٣٨٢ هـ ـ ٩٩٢ م) في باب ما يشكل ويصحَّف من أسماء الشعراء: «وأمّا خُزَيْمة بالزاي فخُزَيْمة بن طارق في رَبِيْعة، وخُزَيْمة بن نَهْد في قُضاعة. وفي أمّ خُزَيْمة هذا وقعت الحرب، والفرقة في بني مَعَدّ»[3].

وعلى الرغم من أنّ العسكري اقتصر في ضَبْطه الكتابيّ لاسم (خُزَيْمة) على الزاي، إلاّ أنّه رسمه بالخاء أيضًا. ودلَّل على أنّه يريد شاعرنا حين قال: وفي أُمّهِ وقعت الحرب، والفرقة في بني مَعَدّ. وفي عبارة العسكري الأخيرة نَظَر، فنحن نقرأ في **الأغاني**، **ومعجم ما استعجم**، وغيرهما، أنّ الحرب بين معد وقضاعة، والفرقة بينهما لم تكن بسبب أمّ خُزَيْمة، بل بسبب عِشْق خُزَيْمة لفاطمةَ بنت يَذْكُر بن عَنزَة بن أسَد ابن رَبِيْعة بن نِزار بن مَعَدّ، وقتله لأبيها (يَذْكُر)، الأمر الذي آلَ إلى حَرب هُزمت فيها قضاعة... وخرجت من تهامة فِرقًا شتّى[4].

والتدقيق في أخبار هذه الفِرَق سيعيننا في تحديد تقريبيّ لعصر شاعرنا بعد قليل. أمّا عِشقُه لفاطمة وقتله لأبيها، فذكرته مصادر كثيرة. فقد روى أبو الفرج الأصفهاني (٣٥٦ هـ ـ ٩٦٦ م)، وغيره من الرواة، أنّ شاعرنا كان يهوى فاطمة بنت يَذْكُر، فخطبها من أبيها، فلم يزوِّجه إيّاها، فراحَ خُزَيْمة يُشبِّب بها قائلاً:

إذا الجَوْزَاءُ أرْدَفَتِ الثُّرَيَّا ... ظَنَنْتُ بآلِ فاطمةَ الظُّنُونَا

أَرَى ابْنةَ يَذْكُرٍ ظَعَنَتْ فحَلَّتْ ... جَنوبَ الحَزْنِ، يا شَحَطًا مُبِينا

وبلغ شعره ربيعة، فرصدوه، حتّى أخذوه فضربوه، ومرّت الأيّام، فالتقى خُزَيْمة،

---

(١) البكري: **مُعْجَم ما اسْتَعْجَم** ٣٢.

(٢) أبو عُبَيْد: م. س ٣٤٥، والميداني: م. س ١: ٧٥.

(٣) العسكري: **شَرْح ما يقع فيه التصحيف والتحريف** (ط مصر) ٣٧٨.

(٤) الأصفهاني: **الأغاني** ١٣: ٧٨ فما بعدها، والبكري: **معجم ما استعجم** ١٩ فما بعدها، وياقوت الحموي: **معجم البلدان** (جزيرة أقور) و(حضر).

ويذكُر ـ والِد فاطمة ـ وهما يجتنيان القَرَظ، فلمّا خلا خُزَيْمة بغريمه قَتَلَه، وقيل: بل مرّا على قَلِيْب فيه مَغْسَل، فنزل (يَذْكُر) لاشتيار العسل، حتّى رفع منه حاجته، فقال له خُزَيْمة: لا أخرجك، أو تزوّجني ابنتك فاطمة، قال: أمّا وأنا على هذه الحال، فلا، ولكن أخرجني، ثمّ أخطبها، فأزوّجكما، فأبى وتركه، فمات في القليب. فلمّا انصرف إلى الحيّ، اتّهموه، فأنكر، ولم تُعرَف قصّته تلك، حتّى قال:

فَتَاةٌ كأنَّ رُضابَ العَبِيْرِ ... بِفِيْها يُعلّ به الزَّنْجَبِيْلُ

قَتَلْتُ أباها على حُبِّها ... فتبخلُ إنْ بخلتْ أوْ تُنِيْلُ

فلمّا سمعت رَبِيعة بذلك اجتمعت على قُضاعة، وأعانتهم كِنْدة، واجتمعت قُضاعة، وأعانتهم علكّ والأشعرون، فاقتتل الفريقان، فقُهِرت قُضاعة، وقُتِل خُزَيْمة، وأجلوا عن منازلهم، وتفرّقوا جماعات في شتّى الاتّجاهات[1].

٢ ـ زمان خزيمة

تعدّدت الروايات التي تحدّثت عن فِرَق قُضاعة، وضَربها في الآفاق[2]، فثمّة فرقة تدعى تَيْم اللاّت بن أَسَد بن وَبَرة، وفرقة من بني رُفَيْدة، وفرقة من الأشعريِّين اتّجهت نحو هَجَر في البحرين. وقد سمّيت هذه القبائل بـ «تنوخ». وفرقة من بني حُلوان بن عِمْران بن الحافِ بن قُضاعة، يُقال لها «بنو تَزيْد» كان رئيسها عَمْرو بن مالِك التزيدي. وهذه الفرقة هي التي يهمّنا أمرُها، فمن خلاله سنحدِّد زمن شاعرنا تقريبًا. فقد قال ياقوت الحمويّ عنها: «ولمّا تفرّقت قُضاعة في البلاد سار عَمْرُو بن مالك التريدي في تَزِيد وعَشْم ابنَي حلْوان بن عِمران بن الحافِ بن قُضاعة، وبنو عَوْف بن ربّان وجَرْم بن ربّان إلى أطراف الجزيرة، وخالطوا قراها، وكثروا بها وغلبوا على طائفة منها، فكانت بينهم وبين مَن هناك وقعة هزموا الأعاجم فيها... وقال شاعرهم جُدَيُّ بن الدَّلْهاث بن عَشْم العَشْمي:

---

(١) أنظر قصّة خُزَيْمة ويذكر بن عَنزَة في: ديوان الهُذَليّين ١٤٥، وأبي عُبَيْد: الأمثال ٣٤٤ ـ ٣٤٥، وابن قتيبة: المعارف، والبلاذري: أنساب الأشراف ١: ١٨ ـ ١٩، والأصفهاني: الأغاني ١٣: ٧٨، فما بعدها، والميداني: مجمع الأمثال ١: ٧٥، والزمخشري: المستقصى في أمثال العرب ١: ١٢٧ ـ ١٢٨، والبغدادي: الخزانة ٥: ٥٠٢ ـ ٥٠٣.

(٢) أنظر في تفرّق قضاعة: الأصفهاني: م. س ١٣: ٨٢ ـ ٨٣، والبكري: م. س ٢١ ـ ٣١، وياقوت: معجم البلدان (جزيرة أقور) و(الحضر).

صَفَفْنا لِلأعاجِمِ مِنْ مَعَدٍّ   صُفُوفًا بالْجَزِيرةِ كالسَّعِيرِ
لَقِيناهُمْ بجَمْعٍ مِنْ عِلافٍ   تَرادَى بالصَّلادِمَةِ الذُّكُورِ
فلاقَتْ فارسٌ مِنهم نَكالاً   وقاتَلْنا هرابِذَ شَهْرَزُوْرِ

ولم يزالوا بناحية الجزيرة حتّى غزا سابور الجنود بن أردشير (الحَضْر)، وكانت مدينة تَزِيْد، فافتتحها واستباح ما فيها، وقَتَلَ جماعةً من قبائل قُضاعة، وبقيت منه بقيّة قليلة، لحقوا بالشام وساروا مع تَنُوْخ»[١]، وفي رواية أخرى لياقوت أيضًا ذكر أنّ رئيس قضاعة كان يُدعى الضيزن بن معاوية، وأنّ الوقعة التي أوقعها بالفرس هي وقعة شَهْرَزُوْر[٢]. وليس ثمّة فرق كبير بين الروايتَين، من حيث ذكْر وقعة شَهْرَزُوْر، وفتح مدينة الحَضْر. إذن بعد أن قتلت رَبِيْعة خُزَيْمةَ بن نَهْد، وهزمت قومه القضاعيّين، تفرّقت قضاعة فِرَقًا، كان منها بنو تَزِيْد، الذين رأسهم عَمْرو بن مالِك التَّزيدي. وقد اتّجه عمرو مع قومه هؤلاء إلى أطراف الجزيرة. وهناك غزاهم (سابور الجنود) وافتتح مدينتهم (الحَضْر)[٣]. ومن المعروف، تاريخيًّا، أنّ (الحَضْرَ) قد فُتِحت بعد أن حاصرها هذا الملك الساساني سنة كاملة من ١٢ نيسان ٢٤٠ م، إلى ١ نيسان ٢٤١ م، حسبما تذكر وثيقة اكتُشِفت حديثًا في مصر[٤]. وقد ذهب (ماجد الشمس) إلى أنّ (مانيزن)، أو (الضَّيْزَن) بحسب المصادر العربيّة، قد تحالف مع الرومان ضدّ الساسانيّين في معركة شَهْرَزُوْر عام ٢٣٢ م[٥]. وهذه هي المعركة التي يذكرها الشاعر الجاهليّ القديم جُذَيٌّ ابن الدُّلْهاث كما سنرى في حديثنا عنه بعد قليل.

---

(١) ياقوت: م. ن (جزيرة أقور).
(٢) م. ن (الحَضْر).
(٣) قال الطبري في (الحَضْر): «وكان بحيال تكريت بين دَجْلة والفُرات مدينة يُقال لها الحَضْر وكان بها رجل من الجرامِقة يقال له الساطرون، وهو الذي يقول فيه أبو دؤاد الإيادي:
وأرى الْمَوْتَ قد تَدلّى مِنَ الْحَضْـ   ـرِ على رَبِّ أهْلِهِ السّاطرون
والعرب تسمّيه الضَّيْزن. وقيل: إنّ الضَّيْزَن من أهل باجرمى» ــ تاريخ الأمم ٢: ٤٧ . وقد اكتشفت هذه المدينة حديثًا، وتبيَّن من نقوشها وكتابة تاريخها أنّها وجدت في القرون الثلاثة الأولى للميلاد، وأنّه كان من حكّامها أمير عربيّ اسمه (سَنْطروق) هو ــ على ما يُعتقَد الذي سمّاه المؤرّخون العرب الساطرون ــ أنظر الشجري: **الأمالي الشجريّة** ١: ٩٦ ــ ٩٩، وكتاب فؤاد سفر، ومحمّد علي مصطفى: **الحَضْر ــ مدينة الشمس**، وكتاب ماجد الشمس: الحضر، ومقالاً عن مدينة (الحَضْر) في **مجلّة الفيصل السعوديّة** ــ السنة العاشرة ــ العدد ١٢ ص ٢٧ ــ ٣٤ .
(٤) فؤاد سفر، ومحمّد علي مصطفى: **الحَضْر ــ مدينة الشمس** ٣٤ .
(٥) ماجد الشمس: **الحَضْر** ص ١٢ .

وهكذا يبدو تعاقُب الأحداث التاريخيَّة قبل أواسط القرن الثالث على النحو التالي. تفرَّقت قضاعة أوَّلاً بعد مَقتل خُزَيْمة بن نَهْد، ولأسباب مختلفة أخرى، فجاءت فرقة منها أرض الجزيرة بين دجلة والفرات، فاصطدمت هناك بالأعاجم في معركة تدعى (شَهْرَزُوْر)، وذلك عام ٢٣٢ م. ثمَّ أغار سابور الجنود (٢٧٢ م)[١] على مدينة الحَضْر وحاصرها، وفتحها سنة ٢٤١ م، وقتل جماعة من قبائل قضاعة، وخاصّة من أولئك الذين كانوا في الحَضْر أو حولها.

وهذا كلّه يُشير إلى أنّ خُزَيْمة بن نَهْد القُضاعي قد وُجِد قبل هذه الأحداث أي قبل سنة ٢٤١ م على الأرجح. فهو إذًا أحد الشعراء الجاهليّين القُدامَى جدًّا.

وممّا يشهد لِقِدَم خُزَيْمة بن نَهْد، وكونه من أوائل الشعراء، قول أبي الفرج الأصفهاني فيه: «شاعر من قدماء الشعراء في الجاهليّة»[٢]، وإدراج أبي حاتم العسكري له بين مجموعة ممَّن قالوا الشعر قبل زُهَيْر بن جَناب ومُهَلْهِل، وأبي دؤاد، وعَمْرو بن قَمِيئة، والأَفْوَه الأَوْدِي، وامرئ القيس، وعَبِيْد بن الأَبْرَص، ولكنّهم ـ عند العسكري ـ لا يُسمّون شعراء، فقد ذكر العسكري أسماء هؤلاء الشعراء أوَّلاً، ثمَّ قال:

«وقد قال قبل هؤلاء الشعراء جماعةٌ لا يسمَّون شعراء لأنّهم قالوا الأبيات اليسيرة، فمنهم دُوَيْد بن زَيْد بن نَهْد... ومنهم خُزَيْمة بن نَهْد... ومنهم أَعْصُر بن سَعْد...»[٣].

وقد مرّ بنا مناقشة رأي أبي أحمد هذا من قبل، وشرحنا مسوِّغ اختيارنا لِخُزَيْمة ابن نَهْد وأمثاله، باحتمال كونهم قالوا الشعر الكثير في زمنٍ مُغرِق في القِدَم، ولكنّه نسي ولم ينقله الرواة إلينا.

ومن مؤشِّرات قِدم شاعرنا أيضًا أنّ أبا عبيد. البكري قال بعد أن أنشد هذا البيت لخُزَيْمة:

إذا الْجَوْزَاءُ أَرْدَفَتِ الثُّرَيَّا ... ظَنَنْتُ بآلِ فاطمةَ الظُّنُوْنا

(١) أنظر بشأن ملك سابور بن أردشير وتاريخه، الطبري: م. س ٢: ٥١.
(٢) الأصفهاني: الأغاني ١٣: ٧٨.
(٣) العسكري: شَرْح ما يقع فيه التصحيف والتحريف ٤٢٨ ـ ٤٢٩.

«وصِلةُ بيتِ خُزَيْمة، وهو أوَّلُ الشعر:

ظَـنَـنْـتُ وظَـنُّ الْـمَـرْءِ حُـوْبٌ ... وإنْ أَوْفَـى وإنْ سَـكَـنَ الْـحَـجُـوْنا»[1]

وساق ثلاثة أبيات أُخَر...

وبما أنّ شِعْرَ خُزَيمة كان «أوَّلَ الشعر»، أو من طلائع الشعر، وبما أنّ قائلهُ قديمٌ جدًّا، فقد ضاع شعره ولم تحفظه الرواة، على الأرجح، والدليل أنّ ابن الكلبي يقول: «ولم تحفظ العربُ من أشعارها إلاّ ما كان قُبَيل الإسلام»[2].

ولعلَّ هذا ممّا جعلنا لا نَقدِر، رغم بذل الجهد المستطاع، أن نجمع أكثر من سبعة أبيات لخزيمة جاءت في كتب التراث المختلفة، وها هي ذي تَلِي ما تقدَّم:

شِعْرُ خُزَيْمَةَ بنِ نَهْدٍ القُضَاعِي

(١)

في المعارف (٦١٧)[3]: (المتقارب)

١ ـ فَـتـاةٌ كَـأَنَّ رُضَـابَ الـعَـبِـيْـرِ ... بِـفِـيْـهَـا يُـعَـلُّ بِـهِ الزَّنْـجَـبِـيْـلُ[4]

٢ ـ قَـتَـلْـتُ أَبَـاهَـا عَـلَـى حُـبِّـهـا ... فَـتَـبْـخَـلُ إنْ بَـخِـلَـتْ أَوْ تُـنِـيْـلُ

(٢)

في معجم ما استعجم (١٩)[5]: (الوافر)

١ ـ إذا الْـجَـوْزَاءُ أَرْدَفَـتِ الـثُّـرَيَّـا ... ظَـنَـنْـتُ بـآلِ فـاطِـمـةَ الـظُّـنُـونـا[6]

---

(١) البكري: فَصْلُ المقال ٤٧٣ ـ ٤٧٤.

(٢) إبن الكلبي: الأصنام ١٢.

(٣) قال خُزَيْمة بن نَهْد هذين البيتَين بعد أن قَتَل يذكُرَ بن عنَزَة ـ والِد فاطِمةَ وكان خُزَيْمة يتعشّقها.

(٤) في جمهرة الأمثال، ومعجم ما استعجم: «رُضابَ العَصيرِ». ورُضاب العَبِيْر: ما تقطّع منه وتَحبَّب وانتشر. وعَلَّ يَعِلُّ: شَرِب الشربة الثانية، ويُعلُّ، هنا، بمعنى يُخلَط. والزنجبيل: الخَمر. وأصل الزنجبيل نبتٌ بأرضِ عُمان. وهو مُستطابٌ عندَهم جدًّا.

(٥) قال البكري، بعد أن أشار إلى إئتلاف أولاد معدّ قبل تفرُّقهم: «فأوّل حرب وقعت بينهم أنّ خُزَيْمة بن نَهد بن زَيد بن لَيْث... كان يتعشّق فاطمة بنت يذكر بن عنزة بن أسَد بن رَبيعة بن نِزار. وكان اجتماعهم في محلّة واحدة، وتُفرّقهم النجَع، فيظعنون، فقال خُزَيْمة: (الأبيات)».

(٦) الجَوزاء والثريّا: من بُروج السماء. وقال ابن قُتَيْبة شارِحًا: «أردفَت ورَدَفَتْ واحد، يريد إذًا طلعت وبقيَ من الليل فضلٌ حتّى تظهرَ الجوزاء بعدها، ظننتُ بهذه المرأة الظنون، لأنّ هذا وقت لا يبقى فيه أحدٌ بالبادية، فلا أدري إلى أيّ المياه قصدت ولا أيُّها حَضَرَت، فأقول مرّةً على ماء كذا، ومرّةً على ماء =

٢ ـ ظَنَنْتُ بها وظَنُّ الْمَرْءِ حُوْبٌ　　وإنْ أَوْفَى وإنْ سَكَنَ الحَجُونا[١]

٣ ـ وحالَتْ دُوْنَ ذلكَ مِنْ هُمُوْمِي　　هُمُوْمٌ تُخْرِجُ الشَّجَنَ الدَّفِيْنا[٢]

٤ ـ أَرَى ابْنَةَ يَذْكُرٍ ظَعَنَتْ فَحَلَّتْ　　جَنُوْبَ الْحَزْنِ، يا شَحْطًا مُبِيْنا[٣]

وفي البسوس (١١):

٥ ـ فإنْ أَهْلِكْ بِحُبِّكِ فاعْلَمِيْهِ　　فَلَمْ يُفْلِحْ أَبُوْكِ ولا أَبُوْنا[٤]

تخريج شعر خزيمة بن نهد القضاعي(*)

(١)

١ ـ ٢　　في المعارف ٦١٧، وأنساب الأشراف ١: ١٨، والأغاني: ١٣: ٧٧، ٧٩، ومعجم ما استعجم ٢٠، والمستقصى في أمثال العرب ١: ١٢٧، ومختار الأغاني ٣: ٣٩٦ لخزيمة بن نهد القضاعي.

(٢)

١ ـ ٤　　في معجم ما استعجم ١٩، وفصل المقال ٤٧٣ ـ ٤٧٤ لخزيمة بن نهد القضاعي.

=كذا، من غير يَقين» ـ **الأنواء** ٩٩ ـ ١٠٠. وفي **اللسان**: (ردف): «معنى بيت خُزَيْمة على ما حكاه عن أبي بَكْر بن السرّاج أنّ الجوزاء تردَف الثريّا في اشتداد الحرّ، فتتكبّد السماءَ في آخر الليل، وعند ذلك تنقطع وتجفّ، فتتفرّق الناسُ في طَلَبِ المياه، فتغيب عنه محبوبته، فلا يدري أين مضت ولا أين نزلت». وانظر في معنى الأبيات أيضًا **الأزمنة والأمكنة** ٢: ١٣٠ ـ ١٣١، و**فَصْل المقال** ٤٧٣ ـ ٤٧٤.

(١) في **فَصْل المَقال**: «ظَنَنْتُ بِهِمْ». وفي **أنساب الأشراف**:

ظَنَنْتُ بِها وظَنُّ الْمَرْءِ مِمَّا　　يُجَلِّي لِلْفَتَى الأمْرَ المُبِيْنا

والحُوْب: الإثم. وأوْفَى: أشْرَف. والحَجُون: جَبَل بأعلى مَكّة ـ **معجم البلدان** (حَجون).

(٢) في **المُستقصى**: «وأعْرَض دُوْنَ... الدّاءَ الدَّفِيْنا». وفي **السِّمْط**: «من هُمُوْمٍ... هُمُوْمٌ تُوْرِثُ الدّاءَ الدَّفِيْنا». وفي **جمهرة الأمثال**: «مِنْ هُمُوْمٍ.. هُموم تُخْرِجُ الدّاءَ الدَّفِيْنَا». وفي **ديوان الهُذَليّين**، و**التاج**: «الدَّاءَ الدَّفِيْنا». والشَّجَن: الحُزْن أو الفَرَح، فهي من الأضداد ـ وهي هنا بمعنى الحُزْن.

(٣) في **فَصْل المَقال**: «رَحَلَتْ فحلَّتْ»: والحَزْن: قال ياقوت: «هكذا غير مُضاف طريقٌ بين المدينة وخَيْبر» ـ **معجم البلدان** (حزن). والحَزْن: ما غلُظ من الأرض. والشَّحْط المُبِين: البُعْد القَصِيّ المُفرّق. وتنوينُ «يَذْكُر» صَرْفُ لِمَا لا يَنْصرف. وهذا ضرورةٌ ـ أنظر **ما يجوز للشاعر في الضرورة**، ٦٠، و**ضرائر الشعر** ٢٢.

(٤) يفلح: أراد يفلح بالبقاء، وفي **اللسان** (فلح): «الفَلَح والفَلاح: الفَوْز والنَّجاة والبَقاء في النعيم والخَيْر».

(*) ملاحظة وتنويه: لم نضع هنا خطًا تحت أسماء الكُتب، لأنّ التخريج يعني، بالدرجة الأولى، ذكر جميع الكتب التي ورد فيها الشعر، إن أمكن، لذا لا ضرورة، فيما نرى، للتأشير على اسم كلّ كتاب بخطّ كما فعلنا فيما سبق. وسنجري على هذا النهج في كلّ تخريج سيأتي بعد هذا التخريج الأوّل في الكتاب.

١ ـ ٣	في جمهرة الأمثال ١: ١٢٣، والتاج (ردف) لخزيمة بن نهد.
١ ـ ٢	في أنساب الأشراف ١: ١٨ لخزيمة بن نهد.
١، ٣ ـ ٤	في الأغاني ١٣: ٧٨ ـ ٧٩، ومختار الأغاني ٣: ٣٩٥ لخزيمة بن نهد.
١، ٣	في ديوان الهذليين ١: ١٤٥ لخزيمة بن نهد.
١، ٥	في البسوس ١١ لخزيمة بن نهد.
١	في الأمثال لأبي عبيد ٣٤٥، والمعارف ٦١٧، والتهذيب ٩: ٦٨، والسمط ١٠٠، والصحاح (ردف)، واللسان (قرظ) و(ردف)، ومجمع الأمثال: ١: ٧٥ لخزيمة. وفي الأنواء لابن قتيبة ٩٩، وديوان الأدب ٢: ٣١٤، والتهذيب ١٤: ٩٧، والأزمنة والأمكنة ٢: ١٣٠، والأفعال ٣: ١٥، وأساس البلاغة (ردف) دون عزو.

٢- جُدَيُّ بن الدِّلْهاث القُضاعي أو (عَمْرو بن إلّة القُضاعي)

بين أيدينا ثمانية أبيات، في مُقَطَّعَتين، يبدو أنّها تنتمي إلى القرن الثالث الميلاديّ أيضًا، أصبناها، أو أصبنا بعضها، في مجموعة من المصادر[1]. ذُكِرت فيها أيضًا معركة شَهْرَزُوْر، وتهديم مدينة الحَضْر المُشار إليهما آنفًا في أخبار خُزَيْمة بن نَهْد القضاعي.

وقد عُزِيت تلك الأبيات، أو بعضها، إلى غير ما شاعر، فعزاها الطبري (٣١٠ هـ ـ ٩٢٢ م)، وأبو الفَرَج الأصفهاني (٣٥٦ هـ ـ ٩٦٦ م)، وابن الشَّجَري (٥٤٥ هـ ـ ١١٤٧ م) إلى عَمْرو بن إلّة (أو إلاه). وعزاها المسعودي (٣٤٦ هـ ـ ٩٥٧ م)، والبكري (٤٨٧ هـ ـ ١٠٩٤ م) وياقوت الحموي (٦٢٦ هـ ـ ١١٢٨ م)، والقزويني (٧٠٢ هـ ـ ١٣٠٢ م) إلى الجُدَي بن الدِّلْهاث (أو الجِذْس بن الدلْهاث). ورُويت أبيات من تلك الثمانية إلى عَمْرو بن السّليْح بن حُدَى بن الدّها بن غنم بن حلوان بن

(١) أنظر الطبري: تاريخ الأمم ٢: ٤٧ ـ ٤٩، والمسعودي: مُروج الذهب ٢: ٢٥٧ ـ ٢٥٨، والأصفهاني: الأغاني ٢: ١٤١ ـ ١٤٣، والبكري: معجم ما استعجم ٢٣، وابن الشجري: الأمالي الشجريّة ١: ٩٦ ـ ٩٩، ونشوان الحِمْيَري: الحُوْر العين ٢٩٨، وياقوت الحموي: معجم البلدان (جزيرة أقور)، و(الحَضْر) والقزويني: آثار البلاد ٣٥٤، وعَبْد المِنْعِم الحِمْيَري: الرَّوْض المِعْطار ٢٠٥.

عمران بن الحافِ بن قضاعة في **الأغاني**[١]. وأبيات أخرى منها للحارث بن قُراد البَهْراني[٢]. وأبيات منها لأبي دؤاد الإيادي[٣].

وبما أنّ ثلاثة مصادر عَزَتْها إلى جُدَيّ بن الدّلْهات، وثلاثة عَزَتْها إلى عَمْرو بن إلّة، رأينا أن يتركَّز انتباهُنا على أحد هذين الشاعرَين، وكلاهما من قضاعة. وعلاقة القربى بينهما وثيقة. فعَمْرو بن إلّة، وفق نسب أبي الفرج له، ونسب الطبري أيضًا، هو حفيد جُدَي بن الدّلْهات. وقد اتَّضح ذلك من نسب عَمْرو الذي أثبتناه في السطور السالفة.

ونحن نميل إلى أنّ صاحب الأبيات هو جُدَيّ بن الدّلْهات، ولكنّنا لا نقطع بذلك. ولميلنا هذا مسوِّغات، لعلّ أبرزها النصّ الذي ساقه ياقوت الحموي في **معجم البلدان**، والذي صحَّح فيه لرواةٍ قبله خطأً تاريخيًّا كانوا يقعون فيه، ويتّصل هذا التصحيح بتحديد زمان شاعرنا ــ جُدَي بن الدّلْهات. وثمّة مُسوِّغ آخر نُرْجِئه إلى ما بعد.

وإذا صحَّ لنا الفَرَض القائل: إنّ صاحب الأبيات المُشار إليها آنفًا هو جُدَي بن الدلْهات، نمضي فنقول: ذُكِر هذا الشاعر في أربعة مصادر كما مرّ بنا. ففي **مروج الذهب** رُسِمَ على هذا النحو (حُدى بن الدهماء العبسي)، وفي إحدى مخطوطاته: (حدى بن الدهمي)[٤]. وفي **معجم ما استعجم** نقل البكري عن عُمَر بن شبّة (٢٦٢ هــ ـ ٨٧٥ م) أنّه (جدى بن الدّلهاء بن عشم بن حلوان)، وعن الهمداني في رواية أخرى، أنّه (جُدَيّ بن مالك أحد بني عشم)[٥]. وقد دعاهُ القَزْويني (الحدْس بن الدلْهات)[٦]. ولا شكَّ أنّ التصحيف والتحريف قد أصابا اسم شاعرنا، أو اسم أبيه في المطبوع من **مروج الذهب**، و**معجم ما استعجم**، و**آثار البلاد**.

---

(١) الأصفهاني: م. س ٢: ١٤١، وعزاها الطبري إلى عَمْرو بن إلّة بن الجدي بن الدّهاء بن جَشْم بن حُلْوان بن عِمران بن قضاعة ــ أنظر **تاريخ الأمم** ٢: ٤٧ .

(٢) البكري: م. س ٢٣ .

(٣) نشوان الحميري: م. س ٢٩٨ .

(٤) أنظر المسعودي: **مروج الذهب** ٢: ٢٥٧ ــ ٢٥٨ .

(٥) أنظر البكري: **معجم ما استعجم** ٢٣ .

(٦) أنظر القزويني: **آثار البلاد** ٣٥٤ .

أمّا ياقوت الحموي فقد ذكر الشاعر في موضعَين من معجمه وقال في أوّلهما: إنّه «جدي بن الدّلْهاث بن عَشْم العَشْمِي»: وقال في ثانيهما: «الجدي بن الدلْهاث ابن عَشْم بن حلوان القضاعي»[1]. ويبدو أنّ الاسم الأوّل للشاعر قد اتُّفق عليه عند كلّ من المسعوديّ، والبكري، وياقوت، أو مَن رووا عنهم. ولكنّ الثلاثة لم يُفصّلوا في نسبه، مثلما صنع الطبري في حفيده عمرو حين قال فيه: «عَمْرو بن إلّة بن الجُدي بن الدهاء ابن جُشَم بن حلوان بن عمران بن قضاعة»[2]. ونحن لن نقف عند هذا النسب، أو نعرض لِمَا فيه من نقص أو اضطراب، ذلك لأنّ في حوزتنا مؤشّرات أخرى لتقدير زمان شاعرنا.

زمانه:

مرَّ بنا أنّ خزيمة بن نَهْد القُضاعي وُجِد قبل تفرُّق قضاعة، وانسياحها نحو الشمال، إلى ما بين دجلة والفرات. أمّا جُدَيُّ بنُ الدلهاث، فثمّة ما يشير إلى وجوده بعد تفرُّق قضاعة ووصولها إلى العراق، واصطدامها بالأعاجم في معركة شَهْرَزُوْر، التي أرِّخ لها بسنة ٢٣٢ م[3]. كما تقدَّم، فقد قال ياقوت الحموي: «قال الشرقيّ بن القطامي: لمّا افترقت قضاعة سارت فرقة منهم إلى أرض الجزيرة، وعليهم مَلِكٌ يُقال له الضَّيْزَن ابن جَلْهمة أحد الأحلاف، وقال غيره: الضَّيْزَن بن معاوية بن عبيد بن الأحرام بن عمرو بن النخع بن سليم بن حلوان بن عمران بن الحاف بن قضاعة... وكان يغير على بلاد الفرس، وما يقرب منها... ثمّ إنّه أغار على السواد فأخذ ماهَ ــ أختَ سابُوْرِ الجنودِ ابن أرْدَشِيْر الجامع، وليس بِذِي الأكتاف... وإنّما ذكرت ذلك لأنّ بعضَهم[4] يغلط ويروي أنّه ذو الأكتاف. فقال الجُدَيُّ بن الدّلْهاث بن عشْم بن حلوان القضاعي في وَقعةٍ أوقعها الضَّيْزن بشَهْرَزُوْر:

دَلَفْنا للأعادِي مِنْ بَعِيْدِ ... بِجَيْشٍ ذِيْ الْتِهابٍ كالسَّعِيْرِ

فَلاقَتْ فارسٌ مِنّا نَكالاً ... وقَتَّلْنا هرابِذَ شَهْرَزُوْرِ

(١) أنظر ياقوت الحموي: معجم البلدان (جزيرة أقور) و(الحضر).

(٢) الطبري: تاريخ الأمم ٢: ٤٧، وقارن بالأغاني ٢: ١٤١ حيث يقول أبو الفَرَج: «عَمْرو بن السليح بن حُدّي بن الدها بن غنم بن حلوان بن عمران بن الحاف بن قضاعة».

(٣) أنظر ماجد الشمس: الحضر ١٢.

(٤) من أولئك أبو الفرج الأصفهاني في الأغاني ٢: ١٤١، ولهذا رجّحنا رواية ياقوت الحموي لاسم شاعرنا.

لَقِيناهُمْ بِخَيلٍ منْ عِلافٍ وبالدُّهْمِ الصَّلادِمةِ الذكورِ»[1]

ويمضي ياقوت فيروي كيف انتقم سابور الجنود (٢٧٢ م) من الضَّيْزن، إذ قتله وهدم مدينته (الحَضْر)، وأهلك خَلقًا كثيرًا من قضاعة، فقال في ذلك الجُدَي بن الدلْهاث:

أَلَمْ يَحْزُنْكَ والأنْباءُ تَنمي بما لاقَتْ سَراةُ بَنِي العَبِيْدِ
وَمقْتَلُ ضَيْزنٍ وبني أبيهِ وإخلاء القبائلِ مِنْ تَزِيْدِ
أتاهُمْ بالْفُيُوْلِ مُجَلَّلاتٍ وبالأبْطالِ سابورُ الجُنودِ
فَهَدَّمَ من بروجِ الحضْرِ صخرًا كأنَّ ثِقالَهُ زُبُرُ الحَدِيدِ[2]

وربَّ قائلٍ يقول: إنّ الجُدَيَّ بن الدلهاث قال أبياته هذه بعد حدوث تلك الوقعة بزمن طويل، وبالتالي فهو ليس من رجال القرن الثالث الميلاديّ. والجواب يتمثّل في خبر يحكي قصّة صدام بين قضاعة والأعاجم، يذكر فيه أنّ شاعرنا جُدَيًّا هو شاعر قضاعة آنئذ، وأنّه ـ وقد مرّ بنا ذلك ـ كان مُعاصِرًا لعَمْرو بن مالك التَّزِيْدِي. يقول ياقوت في خبره المعني آنفًا: «ولمّا تفرّقت قضاعة في البلاد، سار عَمْرو بن مالك التزيدي في تَزِيْد وعشم ابنَيْ حلوان بن عمران بن الحافِ بن قضاعة، وبنو عوف بن ربَّان إلى أطراف الجزيرة، وخالطوا قراها، وكثروا بها، وغَلَبُوا على طائفة منها، فكانت بينهم وبين مَن هناك، وقعة هزموا الأعاجم فيها... فقال شاعرهم جُدَيُّ بن الدلْهاث...»[3].

وهكذا يترجّح لدينا أنّ جديَّ بن الدلْهاث كان أحد شعراء قضاعة الذين ظهروا بعد أن تفرّقت هذه القبيلة في الجزيرة الفُراتيّة، وأنّه كان معاصرًا للضَّيْزَن بن معاوية صاحب الحَضْر، في رواية، أو لعَمْرو بن مالك التزيدي في رواية أخرى، وأنّه شهد وأرَّخ بشعره حادثتَين هامتَين وقعتا في القرن الثالث الميلاديّ هما: معركة شَهْرَزُوْر، وفيها هَزَمَ العربُ الأعاجم. ومعركة الحَضْر، وقد أسفرت عن نتيجة معاكسة لنتيجة المعركة الأولى. وقد وقعت الأولى سنة ٢٣٢ م، ووقعت الثانية سنة ٢٤١ م. وعليه فشاعرنا، في الأغلب الأعمّ، من شعراء قضاعة في القرن الثالث الميلاديّ.

---

(١) ياقوت: معجم البلدان (الحضر)، وقارن بالبكري: معجم ما استعجم ٢٣ .
(٢) ياقوت الحموي: معجم البلدان (الحضر).
(٣) م. ن (جزيرة أقور)، والبكري: معجم ما استعجم ٢٦، ٣٤ .

لقد آثرْنا أن يكون استنتاجنا لزمان جُدَيّ بن الدلْهاث، ولوجوده، ترجيحًا، ذلك أنّنا نقرأ في كتاب الحَضْر ـ مدينة الشَّمْس ما قد يُثير الشكّ في الروايات العربيّة المتّصلة بفَتْح مدينة (الحَضْر)، فمُؤَلّفَا هذا الكتاب تشكّكا في الوجود التاريخيّ لشخصيّة تُدعى الضَّيْزَن، وهو الذي ورد ذكره في شعر جُدَيّ إذ قالاَ: «وقد نسج خيال الشعراء والأدباء قصّة عن سقوط هذه المدينة الباسلة، إذ عَزَوا تلك النهاية إلى خيانة أميرة، اسمُها النَّضِيْرة بنت الضَّيْزَن مَلِك الحَضْر، ذكروا أنّها دلّت سابور على طريقةٍ لدخول المدينة، بيدَ أنّ اسمَها، وكذلك اسم أبيها، لا وجودَ لهما في كتابات الحَضْر، وليس لدينا دليل على أنّهما شخصيّتان تاريخيّتان»[1].

وعلى الرغم من إقرارنا بوجود مسحة أسطوريّة في الرواية العربيّة التي تتحدّث عن سقوط الحَضْر وأسبابه، إلاّ أنّنا لا نستطيع أن نضربَ عرض الحائط بكلّ الروايات العربيّة المتّصلة بالحضر، وبوجود العرب فيها. فعدم ورود اسمَي الضيزن بن معاوية وابنته النضيرة في الكتابات الحضريّة المكتشفة حتّى الآن، لا يصحّ أن يدفع بنا إلى نَقْض كلّ ما قلناه بشأن شاعرنا، لا سيّما أنّ الطبري (٣١٠هـ ـ ٩٢٢ م) يذكر أنّ (الساطرون) ـ الذي يعدّ صيغة محوّرة عن (سنطروق) ـ تُسمّيه العرب الضَّيْزَن[2]. ثمّ إنّنا نتساءل من وجه آخر: هل قال التاريخ كلّ كلمته بخصوص العرب الأوائل الذين عاشوا في العراق في القرنَين الثاني والثالث الميلاديَّين؟ وهل توقّف العثور على كتابات حضريّة إلى الأبد؟

هذه مسألة. وثمّة مسألة أخرى أرجأناها إلى الآن، وهي تتّصل بعلاقة اسم شاعرنا بالكتابات الحضريّة المكتشفة حتّى اليوم. فهناك ما يُستأنس به على أنّ اسم الشاعر الذي نحن بصدده هو جُدَيّ، وليس عَمْرًا، فقد ورد اسم (جدا) أو (جُدَي) ثلاث مرّات في الكتابات الحضريّة التي بلغت (٢٩٢) كتابة. وهذه المرّات هي في الكتابة رقم (١٠٧) ورقم (٢٤٠) ورقم (٢٤٦)[3] وهذه هي نصوصها:

(١٠٧) «أنا... بن أبيجد بن جُدَي بن أبيجد بن كبير ومن بني رفشمش ساعدتُ شمش الإله العظيم المُحسن (على تشييد) بيت الأفراح (الواقع) على مصطبة

(١) فؤاد سفر، ومحمّد علي مصطفى: الحَضْر ـ مدينة الشمس ٣٤.
(٢) أنظر الطبري: تاريخ الأمم ٢: ٤٧.
(٣) هذه الأرقام الثلاثة وضعها مُؤلّفا كتاب: الحَضْر ـ مدينة الشمس ص ٤٠٩ و٤١٤.

والذي هو جزء من المعبد الكبير الذي بناه برمرين لشمش أبيه لحياتي وحياة كلّ مَن هو عزيز عليَّ»[1].

(٢٤٠): «تبرَّع جدا بن برعى بن دريا منا (واحدًا من الفضّة) لمذبح؟ المعبد»[2].

(٢٤٦): «أهدى جدا.. بن بريعي؟ ٥٠٠٠ أسات للخزانة»[3].

ورغم جهلنا لمنطوق رسم (جدى) أو (جدا)، نستطيع القول: إنّه لمن المرجّح أن يكون العرب ـ الذين ورد اسمهم أيضًا في الكتابات الحضريَّة كثيرًا[4] ـ قد سمّوا أبناء لهم باسم (جُدَيّ). ومن المرجَّح أن يكون أحد هؤلاء (الجُدَيِّيْن) هو الشاعر الذي نحن بصدده، فهو اسم شائع بين أولئك الذين كانوا يحيون في (الحَضْر) في القرنَين الثاني والثالث الميلاديَّين. ويعزّز هذا الترجيح أنّ اسم (جُدَيّ) اسم شائع بين العرب، ففي طيّئ شاعران اسمُ كلّ منهما (جُدَيّ)[5]. وكذلك كان (جُدَيّ) اسمًا لصحابي يُدعَى جُدَيّ بن مرّة بن سُراقة البَلَوِي...[6]. أضف إلى كلّ ما تقدّم أنّ قضاعة التي ينتمي إليها هذا الشاعر، قبيلة قديمة وعريقة، لها وجود مُوْغِل في القدم، فقد قال ابن حَزْم في أبنائها: إنّ القضاعيِّين ذُكروا في كُتُب بطليموس (١٦٧ م) وفي كتب العجم القديمة، وكذلك ذُكرت أخبارهم وحروبهم[7].

وهكذا نكون قد أصبنا شاعرًا من القرن الثالث يُدعى جُدَيّ بن الدَّلْهاث، وقد رَوَت له كتب التراث ثمانية أبيات فقط، طابع الحماسة بادٍ عليها بوضوح. وها هي ذِي هنا:

---

(١) فؤاد سفر ومحمّد علي مصطفى: الحَضْر ـ مدينة الشمس ٤٠٩.

(٢) و (٣) م. ن ٤١٤.

(٤) م. ن الكتابات ذوات الأرقام ١٩٥، ١٩٦، ١٩٧، ١٩٨، ١٩٩ ـ ص ٤١٢.

(٥) أنظر ابن ماكولا: الإكمال في رَفْع الارتياب: ٢: ٦٢ ـ ٦٣.

(٦) أنظر ابن حُجْر: الإصابة في تمييز الصحابة ١: ٢٢٩ (ط بيروت)، وانظر ابن حَزم: جمهرة أنساب العرب ١٨٣، ١٨٥، ٢٩٥.

(٧) أنظر ابن حزم: م. س ٨، والطبري: تاريخ الأمم ٢: ٥٠٦. (ط بيروت).

شعر جُدَيّ بن الدَّلْهاث القُضاعي

(١)

في معجم البلدان (الحَضْر)[1]: (الوافر)

١ ـ أَلَمْ يَحْزُنْكَ والأَنْبَاءُ تَنْمِي ... بِمَا لاَقَتْ سَراةُ بَنِي الْعَبِيْدِ[2]

٢ ـ ومَقْتَلُ ضَيْزَنٍ، وَبَنِي أَبِيْهِ ... وإِخْلاءُ القَبائِلِ مِنْ تَزِيْدِ[3]

٣ ـ أَتاهُمْ بالفُيُولِ مُجَلَّلاتٍ ... وبالأَبطالِ سابُوْرُ الْجُنُودِ[4]

٤ ـ فَهَدَّمَ مِنْ بُرُوْجِ الْحَضْرِ صَخْرًا ... كَأَنَّ ثِقالَهُ زُبَرُ الْحَدِيْدِ[5]

---

(١) قدَّم ياقوت لهذه الأبيات بما مُلَخَّصه: أنَّ الضَّيْزَن بن معاوية القضاعي كان ملكًا على الجزيرة كلّها إلى الشام، وكانت (الحضر) مدينته، فصار يغير على بلاد فارس في زمن سابور الجنود بن أردشير، فتصدَّى له سابور وحاصر مدينته وافتتحها، وقتل الضَّيْزَن وخَلقًا كثيرًا من قضاعة، فقال الجُدَيُّ بن الدَّلْهاث في ذلك: (الأبيات). أمّا أبو الفَرَج الأصفهاني، فقد ذكر، بسنده، هذا الخبر، وقال فيه: إنّ هزيمة قضاعة كانت على يد سابورذي الأكتاف، وأضاف: «وقال في ذلك عمرو بن آلة، وكان مع الضيزن» ـ الأغاني ٢: ١٤٢، وانظر تاريخ الطبري ٢: ٤٩، ومروج الذهب ٢: ٢٥٧ ـ ٢٥٨، والأمالي الشجريّة ١: ٩٩.

(٢) في الروض المِعطار: «ألمْ يأتيك والأنباء». وفي الروض الأنف: «ألَم يُنَبِّئكَ والأنباءُ». وفي آثار البلاد: «ألَم يُجْزِيْكَ والأنباءُ تَنْمِي» وفيها تحريف وتصحيف، وتنمي: تشيع، وأصله نَمَى الشيء، إذا ارتفع وزاد. وسَراة العبيد: أكابرهم وعظماؤهم. وبنو العبيد: قوم الضيزن بن معاوية بن عبيد القضاعي.

(٣) في تاريخ الطبري، والأغاني، والروض الأنف: «ومَصْرَعُ ضَيْزَنٍ وبَنِي أبيْه.. وأحلاسُ الكتائبِ مِن». وفي مروج الذهب: «ومَصْرَعُ ضَيْزَنٍ، وبَنِي أبِيْهِ... وأحلافُ الكتائبِ مِنْ». وفي الأمالي الشجريّة: «ومَصْرَعُ ضَيْزَنٍ وبَنِي أبِيْهِ... وفرسانُ الكتائبِ مِنْ». وفي الحُوْر العَيْن: «وبني أبيه.. وأخلاسِ القبائلِ مِن يَزيد» وفيها تحريف. وفي الروض المِعْطار: «وبني أبيه... وأخلاس من». وفي آثار البلاد: «وبني أبيه... وإجلاء القبائل من يزيد» وفي «يزيد» تحريف. وتزيد قبيلة من قضاعة ـ أنظر جمهرة أنساب العرب ٤٤٠، ومعجم ما استعجم ٢٢ ـ ٢٣.

(٤) في آثار البلاد: «شابور الجنود». وسابور أو شابور الجنود: مَلِك فارسيّ تولّى الملك بعد أبيه أردشير بن بابك نحو السنة ٢٤٠ م ـ أنظر أخباره في تاريخ الطبري ٢: ٤٤ ـ ٥١.

(٥) في تاريخ الطبري: «فهدَّم من أواسي الحصن صخرًا». وفي الأغاني: «مِنْ أواسِي الحَضْر». وفي الرَّوض المِعْطار: «مِن رواسِي الحَضْر». وفي مروج الذهب: «بروج الحصن صَخْرًا... كأنَّ بناءَه زُبُر». وقال ياقوت في شرح البيت: «الثقال: الحجارة كالأفهار» وزبر الحديد: مفردها زُبْرة، وهي القطعة الضخمة من الحديد.

(٢)

في معجم البلدان (الحَضْر)[١]: (الوافر)

١ ـ دَلَـفْـنـا لِـلأعـادِي مِـنْ بَـعِـيْـدِ   بجيشٍ ذِي الْتِهابٍ كالسَّعِيْرِ[٢]

٢ ـ فَـلاقَـتْ فـارِسٌ مِـنَّـا نـكـالاً   وقَـتَّـلْـنـا هَـرا بِـذَ شَـهْـرَزُورِ[٣]

٣ ـ لَقِيْنَاهُمْ بِخَيْلٍ مِنْ عِلافٍ   وبالدُّهْمِ الصَّلادِمَةِ الذُّكُورِ[٤]

وفي معجم ما استعجم (٢٣):

٤ ـ كَأَنَّ الدَّهْرَ جُمِّعَ في لَيَالٍ   ثَـلاثٍ بِـتُّـهُـنَّ بِـشَـهْـرَزُوْرِ

---

(١) ذكر ياقوت مناسبة الأبيات عن الشرقيّ بن القطامي، فقال: إنّ الضيزن بن معاوية القضاعي نزل مدينة (الحضر)، ثمّ أغار على السواد، فأخذ ماة ـ أخت سابور بن أردشير، فقال الجُدَيُّ بن الدّلْهاث بن عَشْم ابن حلوان القضاعي في وقعة أوقعها الضيزن بشهرزور: (الأبيات) ـ معجم البلدان (الحضر). وقارن ،الأغاني ٢: ١٤١، ومعجم ما استعجم ٢٣، والأمالي الشجريّة: ١: ٩٦ .

(٢) في الأغاني (١٣: ٨٢)، ومعجم ما استعجم، ومعجم البلدان (جزيرة أقور)، ومختار الأغاني:

صَـقَـفْـنـا لـلأعـاجِـمِ مِـنْ مَـعَـدٍّ   صُـفُـوْفًـا بـالْـجَـزِيْـرةِ كـالـسَّـعِـيْـرِ

وفي تاريخ الطبري:

دَلَـفْـنـا لـلأعـاجِـمِ مِـنْ بَـعِـيْـدِ   بِـجَـمْـعٍ كـالجزيرةِ في الـسَّـعِـيْـرِ

وفي الأغاني (٢: ١٤١):

دَلَـفْـنـا لـلأعـاجِـمِ مِـنْ بَـعِـيْـدِ   بِـجَـمْـعٍ مِ الْجزيرةِ في الـسَّـعِـيْـرِ

وفي الأمالي الشجريّة، كما في الأغاني، ولكنّه قال: «كالسَّعِيْرِ». وبعض هذه الروايات لا يخلو من تصحيف أو تحريف. وقال ابن الشَّجَري في روايته: «قوله مِلْجَزِيْرةِ» حذف نون (من) لسكونها وسكون اللام تشبيهًا للنون الساكنة بحروف اللين لأنّ فيها غُنّة تضارع ما فيهنّ من المدّ واللين» ـ الأمالي الشجريّة ١: ٨٩٦ .

(٣) في معجم البلدان (جزيرة أقور): «منهم نكالاً... وقاتَلْنا هرابذَ». والنّكال: العِبْرة. والهرابز: مفردها هِرْبِذ فارسي مُعَرّب ـ أنظر المعرّب للجواليقي ٣٥١ . والهرابزة: خَدَمُ نار المَجوس. وشهرزور: كورة واسعة بين إربل وهَمَذان.

(٤) في تاريخ الطّبري، والأغاني: «بجمع من عِلاف... وبالخَيل الصلادمة». وفي معجم ما استعجم، ومعجم البلدان (جزيرة أقور): «بجمع من عِلافٍ... ترادَى بالصلادمة». وفي الأمالي الشجريّة: «بمُجْرٍ مِن عِلافٍ... على الخَيْلِ الصلادمة». والعِلاف: قال ياقوت: «اسمُهُ ربّان بن حُلوان بن الحافِ بن قضاعة، وإليه تُنسب الخَيل العِلافِيّة». والدهم: مفردُها أدهم، وهو الجواد الأسود. والصلادمة: مفردُها صِلدم، وهو الصلب الشديد.

تخريج شعر جُذَيّ بن الدِّلْهاث القُضاعي[*]

(١)

١ ـ ٤ في معجم البلدان: (الحَضْر) لجُذَيّ بن الدِّلْهاث، وفي مروج الذهب ٢: ٢٥٧ ـ ٢٥٨ لحرى بن الدهماء العبسي، وفي إحدى مخطوطات المُرُوْج: حُذَى بن الدهما. ولعلّ «العَبْسي» تحريف عن «العَشمي». وفي آثار البلاد وأخبار العباد ٣٥٥ للحدس بن الدلهاث. وفي تاريخ الطبري ٢: ٤٩ لعمرو بن آلة. وفي الأغاني ٢: ١٤٢ لعمرو بن آلة، وفي الروض الأنف ١: ٩٥ لعمرو بن آلة ابن الخنساء، وفي الحور العين ٢٩٨ لأبي دواد الإيادي وليست في ديوانه، وفي الروض المِعْطار ٢٠٥ دون عزو.

١ ـ ٣ في الأمالي الشجريَّة ١: ٩٩ لعمرو بن إلاه.

(٢)

١ ـ ٣ في معجم البلدان (الحضر) لجُذَيّ بن الدِّلْهاث.

١، ٣، ٢ في معجم البلدان (جزيرة أقور) لجدي بن الدلهاث، وفي الأمالي الشجريَّة ١: ٩٦ لعمرو بن إلاه.

٣، ٢، ١ في تاريخ الطبري ٢: ٤٨ لعمرو بن إلَّة بن الجُذَي بن الدهاء بن جُشَم بن حلوان. وفي الأغاني ٢: ١٤٠ لعمرو بن سليح بن حدى بن الدها بن غنم بن حلوان.

٤، ١، ٣ في معجم ما استعجم: ٢٣ للحارث بن قُراد البهراني. ثمَّ عن ابن شبَّة لجدى بن الدهاء بن عشم بن حلوان، ثمَّ عن الهمداني لجدي بن مالك أحد بني عَشْم.

٤، ١ في الأغاني ١٣: ٨٢، ومختار الأغاني ٣: ٣٩٩ للحارث بن قُراد البَهْراني.

(*) أنظر الملاحظة والتنويه ص ١٢٩ من هذا البحث.

٣ ـ جَذِيْمَةُ الأبْرَش الأزْدِي

جَذِيْمَةُ الأبْرَش مَلِكٌ من ملوك الحيرة القدماء، وشاعر من الشعراء الأوائل عند ابن سلاّم الجُمَحِي. وهو رجل من الذين عُرف عنهم أشياء استحدثوها، وكانوا أوّلَ مَن استنَّها وعمل بها. وقد قدَّمت لنا كتب التاريخ والأدب والأمثال أخبارًا شتَّى عن جَذِيْمة، منها ما هو قابل للتصديق، ومنها ما هو أقرب إلى الأسطورة والخيال، منه إلى التاريخ الصحيح، والخبر المعقول. وقد ذكرت تلك الكتب معلوماتٍ عن اسمه ونسبه، وزمانه، وغزواته، وحروبه، ومآثره وابتكاراته، وشعره.

١ ـ إسمُه ونسبُه

قال ابن خِلِّكان (٦٨١ هـ ـ ١٢٨٢ م) في جَذِيْمَة: «هو بفَتْح الجِيْم وكَسْرِ الذال المُعْجَمة وسكون الياء المثنّاة من تحتها، وفَتْح الميم، وبعدها هاء ساكنة، وكُنْيته أبو مالِك»[١].

واختلفت المصادر في نسب جذيمة اختلافًا واضحًا، فقد نقل الطبري عن ابن الكلبي أنّ جذيمة من العاربة الأولى، من بني وبَار بن أُمَيْم بن لَوْذ بن سام بن نُوْح[٢]. وهذا نسبٌ غريبٌ ومشكوك فيه، ذلك لأن يُرجِع الرجل إلى لَوْذ بن سام بن نوح، وهو من العرب العاربة، الذين ينتمي إليهم أيضًا جُرْهم وقَطُوْرا وطَسْم وجَدِيْس وعاد وثَمود وأُمَيْم وإرم، وهم الذين يقول فيهم ابن حَزْم الأندلسي: «بادُوا وليس على أدِيْم الأرض أحدٌ يُصحِّح أنّه منهم إلاّ أن يدَّعي قومٌ ما لا يثبُت»[٣].

وتكاد المصادر تُجمع على انتماء جذيمة إلى الأزد، أو الأُسْد، وكلاهما لفظان لمُسمًّى واحِد[٤]، فقد قال الطبري في مالِك والِد جَذِيْمة الأبْرَش: «هو مالِك بن فَهْم ابن غَنْم بن دَوْس بن عُدْثان بن عبدالله بن نَصْر بن زُهْران بن كَعْب بن الحارِث بن

(١) إبن خلكان: وفيات الأعيان ٦: ١٨، وانظر البغدادي: خزانة الأدب ١١: ٤٠٨.
(٢) الطبري: تاريخ الأمم ١: ٦١٢.
(٣) إبن حَزْم: جمهرة أنساب العرب ٩، ٨.
(٤) أنظر مقال د. حسين نصّار عن قبيلة الأزد، في مجلّة العرب السعوديّة، السنة الخامسة ـ الجزء التاسع ص ٨٠٢ ـ ٨١٩.

كعب بن عبدالله بن مالك بن نصر بن الأزْد بن الغَوْث بن مالِك بن زَيْد بن كَهْلان بن سَبَأ»[١].

وجَذِيْمة من الأزْد عند المسعودي الذي مَدَّ في نسبه إلى أن أوصله إلى يَعْرُب بن قحطان، فهو عنده: «جَذِيْمة بن مالِك بن فَهْم بن دَوْس بن الأزد بن الغَوْث بن نَبْت ابن مالِك بن زَيْد بن كَهْلان بن سَبَأ بن يَشْجُب بن يَعْرُب بن قَحْطان»[٢].

وإذا قارَنَّا نسب شاعرنا هنا، بنسبه عند الطَّبري، وجدنا المسعودي قد حذف بعض آباء جذيمة، وزاد بعضهم الآخر، وهذا أمر نقع عليه كثيرًا عند النسَّابين القدماء، وخاصَّة إذا اتَّصل الأمر برجلٍ قديم جدًّا من رجال الجاهليَّة.

وَجذِيْمة من الأزْد عند كلٍّ مِنْ ابن حَبِيْب (٢٤٥ هـ ـ ٨٥٩ م)[٣]، واليَعْقوبي (٢٩٢ هـ ـ ٩٠٤ م)[٤]، وابن دُرَيْد (٣٢١ هـ ـ ٩٣٣ م)[٥]، والهَمْدَاني (٣٤٦ هـ ـ ٩٥٧ م)[٦]، والأصفهاني (٣٥٦ هـ ـ ٩٦٦ م)[٧]، وابن حَزْم (٤٥٦ هـ ـ ١٠٦٣ م)[٨]، وياقوت الحموي (٦٢٦ هـ ـ ١٢٢٨)[٩].

وزعم الهَمْداني أنّ ثمَّة (جذيمَتَيْن)، هما: جَذِيْمة الأبْرَش، وهو جذيمة بن مالِك بن غَنْم بن دَوْس الأزْدِي، وجَذِيْمة الوضَّاح، وهو حِمْيَرِي، وقيل له ذلك لِبياضِهِ ووضوحة لونه، وهو ابن الحارث بن زرعة بن ذي غَيْمان[١٠]. وإجماع المصادر الأخرى هو أنّ جَذِيْمَة الأبْرَش يُلقَّب بجذيمة الوضَّاح أيضًا، والله أعلم.

وإذا انتقلنا إلى أسرة جَذِيْمَة، وجدنا ابن إياس (٣٣٤ هـ ـ ٩٤٥ م) يقول عن

(١) الطبري: تاريخ الأمم ١: ٦١٢ ـ ٦١٣، وقارن بالآمدي: المؤتَلِف والمختَلِف ٣٩، والأصفهاني: الأغاني ١٩: ٣١٢، وابن نباتة: سَرح العيون ٧٧.
(٢) المسعودي: مروج الذهب ٢: ٦٦.
(٣) إبن حَبِيب: أسماء المُغْتالِين (ضمن نوادر المخطوطات) ٢: ١١٢.
(٤) اليَعْقوبي: تاريخ اليَعْقوبي ١: ٢٠٨.
(٥) إبن دُرَيد: الاشتقاق ٩٤٧، وانظر أيضًا ص ٣٧٨ و٥٤٣.
(٦) الهَمْداني: شَرْح القصيدة الدامِغة ٥٩.
(٧) الأصفهاني: م. س ١٥: ٣١٢.
(٨) إبن حَزْم: جمهرة أنساب العرب ٣٧٩.
(٩) ياقوت الحموي: معجم البلدان (الحيرة).
(١٠) الهَمْداني: الإكليل ٢: ١٤٠، والبَكْري: فَصْل المَقال ١٢٤.

جذيمة: إنّه أكبر أبناء أبيه مالِك بن فَهْم. وكان أبوه يكنى بأبي جذيمة. ويضيف ابن إياس أنّ لمالِك أربعة عشر ولدًا، سمّى منهم أحد عشر، هم: مَعْن وهناءة، وأمّهما ابنة وديعة بن لُكَيْز، والحارث وحمام وسليمة، وأمّهم جعدة بنت ساعدة بن الحارث بن معاوية الكندي، ورافد وثعلبة وشبابة وعوف ومالك بن مالك، وجَذِيْمة[1].

ويُرْوَى عن سليمة بن مالك هذا أنّه هو الذي رمى أباه بنبله خطأ، فقال أبوه عندئذ:

أُعلِّـمـهُ الـرِّمـايَـةَ كُـلَّ يَـوْمٍ ... فـلـمّـا اشْـتَـدَّ سـاعِـدُهُ رَمـانـي
فَـلاَ ظَـفِـرَتْ يَـداهُ حـينَ يَـرْمِـي ... وشُـلَّـتْ مـنـهُ حـامِـلَـةُ الـبَـنـانِ
فـبـكُّـوا يـا بـنـيَّ عـلـيَّ حَـوْلاً ... ورثُّـونـي وجـازُوا مَـنْ رَمـانِـي[2]

وقيل عن جذيمة إنّه تزوّج (لميسَ) ـ أختَ مالك بن زُهَيْر بن فهم بن تيم الله، وإنّ له ابنة تُدعى (زَيْنَب)، وابنا يُدعى (جَهْضَم)[3]. ومن وجه آخر روى أبو هلال العسكري (٣٩٥ ـ ١٠٠٤ م) أنّ جذيمة كان عقيمًا لم يعقب[4]! لذا ورث ملكه ابنُ أخته عَمْرو بن عَدِيّ اللخمي.

٢ ـ زمانه

روى الطبري، دون تحديد منه للزمن، أنّ مالك بن فَهْم والد جَذِيْمة، وأخاه عَمْرًا، وابن أخيهما مالك بن زهير، طلعوا على قوم على الأنبار، التي كانت للأرمانيّين، وهم نَبَطُ السواد، وطلع قوم آخر على نِفَّر، وهي للأردوانيّين، وهم ملوك الطوائف، وكان طلوعهم بعد أن استوطنوا البحرين فترة من الزمن، وقيل إنّهم جاؤوا من تهامة. وقد قدم إليهم تبّع وقومه، وغادرهم، وقد تجمّع في الأنبار والحيرة على ضفاف الفرات، أقوام عرب كثيرون يقيمون في المظالّ والأخبية، وقد ملّكوا عليهم مالك بن فهم، ولمّا تُوفّيَ، ملّكُوا أخاه عمرو بن فَهْم، وبعد موته تولّى المُلْكَ جَذِيْمةُ الأبرش[5].

---

(١) أنظر ابن إياس: تاريخ المُوْصل ٩٨ .
(٢) م. ن ٩٨ ـ ١٠١ .
(٣) أنظر الطبري: تاريخ الأمم ١: ٦١٠، وحمزة الأصفهاني: تاريخ سِنِي مُلُوْك الأرض ٧٥، وابن الأثير: الكامل ١: ٣٤١، وابن سعيد الأندلسي: نشوة الطرب ٢٢٠ .
(٤) أبو هلال العسكري: الأوائل ١: ١٠١، وانظر ابن حَزْم: جمهرة أنساب العرب ٣٨٠ .
(٥) أنظر الطبري: م.س ١: ٦١١ ـ ٦١٢، وابن الأثير: م. س ١: ٣٤١، وقارن بحمزة الأصفهاني م. س ٧٤ ـ ٧٥ .

ومع جَـذِيْـمة الأبْرش يمكن الاطمئنان إلى أنّنا أمام شخصيَّة تاريخيَّة حقيقيَّة، ولسنا إزاء ملك عربيّ أسطوريّ، كما يزعم كاتب مقال (جَـذِيْمة الأبْرَش) في دائرة المعارف الإسلاميَّـة، فقد ورد اسم هذا الرجل في نَقْشٍ نَبَطِيّ ويونانِيّ عُثِر عليه في (أمّ الجِمال)، ويرجَّح أنّ تاريخه سنة ٢٧٠ م. يقول هذا النقش: «هذا موضع أيْ قَبْر فِهْر بن شلي (سلي) مُربِّي جَذِيمةَ ملكَ تنوح»[١]. ومن غير المعروف مَن هو (فهر) هذا. ولكنّ النصّ ينعت، بوضوح، جذيمة، بأنّه ملك تنوح، أو تنوخ. ومن جهة أخرى فقد ورد اسم جذيمة الأبرش وأسماء معاصريه، وأبطال القصص التي حِيْكَتْ حوله، في كثير من أشعار العرب القُدامى[٢].

وقد استفاض في الأخبار أنّ جذيمة كان معاصِرًا لملوك الطوائف الذين قضى عليهم (أرْدَشِيْر بن بابك). بل هناك مَن روى أنّ الذي ملَّك جذيمة على العرب هو أردشيرنفسه[٣].

وملوك الطوائف هؤلاء وُجِدوا بعد أن قتل (الإسكندر المقدوني) (دارا) قبل الميلاد، وكان أردشير واحدًا منهم، ثمَّ إنّه تغلّب على الجميع، وأسّس الدولة الساسانيَّة. يقول ابن خلّكان فيهم وفي أرْدَشِيْر: «وأردشير... هو الذي أباد ملوك الطوائف ومهَّد الملك لنفسه، واستولى على الممالك، وهو جدُّ الفرس الذين آخرهم يَزْدَجَرْد. وكان انقراض ملكهم في خلافة عثمان بن عفّان رضي الله عنه سنة اثنتَين وثلاثين من الهجرة، وأخبارهم مشهورة. وهؤلاء غير ملوك الفُرس الأوائل الذين آخرهم دارا بن دارا، الذي قتله الإسكندر»[٤].

وقد قدَّر ابن خِلّكان حُكْمَ ملوك الطوائف بأربعمائة سنة[٥]، في حين كان

---

(١) أنظر جواد علي: **المُفصَّل في تاريخ العرب** ٣: ١٨٣ ـ ١٨٤، وصورة النقش المذكور في كتاب **مصادر الشعر الجاهليّ** ص ٢٦، وفي **تاريخ اللغات الساميَّة** ص ١٣٧.

(٢) أنظر **ديوان عَدِيّ بن زَيْد العِبادي** ق/١٣٨، ومفَضّليّة متمِّم بن نُوَيْرة (البيت ٢١)، وشعر المُخبَّل السَّعْدي في **تاريخ الطبري** ١: ٦٢٥، وشعر نهشل بن حَرِّي في **معجم ما استعجم** ٢٦٥.

(٣) أنظر اليعقوبي: **تاريخ اليعقوبي** ١: ٢٠٨، والعسكري: **الأوائل** ١: ١٠١، والعسكري: **جمهرة أمثال العرب** ١: ٢٣٣.

(٤) إبن خِلّكان: **وفيات الأعيان** ٤: ٣٦١، وانظر أخبار أردشير في **تاريخ الطبري** ٢: ٤٢، وابن الأثير: **الكامل** ١: ٣٨٠ ـ ٣٨٤، والمرغني الثعالبي: **تاريخ غرر السِّيَر** ٤٧٣ ـ ٤٨٦.

(٥) إبن خِلّكان: م. س ٤: ٣٦١.

البَيْرُوني (٤٤٨ هـ ـ ١٠٥٦ م) أقرب إلى الصواب إذ قال: إنّ مُلكَهم دام أربعمائة وخمس عشرة سنة بالتقريب[١]. وكِلاَ المؤرِّخين العربيَّين يقتربان من سنة ٢٢٦ م، وهي السنة التي قتل فيها (أردشير) خصمه (أرْدُوان)، وأسّس مملكة الفُرس الساسانيّة[٢].

ونخلص ممّا سبق إلى أنّ جذيمة الأبرش المعاصر لأردشير كان من رجال القرن الثالث الميلاديّ، وعليه ساغ للأعظمي مؤلِّف كتاب **ملوك الحيرة** أن يقول: إنّ جَذِيْمةَ دانَ لأردشير، بعد أن قتل الأخير أردوان آخر ملوك الإشكانيّين[٣].

وممّا يؤكِّد وجود جذيمة في القرن الثالث أيضًا، أنّ خليفته عَمْرو بن عدي حَكَم الحيرةَ من بعده ما بين سنتي ٢٦٨ بدايةً و٢٨٨ أو ٣٠٠ م، نهايةً[٤]، وأنّ خليفة خليفته ـ امرأ القيس بن عَمْرو بن عدي، مات سنة ٣٢٨ م، طبقًا لِمَا جاء في نقش النّمارة[٥]. وممّا يؤيِّد ما جاء في هذا النقش روايةٌ للطبري تذكر أنّ وفاة امرئ القيس هذا كانت في عَهد سابورذي الأكتاف (٣١٠ ـ ٣٧٩ م)[٦].

فإذا وثقنا بما تقدَّم، تبيَّن لنا أنّه من الخطأ القول إنّ جَذِيْمة الأبرش كان ملكًا بعد الميلاد بثلاثين سنة، كما يزعم الشريشي، وابن خِلّكان، وابن خلدون، والعبّاسي[٧].

أمّا مدّة حُكم جذيمة بالذات، فهي موضع خلاف، فمن المعاصرين مَن حدَّدها بما بين سنتي ٢٠٨ ـ ٢٦٨ م، ولكنّه لم يذكر مصدرًا لهذا التحديد، أو تعليلاً تاريخيًّا مقبولاً[٨]. أمّا القدماء، فثمّة تبايُن كبير فيما بينهم، ففي حين ذكرت بعض المصادر أنّ ملك جذيمة استمرّ ستّين سنة[٩]، ذكرت مصادر أخرى أنّه مائة وثماني عشرة سنة، أو

---

(١) أنظر البَيْروني: **الآثار الباقية** ١٤ .

(٢) أنظر: آرثر كريستنسن: **إيران في عهد الساسانيّين** ٧٥ ـ ٧٦، والأعظمي: **ملوك الحيرة** ١٤ .

(٣) انظر الأعظمي: م.س. ١٤ .

(٤) أنظر عُمَر فروخ: **تاريخ الجاهليّة** ٦٨ ـ ٦٩، وقارن بجيواويد نغرين: **مانِي والمانويّة** ١٦٢ ـ ١٦٣ .

(٥) أنظر جواد علي: **المُفصَّل في تاريخ العرب** ٣: ١٩١ .

(٦) الطبري: **تاريخ الأمم** ٢: ٦١ فما بعدها، وجواد علي: م. س ٣: ١٩٤ .

(٧) الشُّرَيْشِي: **شَرح مقامات الحريري** ٢: ٥، وابن خلّكان: **وفيّات الأعيان** ٦: ١٨، وابن خلدون: **تاريخ العرب والبربر** ٢: ٥٤١، والعبّاسيّ: **معاهد التنصيص** ١: ٣١٢، فما بعدها.

(٨) أنظر الأعظمي: م. س ١١ و١٨ .

(٩) أنظر ابن قتيبة: **المعارف** ٦٤٦، وحمزة الأصفهاني: **تاريخ سِنِي ملوك الأرض** ٧٦، وابن رَشِيق: **العُمْدة** ٢: ٢٤٩، وابن خِلّكان: م. س ٥: ٤٦، والعبّاسيّ: م. س ١: ٣١٢ .

مائة وعشرون سنة[١]. وهذه أرقام مُبالَغ فيها في نظرنا، وليست من التاريخ الحقيقيّ في شيء.

ومهما تكن سنوات ملك جذيمة، فإنّ ظهور هذا الملك على مسرح الأحداث كان يمثّل، فيما يبدو، منعطفًا في حياة العرب عامّة، وعرب العراق خاصّة، حتّى إنّهم اتّخذوا من مُلكه معلَمًا من معالم تاريخهم ـ كما يقول المسعودي[٢]. وفي زمن جذيمة تأسّست دولة الفرس الساسانيّة، وتوطّدت أركانها، فشاب تلك الفترة حروب ومناوشات كان لجذيمة فيها نصيب وحضور.

٣ ـ غارات جذيمة وحروبه

رَوت لنا الأخبار أنّ جذيمة كان يُغير على الأمم الخالية من العاربة الأولى[٣]. والغريب أنّ العبّاسيّ يذكر أنّ جذيمة كان يُغير على ملوك الطوائف حتّى غلبهم على كثير مِمّا في أيديهم[٤]. وهذا خبر لا يتّسق مع ما تقدّم من أنّ أردشير هو الذي ولّى جذيمة على العرب في العراق، وربّما يصحّ لنا أن نلتمس لقبول هذا الخبر احتمالَين هما: أن تكون غارات جذيمة قد وقعت قبل تأسيس أردشير لمملكته، أو أن تكون تلك الغارات قد تمّت بالتحالُف والتنسيق فيما بينه وبين أردشير، حسبما أشار إلى ذلك صاحب **كتاب ملوك الحيرة** من قبل.

وقد حارب جذيمة أيضًا قبيلة إياد، أو مَن كان يسكن منها في أرض الجزيرة. وأسباب هذه الحرب أو المناوشات، بينه وبين إياد، كانت، في الغالب، تتّصل بالتنازع والتناحر على المراعي والمياه وطرق التجارة، وذلك أنّ منازل جذيمة كانت تُحاذي منازل إياد، فمنازله فيما بين الحيرة والأنبار وبقّة وهيت وناحيتها وعين التمر وأطراف البَرّ إلى الغدير وجفنة والقطقطانة وما والاها[٥] وكانت داره بالموضع المعروف بالمضيق بين بلاد

---

(١) أنظر المسعودي: **مروج الذهب** ٢: ٦٥، والبكري: **فَصْل المَقال** ٤٢١.
(٢) أنظر المسعودي: **التنبيه والأشراف** ١٨٩.
(٣) أنظر الهمداني: **شرح القصيدة الدامغة** ٥٩٠.
(٤) العبّاسيّ: **معاهد التنصيص** ١: ٣١٢.
(٥) أنظر الطبري: **تاريخ الأمم** ١: ٦١٣، والهَمْداني: م. س ٥٩٠، والأصفهاني: **الأغاني** ١٥: ٣١٥، وياقوت الحموي: **معجم البلدان** (الحيرة).

الخانوقة وقَرْقِيسياء[1]. ومنازل إياد، فيما بين البصرة والكوفة، وفيما يلي الحيرة، وأكثرهم في عين أباغ[2].

وممّا يُروى عن جذيمة أنّه تكهّن، واتّخذ له صنمين يقال لهما الضَّيْزنان، كان يَسْتَسْقي بهما، ويستنصر على العدوّ[3]. ويزعم الإخباريّون أنّ إيادًا، لكي تكفّ أذى عدوّها، أرسلت إلى سَدَنة ذَيْنِكَ الصَّنَمَين مَن سقاهم خمرًا، وسرق الصَّنَمَيْن، فأصبحا في إياد، فبعثت إياد عندئذ تفاوضه على أن يكفّ عن غزوها وتردّ الصَّنمَيْن، فوافق جذيمة على أن يكون معهما عَدِيّ بن نَصْر اللخْمِي، وهو رجل ظرف وجمال وأدب، كان يقيم في أخواله الإياديّين. وقبلت إياد، وعاهدهم جذيمة على ما أرادوا. ثمّ استخلص عديًّا لشرابه، بعد أن كان لا ينادم إلاّ الفرقدَين كِبرًا وتِيهًا. وتمضي الرواية فتذهب إلى القول إنّ أختَ جذيمة ـ رَقاشِ عشقت عَدِيًّا، ولكن هذا المعشوق خشي أن يرفض جذيمة تزويجه بأخته رقاشِ، لذا استغلّ لحظةَ سُكره، وطلب منه الزواج، فوافق جذيمة، ولمّا صحا من سكره، وعرف ما وقع، ندم على فعلته، وقال مخاطبًا أخته:

خَبِّرِيني رَقاشِ لا تَكْذِبيني ... أَبِحُرٍّ زَنَيْتِ أَمْ بِهَجِينِ

أَمْ بِعَبْدٍ، فَأَنْتِ أَهْلٌ لِعَبْدٍ ... أَمْ بِدُوْنٍ، فَأَنْتِ أَهْلٌ لِدُوْنِ

وقد كان ثمرة هذا الزواج خليفةَ جذيمة، عَمْرو بن عَدِي. أمّا عَدِيٌّ نفسه، فقد رجع إلى إياد، وأقام فيهم، إلى أن رماه فتى بين جَبَلَيْن، كما تزعم الرواة، فتنكّس ومات[4].

وتتّصل قصّة زواج عَدِيّ برقاش وإنجابهما عَمْرًا، بقصّة نَدِيمَيْ جذيمة، وهما مالِك وعَقِيْل ابنا فارِج بن كَعْب من بَلْقَيْن بن جَسْر بن قُضاعة[5]. وقد كان جذيمة فقد ابن أخته عَمْرًا، وطلبه، فلم يجده، ووجده هذان الرجلان، فردّاه إليه، فسُرَّ جذيمة

---

(١) أنظر المسعودي: م. س ٢: ٦٥، وقارن بياقوت: م. س (المضيق)، وعبد المنعم الحميري: **الروض المِعْطار** (المضيق).

(٢) أنظر اليعقوبي: **تاريخ اليعقوبي** ١: ٢٠٨، والطبري: م. س، وابن نُباتة: **سرح العيون** ٧٧، وياقوت: م. س (عين أباغ).

(٣) أنظر اليعقوبي: **تاريخ اليعقوبي** ١: ٢٠٨، وقارن بابن منظور: **اللسان** (ضزن).

(٤) أنظر الطبري: **تاريخ الأمم** ١: ٦١٥، وابن الأثير: **الكامل** ١: ٣٤٣.

(٥) إنفرد الهَمْداني بنسبة نَدِيمَيْ جذيمة إلى طَيِّئ ـ أنظر **شَرح القصيدة الدامِغة** ٥٩٠.

بذاك، وقال لهما: حُكْمُكُما؟ فقالا: مُنادمتك، فكان لها ما أرادا، وبقيا على مُنادمة جذيمة دَهْرًا، حتّى صارا مضربَ المثل، وذُكِرا في أشعار العرب، فقال مُتَمِّم بن نُوَيْرة يرثي أخاه مالِكا:

فَلَمَّا تفرَّقْنا كأنّي ومالِكًا لِطُولِ اجْتِماعٍ لَمْ نَبِتْ ليلةً مَعًا

وكنّا كَنِدْمانَيْ جَذِيْمَة حِقْبَةً مِنَ الدَّهْرِ حتَّى قِيْلَ لَنْ يَتَصدَّعا[1]

ونحن نرى في قصّة جذيمة وعمرو بن عَدِي خرافةً نُسجت لتعلِّل قضيّة انتقال مُلك الحيرة من الأَزْد إلى بني لَخْم، وهي تشبه الخرافة التي نُسِجت حول انتقال مفاتيح البيت وولاية الحَرَم من خُزاعة إلى قُرَيش، فكما سَكِر جذيمة وزوّج أخته لعَدِي بن نَصْر اللخمي، سكر أبو غبشان، وباع مفاتيح البيت لِقُصَيّ بن كِلاب...[2] والحقيقة أنّ طابع القصّ ساطع فيها، حتّى لَيُخيَّل إلينا أنّ مُبتدعها أيضًا أراد أن يُرضي بني إياد، فجعل عَدِيّ بن نصرُ مقيمًا في أخواله منهم... وقد استغلَّ هذه الحكاية مؤلِّفو كُتب الأمثال، فنقلوا ما جاء على ألسنة أبطالها من أقوال جرت مجرى الأمثال، كقولهم «أُعْطِيَ العَبْدُ كراعًا فطلبَ ذِراعًا»[3]، وشَبَّ عَمْرو عن الطَّوْق»[4]، «وكَنَدِمانَيْ جَذِيْمة»[5].

ولا يوضِّح لنا المؤرِّخون تفاصيل انتقال زعامة العرب في العراق، آنئذٍ، من الأَزْد إلى بني لَخْم، بَيْد أنّنا نظنّ ظنًّا أنّ قسوة (أَرْدَشِيْر بن بابِك)، ورحيل بعض بني قضاعة من العراق إلى الشام، كانا وراء ذلك. يقول الطبري في هذا الصدد: «ولمّا اسْتَوْلى أردشير ابن بابِك على المُلك بالعراق كَرِهَ كثير من تَنُوْخ أن يقيموا في مملكته، وأن يدينوا له، فخرج مَن كان منهم من قبائل قضاعة الذين كانوا أقبلوا مع مالك، وعَمْرو بن فَهْم ومالك بن زهير، وغيرهم، فلحقوا بالشام، إلى مَن هنالك من قضاعة»[6].

---

(١) أنظر المُفضّل الضبيّ: المُفَضَّليّات ــ المفضّليّة ٦٧، البيتان ٢٠ و٢١.

(٢) أنظر المسعودي: مروج الذهب ٢: ٣١، والأنباري: شرح القصائد السبع الطوال ٢٥٩ ــ ٢٦٠، والثعالبي: ثمار القلوب ١٣٥، والوزير المغربي: الإيناس في علم الأنساب ١١٣.

(٣) المُفضّل الضبيّ: أمثال العرب ١٤٩، والبكري: فَصل المَقال ٣٩٧.

(٤) المُفضّل الضبيّ: م. س ١٥٠، وأبو هلال العسكري: جمهرة الأمثال: ١: ٥٤٧، والزمخشري: المُسْتَقْصَى في أمثال العرب ١: ٣٧١.

(٥) الزمخشري: م. س ٢: ٢٣٤.

(٦) الطبري: تاريخ الأمم ٢: ٤٢، وانظر ابن الأثير: الكامل ١: ٣٨٤.

فهل كان خروج قضاعة في زمن أردشير من العراق إلى الشام سببًا في ضعف جذيمة، ولا سيَّما أنّه وُصِف بأنّه آخر ملوك قضاعة[١]، وبالتالي تمهيدًا لتولّي ابن أخته عمرو بن عدي ملك الحيرة من بعده؟

ومن غزوات جذيمة، تلك التي شنَّها على طَسْم وجَدِيْس في منازلهم من (جَوّ) وما حولها، فصادف حسّان بن تُبَّع قد أغار عليهم باليَمامة، فانكفأ جذيمة راجعًا بمَن معه، وقد أتت خيول تبَّع على سريَّة لجذيمة، فاجتاحتها، وبلغ جذيمةُ خَبَرها، فقال قصيدته التائيَّة المعروفة التي يقول فيها:

رُبَّمَا أوْفَيْتُ في عَلَمٍ	تَرْفَعَنْ بُرْدِي شَمالاتُ
في فُتُوٍّ أنا كَالِئُهُمْ	في بَلايا غَزْوَةٍ ماتُوا
لَيْتَ شِعْرِي ما أَماتَهُمُ	نَحْنُ أَدْلَجْنا وهُمْ باتُوا[٢]

أمّا غزوةُ جَذِيْمة التي قام بها في آخر عمره، كما يقول حمزة الأصفهاني (٣٥١ هـ ـ ٩٦٢ م)[٣]، فقد كانت على عَمْرو بن الظَّرِب بن حسّان بن أُذَيْنة بن السَّمَيْدَع بن هَوْبَر العَمْلِيْقِي. وقد كان ملك العرب بأرض الجزيرة ومشارف الشام، فلقيهُ جذيمة، وفَضَّ جموعهُ وقتله، فملّك قَومه من بعده ابنتَه (الزبّاء).

وقد استفاض في كتب التاريخ والأدب والأمثال قِصّة (الزبّاء)، واسمُها نائلة[٤]، وخبر مَقْتَل الزبّاء لجذيمة، ثأرًا بأبيها. وخلاصة هذا الخبر أنّ الزباء كانت ملكة بالجزيرة من قِبَلِ الروم، وكان يُقال لها (الروميَّة)، وقيل إنّها كانت تتكلَّم العربيَّة، وقد انتوت الثأر من جذيمة، فاحتالت عليه بأن طلبت منه الزواج، فاستشار جذيمة صحبه، وهو ببقّة[٥]، في أمر الزَّباء، فوافقوه على الزواج منها، والذهاب إليها، إلاّ قصير بن سعد

(١) أنظر البغدادي: **الخزانة**: ١١: ٤١٨، وقارن بالأصفهاني: **الأغاني** ١٥: ٣١٢.

(٢) أنظر الطبري: **تاريخ الأمم** ١: ٦١٣، وابن سعيد الأندلسيّ: **نشوة الطرب** ١: ٦٨.

(٣) أنظر حمزة الأصفهاني: **تاريخ سني ملوك الأرض** ٧٥.

(٤) قال الدينوري في قاتلة جذيمة هي «مارية ابنة الزباء الغسّانية» ـ **الأخبار الطوال** ٥٤. وقال البغدادي في اسم الزباء: «وقيل فارعة، وقيل ميسون» ثمّ نسبها، فقال: «وقيل إنّ الزباء بنت مليح بن البراء كان أبوها ملكًا على الحضر، وهو الذي ذكره عَدِيّ بن زَيْد بقوله:

وأَخُوْ الحَضْرِ إذْ بَناه وإذْ دِجْـ	ـلَةُ تُجْبَى إليهِ والخابُوْرُ»

أنظر **الخزانة** ٨: ٢٧٣ ـ ٢٧٤.

(٥) قال ياقوت الحموي في (بقّة): «إسم موضع قريب من الحيرة، وهو على فرسخَين من هيت، وكان ينزله جذيمة الأبرش ملك الحيرة... وفيها يقول عدي بن زيد: =

اللخمي[1]، فلم يعبأ جذيمة برأي قصير، ولمّا ذهب إلى غريمته، وجدها قد أعدّت العُدّة لقتله، وهنا نجا قصير على فرس لجذيمة تُدعى (العصا)، وبها يُضرَب المثل فيُقال: «خيرٌ ما جاءت به العصا»[2].

ويُسدَل الستار هنا على أسطورة جذيمة والزّبّاء[3]. وتبدأ مع خليفة جذيمة ـ عَمْرو بن عَدِي ـ قصّة الثأر من الزبّاء، كما سنرى في الصفحات القادمة.

وقد اختلف الباحثون في كَون هذه (الزبّاء)، هي (زنوبيا) ملكة تدمر، أم لا. ومن المؤكّد أنّها ليست ملكة تدمر، وقد ذهب إلى تمايز الأميرتَين المستشرق الإنكليزيّ (ردهوس)، وله في ذلك رسالة ضافية[4].

٤ ـ مآثر جذيمة وابتكاراته

يُستفاد من أخبار جذيمة أنّه لم يكن مَلِكًا كالملوك، فقد استحدث أشياء كثيرة نُسبت إليه، وعُرِف بها، فهو عند المؤرّخين من أفضل ملوك العرب رأيًا[5]، وأبعدهم مغارًا، وأشدّهم نكايةً، وأظهرهم حَزمًا، وأوّل مَن استجمع له الملك بأرض العراق، وضمّ إليه العرب، وغزا بالجيوش، وكان به بَرَصٌ، فكَنَّتْ العربُ عنه، وهابتْ أنْ تسمّيه وتنسبه

=دعا بالبَقَّةِ الأمراءَ يومًا ... جذيمةُ عامَ يَنْجوهم ثُبينا
فطاوعَ أمرَهُمْ وعصا قَصيرًا ... وكانَ يقولُ: لو نَفَعَ اليَقينا»
معجم البلدان (بقة).

(١) هو قَصِيْر بن سَعْد بن عَمْرو بن جذيمة بن قيس بن هليل بن دحي بن نمارة بن لَخْم ـ أنظر ابن حبيب: أسماء المغتالين ١١٤.

(٢) أنظر العسكري: الأوائل ١: ١٠٥، والطبري: تاريخ الأمم ١: ٦٢٠، والميداني: مجمع الأمثال ١: ٣٢٧.

(٣) أنظر قصّة جذيمة والزبّاء في: الضَّبِّي: أمثال العرب ١٤٣ ـ ١٥٠، والأخفش: كتاب الاختيارَيْن ٧١٩ وما بعدها، وابن حَبيْب: أسماء المُغتالِين (ضمن نوادر المخطوطات) ٢: ١١٣ ـ ١١٥، والطبري: م. س: ١: ٦١٧ وما بعدها، والهمداني: شرح القصيدة الدامغة ٥٩١، والمسعودي: مروج الذهب ٧٣، والأصفهاني: الأغاني ١٥: ٣١٦ وما بعدها، والعسكري: جمهرة الأمثال ١: ٢٣٢، والبكري: فصل المقال ١٢٤ ـ ١٢٥، ونشوان الحميري: الحور العين: ٣٠٠ ـ ٣٠٤، والميداني: م. س ١: ٢٢٣ ـ ٢٣٧، وابن الأثير: الكامل ١: ٣٤٥ ـ ٣٥١، وابن نباتة: سرح العيون ٧٧ ـ ٨١، وابن سعيد الأندلسي: نشوة الطرب ١: ٥٩ ـ ٦٦، والعبّاسي: معاهد التنصيص ١: ٣١٢ وما بعدها، والبغدادي: خزانة الأدب ٧: ٢٧٣ ـ ٢٩٥.

(٤) أنظر جرجي زيدان: العرب قبل الإسلام ٩٣.

(٥) لا ندري كيف يصحّ نَعْت جذيمة بهذه الصفة، وقد خُدِعَ بكتاب الزبّاء إليه، وهو قاتل أبيها. وهذا أمر يرجّح أنّ قصّته مع الزباء أسطورة لا أساس لها من الصحّة.

إليه. إعْظاماً فقِيْل فيه: جَذِيمة الأبْرش، أو الوضَّاح. وهو أوّل مَن عمل المنجنيق، وأوّل مَن حُذِيَتْ له النعال، وأوّل مَن رُفِع له الشمع. ونُسب إليه أنَّه أوّل مَن جلس على السرير من ملوك العرب، وأوّل مَن لبس الطوق، وكانت تُجْبَى إليه الأموال، وتفد عليه الوفود[1].

٥ ـ شاعريّته

وعُرِف عن جَذِيْمة أيضًا أنّه شاعر، فقد نُعِتَ في كتاب سِيْبَوَيْه (١٨٠ هـ ـ ٧٩٦ م)، بهذه العبارة: «وقال الشاعر جَذِيْمة الأبْرَش»[2]. وأدرجه ابن سلاّم بين الشعراء الأوائل القدماء، وساق له ثلاثة أبيات من تائيّته المشهورة[3]. ووصفه بالشاعريّة كلّ من أبي الفرج الأصفهاني، والآمدي، فقال الأوّل: «وكان جَذِيْمَةُ الملكُ شاعرًا»[4]. وقال الثاني تحت عنوان (مَن يُقال له الأبرش): «منهم جذيمة الأبرش الملك كان شاعرًا، وهو القائل:

رُبَّـمـا أوفـيْـتُ فـي عَـلَـمٍ تَـرْفَـعَـنْ ثَـوْبِـي شَـمـالاتُ

في أبيات، وله في كتاب الأسد أشعار»[5].

ولم يُرْوَ لجَذيمة القصيدة التائيّة فحسب، بل رُوِيَت له أيضًا أشعار أخرى، جَمَعْنا له منها تسعة عشر بيتًا، بعد عودتنا إلى مجموعة وافرة من المصادر، وها هي ذي بَيْن أيْدِينا:

(١) أنظر في مآثر جذيمة واستحداثاته: ابن حبيب: أسماء المُغْتالِيْن (ضمن نوادر المخطوطات) ٢: ١١٢، والجاحظ: البُرصان والعُرْجان ٧٣، وابن قُتَيْبة: المعارف ٦٤٦، والطبري: تاريخ الأمم ١: ٦١٣، والعسكري: الأوائل ١: ٧٩، ٩٨ ـ ١٠٠، والأصفهاني: الأغاني ١٥: ٣١٥، وابن رُسْتَة: الأعلاق النفيسة ١٩٢، والسيوطي: الوسائل إلى معرفة الأوائل ٧٣، ٧٩، ١٠٣، والنوَيْري: نهاية الأرب ١٥: ٣١٦، والعبّاسي معاهد التنصيص ١: ٣١٢، والقَلْقَشَنْدِي: صبح الأعشى ١: ٤١٦، والبغدادي: خزانة الأدب ١١: ٤٠٨ ـ ٤٠٩.

(٢) سِيْبَوَيْه: الكتاب ٣: ٥١٧.

(٣) إبن سلاّم: طبقات فحول الشعراء ١: ٣٧ ـ ٣٨.

(٤) الأصفهاني: الأغاني ١٥: ٣٢١.

(٥) الآمدي: المؤتلف والمختلف ٣٩.

شِعْر جَذِيمَةَ الأَبْرَش

(١)

في تاريخ الطَّبَري (١: ٦١٣ ـ ٦١٤)[١]: (المديد)

١ ـ رُبَّما أوْفَيْتُ في عَلَمٍ تَرْفَعَنْ بُرْدِي شِمالاتُ[٢]

٢ في فُتُوٍّ أنا كالِئُهُمْ في بَلايَا غَزْوَةٍ باتُوا[٣]

---

(١) روى الطبري أنّ حسّان بن تبّع أسعد أبي كرب قد أغار على طَسْم وجَدِيس باليَمامة، فانكفأ جذيمة راجعًا بمَنْ معه، وأتَتْ خيول تُبَّع على سريّة لجذيمة، فاجتاحتها، وبلغ جَذِيْمة خبرهم، فقال: (الأبيات) ـ تاريخ الطبري ١: ٦١٣، والاختيارين ٧١٨، وقال البغدادي في أبيات جَذِيْمة هذه: «يَصِفُ سريّة أسْرَى بها، وانقطاعًا عَرَض له من جيشه في بعض مغازيه، فكان رَبيئَةً لهم. ولم يكل ذلك إلى أحد أخذًا بالحَزْم والثقة»: قال الأعلم: وصف أنّه يحفظ أصحابه في رأس جبل إذا خافوا من عدوّ. فيكون طليعةً لهم». وعلّق البغدادي على ما قاله الأعلم بقوله: «وليس في أبياته ما يدلّ على أنّ أصحابه في رأس جبل يخافون عدوًّا وهذا ذَمٌّ» ـ الخزانة: ١١: ٤٠٥، وانظر التخريج.

(٢) في طبقات فحول الشعراء: «ثوبي شَمالاتُ». وقال السيوطي: «وروى أبو الفَرَج: تَرْفَعُ أثوابي شَمالاتُ» وأضاف: (وهي روايةٌ حسنةٌ جدًّا قال: ورواه ابن حزم: ربَّ ليلٍ قد سَرَيْتُ به، فغيَّر الصَّدْرَ) ـ شَرْح شواهد المغني ٣٩٤. ولم ترد الرواية الأولى في مطبوع الأغاني، بل جاء في الهامش، في إحدى النسخ: «تَرْفَعُ الأثوابَ شَمْلاتُ» ـ الأغاني ١٥: ٣٢١، ولم أقف على رواية ابن حَزم المُشار إليها. وفي كتاب الكُتّاب: «تَرْفَعَنْ ذَيْلي». وأوفى على الشيء: أشرف. «وفي»، ها هنا، بمعنى: «على». وقال ابن الأعرابي: يقال أوفَيت رأس الجبل... قال ابن يَسعون: فعلى هذا في البيت حذف مفعول، تقديره: ربّما أوفيت مرقبة، أو شَرَفًا في رأس علم» ـ شرح شواهد المغني ٣٩٤، والخزانة ١١: ٤٠٥.

والعلم: الجبل المرتفع. والشمالات، مفردها الشمال. وخصّها لأنّها تهبّ بشدّة في أكثر أحوالها. وقال البغدادي: «وفي قوله: تَرفعنْ إشارة إلى أنّ قميصَهُ لا يلصق بجلده، وهذا مَدحٌ عندهم، ولا سيّما مَن كان مثله من أهل النعمة» ـ الخزانة ١١: ٤٠٥.

وفي البيت ثلاثة شواهد، ففيه شاهد على أنّ «رُبَّ» للتكثير وليست للتقليل، فالمقام هنا مقام فخر ولا يناسبه التقليل ـ أنظر المُغْنِيي ١٤٣، وقارن بشرح شواهد المغني ٣٩٣ ـ ٣٩٤، وخزانة الأدب ١١: ٤٠٥. وفيه شاهد على أنّ «ما» إذا زِيدَت بعد «رُبَّ» فالغالِب أن تكفَّها عن العمل وتُهيِّئُها للدخول على الجمل الفعليّة ـ المغني ١٤٦، ٣٤٣، والخزانة ١١: ٤٠٥. وفيه شاهد على إدخال نون التوكيد الخفيفة على المضارع ضرورة ـ أنظر الكتاب ٣: ٥١٨، وما يجوز للشاعر في الضرورة ٦٣، والصحّاح، واللسان (شمل)، وضرائر الشعر ٢٩. وقال المحقّق الأستاذ محمود شاكر: «ويقول النحاة: زاد النون في «تَرفَعن» ضرورة، وأقول: إنّها لغة قديمة لم يَجْلُبْها اضْطِرار» ـ طبقات فحول الشعراء ١: ٣٨.

(٣) في الأغاني:

في شَبابٍ أنا رابِئُهُمْ هُمْ لَدَى العَوْرَةِ صِمّاتُ

وفي شرح مقامات الحريري:

في فُنونٍ أنْتَ كالِئُهُمْ مِنْ بلايا غَزْوةٍ ماتُوا =

٣ ـ ثُــمَّ أُبْــنـا غــانِــمِــي نَــعَــم وأنــاسٌ بَــعْــدَنــا مــاتُــوا[١]
٤ ـ نَــحْــنُ كُــنَّـا فــي مَــمَــرِّهِــمُ إذْ مُــمِــرُّ الــقَــوْمِ خَــوَّاتُ[٢]
٥ ـ لَــيْــتَ شِــعْــرِي مـا أمـاتَــهُــمُ نَــحْــنُ أدْلَــجْــنَـا، وهُــمْ بـاتُــوا[٣]
٦ ـ وَلَــنَــا كــانُــوا، ونَــحْــنُ إذا قــالَ مِــنْــهُــمْ قــائِــلٌ صــاتُــوا[٤]
٧ ـ وَلَـنَـا الـبِـيْـدُ الـبَـعـادُ الـتـي أهْــلُــهــا الــسُّــوْدانُ أشْــتــاتُ[٥]
٨ ـ ثُــبَــةُ الأخْــيــارِ شــاهِــدَةٌ ذاكُــمُ قَــوْمِــيْ وأهْــلاتِــي[٦]
٩ ـ قَــدْ شَــرِبْــتُ الخَــمْــرَ وَشْـطَـهُـمُ نــاعِــمًــا فــي غَــيْــرِ أصْــواتِ
١٠ ـ فَــعَــلَــى مـا كـانَ مِــنْ كَــرَمٍ فَــسْــتَــبْــكِــيْني بُــنَــيَّــاتِــي[٧]
١١ ـ أنـا رَبُّ الـنَّــاسِ كُــلِّــهِــمُ غَــيْــرَ رَبِّــي الــكـافِـتِ الـفـاتِ[٨]

= وفي «فنون» تحريف. ومجيء «أنتَ» بدل «أنا» أخلُّ بمعنى الفَخر بالبيت. وفي طبقات فحول الشعراء، والاختيارَين، وشرح أبيات سِيْبَوَيْه لابن السيرافي، والصحّاح، واللسان (فتا): «أنا رابِئُهُم... مِنْ كَلالٍ غَزْوةٍ ماتُوا». وفي المقاصد النحويَّة، وشرح شواهد المغني: «أنا رابِئُهُمْ.. في كَلالٍ غَزْوةٍ ماتُوا». وفي المؤتلف، والخزانة: «بَلاَيَا عَوْرةٍ باتُوا». والفُتُوُّ: مفردها فتًى وفَتِيٍ وفَتاةٌ. وفي التهذيب: الفتى هو الكامل الجزل من الرجال، والفتى أيضًا هو السخي الكريم. وأصل فُتُو: فُتِيٌ «وقال سِيْبَوَيه: أبْدَلُوا الواوَ في الجَمْع والمصدر بَدَلاً شاذًا». الكتاب: ٤: ٢٤١، وانظر الصحّاح، واللسان (فتى).

(١) في المؤتلف، والخزانة: «غانِمِيْن معًا». وفي الأغاني: «غانِمِيْن وكَمْ... كَرُناسٌ قَبْلَنا ماتُوا». وفي شَرْح شواهد المغني: «غانمين وكَمْ... من أناسٍ قَبْلَنا ماتُوا». وفي المقاصِد النحويَّة: «غانِمِينَ وكَمْ... منْ أناسٍ قَبْلَها فاتوا». وفي كلمة «قَبْلَها» تحريف. والنعم: مفردها نِعْمَة. وهي المال والكسب والغنيمة.

(٢) مارَرْتَ الرجلَ مُمارَّة ومِرارًا: إذا عالَجْتَهُ لتصرعه. والخَوَّات: الرجل الجريء.

(٣) في الاختيارين: «ما أباتَهُم». وفي الأغاني: «ما أطافَ بهم». وفي شَرْح أبيات سِيْبَوَيْه لابن السِّيرافي: «ما أصابَهُمُ». وفي شَرْح مقامات الحريري: «نَحْنُ أسْرَيْنا». وفي المؤتلف: «وهُمْ فاتُوا». وأدلج يُدْلِجُ إدْلاجًا، سارَ ليلاً.

(٤) صات يَصُوْت ويَصات، وأصاتَ وصَوَّتَ بِهِ: نادَى.

(٥) البِيْد: مفردها بَيْداء، وهي المَفازة لا شيءَ فيها. وقال ابن جنّي: «سُمِّيت بذلك لأنَّها تَبِيْدُ مَنْ يحلّها» ـ اللسان (بيد).

(٦) الثُّبَة: الجماعة من الناس، وجمعها ثُبَىً. واختلف أهل اللّغة في أصلها، فمنهم مَن قال: هي مَن ثاب أي عاد ورجع. ومنهم مَن قال: وهي في الأصل من ثُبَيَّة. وثَبَّيْتُ الرجلَ، إذا أثنيتُ عليه. والأهْلات: مفردها أهْل ـ والأهل هم عشيرة الرجل وذوو قُرباه، وتُجْمَع على أهلات وأهلون وغيرها. وفي البيت إقواء. وسيستمرُّ هذا الإقواء ـ كما هو واضح ـ إلى آخر القصيدة.

(٧) الفاء في (فستبكيني) زائدة ـ أنظر فيها سرّ صِناعة الإعراب ٢٦١، والجَنَى الداني في حروف المعاني ٧١.

(٨) كَفَتَ الله الحَيَّ: قَبَضَهُ. وكَفَتَهُ يَكْفُتُه كَفْتًا فانْكَفَتَ، أي رجع. وقال الطبري شارحًا: «يعني بالكافِت الذي يكفت أرواحهم. والفاتِ الذي يفيتهم أنفسَهم، يعني الله عزَّ وجلَّ ـ تاريخ الطبري ١: ٦١٤.

(٢)

في الأغاني (١٥: ٣٢١)[١]: (مجزوء الكامل)

١ ـ والمُلْكُ كانَ لِذِيْ نُوَا س حَوْلَهُ تَرْدِيْ يُحَابِرْ[٢]
٢ ـ بالسَّابِغاتِ وبالقَنَا والبِيْضِ تَبْرُقُ والمَغَافِرْ[٣]
٣ ـ أزْمانَ لا مَلِكٌ يُجِيْـ ـرُ ولا ذِمامُ لِمَنْ يُجاوِرْ[٤]
٤ ـ أوْدَى بِهِمْ غِيَرُ الزما نِ، فَمُنْجِدٌ مِنْهُمْ وغائِرْ[٥]

وفي مروج الذهب (٢: ٩٧ ـ ٩٨):

٥ ـ أَزْمانَ عِمْلاقٍ وفِيـ ـهِمْ مِنْهُمُ بادٍ وحاضِرْ[٦]
٦ ـ أنْ تاهَ أَحْوَرُ ذُوْ رُعَيْـ ـنَ لَنا وأَحْوَى ذُوْ أَباعِرْ[٧]

---

(١) هذه الأبيات من شعر جَذِيْمة المُنْهم.

(٢) في مروج الذهب: «مِنْ ذِي بَحائر». وذو نواس: أحد ملوك اليمن، وقد أُطلِق على غير واحد من الملوك ـ أنظر المعارف ٢٧٧، والإكليل ١: ١٤، ٩٤، ٣١٨، واللسان (ذو). ورَدَى يَرْدِي: رَمَى وصَدَم وكَسَر. ويُحابِر: قبيلة من اليَمَن، ويُقال: إنَّ يُحَابِر هي مُراد، أنظر شرح السِّيرة للخشني ٣٨.

(٣) السابغات: مفردها سابغة، وهي الدرع الواسعة. والبِيض: مفردها الأبيض وهو السيف. والمَغافِر: مفردها مِغْفَر، وهو ما يكون تحت بيضة الحديد على الرأس.

(٤) الذِّمام: مفردها ذِمّة، وهي الحُرْمَة والعَهد.

(٥) في مروج الذهب:
ماتَتْ مُودَّعَةُ الحدِيْـ ـثِ فَمُنْجِدٌ مِنْهُمْ وغائِرْ
وفي مختار الأغاني: «أوْدَتْ بِهِمْ». وغيرُ الزمان: أحواله المُتغيِّرة. والمُنْجِد: مِنْ أنْجَد يُنْجِد إذا ارتفع في سَيْرِهِ. وغائِر: مِنْ غار يغور إذا أتى الغَوْر، أو ذهب في أرض واطِئة.

(٦) في مختار الأغاني:
أَزْمانَ عِمْرَانٍ وفَهْـ ـم مِنْهُمُ بادٍ وحاضِرْ
وعِمْلاق: هو أبو العَمالِقة، وهم الجَبابِرة الذين كانوا بالشام. وقيل: هم من عِمْلِيْق بن لاوذ بن إرم ابن سام بن نوح. والبادي: مِن بدا يبدو بداءً، إذا خَرَج إلى البادية.

(٧) تاهَ يَتِيْهُ تَيْهًا وتُوْهًا، إذا ضَلَّ. والأحْوَر: العَقْل. وذو رُعَيْن: من ملوك اليمن. والأحْوَى: من الحُوَّة، وهي لون يُخالطه الكُتْمة مثل صَدَأ الحديد. والحُوَّة: سُمْرة الشفة يقال: رَجُلٌ أحْوَى وامرأة حوّاء. وكثر في كلامهم حتّى سمّوا كُلَّ أسودٍ أحْوَى. والأباعِر: جَمْعُ أبْعِرة، والأبْعِرة جَمْع بَعِيْر. والبعير يطلق على الجمل والناقة.

(٣)

في أمثال العرب للضَّبِّي (١٤٨):[1] (الخفيف)

خَبِّرِينِي رَقاشِ لا تَكْذِبِينِي ... أَبِحُرٍّ زَنَيْتِ أَمْ بِهَجِينِ[2]

أَمْ بِعَبْدٍ، فأَنْتِ أَهْلٌ لِعَبْدٍ ... أَمْ بِدُوْنٍ، فأَنْتِ أَهْلٌ لِدُوْنِ[3]

تخريج شعر جذيمة الأبرش(*)

(١)

١ ـ ١١	في تاريخ الطبري ١: ٦١٣ ـ ٦١٤ لجذيمة. وفيه قال ابن الكلبي: «ثلاثة أبيات من هذه القصيدة حقّ، والبقيّة باطِل». وقال أبو زيد في نوادره، بعد أن روى البيت الأوّل من القصيدة: «ولا أعرف لجذيمة غير هذا البيت» النوادر ٥٣٦ ـ ٥٣٧ .
١ ـ ٢، ٥، ٣، ٤	في الاختيارَين ٧١٨ لجذيمة.
١ ـ ٢، ٥، ٣	في الأغاني ١٥: ٣٢٢، وشرح شواهد المغني ٣٩٣، ٣٩٥، والمقاصد النحويّة ٣: ٣٤٤ لجذيمة، وقبلها قال العيني: «وقيل، إنّ قائله تأبّط شرًّا، وهو غَلَط».
١ ـ ٣، ٥	في طبقات فحول الشعراء ١، ٣٧ ـ ٣٨، وشرح أبيات سيبويه لابن السيرافي ٢: ٢٨١، وشرح مقامات الحريري ٢، ٣ لجذيمة.
١، ٢، ٥	في شرح أبيات سيبويه لابن السيرافي ٢: ٢٨١ لجذيمة.
١، ٣	في نشوة الطرب ٦٨ لجذيمة.

---

(١) قال جَذِيْمة هذين البيتَين لأخته رَقاش، بعد أن زوّجها، وهو سكران، لِعَدِي بن نَصْر اللخمي ـ كما تزعم الروايات.

(٢) في تاريخ الطبري، والبصائر والذخائر، وخزانة الأدب: «حدّثني وأنتِ لا تَكْذِبيني». وفي الأغاني، وشرح مقامات الحريري: «حدّثيني رَقاشِ». وفي مجمع الأمثال: «حدّثيني وأنتِ غيرُ كذوب». وفي جمهرة الأمثال: «أَلِحُرٍّ حَمَلْتِ أَمْ لِهَجِيْنِ». والهجين: مَن كان أبوه خيرًا من أمّه. ونقل ابن منظور عن المُبرِّد قولَه: «قيل لولِدِ العربيّ من غير العربيّة هجين» ـ اللسان (هجن). وفي «الهجين» يَستوي المذكَّر والمؤنَّث. «ورَقاشِ» اسم مبني على الكسر أبدًا، مثل حَذامِ، وقَطامِ ـ اللسان (رقش).

(٣) في جمهرة الأمثال: «أَمْ لِعَبْدٍ فأَنْتِ... أَمْ لِدُوْنٍ فَأَنْتِ». وفي مجمع الأمثال: «وأنتِ أهْلٌ... وأنتِ أهْلٌ». والدون: الحَقِير والخَسِيس.

(*) أنظر الملاحظة والتنويه في ص ١٢٩ من هذا الكتاب.

١ في الكتاب ٣: ٥١٨ (ط هارون) و٢: ١٥٣ (ط بولاق)، والنوادر ٥٣٦، والصحاح (شمل)، وضرائر الشعر ٢٩، واللسان (شيخ) و(شمل) ومغني اللبيب ١٤٦، ٣٤٣، وشرح شواهد المغني ٣٩٣، ٧٢٠ لجذيمة، وقال السيوطي: «قال شارح أبيات الإيضاح. وغَلِط ابن حَزْم فَنَسَبَهُ لتأبَّط شرًّا» ـ شرح الشواهد ٣٩٣. وفي شرح المفصّل ٩: ٤١، والمقتضب ٣: ١٥، والتمام في تفسير أشعار هذيل ٢١٠ وكتاب الكتاب ٢٧، وما يجوز للشاعر في الضرورة ٦٣، وأمالي الشجري ٢، ٢٤٣ دون عزو.

٢ في الصحاح، واللسان (فتى) لجذيمة.

(٢)

١ ـ ٣، ٤ في الأغاني ١٥: ٣٢١ لجذيمة.

١ ـ ٣، ٥، ٤ في مختار الأغاني ٢: ٢٩٦ لجذيمة.

٤، ٦، ١، ٢، ٥ في مروج الذهب ٢: ٩٧ ـ ٩٨ لجذيمة.

(٣)

١ ـ ٢ في أمثال العرب للضَّبِّي ١٤٨، وتاريخ الطبري ١: ٦١٥، والأغاني ١٥: ٣١٣، وجمهرة الأمثال ١: ٥٤٧ ـ ٥٤٨، والبصائر والذخائر ٣: ٥٨٣، ومجمع الأمثال ٢: ١٣٨، وسرح العيون ٧٩، وشرح مقامات الحريري ٢: ٣، ومختار الأغاني ٢: ٢٨٨، والخزانة ٨: ٢٧٠ لجذيمة.

٤ ـ عَمْرُو بن عَدِيّ اللَّخْمِي

إنّ ما وصل إلينا من أخبار هذا الشاعر ينصبُّ على نسبه، وكونه أوّلَ ملوك الحيرة، وعلى بعض ملامحه، وثأره من الزبّاء، التي قتلت سلفه جَذِيْمَة الأبرش، كما مرَّ بنا، وعلى شعره.

وبعض تلك الأخبار تاريخيّ وقابل للتصديق، وبعضها الآخر خرافيّ، ينتمي إلى نوع الحكايات الشعبيّة والأساطير، التي لا تصمد لمعايير التأريخ الجادّ، والنظر العقليّ الدقيق.

نسبُه

إتّفق اليعقوبيّ والطبري على أنّ نَسَبَ شاعرنا هو: عَمْرو بن عَدِيّ بن نَصْر بن رَبِيْعة بن عَمْرو بن الحارث بن مالك بن عَمْرو بن نمارة بن لَخْم[1]. وساق المرزباني نَسبَه بخلافٍ يسير عمّا سبق، ولكنّه أنهاه أيضًا بلَخْم، ثمّ أضاف: «قال أبو عُبَيْدة: هذا نِسبة أهل اليمن، وأمّا ما يقول علماؤنا فيقولون: نَصْر بن الساطرون بن أسيطرون ملك الحَضْر، وهو الجَرْمقاني من أهل الموصل من رستاق باجَرْمَى»[2]. وتابع أبا عُبَيْدة، عبد المِنْعِم الحِمْيَري (القرن الثامن الهجريّ ـ الرابع عشر الميلاديّ) إذ قال: «ويقال إنّ الساطرون أبو نَصر جدّ عَمرو بن عَدِي بن نَصر الذي كان ملوك الحيرة من ولده»[3]. ويُروى أيضًا أنّ الساطرون هنا ورث ملك مدينة (حَضْر) من ملكها القضاعي الضَّيْزَن بن معاوية[4].

وإذا كان الرواة قد اختلفوا في جَدِّ عَمْرو بن عَدِي الثالث، فقد اتّفقوا على أنّ أمّه هي رَقاش بنة مالك الأزديّة، أخت جَذِيْمة الأَبْرَش. ومن أبنائه المعروفين امرؤ القيس ابن عَمْرو بن عَدِي، الذي وصل إلينا خَبَرٌ عنه مدوَّنٌ في نقش النّمارة المشار إليه سابقًا.

طفولته وزمانه

حَفِلت طفولة شاعرنا بقصص وحكايات هي أدخل في باب الخرافة، منها في باب الحقيقة. فقد روي أنّ (رقاشِ) ألبست ولدها، بعد أن ترعرع طَوقًا، لنذر كان عليها، وأمرته بزيارة خاله، فلمّا رآه جَذِيْمة، قال: «شَبَّ عَمْرو عن الطوق» فأرسلها مثلاً[5]. وقد سُمّي عَمْرو فِعلاً بعَمْرو ذي الطوق في بعض المصادر[6].

---

(١) أنظر اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي ١: ٢٠٩، والطبري: تاريخ الأمم ١: ٦٢٧، وقارن بالمرزباني: معجم الشعراء ١٠، وبـ (مَن اسمُه عَمْرُو من الشعراء) في مجلّة العرب السعوديّة ١٩٧٠ ـ ج ٨ ص ٧٥١.

(٢) المرزباني: م. س ١٠.

(٣) الحميري: الروض المِعْطار ٢٠٤.

(٤) أنظر ياقوت الحموي: معجم البلدان (حضر)، والحميري: م. س ٢٠٤.

(٥) أنظر الضبي: أمثال العرب ١٥٠، والأصفهاني: الأغاني ١٥: ٣١٣، والمفضَّل بن سلمة: الفاخر ٥٩، والعسكري: جمهرة الأمثال ١: ٥٤٧، والثعالبي: ثمار القلوب ٦٢٩، والبكري: فصل المقال ١٢٥، والبغدادي: خزانة الأدب ٨: ٢٧١.

(٦) أنظر ابن رَشِيْق: العُمْدة ٢: ٢٨٣.

وكبر عَمْرو، وشبَّ عن الطوق، وحَمَل عن جذيمة عامّة أمره[1]، إلى أن قتل، فورث حينئذ ملكه، بعد نزاع مع عَمْرو بن عَبْد الجِنّ، الذي كان على خيل جذيمة. وكان ذلك في الثلث الأخير للقرن الثالث الميلاديّ، فقد حدَّد (عُمَر فَرّوخ) حكم امرئ القيس بن عَدِي بما بين سنتَي (٢٨٨ ـ ٣٢٨ م)[2] وعليه فإنّ نهاية حُكم عَمْرو ابن عَدِي كانت في سنة ٢٨٨ م.

ولكنّ (جيواويد نغرين) مدَّها إلى سنة ٣٠٠ م[3]. وإذا كان ثمّة خِلافٌ في زمن غياب عَمْرو بن عَدِي عن مسرح التاريخ، فإنّ هناك اتِّفاقًا على سنة وفاة أبيه، وهي سنة ٣٢٨ م طبقًا لِمَا جاء، في نقش النمارة[4]. وإذا كُنَّا نثق بما جاء في هذا النقش، فينبغي ألّا نعتدّ بِمُبالغات مَن زعم أنّ عَمْرو بن عَدِي مَلَكَ خمسًا وخمسين سنة[5]. أو نيِّفًا وستّين سنة[6]، أو مائة سنة[7]، أو مائة وثماني عشرة سنة[8]، فهذه أرقام لا يسعنا إلاّ أن نقف منها وقفة شكّ واستغراب وإنكار! والشكّ والاستغراب يحومان حول خبر يفيد أنّ شاعرنا ومليكنا عاش مائة وعشرين سنة هي، حسبما يَروي ابن الأثير، خمس وتسعون في أيّام ملوك الطوائف، وأربع عشرة سنة أيّام أرْدَشير بن بابك، وثماني سنين وشهران أيّام سابور بن أردشير[9]. وسبب شكّنا هو أنّ أردشير قضى على ملوك الطوائف سنة ٢٢٦ م، وتوفّيَ سنة ٢٤١ م. وملاحظة ذلك، ومقارنته بخبر ابن الأثير من جهة، وبما تقدّم من أنّ نهاية حكم ابن عَدِيّ كانت سنة ٢٨٨ أو ٣٠٠ م من جهة ثانية، كلّ أولئك يجعل عمر شاعرنا حوالي مائة وسبعين عامًا. وهذا رقم يصعب التسليم به.

---

(١) البغدادي: م. س ٨: ٢٧٣.
(٢) أنظر عُمَر فرّوخ: تاريخ الجاهليّة ٦٩.
(٣) أنظر نغرين: ماني والمانويّة ١٥٣، ١٦٢، ١٦٣.
(٤) أنظر جواد علي: المفصّل في تاريخ العرب ٣: ١٩١.
(٥) أنظر اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي ١: ٢٠٩.
(٦) أنظر ابن قتيبة: المعارف ٦٤٦، والبغدادي: خزانة الأدب ١١: ٤٠٤.
(٧) أنظر النويري: نهاية الأرب ١٥، ٣١٩.
(٨) أنظر ابن حبيب: المُحَبَّر ٣٥٨، والطبري تاريخ الأمم ١: ٦٣٧، وحمزة الأصفهاني: تاريخ سِنِيِي ملوك الأرض ٧٧.
(٩) أنظر ابن الأثير: الكامل ١: ٣٥١، وياقوت الحموي: معجم البلدان (الحيرة).

ملامحه

يقترن بعث مدينة (الحيرة) في القرن الثالث الميلاديّ باسم الملك عَمْرو بن عَدِي، إثْر خرابها على يَدِ (بَختَ نصَّر)[1]. فقد قال الطبري في عَمْرو: «هو أوّل مَن اتَّخذ الحيرة منزلاً من ملوك العرب، وأوّل مَن مجَّده أهلُ الحيرة في كتبهم من ملوك العرب بالعراق، وإليه يُنسَبون، وهم ملوك آل نصر»[2]. ونعته الطبري أيضًا بأنّه كان منفردًا بملكه، ومستبدًّا بأمره، يغزو المغازي، ويصيب الغنائم، وتَفِدُ عليه الوفود دهرَه الأطول[3].

وثمّة ما يشير إلى عقيدة الشاعر، فقد عُرِف أنّه اعتنق (المانويَّة)، وارتضاها له دِينًا، ونافح دون أنصارها، وحماهم، يقول صاحب كتاب **ماني والمانويّة** في هذا الصدد:

«وبالمقابل نجد أنّ الأمير العربيّ عَمْرو بن عَدِي الذي كان حاكماً للحيرة سنة ٢٧٠، وحتّى ٣٠٠ م، قد كان مدافعًا عن المانويّة وواحدًا منهم»[4]. وقد أشار الدكتور (عرفان شهيد) إلى أنّ عمرو بن عدي كان يناصر المانويّين، وكتب رسائل بالنيابة عنهم إلى الملك الفارسيّ (نارس)[5].

عمرو والزباء

ربّما كانت قصّة ثأر مليكنا من الزباء ـ قاتلة خاله جَذِيْمة ـ أبرز قصّة وقعت في عهده. وهي قصّة أدخل في باب الحكاية الأدبيّة، منها في باب الحدث التاريخيّ، فهدفها ليس الإقناع، بقدر ما هو الإمتاع. ولهذا لا نرى ضرورة لإيرادها، ونكتفي بالإحالة على مصادرها[6].

ومهما يكن من أمر، فإنّه بموت الزّباء الأسطوري، ينتهي فصل الثأر، ويستمرّ

---

(١) أنظر ياقوت الحموي: م. س (الحيرة)، وعَبْد المِنْعِم الحِمْيَري: **الرَّوْض المِعْطار** ٢٠٣.

(٢) أنظر الطبري: م. س ١: ٦٢٧، وياقوت: م. س (الحيرة).

(٣) الطبري: **تاريخ الأمم** ١: ٦٢٧ وياقوت، **معجم البلدان** (الحيرة).

(٤) نغرين: **ماني والمانويّة** ١٥٣.

(٥) أنظر مقال د. شهيد في كتاب **دراسات تاريخ الجزيرة العربيّة** ـ الكتاب الثاني، وهو بالإنكليزيّة، وعنوانه: **نَظم الشعر العربيّ في القرن الرابع** ـ القسم الأجنبيّ 89.

(٦) أنظر هذه القصّة في: الضبيّ: **أمثال العرب** ١٤٥ ـ ١٥٠، والأخفش: **كتاب الاختيارَين** ٧٢٤ فما بعدها، والطبري: **تاريخ الأمم** ١: ٦٢٢ فما بعدها، والمسعودي: **مروج الذهب** ٢: ٦٩ وما بعدها. والأصفهاني: **الأغاني** ١٥: ٣١٩ ـ ٣٢١ وابن سعيد الأندلسي: **نشوة الطرب** ٥٩ ـ ٦٦، والحميري: **الروض المعطار** ٤٣٠، والبغدادي: **خزانة الأدب** ٧: ٢٩٣ ـ ٢٩٥.

عَمْرو بن عَـدِي في ملكه إلى أن يرثه ابنه امرؤ القيس نحو السنة ٣٠٠ م كما تقدَّم. وفي الوقت نفسه يرث الضجاعِمة مُلْكَ الشام وأطرافها من الزّباء، إلى أن يقهرهم الغساسنة ويصبحوا خلفاءهم في أواخر القرن الخامس الميلاديّ[١].

شعر عَـمْـرو بن عَـدِي

ذُكِرَ عَمْرو بن عدي، بوصفِهِ شاعرًا، في كتابَين اثنَين عن الشعراء، وصلا إلينا، فقد ذكره محمّد بن داود بن الجرّاح (٢٩٦ هـ ـ ٩٠٨ م) في كتابه الموسوم بـ **مَنْ اسمُهُ عَـمْـرو من الشعراء**[٢]. وذكره المرزباني (٣٨٤ هـ ـ ٩٩٤ م) في **معجم الشعراء**[٣].

وقد اختلطت بعض أبيات عَمْرو بن عَدِي بأبيات مُعَلَّقة عَمْرو بن كَلْثوم، فاتُّهِم الأخير بأنّه أخذها عن الأوّل، وأشار إلى ذلك ابنُ رَشِيق في **العُـمْـدة**، فقال في باب السرقات وما شاكلها: «وربّما اجتلب الشاعر البيتّين على الشريطة التي قدّمت فلا يكون في ذلك بأس، كما قال عَمْرو ذو الطوق:

صَـدَدْتِ الْـكَـأْسَ عنَّـا أُمَّ عَـمْـرٍو ... وكـانَ الـكـأسُ مَـجْـراها الـيَـمِـيْنا

ومـا شَـرُّ الـثّـلاثـةِ أُمَّ عَـمْـرٍو ... بـصاحِـبِـكِ الـذي لا تَـصْـبَـحِـيْـنـا

فاستلحقهما عَمْرو بن كلثوم، فهما في قصيدته، وكان أبو عَمْرو بن العَلاء وغيره لا يرون ذلك عَيْبًا، وقد يصنع المُحدَثون مثل هذا»[٤].

ولعلَّ قِدَمَ عَـمْرو بن عَـدِي، وموتُ رُواةِ شعره، وبُعْدَه عن زمن التدوين المنظَّم للشعر الجاهليّ، كلّ أولئك حال دون أن نتمكَّن من جَمع أكثر من تسعة أبيات له، ذكرَتْها المصادر التي عُدنا إليها، وتقع هذه الأبيات في ثلاث مقطَّعات فحسب. وها نحن نسوقها في ما يلي مشفوعة بشروحنا وتعليقاتنا عليها:

---

(١) أنظر البكري: معجم ما استعجم ٢٦.

(٢) أنظر مجلّة العرب ـ ١٩٧٠ ج ٨ ـ ص ٧٥١.

(٣) أنظر المرزباني: معجم الشعراء ص ١٠.

(٤) إبن رشيق: العمدة ٢: ٢٨٣، وأبو العلاء المعرّي: رسالة الغفران ١٨٢، والبغدادي: الخزانة ٣: ١٧٨، و٨: ٢٧٢.

شعر عَمْرو بن عَدِي بن نَصْر اللَّخْمِي

(١)

في مختار الأغاني (٢: ٢٩٠): (الرجز)

١ ـ إنْ تُنْكِرَانِيْ وتُنْكِرَا نَسَبِيْ ٢ ـ فإنَّني عَمْرو، وعَدِيٌّ أبِيْ[١]

(٢)

في معجم الشعراء (١٨): (الطويل)

١ ـ دَعَوْتُ ابْنَ عَبْدِ الجِنِّ للسِّلْمِ بَعْدَمَا تَتَايَعَ في غَرْبِ السَّفاهِ وكَلْسَمَا[٢]

٢ ـ فلمَّا ارْعَوَى عنْ ضُرِّنَا في اعْتِزَامِهِ مَرَيْتُ هَوَاهُ مَرْيَ أُمٍّ أو ابْنَـما[٣]

(٣)

في كتاب من اسمه عمرو مِنَ الشعراء المنشور في مجلّة العرب ـ أيّار ١٩٧١ (٧٥١): (الوافر)

١ ـ صَدَدْتِ الكَأْسَ عَنَّا أُمَّ عَمْرٍو وكانَ الكَأْسُ مَجْراها اليَمِيْنَا[٤]

٢ ـ وَمَا شَرُّ الثلاثةِ أُمَّ عَمْرٍو بِصاحِبِكِ الذي لا تَصْبَحِيْنَا[٥]

---

(١) هكذا ورد هذا الشعر في مختار الأغاني رسمًا وضبطًا، ولا يستقيم عروضًا، ولعلّه عبارة نثريّة أوهمت بعض النسّاخ أو الناشرين.

(٢) في الاختيارَين: «تَتابَع في». وتَتَايَعَ: أسرع وتهافت. والتتايُع: الوقوع في الشرّ من غير فكرة أو رويّة. والغرْب: الحِدّة والنشاط والتمادي. والسفاه: الجَهل والطيش والخفّة. وكَلْسَم: ذَهب في سرعة، وتقول: كَلَسَ وكَلْسَم إذا ذهب، وعن ابن الأعرابي، تقول: كَلْسَم فلان إذا تمادَى كَسَلاً عن قضاء الحقوق ـ اللسان (كلسم).

(٣) في تاريخ الطبري: «عَنْ صَدِّنا باعْترامِهِ... مَرْيَ آمٍ رَوائِما». وفي الاختيارَين: «عن مَدِّنا باعترامِه.. مَرْيَ أُمٍّ أو ابْنَما». واعترم: مضى ولم ينثن. ومَرَى مَرْيًا: مَسَحَ ضرْعَ الناقة لتدرَّ. وهنا بمعنى استخرج ما عنده من الرضا والمودّة على التشبيه. و«ما» بعد «ابن» زائدة.

(٤) في مروج الذهب: «عَدَلْتِ الكأسَ». وفي فصول التماثيل، وجمهرة أشعار العرب: «صَدَفْتِ الكأسَ». وفي التهذيب، والصحّاح، وشرح المعلّقات للزوزني، واللسان، والتاج: «صَبَنْتِ الكأسَ». وفي جمهرة الأمثال، وفصل المَقال: «تصدُّ الكأسَ». وصَبن الكأسَ: صَرَفها عن صاحبها إلى غيره.

(٥) في تاريخ الطبري: «لا تَصْحَبِينا». وصبح يصبح صبحًا، واصطَبَحَ: شَرِبَ الصَّبُوح، وهو شراب الصباح من لَبن أو خَمْر.

وفي شرح مقامات الحريري (٢: ٤٣):

٣ ـ فَمَا شَرِبَ الشرابَ كمِثْلِ عَمْرٍو ... وما نالَ المَكارِمَ فاصْبَحِينَا[1]
٤ ـ فإلَّا تنكِري عَمْرًا، فإنِّي ... أنا ابنُ عَدِيٍّ حَقًّا فاعْرِفِينا[2]
٥ ـ وخالِي ـ لا أبالَكِ ـ ذُوْ المَعالِي ... جَذِيمةُ كَيفَ وَيْحَكِ تُنْكِرِيْنَا

(٤)

في أمثال العرب للضبّي (١٤٩): (الرجز)

١ ـ هذا جَنَايَ وخِيارُهُ فِيْه[3]
٢ ـ إذْ كُلُّ جانٍ يَدُهُ إلى فِيْه[4]

تخريج شعر عمرو بن عدي بن نصر اللخمي[*]

(١)

١ في مختار الأغاني ٢: ٢٩٠ لعَمْرو بن عدي.

(٢)

١ ـ ٢ في معجم الشعراء ١٨، وتاريخ الطبري ١: ٦٢٢، والاختيارَين ٧٢٤، ومروج الذهب ٢: ٩٢ لعمرو بن عدي.

(٣)

١ ـ ٢ في (مَن اسمُه عَمْرو من الشعراء) المنشور في مجلّة العرب ـ أيّار ١٩٧٠ ص ٧٥١، وتاريخ الطبري ١: ٦١٦، ومروج الذهب ٢:

---

(١) أصبح: أسقى الصبوح، وهو شراب من لَبن أو خَمْر يُسقى عند الصباح.
(٢) في ضرائر الشعر: «فإنْ تَسْتَنْكِري عَمْرًا». ولم يصرف الشاعر «عَدِيًّا»، وحقّه أن ينصرف. وهذه ضرورة. ووجه منعه من الصرف هنا، الاعتداد بِعِلّة واحدة، وهي العَلَمِيَّة ـ أنظر الخصائص ١: ١٧٧ فما بعدها، وما يجوز للشاعر ٨٤ ـ ٨٦، وضرائر الشعر ١٠٥.
(٣) في ديوان العجّاج: «ويُرْوَى وهجانُه فيه». وهِجان كلّ شيء خِيارُهُ.
(٤) في الوسيط في الأمثال: «وكُلُّ جارٍ يَدُهُ». تحريف. والجَنَى: كلُّ ما جُنِيَ وقيل: هو الكلأ والكمأة ونحو ذلك، وقِيْل هو الرطب والعسل، وكلُّ ثَمَرٍ يُجْنَى فهو جَنًى. وهذا الرجز مَثَل. قال أبو عُبَيْد: يُضْرَب هذا مثلاً للرجل يؤثر صاحبه بخيار ما عنده... وذكر ابن الكلبي أنّ المثل لعَمْرو بن عَدِي اللخمي بن أخت جذيمة أوّل مَن قاله» ـ اللسان (جني).
(*) أنظر الملاحظة والتنويه في ص ١٢٩ من هذا الكتاب.

٩٢، والأغاني ١٥: ٣١٤، لعمرو بن عدي. وروى أبو الفرج بسنده، عن اليزيدي، أنّ البيتَين لعمرو بن معدي كرب في ربيعة ابن نصر اللخمي، وهما في ملحقات ديوان عمرو بن معديكرب الزبيدي ٢٠٠. وعلّق المحقّق الأستاذ مطاع الطرابيشيّ على عبارة أبي الفرج بقوله: «ويبدو أنّ في العبارة تصحيفًا صوابه: وأخبرنا الزبيدي... أنّ هذا الشعر لعمرو بن عدي بن ربيعة بن نصر اللخمي، وهذا مطابق للنسب الذي ساقه المرزباني في معجم الشعراء ١٠ مع تقديم نصر على ربيعة». والبيتان في معجم الشعراء ١١، وجمهرة الأمثال ١: ١٠٧، ومعلقة عمرو بن كلثوم بشرح الزوزني ٢٣٩، ومعلّقته بشرح التبريزي ٣٢٣، وجمهرة أشعار العرب (المعلّقة) ١: ٣٩٠، ورسالة الغفران ١٨٢ لعمرو بن عدي. وقال أبو العلاء المعري بعدها: «فلعلّ عمرو بن كلثوم حسَّن كلامَه واستزادها في أبياته». وفي العمدة ٢: ٢٨٣، ومختار الأغاني ٢: ٢٩٠، ونهاية الأرب ١٥: ٣١٦ لابن عدي. وفي خزانة الأدب ٣: ١٧٨ في أبيات لعمرو بن كلثوم. وقال بعدهما البغداديّ: «قال شُرّاح المعلّقات، وبعضهم يَروي هذين البيتَين لعَمْرو بن أخت جذيمة الأبرش» ـ الخزانة ٣: ١٨٠. وفي الخزانة أيضًا ٨: ٢٧٢ لابن عدي. وقال البغداديّ بعدها: «ويروى هذا الشعر لعمرو بن كلثوم التغلّبي، ويقال: إنّ عمرو بن كلثوم أدخله في معلّقته والله أعلم». والبيتان في فصول التماثيل ٧٤ دون عزو.

١ في الكتاب ١: ٤٥٠، وصدره في ١: ٢٢٢، وشرح القصائد التسع ٦١٨ لابن كلثوم، وهو غير وارد عند ابن كيسان، ولا عند الأنباري في شرحهما لمعلّقة ابن كلثوم. والبيت في فصل المقال ٣٩٧ لابن عدي، وعلّق عليه البكري بقوله: «ذكر العلماء أنّ هذا البيت لعمرو بن جذيمة (كذا) ذي الطوق هذا، فنقله عمرو ابن كلثوم التغلبي في قصيدته التي أوّلها:

(أَلاَ هُبِّيْ بصحنِكِ فاصْبَحِيْنا)، وكان بينهما دَهْرٌ طويل».

٢	في عيون الأخبار ٢: ٤٩، وتهذيب اللغة ٢: ٢٠٨ دون عزو، وفي الصحّاح، واللسان، والتاج (صبن) لعمرو بن كلثوم.
٣ ـ ٥	شرح مقامات الحريري ٢: ٣ ـ ٤ لابن عدي.
٤	في ضرائر الشعر لابن عصفور ١٠٤ لابن عدي.

(٤)

١ ـ ٢	في أمثال العرب للضبيّ ١٤٩، والأمثال لأبي عبيد ١٧٤، وديوان الأدب ٤: ٨٩، ومروج الذهب ٢: ٩٢، والأغاني ١٥: ٣١٣، ومعجم الشعراء ١٠، وجمهرة الأمثال: ٢: ٣٦٠، والوسيط في الأمثال ١٨٤، والمستقصى في الأمثال ٢: ٣٨٦، واللسان (جني)، ومجمع الأمثال ٢: ١٣٨ والنهاية في غريب الحديث ١: ٣٠٩، ومختار الأغاني ٢: ٢٨٩، والخزانة ٨: ٢٧١ لعمرو بن عدي. وفي القوافي ٦٤، وديوان العجاج ١: ٣٧٧، وشرح ديوان زهير لثعلب ٥٨ دون عَزْو.
١	في الاختيارَين ٣٩ دون عزو

٥ ـ عَمْرو بن عَبْد الجِنّ القُضاعي التَّنُوْخِي

نَسَبَ ابنُ حَزْم هذا الشاعر فقال: هو «عَمْرو بن عبد الجنّ بن عائذ بن سالم بن أسعد بن سَعْد بن كثير بن غالب بن عدي بن شميس بن طَرَود» وطرود هو بن جَرْم بن رَبَّان بن حُلْوان بن عمران بن الحافِ بن قضاعة[1].

وفيما عدا هذا النسب، والانتماء إلى قضاعة، فإنّ معارفنا عن هذا الشاعر شحيحة ونادرة، ولعلَّ أهمّ ما عرف عنه أنّه كان مُعاصرًا لجذيمة الأبرش، وقيل إنّه كان على خيل جَذِيْمة، وروى الطَّبري، والأخفش[2] أنّه صحب جذيمة في رحلته إلى

(١) أنظر ابن حزم: جمهرة أنساب العرب ٤٥١ ـ ٤٥٢ .

(٢) أنظر الطبري: تاريخ الأمم ١: ٦٢١ ـــ ٦٢٢، والأخفش: الاختيارَين ٧٢٢، والمرزباني: معجم الشعراء ١٨ .

الزبّاء، ثمَّ إنّه، بعد مقتل جذيمة، نازَعَ عَمْرو بن عَدِي على الملك، فاختلف قصير اللخمي بينهما حتّى اصطلحا، فانقاد ابن عَبْد الجِنّ لابن عَدِي، ومال إليه الناس، فقال عَمْرو بن عَدِي:

دَعَوْتُ ابْنَ عبد الجِنّ للسِّلْمِ بَعْدَمَا تَتَايَعَ في غَرْبِ السَّفاهِ وكَلْسَمَا

فلمَّا ارْعَوى عن صَدِّنا باعْتِزامِهِ مَرَيْتُ هواهُ مَرْيَ آمٍ رَوَائِمَا

فأجابه ابنُ عبد الجِنّ:

أَمَا ودِماءٍ مائِراتٍ تَخالُها على قُنَّةِ العُزّى أو النَّسْرِ عَنْدَمَا

وما قدَّسَ الرُّهْبانُ في كلِّ هَيْكَلٍ أبيلَ الأبيلينَ الْمَسِيحَ بنَ مَرْيَما

وقد سُقنا هذا الخبر، والشعر الذي قِيل بين يديه، لأمرين اثنَين، أوّلهما: التأكيد على أنّ عَمْرَو بن عَبْد الجِنّ، وُجِدَ بعدَ جَذِيمة، وفي زمانه، أي في الثلث الأخير من القرن الثالث الميلاديّ، وفي زمن خلافة عَمْرو بن عَدِي أيضًا. والثاني: ما يُلْمَح مِنْ صِدْقٍ في بيتَي شاعرنا، إذ جاء في **تاريخ الطبري** بعدَهما: «هكذا وُجِدَ الشعر ليس بتامّ، وكان ينبغي أن يكون البيت الثالث (لقد كان كذا وكذا)»[1]. فعدم اكتمال شعر ابن عَبد الجِن، ربّما يشير إلى قدمه، وإلى أنّ رواة رَوَوْهُ قبل الطبري ولم يتمّوه أو يصحّحوه، وبالتالي فإنّ ملامح من الأصالة ظاهره فيه، وهذا ما مِلْنا إليه في فصل توثيق أشعار الأوائل.

وقد ذُكِر ابنُ عَبْدِ الجِنّ، بوصفِه شاعرًا، في **معجم الشعراء**، ووصفه المرزباني بأنّه «جاهليّ قديم، خلف على ملك جذيمة الأبرش بعد قتله»[2]. وساق له بيتَين من الشعر، كان رواهما له الطبري والأخفش من قبل.

والتأمُّل في بيتَي ابن عَبْد الجِنّ يحمل على القول إنّه كان يؤمن بالأوثان ويجلّها، فهو يقسم بالدماء المُهْرَاقة على قنّة العُزَّى أو النَّسْر. وذكر اسم صنم (النَّسْر) في شعر ينتمي إلى القرن الثالث الميلاديّ، ينقض ما زعمه أبو المنذر الكلبيّ، عندما تحدّث عن هذا الصنم، فقال: «واتَّخذت حِمْيَر نَسْرًا فعبدوه، بأرضٍ يُقال لها بَلْخَع، ولم أسمع حِمْيَر سمَّتْ به أحدًا، ولم أسمع له ذِكرًا في أشعارها، ولا أشعار أحد من العرب»[3].

---

(١) الطبري: **تاريخ الأمم** ١: ٦٢٢ والأخفش: **الاختيارَين** ٧٧٢.

(٢) المرزباني: **معجم الشعراء** ١٨.

(٣) ابن الكلبي: **الأصنام** ١١، وياقوت الحموي: **معجم البلدان** (نسر).

ونورد فيما يلي بيتَي ابن عَبْدِ الجِنّ، مع البيت الثالث الذي نازعه فيه حُمَيْد بن ثُوْر مع شروحنا وتعليقاتنا وتخريجنا لها جميعًا:

شعر عَمْرو بن عَبْدِ الجِنّ التَّنوخي القُضاعِي

(١)

في الحماسة البصريّة (١: ٨٠)[١]: (الطويل)

١ ـ أَمَا وَدِماءٍ مائِراتٍ تَخالُها عَلَى قُنَّةِ العُزَّى أو النَّسْرِ عَنْدَمَا[٢]

٢ ـ وَمَا قَدَّسَ الرُّهْبانُ في كُلِّ هَيْكَلٍ أَبِيْلَ الأَبِيلِيْنَ المَسِيْحَ بنَ مَرْيَمَا[٣]

٣ ـ لَقَدْ هَزَّ مِنِّي عامِرٌ يَوْمَ لَعْلَعٍ حُسامًا إذا لاقَى الضَّرِيْبَةَ صَمَّمَا[٤]

---

(١) ذكر الطبري والأخفش أنّ ابن عَبْدِ الجِنّ قال البيتَين الأوّلَين ردًّا على بيتَي عَمْرو بن عَدِي:

دَعَوْتُ ابنَ عَبْدِ الجِنِّ للسِّلْمِ بَعْدَما تَتَابَعَ في غَرْبِ السَّفاهِ وكَلْسَمَا

فَلَمَّا ارْعَوى عنْ صَدِّنا باَعْتِرامِهِ مَرَيْتُ هَواهُ مَرْيَ آمِ روائِما

وأضاف الطبري: إنّ شعر ابن عَبْد الجِنّ هذا، وُجِد هكذا ليس بتامٍّ، وكان ينبغي أن يكون البيت الثالث: «لقد كان كذا وكذا» ـ أنظر تاريخ الطبري: ١: ٦٢٢، والاختيارَين ٧٢٤.

(٢) في اللسان، والتاج (نسر): «أَمَا ودِماءٍ لا تَزالُ كأنَّها.. العزّى وبالنسر». وفي تاريخ الطبري، والاختيارَين، ومعجم الشعراء، والمسلسل: «على قنّة العُزّى». وفي الصحّاح، وأمالي الشجري، ومعجم البلدان، واللسان، والتاج (عندم): «العُزّى وبالنسر». والمائِر: المتردّد والمتحرّك. وقنّة كلّ شيء: أعلاه، مثل القلّة. والعُزّى: شَجَرة كانت تُعْبَد من دون الله، وهي صنمٌ كان لقريش ـ أنظر الأصنام ١٧ ـ ٢٧. والنسر: صَنَم كان لذي الكلاع بأرض حِمْيَر. وفي سورة نوح: «وقالُوا: لا تَذَرُنَّ آلهتَكُم، ولا تَذَرُنَّ وُدًّا ولا سُواعًا ولا يَغُوثَ ويَعُوْق ونَسْرًا» ٧١: ٢٣. والعَنْدَم: شَجَرٌ أحْمَر، أو صِبْغ تُخْتَضَب به الجواري.

(٣) في الصحاح، والتاج: «وما سبَّح الرهبان في كلّ بِيعةٍ». وفي معجم البلدان: «وما سبّح الرحمنُ في كلّ بِيْعَةٍ». وفي تاريخ الطبري: «في كلّ منزل». وفي المسلسل: «كلّ بُقْعَةٍ». وفي الاختيارَين: «أبِيْل أبابِيْل». وفي معجم الشعراء، واللسان (أبل): «أبِيْل الأبِيلِيّين عِيْسَى بن مَرْيَما». وأَبَلَ يأبُل أَبَالَةً: تَنسَّكَ وترهَّبَ، وجمع أبِيْل آبال. والأبِيْل: رئيس النصارى، وقيل: هو الراهب، وقيل: الراهب الرئيس، وقيل: صاحب الناقوس. وكانوا يسمّون عيسى عليه السلام أبِيْل الأبِيلِين.

(٤) في المسلسل، واللسان (أبل):

لقدْ ذاقَ مِنّا عامِرٌ يومَ لَعْلَعٍ حُسامًا إذا ما هُزَّ بالكَفِّ صَمَّمَا

ولَعْلَع: جَبَلٌ كانت به وَقْعة ـ أنظر معجم ما استعجم ١١٥٦ ـ ١١٥٧، ومعجم البلدان (لَعْلَع)، والحُسام: السيف القاطِع. وصمَّمَ السيفُ: إذا مَضَى في العَظْم وقطعه... والمصمم من السيوف: الذي يمرّ في العظام، ويُقال صَمَّم وصَمْصَمَ.

تخريج شعر عمرو بن الجنّ التنوخي القضاعي(*)

(١)

١ ـ ٣ في الحماسة البصريّة ١: ٨٠، واللسان (أبل)، والمقاصد النحويّة ١: ٥٠٠ لابن عَبْد الجِنّ، وقال العَيْني: «أقول: قائله هو عَمْرو ابن عَبْدِ الجِنّ شاعر جاهليّ، وقيل: قائله رجل جاهليّ مجهول الاسم، والأوّل أصحّ». وفي أمالي ابن الشَّجَري ٢: ٣٤ دون عزو، ومعجم البلدان (نسر) للأخطل. ورجَّح ناشر ديوان الأخطل ـ (أنطون صالحاني) ـ أنّ هذه الأبيات ليست للأخطل ـ أنظر ديوان الأخطل ٢٤٩.

١ ـ ٢ في الاختيارَين ٧٢٤، وتاريخ الطبري ١: ٦٢٢، ومعجم الشعراء ٨، والمسلسل ١٦٦ ـ ١٦٧ لابن عَبْد الجِنّ.

١ في اللسان، والتاج (نسر) لعبد الحقّ، وفيه سَقْط وتحريف. ولعلَّ الصواب ابن عبد الجِنّ. وفي الصحاح (نسر) و(عزز)، و(عدم)، واللسان (عزز) و(قنن) و(عندم)، والتاج: (عندم) دون عزو.

٢ في التاج (أبل) لعبد الحقّ. وهو تحريف.

٣ في الصحّاح (لعع) دون عزو، واللسان (لعع) لحُمَيْد بن ثَوْر. وعنه زاده المحقّق عبد العزيز الميمني إلى ديوان حُمَيْد بن ثَوْر ٣١.

٦ ـ دُوَيْد بن زَيْد بن نَهْد القُضَاعِي

هذا شاعر آخر من قضاعة، وهو ابن أخي خُزَيْمة بن نَهد السابق الذكر. وأخباره التي بين أيدينا تقتصر على اسمه ونسبه، وعلى كونه معمّرًا، وعلى شعره، ووصيّته.

١ ـ إسمه ونسبه

من المعروف أنّ شاعرنا هو دُوَيْد بن زَيد بن نَهْد. وقد لُقِّب بـ «ذُوَيْد» في معجم ما استعجم، والروض الأنف، وألِف با البَلَوي، فقال البكري: «وعاش الذُّوَيْد ـ

(*) أنظر الملاحظة والتنويه في ص ١٢٩.

واسمُه جذيمة بن صُبْح بن زَيْد بن نَهْد ـ زمانًا طويلاً»[1]. وقال السهيلي (٥١٨ هـ ـ ١١٢٤ م): «من أطول المعمّرين عمرًا ذويد، واسمه زيد بن نهد من قضاعة»[2]. ويبدو أنّ اسم شاعرنا هو دُوَيْد، وليس جذيمة، كما يقول البكري، أو زيدًا، كما يقول السهيلي، وقد أوضح ذلك البلوي (٦٠٥ هـ ـ ١٢٠٨ م) بقوله: «وقد تقدّم ذُوَيْد في الأسماء، وهو أيضًا لقب رجل من المعمّرين اسمه ذُوَيْد بن نَهْد عاش أربعمائة عام فيما ذكر، وكانت له وقائع في العرب وغارات»[3]. ومن قبل البلوي، أكّد ابنُ ماكَوْلا (٤٧٥ هـ ـ ١٠٨٢ م) أنّ الاسم بالدال وليس بالذال، فقال: «أمّا دُوَيْد أوّله دالٌ مُهْمَلة فهو... دُوَيْد بن زَيْد بن نَهْد بن زَيْد بن حَوْتَكَة بن أَسْلَمُ بن الحافِ بن قضاعة، شاعر، ذكره ابن سلاّم في **كتاب الشعراء**»[4].

ولكنّ ابن ماكَوْلاَ الذي صحّح اسم الشاعر، أخطأ في نسبه، وخاصّة عند جدّه الثالث، فقد ذكر ابن حَزْم، وغيره من المُصنِّفين، أنّ نسب شاعرنا هو: «دُوَيْد بن زَيْد ابن نهد بن ليث بن سُوْد بن أَسْلَمُ بن الحافِ بن قضاعة»[5]. فالجدّ الثالث لِدُوَيْد هو لَيْث بن أَسْلَم، وليس حَوْتَكة بن أَسْلَم.

٢ ـ عمره وزمانه

عُرِف عن دُوَيْد النَّهْدِي أنّه من المعمّرين. وقد ذكره السجستاني (٢٥٠ هـ ـ ٨٦٤ م) في كتابه، فقال عنه: «عاش أربعمائة وستّةً وخمسين سنة»[6]. وكذلك ذُكِرَ معمّرًا في مصادر أخرى كثيرة[7].

وقال صاحب **القاموس المحيط** (٨١٦ هـ ـ ١٤١٣ م)، وصاحب **التاج** (١٢٠٥

---

(١) البكري: **معجم ما استعجم** ١: ٣٤.
(٢) السهيلي: **الروض الأنف** ١: ١١٠.
(٣) البَلَوِي: **أَلِف با** ٢: ٨٧.
(٤) إبن ماكَوْلاَ: **الإكمال** ٣: ٣٨٦ ـ ٣٨٧.
(٥) أنظر ابن حزم: **جمهرة أنساب العرب** ٤٤٤ و٤٤٦ ـ ٤٤٧، وابن دريد: **الاشتقاق** ٥٤٨، والشريف المرتضى: **أمالي المُرتضى** ١:٢٣٦.
(٦) السجستاني: **المعمرون** ٢٥.
(٧) أنظر المبرّد: **التعازي والمراثي** ٢٦٤. والشريف المرتضى: م. س ١: ٢٣٦، والبكري: **معجم ما استعجم** ١: ٣٤، والسهيلي: **الروض الأنف** ١: ١١٠، والبَلَوي: **أَلِف با** ٢: ٨٧، وذكرت بعض المصادر أنّه عاش أربعمائة سنة..

هـ ــ ١٧٩٠ م): إنّه عاش أربعمائة وخمسين سنة، وأضافا: «وأدرك الإسلام، وهو لا يُعْقَل»[١].

وتُضْبَط كلمة «يُعْقَل» ضبطَين مختلفَين، لأنّ كلّ ضَبط يؤدّي معنًى يُخالف الآخر في سياق العبارة، فبناء الفعل للمعلوم، يعني أنّه أدرك الإسلام، وهو شيخ خَرِف لا عقل له. وبناء الفعل للمجهول، يعني أنّ إدراك دُوَيْد بن زيد للإسلام لا يُعقل فهو بعيد وغير ممكن.

والحقّ، ليس لدينا خبر يقطع بأنّ شاعرنا لم يدرك الإسلام، ولكنّ ذكره عند ابن سلاّم وابن قتيبة وأبي أحمد العسكري[٢] على أنّه من الشعراء القدامى الأوائل، الذين لم يكن لأحدهم إلاّ الأبيات القليلة يقولها عند حدوث الحاجة، يؤيّد الظنّ بأنّه لم يدرك الإسلام. قال ابن قتيبة: «لم يكن لأوائل الشعراء إلاّ الأبيات القليلة. يقولها الرجل عند حدوث الحاجة، فمن قديم الشعر، قول دُوَيْد بن نَهْد القضاعي:

أَلْـيَـوْمَ يُـبْـنَـى لِـدُوَيْـدٍ بَـيْـتُـهُ   لـو كـانَ لِـلـدُّهْـرِ بِـلـىً أبْـلَـيْـتُـهُ

أوْ كـانَ قِـرْنـي واحِـدًا كَـفَـيْـتُـهُ   يـا رُبَّ نَـهْـبٍ صـالِـحٍ حَـوَيْـتُـهُ

ورُبَّ عَبْلٍ خَشِنٍ لَوَيْتُهُ»[٣]

ومع ذلك فليس لدينا في أخبار الشاعر النادرة أيّة قرينة لتقدير زمانه، لذا نعوذ بجداول الأنساب لهذه الغاية. مُطبِّقين القاعدة التي أوضحناها في مطلع هذا الباب، وهي أن نحسب لكلّ أبٍ من آباء جدول النسب عشرين عامًا.

فدُوَيْد بن زَيْد هو ابن أخ للشاعر خُزَيْمة بن نَهْد بن زيد بن لَيْث... القضاعي. وقد مرَّ بنا أنّ خُزَيْمة بن نَهْد ربّما وُجِد قبل سنة (٢٤١ م) ولعلّ زمانه امتدّ إلى أواخر القرن الثالث الميلاديّ. ولهذا فإنّ ابن أخيه (دُوَيْد) قد يكون من رجال القرن الثالث وأوائل الرابع الميلاديّين.

ويُعزِّز من هذا الفرض النَّظَرُ في نسب الشاعر (زُهَيْر بن جَناب الكَلْبي) الذي

---

(١) أنظر القاموس المحيط، والتاج ــ مادة (دود).

(٢) أنظر العسكري: شرح ما يقع فيه التصحيف ٤٢٨ ــ ٤٢٩ .

(٣) إبن قتيبة: الشعر والشعراء: ١: ١٠٤ وابن سلاّم: طبقات فحول الشعراء ١: ٣١ ــ ٣٢ وأبو حاتم الرازي: الزينة ٣٤، والسيوطي: المُزْهِر ٢: ٤٧٥ .

ينتمي، مثل دُوَيْد، إلى قبيلة قضاعة. فزهير هو: ابن جَناب بن عَبْدالله بن كِنانة بن بَكْر بن عَوْف بن عُذْرة بن زَيْد اللاّت بن رُفَيْدة بن ثَوْر بن كَلْب بن وَبَرة بن تَغْلِب بن حُلوان بن عمران بن الحافِ بن قضاعة[1]. فإذا تذكّرنا أنّ (الحاف بن قضاعة) هو الأب السادس لشاعرنا (دُوَيْد بن زَيْد) والأب الخامس عشر لزهير بن جَناب الكلبي، أدركنا أنّ نسب دُوَيْد بن زيد يربو على نَسَب زهير بن جَناب بتسعة آباء، نقدر لهم ١٨٠ سنة، فيصبح الزمن الذين يفصل دُوَيْد بن زَيْد عن زهير بن جَناب نحو ١٨٠ سنة. وإذا عرفنا أنّ زهير بن جناب، وهو أحد الشعراء الأوائل، قد عاش في النصف الثاني للقرن الخامس، والنصف الأوّل للقرن السادس الميلاديَّين[2]، استنتَجنا أنّ دويد بن زيد، على الأرجح، وُجِدَ في فترة تقع بين أواخر القرن الثالث، وأوائل القرن الرابع الميلاديَّين.

٣ ـ شعره

ولعلّ مِمّا يشير إلى قِدَم هذا الشاعر أنّ بعض رَجَزِه قد تُنُوْقِل جِيْلاً بعدَ جيل، حتّى إنّ رُجّاز قُرَيْش قد حوّرته، فقالت عندما ربَّع حَمِيْد بن زُهَيْر دارَهُ:

«أَلْيَوْمَ يُبْنَى لِحَمْيدٍ بَيْتُهُ   إمّا حياتُهُ وإمّا مَوْتُهُ

... وقد روى بعض الناس هذين البيتَين في دويد»[3].

وربّما كان تقدُّم عصر الشاعر وراء ضياع الكثير من شعره، فنحن لم نستطع الوقوع إلاّ على تسعة أرجاز له سِيقَت، غالبًا، في نطاق الأمثلة على الشعر العربيّ القديم، وخاصّة في كلّ من **طبقات فحول الشعراء، والشعر والشعراء، والزينة في الكلمات الإسلاميّة، وألف با، والمزهر**، وسنوردها بعد أن نَسُوق قبلها وصيَّته.

٤ ـ وصيّته

أوردت بعض المصادر وصيَّةً للشاعر قالها لبنيه قبل موته. وهي تتفاوت قِصَرًا وطولاً، كما تختلف عباراتها بين هذا المصدر، أو ذاك، ولكنّها، في كلّ الأحوال، تنمّ

---

(١) أنظر السجستاني: **المعمّرون** ٣٥، والأصفهاني: **الأغاني** ١٩: ١٥، وقارن بالآمدي: **المؤتلف والمختلف** ١٩٠.

(٢) أنظر أخبار زهير بن جناب في الباب الثالث من هذا البحث.

(٣) مُصْعَب الزبيري: **جمهرة نَسَب قريش وأخبارها** ١: ٤٤٤. وربَّع داره: جعلها مربَّعة وكانت العرب تهاب فعل ذلك مَهابة للكعبة التي كانت بيتًا مربّعًا.

على مَيْل واضحٍ للاعتصام بالقوّة، في كلّ آن، وعلى نزعة واضحةٍ للظلم والعدوان، وربّما يصحّ النظر إلى أفكار الشاعر فيها ـ إن كانت هذه الوصيّة له حقًّا ـ على أنّها تعبير عن واقع تلبّسته الفوضى والاضطراب، عاش فيه دُوَيْد في اليمن قرب نجران ـ كما يقول ابن حزم[1].

وقد رُويت هذه الوصيّة أو بعضها لجدّه نَهْد بن زَيْد[2]. وحرصًا على إيراد أطول نصّ لها، رأينا أن نُثبت رواية ابن دُرَيْد، التي ساقها الشريف المرتضى في أماليه إذ قال: «لمّا حَضَرتِ دُوَيْدَ بن زَيْد الوفاةُ، قال لبنيه:

«أوصيكم بالنّاس شرًّا، لا ترحموا لهم عَبْرة، ولا تقيلوهم عَثْرة، قَصّروا الأعنّة، وطوّلوا الأسنّة، واطعنوا شَزْرًا، واضربوا هَبْرًا، وإذا أردتُم المُحاجَزة فقبل المُناجزة. والمرء يعجز لا مَحالة، بالجدّ لا بالكدّ. التجلُّد ولا التبلُّد، والمَنِيّة ولا الدَّنِيّة، ولا تأسَوا على فائِت، وإن عَزَّ فقدُه. ولا تحِنُّوا إلى ظاعِن، وإن أُلِفَ قُرْبُهُ. ولا تُطْمِعُوا فَتَطْبَعُوا، ولا تَهِنوا فتخْرَعوا، ولا يكون لكم المَثَل السوء: «إنّ الموصّين بنو سهوان». إذا متّ فارْحِبوا خطَّ مَضْجَعِي، ولا تضِنُّوا عليَّ بِرَحبِ الأرض. وما ذلك بِمُؤْدٍ إليَّ روحًا. ولكن راحة نفس خامَرَها الإشْفاق، ثمّ مات»[3].

(١) أنظر ابن حزم: جمهرة أنساب العرب ٤٤٦ .
(٢) السجستاني: المعمّرون والوصايا ٢٥، والبكري: معجم ما استعجم ١: ٣٢ ـ ٣٣ .
(٣) الشريف المرتضى: أمالي المرتضى ١: ٢٣٦ . والطعن الشزر: الطعن من يمين ومن شمال، أو ما طعنت يمينك وشمالك. وقوله: «اضربوا هَبْرًا»: قال ابن دريد: «هَبَرْتُ اللحم أهبرُهُ هبرًا، إذا قطعتهُ قِطَعًا كِبارًا» والمُحاجَزَة: الفصل والمُباعدة. والمُناجَزة: المُخاصَمة والقتال. و«المُحاجَزة قبل المُناجزة» مثلٌ يُضْرَب لمَن يطلب الصلح بعد القتال. والجَدّ: الحظّ. والكدّ: التعب والجهد، أراد يدرك المرء حاجته بحظّه لا بكدّه. وقوله: «التجلُّد لا التبلُّد»: أي تجلّدوا ولا تتبلّدوا. وتطبعوا: تدنسوا، من الطَّبَع، وهو التَّلَطُّخ بالأدْناس. وأصل الطَّبَع: الصدأ يكثر على السيف وغيره. والخَرْع: الرخاوة. وقوله: «إنّ المَوَصَّين بنو سَهْوان» أي لا تكونوا كبني سَهْوان الذين أُسْدِيتْ إليهم الوصيّة، فأعرضوا عنها. وارحبوا: وسعوا. وخطّ المضجع: مكان القبر. ومُؤْدٍ: من وَدَى يدي دية، أي أعطى الدية وحقّ القتيل. وخامَرَ: خالَطَ وأصاب. والإشفاق: الحَذَر أو الجزع، يُقال أشفق عليه: خاف.

شعر دُوَيْد بن زَيْد بن نَهْد القُضاعِي

(١)

في طبقات فحول الشعراء (١: ٣١ ـ ٣٢):[1] (الرجز)

١ ـ أَلْيَوْمَ يُبْنَى لِدُوَيْدٍ بَيْتُهُ[2]

٢ ـ لَوْ كانَ لِلدَّهْرِ بِلىً أَبْلَيْتُهُ

٣ ـ أَوْ كانَ قِرْنِيْ وَاحِدًا كَفَيْتُهُ[3]

٤ ـ يا رُبَّ نَهْبٍ صالِحٍ حَوَيْتُهُ[4]

٥ ـ ورُبَّ عَبْلٍ خَسَنٍ لَوَيْتُهُ[5]

٦ ـ ومِعْصَمٍ مُخَضَّبٍ ثَنَيْتُهُ[6]

(٢)

في طبقات فحول الشعراء (١: ٣٢) (الرجز)

١ ـ أَلْقَى عَلَيَّ الدَّهْرُ رِجْلاً وَيَدَا[7]

---

(١) قال ابن سلاّم قبل هذه الأبيات: «وممّا يُروى من قديم الشعر قول دُوَيْد بن زَيْد بن نَهْد، قال حين حضره الموت» وزاد المحقّق محمود شاكر البيت السادس هنا نقلاً عن مصادره. وهو ليس في أصل الطبقات.

(٢) في محاضرات الأدباء: «أَلْيَوْمَ هبّي لِدُرَيْد بَيْته» تحريف. وفي معجم ما استعجم، والروض الأنف، وأَلِف با: «للذويد» بالذال، تصحيف. والبيت هنا: القبر. وقُطِعت الهمزة في (أَليوم) لأنّها في أوّل البيت.

(٣) في جمهرة الأمثال، وأمالي المُرتَضى ورد البيت مرّتين، مرّة كما رواه ابن سلاّم، ومرّة بهذه الرواية: «ورُبَّ قِرْنٍ بَطلٍ أَرْدَيْتُهُ».

والقِرن: النِّدُّ والكُفْء في البأس والشجاعة. وكَفَيْتُه: قمت له واضطلعتُ بحَربه.

(٤) في المؤتلف: «بل رُبَّ». وفي التعازي والمَراثي: «نَهْبٍ حَسَنٍ». وفي رسالة الغُفران: «يا رُبَّ بيتٍ حَسَنٍ بَنَيْتُهُ». وفي رواية أخرى فيها: «بَيْتٍ حَسَنٍ». وفي معجم ما استعجم: «ومَغْنَمٍ في غارةٍ حَوَيْتُهُ». وفي الروض الأنف: «ومَغْنَمٍ يَوْمَ الوغى حَوَيْتُهُ». وفي ألف با: «كَمْ مَغْنَمٍ يَوْمَ الْوَغى حَوَيْتُهُ».

(٥) في الشعر والشعراء: «ورُبَّ عَبْلٍ خَشِنٍ لَوَيْتُه». وفي معجم ما استعجم: يا ربَّ غَيْلٍ حَسَنٍ ثَنَيْتُهُ». والغَيْل: الساعد المتلئ.

(٦) في التعازي والمراثي: «ومِعْصَمٍ ذي بُرَةٍ لَوَيْتُهُ». وفي محاضرات الأدباء: «ومِعْصَمٍ ذي مِرَّة لَوَيْته». وفي معجم ما استعجم، والرَّوض الأنف، وألف با: «ومِعْصَمٍ مُوَشَّمٍ لَوَيْتُهُ». والمِعْصَم: موضع السِّوار من اليَدِ. والمُخَضَّب: المطليّ بالخضاب، وهو الحنّاء وغيره مِمّا يُصْبَغ به.

(٧) في رسالة الصاهِل والشاحِج: «أنحى عَليَّ الدهرُ كَفًّا ويَدَا». وفي معاني القرآن، وتفسير الطبري: «أنحى عَلَيَّ». وفي حماسة البحتري: «رِجْلاً أَوْ يَدَا».

٢ ـ والدَّهْرُ ما أصْلَحَ يَوْمًا أفْسَدَا[١]

٣ ـ يُصْلِحُهُ الْيَوْمَ وُيفْسِدُهُ غَدَا[٢]

تخريج شعر دويد بن زيد بن نهد القضاعي

(١)

١ ـ ٦	في طبقات فحول الشعراء ١: ٣١ ـ ٣٢، والتكملة والذيل، والقاموس المحيط، والتاج (دود)، والمزهر ٢: ٤٧٥ لِدُوَيْد بن زَيْد. وزاد محمود شاكر البيت السادس نقلاً عن مصادره، وهو ليس في أصل الطبقات.
١، ٤، ٣، ٥، ٦، ٢	في جمهرة الأمثال ١: ٨٤، وأمالي المرتضى ١: ٢٣٧ لِدُوَيْد. وكرّر صاحب الأمالي البيت الثالث مرّتين بروايتَين مختلفتَين.
١ ـ ٥	في الشعر والشعراء ١: ١٠٤، والزينة ٣٤، والمؤتلف ١٦٤، وشرح ما يقع فيه التصحيف ٤٢٨ لِدُوَيْد.
٤، ٥، ٢، ٣، ١	في المحاسن والمساوئ ١: ٤٣٥ لدويد.
٤، ٥، ١ ـ ٣	في المعمّرون ٢٥ ـ ٢٦ لدويد.
١، ٤، ٦، ٢، ٣	في التعازي والمراثي ٢٦٤ ـ ٢٦٥، والروض الأنف ١: ١١٠، وألف باء: ٨٧، لدويد النهدي. وفي رسالة الغفران ٣٣٢ دون عزو. وفي محاضرات الأدباء ٤: ٤٩٦ ـ ٤٩٧ لدريد بن الصمَّة، وهو خطأ

---

(١) في رسالة الصاهِل والشاحِج «أقْسَم لا يُصْلِحُ إلاَّ أفْسَدَا». وفي معاني القرآن، وتفسير الطبري: «يُقْسِمُ لا يُصْلِح إلاَّ أفْسَدا».

(٢) في المعمّرون، وجَمْهرة الأمثال، وأمالي المُرْتَضى: «يُفْسِد ما أصلَحه اليومَ غدا». وفي معجم ما استعجم: «ويُنْشِدُ الموتُ إذا الموتُ عدا». وفي معاني القرآن: «فيصلحُ اليَوْمَ ويُفْسِدُهْ غَدَا» بتسكين الهاء. والبيت بهذه الرواية شاهد على أنَّ العَرَب يقفون على الهاء المُكَنَّى عنها في الوَصْل إذا تحرَّك ما قبلها ـ أنظر معاني القرآن ١: ٣٨٨. والتسكين للدال خَفَّفَ لفظَ الفِعل. وهو ضرورة شعريَّة: أنظر ضرائر الشعر ٩٣ ـ ٩٦. وانظر في باب ما يسكن استخفافًا، وهو في الأصل عندهم مُتَحرِّك ـ كتاب سِيْبَوَيه ٤: ١١٣ فما بعدها، والخصائص ١: ١٢٨ ـ ١٢٩، والتمام في تفسير أشعار هديل ٤٢ ـ ٤٣، ١٨٠.

١، ٥، ٦، ٢، ٣، في معجم ما استعجم ٣٤ لدويد النهدي.

(٢)

١ ـ ٣	في المعمّرون ٢٥، والزينة ٣٤، والمؤتلف ١٦٤، وجمهرة الأمثال ١: ٨٤، وأمالي المرتضى ١: ٢٣٧ لدويد، وفي معجم ما استعجم لذُوَيْد بن زَيْد، وهو تصحيف. وفي معاني القرآن ١: ٣٨٨، ورسالة الصاهل والشاحج ٤٧٩، وتفسير الطبري ١٣: ٢١ (ط شاكر) دون عزو. وفي حماسة البحتري ٢١٥ لسليمان بن المهاجر.

٧ ـ أَعْصُر بن سَعْد بن قَيْس عَيْلان

١ ـ إسمهُ ولقبهُ ونسبهُ

إسم هذا الشاعر مُنَبِّه[١]، وقد لُقّب بأعْصُرَ لبيتٍ قاله، هو:

أَعُمَيْرُ إنّ أباكِ شَيَّبَ رَأْسَهُ كَرُّ اللَّيالِي واخْتِلافُ الأعْصُرِ

ذكر ذلك ابن سلاّم، وأضاف: «وقد يقول قوم: يَعْصُر، وليس بشيء»[٢]. ونسب شاعرنا هو: أعْصُر بن سَعْد بن قَيْس عَيْلان بن مُضَر بن نِزار بن مَعدّ بن عَدْنان[٣]. وجدُّ أعْصُر هو قَيْس عَيْلان، ويقال إنّه إلياس بن مُضَر، وأنّه وَلَدَ قَيْسًا، ودهمان. «والأصحّ أنّه قَيْسٌ بن مُضَر، وأنّ عيلانَ عَبْدٌ حَضَنَهُ، فنُسب قيسٌ إليه»[٤].

وفي اللسان روى ابن منظور: «وعَيلان اسم أبي قيس بن عيلان. وقيل كان اسم فرس فأضيف إليه، قال الجوهريّ: «ويقال لإلياس بن مُضَر بن نِزار، قيس عيلان، وليس في العرب عيلان غيره، وهو في الأصل اسم فرسه، ويقال هو لقب مُضَر، لأنّه يُقال له قيس بن عيلان»[٥].

(١) أنظر ابن سلاّم، طبقات فحول الشعراء ١: ٣٣، وابن قتيبة: الشعر والشعراء ١: ١٠٤، وابن دُرَيْد: الاشتقاق ٢٦٩، والمرزباني: معجم الشعراء ٤٣٢ .
(٢) م. ن ١: ٣٣، وقارن بابن منظور: اللسان (عصر).
(٣) أنظر ابن حزم: جمهرة أنساب العرب ١٠ .
(٤) م. ن ٢٤٣ .
(٥) إبن منظور: اللسان (عيل).

أمّا سَعْد أبو أغْصُر، فقد وَلَدَ غيرَ أغْصُرَ، غطفانَ، وأمّهما تُكْمَة بنت مرّ بن أُدّ. وقد ولدت قبلهما من غير سَعْد سليمًا وسلامان ومازنًا بني منصور بن عكرمة بن حصفة، فهؤلاء الثلاثة إخوة غطفان وأغْصُر لأمّهم. وأغْصُر وغطفان أخوان لأبٍ وأمّ[1].

وكَون أغْصُرَ أخًا لغطفان مُؤشّر قويّ على قِدَم شاعرنا، وعلى أنّه من أجيال الشعراء الجاهليّين الأوائل كما سنرى.

أمّا أغْصُر بن سَعْد فأبناؤه: «مازِنٌ: وهم باهِلة، وعَمْرو، وهم غَنِيٌّ، وأمّهما هَمْدانِيّة، وثَعْلبة وعامر ومعاوية، أمّهم الطفاوة بنت جَرْم بن ربّان وإليها ينسبون»[2].

وقد أفادنا الأنباري (٣٢٨ هـ ـ ٩٣٩ م) أنّ بطون أغْصُر يسمّون «دُخانًا»، «وذلك أنّ ملكًا من ملوك اليمن أغار على مَعَدّ، فدخل هو وأصحابه كهفًا، فدخّن عليهم منَبّهٌ، فهلكوا فسمّي دخانًا، فغَنِيٌّ وباهِلة يُقال لهما ابنا دخان، وقال منصور بن عكرمة بن خَصَفَة في ذلك:

إنّا وَجَدْنا أَغْصُرَ بن سَعْدِ   مُيَمَّمَ البيتِ رفيعَ المَجْدِ

أهْلَكَ ذا الأسوارِ عَنْ مَعَدّ»[3]

ولا نعرف مَن هو هذا الملك اليمنيّ المُسمّى ذا الأسوار... كما نجهل متى وقع تصدّي منبّه لهذا الملك المُغير على مَعَدّ، ولكنّنا رغم ذلك لا نفتقد بعض الصُّوى التي تعيننا في تقدير زمان شاعرنا.

٢ ـ زمانه

يتبيّن لنا من التدقيق في آباء الشاعر الجاهليّ طُفَيْل الغَنَوي الذي ينحدر من صُلب أغْصُرَ بن سَعْد بن قَيْس عَيْلان، أنّ أحد عشر أبًا، أو تسعة آباء، يفصلون بين طُفَيْل وأغْصُر بن سَعْد. فقد روى مُصنّف **الأغاني** أنّ ابن الكلبي قال في طُفَيْل: «هو طُفَيْل بن عَوْف بن كَعْب بن خلف بن ضُبَيْس بن خُلَيْف بن مالك بن سعد بن عوف

(١) الأنباري: **شرح المفضّليات** ١٠٢، وابن قتيبة: **المعارف** ٨٠.
(٢) إبن حزم: **جمهرة أنساب العرب** ٢٤٤ و٤٨٠.
(٣) الأنباري: **شَرح المفضّليات** ١٠٢.

ابن كعب بن غنم بن أَعْصُر بن سعد بن قيس بن عيلان» وأضاف أبو الفرج: «ووافقه ابن حبيب في النسب إلاّ في خلف بن ضبيس، فإنّه لم يذكر خلفًا وقال هو طفيل بن عوف بن ضُبَيْس»[1].

وإذا أخذنا بالعدد الأقلّ للآباء الذين يقعون ما بين أعْصُر وطُفَيْل، وهو تِسْعة آباء، نستطيع، وفق ما اعتدناه فيما مضى، أن نقول: إنّ ما بين طُفَيْل الغَنَويّ، وشاعرنا يقرب من مائة وثمانين عامًا. وإذا كان طفيل الغنوي ـ كما يروي أبو الفرج ـ أقْدَم شعراء قيس[2]، وأنّه كان حيًا منذ مطلع النصف الثاني من القرن السادس حتّى نهايته ـ كما يقول دارِسُ حياته وشعره الدكتور محمّد عبد القادر أحمد[3] ـ صحَّ لنا الزعم بأنّ أعْصُر بن سَعْد كان من رجال القرن الرابع الميلاديّ.

وإذا تركنا نسب طُفَيْل الغَنَوي المُنْتِهي بأعْصُرَ بن سعد بن قيس عيلان، ونظرنا في نسب النابغة المُنْتَهي بأخي أعْصُر، وهو غَطَفان ـ كما تقدَّم، يتبيَّن لنا أنّ عدد الآباء ما بين النابغة وغطفان اثنا عشر أبًا[4]، وهو عدد قريب جدًّا من عدد الآباء الذين يفصلون بين طُفيل وأعصر، ويكاد يكون متماثلاً معه. وإذا وضعنا في الحسبان أنّ طُفيلاً الغنوي أسنُّ من النابغة وأقدم منه، وكلاهما من رجال القرن السادس الميلاديّ، فهذا دليل آخر على أنّ شاعرنا كان من رجال القرن الرابع الميلاديّ.

ولدينا دليل ثالث على تقدُّم أعصُر بن سعد، وكونه من رجال القرن الرابع، وهو اقترانه بالطفاوة بنت جَرْم بن ربّان. وهي امرأة قضاعيَّة، لو أكملنا نسبَها لكان: جَرْم بن ربّان بن حُلْوان بن عِمران بن الحافي بن قضاعة[5]. وهذه المرأة التي تزوّجت أعصر بن سعْد، تلتقي بالشاعر الجاهليّ زُهَيْر بن جَناب الكلبي بجدهما حُلْوان. فحُلْوان هو الأب الثالث لها، والأب الثالث عشر لزهير بن جناب[6]. وعليه فثمّة عشرة آباء يفصلون

---

(١) الأصفهاني: **الأغاني** ١٥: ٣٤٩.
(٢) م.ن ١٥: ٣٤٩.
(٣) أنظر عبد القادر أحمد: **طُفَيْل الغَنَوِي ـ حياته وشعره** ٦٥.
(٤) الأصفهاني: م. س ١١: ٣. فالنابغة هو: زِياد بن معاوية بن ضباب بن جناب بن يربوع بن غيظ بن مرة ابن عوف بن سعد بن ذبيان بن بغيض بن رَيْث بن غطفان بن سعد.
(٥) أنظر ابن حزم: **جمهرة أنساب العرب** ٤٥١.
(٦) أنظر نسب زهير بن جناب الكلبي في الباب الثالث من هذه الدراسة.

بين الشاعر زهير بن جناب، وهو من رجال القرن الخامس وبعض السادس، وزوج أعْصُر ـ الطُّفاوة بنت جَرْم بن رَبّان، وهذا يشير، للمرّة الثالثة، إلى أنّ أعْصُر وُجِدَ نحو القرن الرابع الميلاديّ. ولقِدَم هذا الشاعر ذُكِر بين الشعراء الجاهليّين الأوائل عند كلّ من ابن سلاّم[1]، وابن قتيبة[2]، وأبي حاتم الرازي[3]، وأبي أحمد العسكري[4]، والسيوطي[5].

والحقّ أنّنا لا نعرف متى وُلِد أعْصُر ولا متى مات. ولكنّنا نقرأ عند ابن دُرَيْد أنّه كان من المعمّرين[6]. وفي أبياته القليلة التي أصبناها شاهدٌ على أنّه عايَنَ نفاد شبابه، وحلول الشيب في رأسه، وسيأتي الشاهد على ذلك.

شعره

فيما عدا بيْتَيْن فقط، لم نجد لأعْصُرَ بن سَعْد سوى بيت ثالث فقط، وقد رُوِيَ البيتان رقم (١) في شعره على أنهما مثال من الأمثلة على الشعر الجاهليّ القديم، في كثير من المصادر التي عرضت لأقدميَّة هذا الشعر[7]. وها هي ذي الأبيات الثلاثة مع شروحنا وتعليقاتنا وتَخْريجنا لها:

شِعْرُ أَعْصُر بن سَعْد بن قَيْس عَيْلاَن

(١)

في طبقات فحول الشعراء (١: ٣٣): (الكامل)

١ ـ قالَتْ عُمَيْرَةُ: مَا لِرَأْسِكَ بَعْدَمَا ... نَفِدَ الزَّمانُ ـ أَتَى بِلَوْنٍ مُنْكَرِ[8]

٢ ـ أَعُمَيْرَ إنّ أباكِ شَيَّبَ رَأْسَهُ ... كَرُّ اللَّيالي واخْتِلافُ الأَعْصُرِ[9]

---

(١) أنظر ابن سلاّم: طبقات فحول الشعراء ١: ٣٣.

(٢) أنظر ابن قتيبة: الشعر والشعراء ١: ١٠٤.

(٣) أنظر الرازي: الزينة ١: ٣٥.

(٤) أنظر العسكري: شرح ما يقع فيه التصحيف والتحريف ٤٢٨ ـ ٤٢٩.

(٥) أنظر السيوطي: المزهر ٢: ٤٧٥.

(٦) أنظر ابن دُرَيْد: الاشتقاق ٢٦٩.

(٧) أنظر تخريج شعر أعْصُر بن سعد بعد قليل.

(٨) في لطائف المعارف: «قالت أُمَيْمَة.. أَفِدَ المَشِيبُ أتى». وفي الشعر والشعراء، وشرح المفضليّات للأنباري: «نَفِدَ الشبابُ أتَى». وفي الأغاني، ومعجم الشعراء، والممتع في علم الشعر: «فُقِدَ الشباب أتى». وعُمَيرة هي ابنة الشاعر. ونَفِذَ: ذهب وفني. والمنكَر: القبيح وغير المألوف.

(٩) في المحتسب، والخصائص، واللسان، والتاج: «أبنيّ إنّ أباكَ غَيَّر لَوْنَهُ... كَرُّ». وفي لطائف المعارف: =

(٢)

في اللسان (وسط):[١] (الوافر)

١ ـ وقالوا يالَ أشْجَعَ يَوْمَ هَيْجٍ ... وَوَسْطَ الدَّارِ ضَرْبًا واحْتِمايَا[٢]

تخريج شعر أغْصُر بن سَعْد بن قيس عيلان

(١)

١ ـ ٢	في طبقات فحول الشعراء ١: ٣٣، وجمهرة النسب ٢: ١٠٧، والشعر والشعراء ١: ١٠٤، وشرح المفضليّات للأنباري ١٠٢، والزينة ١: ٣٤، والأغاني ١٥: ٣٤٩، ومعجم الشعراء ٤٣٢، والممتع في علم الشعر ٢٥١، ولطائف المعارف ٢٦ لأغْصُر بن سَعْد بن قَيْس عَيْلان.
٢	في شرح ما يقع فيه التصحيف ٤٢٩، والمحتسب: ١: ٢٠٠، والخصائص ٢: ٨٦، والأساس، واللسان، والتاج (عصر) لأغْصُر ابن سَعْد.

(٢)

١	في اللسان، والتاج (وسط) لأغْصُر بن سَعْد. وفي ديوان الأدب ٣: ٢٠٦، ٤٦١، والصحّاح، واللسان (حما)، والصحّاح (وسط) دون عزو.

= «أأَمَيْمُ إنَّ أباكِ غَيَّرَ لَوْنَهُ... مَرُّ الليالي». وفي جمهرة النسب، وشرح المفضليات، والمُمْتِع في عِلْم الشعر: «أباكِ غَيَّرَ لَوْنَهُ... مَرُّ الليالي». والأعصر: مفردها عصر، وهو الدهر والزمن.

(١) البيت أحد مجموعة أبيات عزاها ابن بري عن الأصمعي، في **اللسان** (حما)، إلى أغْصُرَ بن سَعْد، وقد أثبتُّ الأبيات الأخرى في شعر المستوغِر بن ربيعة لأنّها مُتنازَعة بينه وبين مجموعة من الشعراء.

(٢) آل أشْجَع: قبيلة من غَطَفان، وهي أشْجع بن رَيْث بن غَطفَان ـ أنظر **جمهرة أنساب العرب** ٢٤٩ ـ ٢٥٠. والهَيج: الحرب والقتال. و«احتمايا» أصلها: إحتماء، وقعت الهمزة بين ألفَين فقُلِبت ياء... أنظر **الكتاب** ٤: ٣٩٠، وتسكين الوسط في البيت ليس الوجه. ولكنّه لغة لبعض العرب، وفي **اللسان** (وسط): «إذا سكّنْتَ السين من وسط صار ظرفًا». وانظر **ديوان الأدب** ٣: ٢٠٦، **والصحّاح** (حما)، **وضرائر الشعر** ٩٣ ـ ٩٦.

٨ ـ عامِرُ بنُ الظَّرِبِ العَدْوَانِي

لعلَّ أهمَّ ما عُرِفَ عن هذا الشاعر القديم أنّه كان حَكَمًا للعرب، وإمامًا لهم في سوق عكاظ، لا يُعدَل بفهمه فهم، ولا بحُكمه حُكم. وقد سلكه أبو حاتم السِّجِسْتانِي بين المعمّرين، وعدّه محمّد بن حبيب قائدًا جرّارًا يرأس ما يربو على ألف فارس، وقاد معدًّا كلّها إلى اليمن يوم البيداء[١]. فكان واحدًا من ثلاثة اجتمعت عليهم معدّ في الجاهليّة، هم: عامر بن الظَّرِب يوم البَيْداء، وربيعة بن الحارث يوم السلاّن، وكُلَيْب بن رَبِيْعة في يوم خَزاز[٢].

ومن الجدير ذكره، ابتداء، أنّ الآمدي ميّز بين شاعِرَين حَمَلا اسم عامِر بن الظَّرِب، أوّلهما: شاعرنا، والثاني عامِر بن الظَّرِب المُحارِبيّ، وهو شاعر إسلاميّ[٣].

وشاعرنا، نسبًا، هو عامِر بن الظَّرِب بن عَمْرو بن عِياذ بن يَشْكُر بن عَدْوان ابن عَمْرو بن قيس بن عيلان بن مُضَر بن نِزار[٤]. وعامر منسوب، كما هو واضح إلى جدّه الرابع عَدْوان. وعَدْوان هو الحارث بن عَمْرو بن قيس، ولُقِّب بِعَدْوان لأنّه عدا على أخيه فَهْم، فقتَلَه[٥]. وفَهْم وعَدْوان يُقال لهما جَدِيْلة قيس، نسبةً إلى أمّهما جديلة بنت مرّ بن أدّ، أخت تميم بن مُرّ. ومن قبائل عَدْوان بنو يَشْكُر وبنودَوْس ابنا عَدْوان، وهما قبيلتان مشهورتان[٦].

وقد عُرف عن هذه القبيلة كثرة العدد وعِظَم الشأن، وهي حقًّا كذلك، لأنّه من الصعوبة بمكان أن يكون عامر بن الظرب حكمًا في العرب، وقاضيًا لهم، ونافذ القول فيهم، في الجاهليّة، ما لم يكن منتميًا إلى قبيلة عظيمة الشأن، كثيرة الأبناء، متّسعة

(١) أنظر ابن حبيب: المحبّر ٢٤٦.

(٢) أنظر ابن عبد ربّه: العِقْد الفريد ٥: ٢١٣.

(٣) الآمدي: المؤتلف والمختلف ٢٣٠.

(٤) أنظر في نَسَب عامر: السيرة النبويّة ١: ٨٢٢ والمحبّر ١٣٥، والاشتقاق ٢٦٨، وجمهرة أنساب العرب ٢٤٣، ومعجم ما استعجم ٢٠، ونهاية الأرب ٢: ٣٤٣، وفي السيرة ورد اسم عامر غير معرّف بأل «ظرب»، وأجمعت المصادر الأخرى على أنّه «الظَّرِب».

(٥ و٦) أنظر النويري: نهاية الأرب ٢: ٣٤٣.

الأفخاذ والبطون. وممّا يؤيِّد ذلك أنَّ أبا عَمْرو بن العلاء روى أنّ لِعَدْوان ما يزيد على أربعين ألف غلام. وفي رواية أخرى سبعين ألف غلام[1]. وسجّل سطوة هذه القبيلة وعظمتها، قبل أن تتفانى وتتباغض، شاعرها الجاهليّ ذو الإصبع العدواني، حين قال:

عَــذِيــرَ الحَيِّ مِــنْ عَــدْوا ... نَ كــانُــوا حَــيَّــةَ الأرْضِ
بَــغَــى بــعــضُــهــم ظُــلْــمًــا ... فــلــمْ يُــبْــقُــوا عــلــى بَــعْــضِ
ومِــنْــهُــم كــانــتِ الــسَّــادا ... تُ والمُوْفُــوْنَ بــالــقَــرْضِ
ومِــنْــهُــمْ مَــنْ يُــجِــيــزُ الــنَّــا ... سَ بــالــسُّــنَّــةِ والــفَــرْضِ
ومِــنْــهُــمْ حَــكَــمٌ يَــقْــضِــيْ ... فَــلاَ يُــنْــقَــضُ مــا يَــقْــضِــي[2]

والعَدْواني الذي كان يجيز الناس، هو أبو سيَّارة الذي كان يتولّى الإجازة في الحجّ[3]. أمّا الحكمُ الذي لا ينقض حكمه فهو شاعرنا ابن الظَّرِب الذي نُوليه اهتمامَنا هنا.

لقد افتقدنا المعلومات التي تضيء لنا جوانبَ طفولة هذا الشاعر، أو نشأته، أو فتوّته، بَيد أنّ بعض الأخبار المتّصلة بما بعد فتوّته قد وصلتنا، فنحن نعرف أنّه متزوّج من امرأة تدعى ماويّة بنت عوف بن فَهْر[4]، ومن امرأة أخرى تدعى شقيقة بنت معن بن مالك بن باهلة، وهي إحدى أُمّهات الرسول ﷺ[5]. ونعرف من بناته خمسًا، هنّ: فَعْمَةُ، وقد زوَّجها ابن أخيه عامر بن الحارث بن ظَرِب[6]، وزينب، وقد زوَّجها قسيَّ بن مُنبِّه بن بَكْر بن هَوازِن، فكان لها من الأولاد عَوْف وجُشَم، ولكنّها ماتت، فتزوّج قَسِيّ بن منبّه ابنةَ عامر الثالثة عمرة، فولدت له سلامة ودارسًا. وقد كانت عمرة من قبل

(١) أنظر الأصفهاني: **الأغاني** ٣: ٩١، ٨٩، وديوان ذي الإصبع العدواني ٤٧ ـ ٤٨.
(٢) إبن هشام: **السيرة النبويّة**: ١: ١٢١، والأصفهاني: م. س ٣: ٨٩ ـ ٩٠.
(٣) أنظر م. ن ١: ١٢٢، وابن قتيبة: **المعارف** ٣٥ ـ ٣٦، والأصفهاني: م. س ٣: ٩٣.
وقارن بالسجستاني: **المعمّرون** ٦١، حيث ذكر أبو حاتم أنّ عامرًا هو صاحب الإجازة. والإجازة ـ كما شرحها أبو الفرَج ـ هي أن يتقدَّم أبو سَيَّارة الناسَ في الحجّ على حِمار، ثمّ يخطبهم، فيقول: «اللّهمَّ أصلح بينَ نسائِنا، وعاد بين رعائنا، واجعل المالَ في سُمَحائنا، أوْفُوا بعهودِكُمْ، وأكرِمُوا جارَكم... ثمّ ينفر، ويتبعه الناس». **الأغاني** ٣: ٩٣.
(٤) أنظر السجستاني: **المعمرون** ٦٠.
(٥) أنظر ابن سعد: **طبقات ابن سعد** ١: ٦٣.
(٦) السجستاني: م. س ٦٠.

عند صَعْصَعة بن معاوية بن بكر بن هوازن[١]. والابنة الرابعة هي خُصَيْلة[٢]. وقد وصفتها بعض المصادر بأنها جارية لعامر، وليست ابنة له[٣].

أمّا الابنة الخامسة فهي، كأمّها شقيقة بنت معن ـ إحدى أمّهات الرسول ﷺ، وقد ذكرت في (أمّهات النبيّ) لابن حَبيْب، وتُدعى عاتِكة[٤]. وترتيبها بين هؤلاء الأمّهات الثامنة، في حين كانت الأمّ الحادية عشرة في رواية ابن سَعْد (٢٣٠ هـ ـ ٨٤٤ م) عن ابن الكَلْبي[٥]. وستفيدنا هذه المعلومة في تقدير عَصْرِ أبيها عامر بن الظرب بعد قليل.

ونقرأ عند ابن حزم أنّ لعامر إخوة أربعة هم: سَعْد وعَمْرو وصَعْصَعة وثَعْلَبة. وثعلبة هذا هو الجدّ الخامس للشاعر العدواني ذي الإصبع، الذي نسبه أحمد بن عبيد، وغيره، فقالوا: «هو حُرثان بن الحارث (والأصمعي يقول ابن السَّمَوْأل) بن محرث بن شباث بن ربيعة بن هُبيرة بن ثَعْلبة بن الظرب...»[٦]. وسنفيد من معرفة هذا النسب، وصلته بعامر، في تقدير زمان شاعرنا أيضًا.

ولعلّ أبرز مأثرة لعامر بن الظرب هي الحُكْم والقضاء، ويشهد له فيهما جلّ المصادر التي ذكرته، فقد جاء فيها أنّه كان إمامَ العرب في مواسمهم، وقاضيهم في سوق عكاظ، قبل أن تنتقل الإمامة والقضاء إلى بني تميم[٧]. وذكر السجستاني أنّ عامرًا تولّى هذا المقام بعد عَمْرو بن حَمَمة الدَّوْسِي[٨].

(١) أنظر ياقوت: **معجم البلدان** (الطائف)، والأصفهاني: **الأغاني** ٤: ٣٠٤، وابن حزم: **جمهرة أنساب العرب** ٤٥٨ .
(٢) أنظر الزبيدي: **التاج** (مرع).
(٣) أنظر ابن هشام: **السيرة النبويّة** ١: ١٢١، وهنا دعاها بـ (سُخَيْلة)، والسجستاني: م. س ٦٠، والعسكري: **الأوائل**: ١: ٨٩، وياقوت: م. س (الطائف).
(٤) أنظر ابن الكلبي: **جمهرة النسب** (ط الكويت) ١٢٢:١ .
(٥) أنظر ابن سعد: م. س ١: ٦٣، و٥٩ .
(٦) أنظر الأنباري: **شرح المفضّليّات** ٣١٢، وقارن بالأصفهاني: **الأغاني** ٣: ٨٩ والغريب أنّ ثَعْلَبة أخا عامر ابن الظرب، بقي الجدّ الخامس لذي الإصبع، رغم اختلاف آبائه الأُخَر في نسبَيْه، في المصدرَين المذكورَين.
(٧) أنظر أبا عُبَيْدة: **النقائض** ٤٣٨، وابن حبيب: **المحبّر** ١٨١ .
(٨) السجستاني: **المعمّرون** ٥٧ .

وثمّة أحكام لابن الظرب سنّها في الجاهليّة، فجاء الإسلام، فوافقها، منها مثلاً، أنّه حكم في الخنثى حُكمًا جرى الإسلام به[1]. كما كان خلعُه لابنته (فَعْمَة) من زوجها عامر بن الحارث أوّل خَلْع في العرب، كما يزعم السجستاني، وجاء الإسلام فثبَّتَهُ[2]. وروى ابن حَزْم أنّ عامرًا هو أوّل مَن قَضَى بأوّل دية، مقدارها مئة من الإبل. وكان ذلك بعد أن قَتَل زيد بن بكر بن هوازن أخاه معاوية بن بكر بن هوازن[3].

ولم يكن عامر حَكمًا فحسب، بل كان حكيمًا أيضًا والصلة بين الاثنين وثيقة. فقد روى الجاحظ على لسانه قوله: «الرأي نائم، والهوى يقظان، فمَن هنالك يغلّب الهوى الرأيَ»[4]. وكذلك شهد الجاحظ لعامر بالحكمة، والخطابة، والرئاسة، وذكر له قوله: «يا مَعْشَر عَدْوان إنّ الخَيْرَ أُلوفٌ عَزُوْف، ولن يفارقَ صاحبهُ حتّى يُفارقه. وإنّي لم أكن حكيمًا حتّى أتيت الحكماء، ولم أكن سيّدًا حتّى تعبّدت لكم»[5].

وممّا أثر عن قاضي عكاظ الرصانة والعفّة والحلم، فقد كان واحدًا ممّن حرّموا الخمرة والسكر والأزلام في الجاهليّة، الأمر الذي يثير ظنًّا بأنّه ربّما كان واحدًا ممّن طلب الحنيفيّة، كما فعل أفراد معروفون في شبه الجزيرة العربية قبل الإسلام كان من بينهم الشاعر الجاهليّ أميّة بن أبي الصلت.

ونُعِت عامر بأنّه «ذو الحلم» وهو المعني في قول المُتَلَمِّس:

لِذِي الحِلْمِ قبلَ اليومِ ما تُقْرَعُ العَصا وما عُلِّمَ الإنسانُ إلاّ لِيَعْلَما[6]

واختلف الرواة والأدباء في مَن هو «ذو الحِلم»، فقال ابن الأعرابي (٢٣١ هـ ـ ٨٤٥ م): هو عامر بن الظرب، وقيل: بل هو عَمْرو بن حَمَمة الدوسي. ولقِّب بِـ (ذي

---

(١) أنظر ابن حبيب: م. س ٢٣٦، والعسكري: **الأوائل** ١: ٨٩ ـ ٩٠.

(٢) أنظر السجستاني: م. س ٦١، وابن قتيبة: **عيون الأخبار** ٤: ٧٦، والعسكري: م. س ١: ٩٧ ـ ٩٨، وابن سعيد الأندلسي: **نشوة الطرب** ٢: ٥٩١ وانظر في الخَلْع في الإسلام: الطبري: **تفسير الطبري** (ط ٢ ـ ١٩٥٣) ٢: ٤٦١.

(٣) إبن حزم: **جمهرة أنساب العرب** ٢٦٤.

(٤) الجاحظ: **البيان والتبيين**: ١: ٢٦٤، وابن نُباتة: **سَرْح العيون** ٤٦٨.

(٥) الجاحظ: **البيان والتبيين** ١: ٤٠١، ٢: ١٩٩ وانظر حِكَمًا أخرى مفردة لعامر بن الظرب في السجستاني: **المعمّرون** ٥٩، وابن عبد ربّه: **العِقْد** ١: ٦٢، والثعالبي: **التمثيل والمحاضرة** ٣٦، ٣٧، وابن سعيد الأندلسي: **نشوة الطرب** ٢: ٥٩.

(٦) **ديوان المتلمّس** ٢٦.

الحِلْم» كثيرون، منهم سَعْد بن مالك، وعبدالله بن الحارث بن همّام، وقيس بن خالد ذو الجدين...»[1].

وللقرع بالعَصَا قصّة ذكرها الجاحظ، وآخرون غيره، أمّا الجاحظ فقال: إنّ شاعرنا «لمّا أسَنَّ واعتراه النسيان أَمَرَ ابنته أن تقرع له العصا إذا هُوَ فَهَّ عن الحكم وجار عن القصد، وكانت من حكيمات العرب، حتّى جاوزت في ذلك مقدار صُحْر بنت لُقْمان، وهند بنت الخسّ. وجمعة بنت حابس»[2]. وجاء في رواية أخرى أنّ الذي كان يقرع العصا لعامر ابنه الثاني، وليس ابنته[3]. وسواء أكان مَن ينبّه عامرًا، حين يَفِهُ عن الحُكم، الابن أو البنت أو الجارية، فإنّنا نشعر أنّ طابع السَّذاجة ومسحة الخرافة لم يفارقا ذاك الخبر.

وقد كان لعامر حظٌّ من البلاغة والخطابة كما أشرنا، فقد قال الجاحظ: «ومن الخطباء العرب والبُلغاء أكْثَمَ بن صَيْفِي، ورَبيعة بن حَذار، وعامر بن الظرب...»[4].

وتقتضي صفات عامر الآنفة نُضجًا وعمرًا كبيرَين. وفي حوزتنا أخبار كثيرة عن طول عمر شاعرنا، فهو واحد من المعمّرين، وعمره، عند أبي حاتم، مائتا سنة[5]. وفي مصادر أخرى ثلاثمائة سنة[6]. ومع أنّنا نرى مبالغة وتزيُّدًا في هذين الرقمَين نستطيع القول: إنّ عامرًا عُمِّرَ عُمرًا مديدًا فمتى عاش، وما هو زمانه؟

زمانه وأحداث حياته

إنّ ملاحظة جدول نسب ذي الإصبع العدواني ـ كما قدّمنا ـ ومقارنته بنسب عامر بن الظرب، تظهر أنّ الجدّ الخامس لذي الإصبع، وهو ثعلبة، كان أخًا لعامر. وقد

---

(١) أنظر الجوهريّ: الصحّاح، والصغاني: التكملة والذيل، وابن منظور: اللسان والزبيدي: التاج (قرع). وقيل في المأثور: «إنّ العصا قرعت لذي الحلْم» المعنى أنّ الحليم إذا نُبّه انتبه، قاله الأصمعي. وقال ثعلب: إن زعمتم أنّا قد أخطأنا، فقد أخطأ العلماء قبلَنا.

(٢) الجاحظ: م. س ٣: ٣٨، والسجستاني: م. س ٥٨، وانظر المرزوقي: شرح الحماسة ٢٠٥، والميداني: مجمع الأمثال ١: ٣٨، ٣٩.

(٣) أنظر كتاب العصا (ضمن نوادر المخطوطات) ٢: ١٨٧، وابن نُباتة: سرح العيون: ٤٦٩.

(٤) الجاحظ: البيان والتبيين ١: ٤٠١، و٢: ١٩٩.

(٥) السجستاني: المعمرون ٥٦.

(٦) الراغب الأصفهاني: محاضرات الأدباء ٣: ٣٣٢، والميداني: مجمع الأمثال ١: ٣٩، والمدني: أنوار الربيع ٤: ٣٠٠.

أجمع كثيرون ممَّن تحدّثوا عن ذي الإصبع على أنّه كان شاعرًا جاهليًّا معمّرًا[1]. وإذا قدَّرنا ـ كما فعلنا سابقًا ـ لكلّ جَدٍّ من الجدود الخمسة الذين يفصلون بين ذي الإصبع وأخي عامر، (ثعلبة)، عشرين عامًا، نستطيع الزعم أنّ ما يقرب من مائة عام تفصل ما بين ذي الإصبع وعامِر بن الظرب العَدوانيَّين. وبالتالي فمهما كان الزمن الذي أمضاهُ الشاعر المعمّر ذو الإصبع، في الجاهليّة، يمكن لنا أن نُقرِّر باطمئنان أنّ عامر بن الظرب كان يدرج على مسرح الحياة ما بين القرنَين الرابع والخامس الميلاديَّيْن، حتّى إذا ما قدّرنا له مئة وعشرين عامًا، لأنّه من المعمّرين[2]، يكون الربع الأخير للقرن الرابع قد شهد نشأته، والربع الأوّل للقرن الخامس شهد شبابَه وكهولته، والنصف الأخير له شهد شيخوخته ووفاته.

وإذا داخَلَنا شكٌّ في نسب ذي الإصبع، فإنّ جدول نسب آخر لرجل من أعلام الجاهليَّة، هو عَوْف بن الأحوَص، يُفضي إلى النتيجة ذاتها التي حصلنا عليها قبل قليل، فقد ذكر ياقوت الحموي أنّ عامرًا زوَّج ابنتَه لصعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن[3]. فولدت له عامر بن صعصعة. وعامر هذا أبو قبيلة جاهليَّة أنجبت أعلامًا معروفين، من بينهم (عوف بن الأحوص) الذي شهد يوم جَبَلَة[4]. ونَسب عوف بن الأحوص هو: «عَوْفُ بن الأحْوَص بن جَعْفَر بن كِلاب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة بن معاوية»[5]. وقد ذكرنا أنّ عامر بن الظرب كان معاصرًا لصعصعة بن معاوية، لأنّه قد أصهر له. وصَعْصَعَة بن معاوية هو الجدّ الخامس لِعَوْف بن الأحْوَص، أي أنّ ثمَّة خمسة جدود يفصلون ما بين عوف بن الأحوص، وصِهْر عامر بن الظرب العدواني. والجدود الخمسة هؤلاء يذكروننا بالجدود الخمسة الذين يفصلون بين ذي الإصبع، وثعلبة بن الظرب ـ أخي عامر. وعليه فإنّ ما قُلناه هناك يصحّ هنا أيضًا. فيكون عامر بن الظرب قد وُجِد،

(١) أنظر السجستاني م. س ١١٣، والأنباري: شرح المفضّليّات ٣١٢، والأصفهاني: الأغاني ٣: ٨٩، والشريف المرتضى: أمالي المرتضى ١: ٢٤٤، والبغدادي: الخزانة: ٢٨٤ ـ ٢٨٧.

(٢) كانت العرب لا تسمّي الرجل مُعمَّرًا حتّى يعيش مئة وعشرين عامًا على الأقلّ.

(٣) أنظر ياقوت: معجم البلدان (الطائف).

(٤) أنظر في يوم جبلة وتأريخه: أبا عبيدة: النقائض ٢٣٠، ٦٧٦، ٧٩٠، وابن عبد ربّه: العقد ٥: ١٤١، والمسعودي: التنبيه والأشراف ١٧٥، والأصفهاني م. س ١١: ١٤٠، وابن رشيق: العمدة ٢: ٢٠٤، والسهيلي: الروض الأنف ١: ١٣٣.

(٥) الأنباري: شرح المفضليّات ٣٤١، وابن حزم: جمهرة أنساب العرب ٢٨٢، ٢٨٤.

أبًا، قبل يوم جَبَلَة بمئة عام على الأقلّ. وهو بالتأكيد من رجال القرن الخامس الميلاديّ على الأقلّ.

وثمّة دليل ثالث يمكن إضافته، وهو أنّ عاتكة بنت عامر بن الظرب، هي الجدّة الثامنة للرسول ﷺ ـ حسبما يذكر ابن حبيب في كتابه **أمّهات النبيّ**[١]، والحادية عشرة من **جَدّات الرسول** ﷺ ـ حسبما يذكر ابن سَعْد عن ابن الكلبي[٢]. فإذا طبّقنا القاعدة السابقة التي تضع مقابل كلّ أب من الآباء عشرين عامًا، يتأكّد لنا أيضًا أنّ عامرًا كانت له ابنة في مطلع القرن الخامس الميلاديّ. ويعزّز من صحّة تقديراتنا السابقة أنّ الأسود الغُنْدجاني، وهو من رجال القرن الخامس الهجريّ، يقول: إنّ عامرًا وُجِد قبل الإسلام بمئتَي عام[٣]. وسنرى ما يؤيّد ذلك في تقديرنا لزمان الشاعر الجاهليّ الأوّل سَعْد بن زيد مناة بن تميم بعد قليل.

ويتّسق تقديرنا للفترة التي نظنّ أنّ شاعرنا عاش فيها، مع الأحداث التي يُروى أنّ الشاعر شهدها، فقد ذكر ابن حبيب أنّ عامرًا قاد رَبيعة ومُضَرَ وقضاعة يوم البَيداء لليمن، عندما تَمَذْحَجَتْ على بني معدّ[٤]. والبَيداء اسم لأرض ملساء بين مكّة والمدينة. ويوم البيداء أو البيضاء[٥]، ربّما كان أقدم أيّام العرب، أو من أقدمها. وقد نعته ابن عبد ربّه بأنّه أوّل وقعة كانت بين تهامة واليمن، وأنّ عامرًا هو الذي قاد معدًّا كلّها في هذا اليوم، وفيه سارت مذحج إلى تهامة، فظهرت عليها عرب الشمال برئاسة عامر ابن الظرب[٦]. وقد تفرّد الميداني بالقول: «هذا من أقدم أيّام العرب، وهو بين حِمْيَر وكلْب، ولهم فيه أشعار كثيرة»[٧].

---

(١) أنظر ابن الكلبي: **جمهرة النسب** (ط الكويت) ١: ١٢٢.

(٢) أنظر ابن سعد: **الطبقات** ١: ٦٣، وقارن بـ ص ٥٩ أيضًا.

(٣) أنظر الأسود الغُنْدُجانِيّ: **إصلاح ما غَلِط فيه أبو عبدالله النمري** ٦٣.

(٤) إبن حبيب: **المحبّر** ٢٤٦.

(٥) أنظر البكري: **معجم ما استعجم**، وياقوت: **معجم البلدان** (بيداء) و(بيضاء). فالمُلاحَظ أنّ البكري وياقوت لم يذكرا واقعة في هذَين الموضعَين باسم يوم البيداء. ولم يَرِد ذكر لعامر بن الظرب في الأحداث التي سجّلاها في حديثهما عن (البيضاء). وعلى الرغم من أنّ الهمداني ذكر في كتابه: **صفة جزيرة العرب** (البيضاء) فقط، فإنّه لم يُشِر إلى أيّ يوم من أيّام العرب وقع فيها. أمّا الحِمْيري في **الروض المِعْطار**، فقد ذكر (البيضاء) فحسب، ولم يسجّل أيّ وقعة جرت فيها.

(٦) أنظر ابن عَبْد ربّه: **العقد** ٥: ٢١٣، وابن الأثير: **الكامل** ١: ٥٢٣ ـ ٥٢٤.

(٧) الميداني: **مجمع الأمثال** ٢: ٤٣٨.

فهل كان هناك يومان في البيداء، أحدهما بين قبائل الشمال من جهة، وقبائل الجنوب من جهة ثانية، والثاني بين قبائل الجنوب (حِمْيَر وكَلْب) فقط؟

ومهما يكن من أمر، فإنّ يوم البيداء الذي ذكره ابن حبيب، وابن عبد ربّه، وابن الأثير، والذي هَزَم فيه شاعرنا وقومه أعداءهم من اليمن، قديم جدًّا. ولكن ليس في مقدورنا أن نذكر سنة بعينها وقع فيها. وقد سكتت المصادر القديمة ـ فيما نعلم ـ عن ذِكْر أسبابه المفصَّلة، وعن تحديد تاريخ له، لذا تُرِكَ البابُ مفتوحًا للمُؤرِّخين المحدَثين لتقديم اجتهاداتهم، فهذا (جواد علي) يقول في سبب ذاك اليوم: إنّ مجيء مَذحِج، وهي قبيلة قحطانيّة، من اليمن قاصدة متَّسعًا من الأرض، جعلها تصطدم بالقبائل النازلة بتهامة، وهي موطن معدّ في القديم، فبرزت لها عَدْوان، وهزمتها في موضع البيضاء[1]. وفي حين أمسك (جواد علي) عن تحديد زمن هذا اليوم، حدّده من قبل (جرجي زيدان) بأواسط القرن الرابع للميلاد[2]. ولسنا ندري إلى ماذا استند (زيدان) في تحديده لزمن البيداء. ونحن نرى أنّه أسرف في تقديم تاريخ هذا اليوم بعض الإسراف. ولدينا خبران يؤكّدان وجود شاعرنا، وهو بطل هذا اليوم، في أواخر القرن الخامس الميلاديّ، فقد قال الهمداني (نحو ٣٤٦ هـ ـ ٩٥٧ م): إنّ عامرًا قال شعرًا بعد أن أخرجت سعد العشيرة، ربيعة من تهامة بعد وقعة خَزازى[3]، ووقعة خَزازى، التي كان بطلها كُلَيب[4]، حدثت قبل حرب البسوس، التي أُرِّخَ نشوبُها بأواخر القرن الخامس للميلاد[5]. وذلك لأنّ مقتل كُلَيْب هو الذي هاجها. فإذا صَحَّ خبر الهَمْداني، فإنّه يعني أنّ شاعرنا بقي حيًّا إلى ما بعد يوم خُزازى، ومن المستبعد أن يمتدّ عمره مئة وخمسين عامًا، أو أكثر، حسبما يستنتج من مقارنة تأريخ جرجي زيدان ليوم البيداء (أواسط القرن الرابع للميلاد)، بتاريخ يوم خُزازى المشار إليه آنفًا (أواخر القرن الخامس للميلاد).

والخبر الثاني يَروي التقاء عامر بن الظرب مِلكًا حِمْيريًّا، ففي **الأمالي** خبر عالي الإسناد يتّصل بشاعرنا يقول: «حدّثنا أبو بَكْر بن دُرَيْد رحمه الله قال: حدّثنا أبو حاتم قال حدّثني أبو عبيدة قال: حدّثني غير واحد من هَوازِن من أُوْلي العلم، وبعضهم قد

---

(١) أنظر جواد علي: **المفصّل في تاريخ العرب** ٥: ٣٤٥، ٣٤٦، وعُمَر فرّوخ: **تاريخ الجاهليّة** ٨٣.

(٢) أنظر جرجي زيدان: **العرب قبل الإسلام** (ط القاهرة) ٢٥٤.

(٣) أنظر الهمداني: **شرح القصيدة الدامغة** ٢٦٦.

(٤) أنظر ابن عبد ربّه: **العقد** ٥: ٢١٣.

(٥) أنظر فيليب حتّي: **تاريخ العرب (مطول)** ١: ١٢٠. وعمر فرّوخ: **تاريخ الأدب العربيّ** ١: ١١٠.

أدرك أبوه الجاهليّة أو جدّه، قال: اجتمع عامر بن الظرب العدواني وحُمَمة بن رافع الدوسي... عند ملك من ملوك حِمْيَر، فقال: تساءلا حتّى أسمعَ ما تقولان، قال عامر: أين تحبّ أن تكون أيادِيك؟...»[1].

والذي يهمُّنا أن نلاحظه هو أنّ عامرًا أدرك مع حُمَمة الدوسي ملكًا حميريًّا لا نعرفه، ولكنّنا نستطيع القول، إذا وثقنا بهذا الخبر، إنّ عامرًا كان حيًّا قبل العام ٥٢٥ م[2]، وهو العام الذي غزا فيه الأحباش اليمن، وقضوا على ذي نواس الحميري آخر ملوكهم، ووضعوا حدًّا للملك الحميريّين في اليمن.

وإذا كنّا قد حاولنا أن نقرن بعض أخبار عامر السابقة بزمن تقريبيّ يحدّد حدوثها، فإنّ ثلاثة أخبار أخرى عنه لا نعرف زمانها بدقّة، فقد روى أبو الفرج الأصفهاني أنّ عامرًا هو الذي لقّبَ قَسِيَّ بن مُنَبِّه، ثقيفًا. وكنّا قدّمنا، نقلاً عن ياقوت الحموي، أنّ عامرًا زوَّج ابنتَهُ لقسي هذا. ولكن أبا الفرج ينقل عن ابن الكلبي أنّ قسيًّا لمّا أتى الطائف، وهي يومئذ منازل فَهْم وعَدْوان، وَجَدَ الظرب العدواني، فتحالف معه. وتزوّج ابنته، فسمّاه عامر عندئذٍ ثقيفًا. وقد جرَّ هذا الزواج عارًا على الظرب لأنّ ثقيفًا هو عبد إياد، كما يُقال[3].

وثمّة غموض في خبر ثانٍ يذكر صِدامًا، ما بين إياد وقيس. فقد جاء في **الأغاني** أنّ حَرْبًا وقعت بين إياد، ورهط من قيس، كان عامر بن الظرب رئيسهم، فظفرت قيس، ونَفَتْ إيادًا إلى ثمود، فأنكرت إياد عندئذ أن تكون من نِزار، فقال عامِر بن الظرب:

قالتْ إيادٌ قَدْ رَأَيْنا نَسَبَا ... في ابْنَيْ نزارٍ ورَأَيْنا غَلَبَا

سِيرِيْ إيادُ قَدْ رَأَيْنا عَجَبَا ... لا أَصْلُكُمْ مِنّا فَسامِي الطَّلَبَا

دارَ ثَمُودٍ إذْ رَأَيْتِ السَّبَبَا[4]

والخبر الثالث يقول: إنّ قيسٍ عيلان رَغبتْ في البيت، وخزاعةُ يومئذ تليه، فساروا، ومعهم قبائل من العرب، ورأّسُوا عليهم عامر بن الظرب العدواني، واتّجهوا إلى

---

(١) القالي: **الأمالي** ٢: ٢٧٧.

(٢) أنظر جواد علي: م. س ٢: ٥٩٤.

(٣) أنظر الأصفهاني: **الأغاني** ٤: ٣٠٣ ـ ٣٠٥، وياقوت: **معجم البلدان** (الطائف).

(٤) الأصفهاني: م. س ٤: ٣٠٥.

مكّة في جمع لهام، فخرجت إليهم خُزاعة، فاقتتلوا، فهُزِمت قَيْس، ونجا عامِرٌ على فرس له جواد، فأنشد قَيْس بن الحُداديّة قصيدة، منها:

لَقَدْ سُمْتَ نفسَكَ يا بْنَ الظَّرِبْ ... وجشَّمْتَهُمْ مَنْزِلاً قَدْ صَعُبْ
وحَمَّلْتَهم مركبًا باهِظًا ... مِنَ العِبْءِ إذْ سُقْتَهُمْ للشَّغَبْ
بِحَرْب خُزاعَةَ أهْلِ العُلاَ ... وأَهْلِ الثَّناءِ وأهْلِ الحَسَبْ[1]

وعلّق أبو الفرج الأصفهاني على قصيدة هذه الأبيات بقوله: «هذه القصيدة مصنوعة، والشعر بيِّن التوليد».

والذي يبدو لنا أنّه ليس الشعر وحده هو المصنوع فحسب، بل القصّة، التي رُويت بين يدَيه لتكون مناسبة له، مصنوعة أيضًا.

شعره

لم يصل إلينا خبر يفيد بأنّ عالمًا من العلماء القدامى صنع شعر عامر، ولهذا قمنا بتتبّع مجموعة كبيرة من كتب التراث، فتيسّر لنا الوقوع على اثنَين وخمسين بيتًا، معزوّة لابن الظرب. وقد توزّعت في قصيدَتين، وثماني مقطّعات. وهي أشعار لا يخلو بعضها من زيف وافتعال، كما لا يخلو بعضها الآخر من صدق وأصالة...

ومن شعر عامر المختلف فيه مقطّعتان، ينازعه فيهما شعراء أُخَر. فَمِمَّا يُعْزَى إلى ابن الظرب وإلى غيره:

أَصْبَحْتُ شَيْخًا أَرَى الشخصَيْن أربعةً ... والشَّخْصَ شخصَيْن لمَّا شَفَّني الكِبَرُ

وهي ثلاثة أبيات، وقد نَسَبَها البحتري إلى شاعرنا، في حين نجدها في **ديوان ذي الإصبع العدواني**، ونجدها مُعْزُوَّة إلى قَرَدة بن نُفاثة السلولي في كلٍّ من **الاستيعاب**، و**أسد الغابة**، وكذلك عُزيت أبيات منها إلى ذي الإصبع في **المعمّرون**، و**الخزانة**. وإلى قردة بن نفاثة السلولي في **سمط اللآلي**[2]. وبسبب كثرة المصادر التي عَزَتْها إلى غير عامر، لا نستطيع ترجيح عزوها له.

---

(١) الأصفهاني: م. س ١٤: ١٤٨، ١٤٩، وشعر قيس بن الحدادية في مجلّة المورد العراقيّة مج ٨ ـ العدد ٢ ـ ١٩٧٩ ص ٢٠٦.

(٢) أنظر تخريج المقطوعة في نهاية شعر عامر.

أمّا المقطوعة الثانية، وهي قوله:

تقولُ ابْنَتِي لمَّا رَأَتْني كأنَّني　　سَليمُ أفاعٍ، لَيْلُهُ غيرُ مُوْدَعِ

وهي أربعة أبيات، فقد نسبها إلى عامر بن الظرب **مجمع الأمثال، وأنوار الربيع**، ونُسِبَت إلى عَمْرو بن حَممة في **المعمّرون، والإكليل، ومعجم الشعراء**. ورُوِيَ البيت الرابع منها للدوسي في **تفسير الطبري**[1]. وقِدَمُ المصادر التي عَزَتْها إلى ابن حَمَمة الدوسي، وكثرتها، يميلان بنا إلى الظنّ أنّ المقطوعة للدوسي، لا لابن الظرب.

أمّا الأشعار الباقية وهي (٤٤) بيتًا، فثمّة أسباب عديدة لتضعيف كثير منها، واتّهامه، لعلّ أبرزها تفرُّد مصدرٍ بعينه في إيرادها، وفقدان تواتر روايتها عند العلماء والمُصنِّفين، وابتعاد أساليب الشعر فيها عن أساليب الشعر الجاهليّ، وورود بعض المصطلحات التي أخذت تدخل في نسيج أشعار الأمويِّين والعبّاسيِّين، بعد عهد الجاهليّة، الذي لمفرداته قاموس معهود، في الأعمّ الأغلب.

وربّما يطول بنا الحديث إذا شئنا أن نُفصّل في كلّ قطعة من القطع الثماني الباقية، لذا نكتفي بالوقوف عند مقطّعتَين، هما: رقم (٣) ورقم (٧)، وننتقل بعدئذٍ إلى الرقم (٦). ففي الرقم (٣) يقول ابن الظرب مادِحًا قومه:

أولئكَ قَوْمٌ شَيَّدَ اللهُ فَخْرَهُمْ　　فَمَا فَوْقَهُ فَخْرٌ وإنْ عَظُمَ الْفَخْرُ

أُناسٌ إذا ما الدَّهْرُ أظْلَمَ وَجْهُهُ　　فأيْدِيهُمُ بِيْضٌ وأوْجُهُهُمْ زُهْرُ

يَصُوْنُوْنَ أَحْسَابًا ومَجْدًا مُؤثَّلاً　　بِبَذْلِ أكُفٍّ دُوْنَها المُزْنُ والبَحْرُ

وهذا شعر عليه مسحة الشعر العبّاسيّ، ويظهر ذلك خاصّة في هذَين البيتَين:

فَلَوْ لامَسَ الصَّخْرَ الأَصَمَّ أَكُفُّهُمْ　　لفاضَ يَنابِيعَ النَّدَى ذلكَ الصَّخْرُ

شَكَرْتُ لَهُمْ آلاءَهُمْ وبلاءَهُمْ　　وما ضاعَ مَعْروفٌ يُكافِئُهُ شُكْرُ

ومن الملاحظ أنّ ثمّة مفارقةً بين معنى البيت الأخير، ومقام المديح وصفاته في العصر الجاهليّ، فإذا كان ابن الظرب هو الذي يمدح قومه بني عدوان، فعلاً، حسبما يزعم صاحب كتاب **غُرر الخصائص الواضحة**، فلماذا يقول في عجز البيت الأخير، «وما ضاع معروف يكافِئهُ شكْرُ» فاحتضان القبيلة لشاعرها، أو لأحدِ أبنائها، وإسداء

---

(١) أنظر تخريج المقطوعة في نهاية شعر عامر.

الخدمات له من حماية أو رعاية أو إغاثة، لا يعني في الجاهليَّة، معروفًا، بل هو واجب قَبَلِيّ، أو قُل: حَقٌّ من حقوق الرجل على قومه، ومثلُ هذا الحقّ التقليديّ الجاهليّ على القبيلة ليس فيه مِنَّة، ولا يستحقُّ شكرًا، بل يستحقّ الولاء وصِدقَ الانتماء، فكيف يصحّ أن يُطلِقَ ابنُ الظرب على هذين المظهرَين من مظاهر العلاقة بين الفرد والقبيلة الجاهليَّة مُصْطَلَحي: (المعروف) و(الشكر)؟ هذا أمر، والأمر الآخر الذي رُبَّما يضعف من صحَّة عَزْو هذه الأبيات لابن الظرب، كما يضعف احتمال كونها شعرًا جاهليًا، هو تفرُّد (الوطواط) في روايتها في **غرر الخصائص الواضحة**، إذ لم أعثر على أيٍّ بيت من أبياتها فيما عُدت إليه من مصادر...

ويمكن أن نسوق قريبًا من تلك الحجج، لاتِّهام المقطوعة رقم (٧)، التي يقول فيها عامر:

فَسَعْدٌ أرْحَلَتْ مِنْها مَعَدًّا ... وكيفَ تصاقِبُ الداءَ الدَّفِيْنا

فيا سَعْدُ بنُ مالِك يالَسَعْدٍ ... وهَلْ سَعْدٌ لِنُصْحي يَنْزِعُوْنا

فلا تُقْصُوا مَعَدًّا إنَّ فيها ... إلافَ اللهِ والأمْرَ السَّنينا

فمَذْحِجُ قدْ نأى منْ بَعْد قُرْبٍ ... فيا للهِ يا لِلْمُسْلِمِيْنا

فمن أسباب ردِّ هذه الأبيات الرِّكَّة البادية في تعابيرها، وروح التلفيق التي تشيع في أعطافها، كما هي الحال في البيت الأخير، الذي لا يكاد يقوم به معنى، وإيراد بعض الألفاظ والمصطلحات الإسلاميَّة التي تكشف زيفَها، وتُبطل نِسبَتَها إلى الجاهليَّة، كقوله: (إلافَ اللهِ)، (الأمر السنين) و(يا لله يا للمسلمين).

وهناك لون آخر من ألوان الشكّ في شعر عامر بن الظرب، وهو التزيُّد في ما ينسب إليه من أشعار، ففي المقطوعة رقم (٦)، نجد أنّ (وَهْبَ بن منبّه) قد ساق منها (١٣) بيتًا، في حين لم تذكر المصادر الأخرى التي أوردت بعضًا منها، أكثر من ثلاثة أبيات، وعلى الرغم من أنّنا لا ننتظر من هذه المصادر أن تروي جميع الأبيات التي رواها وهب، فإنّنا نشكُّ في رواية وَهب. وقد مرّ بنا ترخُّص هذا العالِم في رواية الشعر الجاهليّ المنحول من قبل. ونمثِّل لذلك الشعر بما رُوِيَ لعامر في آخر هذه القصيدة كقوله:

وهَيْهاتَ هيهاتَ هذا الرَّدَى ... يريدُ صروفًا ليقضي حِماماْ

ولا بُدَّ لي من بلوغ الْمَدَى ... وألْحَقُ عادًا ونوحًا وسَاْما

فنَسجُ هذا الشعر نَسجٌ غريب، وهو أشبه ما يكون بكلام مؤلّف معقود بقوافٍ، لا خيرَ فيه، ولا ثقة في روايته، ولا اطمئنان لفحواه ومعانيه.

وأخيرًا فقد آن الآوان لنسوق جميع شعر عامر بن الظرب الذي جمعناه مشروحًا ومُخرَّجًا وفق منهجنا في صُنع شعر الشعراء السابقين:

شعر عامر بن الظرب العدواني

(١)

في الأغاني (٤: ٣٠٥)[١]: (الرجز)

١ ـ قالَتْ إيادٌ قَدْ رَأَيْنا نَسَبَا

٢ ـ في ابْنَي نِزارٍ، ورَأَيْنا غَلَبَا[٢]

٣ ـ سِيْرِي إيادُ، قَدْ رَأَيْنا عَجَبَا

٤ ـ لاَ أَصْلُكم مِنَّا، فسامِيْ الطُّلَبَا

٥ ـ دارَ ثَمُوْدٍ إذْ رأيتِ السَّبَبَا[٣]

(٢)

في التيجان (٢٦٥): (الطويل)

١ ـ أرَى الدَّهْرَ سَيْفًا قاطِعًا كُلَّ ساعةٍ يُقَدِّمُ مِنَّا ماجِدًا بَعْدَ ماجِدِ[٤]

٢ ـ وأنَّ المنايا قَدْ تَرِيْشُ سِهامَها على كلِّ مَوْلُوْدٍ صَغِيْرٍ ووالِدِ[٥]

٣ ـ وكلُّ بني أُمٍّ سَيُمْسُوْنَ لَيْلَةً ولمْ يبقَ من أعْيَانِهم غيرُ واحِدِ[٦]

---

(١) قَدَّمَ أبو الفرج لهذه الأبيات بقوله: «وقد قيل: إنّ حربًا كانت بين إياد وقيس. وكان رئيسهم عامر بن الظرب، فظفرت بهم قيس، فنفَتْهم إلى ثمود، وأنكروا أن يكونوا من نزار. قال: وقال عامر بن الظرب في ذلك: (الأبيات)».

(٢) الغَلَب: الفوز والظفر، والغلب غِلَظُ الرقبة، ويوصف السادة أبدًا بغلَظِ الرقبة وطولها.

(٣) ثَمود: قبيلة من العرب البائدة، ويقال: إنّهم من بقيّة عاد، وهم قوم صالح، ويقال: إنّ إيادًا من ثمود ـ أنظر الأغاني ٤: ٣٠٥، والاشتقاق ٥٢٤، وجمهرة أنساب العرب ٨ ـ ٩، ٤٨٦، اللسان (ثمد).

(٤) الماجِد: المفضال والشريف وكثير الخير.

(٥) راشَ السهمَ يَرِيشهُ رَيْشًا: إذا ركّب عليه الريش.

(٦) الأعيان: مفردها عَيْن، وهو الشريف الفاضل.

(٣)

في غُرَر الخصائص الواضحة (٢٥٥)[١]: (الطويل)

١ ـ أُوْلَئِكَ قَوْمٌ شَيَّدَ اللهُ فَخْرَهُمْ ... فَمَا فَوْقَهُ فَخْرٌ وإنْ عَظُمَ الْفَخْرُ

٢ ـ أُناسٌ إذا ما الدَّهْرُ أَظْلَمَ وَجْهُهُ ... فأيْدِيْهُمُ بِيْضٌ، وأوْجُهُهُمْ زُهْرُ[٢]

٣ ـ يَصُوْنُوْنَ أُحْسابًا ومَجْدًا مُؤَثَّلاً ... بِبَذْلِ أكفٍّ دونَها المُزْنُ والْبَحْرُ[٣]

٤ ـ سَمَوْا في المَعالِيْ رُتْبَةً فَوْقَ رُتْبَةٍ ... أَحَلَّتْهُمُ حَيْثُ النَّعائِمُ والنَّسْرُ[٤]

٥ ـ أضاءَتْ لهم أحسابُهُمْ فَتَضاءَلَتْ ... لنورِهِمُ الشَّمْسُ المُنِيرَةُ والْبَدْرُ

٦ ـ فَلَوْ لامَسَ الصَّخْرَ الأصمَّ أكُفُّهمْ ... لفاضَ يَنابِيعَ النَّدى ذلكَ الصَّخْرُ

٧ ـ شَكَرْتُ لهمْ آلاءَهُمْ وَبلاءَهُمْ ... وما ضاعَ مَعْروفٌ يُكافِئهُ شُكْرُ

٨ ـ ولوْ كانَ في الأرْضِ البسيطةِ مِنْهُمُ ... لِمُعْتَبَطٍ عافٍ، لَمَا عُرِفَ الفَقْرُ[٥]

(٤)

في المحبَّر (٢٣٩): (البسيط)

١ ـ إنْ أشْرَبِ الخَمْرَ، أشْرَبْها لِلَذَّتِها ... وإنْ أدَعْها، فإنِّي ماقِتٌ قالِ[٦]

٢ ـ لَوْلاَ اللَّذاذةُ والقَيْناتُ لمْ أرَها ... ولا رَأَتْني إلاَّ مِنْ مَدَىً عالِ[٧]

٣ ـ سالِبةٌ لِلْفَتَى مَا لَيْسَ في يَدِهِ ... ذَهَّابةٌ بِعُقُولِ القومِ والمالِ[٨]

---

(١) قَدَّمَ الوطواطُ لهذه الأبيات بقوله: «قال عامر بن الظرب يمدح قومه». والقصيدة من الشعر المتّهم.

(٢) قوله: «أيْدِيْهُمَ بِيْض». كناية عن كرمهم وعظيم شأنهم. واليد البيضاء التي لا تمنُّ لشرفها في العطاء. والأوجه الزهر: الأوجه البيض. والزهر: مفردها الزاهِر أو الأزهَر، وهو الحسن والأبيض من الرجال.

(٣) الأحساب: مفردها حسب، وهو الفَعال الصالح، وما يعدُّه المرءُ من مفاخر آبائه. والمُؤَثَّل: القديم المُؤَصَّل من أثَلَ أثُولاً. وتأثَّلَ: تأصَّل. والمُزْن: السحاب عامّة، وقيل: السحاب ذو الماء. والمزنة واحدة المزن. وقيل المزنة: السحابة البيضاء. والمزنة أيضًا: المطرة.

(٤) النعائم: مفردها نَعامة، وهي كلّ بناء على جبل.

(٥) في مطبوع غُرَر الخصائص: «لِمُغْتَبِطٍ». واجتهدتُ أن أقرأها بالعَين لا بالغَين، لأنّه لا وَجه للرسم الأوّل. والمعْتبط الذي نالته الدواهي. والعافي: طالِب العطاء.

(٦) في نشوة الطرب: «فإنّي فارِكٌ قالٍ». والمَقْت: أشدُّ البغض، والقِلَى: البُغْض والكُرْه.

(٧) في المحبَّر: «اللذاذةُ والفِتيان لَمْ.. مَدَى الغالِي». وأثبَتُّ رواية المِلَل والنِّحَل. وفي الممتع في علم الشعر: «اللذاذة والفتيان لَمْ».

(٨) في المحبر: «سَآلَةٌ للفَتى ما لَيْسَ يَمْلكُهُ». وأثبتُّ رواية المُمْتِع. وفي المِلل والنِّحَل، ونشوة الطرب: «سآلةٌ للفتى».

٤ ـ مُوْرِثَةُ القومِ أضْغانًا بِلا إحَنٍ   مُزْرِيَةٌ بالفَتَى ذِي النَّجْدَةِ الحالِ[١]
٥ ـ أقسمْتُ باللهِ أسْقِيْها وأشربُها   حتَّى يُفَرِّقَ تُرْبُ القَبْرِ أوْصالِي[٢]

(٥)

في غُرَر الخصائص الواضحة (٣٧٣):   (الكامل)

١ ـ إنّي غَفَرْتُ لظالِمِيْ ظُلْمِيْ   وَتَرَكْتُ ذاكَ على عِلْمِيْ
٢ ـ فرأيْتُهُ أسْدَى إليَّ يَدًا   لمَّا أبانَ بِجَهْلِهِ حِلْمِيْ[٣]

(٦)

في التيجان (٢٦٤ ـ ٢٦٥)[٤]:   (المتقارب)

١ ـ لَعَمْرِيْ لَقَدْ ذَهَبَ الأطْيَبانِ:   شَبابي ولَهْوي، فَعَدُّوا المَلاَمَا[٥]
٢ ـ أَلَم تَرَ أنّي إذا ما مَشَيْتُ   أُخَطْرِفُ خَطْوي وأَمْشِي أَمَامَا[٦]
٣ ـ وأكْرَهُ شيءٍ إلى مُهْجَتِي   إذا ما جَلَسْتُ أُرِيْدُ الْقِيَامَا[٧]
٤ ـ وأسْهَرُ لَيْلِيْ على أنَّنِي   أُراعِي الدُّجَى ما أَذُوْقُ المَنَاما
٥ ـ وأرْمِي بطرفِي إذا ما نَظَرْتُ   كأنَّ على الطرفِ مِنِّي غَمامَا[٨]

---

(١) في المِلَل والنِّحَل: «تُورِّثُ القَوْمَ»، والأضغان: مفردها الضِّغْن، وهو الحِقْد، والإحَن: مفردها إحْنة، وهي الحقد في الصدر. وذو النجدة: الشجاع والجريء، والحالي: الحسن المنظر.

(٢) في الممتع في علم الشعر، والملل والنحل: «الأرض أوصالي». ولعلَّ الشاعر أراد في البيت معنى النفي، أي «لا أسْقِيْها وأشْرَبُها»، فحذف «لا» قبل «أسقيها» وهو يريد معناها وهذا جائز ـ أنظر الكتاب ٣: ٨٤، ١٠٥. ومعنى النفي هو الذي ينسجم مع سِياق خبر الأبيات التي جيء بها للاستشهاد على أنَّ عامر بن الظرب كان مِمَّن حرَّمَ الخمر في الجاهليَّة ـ أنظر المحبَّر ٢٣٧.

(٣) أسدى إليه يدًا: اصطنع له معروفًا.

(٤) ذكر صاحب التيجان في مناسبة هذه الأبيات ما ملخَّصه: أنَّ بني أَسَد قتلوا أبناء أبي ذؤيب الهذلي، لذا كرهَتِ العرب فعْلَ بني أَسَد وعظم عليهم قتل بني أبي ذؤيب ظُلْمًا، فقام المُسْتَوغِر الأكبر، وكان عمره ثلاثمائة عام، فقال... ثمَّ قام عامر بن الظرب فقال: أيُّها الناس إنَّ عامر الأيَّام، طليق الأعوام، وغرض السقام، قدفني وجرَّب على أَسف وكَلَف. كلفت بغرور الأمل، وأسفتُ على شبابٍ أفَل. مُنِعْتُ الدنيا، وأعطيت الآخرة، فتركي لمنزلٍ أنا عنه زائل، أحسن من الغَفْلة من منزل أنا إليه راحل... وأنشأ يقول: (الأبيات)». ولم يَرِد البيتُ الثامن في التيجان. وأضفته من المعمَّرون، ومجمع الأمثال، وسرح العيون. والقصيدة من الشعر المتَّهم.

(٥) المَلام واللوم والمَلامة: العَذل. وعدَّى عن الشيء: تَرَكَه وخلاَّه.

(٦) خَطْرَفَ في مَشْيِهِ: توسَّعَ.

(٧) المُهْجَة: خالِص النفس. ومُهْجة كلِّ شيء خالِصه.

(٨) الغَمام: مفردها غَمامة: وهي السحابة البيضاء.

٦ ـ عَـدُوُّ الـنِّـسـاءِ قـلـيـلُ الـعَـزَاءِ كـثـيـرُ الأسـى مـا أَلَـذُّ طَـعـامَـا

٧ ـ أَرَى شَـعـرَاتٍ عـلـى حـاجِـبَـيَّ بِـيْـضًـا رقـاقًـا طِـوالاً قِـيـامَـا[1]

٨ ـ أظـلُّ أهـاهِـيْ بـهـنّ الْـكِـلا بَ، أحْـسَـبُـهُـنَّ صِـوارًا قِـيـامَـا[2]

٩ ـ أَظَـلُّ أُراعِـي بِـهِـنَّ الـنُّـجُـومَ أَراهـا هِـلالاً عَـلاَ، فـاسْـتَـقـامَـاْ

١٠ ـ وأَحْـسَـبُ أنفي إذا ما مَـشْـيْـ ـتُ شَـخْـصًـا أمامي رَآنِـي فَـقَـامَـاْ

١١ ـ أرجِّـي الحياةَ وطُـوْلَ الْـبَـقـاءِ وعَـفْـوَ الـسَّـلامـةِ عـامًـا فَـعَـامَـا

١٢ ـ وهَـيْـهاتَ هَـيْـهاتَ هذا الرَّدَى يُـريدُ صُـرُوْفًـا لِـيَـقْـضِـي حِـمـاما[3]

١٣ ـ ولا بُـدَّ لِـيْ مِـنْ بـلـوغِ المَدَى وأُلْـحِـقَ عـادًا ونُـوْحًـا وسـامـا

(٧)

في شرح القصيدة الدامغة (٢٦٦)[4]: (الوافر)

١ ـ فَـسَـعْـدٌ أَرْحَـلَـتْ مِـنْـها مَـعَـدًّا وكَـيْـفَ تُـصاقِـبُ الدَّاءَ الدَّفِـيْـنَـاْ[5]

٢ ـ فَـيَاْ سَـعْـدُ بنُ مالِـكٍ يا لَـسَـعْـدٍ وهلْ سَـعْـدٌ لنُـضْـجِـي يَـنْـزِعُـوْنَـاْ[6]

٣ ـ فلا تُـقْـصُـوا مَـعَـدًّا، إنَّ فِـيْـهـا إلافَ اللهِ، والأمْـرَ الـسَّـنِـيْـنَـاْ[7]

---

(١) في المعمّرون: ومجمع الأمثال، وسَرْح العيون: «بيضًا نبتْنَ جميعًا تُؤَامًا».

(٢) لم يرد هذا البيت في التيجان. وأضفناه هنا نقلاً عن المصادر الأخرى. وفي مجمع الأمثال: «ظَلَلْتُ أُهَاهِي». وفي سَرْح العيون: «صوارًا فِئاما» وقال السجستاني: «أهاهِي: أَزْجُرُها، أقول: هَأْهَأْ»، المعمّرون ٥٦ ـ ٥٧ . وفي اللسان: «الهَأْهَأَة: دُعاء الإبل إلى العلف، وهو زَجْر الكلب وإشلاؤه» ـ اللسان (هأهأ).

(٣) الصروف: مفردها الصرف، وهو حَدَثان الدهر، وسُمِّي بذلك لأنّه يصرف الأشياء عن وجوهها. والحِمام: قضاء الموت وقدره، من قولهم حُمَّ كذا، أي قدِّر.

(٤) قال الهمداني في مناسبة هذه الأبيات: «سَعْد العشيرة هي التي أخرجت ربيعة من تهامة بعد وقعة خزازى، وجميع مَن كان بها من نزار، فقال عامر بن الظرب بن عباد بن يشكر بن عدوان بن عمرو بن قيس بن عيلان. (الأبيات)». والأبيات من الشعر المتّهم.

(٥) في الإكليل: «يصاقبُ الداءُ الدفينُ». وبهذه الرواية يقع إقواء في البيت ـ أنظر شرح القصيدة الدامغة ٢٦٦. وصاقَبَ: قارَبَ. والداء الدَّفين: الذي لا يُعْلَم حتّى يظهر فيه شرّ وعرّ.

(٦) قال الهمداني: «مالِك هو مذحج، وإنّما سُمّي مَذْحِجًا لأنّه وُلِد على أكمة يقال لها: مَذْحِج»، شرح القصيدة الدامغة ٢٦٦ .

(٧) في الإكليل: «والأمر السمين». والإلاف: العَهْد. وإلاف الله: أمان الله. وقيل مَنزلة من الله. والسنين: فعيل بمعنى مفعول من سنّ الشيء يسنُّه، فهو مَسنون وسَنِين.

٤ ـ فَمَذْحِجٌ قَدْ نَأَى مِنْ بَعْدِ قُرْبٍ فَيَا للهِ، يا لِلْمُسْلِمِينَا[١]

(٨)

في معجم ما استعجم (٢٠ ـ ٢١)[٢]: (الطويل)

١ ـ قُضاعةَ أجْلَيْنا مِنَ الغورِ كُلِّهِ إلى فَلَجاتِ الشَّامِ تُزْجِي المَواشِيَا[٣]

٢ ـ لَعَمْرِي لَئِنْ صارَتْ شَطِيْرًا دِيارُها لَقَدْ تأْصِرُ الأَرْحَامُ مَنْ كانَ نائِيَا[٤]

٣ ـ وما عَنْ تَقالٍ كانَ إخْراجُنا لَهُمْ ولكنْ عُقوقًا مِنْهُمُ كانَ بادِيَا[٥]

٤ ـ بِما قَدَّمَ النَّهْدِيُّ، لا دَرَّ دَرُّهُ غَداةَ تَمَنَّى بالحِرارِ الأَمانِيَا[٦]

ما يُنْسَب إلى عامِر بن الظرب وإلى غيرِهِ مِنَ الشُّعَراء

(١)

في حماسة البحتري (٢٠٤)[٧]: (البسيط)

١ ـ أَصْبَحْتُ شَيْخًا أَرَى الشَّخْصَيْنِ أَرْبَعةً والشَّخْصَ شَخْصَيْنِ لمَّا شَفَّنِي الْكِبَرُ[٨]

---

(١) في شرح القصيدة الدامغة: «فمذحج قد نأأونا بعد قرب». وفيها غموض وتحريف. وقد أثبتنا ما ينسجم مع المعنى والوزن.

(٢) قال البكري في مناسبة هذه الأبيات: «اجتمعت نزار بن معدّ على قضاعة، وأعانتهم كِنْدة واجتمعت قضاعة، وأعانتهم عكّ والأشعرون، فاقتتل الفريقان، فقهرت قضاعة، وأجلوا عن منازلهم، وظعنوا مُنْجدِيْن، فقال عامِر بن الظرب: (الأبيات)».

(٣) في أنساب الأشراف: «أجْلَيْنا من... جَنباتِ الشام تُزْجي المَواشِيا». والغَوْر: ما انْحَدَر مَسِيلُه، والمُراد هنا تهامةُ وما يلي اليمن. والفَلَجات مواضع بالشام ـ أنظر معجم البلدان (فلجة). وتُزجي: من أَزْجَى الشيء، إذا ساقه ودفعه.

(٤) في أنساب الأشراف:

فإنْ يَكُ قَدْ أَمْسَى شَطِيْرًا دِيارُها فقدْ يَصِلُ الأرحامَ مَنْ كانَ نائيا

والشَّطِيْر والشَّطْر: النِّصف. وأصِر يأصِرُ أصْرًا: كَسَرَ وعَطَف، ومنه الآصِرة، وهي ما عطفك على رجل من رَحِم، أو قرابة، أو معروف.

(٥) التقالِي: التباغُض والتكارُه. وعَقَّ يَعِقُّ عقوقًا ومَعَقَّةً: خالَفَ وأنكر المعروف.

(٦) قوله: «لادَرَّدَرُّه» تعبير ذَمٍّ وإنكار لِمَا أتى به النهدي، ويعني لا كثُرَ خيرُه. والحِرار: مفردُها حَرَّة، وهي أرض ذات حجارة سُوْد نَخِرة كأنّها أُحْرِقت بالنار، وهي مواضع كثيرة في بلاد العرب ـ أنظر معجم البلدان (حَرَّة).

(٧) وتُرْوَى الأبيات لذي الإصبع العدواني، ولقَرَدَة بن نُفاثة السَّلُولي ـ أنظر التخريج.

(٨) في أُسْد الغابة: «أرى الشَّيْخَيْن أربعةً... لمَّا مَسَّني الكِبَرُ». وفي السِّمْط، والاستيعاب: «لمَّا مسَّني الكِبَرُ». وشفَّ يَشِفُّ شُفُوفًا: نَحَل وهَزُل.

٢ ـ لا أسْمَعُ الصَّوْتَ حتَّى أسْتَدِيْرَ لَهُ وحالَ بالسَّمْعِ دُوْنِي المَنْظَرُ العَسِرُ[١]
٣ ـ وكُنْتُ أمْشِي على الرِّجْلَيْن مُعْتَدِلاً فَصِرْتُ أمْشِي على ما تُنْبِتُ الشَّجَرُ[٢]

(٢)

في مجمع الأمثال (١: ٣٩)[٣]: (الطويل)

١ ـ تَقُوْلُ ابْنَتِي لمَّا رَأَتْنِي كَأَنَّنِي سَلِيْمُ أَفاعٍ لَيْلُهُ غَيْرُ مُوْدَعِ[٤]
٢ ـ فَمَا السُّقْمُ أَبْلاني، ولَكِنْ تَتَابَعَتْ عليَّ سِنُوْنٌ من مَصِيْفٍ ومَرْبَعِ[٥]
٣ ـ ثَلاثُ مِئِيْنَ قَدْ مَرَرْنَ كَوامِلاً وها أَنَا هذا أرْتَجِي مَرَّ أَرْبَعِ[٦]
٤ ـ فأصْبَحْتُ مِثْلَ النَّسْرِ طارَتْ فِراخُهُ إذا رامَ تَطْيارًا يُقَالُ لَهُ: قَعِ[٧]
٥ ـ أُخَبِّرُ أخبارَ القُرُوْنِ التي مَضَتْ ولا بُدَّ يومًا أنْ يُطارَ بِمَصْرَعِي[٨]

تخريج شعر عامر بن الظرب العدواني

(١)

١ ـ ٥ في الأغاني ٤: ٣٠٥ لعامر بن الظرب العدواني.

(٢)

١ ـ ٣ في التيجان وملوك حِمْيَر ٢٦٥ لعامر بن الظرب العدواني.

---

(١) في حماسة البحتري: «لَهُ... لَيْلاً طويلاً ولو عانانِيَ القَمَرُ». وفيها تحريف. وأثبتُّ رواية الاستيعاب، وأسد الغابة. وفي المعمّرون، والخزانة: «لَهُ.. ليلاً وإن هُوَ ناغانِي بِهِ القَمَرُ». والمنظر العَسِر: المنظر الشديد المُلْتاث.

(٢) في السمط: «أمْشِي على ساقَين... ما يُنْبت الشجر». وفي الاستيعاب، وأُسْد الغابة: «أمْشِي على الساقَين».

(٣) قال الميداني عن عامر بن الظرب قبل هذه الأبيات: «يُقال إنّه عاش ثلاثمائة سنة، وهو الذي يقول: (الأبيات)». وتُروَى الأبيات أيضًا لعَمْرو بن حَمَمة الدوسي.

(٤) في المعمّرون: «كَبِرْتُ وطالَ العمرُ حتَّى كأنّني». وفي معجم الشعراء: «كبرتُ وطالَ العُمْرُ مِنّي كأنّني». وسليم الأفاعي: لديغها، والعرب تسمّي اللديغَ سليمًا، تيمُّنًا بسلامته. والمودّع: الساكِن، من الدَّعَة، وهي الهدوء والسكينة.

(٥) في مجمع الأمثال، وأنوار الربيع: «وما الْمَوْتُ أَفْنَانِي ولكنْ». وفي المعمّرون: «فما الموتُ أفْضاني ولكن». وأثبتنا رواية معجم الشعراء لِجَوْدَتِها. والسُّقم والسَّقم: المرض.

(٦) في معجم الشعراء: «ثلاثُ مِئينَ من سِنينٍ كوامِلٍ». وفي المعمّرون: «وهاأنذا».

(٧) في معجم الشعراء: «فأصبحتُ بين الفَخِّ في العُشِّ ثاوِيًا» تحريف. ولعلّها «مِثْلَ الفرخِ». وفي المعمّرون: «يَقُلْنَ لَهُ: قَعِ».

(٨) في معجم الشعراء: «أُخبِّرُ أخبارَ السنينَ التي مَضَتْ».

(٣)

١ ـ ٨	في غُرَر الخصائص ٢٥٥ لعامر بن الظرب العدواني.

(٤)

١ ـ ٥	في المحبَّر ٢٣٩، والمِلَل والنِّحَل ٢: ٢٤٢ لعامر بن الظرب.
١ ـ ٣، ٥	في الممتع في علم الشعر ٦٣ ـ ٦٤ لابن الظرب.
١ ـ ٣	في نشوة الطرب ٢: ٥٩١ لابن الظرب.

(٥)

١ ـ ٢	في غرر الخصائص الواضحة ٣٧٣ لابن الظرب.

(٦)

١ ـ ٧، ٩ ـ ١٣	في التيجان في ملوك حمير (ط ٢) ٢٦٤ ـ ٢٦٥ لابن الظرب.
٥	في نشوة الطرب ٢: ٥٩٠ لابن الظرب.
٧ ـ ٨، ١٠	في المعمَّرون ٥٦ ـ ٥٧، ومجمع الأمثال، ١: ٣٩ لابن الظرب.
٧ ـ ٨	في سَرْح العيون ٤٦٩ لابن الظرب.

(٧)

١ ـ ٤	في شرح القصيدة الدامغة ٢٦٦ لابن الظرب.
١، ٣	في الإكليل ١: ٢١٩ (ط بغداد) لابن الظرب.

(٨)

١ ـ ٤	في معجم ما استعجم ٢٠ ـ ٢١ لابن الظرب.
١ ـ ٢	في المؤتلف والمختلف ٢٣٠ لابن الظرب، وفي أنساب الأشراف ١: ١٩ دون عزو.

تخريج ما يُنْسَب إلى عامر بن الظرب، وإلى غيره من الشعراء.

(١)

١ ـ ٣	في حماسة البحتري ٢٠٤ لابن الظرب، وهي في ديوان ذي الإصبع العدواني مع أبيات أخرى ٣٣ ـ ٣٤، وفي الاستيعاب ٣: ٢٧٥، وأسد الغابة ٤: ٢٠١، ومعها بيت رابع لقَرَدة بن نُفاثة السَّلُولي.

١ ـ ٢ في المعمرون ١١٣، والخزانة ٣: ٢٨٤ لذي الإصبع. وفي السمط ٧٨٥ لقَرَدَة بن نُفاثة.

(٢)

١ ـ ٥ في مجمع الأمثال ١: ٣٩، وأنوار الربيع ٣: ٣٠١ لابن الظرب. وفي المعمّرون ٢٨ ـ ٢٩، ومعجم الشعراء ١٧، والإكليل ٢: ٤٥٩ لعَمْرو بن حَمَمة الدوسي.

٩ ـ سَعْد بن زَيْد مَناة بن تَمِيْم

تشكو أخبار هذا الشاعر من بعض الخلط والاضطراب، ومعارفنا عنه مستخلصة من تلك الأخبار التي تقتصر على أسرته، وزمانه، وشعره، وعلى كونه من الشعراء الجاهليّين الأوائل، الذين ورد ذكرهم عند ابن سلاّم الجُمَحي، وفي كتب الأمثال، والنسب، واللغة والأدب.

أسرته

ينتمي سَعْد بن زيد مناة إلى قبيلة تميم، وهي قبيلة مضرية معروفة ذات بطون وأفخاذ كثيرة، منها أبو شاعرنا (زيد مناة)، وقد وَلَد زيد مناة سَعْدًا، ومالِكًا، وعَوْفًا، وأمرأ القيس، وعامِرًا. واستخلص ابن حزم من كتاب نَسب آخر اطّلع عليه أنّ ثمّة ابنًا سادسًا لزيد مناة هو بَكر... وبذا صرنا نعرف أنّ لسعد خمسة أخوة ذكرهم جميعًا ابن حَزْم الأندلسي[١].

أمّا أولاد سَعْد فهم، عند ابن حزم: «كَعْب، وفيه العدد، وعَمْرو، والحارِث وعُوافة، وجُشَم، وعَبْشَمْس، كلّهم يُدْعَوْن الأبناء، حاشا كعب وعَمْرو، فإنّهم يدعون البطون»[٢]. وفي حين ذكر ابن حزم الحارثَ وعُوافة، على أنّ كلاًّ منهما ابن لِسَعْد، جعل ابن دُرَيْد الحارثَ هو عُوافة بالذات، وعبارته هي: «ومن قبائل سَعْد:

(١) إبن حزم: جمهرة أنساب العرب ٢١٣.

(٢) م. ن ٢١٥، وانظر النويري: نهاية الأرب ٢: ٣٤٤، وقارن بأبي عُبَيْدة: النقائض ١٥٠، والزبيدي: التاج (غزر).

كَعْب، وعمرو والحارث وهو عُوافة، وعَبْشَمس، ويلقب مَقْروعًا، ومالِك بن سَعْد، وعَوْف بن سَعْد، والعدد في كَعْب»[1]. ولم يحدِّد ابن دُرَيْد (الأبناء) و(البطون) في هذه القبائل التي تنتمي إلى سعد. ويبدو أنّ هناك خِلافًا في تحديد قبائل الأبناء، فالنويري (٧٣٣ هـ ـ ١٣٣٢ م) يقول: هم عَبْشَمْس، وعُوافة وعَوْف وجُشَم، ومالِك وعَمْرو بنو سَعْد بن زَيْد مَناة[2]. فهو إذًا أضاف إلى الأبناء عَمْرًا، وأغفل الحارث وكعبًا، خِلافًا لِما هي الحال عند ابن حزم. ويبدو أنّ كلاًّ من ابن دُرَيْد، وابن حَزْم، والنويري، لم يستقصِ كلّ أبناء سعد، كما لم يحدِّد لنا أمّهات كلّ منهم، لأنّ سعدًا تزوَّج غير امرأة، وكان من أولاده: هُبَيْرَة وصَعْصَعَة ونَجْدة وجُنادة، وهُم من امرأة تدعى الناقميّة بنت عامر بن مالك[3]. وصَعْصَعَة هو، (أو هي)، الذي كان يقود بسعد البعير لمَّا أسنَّ. في قصَّة ترويها كتب الأمثال[4]. وفي حين ذكر أبو هلال العسكري أنّ هُبَيْرة وصعصعة هما ابنان لسعد، قال الزمخشري (٥٣٨ هـ ـ ١١٣٧ م) هما ابنتان، وليسا ابنَيْن[5].

أمّا زوجات سَعْد، فقد عرفْنا، استخلاصًا، ثلاثًا منهنّ: واحدة من تَغْلِب ذكر الميداني (٥١٨ ـ ١١٣٤ م) أنّها أُمّ صعصعة أبي عامر[6]. والثانية من كَلْب، وتُدعَى رُهم بنت الخزرج[7]. والثالثة تدعى سَلْمى بنت مالِك بن غَنْم، وهي أمّ مالك بن سعد ابن زيد مناة، ونُرجِّح أنّها من بني أسَد، بدليل أنّها، بعد أن هلك سعد بن زيد مناة، ذهبت إلى بني أسد، ومعها ابنها مالك، فتزوَّجها مالك بن ثَعْلبة بن دودان بن أسَد[8].

ومن دواعي الاعتقاد بأنّ سلمى بنت مالك بن غَنْم، من أَسَد، كون بني أسد

(١) إبن دُرَيْد: **الاشتقاق** ٢٤٥.
(٢) أنظر النويري: م. س ٢: ٣٤٤.
(٣) الأصفهاني: **الأغاني** ٥: ٢ ـ ٣، والميداني: **معجم الأمثال** ٢: ١٧٩ ـ ١٨٠، والزمخشري: **المُستَقصَى** ٢: ٥٧.
(٤) أنظر العسكري: **جمهرة الأمثال** ٢: ١١٨، والبكري: **فصل المقال** ١٣٣، والميداني: م. س ٢: ١٧٩ ـ ١٨٠، والزمخشري: م. س ٢: ١٩٢ ـ ١٩٣.
(٥) أنظر العسكري: م. س ١: ٣٦٠، والزمخشري: م. س ٢: ٥٧.
(٦) الميداني: م. س ٢: ١٧٩، وانظر الضبي: **أمثال العرب** ٧٥ ـ ٧٦، والأصفهاني: م. س ٥: ٢ ـ ٣، وابن منظور: **اللسان** (نقم).
(٧) أبو عبيد: **الأمثال** ٧٣، والمفضَّل بن سلمة: **الفاخر** ٦١ ـ ٦٢.
(٨) أنظر الأنباري: **شرح المُفضَّليّات** ١٠٤.

أخوالاً لسعد بن زيد مناة. فأمّه مُفَدَّاة بنت ثَعْلَبة بن دُوْدان بن أَسَد. ومن الراجح جدًّا أن يكون سَعْد قد أَصْهَرَ إلى أخواله، وخاصّة أنّ مالك بن غَنْم، هو أحد أبناء أسد بن خزيمة من ولدِهِ دُوْدان[1].

ويُطلعنا انتماء ثلاث زوجات لسعد إلى ثلاث قبائل عربيّة كبيرة، على سعة علاقات شاعرنا بالقبائل الأخرى، وعلى مكانةٍ لسعد وغنىً يؤهِّلانه للزواج بأكثر من امرأة. ولا جرم، فنحن نعرف أيضًا، من أخبار الشاعر وأسرته، أنّ أخاه مالكًا كان آبَلَ أهل زمانه، أمّا سَعْد ذاته، فكان أَسْوَدَ من أخيه[2]، وقد تولّى شؤون سوق عُكاظ بعدَ عامِر بن الظرب العدواني كما سنرى.

أخبار الشاعر

إقترنت علاقة سعد ببعض إخوته، وأبنائه وزوجاته، بقصّة من القصص التي تداولتها غالبًا كتب الأدب والأمثال، فقد ذكر ابن سلاّم أنّ سعدًا كان أَسْوَدَ من أخيه مالك، وأنّ مالكًا كان تَرْعِيةً يعزب في الإبل، فتزوّج مالك بالنَّوار بنت جَلّ بن عدي ابن عبد مناة... فلمّا اهتداها خَرج سَعْد، فعزب بالإبل، ثمّ أوردها لظمئها، ومالك قد تَزَعْفَر لعرسه، فأراد القيام، فمنعته امرأته، فجعل سعد يزاول سَقْيَها، وهو مُشتمِل ويقول مُعرِّضًا بأخيه مالك:

يَظَلُّ يومَ وِرْدِها مُزَعْفَرا　　وهيَ خَناطِيلُ تَجُوسُ الخُضَرا

فقالت النَّوَار لمالك: ألاَ تسمع ما يقول أخوك؟ أَجِبْهُ. قالَ: وما أقولُ؟ قالَت: قُل:

أَوْرَدَها سَعْدٌ وسَعْدٌ مُشْتَمِلْ　　ما هَكَذا تُوْرَدُ يا سَعْدُ الإِبِلْ

وقد ذهب البيت الثاني من رجز النَّوَار، مثلاً[3].

وثمّة خَبَر آخر يشهد لشاعرنا بالشجاعة والقوّة، فقد وقعت بينه وبين شاعر

---

(١) أنظر جريدة النسب لأسد في كتابنا: بشر بن أبي خازم الأسدي ص ٦٩.

(٢) أنظر ابن سلاّم: **طبقات فحول الشعراء** ١: ٢٨ ـ ٣٠.

(٣) أنظر ابن سلاّم: **طبقات فحول الشعراء** ١: ٢٨ ـ ٣٠، والقالي: **الأمالي** ٢٨ ـ ٢٩، وحمزة الأصفهاني: **الدرّة الفاخِرة**: ١: ٧٢، والعسكري: **جمهرة الأمثال** ١: ٩٣، ٢٠٠، والبكري: **فصل المقال** ٣٤٧، والميداني: **مجمع الأمثال** ١: ٨٦ و٢: ٣٦٤، وابن سعيد الأندلسي: **نشوة الطرب** ١: ٤٤٧، وابن منظور: **اللسان**، والزبيدي: **التاج** (حنظل).

جاهليّ تميميّ آخر، هو جُنْدُب بن العَنْبَر بن عَمْرو بن تميم، مُساجَلةٌ حادَّة، عاب فيها جُنْدُبٌ على سعد أشياء، منها: قعودُهُ عن الكفاح وركوب الخيل... فردَّ سعد على جُنْدب هذه التهم، ثمَّ تنبَّأ بأنّه سيفرج عنه كُرْبةً تُلِمُّ به.! وتزعم الرواة أنّ أَمَةً من تميم أَسَرَتْ جُنْدُبًا، فمرَّ بها سعد فاستغاثه جُنْدُب، فقال سعد: إنّ الجبانَ لا يغيث، فقال جُنْدُب:

يــا أيُّـهــا المرءُ الـكــريمُ المَشْــكُــومْ ... «أنـصـرْ أخـاكَ ظـالِـمًـا أو مـظـلـومْ»

فأقبل عليه سعد، وفكّه من إسارِه...[1]

وتروي كتب الأمثال قصّة تلقيب سعد بالفِزْر. وهي قصّة شائعة معروفة، وخلاصتُها: أنَّ سعدًا قال لابنه هُبَيْرة: سرِّحْ معزاكَ وارعها، فقال: «وا للهِ لا أرعاها سِنَّ الحِسْلِ»[2]. قال: يا صَعْصَعة اسرحْ فيها، قال: لا أسرحُ فيها أُلْوَّة الفتى هُبَيْرة، فذهبتْ كلتاهما مثلَيْن، فغضب سعد، فلمَّا أصبح، غَدَا بالمِعْزى، إلى عكاظ، وقال: إنّ هذه مِعْزايَ لا يحلُّ لِرَجُلٍ أنْ يَدَعَ أخْذَ واحدةٍ منها، ولا يحلّ له أن يجمع بين اثنتين، فانتهبها الناس وذهبوا بها، فقيل لِمَا لا يُرجى ارتجاعه: «حتّى يجتمع مِعْزَى الفِزْر»[3]. وروى المفضَّل الضبّي (١٧٨ هـ ـ ٧٩٤ م) هذه القصّة، وجعل أبطالها صَعْصَعَة وكعبًا، وليس هُبَيْرة وصَعْصَعَة. وفي روايته أدخل زوجة سعد، التي تُدعى الناقِمِيَّة، عُنْصرًا آخر، فقال في ختام القصّة: إنّ سعدًا قال بعد أن عَصاهُ أبناؤه في رَعْيِ مِعْزاه: «إذًا وا لله أُحْسِنُ رعايتَها اليوم، فخرج حتّى اضطرّها إلى أصل عَلَم. ووافق ذلك نفور الناس من عكاظ، فجعل لا يمرّ به جَمْعٌ إلاّ حبسهم، حتّى إذا توافى بَشَرٌ كثير، أمرهم فانتهبوا غَنَمَهُ، وسخطت الناقميّة ما صنع ففارقَتْهُ، فذلك قوله:

أَجَـدَّ فِـراقُ الـنـاقـمـيَّـةِ فـانْـتَـوَتْ ... أَمِ الْبَيْنُ يَحْلَوْلِي لِمَنْ هُوَ مُوْلَعُ»[4]

---

(١) أنظر المفضَّل بن سَلَمة: **الفاخر** ١٤٧ ـ ١٤٨، والبكري: م. س ٢١٥ ـ ٢١٦، والميداني: م. س ٢: ٣٣٤، والزمخشري: **المستقصى** ١: ٣٩٢، والألوسي: **بلوغ الأرب** ٣: ٣١٧.

(٢) الحِسْل: وَلَدُ الضبّ. ولم يوجد دابّةٌ قطُّ أطْول عمراً منه. وسِنُّ كلُّ دابّة يسقط إلاّ سِنّ الحِسْل ـ **أمثال العرب للضّبّي** ٧٥.

(٣) الضبيّ: **أمثال العرب** ٧٤ ـ ٧٥، وأبو عُبَيْد القاسم بن سلاّم: **الأمثال** ٣٨٤، وابن قتيبة: **المعارف** ٧٨، وابن دُرَيد: **الاشتقاق** ٢٤٥، والعسكري: **جمهرة الأمثال** ١: ٣٦٠، والزمخشري: **المستقصى** ٢: ٥٧، وابن منظور **اللسان**، والزبيدي: **التاج** (فزر). والفِزْر، لغةً، هو القطيع من الغنم، وقيل: هو الجدي، وقيل: ابن النمر... إلخ.

(٤) الضبيّ: م. س ٧٦.

ومن أقوال سَعْد المأثورة: «لقد كنتُ وما يُقادُ بِي البعير». وهو أوّل مَن قاله[1]. وقد أُثِرَ عنه بعد أنْ كبر، حتّى صار لا يطيق ركوب البعير، ولا يملك رأسه، فقال هذا المثل مُتحسّرًا على أيّام شبابه، وهو يُؤشِّر، إذا وثقنا به، إلى أنّ سعدًا قد بلغ من العمر عَتِيًّا.

ولكن لسنا ندري في أيّ فترة من عمره المديد هذا تولّى قضاء عكاظ وموسِمَه، ففي النقائض، والمحبّر خبران مُتشابهان، يفيدان أنّ قبيلة تميم تولّت شؤون سوق عكاظ: موسمه وقضاءه، بعد عامر بن الظرب العدواني. وقد كان الحكّام والأئمّة منهم يتقاسمون هذين الشأنَين: القضاء والموسم، فكان الرجل منهم يلي الموسم، ويلي غيرهُ القضاء، إلى أن اجتمع الموسم والقضاء معًا، لسعد بن زيد مناة أوّلاً[2]. ثمّ تولّى ذلك حَنْظَلَةُ بن زَيْدمَناة، ابن أخي سَعْد، وتولاّه بعدئذ ذُؤَيْب بن كَعْب بن عَمْرو بن تميم. وعليه فإنّ (أبا عُبَيْدَة) و(ابن حَبِيْب) أَجْمَعَا على أنّ سعدًا هو أوّل تميمي تولّى بعْدَ عامر بن الظرب العدوانيّ عكاظًا، فمتى كان ذلك؟

زمان سعد

نودُّ ابتداءً أن نشير إلى معاصرة شاعرنا لعامر بن الظرب العدواني، بدليل تولّيه الموسم والقضاء بعكاظ من بعده. وقد قدّمنا أنّ عامرًا وُجِد في بعض القرن الرابع، والقرن الخامس الميلاديَّين، وذلك بأدلّة نَقْليّة واستنباطيّة، تكاد تكون قاطعة. ومن الدلائل النصّيّة ــ كما قدّمنا ــ أنّ (الأسود الغُنْدجاني) قال: إنّ عامرًا وُجِد قبل الإسلام بمِئتَي عام[3]. فهل وُجِد سعد قبل الإسلام بمِئتَي عام أيضًا؟ إنّ الجواب بالإيجاب. وأدلّتنا على ذلك كثيرة، أوّلها مُستَخلَص من ملاحظة التقاء سعد بن زيد مناة نَسب أناسٍ وُجِدوا نحو عام (٤٦٠ م)، أو بعبارة أخرى، قبل الإسلام بمئة وخمسين سنة، وبيان ذلك في الآتي:

لدينا حَدثٌ من أحداث الجاهليّة الكِبار يُدعى (عام الغَدْر)، أو حُجَّة الغَدْر، وقد أشار إليه كلّ من ابن حبيب، والمسعوديّ، والبيروني، وخلاصة الحدث، أنّ أَوْسًا

(١) العسكري: م. س ٢: ١١٨، والبكري: فصل المقال ١٣٣، والزمخشري: م. س ٢: ١٩٢ ــ ١٩٣ .
(٢) أنظر أبا عبيدة: النقائض ٤٣٨، وابن حبيب: المحبّر ١٨٢ .
(٣) أنظر الأسود الغندجاني: إصلاح ما غلط به أبو عبدالله النمري ٦٣ .

وحَصْبَة ابنَي أَزْنَم بن عَبِيْد بن ثعلبة بن يَرْبوع بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة خرجا حاجّين، فلقيا بأنصاب الحرم أُناسًا من اليمن، معهم كسوة الكعبة، فقتلاهم، وأخذا ما معهم، ودخلا مكّة، حتّى إذا كانت أيّام منى، وهدأ الناس، بلغهم الخبر، فغدرت العرب بني تميم، وانتهب بعضهم بعضًا، فسُمّي ذلك العام بعام الغَدْر[1]. وقال ابن حبيب مُؤرِّخًا هذا الحدث: إنّ مَبعث النبيّ ﷺ «على رأس مئة وخمسين سنة من عام الغَدْر»[2]. وسمّى المسعودي هذا الحدث بحُجّة الغدر، ثمّ قال فيها: «وكانت قبل الإسلام بنحو من مائة وخمسين سنة»[3]. فإذا كان تاريخ البعثة نحو السنة ٦١٠ م، فإنّ «الغَدْر» ينبغي أن يكون نحو السنة ٤٦٠ م. ومن المعروف أنّ الرسول ﷺ قد بُعِث، وله أربعون سنة. فهو مولود عام ٥٧٠ م على الأرجح. وهو تاريخ عام الفِيْل ـ كما تذكر الروايات العربيّة. وقد قرّر البيروني أنّ ما بين عام الغَدْر وعام الفيل مئة وعشر سنين[4]. وهو تاريخ يتّفق مع تاريخ ابن حبيب والمسعودي المذكورَين آنفًا.

وهكذا فإنّ أوسًا وحصبة ابنَي أَزْنَم بن عَبِيْد بن ثَعْلبة بن يَرْبوع بن حَنْظلة بن مالك بن زيد مناة، وهما بطلا حجّة الغَدْر، وُجِدا نحو السنة ٤٦٠ م على الأرجح. ويهمّنا الآن أن نلاحظ أنّ مالك بن زيد مناة ـ أخا سعد شاعرنا ـ هو الأب السادس لِذَيْنِكَ الرَجلَين، أعني أوْسًا وحَصْبة. وعليه فهو، وأخوه سعد، يتقدّمان على تاريخ وجودهما، وهو السنة ٤٦٠ م، بما لا يقلّ عن مئة عام، وفق القاعدة التي نطبّقها بخصوص جداول الأنساب، وبعبارة أخرى فإنّ سعدًا قد وُجِد، على الأرجح، في الثلث الأخير من القرن الرابع الميلاديّ، وربّما أدرك قسمًا كبيرًا من القرن الخامس الميلاديّ، فهو قبل الإسلام بنحو مئتَي عام.

والدليل الثاني الذي نذكره على تقدُّم سَعْد في جاهلية العرب الثانية، هو ملاحظة جدول نَسَب أُمّه مُفَدَّاة بنت ثَعْلبة بن غنم بن أسد بن خزيمة، فهي تلتقي نَسَبَ الشاعر الجاهليّ، بِشْر بن أبي خازِم الأَسَدِي، بجدّهما ثَعْلبة بن غَنْم. وثَعْلَبة أبو مُفدَّاة، هو الأب الثامن لِبِشْر. فإذا كان بِشْرٌ من أبناء القرن السادس الميلاديّ، ومن مواليد ثُلثهِ

(١) أنظر ابن حبيب: المحبّر ٧، والمسعودي: التنبيه والأشراف ١٨٩.

(٢) إبن حبيب: م. س ٨.

(٣) المسعودي: م. س ١٨٩.

(٤) أنظر البيروني: الآثار الباقية ٣٤، وقارن بحمزة الأصفهاني: تاريخ سِنِي ملوك الأرض ١١٤.

الأوّل[1]، فإنّ ثَعْلَبة بن دُوْدان، الذي كان حَمَاْ سَعْد، يجب أن يكون قد شهد طرفًا من القرن الرابع الميلاديّ، وهذا استنباط آخر يؤيِّد تقديرنا السابق لوجود شاعرنا قبل الإسلام، بأكثر من قرنَين من الزمان.

والدليل الثالث مُستمدّ من التقاء نسب سَعْد بن زيد مناة، نَسَب الرسول الكريم ﷺ، وهو نسب لا يرقى إليه الشكّ، فقد قال ابن هشام في **السيرة**: «إنَّ جَنْدَلَةَ بنْت فِهْر بن مالِك هي أمّ يَرْبُوْع بن حَنْظَلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم»[2]. وهذا يعني أنّ جَنْدَلَةَ بنت فِهْر هي أخت غالب بن فهر. وغالِب بن فِهْر هو الأب العاشر للرسول ﷺ. ووفقًا لقاعدتنا السابقة، يقع بينه وبين الرسول ﷺ نحو مئتَي عام. وعليه فهو مولود في القرن الرابع الميلاديّ، أي نحو السنة ٣٧٠ م. ولكن ليس هذا هو زمن سَعْد، لأنّ سعدًا ينبغي أن يتقدَّم على هذا التاريخ بأربعين عامًا لأنّه يوازي في وجوده، وجود مالِك بن زيد مناة، وهو الأب الثاني لزوج جَنْدَلَةَ بنت فِهْر ــ يَرْبُوع بن حَنْظَلة بن مالِك.

شعره

ذُكِر سَعْدُ بن زيد مناة على أنّه من الشعراء الأوائل في **طبقات فحول الشعراء**[3]، وفي كتاب **الزينة في الكلمات الإسلاميّة**[4]. أمّا شعره فلم يصل إلينا منه سوى ثمانية أبيات، في ثلاث مُقَطَّعات، أطولها لم يبلغ حدَّ القصيدة. ومن بين تلك الأبيات الثمانية، بيتان من الرَّجَز. وها هي ذي جميعًا بين يديّ القارئ مُحقَّقَةً تحقيقًا كاملاً وشامِلاً:

---

(١) أنظر عادل الفريجات: **بِشْر بن أبي خازِم الأسَدِي** ص ٧٣.
(٢) أنظر ابن هشام: **السيرة** ١: ٩٥.
(٣) إبن سلاّم: **طبقات فحول الشعراء** ١: ٢٨ ــ ٣١.
(٤) أبو حاتم الرازي: **الزينة** ١: ٣٣ ــ ٣٤.

شعر سَعْد بن زَيْد مَناة بن تَمِيْم

(١)

في الفاخر (١٤٨)[١]: (الخفيف)

١ ـ هَلْ يَسُوْدُ الفَتَى إذا قَبُحَ الْوَجْـ ـهُ، وأمْسَى قِراهُ غيرَ عَتِيْدِ[٢]

٢ ـ وإذا النَّاسُ في النَّدِيِّ رَأَوْهُ ناطِقًا، قالَ قَوْلَ غيرِ سَدِيْدِ[٣]

(٢)

في طبقات فحول الشعراء (١: ٣٠)[٤]: (الرجز)

١ ـ يَظَلُّ يَوْمَ وِرْدِها مُزَعْفَرًا ٢ ـ وَهِي خَنَاطِيْلُ تَجُوْسُ الْخَضَرَا[٥]

(٣)

في أمثال العرب للضبّي (٧٦)[٦]: (الطويل)

١ ـ أَجَدَّ فِراقُ النَّاقِمِيَّةِ فانْتَوَتْ أَمِ الْبَيْنُ يَخْلَوْلِي لِمَنْ هُوَ مُوْلَعُ[٧]

---

(١) قال سَعْدُ بن زَيْد مَناة هذين البيتَيْن ردًّا على تحدِّي جُنْدُب بن العَنْبَر بن عمرو بن تميم له، واتِّهامه له بالجُبن. وجاء البيتان في الحديث عن المثل: «أنصرْ أخاكَ ظالِمًا أو مظلومًا» ـ أنظر مجمع الأمثال ٢: ٣٣٤ .

(٢) العتيد: المُعَدُّ الحاضِر.

(٣) النَّدِي: النادِي، ومجتمع القوم، أو مجلسهم ما داموا مجتمعين فيه.

(٤) قال سعد هذين البيتَين يتهكّم بأخيه مالك الذي آثر عروسه على إبله، فقضى يومه في زعفرانه وطيبه، وترك ورد إبله. وكان سعد يزاول سقيَ الإبل، وهو مُشْتَمِل، ويرفق. وقد سمعت النوار ـ زوج مالك، ما قاله سعد، فقالت لزوجها مالك: أجِبْ أخاك. قال: وما أقول؟

قالَتْ قُلْ:

أوْرَدَها سَعْدٌ وسَعْدٌ مُشْتَمِلْ ما هكذا تُوْرَدُ يا سَعْدُ الإبِلْ

أنظر طبقات فحول الشعراء ١: ٢٨٠ ـ ٣٠، والزينة ١: ٣٣، والدرة الفاخرة ١: ٧٢، وفصل المقال ٣٤٧ .

(٥) في الدرّة الفاخرة، والصحّاح، وفصل المقال، ومجمع الأمثال (١: ٨٦)، واللسان، والتاج: «تظلّ يوم». والمُزَعْفَر: من الزعفران، وهو صِبْغٌ معروف، وهو من الطيب. والخناطِيل: جماعات الإبل المتفرّقة في المرعى. وهو مِمّا جاء على صيغة الجَمْع، ولا واحد له من جنسه، وتجوس: تطأ وتدوس. والخضر: سعف النخل وجريدهُ الأخضر.

(٦) قال سَعْدٌ هذه الأبيات بعد أن فارقَته الناقميّة، وهي رَقاشِ بنت عامر، وقد غضبت منه، بعد أن انتهب الناس غنمه بعكاظ ـ أنظر: أمثال العرب للضبّي ٧٦، والمستقصى في أمثال العرب ٢: ٥٧، وانظر في الناقميّة أيضًا الأغاني: ٥: ٢ ـ ٣، واللسان، والصحّاح (نقم).

(٧) في النوادر، والمُسَلْسَل، واللسان: «الناقميّة غُدْوَةً». وأجَدّ: أي أصارَ الأمرُ جدًّا، لا هزلاً.. =

٢ ـ لَقَدْ كُنْتُ أَهْوَى النَّاقِمِيَّةَ حِقْبَةً وَقَدْ جَعَلَتْ أَقْرانَ بَيْنٍ تَقَطَّعُ[١]

٣ ـ فَلَوْلاَ بُنَيَّاها: هُبَيْرةُ إِنَّهُ بُنَيٌّ الذي يَشْفِي سَقامِي وصَعْصَعُ[٢]

٤ ـ لكانَ فِراقُ النَّاقميَّةِ غِبْطَةً وهانَ عَلَيْنا وَصْلُها حِيْنَ يُقَطَّعُ[٣]

تخريج شعر سعد بن زيد مناة بن تميم

(١)

١ ـ ٢ في الفاخر ١٤٨، ومجمع الأمثال ٢: ٣٣٤، وبلوغ الأرب ٣: ٣١٧ لِسَعْد بن زَيْد مَناة بن تميم.

(٢)

١ ـ ٢ في طبقات فحول الشعراء ١: ٣٠، والزينة ١: ٣٣، والدرّة الفاخرة ١: ٧٢، وذيل الأمالي ٣: ٢٩، والصحاح (خطل)، وفصل المقال ٣٤٧، ومجمع الأمثال ١: ٨٦، ٢: ٣٦٤، والتكملة والذيل (خضر)، والتاج (حنظل) لِسَعْد بن زَيْد مَناة. وهما في التهذيب ٧: ١٠٥، والصحاح (حنظل)، واللسان، والتاج (خضر) دون عزو.

(٣)

١ ـ ٤ في أمثال العرب للضبي ٧٦ لسعد بن زيد مناة.

١ ـ ٢ في النوادر ١٦٠، واللسان (نقم) لسعد بن زيد مناة. وفي المسلسل في غريب لغة العرب ٩٩ لسعد بن ميادة، وهو خطأ.

٢ في اللسان، والتاج (أسن) لسعد. وفي التهذيب ١٣: ٨٥، والمقاييس ١: ١٠٥ دون عزو، وعجزه في المُخصص ٩: ١٧٤ دون عزو.

= والناقميّة: مَنسوبة إلى أبيها عامِر بن مالك، وهو الناقِم وسُمِّيَ بذلك، لأنّه انتقم بلطمة لُطِمَها ـ الأغاني ٥: ٢ ـ ٣، والمُوْلَع: اللجوج في طلبه وحاجته.

(١) في المقاييس: «وقد كُنْتُ.. آسانَ بَيْنٍ». وفي النوادر، والمخصص، والمسلسل، واللسان، (نقم): «فَقَدْ جُعلتْ آسانَ بَيْنٍ». وفي التاج (أسن): «آسانُ وَصْلٍ تَقَطَّعُ». والأقران: مفردها قَرَن، وهو الحبل. والبَين: الوَصل والفِراق، فهو من الأضداد ـ أنظر اللسان (بين)، والأضداد، للأنباري ٧٥ .

(٢) هُبَيْرة وصَعْصَعَة: هما ابنا سَعْد بن زيد مناة. والسَّقام: المَرَضُ والعِلَّة.

(٣) الغِبْطَةُ: النعمة والسرور.

١٠ ـ العَنبَر بنُ عَمرو بن تَمِيم

هذا شاعر آخر من تميم، يبدو بوضوح أنّه حفيدٌ لِتَميم بن مُرّ بن أُدّ بن طابِخة ابن إلياس بن مُضَر. فقد ولد تميم بن مرّ: الحارِث، وعَمْرًا، وزيد مناة[١]. وإذا عرفنا أنّ سعدًا الذي مضت أخباره، هو ابن زيد مناة بن تميم وأنَّ شاعرنا هذا هو ابن عمرو بن تميم، أدركنا أنّ الشاعرَين أبناء عمومة، وكلاهما حفيد لتميم بن مرّ بن أدّ، لولدَيْه زيدمناة، وعَمْرو.

ولم يَلِدْ عَمْرو بن تميم العَنْبَرَ فحسب، بل وَلَدَ أيضًا الهُجَيْم، وأسدًا، ومالِكًا، والحارث وقليبًا، وكَعْبًا. وبذا يصبح للعنبر ستّة إخوة، يروي ابن حَزْم أنّهم جميعًا من تميم[٢]. ولكنّ حمزةَ الأصفهاني (٣٥١ هـ ـ ٦٦٢ م) يُشَكِّكُ في انتساب العنبر إلى تميم، ويقول: إنّه من بهراء، وانّ أُمّه هي أمّ خارجة، وتُدعى عَمْرة بنت سَعْد بن عَبْد اللات من بني أنمار بن بجيلة، وقد تزوّجها عامر بن عمرو بن لَحْيُون البَهْراني، فأنجبت له ستّة أبناء، هم: بَهْراء، وثَعْلبة، وهِلال، وبَيان، ولَخْوة، والعَنْبَر[٣].

ولكن في حوزتنا روايات أُخر أسبق زمنيًا من رواية الأصفهاني تؤكّد أنّ العنبر هو ابن عمرو بن تميم، ولم تأتِ به أُمّه معها قبل زواجها بعمرو. فقد ذكر المفضّل الضبّي أنّ العَنْبَر وأَسَيْداً والهُجَيْم وقُلَيْباً، هم أولاد عمرو بن تميم من أمّ خارجة[٤]، وكذلك ردَّ ابنُ سلاّم قولَ مَن يقول: إنّ العَنْبر من بَهْراء، فقال: «وقد قال: قوم: إنّه من بَهْراء، فجاور عمرو بن تميم، وأنّه قال:

قَدْ رَابني مِنْ دَلْوِيَ اضْطِرابُها ... والنَأْيُ عَنْ بَهْراءَ واغْتِرابُها

ولا نرى ذلك كما قالوا، بل هو كما ذُكِر: العَنْبَر بن عمرو تميم»[٥].

أمّا أولاد العَنْبَر فهم في جمهرة أنساب العرب: جُنْدُب وكَعْب[٦]. وعرفنا

---

(١) و (٢) إبن حزم: جمهرة أنساب العرب ٢٠٧.

(٣) أنظر حمزه الأصفهاني: الدرة الفاخرة ١: ٢٢٤ ـ ٢٢٥، والمبرد: الكامل ٢: ٦٢ ـ ٦٣، وابن منظور: اللسان، والزبيدي: التاج: (قرب).

(٤) أنظر الضبيّ: أمثال العرب ٥٨، وابن حزم: م. س ٣٨٩ ـ ٣٩٠.

(٥) إبن سلاّم: طبقات فحول الشعراء: ٢٦ ـ ٢٧.

(٦) إبن حَزْم: جمهرة أنساب العرب ٢٠٨.

استنتاجًا أنّ للعنبر ابنةً تدعى الهَيْجُمانة، وقد عَشِقَها عَبْشَمْس بن سَعْد بن زيد مناة، وكان يزورها فنهاهُ قومه عن ذلك فأبى، حتّى وقعت الحرب بين قومه، وقومها، فأغار عبشمس بجيشه على رَهْطِها، فعلمت به الهَيْجُمانة، وأخبرت أباها... وتمضي الرواية فتذكّر أنّ العنبر نجا من تحت الليل، وصبَّحهم بنو سَعْد، فأدركوهم، وقتلوا منهم ناسًا كثيرًا، ثمَّ إنَّ عَبْشَمْس تَبِعَ العنبر حتّى أدركه على فرسه، فلمّا لحقه قال له: يا عنبرُ دَعْ أهلَكَ فإنْ لنا، وإنْ لكَ. فأجابه العنبر: لكن مَنْ تقدَّمَ منعتُهُ، ومَن تأخَّر عقرتُه، فدنا منه عَبْشَمْس، فلمّا رأته الهَيْجمانَة، نزعت خمارَها وكشفت عن وجهها وقالت: يا مَقْرَوْع، وهو لقب عَبْشَمْس، نشدتُكَ الرَّحِمَ لما وهبتَه لي. فقال: لقد خفتُكِ على هذه منذ الليلة، وتضرَّعت إلى عبشمس فوهبه إليها. وقد أثر على لسان أبطال هذه القصَّة أقوال مشهورة جرت مجرى الأمثال[1].

وتحدِّثنا بعض المصادر أنّ العنبر قد لُقِّب بالخُضَّم، وذلك لكثرة أكله، ويروى أنّه أكل فَصِيلاً[2].

زمان العنبر

إنّ ما قدَّمناه من علاقة بين العَنْبَر وسَعْد بن زيد مناة، وأهمّها كون تميم بن مرّ جدًّا للشاعرَين، يُثبِت أنّهما متوازيان في النَّسَب، ومُتماثِلان في الوجود في عَصر واحد، وعليه فزمان العَنْبر مقارِب جدًّا لزمان سَعْد بن زيد مناة، أيّ أنّه كان على الأرجح من رجال أواخر القرن الرابع، فالقرن الخامس الميلاديّ.

شعره

ورد اسم العَنْبَر بن عَمْرو بن تميم، بوصفه واحدًا من الشعراء الجاهليّين الأُوائل، عند ابن سلاّم الجُمَحِي إذ قال: «فمن قديم الشعر الصحيح قولُ العَنْبَر بن عمرو بن تميم، وكان جاور في بَهْراء، فرابَهُ رَيْبٌ، فقال...»[3] وساق ثلاثة أرجاز.

وفيما عدا الأرجاز الثلاثة التالي نصُّها، لم نقع على أيّ شعر أو رَجَز لهذا الشاعر

---

(١) أنظر الضبيّ: أمثال العرب ٧٨ ـ ٨٠، وأبا عُبَيْد: الأمثال ٤٨، والميداني، مجمع الأمثال ١: ١٩٢ ـ ١٩٣، والزمخشري: المُسْتَقْصى ١: ٣٨٥.

(٢) أنظر شروح سقط الزند ١٧٩٦ ـ ١٧٩٧، والأنباري، أسرار العربيّة ٦٠.

(٣) إبن سلاّم: طبقات فحول الشعراء ١: ٢٦ ـ ٢٧.

الجاهليّ القديم، الذي نسوق كلّ ما وصلنا عنه فيما يلي:

شِعْرُ العَنْبَر بن عَمْرو بن تَمِيْم

(١)

في طبقات فحول الشعراء (١: ٢٧): (الرجز)

١ ـ قَدْ رَابَني مِنْ دَلْوِيَ اضْطِرابُهَا

٢ ـ والنَّأْيُ في بَهْراءَ واغْتِرابُهَا[1]

٣ ـ إنْ لا تَجِئْ مَلأَى يَجِئْ قِرابُها[2]

تخريج شعر العنبر بن عمرو بن تميم

١ ـ ٣ في طبقات فحول الشعراء ١: ٢٧، والجِيْم ٣: ٣٧، والكامل في اللغة ٢: ٦٣، والدرّة الفاخرة ١: ٢٢٥، ومعجم الشعراء ١٧٤، واللسان، والتاج (قرب) للعنبر بن عمرو بن تميم.

٣ في الصحّاح (قرب) دون عزو.

---

١١ ـ مَعْدِيْ كَرِب الحِمْيَرِيّ

إنّ معلوماتنا عن هذا الشاعر لا تنقع الغلّة. ونحن بها عاجزون عن الحديث عن شخصيّة واضحة ومعروفة، لذا فإنّ الغموض المحيط بها لن يزول... ورغم ذلك لا نرى بأسًا بأن نبسط ما جمعناه من مادّة حول مَعْدِيْ كَرِب الحِمْيَري.

فقد تَفَرَّدَ أبو حاتِم الرازي (٣٢٢ هـ ـ ٩٣٣ م) في إدراج معدي كَرِب الحميري بين الشعراء الجاهليِّين، الذين يُمثِّل إبداعُهم بداياتٍ للشعر العربيّ في نظره، فقال عندما

---

(١) في الجيم، والكامل، وطبقات فحول الشعراء: «عَنْ بَهْراء». وفي اللسان والتاج: «مِن بَهْراء» وبَهْراء: قوم من قضاعة يقال: إنَّ العَنْبر قد اغترب فيهم مع أمّه ـ أمّ خارجة.

(٢) في معجم الشعراء: «تجيء قِرابُها». والقِراب والقُراب: مُقاربة الشيء على نهايته وغايته. أراد إنْ لا تجئ دَلْوي مَلْأى قريبةً من الامتلاء. وعلّق الأستاذ محمود شاكر على موقع هذا البيت بين أقرانه فقال: «وهذا البيت الأخير من الرجز منقطع عمّا قبله، وأحسب أنّه في الشعر سقْطاً قديماً لم تعرفه الرواة، وكأنّه كان يريد أنْ يقول: لو كنتُ في بني عمرو بن تميم لجاءتْ دلوي بمائها، إنْ لا تجئ ملأى تجئ قِرابُها» طبقات فحول الشعراء ١: ٢٧ الحاشية ٢ .

بَلَغَهُ: «ولمعدي كرب الحميري من آل ذي رُعَيْن، وكان قد عُمّر:

أراني كُلَّما أفْنَيْتُ يومًا أتاني بَعْدَهُ يومٌ جَدِيْدٌ
يعودُ شبابُهُ في كلِّ فَجْرٍ ويأبى لي شَبابي ما يَعُوْدُ»[1]

فشاعرنا إذًا، وفقَ رواية أبي حاتم الرازي، من حِمْيَر، ثمَّ من آل ذي رُعَيْن منها. وقد قرأنا تحت عنوان «نَسَب حمير» في **الاشتقاق**، قول ابن دُرَيْد: «ومنهم عبدُ كلال ابن مُثوِّب بن ذِي حُرَث بن الحارث بن مالك بن غيدان الذي بعثه تبَّع على مقدّمته إلى اليمامة. فقتل طَسْمًا وجَدِيْسًا... ولعبد كلال هذا يقول الشاعر، ويُقال: إنّه مَعْدي كَرِب:

ألاَ إنّ خَيْرَ الناس كُلِّهِمُ فَهْدُ وعَبْدُ كلالٍ خَيْرُ سائِرهِمْ بَعْدُ»[2]

فهل نعدّ مَعْدِي كَرِبَ هذا، هو ذاته معدي كَرِب الوارد عند أبي حاتم الرازي؟ والجواب: إذا فعلنا، فلن نأمَن الطَّعْنَ أو الاعتراض، بأتياننا من أمرَين، أوّلهما: عبارة ابن دُرَيْد المُمرَّضة، وهي: «ويُقال: إنّه مَعْدِي كَرِب». وثانيهما عَزْو البيت الوارد في الخبر المتقدِّم إلى شاعر آخر غير مَعْدِي كَرِب، هو سَلامة بن جَنْدل، في مصدرَين يمنيين، هما: **الإكليل**[3] للهمداني، و**ملوك حمير وأقيال اليمن**[4] لنشوان الحميري، وهذان الأمران لا يساعدان على البَتِّ بأنّ معدي كَرِب الحميري، الوارد في **كتاب الاشتقاق**، هو ذاته الوارد في **كتاب الزينة**.

وثمّة أمر آخر في **الإكليل**، ينفِي أيضًا نسبة البيت المتقدِّم لمعدي كَرِب الحميري. ففي **كتاب الإكليل**، فصل يتحدَّث عن أنساب ذي رُعَيْن. وهم رَهْط شاعرنا الأدنون. وقد طالعنا هذا الفصل في **الإكليل**، فوجدنا أنّ معدي كرب الرعيني الحميري، هو أحد الجدود الأباعد لعبد كلال بن غريب الذي قُرِضَ فيه، وفي فَهْد الأوسط، البيت الوارد في **الاشتقاق**، بل إنّ الهمداني يروي قصيدةً، مطلعُها البيتُ الذي تقدَّم ذكره، ويعزوها إلى سلامة بن جَنْدل، أو إلى أبيه جَنْدل. ومن غير المعقول أن يقول معدي كرب

---

(١) الرازي: **الزينة** ١: ٩٠.

(٢) إبن دُرَيْد: **الاشتقاق** ٥٢٣، ٥٢٦.

(٣) أنظر الهَمْداني: **الإكليل** ٢: ٣٦٢.

(٤) أنظر الحِمْيَري: **ملوك حمير** ١٨٠ ــ ١٨١. والبيت في **ديوان سلامة بن جندل** ٢٣٩ نقلاً عن **ملوك حمير**.

الحميري شعرًا في أحد أحفاده الأدنين، وإيضاح ذلك في النصّ التالي: قال الهمداني تحت عنوان أنساب ذي رُعَين: «فأولد معدي كَرِب ذو غُشَيْم بن الغوث شَراحيلَ بن معد كرب. فأولد شراحيل بن معدي كرب مرّةَ بن شراحيل وشمَّر ينعم بن شراحيل... فأولد مرّة بن شراحيل يريمَ بن مرة ومرثدَ إل يناف ابني مرّة، بطنان. فأولد يريمُ بن مرّة: مُثوِّبَ بن يريم، فأولد مُثوِّب بن يريم: زيدَ بن مثوب، فأولد زيدُ بن مثوب: فهدَ بن زيد، فأولد فهدُ بن زيد: عريبَ بن فهد، فأولد عريبُ بن فهد: عبدَ كَلال الأوسط بن عريب، فأولد عبدُ كلال بن عريب: عريبًا وأفلح وفهدًا الأوسط، وفيه يقول سلمة (كذا)، بن جَنْدَل التميميّ، أو أبوه جَنْدَل الشاعر:

إلاَّ إنَّ خَـيْـرَ النَّـاسِ كُـلِّـهُـمُ فَـهْـدُ ... وعبـدُ كـلالٍ خيـرُ سائِـرهـمْ بَـعْـدُ

هـمـا قَـمَـرا مُـلْـكٍ سليـلا مَـكـارِمٍ ... وَفِيَّـا عُـهُـوْدٍ عندما يُنْكَـثُ العَـهْـدُ

ومـا ذادَ عَـنْ مُـلْـكِ المغـاولِ تُـبَّـعٌ ... ذِيـادَهُـمـا لمَّا وَهَـى مـنـهُ مـا شَـدُّوا

... إلخ»[1].

ولم يَكْتَفِ الهَمداني بعزوِ هذه القصيدة إلى غير معدي كرب الحميري، بل إنّه لم يطلق على معدي كرب الرُّعيني أيضًا صِفَةَ الشاعر، رغم أنّه كان يفعل ذلك مع غيره من أعلام اليمن. فأبقانا في حَيْرة من أمرنا، لا نستطيع معها الجزّم بأنّ معدي كرب الحميري، في **الإكليل**، هو ذاته معدي كرب الحميري، في **الزينة**.

وقد أصبنا في **كتاب الأصنام** اسمَ رجل يُدعى مَعْدِي كَرِب من ذِي رُعَيْن، ومن حِمْيَر، وُصِف بأنّه مُروِّجٌ لعبادة الأصنام في قومه الحميريِّين، فقد ذكر ابن الكلبي أنّ مُضَر بن نزار أجابت عَمْرو بن لُحَيّ في دعوته إلى عبادة الأصنام، فدفع إلى رجل من هُذَيْل يُقال له الحارث بن تميم بن سعد بن هذيل بن مدركة بن إلياس بن مُضَر سُواعًا. وأضاف ابن الكلبي: «وأجابَتهُ حِمْيَر، فدفع إلى رجل من ذي رُعَيْن يقال له مَعْدِكرب، نَسْرًا، فكان بموضع من أرض سَبَأ يقال له بَلْخَع تعبده حِمْيَرُ ومَنْ وَالاَها، فلم يزل يعبدونه حتّى هوَّدَهم ذو نواس»[2].

---

(١) الهمداني: م. س ١: ٣٦٢ ـ ٣٦٣. ولم يثبت مُحقِّق **ديوان سلامة بن جندل** من هذه القصيدة سوى الأوّل منها، وهي هنا أبيات ستّة.

(٢) إبن الكلبي: **الأصنام** ٥٧ ـ ٥٨، وياقوت: **معجم البلدان** (نسر).

ونتساءل أمعدي كرب هذا، هو معدي كرب الذي عدّه الرازي بين الشعراء الأوائل؟ والحقُّ أنّنا لا نملك اليقين، بأنّ الشخصَين كلاهما واحد، بَيْدَ أنّ ما يُعزِّز احتمال كونهما شخصًا واحدًا، أنّ الشاعر، بعامّة، شخص بارز في القبيلة، وهو في مقام يشبه مقام مَن هو قَيِّم على قِيَم القبيلة، ومفاهيمها، وعقائدها. لذا لا يبعد أن يكون معدي كرب الحميري الشاعر، هو ذاته ناقل الأصنام إلى قومه حِمْيَر، عن عَمْرو بن لُحَيّ الخزاعي.

ونحترس من جديد، فنقول: إن لم يكن المقصودُ، في خبر ابن الكلبي المتقدِّم، شخصًا آخر غير صاحبنا، فإنّنا نستطيع أن نتقرَّب من تحديد زمان شاعرنا بالاعتماد على هذا الخبر، ذلك لأنّه ينطوي على إشارات تعين على هذا التحديد التقريبيّ لعصره. وأولى هذه الإشارات، معاصرة معدي كرب الحميري لعَمْرو بن لُحَيّ، وثانيتهما: معاصرته للحارث بن تميم، الذي نقل سُواعًا إلى هُذَيْل، كما نقل معدي كَرِب نَسْرًا إلى حِمْيَر، وثالثتها، وهو ما يجب أن نذكره أوّلاً: بقاء عبادة الأصنام كما يقول ابن الكلبي ـ في حِمْيَر، إلى أنّ هوَّدها ذو نواس آخر ملوك حمير.

ومن الملائم أن نُنبِّه على أنّ معدي كرب الحميري وُجِد قبل ذي نواس، بزمن ليس بقصير، لأنّه كان المسؤول عن نَقل الأصنام إلى حِمْيَر، التي بقيت تعبدها إلى أنّ هوَّدَها ذو نواس.

وإذا كان ذو نواس قد هُزِم أمام الأحباش نحو السنة ٥٢٥ م[١]. فإنّ معدي كرب يجب أن يكون قد وُجِد قبلَ هذا التاريخ دون رَيب.

ونتقدَّم خطوة أخرى، فنرى أنّنا نستطيع أن نستنبط من خلال علاقة شاعرنا بعمرو بن لُحَي ما يُعِيْنُنا على مُقاربة عصره، فملاحظة جداول أنساب أبناء عَمْرو بن لُحَي في **جمهرة أنساب العرب**[٢]، والتدقيق فيها، يُثبتان أنّ قُصَيَّ بن كِلاب قد تزوَّج حفيدةَ عَمْرو بن لحي، المسمّاة حُبَّى بنت حُليل بن حَبشية بن سَلول بن كَعب ابن عَمْرو بن عامر بن لُحَي، إذًا بين قُصَيّ، وهو الأب الخامس للرسول عليه السلام، وعَمْرو بن لحي ـ معاصر معدي كَرِب الحميري، خمسة آباء، نقدِّر لهم نحوًا من مائة

---

(١) أنظر جواد علي: المفصّل في تاريخ العرب ٢: ٥٩٤.
(٢) إبن حزم: جمهرة أنساب العرب ٢٣٥.

عام. فيكون معدي كرب أقدَم من قُصَيّ بن كِلاب بمئة عام تقريبًا. ومن وَجهٍ آخر فإنّ ما يفصل بين قُصَيّ بن كِلاب، والنبيّ محمّد بن عبدا لله بن عبد المطّلب بن هاشِم ابن عَبْد مَناف بن قُصَيّ عليه السلام، هو خمسة آباء أيضًا. نقدِّر لهم نحوًا من مئة عام، فإذا أَضفنا هذه المئة إلى تلك المئة المُتقدِّمة، يصبح لدينا مئتا سنة تفصل بين عَمْرو ابن لُحَي، أو معدي كرب الحميري، ووجود الرسول العربيّ محمّد بن عبدا لله عليه السلام. وبهذا نخلص من كلّ ما تقدَّم أنّ معدي كَرِب الحِمْيَري كان من رجال القرن الرابع الميلاديّ، ولعلّه أدرك طرفًا من القرن الخامس على الأرجح.

ومن جهة ثانية، فإنّ ملاحظة صِلة الحارث بن تميم الهُذَلي، بعبدا لله بن مسعود، وهو صحابيّ معروف[1]، تؤيِّد إلى حَدٍّ كبير، النتيجة السابقة التي توصَّلنا إليها. فعبدا لله ابن مسعود هو أحد أحفاد الحارث بن تميم، ويفصله عن الحارث تسعة آباء. فهو عبدا لله ابن مسعود بن غافل بن حبيب بن شمخ بن فار بن مخزوم بن صاهلة بن كاهل بن الحارث بن تميم[2]. إذًا ثمّة تسعة آباء يقعون بين الحارث بن تميم، أو بين معاصِر الحارث ـ أعني معدي كرب الحميري، وصَحابي معروف هو عبدا لله بن مسعود. وهؤلاء الآباء التسعة نُقدِّر لهم نحْوًا من (١٨٠) سنة. وعليه فمعدي كَرِب الحميري يكون قد وُجِد قبل رجل عاش في زمن الرسول ﷺ، وصَحِبَهُ، بنحو قرنَين من الزمان، وبهذا يمكننا القول أخيرًا إنّ معدي كرب، وعمرو بن لُحَي، والحارث بن تميم كانوا، على الأرجح، من أبناء القرن الرابع والخامس الميلاديَّين.

هذا ما خلصت إليه استنباطاتُنا، وقد وَجَدْنا بأخرة، أبا الفِداء (٧٣٢ هـ ـ ١٣٣١ م) ينقل عن الشهرشتاني هذا الخبر المتّصل بزمن عَمْرو بن لُحَي فيقول: «قال الشهرستاني: وعَمْرو بن لُحَي المذكور هو أوّل مَن جعل الأصنام على الكعبة، وعَبَدها فأطاعته العربُ، وعبدوها. واستمرّت العرب على عبادة الأصنام حتّى جاء الإسلام...». وقد ذكر الشهرستاني أنّ ذلك كان في أيّام سابور: «كان قبل الإسلام بنحو أربعمائة سنة، إن كان سابور بن أردشير بن بابك، وأمّا إن كان سابور ذا الأكتاف، فهو أبعد عن الصواب، لأنّه بعد سابور الأوّل بِمُدَّة كثيرة»[3]. والمعروف أنّ سابور بن أردشير تُوفِّي

---

(١) إبن حجر: الإصابة ٢: ٣٦٨.

(٢) أنظر ابن حزم: م. س ١٩٧، وابن حجر: م. س ٢: ٣٦٨.

(٣) أنظر أبو الفِداء: المُختَصر في أخبار البشر ١: ٧٦.

في السنة ٢٣٢ م وأنّ سابور ذا الأكتافُ تُوفّي في السنة ٣٧٩ م[١]. وعليه فالخبر الذي ساقه أبو الفداء، يجعل عَمْرو بن لُحَي من رجال القرن الثالث، أو من رجال القرن الرابع، ونحن أَميل إلى الاحتمال الثاني، وهو التاريخ الذي اسْتَنْتَجْنا أنّ عَمْرو بن لُحَي وُجِدَ فيه، وربّما امتدَّ به الزمن إلى ما بعد القرن الرابع بقليل، كما يتبيَّن من ملاحظة نَسب عبدالله بن مسعود الذي ينتهي بالحارث بن تميم الهُذَلي ـ معاصِر معدي كرب الحِمْيَري، وعَمْرو بن لُحَيّ أيضًا.

وعلى أيَّةِ حال، فلسنا ندري إلى أيّ مدى امتدّ العمر بمعدي كرب الحِمْيَري. ولكنّنا نذكُر بأنّ أبا حاتم الرازي قال عنه: إنّه قد عُمِّر. وغلا الراغب الأصفهاني (٥٠٢ هـ ـ ١١٠٨ م) حين قال في عُمْر شاعرنا: «وعاش معدي كرب الحميري مائتَين وخمسين سنة»[٢]. وهذا رقم لا يُطمأنّ إليه، وهو إن دُلّ على شيء، فإنّما يدلّ على طول عمر معدي كرب، الذي ودَّع ـ دون رَيب مرحلة الشباب، فراحَ يتحسَّرُ عليها ببيتَين، لم نقع على أيّ شعرٍ آخر غيرهما لمعدي كرب الحميري ـ محور اهتمامنا هنا.

شعر معدي كرب الحميري

(١)

في الزينة (١: ٣٦ ـ ٣٧): (الوافر)

١ ـ أَراني كُلَّما أَفْنَيْتُ يَوْمًا   أَتاني بَعْدَهُ يَوْمٌ جَدِيْدُ[٣]

٢ ـ يَعُوْدُ شَبابُهُ في كُلِّ فَجْرٍ   ويَأْبى لِيْ شَبابِي مَاْ يَعُوْدُ[٤]

تخريج شعر معدي كرب الحميري

(١)

١ ـ ٢   في الزينة ١: ٣٦ ـ ٣٧، وأمالي المُرْتَضى ١: ٢٥٣، ومحاضرات

(١) أنظر جواد علي: المفصَّل في تاريخ العرب ٣: ١٩٤.

(٢) الراغب الأصفهاني: محاضرات الأدباء ٣: ٣٣٢.

(٣) في محاضرات الأدباء: «كلما أَبْلَيْتُ يوماً». وفي المعمرون: «كلّما هرَمْتُ يوماً.. أتى من بعده».

(٤) في أمالي المرتضى: «يعودُ ياضُهُ في». وفي مجموعة المعاني: «يعودُ ضياؤهُ في... لا يَعودُ» وفي المعمرون: «لا يعودُ».

الأدباء ٣: ٣٨٦، ومجموعة المعاني ٣١١ لمعدي كرب الرعيني.
وفي المعمرون ٤٣ لعبدالله بن سبيع الحميري.

١٢ ـ كِلاَب بن مُرَّة بن كَعْب بن لُؤَي القُرَشي

هذا الشاعر هو جَدٌّ من أجداد الرسول ﷺ، وهو الجدّ الخامس له، فهو كِلابُ ابن مُرَّة بن كَعْب بن لُؤَي بن غالِب بن فِهْر بن مالك بن النَّضر بن كِنانة بن خُزَيْمة ابن مُدْركة بن إلْياس بن مُضَر بن نِزار بن مَعَدّ بن عَدْنان[١].

وقد وَلَدَ مُرَّةُ بن كَعْب، غيرَ كِلاب، تَيْمَ بن مرَّة، ويَقَظَة بن مُرّة. أمّا أمّ كِلاب، فهي هِنْد بنت سُرَير بن ثَعْلبة بن الحارث بن فِهْر بن مالك[٢].

وتزوّج كِلاب بن مُرّة فاطِمة بنت سَعْد بن سَيَل الأزدِيّة، وهي من بني الجَدَرة من جُعْثُمة الأزْد. وبنو الجدرة هم الذين بنوا للكعبة جدارًا، فسمّي عامِر بن عَمْرو بن جُعْثُمة الجادر، وسمّي قومه الجَدَرة.

وتذكر كتب الأنساب والسِيَر أنّ كلابًا أنجب ولدَين وابنة، وولداه هما: زُهرة ابن كِلاب، وهو بِكْره. وزَيْد بن كِلاب، وهو الذي سُمّي، فيما بعد، قُصَيًّا لقصائِهِ عن قومه، إذ مات أبوه كِلاب، وهو صغير، فتزوَّجت أمّه فاطمة من رَبِيْعة بن حَرام القُضاعي، فولدت له رِزاحًا، فصار قُصَيّ بن كِلاب أخًا لرِزاح بن رَبِيْعة، وهو أحد شعرائنا الأوائل هُنا[٣].

وقد ذكر الوزير المغربيّ (٤١٨ هـ ـ ١٠٢٧ م) كِلاب بن مُرَّة، ونعته بأنّه كان سيِّدًا من سادات قريش، ويُدعَى ذا الغُرّة؛ لنورٍ كان يُشرِق بين عَيْنَيه[٤]. ومثل هذا الوصف الحسّيّ الذي نقله الوزير المغربيّ عن الدُّهْكِيّ، في كتابه، المسمَّى **بكتاب قريش**، يؤكّد أنّنا أمام شخصيَّة تاريخيَّة حقيقيَّة.

(١) أنظر ابن عساكر: **تاريخ مدينة دمشق ـ السيرة النبويّة** ١: ٣٧، ٣٨، ٤٥، ٤٩، ٥٠، ٥٣.
(٢) أنظر ابن هشام: **السيرة** ١: ١٠٣.
(٣) انظر الوزير المغربي: **الإيناس** ١٧٣ ـ ١٧٤.
(٤) م. ن ١٧٣.

زمان كِلاب

عرفنا أنّ كِلاب بن مُرّة هو الأب السادس للنبيّ محمّد بن عبدالله عليه الصلاة والسلام، لذا فلا بدَّ أن يكون قد سبق ميلاد الرسول ﷺ بمائة وعشرين سنة، حسب القاعدة التي جَرَينا عليها في حساب زمن الآباء في جداول الأنساب. وبعبارة أخرى، فإنّ نحوًا من ١٢٠ سنة تفصل بين كِلاب بن مُرّة، والسنة ٥٧٠ م، وهي السنة التي وُلد فيها الرسول عليه السلام. وهذا يعني أنّ كلاب بن مرّة وُجِد في القرن الخامس الميلاديّ على الأرجح.

شعره

لم نجد لهذا الشاعر سوى بيتَين اثنَين رواهما له الوزير المغربيّ في كتاب **الإيناس في علم الأنساب**، وهما في سعيه للظفر بزوجه فاطِمة بنت سَعْد بن سَيَل. وها هي ذي روايتُهما:

شعر كِلابِ بن مُرَّة القُرَشي

(١)

في الإيناس في عِلْم الأنساب (١٧٤): (الطويل)

١ ـ أَفَاطِمُ هَلْ ما أَلْقَيْنُكِ مَرَّةً ... وهَلْ يَجْمَعُ الدَّانِيْنَ صَيْفٌ ومَرْبَعُ[1]

٢ ـ سَأَبْغِيْكِ في الأرْضِ العرِيْضَةِ جاهِدًا ... فأَيْأَسُ أَوْ أُعْطَى الّذي فِيْهِ أَطْمَعُ

تخريج شعر كلاب بن مرّة القرشي

(١)

١ ـ ٢ في الإيناس ١٧٤ لكلاب بن مرّة.

---

١٣ ـ يَرْبُوع بن حَنْظَلة بن مالِك بن زَيْد مَناة بن تَمِيْم

هذا الشاعر هو جَدٌّ معروف من جدود قبيلة تميم الكبرى. فوالِدُه هو حَنْظَلة بن مالك، وأُمُّه هي جَنْدَلَة بنت فِهْر بن مالِك[2]. وأبوا هذا الشاعر سيُساعدانِنا على تحديد

(١) فاطمة هي بنت سَعْد بن سَيَل ـ زوج الشاعر كِلاب بن مُرّة وأمّ قُصيّ بن كلاب، **الإيناس** ١٧٣ . وقد ضبط الشيخ حمد الجاسر ـ ناشر كتاب **الإيناس** (فاطم) بالتنوين وخفّف النون. وجعل الكاف مفتوحة في كلمة (ألقينكَ) فوقع إخلال بالضبط والوزن معاً. ولعلّ الصواب ما أثبتناه.

(٢) أنظر ابن هشام: **السيرة النبويّة** ١: ٩٥ .

تقريبيّ لزمانه بعد قليل.

وقد أشارت بعض كتب الأنساب إلى إخوة هذا الشاعر، وأبنائه. فهو أحد ثمانية أبناء لِحَنظَلَة بن مالِك[1]. وإذا كان له سَبعة إخوة من أبيه، فإنّ له أخًا آخر من أمّه، هو مازن بن مالِك بن عَمْرو بن تميم، وهو الذي رثاه بقوله:

كَيْفَ بقاءُ المَرْءِ بَعْدَ ابْنِ أُمِّهِ   إذا بَرَقَتْ أوْصالُه كالْمَحاجِنِ
أَخِي، ما أخي لا فاحِشٌ عِنْدَ بَيْتِهِ   ولا مُرْثَعِنٌّ ساقِطٌ في الدَّواخِنِ
وما كانَ وَقّافًا إذا الْخَيْلُ أَحْجَمَتْ   ولا وَرِعًا جثّامةً في الأماكِنِ[2]

أمّا أولاده فَكُثُرٌ، وقد ذكر منهم ابن الكلبي رياحًا، وأمُّه أمُّ قتّال بنت عبدالله بن عَمْرو بن لُؤي بن تَميْم الرّباب، وثَعْلَبةً، وعَمْرًا، وصُبَيْرًا، والحارث، وكُلَيْبًا، وغُدانة، والعَنْبَر، وزَيْدًا[3].

وقد أصبح هؤلاء الأبناء بدورهم جدودًا لقبائل أو بطون تميميّة، تحدُّث عنهم وعن اشتقاق أسمائهم، وعن أشهر رجالاتهم، ابنُ دُرَيْد في كتابه **الاشتقاق**[4]. ويُلاحِظ مُطالِعُ هذا الفصل عن قبائل يَرْبُوع بن حَنْظَلة في كتاب **الاشتقاق**، كثرةَ الشعراء والمشاهير الذين ينتهي نسبهم عند يَرْبُوع. فإلى يَرْبُوْع ينتمي عُتَيْبَة بن الحارث ابن شهاب اليَرْبُوعي، وهو فارس بني تميم في الجاهِليّة، وأحد شعراء بني يربوع الجاهليّين والمخضرمين الذين أحصى منهم الدكتور عبد الحميد محمود المعيني ٢٦ شاعرًا في كتابه: **شعر تميم في العصر الجاهليّ**، نذكر منهم عدا عُتَيْبة هذا: الكَلْحَبة اليَرْبوعي، عُمَيْرَةَ بن طارق، مالِك بن حَطّان، عَمْرو بن حَوْط، نَعِيْم بن عتّاب، همّام بن رِياح... إلخ. وهذا الشاعر الأخير ستأتي أخباره بعد قليل، فهو حفيد شاعرنا يَرْبُوع بن حَنْظلة[5].

---

(١) أنظر ابن حَزم: **جمهرة أنساب العرب** ٢٢٢.
(٢) اليزيدي: **أمالي اليزيدي**: ٤٦.
(٣) أنظر ابن الكلبي: **جمهرة النسب** (ط دمشق) ١: ٣٠٥ ـ ٣٠٦، وابن حزم: م. س ٢٢٤.
(٤) أنظر ابن دُرَيْد: **الاشتقاق** ٢٢١ فما بعدها.
(٥) أنظر عبد الحميد المعيني: **شِعْر تميم** ص ٢٠٣ فما بعدها.

زمانه

قدّمنا أنّ حنظلة بن مالِك بن زيد مناة بن تميم هو والد يَرْبُوْع بن حَنْظَلة، وحنظلة الأب هذا، هو ابنُ أخٍ لشاعر تميميّ مرَّت بنا أخبارُه، هو سَعْد بن زيد مناة بن تميم، وهذا يعني أنّ يَرْبوعًا ـ شاعرنا حفيدٌ لابنِ أخي سَعْد بن زيد مناة، وعليه فزمانه ليس مُتأخِّرًا جدًّا عن زمان الجَدّ ـ سَعْد. وإذا كان زمان سَعْد هو القرن الرابع الميلاديّ، وبعض الخامس[1]، فإنّ زمان حفيد أخيه ـ (يَرْبُوْع) يُتوقَّع أن يكون في القرن الخامس الميلاديّ على الأرجح.

وثمّة دليل آخر يؤيِّد تقديرنا هذا، وقد مرَّ بنا طرفٌ منه في أثناء حديثنا عن زمن سَعْد بن زيد مناة، ويتمثَّل بكون أمّ يَرْبُوْع، هي جَنْدَلة بنت فِهْر بن مالِك، فقد قال ابنُ هشام: «وجَنْدَلَة بنت فِهْر، هي أمّ يَرْبُوْع بن حَنْظَلَة بن مالِك بن زَيْد مَناة بن تَمِيْم، وأمّها لَيْلَى بنت سَعْد»[2]. وهذا الخبر يعني أنّ يَرْبوعًا ابنها يوازي في وجوده، ابن خاله ـ غالِب بن فِهْر تقريبًا. وغالِب بن فِهْر هذا هو الأب التاسع للرسول عليه السلام. وبعبارة أخرى، فإنّ نحوًا من ١٨٠ سنة تقع بين غالِب بن فِهْر، وحفيدهِ الأبْعَد النبيّ العربيّ محمّد بن عبدالله عليه السلام. وعليه فزمان غالِب بن فِهْر يكون محصورًا بين سِنِي القرن الخامس الميلاديّ في أغلب الظنّ، وهو أيضًا زمان يَرْبوع بن حَنْظَلة بن عَمَّةِ غالب، على وجه التقريب.

وثمّة أمر ثالث يؤيِّد ما ذهبنا إليه، وهو النتيجة التي يتوصَّل إليها المرء من خلال ملاحظة نَسب الفارس التميميّ الجاهليّ عُتَيْبة بن الحارث بن شهاب اليَرْبوعي، فهو عُتَيْبَةُ بن الحارث بن شِهاب بن عبد القيس بن كبَّاس بن جَعْفر بن ثَعْلَبة بن يَرْبوع ابن حَنْظَلة[3]. وقد قتله بنو أَسَد (يوم خَوّ) في أواخر العصر الجاهليّ[4]. وهذا النسب لِعُتَيْبَة يوضِّح أنّ بينه وبين جدّه الأكبر يَرْبُوع سبعة آباء. فإذا قدَّرْنا لكلٍّ منهم عشرين عامًا، حسب قاعدتنا الحسابيَّة المعهودة، استنتجنا أنّ بين يَرْبُوع بن حَنْظَلة، وأواخر العصر الجاهليّ ١٤٠ سنة. وهذا يؤيِّد أيضًا أنّ يَرْبوعًا كان، على الأرجح، من رجال

(١) أنظر أخبار سَعْد بن زيد مناة بن تميم في: هذه الدراسة.

(٢) إبن هشام: السيرة ١: ٩٥ . وانظر أيضًا ابن الكلبي: جَمْهرة النسب (ط دمشق). ١: ٢٧٣ .

(٣) أنظر الأخفش: الاختيارَين ٢٦٥، وجريدة النسب لقبيلة تميم في شعر تميم، للمعيني ٤٩٥ .

(٤) أنظر ابن دُرَيْد: الاشتقاق ٢٢٦، وابن عبد ربّه: العِقْد الفريد ٥: ٢٤٩ .

القرن الخامس الميلاديّ.

وعدا هذه الأخبار المتّصلة بنَسَب الشاعر، وعلاقاته القبليّة، لم نقع على شيء كثير يتّصل بشخصه بوصفه رجلاً، سوى أنّ ابنَ قُتَيْبة جعله بين البُرْص مَقرونًا إلى جَذِيْمة الأبرش وغيره، وأضاف «ويُقال لولده بنو الأبرص»[1]. ومن قبل ابن قتيبة، أشار الجاحظ، إلى ذلك بقوله: «ومن البرصان الأشراف المذكورين، ومن آباء القبائل والعمائر، يَرْبُوعُ بن حنظلة وإيَّاه عَنَى أوْسُ بن حَجَر حين قَصَد إلى تقريع عامر بن مالك ملاعِب الأَسِنّة ببعض الوقائع فقال:

كـانَ بَـنُـوْ الأبْـرَصِ أقـرانَـكُـمْ فـأدركـوا الأحْـدَثَ والأقْـدَمَـا[2]

شعره

لم نعثر إلاّ على ثلاثة أبيات لهذا الشاعر الجاهليّ المُغرق في القِدَم، قالها في رثاء أخيه لأمّه: مازن بن مالِك بن عَمْرو بن تَمِيْم. وهذا العدد النزر من الأشعار يتّسق حقًّا مع قِدَم هذا الشاعر التميميّ، الذي كان أبًا لقبيلة أنجبت الكثيرين من الفرسان والشعراء. وها هي ذي أبياته الثلاثة اليَتِيْمة:

شِعْرُ يَرْبُوْع بن حَنْظَلة بن مالِك بن زَيْد مَناة بن تميم

(١)

في أمالي اليزيدي (٤٦)[3]: (الطويل)

١ ـ كَيْفَ بَقاءُ الْمَرْءِ بَعْدَ ابْنِ أُمِّهِ إذا بَـرَقَـتْ أَوْصالُـهُ كـالْـمَـحَـاْجِـنِ[4]

٢ ـ أخِي، ما أخِي لا فاحِشٌ عِنْدَ بَيْتِهِ ولا مُـرْثَـعِـنٌّ ساقِـطٌ فـي الـدَّوَاْخِـنِ[5]

---

(١) أنظر ابن قتيبة: المعارف ٥٨٠، وابن حبيب: المحبّر ٢٢٩.

(٢) أنظر الجاحظ: البرصان والعرجان والعميان ٥٧ ـ ٥٨، ٩٦، وديوان أوْس بن حَجَر ١١٣.

(٣) قال اليزيدي في مناسبة هذه الأبيات: «حدَّثنا أبو جعفر محمّد بن حَبِيْب عن ابن الأعرابي قال: قال يَرْبوع ابن حَنْظلة يرثي أخاه مازِن بن مالك بن عَمْرو بن تميم، وكان أخاه لأمّه..» أمالي اليزيدي ٤٦ .

(٤) بَرَقَ يَبْرُق بَرْقًا: لَمَعَ وتَلألأَ. والمحاجِن: مفردُها مِحْجَن، وقال اليزيدي: «المِحْجن شبيه الصَّوْلجان» أمالي اليزيدي ٤٦ . وفي البيت خَرْم، إذ الوَجْه أنْ يكون: «وكيف بقاءُ..».

(٥) الفاحِش: ذو الفُحش. والفُحشُ: القبيح من القول والفِعْل. والمُرْثَعِنّ: قال اليزيدي: «الضعيف الساقط» ـ الأمالي ٤٦ . والدواخِن: مفردها دُخان. ولعلّ الدُّخان هنا الجوع، فقد قيل للجوع دُخاناً، لِيُبْسِ الأرض في الجَدْب وارتفاع الغبار، فشبَّه غَبْرَتَها بالدخان، وربّما وضعت العرب الدخانَ موضع الشرّ إذا علا، =

٣ ـ وما كانَ وقّافًا إذا الْخَيْلُ أَحْجَمَتْ   ولا وَرِعًا جَثّامةً في الأماكِنِ[1]

تخريج شعر يَرْبُوع بن حَنظَلَة التميمّي

(١)

١ ـ ٣   في أمالي اليزيدي ٤٦ ليربوع بن حنظلة.

١٤ ـ حَبْشِيَة بن سَلُوْل الخُزاعِي

نُعِتَ هذا العَلَم الخُزاعي الجاهليّ بأنّه شاعر في كتابٍ من كُتُبِ الأنساب يقول: «وحَبْشِيَة نفسه... كان شاعرًا»[2].

وقد اختُلِف في ضَبْط اسمه، فجاء في **كتاب الإيناس** «في خزاعة: حَبْشِيَة مفتوح الحاء، مُسَكَّن الباء مكسورِ الشين، مُخَفَّف الياء. وقد قال قوم: إنّه حَبْشِيَّةُ مُشَدَّدًا، والأوّل هو الصحيح، والحَبْشِيَة عند أبي بكر بن دُرَيْد النملة الكبيرة، وهو حَبْشِيَة بن سَلُول بن كَعْب بن عَمْرو بن لُحَيّ»[3].

وذكر ابنُ حَزْم من إخوة حَبْشِيَة بن سَلُول، الحِرْمِز، وعَدِيًّا، ومن أولاده قُمَيْرًا وحُلَيْلاً، وخاطِرًا، وكُلَيْبًا[4]. وسنرى بعد قليل أخبار ابنه حُلَيْل بن حَبْشِيَة وهو من شعراء هذه الدراسة.

ومن أحفاد هذا الشاعر القديم، شاعِر جاهليّ وصعلوك مَعْروف، هو قَيْس بن الحُدَادِيّة. وعلى معرفة عدد الآباء بين قَيْس وحَبْشِيَة، سنتكِئ في تقدير زمان شاعرنا.

= فيقولون: كان بيننا أمْرٌ ارتفع له دخان ـ **اللسان** (دخن). وقال اليزيدي في شرح البيت: «الدواخِنْ: جماعة داخِن، وإنّما أراد الدخان بعينه، فَبناه على غير أصلِهِ» ـ **الأمالي** ٤٦ .

(١) الوقّاف: المُحْجِم عن القتال. والوَرَع والوَرِع: المُتَحَرِّج، أو الصغير الضعيف. أنظر في صيغته ومعناه ـ **إصلاح المنطق**: ١٠٠ ـ ١٠١، **واللسان**: (ورع). والجثّامَة: البَلِيْد الذي لا يبرح مكانه.

(٢) الوزير المغربي: **الإيناس** ١١٥، وانظر ابن حَبِيْب: **مُختلف القبائل ومؤتلفها** ٢٩٣، حيث ضَبَطُه بفتح الباء.

(٣) الوزير المغربي: م. س ١٠٩، وانظر ابن دُرَيْد: **الاشتقاق** ٤٦٨، وقد ضُبط هناك بضمّ الحاء، وتشديد الياء: «حُبْشِيَّة».

(٤) إبن حزم: **جمهرة أنساب العرب** ٢٣٥.

زمانه

نسب أبو الفرج قَيْسَ بن الحُدادِيّة، فقال: «هو قَيْس بن مُنْقِذ بن عَمْرو بن عُبَيْد بن ضاهِر بن صالِح بن حَبْشِيَة بن سَلُول بن كَعْب بن عَمْرو...»[1]. والتدقيق في هذا النسب يؤول إلى الاستنتاج أنّ بين قَيْس بن الحُدادِيَة، وجدّه الأبعد حَبْشِيَة ستّة آباء، نقدِّر لهم نحو ١٢٠ سنة، وعليه نخلص إلى أنّ شاعرنا حَبْشِيَة ابن سَلول كان، على الأرجح، من رجال القرن الخامس الميلاديّ.

شعره

لم تذكر مظانُّنا سوى بيتَين اثنَين لهذا الشاعر، أجاب بهما شاعرًا جُرهُميًّا هو بَكر بن غالِب بن عامر بن الحارث بن مضاض الجُرهمي، إذ قال بعد أن نَفَتهم خُزاعة عن مكّة:

أَلاَ لَيْتَ شِعْرِي هَلْ أَبِيتَنَّ لَيْلَةً ... وأَهْلِي مَعًا بالمَأْزِمَيْنِ حُلُولُ
وهَلْ أُبْصِرَنَّ العِيْسَ تَنْفُخُ في البُرَى ... لها في مِنًى بالمُحْرِمِيْنَ ذَمِيلُ

فأجابه حَبْشِية بالبيتَيْن التالين، وهما كلّ ما عثرنا عليه من عطاء هذا الشاعر.

شِعر حَبْشِية بن سَلُوْل الخُزاعِي

(١)

في الإيناس (١١٥ ـ ١١٦)[2]: (الطويل)

١ ـ تَمَنَّى أمانِيَّ الضَّلال وإنّما ... نَفَتْكَ رجالٌ ذَادَةٌ وخُيُولُ[2]
٢ ـ تَمَنَّيْتَ أن تَلْقَى خُزاعةُ بَرْحَةً ... فَقَدْ مَعَجَتْ مِنْها عَلَيْكَ سُيُوْلُ[3]

---

(١) الأصفهاني: الأغاني ١٤: ١٤٤.
(٢) تَمَنَّى: أيْ تَتَمَنَّى. والضَّلال: ضدّ الهُدى والرشاد، والذَّادة: مفردها ذائِد، وهو الذي يحمي الحقيقة ويدافع عنها عدوّه.
(٣) خُزاعة: قبيلةُ الشاعر حَبْشِيَه. والبَرْحة: الشدّة، والشرّ. ومَعَجَ السَّيْل يَمْعُجُ: أسرع.

تخريج شعر حبشية بن سلول الخزاعي

(١)

١ ـ ٢ في الإيناس ١١٥ ـ ١١٦ لحَبْشِيَة بن سَلُوْل.

---

١٥ ـ فِراس بن غَنْم بن ثَعْلَبة الكِنانِي

إنّ مُسوِّغ اختيارنا لهذا الشاعر، وضمّه إلى الأوائل الذين ندرسهم، هو المناسبة التي نُطالِعها بين يَديّ بيتَين له يتيمَين أنشدهما البكري، إذ قال: إنّ «غَزيَّةَ بن معاوية ابن بكر بن هوازن كان نديمًا لِرَبِيْعة بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم، فشربا يومًا، فعدا ربيعة بن حَنْظلة على غزيّة بن جشم، فقتله، فسألت قيسٌ، خِنْدِفَ، الديةَ، فأبت خِنْدفُ، فاقْتتلوا، فهُزِمت قيس، فتفرّقت، فقال فِراس بن غَنْم بن ثعلبة بن مالك ابن كِنانة بن خُزَيْمة:

أَقَمْنا على قَيْسٍ عَشِيَّةَ بارِقٍ ... بِبِيْضٍ حَدِيْثاتِ الصِّقالِ بَواتِكِ

ضَرَبْناهُمُ حَتّى تَوَلَّوا وخُلِّيَتْ ... مَنازِلُ حِيْزَتْ يَوْمَ ذاكَ لِمالِكِ»[١]

فاقتران اسم فِراس بن غَنْم، باسم عَلَمٍ تميميّ معروف، هو (رَبِيْعة بن حَنْظَلة)، بعث فينا الظنّ بمُعاصرته لهذا الرجل التميميّ، الذي يُعَدُّ أخًا لشاعر تميميّ آخر ذُكر آنفًا، هو (يَرْبُوع بن حَنْظلة). وقد يذهب المرء إلى الاعتقاد بأنّ فِراس بن غَنْم قال البيتَين السابقَين بعد أن قتل رَبِيْعةُ بن حنظلة، غزيّةَ بن جُشَم، ولكن فحْصَ علاقات النَّسب لشاعرنا يؤيِّد قِدَمَهُ ويرجِّحه، فابن حَزْم يقول في بني مالك بن كِنانة ـ قوم الشاعر:

«هؤلاء بنو مالِك بن كِنانة، منهم فِراس بن غَنْم بن ثعلبة بن مالك بن كنانة، بطن ضخم. فولدُ فِراس بن غَنْم، عَلْقَمَةُ جَذْل الطِّعان، والحارث، وجذيمة، منهم فارس العرب رَبِيْعة بن مكدَّم بن عامِر بن حُوَيْلِد بن جَذِيمة بن عَلْقَمة بن فِراس»[٢].

---

(١) البكري: معجم ما استعجم ١: ٨٧، وياقوت: معجم البلدان (بارق)، ورواية الخبر عند ياقوت عن أبي المنذر.

(٢) ابن حزم: جمهرة أنساب العرب ١٨٨.

ويضيف ابن حزم قوله في بني مالك بن كِنانة: «ولبني مالك بن كِنانة بطون جمّة... ومنهم نَسَأةُ الشهور في الجاهليّة. وأوّلُ مَن نسأ الشهور سَرِير بن ثعلبة بن الحارث بن مالك بن كنانة. ثمّ ابن أخيه عَدِي بن عامر بن ثعلبة، ثمّ في ولده»[1].

والتدقيق في نسب حفيد شاعرنا، رَبِيْعة بن مُكَدَّم «حامي الظعينة حيًّا وميتًا» يُفضِي إلى القول: إنّ بينه وبين جدّه الأبعَد فِراس بن غَنْم، ستّة آباء. فربيعة هو: ابن مكدّم بن عامر بن حُوَيْلد بن جَذِيْمة بن عَلْقمة بن فِراس بن غَنْم. فإذا قدَّرنا لكلّ من هؤلاء عشرين سنة، يكون بين فراس بن غنم، وربيعة بن مكدّم نحو من /١٢٠/ مئة وعشرين سنة، وإذا عرفْنا أنّ ربيعة بن مكدَّم عَلَم جاهليّ، لم يدرك الإسلام، وقد قدَّر (الزرْكلي) حياته بين سنتَي (٨٥ ــ ٧٣ ق. هـ)[2]، صحَّ لنا الاعتقاد أنّ فِراس بن غَنْم كان من رجال القرن الخامس الميلاديّ في أغلب الظنّ.

شعره

لم نجد في مصادرنا أشعارًا لفِراس بن غنم، سوى بيتَين اثنَين روَاهما لَهُ البكري في **معجم ما استعجم**، وياقوت الحموي في **معجم البلدان**، وها هو ذا نصُّهما:

شعر فِراس بن غَنم بن ثَعْلبة بن مالِك بن كِنانة

(١)

في معجم ما استعجم (١: ٨٧)[3]: (الطويل)

١ ــ أَقَمْنا على قَيْسٍ عَشِيَّةَ بارِقٍ ... بِبِيضٍ حَدِيْثاتِ الصِّقالِ بَوَاتِكِ[4]

٢ ــ ضَرَبْناهُمُ حَتَّى تَوَلَّوا وخُلِّيَتْ ... مَنازِلُ حِيْزَتْ يومَ ذاكَ لِمَالِكِ[5]

---

(١) إبن حزم: م.س ١٨٩ .

(٢) الزركلي: الأعلام ٣: ١٧، والبكري: السمط ٩١٠، والألوسي: بلوغ الأرب ١: ١٤٤ .

(٣) قال البكري: «وقال آخرون: إنّ غزيّةَ بن معاوية بن بكر بن هوازن كان نديمًا لربيعة بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم، فشربا يومًا، فعدا ربيعة بن حنظلة على غزيّة بن جُشَم، فقتله، فسألت قيس، خندف، الديةَ، فأبَت خِنْدِف، فاقتتلوا، فهُزِمت قيس، فَتَفَرّقتْ، فقال فِراس بن غَنم بن ثعلبة بن مالك بن كنانة ابن خزيمة ــ البيتين» ــ معجم ما استعجم ١: ٨٧ .

(٤) بارِق، هنا: إسم ماء بالسراة، نزله سعد بن عدي بن حارثة بن عَمْرو مُزَيْقِياء بن عامر بعد سيل العرم. والبيض: مفردها أبيض، وهو السيف، وسيف باتِك: قاطِع. والبَتْك: القَطْع.

(٥) حازَ يَحُوزُ حَوْزًا وحِيازةً: ضمّ وملك. ومالِك، هنا: هو جَدُّ الشاعر فِراس بن غَنْم بن مالك ــ قائل البيتَين.

تخريج شعر فراس بن غنم الكناني

(١)

١ ــ ٢ في معجم ما استعجم ١: ٨٧، ومعجم البلدان (بارق) لفراس بن غنم.

---

١٦ ـ أبو قِلاْبة الهُـذلي

يُعَدُّ أبو قِلابة الهُذَلي، في أخبار بعض المؤلِّفين، أوّل مَن قال الشعر في هُـذَيل. ولكنّ المصادر التي عُدنا إليها لم تبسط لنا الكثير من أخباره، فنحن نجهل نشأته وفتوّته وكهولته والمؤثِّرات التي أسهمت في شاعريَّته وشعره. ولا نعرف عنه سوى اسمه ونسبه، وكونه أبًا لإحدى جدَّات الرسول ﷺ، ومشاركته في يوم الأحثّ، وبعض شؤون شعره.

١ ـ إسمه ونسبه

اختلف في اسم هذا الشاعر، فهو عند ابن الكلبي[١] وغيره[٢]: الحارث بن صَعْصَعة بن كَعْب بن طابِخة بن لِحْيان بن هُذَيْل. وقال المرزباني في **معجم الشعراء**: «إسمه في رواية دِعْبِل عُوَيْمِر بن عَمْرو»[٣]. وقال الزُّبَيْر بن بَكّار: «إسمه الحارث بن صَعْصَعَة بن كَعْب بن طابِخة بن لِحْيان، جاهلي قديم حجازي. وقد وُلِدَ النبيّ ﷺ من قِبَل ابنته أُميمة، ويُقال لها قِلابة بنت أبي قِلابة. وأبو قِلابة عمّ المُتَنخِّل الشاعر»[٤].

فقلابة إذن بنت شاعرنا، هي إحدى جدّات الرسول ﷺ، وسوف تفيدنا هذه المَعْلُومَة في تحديد زمن تقريبيّ لوجود شاعرنا بعد قليل.

أمّا نسب أبي قِلابة الدقيق فمن الصعوبة البتُّ فيه، ويمكن استخلاص جدول له عن ابن حَبيب، فهو يقول: «قِلابة بنت الحارِث بن مالِك بن حباشة بن عادية بن

---

(١) أنظر ابن الكلبي: جمهرة النسب (ط الكويت) ١١٦.

(٢) أنظر مُصعَب الزبيري: نسب قريش ٢٠ ــ ٢١، وابن حبيب: المحبّر ٩، وابن حزم: جمهرة أنساب العرب ١٩٧.

(٣) المرزباني: معجم الشعراء ٧٥ ــ ٧٦.

(٤) مُصعَب الزبيري: م. س ٢٠ ــ ٢١.

صعصعة بن كعب بن طابخة بن لحيان بن هذيل..»[1].

ومهما يكن من نسب أبي قلابة، فإنّه لا يُعيننا بقوّة في معرفة زمانه بدقّة. ويبدو أنّ علاقته بأمّهات الرسول ﷺ، وملاحظة أنسابهنّ، أدخَل في الصواب، وأولَى في البحث عن تاريخ تقريبيّ لوجود شاعرنا.

٢ ــ زمانه

ذكر ابن سَعْد (٢٣٠ هـ ــ ٨٤٤ م) أُمَّهات الرسول ﷺ، فقال: «أمّ رسول الله ﷺ آمنة بنت وَهْب بن عند مناف بن زهرة بن كلاب بن مرّة، وأمّها برّة بنت عَبْد العزّى... وأمّها، أمّ حبيب بنت أسد بن عَبد العُزّى... وأمّها بَرّة بنت عوف... وأمّها قِلابة بنت الحارث بن مالك بن حباشة بن غَنم... وأمّها أميمة بنت مالك بن غَنم بن لحيان»[2].

وطبقًا لهذه الرواية فإنّ أُميمة بنت مالك بن حباشة هي أمّ الرسول ﷺ السادسة. وهي في الوقت نفسه زوجة الحارث ــ (شاعرنا) التي أنجبت قلابة بنت الحارث ــ أم الرسول ﷺ الخامسة. وعليه فإذا قدَّرنا لكلّ أمّ من هؤلاء الأمّهات عشرين عامًا، كما كُنّا نفعل سابقًا، تكون زوج أبي قِلابة قد وُلِدت في تاريخ يسبق السنة (٥٧٠ م) بمئة وعشرين سنة تقريبًا. أي نحو سنة (٤٥٠ م) ولعلّ ميلاد زوجها لا يتقدَّم هذا التاريخ بكثير، فهو إذًا من رجال القرن الخامس الميلاديّ، في الأغلب الأعمّ.

هذا أمر، وإذا أخذنا برواية مَن يروي: أنَّ أمّ قِلابة، هي دَبّ بنت الحارث بن تميم[3] أو هِنْد بنت الحارث[4]، فإنّ شاعرنا يكون قد تزوّج بابنةِ رجلٍ، وُجِد في فترة ما بين القرن الرابع والقرن الخامس الميلاديَّين، هو الحارث بن تَميْم الهُذَلي، الذي كان مُعاصِرًا لمعدي كَرِب الحميري، وعَمْرو بن لُحَي الخُزاعي، كما مرَّ بنا في أخبار

---

(١) إبن حبيب: م. س ٩.

(٢) إبن سعد: الطبقات ١: ٥٩ وقارن بصفحة ٦٣ حيث ذكر أنّ أمّ قِلابة هي دَبّ بنت الحارث بن تميم. والروايتان عن ابن الكلبي ــ إحداهما عن أبيه، والثانية عن غير أبيه. وانظر أيضًا ابن عساكر: تاريخ مدينة دمشق ــ (قسم السيرة) ١: ٨٣، وابن الكلبي: جمهرة النسب ١: ١١٠، وابن قتيبة: المعارف ١٣١.

(٣) إبن سعد: م. س ١: ٦٣.

(٤) إبن قتيبة: م. س ١٣١.

مَعْدِي كَرِب الحميري[1]، وعليه فأبو قِلابة، للمرّة الثانية، يعدُّ من رجال القرن الخامس الميلاديّ في أفضل التقديرات.

ولعلّ قِدَم أبي قِلابة هذا هو الذي كان وراء نَعتِه بأنّه أقدم مَن قال الشعر في هُذَيل[2]. وبأنّه أوّل شعرائها[3].

٣ ـ أبو قِلابة ويوم الأحثّ

ذكر أبو سعيد السكّري (٢٧٥ هـ ـ ٨٨٨ م) هذا اليوم في **شرح أشعار الهذليّين**، فقال ما خلاصته: كان من شأن بني لِحْيان من هُذَيْل أنّها كانت شوكة من هذيل ومنعةً وبَغيًا، وكانوا أهل الهزوم ورخمة وألبان وعرق. وكانت لهم مياه كَساب. ثمّ إنّه كان لهم جارٌ فَأَخَذَهُ رجل من بني خزيمة بن صاهلة بن كاهل، فباعه، فغضبت لذلك بنو لحيان. وكان سيّدها أبا قِلابة، فأشار عليهم بأن يطالبوا بالرجل، فلمّا طالبت بنو لحيان، بني خزيمة، وسيّدها وَبَرةُ بن ربيعة، أبتْ ردَّهُ، فتواعد القوم للقتال، فقتل رجلٌ من بني لحيان، وَبرةَ بن ربيعة سيّد بني خزيمة. وتصارخَ الناس عَمْرو وكاهل من كلّ أَوْب، فأدرَكوهم بصعيد الأحثّ، فاتّبعوهم يقتلونهم. وأدرك رجل من حُلَفاء بني خُزَيْمة، يُقال له عمّار، وهو من بني عَدْوان الشاعر أبا قِلابة. وكان أبو قِلابة، فيما روى الأصمعيّ، قد ثقل وضعف، وهو في أخرى القوم، فقال له: استأسِر يا أبا قِلابة، فأَبَى وفرَّ أمامه، فأدركه ثانية، وقال استسلِم يا أبا قِلابة، فقال له أبو قِلابة: ادنُ دُوْنَكَ، فَدَنا فقنَّعه أبو قلابة بالسيف، وقتله. ثمّ أدرك بنو الحارث بن تميم بني لحيان، وظلّوا يقتلونهم إلى أن غيَّبَهم الليل بذي مُراخ، وأكثروا فيهم القتل، فانتقلت بنو لحيان من ذلك اليوم إلى غَرَّان وفيدة. فأنشد أبو قِلابة في ذلك اليوم قصيدته النونيّة المعروفة التي يقول فيه مُفاخرًا:

والقومُ أعْلَمُ هَلْ أَرْمِي وَراءَهُمُ ... إذْ لا يُقاتِلُ مِنْهُمْ غيرُ خُصّانِ
إذْ عارتِ النَّبْلُ والتفَّ اللُّفُوفُ وإذْ ... سَلُّوا السُّيوفَ عُراةً بَعْدَ إشْحانِ

---

(١) أنظر تقديرنا لزمن معدي كرب الحميري في هذه الأطروحة.

(٢) أنظر مُصْعَب الزبيري: نسب قريش ٢: ٢١٠، وابن عساكر: م. س ١: ٨٢، وابن بدران: تهذيب تاريخ ابن عساكر ١: ٢٨٧.

(٣) إبن حزم: جمهرة أنساب العرب ١٩٧.

إذْ لا يُقارعُ أطرافَ الظُّباتِ إذا اسْـــ ـــتَوْقَدْنَ إلاَّ كُماةٌ غيْرُ أجْبانِ[1]

ويبدو أنّ قِدَم هذا اليوم كان وراء غِيابِ أخباره وتفاصيله ومحاولات تأريخه، فليس لدينا أيُّ قرينة تُعين على تحديد زمنٍ لوقوع هذا اليوم، ولكنّه يبدو أنّه وقع في القرن الخامس الميلاديّ، وهو القرن الذي شهد انطلاقة الشعر في هُذَيْل، كما يفهم من الأخبار التي تقول إنّ أبا قِلابة أوّلُ شعراء هذه القبيلة التي كان فيها نيّف وسبعون شاعرًا، كما يقول ابن حَزْم الأندلسي[2].

شعره

إنّ أكبر مصدر حوى شعرًا لأبي قِلابة، هو **شرح أشعار الهذليّين**، الذي صنعه أبو سعيد السكّري في القرن الثالث الهجريّ، فقد وجدنا فيه لشاعرنا أربع قصائد ومقطّعة، تقع في (٣٩) بيتًا. وأطول قصيدة لأقدم شاعر في هُذَيْلٍ لم تَزِدْ على اثنَي عشر بيتًا، وهي قصيدته التي قَرَضَها في يوم الأحثّ.

كما ورد شِعرٌ لأبي قِلابة في **ديوان الهذليّين**، فكان له فيه (٢٦) بيتًا.

وكذلك أصبنا في **التمام في أشعار هُذَيْل** عشرة أبيات نهض ابن جنيّ بشرحها ومعالجة قضاياها اللغويّة والنحويّة والعَرُوضيّة. وتناثرت لأبي قِلابة أبيات كثيرة من تلك القصائد في كتب البلدان، واللغة، والأدب، والمعاجم، والمختارات، وغيرها، على نحو ما هو مُثبَت في تخريج أشعاره الآتية نصوصها:

شِعْرُ أبي قِلابة الهُذَلِي

(١)

في شرح أشعار الهُذَليّين (٢: ٧١٨): (الوافر)

١ ـ يَئِسْتُ مِنَ الْحَذِيَّةِ أُمِّ عَمْرٍو غَداةَ إذِ انْتَحَوْني بالْجِنابِ[3]

(١) شرح أشعار الهذليّين ٧٠٩ فما بعدها.

(٢) إبن حَزْم: جمهرة أنساب العرب ١٩٨.

(٣) الحَذِيَّة: العَطِيَّة. وقال السكّري: هي هضبة ـ أنظر معجم ما استعجم ٤٣١.
وقال ياقوت: «قال السكّري في فَسْرِهِ: الْحَذِيَّة اسم هضبة قُرْبَ مكّة، قلتُ أنا: الحذيّة في اللغة: العطيّة. لو فسّر البيت بالعطيّة كان أحسن» ـ معجم البلدان (الحذيّة). وانتحوني: رموني. والجِناب: اسم شِعْب، وفي معجم البلدان «موضع بعراض خَيْبر وسلاح ووادي القرى، وقيل: من منازل بني مازن. =

٢ ـ فَيَأْسَكَ مِنْ صَدِيْقِكَ ثمّ يَأْسًا ضُحَى يَوْمِ الأُحَثِّ مِنَ الإيابِ[1]

٣ ـ يُصاحُ بكاهِلٍ حَوْلِي وعَمْرٍو وهُمْ كالضَّارِياتِ مِنَ الكِلابِ[2]

٤ ـ يُساقُونَ الصَّبُوْحَ بذِي مُراخٍ وأُخرَى الْقَوْمِ تَحْتَ حريقِ غابِ[3]

٥ ـ فَمِنَّا عُصْبَةٌ لا هُمْ حُماةٌ ولا هُمْ فائِتونا في الذَّهابِ[4]

٦ ـ ومِنَّا عُصْبَةٌ أُخرَى حُمَاةٌ كَغَلْيِ الْقِدْرِ حُشَّتْ بالثِّقابِ[5]

٧ ـ ومِنَّا عُصْبَةٌ أُخرَى سِراعٌ زَفَتْها الرِّيحُ كالسُّنَنِ الطِّرابِ[6]

(٢)

في شرح أشعار الهذليّين (٢: ٧٢٠)[7]: (الوافر)

١ ـ تَرى أَثَرَ القُيُوْنِ بِصَفْحَتَيْهِ كَسَوْمِ النَّمْلِ مِشْيَتُها دَرِيْجُ[8]

= وقال نصر: الجِناب من ديار بني فزارة بين المدينة وفَيْد» ـ **معجم البلدان** (الجناب). وأمّ عمرو: منصوبة على النداء. وقال ابن جنّي: «يجوز أن تكون مفعول الحذيّة، أي يئستُ من أن أُحذَى أمّ عمرو» ـ **التمام في تفسير أشعار هذيل** ٨٢.

(١) في **ديوان الهذليّين**، و**معجم ما استعجم**: «أيَأْسُكَ من صديقِكَ ثمّ يَأْسَى... ضُحَى يوم الأُحَثّ». وفي رسم «الأحث» بالتاء تصحيف. وفي **معجم البلدان**: «فيأسًا من». وقال السكّري في شرحه: «ويُروى: فيأسُكَ مِن صديقِكَ مثلُ يأسِي يقول لنفسه: إيأسْ من صديقكَ يومَ الأُحَثّ. والإياب: الرجوع. ويوم الأحثّ: يوم كان بين قوم الشاعر، وبني خزيمة بن صاهلة بن كاهل. وقَتَل فيه أبو قِلابة رجلاً يُدْعَى عامراً ـ أحد بني وابش ـ أنظر **شرح أشعار الهذليّين** ٢: ٧٠٩ ـ ٧١٠.

(٢) كاهِل وعَمْرو: بطنان من هذيل. وهما خصما الشاعر. والضاريات: الكِلاب.

(٣) في **ديوان الهذليّين**: «يسامون الصباح بذي». وفي **الشرح**: «ويُروى فساقونا» ويسامون الصبوح: مَثَلٌ، أي يسقون ما لا يشتهون، أي يُحمَّلون على القتل. وذو مُراخ: وادٍ. وأُخرى القوم: آخرهم. وتحت حريق غاب: أي تحت ضَرْب وطعن، كأنّه حريق أَجَمَة، شَبَّهَ كثرة الرماح بالأَجَمَة ـ **الشرح** ٢: ٧١٨.

(٤) قال السكّري شارحًا: «هذه العصبة جماعة الظعن لا تذبُّ عن أنفسها. ولكنّها معهم لا يَحمون ولا يحيدون، والأخرى تحمي وتذبُّ جميعًا ـ والأخرى منهزمة تذهب، قال: «لا هُمْ حُماة في الحرب أي لا يحمون أنفسهم، ولا هم يفوتون في الهرب إذا هربوا، فنحتاجُ أن نقاتل عنهم» ـ **شرح أشعار الهذليّين** ٢: ٧١٩.

(٥) قوله: «كَغَلْيِ القِدْرِ»: يعني يَجِيْشون غضبًا وحَمِيَّةً. وحُشَّت: أوقِدَت وأُلْهِبَتْ. والثقاب: عُود أو بَعر يُجعَل على النار إذا أرادوا تركها لتُحفَظ لهم النار. والثقاب أيضًا وقود النار.

(٦) قال السكّري في شرحه: ويروى عن أبي عَمْرو: «زَفَتْها النبلُ». وزفا يَزْفِي زَفْيًا وزَفَيانًا. طَرَد واستخفَّ. السنن: مفردها سنون، وهي الإبل التي تلحُّ في عَدْوها ولا يُرَدُّ وجهُها. والطِّراب: النوازع إلى أوطانها.

(٧) جاء في أوّل القصيدة: «وقال أبو قِلابة أيضًا عن الجُمَحي وحدَه».

(٨) القُيُون: مفردها قَيْن، وهو الحدّاد، وقيل: كُلُّ صانِع قَيْن. وسَوْم النمل: مَشيُهُ ودَبِيْبُه. ودَرِيْج: مِن دَرَج دَرْجًا ودَرِيْجًا. إذا مشى مَشيًا ضعيفًا ودَبًّا. والشاعر هنا يصف سَيفًا.

٢ ــ كَمَا أَلْقَى البراثِنَ وَسْطَ ضَحْلٍ مِنَ الرِّنْقاءِ غُرْنَيْقٌ عَمُوْجُ[1]
٣ ــ وصَفْراءُ الْبُرايةِ فَرْعُ نَبْعٍ تَبَطَّنَها أَسارِيْعٌ نُهُوْجُ[2]
٤ ــ وبِيْضٌ كالأسنَّةِ مُرْهَفاتٌ كَأَنَّ ظُباتِها عُقْرٌ بَعِيْجُ[3]
٥ ــ سِلاحِي ثُمَّ قد عَلِمُوا بأنّي إذا ما فَرَّ ذو العِذْرِ السَّمِيْجُ[4]
٦ ــ فولَّى سادِرًا يَصِمُ الحُظَيَّا وزَحْزَحَ شَأْوَهُ العَدْوُ الضَّرِيْجُ[5]
٧ ــ وهادِيةٍ دَرَيْنا في مَصامٍ كأنَّ سراتَها سَحْلٌ نَسِيْجُ[6]

(٣)

في شرح أشعار الهُذليّين (٢: ٧١٤): (الكامل)

١ ــ أَمِنَ القَتُوْلِ مَنازِلٌ ومُعَرَّسُ كالوَشْمِ في ضاحِي الذّراع يُكَرَّسُ[7]

---

(١) البراثن: مفردها بُرثُن، وهو للسباع والطير بمنزلة الإصبع للإنسان، والإصبع: تُذكّر وتؤنّث. والضحل: الماء القليل، والرنقاء: الماء القليل الكَدِر. والغُرْنَيْق: طائر أبيض، وقيل: هو طائر أسود من طير الماء طويل العنق. والعَمُوج: السابح، والذي يتعمّج أي يَتَلَّوى من عَمَجَ يَعْمِجُ، وهو قلْبُ مَعَجَ إذا أسرع في سيره ــ اللسان (عمج).

(٢) البيت في شرح أشعار هُذَيل ٦١٨ ضمن شعر الداخِل بن حَرام الهُذَلي، وروايته:
وصَفْراءُ البُرايةِ فَرْعُ نَبْعٍ تَضَمَّنَها الشرائِعُ والنُّهُوجُ
وقال: «يروى: فَرْعُ قانٍ... تَضَمَّنها أساريْع نُهُوج».
والصفراء: أراد القَوْس. والبُراية: النُّحاتة، وما بَرَيْتَ من العُوْد. والقوس الفَرْع: المعمولة من رأس القضيب وطرفه، وهو من خير القِسِيي، أو هو ما كان من قضيب واحد، وعكسه الفِلْق. والنبع: شجر تُتَّخذ منه القِسِيي، وقوس النبع: أكرَم القِسِيي لشدّته ولينه، والأساريع: خطوط تكون في عود القِسي. والنهوج: مفردها نهج وهو البيِّن الواضح، والبُراية مؤنّث البُراء، وهي من المؤنث المرتَجَل الذي لم يَحْتَذِ نظيرهُ من المذكّر. لأنّ الوَجْه أنْ يُقال البُراءة، ومثلها قالوا: مؤنّث الشقاء الشقاوة. ولم يقولوا الشقاءة ــ اللسان (بري)، والخصائص ١: ٢٠٩.

(٣) في المقاييس: «وفي قَعْرِ الكنانةِ مُرْهَفاتٌ». وفي شَرح أشعار الهذليّين ٦١٨، والصحّاح، واللسان، والتاج: «وبيض كالسلاجم مرهفاتٌ». والبيض، السيوف، والظبَى: مفردها الظُّبة، وهي حدّ السيف والسنان والرمح وما أشبه ذلك. والعُقر: الجَمر. والبَعِيْج: بمعنى مَبعوج، أي بُعِج بعودٍ يُثار به.

(٤) ذو العِذْر: صاحِب الأعذار. والسميج: القبيح والذي لا خير فيه. وجواب «إذا» محذوف.

(٥) قال السكّري في شرحه: «سادِرًا: أي راكبًا رأسَه. يَصِمُ: يقتحم. الحُظيّا: يمشي رُوَيْدًا كأنّه بألم حَظًا يَحْظُو. شَأْوُهُ: شَوْطُه. والضَّريج: الشديد». وزَحزَح: أبعد وأنحى.

(٦) في الشرح ٦١٣ عزا السكّري البيتَ للداخِل بن حَرام، وروايته فيه:
عَـزَزْنا وكانتْ في مَصامٍ كأنَّ سَراتَها سَحْلٌ نَسِيْجُ
والهادية: الوحشِيّة. ودَرَيْنا: خَتَلْنا، والمصام: المقام. والسحل: المُلاءة أي كأنّ ظهرها ملاءة من بياضِها.

(٧) في ديوان العَجّاج: «في صاوِ اليدَيْن يُكرَّسُ». والقَتُول: اسم امرأة. والمُعرَّس: حيث ينزل المُسافِر وينام ليلاً. وضاحِي الذراع: ما ظهر منه للشمس، ويكرَّس: يُجعل نظمًا بعضُه فوق بعض مثل الكرّاسة.

٢ ـ خَـوْدٌ ثَـقالٌ في القِيام كَـرَمْـلَـةٍ دَمَـثٍ يُـضِـيءُ لَـها الظَّلامُ الحِنْـدِسُ(١)

٣ ـ رَدْعُ الخَلُـوْقِ بـجِلْـدِها، فَـكـأنَّـهُ رَيْـطٌ عِـتاقٌ في الصُّـوانِ مُـضَـرَّسُ(٢)

٤ ـ يا حَبَّ، ما حُبُّ القَتُولِ، وَحُبُّها فَـلَـسٌ فلا يُـنْـصِبْـكَ حُـبٌّ مُـفْـلِسُ(٣)

٥ ـ يا بَرْقُ يَـخْـفِـيْ لِـلْـقَـتُـولِ كـأنَّـهُ غـابٌ تَـشَـيَّـمُـهُ حـريـقٌ يُـبَّـسُ(٤)

٦ ـ تُـزْجَى لـهُ تحتَ الـظَّـلامِ أَكِـفَّـةٌ مَـجْـنُـوبَـةٌ، نَـفَـيـانُـهـا مُـتَـكَّـسُ(٥)

٧ ـ هلْ يُـنْـسِيَنْ حُـبَّ القَـتُوْلِ مَـطارِدٌ وأَفَـلُّ يَـخْـتَـضِـمُ الـفَـقـارَ مَـسَـلَّـسُ(٦)

---

(١) في ديوان الهذليّين: «في المَنام كَرَمْلَةٍ» ولعلّه تحريف. والخَوْد: الفتاة الحَسَنة الخَلق الشابّة. وقال السكّري «الخَود: الحَيِيَّة». وقوله: «ثَقال في القيام» كناية عن نعمتها ورفهها. والدَّمَث: الليّنة المَوْطِئ، ورَمْلة دَمَث كذلك، كأنّها سُمِّيَت بالمصدر ـ اللسان (دمث) والحِنْدِس: الشديد الظلمة.

(٢) في ديوان الهذليّين: «رَدْعُ العبيرِ بجِلْدِها... في المَصان مُضَرَّسُ». وقال السكّري في شرحه: «ويُروى بجيْدها». وفي التاج: «برجلِها فكأنّه» تحريف. وفي التمام، وأساس البلاغة: «في المصان مُضَرَّس». والرَّدْع: الأثر. والخَلوق: ضرب من الطيب. والريط: مفردُها رَيطة، وهي القطعة الواحدة ولم تكن لفقَين. وقال الأزهري: لا تكون الريطة إلاّ بيضاء ـ اللسان (ريط). والعِتاق: الكِرام. والصوان: مكان الصون. ومُضرَّس: مُوَشّى، وقال ابن منظور في هذا البيت وتذكير وتأنيث الريط فيه: «أي مُوَشّى، حَمَلَه مرّةً على اللفظ فقال مُضَرَّس، ومرّةً، على المعنى، فقال عِتاق. ويُقال رَيْط مُضَرَّس لضرْبٍ من الْوَشْي» ـ اللسان (ضرس).

(٣) قال السكّري في شرحه: «ويُروى يا حُبَّ ما حُبّي». وقال ابن جنّي شارحًا: «ينبغي أن يكون (حَبُّ) ترخيم حَبَّة اسم عَلَم أو حُبَّى كسَكْرَى، أو حَبَّاء كورقاء. وقوله: (ما حُبُّ القتولِ) لفظ استفهام في معنى التعظيم كقول الله تعالى: «ما الحاقَّة؟». ثمّ أخبر بعد ذلك، فقال: حبُّها فَلَسٌ أي لانَيْلَ معه. ويجوز وجه آخر، وهو أن يكون أراد يا حبَّذا حُبُّ القتول، فوضع (ما) لإبهامها موضع (إذا)، إلاّ أنّ (ما) نكرة، فهي منصوبة الموضع.. ويجوز أن يكون (ما) معرفة موصولة، والعائد عليها محذوف، أي (يا حُبَّ الذي هو حُبُّ القتول) ـ التمام ٨١. ولا يُنْصِبْنَكَ: لا تُبالِ به. والحبّ المُفلِس: الذي لا نيل معه.

(٤) قال السكّري في شرحه: «يَخفي: يظهر، اختفيتُه من جحره: أخرجتُه. وتشيُّمه: دَخَلَهُ ويُروى: تَسَنَّمَهُ، أي علاه». والغاب: الأَجَمة، الواحدة غابة، أراد يا بَرق يظهر من شقّ القتول، أي من ناحيتها. أبو عَمْرو: يُخفي: يلمع: «خَفَى خَفَيانًا..» وقال ابن جنّي: «يَخْفِي، في موضع نصب على الحال، أي يا برْقُ خافِيًا، معناه ظاهرًا» التمام ٨٢.

(٥) تُزجَى: تُساق. والأَكِفَّة: مفردها كِفاف، وهو الحواشي، والمراد هنا حواشي السحاب المرافق للبرق المذكور في البيت السابق، والمجنوبة التي أصابتها ريح الجنوب... والنفيان: ما يتطاير من القطر. والمُتَكَّس: المتظاهر المتجمّع.

(٦) في التكملة، واللسان (سلس): «لم يُنسيني حُبَّ القَبول مَطارِدٌ» تصحيف. وفي اللسان (سلسل): «لم يُنْسِيني.. يَختَصِم الفَقارَ». وفي «يَختصم» تصحيف. وفي ديوان الهذليّين: «هل تُنْسِين حُبَّ». وفي التاج (لسس) «الفَقار مُلَسْلَسُ». وقال الزبيدي في التاج (سلس): «والرواية: مُلَسْلَسُ، وأراد المُسَلْسَل، فَقَلَبَ». والمَطارِد: قال السكّري في شرحه: «رماح ويقال: سِهام يُشبهُ بعضُها بعضًا. يختضِم: يقطع، سيف خضيم لم يلقَ شيئًا إلاّ قَطَعه، ومُسلَّس: أراد مسلسلاً أي فيه مثل السلسلة، أَفَلّ: به فُلُول، أبو =

٨ ـ لَيْنٌ حُسامٌ لا يُلِيقُ ضَرِيبَةً في مَتْنِهِ دَخَنٌ وأثْرٌ أخْلَسُ[١]

٩ ـ وشَرِيجَةٌ جَشّاءُ ذاتُ أزامِلٍ يُخْظِي الشِّمالَ بِها مُمَرٌّ أمْلَسُ[٢]

١٠ ـ بَزٌّ بِهِ أحْمِي المُضافَ إذا دَعا وبَدا لهم يَوْمٌ ذَنُوبٌ أحْمَسُ[٣]

١١ ـ واسْتَجْمَعُوا نَفَرًا، ورادَ جَنابَهُم رَجُلٌ بِصَفْحَتِهِ دَبُوبٌ تَقْلِسُ[٤]

(٤)

في شرح الهذليين (٢: ٧١٠)[٥]: (البسيط)

١ ـ يا دارُ أعْرِفُها وَحْشًا مَنازِلُها بَيْنَ القَوائِمِ مِنْ رَهْطٍ فألْبانِ[٦]

٢ ـ فَدِمْنَةٍ بِزُخَيّاتِ الأحَثِّ إلى ضَوْجَيْ دُفاقٍ كَسَحْقِ المَلْبَسِ الفانِي[٧]

= عَمْرو: مُسَلَّس: مُرصَّع» ـ الشرح ٢: ٧١٦.

(١) في ديوان الهذليّين: «عَضْبٌ حُسامٌ... وأثْرٌ أخْلَسُ». وفي الأساس: «بأفَلَّ عَضْب لا يُليقُ» واللين: مُخفَّف لَيِّن، وهو المَرِن وغير الخَشِن. ولان الشيء لِينًا ولَيانًا، وتليَّن. والحُسام: القاطع الذي يحسم الدمَ من سرعته. ولا يُليق: ولا يُبقي، ولا يَدَع شيئًا إلاّ قَطَعَه. والدخن: فِرِنْد السيف، أو هو ما يتراءى في متنه من شدّة الصفاء من سواد، وأصله كدورة إلى سواد يكون في الدابة أو الثوب. والأثْر: رونق السيف. والأخلَس: المختلِف الألوان.

(٢) في اللسان: «تَخْظِي الشِّمالُ». والشريجة من القِسِيّ التي ليست من غُصْنٍ صحيح مثل الفلق. وقال السكّري: «جشّاء: في صوتها بُحّة وغِلَظ. أزامِل: أصوات مختلطة. يُخْظِي: ينفج ويُخرج نَحْمةَ ساعدَيْه من شدّة النزع. مُمَرّ: يعني وَتَرًا مفتولا أمْلَس، لا عُقَدَ فيه.. أبو عَمْرو تُخْظَى: تُمْلأ» ـ الشرح ٢: ٧١٦ ـ ٧١٧.

(٣) قال السكّري في شرحه: «ورُوِيَ بزًّا». والبَزّ: السلاح. والمُضاف: الواقع في حَرَجٍ أو ضِيق في الف[illegible] واليوم الذنوب: الطويل الذي لا يكاد ينقضي. والأحمس: الشديد.

(٤) في شرح أشعار الهذليّين: «وزاد جَبانَهم... رَجُلٌ». وأثبتُّ رواية أبي عَمْرو في أثناء شرح البيت، لجَوْدَتِها. وفي التكملة: «ورادَ جَبانَهم.. رجلٌ» ولعلّه تصحيف. واستجمعوا نَفَرًا: نَفَروا جميعًا. ورادَ يَرُوْدُ: إذا جاء وذهب ولم يطمئنّ. وجنابهم: ناحيتهم. والصفحة: الجَنْب. والدبوب: الطعنة تَدِبُّ بالدم، أي تسيل بِهِ. وتَقْلِس: قال السكّري: تمجُّ الدمَ ـ الشرح ٢: ٧١٧.

(٥) قال أبو قِلابة هذه القصيدة في يوم الأحَثّ، وهو يومٌ بين بني كاهل وعَمْرو الهذليّين، وبني لحيان ـ قوم الشاعر. وقد تقدّم ذكره. وانظر شرح أشعار الهذليّين ٢: ٧٠٩ ـ ٧١٠.

(٦) في معجم البلدان: «رَهْطٍ فأليان» بالياء. وقوله: «وَحْشًا منازِلُها» أي ليس بها أحد. والقوائم: جبال مُنْتَصِبة. ورَهْط، وأليان: اسمان لِمَوضِعَين ـ أنظر معجم البلدان (رهط) و(ألبان).

(٧) في ديوان الهذليّين، ومعجم البلدان: «فَدِمْنَةٌ بِزُخَيّات الأحَثّ إلى». وفي شرح أشعار الهذليّين: «وروى أبو عمرو بثنيّاتِ الأحثِّ إلى... جُزْعَي دُفاقٍ».

وفي ديوان الهذليّين: «ويُرْوَى كَسَحْقِ الدِّمْنةِ الفاني». والدمنة: آثار الناس وما سوَّدوا بالرماد ودمّنوا. وزُخَيّات: مفردها زُخَيَّة، وهو تصغير زَخّة. وزَخَّ يَزخُّ زَخّة: دفع في وَهْدَة. والأحَثّ: من بلاد هُذَيْل. والضَّوْج: منعطف الوادي. والدفاق: اسم وادٍ. والسحق: الخَلَق البالي.

٣ ـ ما إنْ رَأيتُ وصَرْفُ الدَّهرِ ذُوعَجَبٍ كـالْـيَـوْمِ هِـزَّةَ أَجْـمـالٍ بـأَظْـعـانِ[1]

٤ ـ صَفًّا جَوانِحَ بَيْنَ التَّوأماتِ كَمَا صَفُّ الوُقُوْعَ حَمامُ المَشْرِبِ الْحانِي[2]

٥ ـ يا وَيْكَ عَمَّارُ لِمْ تَدْعُوْ لِتَقْتُلَنِيْ وَقَـدْ أُجِـيْـبُ إذا يَـدْعُـوْنَ أَقْـرانِـي[3]

٦ ـ والْقَوْمَ أَعْلَمُ هَلْ أَرْمِيْ وَراءَهُمُ إذْ لا يُقاتِلُ مِنْهُمْ غَيْرُ خُصَّانِ[4]

٧ ـ فإذْ عارَتِ النَّبْلُ والْتَفَّ اللُّفوفُ، وإذْ سَلُّوا السُّيُوفَ عُراةً بَعْدَ إشْحانِ[5]

٨ ـ إذْ لا يُقارِعُ أَطْرافَ الظُّباتِ إذا اسْـ ـتَوْقَدْنَ إلاّ كُماةٌ غَيْرُ أَجْبانِ[6]

---

(١) في كتاب الإبل للأصمعي: «أجمال وأظعان». وصرف الدهر: حَدَثانُهُ ونُوَبُه. والهِزَّة: الحركة الشديدة. والأظعان: مفردها ظَعِينة، وهي الهودج تكون فيه المرأة، وقيل: هو الهودج كانت فيه المرأة أو لم تكن، وقيل: هو المرأة في الهودج.

(٢) قال السكّري في شرحه: «تعطّفت على الماء لتشرَب. صَفًّا: أي اصْطَفَفْنَ في السير. جوانِح: مائِلات دَنِيّات من الأرض للثياب التي على الهودج. والتوأمات: مراكب النساء على الهَوادِج لا ظلالَ عليها، واحدتُها تُوْأَمة... والحاني: الذي حنا ليشربَ، فوقعت صفًّا لتشرب على الماء. وقالوا: الحاني العطشان، حنا يحنو إذا عطش. قال: هذه الإبل صَفٌّ كصفّ الحَمام. والمشرب الموضع الذي تشرب منه الحمام. وقوله: كما صُفَّ الوقوع، يعني الحَمام، إذا صفَّت وقوعًا» ـ الشرح ٢: ٧١١ ـ ٧١٢.

(٣) قال السكّري في شرحه: «ويُرْوى يا عَمْرو وَيْحَكَ لِمْ». وفي ديوان الهذليّين: «وَيْحَكَ يا عَمْرو ولِمْ.. وقد أجبْتَ إذا يَدْعوكَ أقراني». وفي الشرح، والتمام في تفسير أشعار هذيل: «وَيْكَ عمّارُ» جَعَلَهُ مخرومًا، وعلّق ابنُ جِنّي على هذه الرواية بقوله: «إعلم أنّ هذا الذي قالَه خطأ، وذلك لأنّ الخَرْم فيما أوّله وَتِدٌ مجموع، فإذا حُذِف الأوّل من المتحرّكَيْن خَلَفَهُ الابتداءُ به الثاني منهما فأمّا ما أوّلُه (مُسْ تَفْ عِلُنْ) فإنّك إن حَذَفْتَ الميم، لزمكَ الابتداء بالساكن، وهو السين. فأمّا هذا الإنشاد فلا يصحّ لأنّه يصير تقطيعه إلى (وَيْ كَعَم): فاعِلُن، و(فاعِلُن) لا يجوز في أوّل البسيط على وَجهٍ من الوجوه، وإنّما المُتَجوَّز في زحاف (مُسْ تَفْ عِلُنْ) مَفَاعِلُن، ومُفْتَعِلُن وفَعَلَتُن. فقوله: مَخْرُوم، خطأ لِمَا ذكرت لك. ولكن الوجه فيه عندي أن يكون أراد (يا) فحذفها لفظًا، وهو يَنويها تَقديرًا» ـ التمام ٧٨. كما أشار ابن جنيّ إلى أنّ «أقراني» قد تكون مَفعولاً لِـ«أُجِيب» وعندئذ تكون جملة «إذا يَدعون» اعتراضيّة. وقد تكون «أقراني» فاعلاً لِـ «يدعون»، وعندئذ تكون الواو في «يدعون» علامة جَمع، نحو قولهم: أكلوني البراغيث» ـ التمام ٧٧.

(٤) الخُصّان: الخواصّ أو الخاصّة من الناس.

(٥) في التكملة والذيل: «إذا عارت... السيوف عواةً بعد» تحريف. وفي الصحّاح، والعُباب، واللسان، والتاج (شحن): «السيوف، وقد همّت بإشحانِ». وفي التاج (لفف): «بعد أشجانِ». وعارت النبل: جاءت من كلّ وَجْه، لا يُدْرَى من أين جاءت. واللُّفوف: الجماعات. والإشحان: الإغماد. وفي الشرح: يقال: أشْحَنَ سَيفَهُ إذا أَغْمَده، وإذا سلّه أيضًا ـ أنظر الأضداد ـ للصغاني ضمن ثلاثة كتب للأضداد، نَشَرها أوغست هَفْنَر ٢٣٣.

(٦) في التمام: «إذ لا يُقاتِل أطراف». وفي ديوان الهُذَليّين: «إلاّ كُماةً غَيْرَ» بالنصب. وهو خطأ. والظُّبات: مفردها الظُّبَة. وهي حَدُّ السيف وغيره، واستوقَدَت: التهبَنَ للضرب. والكُماة: مفردها الكَمِيّ، وهو الشجاع. والأجبان: مفردها جبان، وهو معروف، وقال ابن جنّي: «كَسّر فَعال على أفعال، ومثله جَواد =

٩ ـ إنَّ الرَّشادَ وإنَّ الغَيَّ في قَرَنٍ بكُلِّ ذلكَ يأتِيكَ الجَدِيدانِ[١]
١٠ ـ لا تَأْمَنَنَّ ولَوْ أَصْبَحْتَ في حَرَمٍ إنَّ المَنايا بِجَنْبَي كُلِّ إنْسانِ[٢]
١١ ـ ولا تَهابَنَّ إنْ يَمَّمْتَ مَهْلَكَةً إنَّ المُزَحْزَحَ عَنْهُ يَوْمُهُ دانِي[٣]
١٢ ـ ولا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ سَوْفَ أَفْعَلُهُ حَتَّى تَبيَّنَ ما يَمْنِي لكَ الْمانِي[٤]

(٥)

في شرح أشعار الهذليّين (٢: ٧٢٠)[٥] (الكامل)

١ ـ رُبَّ هامةٍ تَبْكي عَلَيْكَ كريمةٍ بالْوَدِّ أو بِمَجامِعِ الأَضْجانِ[٦]
٢ ـ وأخٍ يُوازِنُ ما جَنَيْتُ بِقُوَّةٍ وإذا غَوَيْتُ الغَيَّ لا يَلْحاني[٧]

تخريج شعر أبي قلابة الهذلي

(١)

١ ـ ٧ في شرح أشعار الهذليّين ٢: ٧، ٨ لأبي قِلابة الهذلي.

= وأجواد... وهو قليل» ـ التمام ٧٩ ـ ٨٠.

(١) في العقد، وأمالي المرتضى، وأسد الغابة، والخزانة: «والخيرُ والشرُّ مقرونان في قرن». وفي اللسان، والتاج «فالخير والشرُّ مقرونان في قَرَنٍ». والقرن: الحبل. والجديدان: هنا، الليل والنهار.

(٢) في ديوان الهُذَليّين، وحماسة البحتري، ونسب قريش، ومجموعة المعاني، وتاريخ ابن عساكر، وتهذيب ابن عساكر: «وإن أصبحت». وفي اللسان، والتاج، والخزانة: «لا تأمَنَنَّ الموتَ في حِلٍّ ولا حَرَمٍ». وفي العقد، وأمالي المرتضى، واللسان، وأسد الغابة، والتاج: «وإن أمسيت في». والحَرَم: المنعة.

(٣) في الشرح: «ويروى آنٍ» أي جاءٍ. والمُزَحْزَح عنه: المُتباعَد عنه المتراخِي العمر.

(٤) في الأساس، واللسان:

لا تَأْمَنَنَّ وإن أَمْسَيْتَ في حَرَمٍ حتّى تُلاقي ما يَمْنِي لكَ المانِي

وفي خزانة الأدب (بولاق)، والتاج: «فلا تقولنَّ... حتّى تلاقي ما». وفي الإبدال: «لِشَيءٍ لستُ أَفْعَلُه». وفي اللسان: «حتّى تُلاقِي ما». ومَنَى يَمْنِي: قَدَّرَ. والمانِي: المُقَدِّر.

(٥) في الشرح: «وقال أبو قِلابة أيضًا، عن أبي عَمْرو وأبي عبدالله وَحْدَهما».

(٦) في معجم البلدان: «كَريمةٍ... بأَلْوَدِّ أو». والهامة: جماعة الناس. وقيل: الهامة طائر. وكان العرب يعتقدون أنَّ عظامَ الموتى القتلى الذين لم يُدرَك بثأرهم تصير هامة فتزقو عند قبورهم، تقول: اسقوني اسقوني، فإذا أدرك بالثأر طارت ـ اللسان (هوم). والوَدّ: اسم جَبَل ـ انظر معجم البلدان (ود). وأَلْوَدّ: كذلك اسم موضع. والضجن: قال ياقوت: «وادٍ في بلاد هذيل بتهامة أسفَلُه لكنانة، وجمعه أبو قِلابة، فقال: (البيت)» ـ معجم البلدان (الضجن).

(٧) قال السكّري في شرحه: «يقول إذا جَنَيْتُ جنايةً قامَ بها، يُقال: وازَنَ بنو فلان بني فلان إذا قاموا بهم. أبو عبدالله، يقال، غَوَيْتُ أغْوِي غِيًّا وغوايةً، يقول: ما جَنَيْتُ حَمَلَهُ وكَفَأَنِيه» ـ الشرح ٢: ٧٢.

١، ٣، ٤، ٢	في معجم البلدان (مُراخ) لأبي قِلابة الهذلي.
١، ٢	في معجم البلدان (الأحث) لأبي قِلابة الهذلي.
١، ٣، ٤	في التمام في تفسير أشعار هذيل ٨٢ ـ ٨٣ لأبي قِلابة.
١	في معجم ما استعجم ٤٣١، واللسان، والتاج (حذا)، ومعجم البلدان (الجناب) و(الحذية) لأبي قلابة.
٢ ـ ٧	في ديوان الهذليّين ٣: ٣٤ لأبي قلابة.
٢	في معجم ما استعجم ١١٦ لأبي قلابة.
٤	في معجم ما استعجم ١٢٠٥ لأبي قلابة.
٧	في المعاني الكبير ٩٧١ لأبي قلابة.

(٢)

١ ـ ٧	في شرح أشعار الهذليّين ٢: ٧٢٠ لأبي قِلابة.
٣، ٤	في الشرح ٦١٨ ضمن شعر الداخل بن حرام الهذلي.
٤	في الصحاح، واللسان (عقر). وقد عزاه ابن منظور للهذليّ أوّلاً، ثمّ قال: «قال ابن بَرّي: هذا البيت أورده الجوهريّ وقال: قال الهذليّ يصف السيوف. والبيت لعمرو بن الداخل يصف سهامًا». وهو في التاج (عقر) لعمر بن الداخل. وفي المقاييس ٤: ٩٥ دون عزو، وعجزه في التهذيب ١: ٢٢١ للهذلي.
٧	في الشرح ٦١٣ ضمن شعر الداخل بن حرام الهذلي.

(٣)

١ ـ ١١	في شرح أشعار الهذليّين ٢: ٧١٤ لأبي قلابة.
١، ٤، ٢، ٣، ٧ـ١١	في ديوان الهذليّين ٣: ٣٢ لأبي قلابة.
١، ٣، ٤، ٥	في التمام: ٨٠ ـ ٨٢ لأبي قِلابة. وقال ابن جنيّ: «ويقال: بل قالها: المعطّل».
١	في ديوان العجّاج ١: ٤٨٤ لأبي قلابة، وقد ورد في حاشية الأصل.
٢	في اللسان، والتاج (دمث) لأبي قلابة.
٣	في الأساس (صون)، واللسان (ضرس) و(فلس)، والتاج (فلس)

لأبي قِلابة.

٤ في التكملة والذيل (فلس) للمعطّل الهذلي، ثمّ لأبي قلابة، واللسان (فلس) للمعطّل، وفي حاشية الأصل لأبي قِلابة. وفي التاج (فلس) لأبي قلابة.

٥ في شرح ديوان لبيد ١٢٦ للهذلي دون تحديد.

٧ في التكملة والذيل (سلس) للمعطّل، ثمَّ لأبي قِلابة، وفي اللسان (سلس) و(سلسل) للمعطّل الهذلي. وفي التاج (سلس) للمعطّل، ثمَّ لأبي قلابة، وفي (لسس) لأبي قِلابة.

٨ في الأساس (ليق) دون عزو. وفي الصحّاح، واللسان، والتاج (دخن) للمعطّل، وفي التكملة (دخن) للمعطّل، ثمَّ لأبي قلابة، وفي الصحّاح، واللسان، والتاج (حلس) للمعطّل. وقال الزبيدي في التاج (حلس): هكذا في الصحاح، والصواب أنّ البيت لأبي قِلابة الطابخي».

٩ في التهذيب ٧: ٢٨٠ للمعطّل، واللسان والتاج (شرج) للهُذَلي دون تحديد.

١١ في التكملة، والتاج (دبب) للمعطّل الهذلي، وعجزه في المجمل ٣٢٠ دون عزو. وبعض عجزه في المقاييس ٢: ٢٦٣ للهذلي دون تحديد.

(٤)

١ ــ ١٢ في شرح أشعار الهذليّين ٢: ٧١٠ ــ ٧١٣ لأبي قِلابة الهذليّ.

١ ــ ١٠، ١٢ في ديوان الهذليّين ٢: ٣٦ ــ ٣٩ لأبي قِلابة.

١، ٢ في معجم ما استعجم ١٨٧، ومعجم البلدان (الأحثّ) لأبي قلابة.

١، ٥، ٨ في التمام ٧٦ ــ ٧٩ لأبي قلابة.

١ في اللسان، والتاج (رهط) و(ألبان) ومعجم البلدان (رهط) لأبي قلابة.

٣ في جمهرة اللغة ١: ٩٢، وكتاب الإبل (ضمن الكنز اللغويّ)

١٢٥، ١٤٨ لأبي قلابة.

٤ في التكملة، واللسان، والتاج (تأم) لأبي قلابة.

٦ في اللسان، والتاج (خصص) لأبي قلابة.

٧ في الصحّاح (شحن)، والعباب ٤٢، والتكملة، واللسان، والتاج (شحن) واللسان، والتاج (لفق) لأبي قلابة. وفي التهذيب ٤: ١٨٤ دون عزو.

٩ ـ ١٠، ١٢ في مجموعة المعاني ١١ لأبي قلابة.

٩ ـ ١٠ في نَسَب قريش ٢١ لأبي قِلابة، وحماسة البحتري ٩٢ لأبي قلابة، وتروى لغيره. وفي تاريخ ابن عساكر (قسم السيرة) ١: ٨٢، وتهذيب تاريخ ابن عساكر لابن بدران ١: ٢٨٧ لأبي قِلابة.

١٠ في العقد ٥: ٢٧٥، مع ثلاثة أبيات أخر، وكذلك في أمالي المرتضى ١: ٣٦٨، وخزانة الأدب (بولاق) ٤: ٥٣٧ لسويد بن عامر المصطلق. وهو كذلك في أُسد الغابة ٤: ٣٦١ لسويد بن عامر، وقال ابن حَجَر: «قال الزبير بن بكّار: هذا الشعر لأبي قِلابة الشاعر الهُذلي، قال: هو أوّل مَن قال الشعر من هُذَيْل».

١٢ في شرح ديوان الحماسة للتبريزي ٤: ١٥، والأساس (منى)، والإبدال ٢: ٤٩٩، والصحاح، واللسان، والتاج (منى) لأبي قلابة. وفي الخزانة ١: ٥١٧ (بولاق) لسويد بن عامر. وعجز هذا البيت، مع صدر البيت العاشر في المقاييس ٥: ٢٧٦ للهذلي دون تحديد.

(٥)

١ ـ ٢ في شرح أشعار الهذليّين ٢: ٧٢٠، ومعجم البلدان (ألوذ) و(الضجن) لأبي قِلابة الهذلي.

١٧ ـ الحارث بن كَعْب المَذْحِجي

إنّ الحديث عن بعض ملامح هذا الشاعر، أو صفاته، أو شعره، يعدّ مُعْضِلةً من المُعضلات، ذلك أنّ ابنَ قُتَيْبة، الذي أدرجه بين ثلاثة الشعراء الأوائل، الذين ذكرهم في **الشعر والشعراء**، اكتفى بالقول: «وقال الحارِث بن كَعْب، وكان قديمًا:

أكَلْتُ شَبابي فأفْنَيْتُهُ ... وأفنَيْتُ بعدَ شُهُوْرٍ شُهُوْرا

ثَلاثةُ أهْلِيْن صاحَبْتُهُمْ ... فباتُوا وأصْبَحْتُ شَيْخًا كَبيرا

قليلَ الطَّعامِ عَسِيْرَ القِيا ... مِ قدْ تَرَكَ القيدُ خَطْوِي قَصِيْرا

أبِيْتُ أُراعِي نجومَ السَّماءِ ... أُقلِّبُ أمْري بطونًا ظُهُورا»[1]

ولكثرة مَن سُمِّي باسم (الحارث بن كَعْب) من أعلام جاهليّين[2]، كاد سُكوتُ ابن قتيبة عن ذكر قبيلة هذا الشاعر، يخلّف غموضًا وتعقيدًا في بحثنا عنه، لولا أنّ الشريف المُرْتَضى سَلَك (الحارث بن كعب) بين المُعمَّرين، وذكر قبيلتَه ووصيَّتَه، ثمَّ أنهى ذلك بأبياتٍ من شعره، هي الأبيات التي أنشدها ابن قتيبة، والتي أثبتناها من قبل، فعرفنا بذلك أنّ الحارث بن كعب، عند الشريف المرتضى، هو ذاته الحارث بن كعب عند ابن قتيبة، وهو ذاته أيضًا الحارث بن كَعْب الذي ذكره ابن أبي الحديد (٦٥٦ هـ ـ ١٢٥٨ م) في كتابه **شَرْح نَهج البلاغة**[3]، دون أن يعزوه إلى قبيلةٍ بعينِها، بدليل أنّ الأبيات ذاتها التي رُويت عند ابن قتيبة، والشريف المُرْتَضى له، رواها أيضًا له ابنُ أبي الحديد.

وكان مِمّا قاله الشريف المُرْتَضى في شاعرنا: «أحد المعمّرين الحارث بن كعب ابن عَمْرو بن وَعْلة بن خالد بن مالك بن أُدَد المَذْحِجي، ومَذْحِج هي أمّ مالك بن أُدد، نُسِبَ وَلَدُ مالِك إليها، وإنّما سُمِّيَت مَذحِجًا لأنّها ولدت على أكمة تسمّى مَذحِجًا، واسمها مدلّة بنت ذي مَنْجشان»[4]. وذكر الشريف المرتضى ملامح أخرى

---

(١) إبن قتيبة: **الشعر والشعراء** ١: ١٠٥.

(٢) أنظر مثلاً الضبيّ: **أمثال العرب** ٤٨، ٧٨، ٧٩، وأبا عُبَيْد: **الأمثال** ٦١، واليعقوبي: **تاريخ اليعقوبي** ١: ٢٠٧، وابن دُرَيْد: **الاشتقاق** ٢٥٣، والهَمداني: **الإكليل** ١٠: ١٧١، وابن حزم: **جمهرة أنساب العرب** ٣٧٦، والآمدي: **المؤتلف والمختلف** ٢٧٧.

(٣) أنظر ابن أبي الحديد: **شرح نهج البلاغة** ١٧: ١١٩ ـ ١٢٠.

(٤) الشريف المرتضى: **أمالي المرتضى** ١: ٢٣٢.

لهذا الشاعر، سنعود إليها بعد أن نحاول تقدير زمانه وتحديد عصره.

زمانه

يبدو أنّ إدراج ابن قتيبة للحارث بن كعب بين أوائل الشعراء عنده، كان أمرًا له ما يسوّغه، فهو لِقِدَمه انتمت إليه بطون وأفخاذ كثيرة من مَذْحِج، فصار جدًّا مَعروفًا، بل قبيلة، عُدَّت واحدةً من جمرات العرب، مَقرونةً إلى ضَبَّة بن أدّ، وعَبْس بن بَغِيض، ويربوع بن حنظلة[1].

ومن دلائل تقدُّم الحارث بن كعب، وبُعد زمانه عن الجاهليَّة المتأخِّرة، كونُه جدًّا لأحد الشعراء الجاهليِّين الذين قُتلوا في أوائل القرن السابع الميلاديّ، وهو الشاعر اليمنيّ عبد يَغُوث بن وقّاص الحارثي. ويتَّضح ذلك من خلال روايتَين لنسب هذا الشاعر، أوّلاهما ساقها أبو الفرج الأصفهاني، حيث قال: «هو عبد يغوث بن صلاءة. وقيل: بل هو عبد يغوث بن الحارث بن وقّاص بن صلاءة ـ وهو قول ابن الكلبي ـ بن المغفَّل، واسم المغفَّل ربيعة، بن كعب بن الأرَتّ بن ربيعة بن كعب بن الحارث بن كعب بن عَمْرو بن عُلَة بن خالد بن مالِك بن أُدَد...»[2].

وثانية تينك الروايتَين ذكرها ابن حزم الأندلسي، فقال: «ومن بني الحارث بن كعب: عبد يغوث بن الحارث بن معاوية بن صلاءة بن كعب بن المغفّل بن كعب بن ربيعة بن **الحارث بن كعب** أحد رؤساء اليمن أسرته الرباب يوم الكُلاب، وقُتِل صَبرًا»[3].

فطبقًا لرواية **الأغاني**، يكون الحارث بن كعب الأب التاسع لِعبد يغوث بن وقّاص الحارثي، وطبقًا لرواية **جمهرة أنساب العرب**، يكون الأب الثامن لِعبْد يغُوثَ ابن وقّاص. وإذا أخذنا بالعدد الأقلّ للآباء الذين يقعون بين الحارث بن كعب، وعَبْدِ يَغُوثَ بن وقّاص، وهو ثمانية آباء، وطبَّقنا قاعدتنا الحسابيَّة المعهودة، وجدنا أنّ الحارث ابن كَعَبْ يتقدَّم عَبْدِ يغوثَ بن وقّاص بنحو من (١٦٠) عامًا.

---

(١) أنظر ابن حبيب: **المحبّر** ٢٣٤، وابن رشيق: **العمدة** ٢: ١٩٧.

(٢) الأصفهاني: **الأغاني** ١٦: ٣٢٨.

(٣) إبن حزم: **جمهرة أنساب العرب** ٤١٧.

وإذا عرفنا أنّ عَبْدِ يَغُوثَ قد أُسِر وقُتِل إبَّان يومَ الكُلاب الثاني[1]. وأنَّ يوم الكُلاب الثاني قد وقع بعد الصفقة، الذي كان هو الآخر بعد أن بُعِث الرسول ﷺ، وهو بمكّة لم يهاجِر[2]. استنتجنا أنّ الحارث بن كعب قد وُجِد قبل الإسلام بمائة وستّين سنة على الأقلّ، وأنّه كان من رجال القرن الخامس الميلاديّ في الأغلب الأعمّ.

وصاته وشعره

لم نعثر، فيما عدنا إليه من مصادر، بأخبار كثيرة عن الحارث بن كَعْب، بَيْدَ أنّنا يمكن أن نستخلص، إذا وثقنا بوصيّة له ذكرتها بعض المصادر، أنّه كان مُعمَّرًا، وأنّه كان حسن الخلق، شديد الورع والتقوى، وأنّه كان على دين شُعَيْب النبيّ، أو دين عيسى بن مريم، في رواية أخرى[3]. وأنَّهُ كان حكيمًا وعاقلاً ومحنَّكًا. لذا فالنصائح والحِكَم تنثال على لسانه انثيالاً.. فقد روى الشريف المرتضى عن أبي حاتم السجستاني أنّه قال: «جمعَ الحارثُ بن كَعْب بنيه لمَّا حضرتهُ الوفاة فقال: يا بنيَّ قد أتى عليَّ ستّون ومائة سنة، ما صافحت يَميني يمينَ غادِر، ولا قنعت نفسي بخلَّة فاجِر، ولا صَبَوت بابنةِ عمٍّ ولا كنَّة، ولا طرحت عندي مُومِسةٌ قِناعًا، ولا بُحتُ لصديقي بسرّ، وإنّي لعلى دين شُعَيب النبيّ عليه السلام، وما عليه أحد من العرب غيري، وغير أسد بن خُزَيْمة، وتميم ابن مرّ، فاحفظوا وصيَّتي، وموتوا على شريعتي، إلهَكُم فاتَّقون، يكفكم المهمّ من أموركم، ويصلح لكم أعمالَكم، وإيَّاكم ومعصيته، لا يحلّ بكم الدمار، ويوحش منكم الديار. يا بنيَّ كونوا جميعًا، ولا تفرَّقُوا فتكونوا شِيعًا، وإنّ موتًا في عِزٍّ، خيرٌ من حياة في ذلّ وعجز، وكلّ ما هو كائن كائن، وكلّ جميع إلى تباين. الدهر صرفان، فصرف رخاء، وصرف بلاء، واليوم يومان: فيوم حَبرة، ويوم غبرة. والناس رجلان: فرجل معك، ورجل عليك. وتزوّجوا الأكفاء، وليستعملن في طيبهنّ الماءَ. وتجنَّبوا الحمقاء، فإنّ ولدها إلى أفن ما يكون، إلاّ أنّه لا راحة لقاطع القرابة، وإذا اختلف القوم أمكنوا عدوّهم منهم، وآفة العدد اختلاف الكلمة، والتفضُّل بالحسنة يقي السيِّئة، والمكافأة بالسيِّئة دخول فيها. العمل السوء يزيل النعماء، وقطيعة الرحم تورث الهمَّ، وانتهاك الحرمة يزيل النعمة،

(١) أنظر في يوم الكُلاب الثاني: أبا عبيدة: **النقائض** ١٤٩، والأصفهاني: **الأغاني** ١٦: ٣٢٩ فما بعدها، وابن رشيق: **العمدة** ٢: ٢٠٦، وياقوت: **معجم البلدان** (الكلاب).

(٢) أنظر في يوم الصفقة وتاريخه ابن عبد ربّه: **العقد** ٥: ٢٢٤، وابن الأثير: **الكامل** ١: ٦٢٠ ـ ٦٢١.

(٣) أنظر وصيَّه في ابن أبي الحديد: **شرح نهج البلاغة** ١٧: ١١٩ ـ ١٢٠.

وعقوق الوالدَين يعقب النكد، ويمحق العدد، ويخرِّب البلد، والنصيحة تجرُّ الفضيحة، والحقد يمنع الرفد، ولزوم الخطيئة يعقب البلية، وسوء الرعة يقطع أَسباب المنفعة، والضغائن تدعو إلى التبايُن.

ثمَّ أنشأ يقول:

أَكَـلْـتُ شَـبـابِـي فـأفـنـيـتُـهُ   وأَفْـنَـيْـتُ بَـعْـدَ دهـورٍ دُهُـوْرا

ثـلاثـةُ أَهْـلِـيْـنَ صـاحَـبْـتُـهُـمْ   ...»[1]

وقد لاحظنا أنّ الشريف المرتضى ينقل نصّ الوصيَّة عن أبي حاتم السجستاني. ولكن الوصيَّة في كتاب **المعمّرون** عُزِيَتْ إلى رجل آخر، وهو مالك بن المنذر البجلي[2]، الأمر الذي يثير شكًّا في نسبة هذه الوصيَّة إلى شاعرنا الحارث بن كعب. وممَّا يقوِّي الشكّ في عزْوِ هذه الوصيَّة له، بعض ما جاء فيها من أحكام عن عقائد القبائل العربيَّة في الجاهليَّة، فصاحب الوصيَّة يزعم أنّ الحارث بن كعب، وأسد بن خزيمة، وتميم بن مر، كانوا على دين شعيب النبيّ عليه السلام. ومن المعروف أنّ عقائد هذه القبائل ليست، كما جاء في تلك الوصيَّة تمامًا، فنحن نقرأ أنّ المجوسيَّة كانت فاشية في تميم[3]، وأنّ أسدًا كانت تعبد الكواكب، وعُطارد منها خاصّة. كما كان لها بعض الأعراف والعقائد والتقاليد الدينيَّة التي لا تَمُتُّ إلى دين عيسى بن مريم عليه السلام بأيَّة صلة[4]. أمّا قبيلة الحارث بن كعب ذاتها، فقد كانت على الشرك، في الأعمّ الأغلب، والدليل أنّ أبناءها كانوا يعبدون (ذا الخلصة)، كما يقول ابن حبيب[5].

وثمّة أمر آخر ينبغي التنبيه عليه، وهو أنّ سياق الكلام في الوصيَّة يوحي بأنّ شاعرنا الحارث بن كعب كان معاصرًا لأسد بن خزيمة، وتميم بن مر. ومعاصرة الحارث لأسد، وتميم، لا تصحُّ، فهما قبيلتان وُجِدَتا قبل القرن الخامس بكثير، فقد ذكرت أسد

---

(١) الشريف المرتضى: **أمالي المرتضى** ١: ٢٣٢ ـ ٢٣٣، وشرح الشريف المرتضى غريب هذه الوصيَّة، فقال مثلاً: المُومِسة: الفاجرة البغي. والحَبْرة: الفَرَح والسرور، والعَبْرة، تكون ضدّ ذلك. والإفن: الحمق، والرِّعة: التورُّع. وانظر نصّ الوصيَّة أيضًا في ابن أبي الحديد: **شرح نهج البلاغة** ١٧: ١١٩ ـ ١٢٠.

(٢) أنظر السجستاني: **المعمّرون والوصايا** ١٢٣.

(٣) أنظر المقدسي: **البدء والتاريخ** ٤: ٣١، وجواد علي: **المفصَّل في تاريخ العرب** ٦: ٦٩٣.

(٤) أنظر عقائد أسد وعباداتها في كتابنا: **بشر بن أبي خازم الأسدي** ٢٩ ـ ٣٣.

(٥) أنظر ابن حبيب: **المحبر** ٣١٧.

بوصفها قبيلةً، لها كيانها وبطونها وأفخاذها، في نقش النمارة المؤرّخ سنة ٣٢٨ م[١]. أمّا تميم بن مر، فهو جدّ شاعر أوّل من شعراء مجموعتنا هذه، هو سَعْدُ بن زيد مناة، وقد وُجِد سعد في القرن الرابع الميلاديّ على الأرجح[٢].

وكلّ ما تقدَّم يُضعف الثقة بنسبة هذه الوصيَّة لشاعرنا، كما يضعف من احتمال كون شاعرنا قد نطق بهذه الأحكام والحِكَم على حدٍّ سواء. ولكنّه في الوقت نفسه يفيدنا في معرفة التبايُن بين ما طُبِع من كتاب **المُعَمَّرون** للسجستاني، وما نقله منه الرواة المتأخّرون كالشريف المرتضى، لأنّ هذا الأخير رواها عن السجستاني، وعلى الأرجح من كتابه **المعمّرون**.

شعره

أُصبنا من شعر الحارث بن كعب مقطعة واحدة، وقصيدة واحدة. الأولى تتألّف من أربعة أبيات، والثانية تتكوَّن من (١٥) بيتًا. والحقيقة أنّ هذه القصيدة الطويلة نسبيًّا موطِن ريبة، بل هي منحولة على الحارث، على الأرجح. ودليلنا على نَحلِها يكمن في أمرَين، أوّلهما: المصدر الذي جاءَتْنا منه، وثانيهما، المضمون الذي حواه ذاك الشعر. فمن الجهة الأولى، تفرُّد كتاب **ملوك العرب الأوّليّة** الذي ينسب إلى الأصمعي (٢١٦ هـ ـ ٨٣١ م) برواية القصيدة، ولم أقع على أيّ بيت من أبياتها في مصدر من المصادر التي عُدتُ إليها. والشعر الذي في هذا الكتاب مُتَّهم في أكثره. وعلى الرغم من أنّ ناشر الكتاب (محمّد حسين آل ياسين) يؤيِّد عَزوَهُ للأصمعي، فإنّ الكتاب ـ كما يقول الناشر ذاته ـ لم يرد في قائمة كتب الأصمعي التي تجاوزت الخمسين كتابًا. ومهما يكن من أمر عزو هذا الكتاب، أو عدم عَزوه إلى الأصمعي، فإنّني أحصيت ما فيه من شعر يُعزَى إلى الحميريِّين وغيرهم، فوجدته يَربو على (٩٠٠) بيت، منسوبة إلى أكثر من مئة شاعر، منهم مثلاً قحطان بن هود، ويعرب بن قحطان، ويشجب بن يعرب، وحمير بن عبدشَمْس، ومالك بن حمير، والغوث بن أيمن، والرائش، وعمرو ذو الأذعار، وتبابعة كُثُر منهم أسعد الكامل بن ملكي كرب، الذي مرّ بنا ذكره في الباب الأوّل، ومن بين هؤلاء جميعًا الحارث بن كعب الذي روى له صاحبُ **ملوك العرب الأوّليّة** القصيدة التي نُعالجُها.

---

(١) أنظر نصّ هذا النقش في جواد علي: **المفصل في تاريخ العرب** ٣: ١٩٢.

(٢) أنظر أخبار سعد بن زيد مناة في: **هذا البحث**.

والحقُّ أنّ مصدر النصّ ليس وحده الذي يضعف الثقة به، ذلك أنّ هذا الكتاب حوى شعرًا موثوقًا به لحسّان بن ثابت والنابغة وغيرهما. بل إنّ مضمون تلك الأشعار المنسوبة إلى الحارث بن كعب هو الذي يردُّها ويتّهمها، ففضلاً عن أنّها جاءت مشفوعة بوصيّة من وصايا الحارث بن كعب، وحوّلتها من نثر إلى شعر، كما هي الحال في طبيعة الحديث عن المعمّرين ووصاياهم، فإنّ ناظم الأبيات قد استخدم مصطلحات إسلاميّة بحتة في قصّة اهتداء الشاعر المزعومة إلى الحنيفيّة وإلى المسيحيّة! وذلك في قوله:

فلمّا أرادَ اللّهُ رُشْدِي وزُلْفَتي ... أضاءَ سبيلَ الحقِّ لِيْ وهَدَانِيَا
فألْقَيْتُ عنّي الغَيَّ للرُّشْدِ والهُدَى ... ويَمَّمْتُ نورًا للحنيفةِ بادِيَا
وصِرْتُ إلى عِيْسى بنِ مريمَ هادِيا ... رشِيْدًا فسمَّاني المسيحُ حَوارِيَا
بنيَّ اتقوا اللهَ الذي هُوَ ربُّكُمْ ... براكُمْ لَهُ فِيْما بَرَاْ وبَرانِيا
لنعبُدَهُ سُبْحانَه دُوْنَ غَيْرِهِ ... لِنَسْتَدِفِعَ البَلْوى بِهِ والدَّوَاْهِيَاْ
ونُؤْمِنَ بالإنجِيْلِ والصُّحُفِ التي ... بها يَهْتَدِي مَنْ كانَ لِلْوَحْيِ تالِيَاْ

فألفاظ (الرشد) و(الزلفى) و(سبيل الحقّ) و(الغي) و(الهدى) و(الحواري) و(الوحي) و(التلاوة) كلّها ألفاظ إسلاميّة، أعني أنّها اكتسبت، بَعد الإسلام، المعاني التي أرادها الناظم في هذا الشعر، وهي تحمل أطيافًا من مفاهيم الإسلام ونفحاته وأجوائه، وهناك ما يشي بشيء من التلفيق في هذا البيت:

ونؤمن بالإنجيل والصحف التي ... بها يهتدي مَنْ كان للوحي تاليا

فثمّة غموضٌ وإبهام في المعنى المراد في هذا البيت الذي يمزج بين الإنجيل والصحف والوحي والتلاوة. ولكلّ من هذه الألفاظ دلالة ومقام، ربّما لا يتلاءمان مع دلالة اللفظة الأخرى ومقامها. ولكلّ هذه الأسباب، نَردُّ هذه القصيدة ونضعها في مرتبة الشعر المنحول، الذي ربَّما تقوّله الناس بعد الإسلام، ثمَّ نسبوه إلى شعراء جاهليّين قدامى.

إلاّ أنّ ما تقدّم لا يمنعنا من إيراد جميع ما نُسِب إلى الحارث بن كعب من شعر في كتب التراث المختلفة في الصفحات القادمة:

شِعرُ الحارِث بن كَعْب المَذْحِجي

(١)

في الشعر والشعراء (١: ١٠٥): (المتقارب)

١ ـ أَكَلْتُ شَبابِي فَأَفْنَيْتُهُ وأَفْنَيْتُ بَعْدَ شُهُورٍ شُهُورَا[١]

٢ ـ ثَلاثَةُ أَهْلِيْنَ صاحَبْتُهُمْ فَبانُوا، وأَصْبَحْتُ شَيْخًا كَبِيْرَا[٢]

٣ ـ قَلِيلَ الطَّعامِ عَسِيْرَ القِيَا مِ قَدْ تَرَكَ القَيْدُ خَطْوِي قَصِيْرا[٣]

٤ ـ أَبِيتُ أُراعِي نُجُومَ السَّماءِ أُقَلِّبُ أَمْرِي بُطُونًا ظُهُورا[٤]

(٢)

في ملوك العرب الأوَّليَّة (١٤٣ ـ ١٤٤)[٥]: (الطويل)

١ ـ بَنِيَّ اهْتَدُوا في ما اهْتَدَيْتُ سَبِيْلَهُ فأَكْرَمُ هذا النَّاسِ مَنْ كانَ هادِيَا

٢ ـ عَنَيْتُ زَمانًا لَسْتُ أَعْرِفُ ما الْهُدَى وقَدْ كانَ ذاكُمْ ضَلَّةً مِنْ ضَلالِيَا[٦]

٣ ـ فلمَّا أرادَ اللهُ رُشْدِي وزُلْفَتِي أَضاءَ سَبِيْلَ الْحَقِّ لِيْ وهَدَانِيَا[٧]

٤ ـ فأَلْقَيْتُ عنّي الغَيَّ للرُّشْدِ والهُدَى ويَمَّمْتُ نورًا لِلْحَنِيْفَةِ بادِيَا[٨]

٥ ـ وصِرْتُ إلى عِيسى بن مَرْيَمَ هادِيا رَشِيْدًا فسَمَّاني الْمَسِيْحُ حَوارِيا[٩]

---

(١) في المعمّرون: «فأَفْنَيْتُه.. وأمْضَيْتُ بعدَ دُهُورٍ دُهُورا». وفي أمالي المرتضى: «فأَفْنَيْتُه.. وأمْضَيْتُ بعدَ دُهُورٍ دُهُورا».

(٢) في المعمّرون، وأمالي المرتضى، وشرح نهج البلاغة: «صاحبْتُهم... فبادُوا».

(٣) في أمالي المرتضى، وشرح نهج البلاغة: «قَدْ تَرَكَ الدَّهْرُ». وفي المعمّرون: «قَدْ تَرَكَ الدَّهْرُ قَيْدِي قَصِيْرا».

(٤) في شرح نهج البلاغة: «أَبِيتُ أُراغِي» تصحيف. وراعَى يُراعي: راقَبَ وانتظر. وقوله: «أُقلِّبُ أمري بُطونًا ظُهُورا» يعني يفكِّر في نفسه وشؤونه من غير وَجه وزاوية.

(٥) قال الأصمعي في الكتاب المنسوب إليه، قبل أن يسوق هذه الأبيات: «بلغني يا أمير المؤمنين أنّ الحارث بن كعب لمَّا حَضَرَتْهُ الوفاة أقبل على بنيه، وهو يقول: (الأبيات)». والقصيدة من الشعر المتَّهم.

(٦) عَنَا يَعْنُو عَنْوَةً: ذَلَّ وخَضَع، وعَنَوْتُ فيهم وعَنَيْتُ عُنُوًّا وعَناء: كُنْتُ في شدّةٍ وضِيْق. وضَلَّ يَضِلُّ ضَلالاً: ضاعَ ولم يَهْتَدِ والضَّلَّةُ اسم مرّة منه.

(٧) الزُّلْفَة والزُّلْفَى: القربة والدرجة والمنزلة.

(٨) الغَيّ: الضلالة والفساد. ويمَّمَ: قَصَدَ. والحنيفة: أراد الحنيفية وحَذْف الياء الأخيرة من (الحنيفية): حذف سائغ، فقد قال ابن جني: «والحذفُ اتِّساع، والاتِّساع بابُه آخر الكلام وأوسطه، لا صَدْرُه وأوَّلُه» الخصائص ١: ٢٩٠.

(٩) الحواريُّ: أصله البَيَاض. والتحوير: التبييض. وسُمِّي أنصارُ عيسى عليه السلام الحواريِّيْن، لأنَّهم كانوا يغسلون الثياب أي يحوِّرنها، ثمَّ قيل لكلِّ مَن ناصر نبيَّه وأخلص له حواري ـ أنظر اللسان (حور).

٦ ـ بنيَّ اتَّقُوا اللهَ الذي هُوَ رَبُّكُمْ بَرَاْكُمْ لَهُ فِيمَا بَرَاْ وبَرَائِيَا[١]

٧ ـ لِنَعْبُدَهُ سُبْحانَهُ دُوْنَ غَيْرِهِ لِنَسْتَدْفِعَ البَلْوَى بِهِ والدَّوَاهِيَا[٢]

٨ ـ ونُؤْمِنَ بالإنْجِيْلِ والصُّحُفِ التي بها يَهْتَدي مَنْ كانَ لِلْوَحْي تالِيَا[٣]

٩ ـ بَنِيَّ صَحِبْتُ النَّاسَ ثُمَّ خَبِرْتُهُمْ فأفْضَلُهُمْ ألْفَيْتُ مَنْ كانَ واعِيا

١٠ ـ وألْفَيْتُ أسْنَاهُمْ مَحَلاً ومَنْصِبًا رَشِيدًا عَنِ الفَحْشاءِ والإفْكِ ناهِيَا[٤]

١١ ـ وألْفَيْتُ أوْهاهُمْ لَدَى كُلِّ أمْرَةٍ مُضِلاً لِتَضْلالِ العَشِيْرَةِ غاوِيَا[٥]

١٢ ـ بنيَّ احْفَظُوا لِلْجارِ واجِبَ حَقِّهِ ولا تُسْلِمُوا في النائِباتِ المَوالِيَا[٦]

١٣ ـ وشُبُّوا على فَرْعِ اليَفاعةِ نارَكُمْ ليأْتِيَها الضَّيْفُ الذي باتَ سارِيَا[٧]

١٤ ـ ولا تَبدَأُوا بالحَرْبِ مَنْ لَمْ يكُنْ لَكُمْ مِنَ النَّاسِ للعُدْوانِ والظُّلْمِ بادِيَا

١٥ ـ ومَهْمَا ازْدَرَعْتُمْ ـ يا بَنِيَّ ـ فإنَّهُ سَيُحْصَدُ يَوْمًا بذْرُ ما كانَ زاكِيا[٨]

تخريج شعر الحارث بن كعب المذحجي

(١)

١ ـ ٤ في الشعر والشعراء ١: ١٠٥، وأمالي المرتضى ١: ١٣٣، وشرح نهج البلاغة ١٧: ١٢٠ للحارث بن كعب، وفي المعمرون ١٢٤ ـ ١٢٥ لمالك بن المنذر البجلي.

---

(١) بَرَأَ يَبْرو بَرْوًا: خَلَقَ، ومنه البَرِيَّة، أي الخَلْق.

(٢) الدواهي: مفردها داهِية، وهي ما يصيب المرء من عظيم نُوَب الدهر ومصائبه.

(٣) الوَحْي: الإشارة والكتاب والرسالة والإلهام والكلام الخَفِي، وأراد الشاعر هنا الكتابة. وتلا يتلو تِلاوة: قرأ قراءة. وفي سورة الصافات: «فالتاليات ذِكْرًا» ٣٧: ٣ .

(٤) المَحلُّ السني: المَحل الرفيع الشريف. والإفْك: الكذب، من أفِكَ يأفِكُ إذا كذب. ونَهاهُ يَنْهاه نَهْيًا: كَفَّهُ عن الشيء.

(٥) في ملوك العرب الأوَّلِيَّة: «مُضِلاً لِضلالِ» وهي رواية مُخِلَّة بوزن البيت. وأثْبَتُّ ما هو أقرب إلى الصواب. والتاء في «تَضْلال» للمبالغة. ووَهَى: ضَعُفَ. والأمْرة: مصدر أمَرَ.

(٦) النائِبات: المصائِب. والموالي: مفردها مَوْلَى، وهو هنا، الجار أو الحليف.

(٧) في ملوك العرب الأوَّلِيَّة: «البقاعةِ نارَكُمْ» تحريف. وأثْبَتُّ ما هو أقرب إلى الصواب. واليفاعة: لعلّها مؤنث اليَفاع، وهو المُرْتَفع من الأرض. وفَرْع كلّ شيء: أعلاه.

(٨) ازْدَرَعَ القومُ: اتَّخَذُوا زَرْعًا لأنفسهم خصوصًا، أو احترثوا «وهو افْتَعَل إلاّ أنّ التاء لمّا لانَ مَخْرَجُها، ولم توافق الزاي لشِدَّتِها، أبدلوا منها دالاً لأنّ الدالَ والزاي مجهورتان، والتاء مهموسة» ـ اللسان (زرع). ومثل ازدرع، ازدجر ـ أنظر الكتاب ٤: ٢٣٩ (ط هارون).

(٢)

١ ـ ١٥ في ملوك العرب الأوّليّة، أو تاريخ العرب قبل الإسلام ١٤٣ ـ ١٤٤ للحارث بن كعب.

١٨ ـ ذُؤَيْب بن كَعْب بن عَمْرو بن تَمِيْم

ذُكِر هذا الشاعر بين الأوائل في خبر رواه ثعلب عن الأصمعي، مقرونًا إلى مُهَلْهِل، وضَمْرة الكِناني، والأضبَط بن قُرَيْع[1]. وهو، نسبًا، وثيق القُرْبَى بشاعِرٍ مرَّت دراسته، هو العَنْبَر بن عَمْرو بن تميم، بل هو ابن أخيه كَعب بن عمرو بن تميم. وأخبار ذؤيب بن كَعْب، كأخبار العنبر بن عَمْرو بن تميم شحيحة، وتكاد تقتصر على مشاركته في (يوم تِيَاس)، ونَظْمِه قصيدته فيه، وهي القصيدة الوحيدة التي نعرفها له، كما تفيد أخباره أنّه كان حَكَمًا في سوق عُكاظ، بعد سعد بن زيد مناة، وحنظلة بن مالك بن زيد مناة.

وبشأن (يوم تِياس) رَوَتِ المصادر أنّ قبائلَ من بني سعد بن زيد مناة، وقبائل من بني عمرو بن تميم، قد التقت بموضع تِياس، وهو موضع اختُلف في تحديده، ويبدو أنّه في بلاد تميم[2]. وكان رئيس بني عمرو، أبَا شاعرنا كَعب بن عَمْرو بن تميم. واللواء مع ابنه ذُؤَيْب بن كعب. وفي هذا اليوم قطع غيلان بن مالِك بن عَمْرو بن تميم رِجلَ الحارث بن كعب بن سعد بن زيد مناة. فسمّي الحارث بالأعرج. وأراد قومه القصاص، فأبى بنو عمرو ـ رهْط ذُؤَيْب بن كعب ـ ثمّ التقوا من جديد فجرح غيلان بن مالك، وهو ابن عم ذؤيب. وبمناسبة هذه الوقعة قال شاعرنا مخاطبًا ابنَه لا أباه:

يا كَعْبُ إنَّ أخاكَ مُنْحَمِقٌ ... فاشْدُدْ إزارَ أخِيْكَ يا كَعْبُ
أتجودُ بالدَّمِ ذي المضنَّةِ في الـ ... ـجُلَّى وتُلْوَى النّابُ والسَّقْبُ
جانِيْكَ مَنْ يَجْنِيْ عَلَيْكَ وقَدْ ... تُعْدِي الصِّحاحَ مبارِكَ الْجُرْبُ[3]

(١) أنظر ثعلب: مجالس ثعلب ٢: ٤٧٩ ـ ٤٨٠.
(٢) أنظر البكري: معجم ما استعجم ٣٢٨، وياقوت: معجم البلدان (تِياس).
(٣) أنظر في يوم تِياس الضبّي: أمثال العرب ٨٠ ـ ٨١، وأبا عُبَيْدة: النقائض ١٠٢٥ ـ ١٠٢٦ وابن عبد ربّه: العقد الفريد ٥: ٢٣٦ ـ ٢٣٧، والبكري م. س ٣٢٨. وقد ذكرت هذه المصادر أنّ المُخاطَب =

ولم يكن ذؤيب صاحب لواء قومه فحسب، بل كان أيضًا حَكَم سوق عكاظ، فقد ذكر أبو عُبَيْدة أنّ الحكّام والأئِمّة لهذه السوق، كانوا، بعد عامر بن الظرب العدواني، من تميم: «فكان الرجل يلي الموسم منهم، ويلي غيره القضاء، فكان مَن اجتمع له الموسم والقضاء جميعًا: سَعْد بن زيد مناة بن تميم، قال: ثمّ وَلِيَ ذلك حنظلة بن مالك بن زَيْد مناة. ووليه ذُؤَيْب بن كعب بن عمرو بن تميم»[1].

والمأثرة الثالثة لذؤيب، بعد تولّيه لواء قومه، ورئاسة عكاظ، هي كونه أحد شعراء تميم القُدامى، الذين يتيح لنا التأمُّل في نَسبهم، وأخبارهم، تقديرًا تقريبيًّا لعصرهم.

زمانه وشعره

يتّضح لنا من علاقة القربى بين ذُؤَيْب بن كَعْب بن عمرو، والعنبر بن عمرو بن تميم، أنّ ذؤيبًا ابن أخ لِلْعَنْبَر[2]. لذا فمن المفترض أن يكون ذؤيب في زمن قريب جدًّا من زمن العنبر، وكذلك في زمن قريب من زمن سعد بن زيد مناة، الذي فصل بين تولّيه سوق عكاظ، وتولّي ذؤيب، فترة لا نظنُّها طويلةً، هي فترة حنظلة بن مالك بن زيد مناة، وعليه يمكن لنا القول: إنّ ذُؤَيبًا كان، على الأرجح، من رجال القرن الخامس الميلاديّ.

ولعلّ هذا الزمن المتقدّم كان وراء مبالغة الأصمعي حين قال في ذُؤَيب ومُهلْهِل، وضَمْرة الكناني، والأضبط بن قُرَيع: «وكان بين هؤلاء، وبين الإسلام أربعمائة سنة، قال: وكان امرؤ القيس بعد هؤلاء بكثير»[3]. وفي هذا الخبر ذاته، قال الأصمعي متحدّثًا عن أوّليّة الشعر العربيّ: «وأوّل مَن تُروى له كلمة تبلغ ثلاثين بيتًا من الشعر مُهلْهِل، ثمّ ذُؤَيْب بن كَعْب بن عَمْرو بن تَمِيم، ثمّ ضَمْرة رجل من كنانة، والأَضْبَط بن قُرَيْع[4]». وجاراه في ذلك العيْنِي (٨٥٥ هـ ــ ١٤٥١ م) حين قال في ذؤيب: «وهو أوّلُ مَنْ أطالَ الشعرَ بعدَ مُهَلْهِل»[5].

ويضعنا خبرا الأصمعي المتقدّمان أمام مسألتَين اثنتَين: الأولى تتّصل بالزمن الذي قدّرناه لشاعرنا، والثانية تتعلّق بشعر ذُؤَيْب كما سنرى.

= في هذه القصيدة هو أبو ذؤيب، لا ابنه، ولكنّ حاشية في الاشتقاق لابن دُرَيْد قال صاحبها: إنّ المخاطَب هو الابن، لا الأب، على الصواب ـ انظر الاشتقاق ٢٠١ ـ الحاشية (٢).

(١) أبو عُبَيْدة: النقائض ٤٣٨، وابن حَبيب: المحبَّر ١٨٢، والمرزوقي: الأزمنة والأمكنة ٢: ١٦٧.

(٢) أنظر ابن حزم: جمهرة أنساب العرب ٢٠٨.

(٣ و٤) ثعلب: مجالس ثعلب ٢: ٣٧٩، وانظر ابن دُرَيد: الاشتقاق ٢٠١.

(٥) أنظر العَيْنِي: المقاصد النحويّة ١: ٥٣٤.

وتفصيل ذلك أنّ الأصمعي والعيني رَوَيا في خبرَيْهما أنّ ذؤيبًا كان بعد مُهَلْهِل، الذي يُعتقد أنّه عاش حتّى أوائل القرن السادس الميلاديّ[1]. فهل كان عصر ذُؤَيْب يجمع طرفًا من القرن الخامس، وآخر من القرن السادس، فساغ أن يُقال فيه: أوّلُ مَن أطال الشعر بعد مُهَلْهِل؟

هذه مسألة، والمسألة الأخرى تتمثّل في افتقادنا شعرًا لذؤيب يبلغ ثلاثين بيتًا، على عكس ما هي الحال بخصوص مُهَلْهِل. فكلّ ما أصبناه لهذا الشاعر قصيدةٌ بائيّة يَتِيمَةٌ لا تتجاوز أحَد عشر بيتًا. فهل كانت هذه البائيّة في زمن الأصمعي والعيني، تبلغ ثلاثين بيتًا، ولم يصل منها سوى هذه الأبيات؟ أم أنّ إشارَتَي الأصمعي والعيني كانتا لقصائد أخرى لِذُؤَيْب، غير البائيّة، تبلغ ثلاثين بيتًا؟

إنّنا نفتقد الآن المُعْطَيَات، أو الأدلّة، التي تمكّننا من الإجابة الشافية على ما طرحناه من الأسئلة. ولعلّ قابل الأيّام وحركة نشر التراث العربيّ، يَقْوَيان على الإجابة المنشودة تلك. أمّا الآن فنسوق قصيدة ذؤيب البائية مَشروحة ومخرَّجة من مصادرها المختلفة:

شعر ذؤيب بن كعب بن عمرو التّمِيْميّ

(١)

في أمثال العرب للضبي (٨٠ ــ ٨١)[2]: (السريع)

١ ــ يا كَعْبُ إنَّ أخاكَ مُنْحَمِقٌ ... فاشْدُدْ إزارَ أَخِيكَ يا كَعْبُ[3]

---

(١) أنظر عفيف عبد الرحمن: الشعر وأيّام العرب في العصر الجاهليّ ٤٤١ .

(٢) قِيلَت هذه الأبيات بمناسبة يوم تِياس، فقد التقت أفناء قبائل من بني سعد بن زيد مناة، وأفناء قبائل من بني عمرو بن تميم، بِتِياس، فقطع غيلان بن مالك بن عمرو بن تميم رِجْلَ الحارث بن كعب بن سعد بن زيد مَناة فطلبوا القصاص، فأقسم غيلان أن لا يَعقِلَها، ولا يُقَصَّ بها حتّى تُحشَى عيناهُ تُرابًا، وقال:

لا نَعْقِلُ الرِّجْلَ ولا نَدِيها ... حتّى تَرَوْا داهِيَةً تُنْسِيها

فالتقَوا واقْتَتلُوا، فجرحوا غيلان حتّى ظنّوا أنّهم قد قتلوه. ورئيس عمرو كعب بن عمرو، ولواؤه مع ابنه ذؤيب، وهو القائل لابنه: (الأبيات) ــ أمثال العرب للضبيّ ٨٠ ــ ٨١، والنقائض ١٠٢٥ ــ ١٠٢٦، والعقد ٥: ٢٣٦ ــ ٢٣٧ . وذكرت هذه المصادر الثلاثة جميعها أنّ المُخاطَب أبو ذؤيب، وليس ابنه. وفي الاشتقاق حاشية منقولة عن معجم الشعراء تقول: «ذُؤَيْب هو القائل لابنه كعب» الاشتقاق ٢٠١ حاشية (٢) ولعلّه الصواب. ولم يَرِدِ البيت (١١) في أمثال العرب. وأضفته من المقاصد النحويّة بترتيبه هناك بين أبيات ذؤيب.

(٣) في الاشتقاق: «إنَّ أباكَ.. وإن لم تكُن لكَ مِرَّةٌ كَعْبُ». وفي النقائض: «إن لم تكن بِكَ مِرَّةٌ كعب». وفي العقد: «إن لم يكن بِكَ مرّةٌ كَعبُ». والمُنحَمِق: الضعيف. واشدُد إزارَ أخيكَ: أعِنْهُ وقَوِّهِ.

٢ ـ أَتَجُوْدُ بالدَّمِ ذي المَضِنَّةِ في الْـــ ـــجُلّى، وتُلْوَى النَّابُ والسَّقْبُ(١)

٣ ـ تَـنْبُـو المناطـقُ عَـنْ جُـنُـوبِـهِـم وأسِـنَّـةُ الْـخَـطِّـيِّ لا تَـنْـبُـو(٢)

٤ ـ إنِّـي حَـلَـفْـتُ فَـلَـسْـتُ كـاذِبَـهُ حَـلْـفَ المُلَـبِّـدِ شَـفَّـهُ النَّـحْـبُ(٣)

٥ ـ يَنْفَكُّ عِنْدِي الدَّهْرَ ذُوْ خُصَلٍ نَـهْـدُ الجُزارةِ مِـنْـهَـبٌ غَـرْبُ(٤)

٦ ـ يَـشْـتَـدُّ حِـيْـنَ يُـرِيْـدُ فـارِسُـهُ شَـدَّ الجِدَايَـةِ غَـمَّـهـا الـكَـرْبُ(٥)

٧ ـ ألآنَ إذْ أَخَـــذَتْ مَـــآخِـــذَهـــا وتـبـاعَـدَ الأنْـسـابُ والـقُـرْبُ(٦)

٨ ـ أقْـبَـلْـتَ تُـعْـطِـي خُـطَّـةً غَـبَـنًـا وتَـرَكْـتَـهـا ومَـسَـدُّهـا رَأْبُ(٧)

٩ ـ جانِيْكَ مَنْ يَجْني عَلَيْكَ وَقَدْ تُعْدِي الصِّحاحَ مَبارِكَ الْجُرْبُ(٨)

---

(١) المَضِنَّة: النفاسة. والجُلّى: الأمر العظيم. وتُلْوَى: تُتْبَع. والناب: المُسِنَّة من النوق سمّوها بذلك لطول نابها. والسقب: ولد الناقة.

(٢) تَنبو: تَتَجافَى وتتباعَد. والمَناطِق: مفردها مِنْطَق، وهو كلّ ما شددتَ به وسطك. والخَطّي: رُمْحٌ منسوب إلى الخَطّ، وهو موضع باليمامة كانت الرماح تُسَوَّى به.

(٣) المُلَبِّد: الذي لَبَّدَ شَعْرَه أي ألزَقَهُ بشيءٍ لَزِج، أو صِمْغ، وهو شيء كان يفعله أهل الجاهليّة إذا لم يريدوا أن يحلقوا رؤوسهم في الحجّ، وذلك لكيلا يشعث في الإحرام، ويقمل، وإنّما يُلبِّد مَن يطول مُكثه في الإحرام. وشَفَّه: لذع قلبه، أو أنحله. والنحب: النحيب والبكاء. والنحب: الخَطب العظيم.

(٤) ذو خُصَل: أراد جوادًا ذا خُصَل. والخُصَل: مفردها خصيلة، وهي كُلّ قطعةِ لحم عظمت أو كبرت. وقيل هي لحم الفخذَين والساقَين والعضدَين والذراعَين. والنهد: الفرس الجسيم المشرِف. والجُزارة: اليدان والرجلان والعنق. وسُمّيت بذلك لأنّها لا تدخل في أنصباء المَيْسر وإنّما يأخذها الجزّار جُزارَته. والمِنْهَب: الفائق في العَدْو. من النَّهْب، وهو ضَرْبٌ من الركض. والغرب: السريع والكثير العدو.

(٥) الشدّ: الحُضْر والعَدو. واشتدّ: عَدَا. والجَداية والجِداية: الذكَر والأنثى من أولاد الظباء، إذا بلغ ستّة أشهر أو سبعة، وعدا، وتشدّد. والكرب: الحزن والغم.

(٦) في النقائض: «فالآن إذ». وفي أمثال العرب، والمستقصَى: «الأنساع والقُرب». وأثبتَ الدكتور إحسان عبّاس ـ مُحقِّق الأمثال «الأنساع»، بدلاً من «الأنساب» قائلاً: «هذه قراءة مقترحة، فالأنساع: الحزام والقرب: الشاكلة، والمعنى على المجاز يفيد وقوع التباعد والعداوة، وفي مطبوعة الجوائب: الإنسان، وهو خطأ فيما أُقدِّر» ـ أمثال العرب ١٨٢. والقُرب: القرابة والقربى، وهو الدنو في النسب. وقطعت الهمزة في (ألآن) لوقوعها في أوّل البيت، أنظر الكتاب ٤: ١٥٠ ـ ١٥١ (ط هارون).

(٧) في النقائض: «أنشأتَ تَطلُب خُطَّةً». وفي المُستقصَى: «أقبلْتَ تطلبُ خطّةً عنتًا... وتركْتَها». والخطّة: النيّة والفِكرة. والغَبَن: مَن غَبِنَ رأيُهُ، بالكسرة، إذا ضَعُفَ. ورأبَ رأبًا: أصلح وجَبَر.

(٨) في أمثال العرب، وجمهرة الأمثال، واللسان: «وَقد... تُعْدِي الصحّاح، فتجْرَبُ الجُرْبُ». وفي المُسْتَقْصَى: «وقَدْ... يُعْدِي الصحاح». وقد اختُلف في ضَبط عجز هذا البيت في كثير من المصادر، فقال أبو عبيدة: «أنشدني دُوَاد أحدُ بني ذُؤَيْب وغيره: الصحّاحَ مباركُ الجُرْبِ، فرفعوا «مبارك»، وجرّوا الجُرْبَ». وذلك إقواء. وقال أبو الخطّاب إنّ عامة أهل البدو ليست تفهم ما يريد الشاعر، ولا يُحْسِنُونَ التفسير، وإنّما أُتي إقواء هذا البيت من قلّة فَهمِ الذين رووه»، إنّما عنى =

١٠ ـ والْحَرْبُ قَدْ تُضْطَرُّ جانِيَها إلى المَضِيقِ ودُوْنَهُ الرُّحُبُ[١]
١١ ـ ولَرُبَّ مَأْخُوذٍ بِذَنْبِ عَشِيرةٍ ونَجَا المُقَارِفُ صاحِبُ الذَّنْبِ[٢]

تخريج شعر ذؤيب بن كعب التميمي

(١)

١ ـ ١٠	في أمثال العرب للضبيّ ٨٠ ـ ٨١ لِذُؤيب بن كَعب التميميّ.
١ ـ ٢، ٧ ـ ١٠	في النقائض ١٠٢٥ ـ ١٠٢٦ لِذُؤَيْب بن كَعْب.
١، ٩ ـ ١١	في المقاصد النحويَّة (على هامش الخزانة ـ ط بولاق) ١: ٥٣٤ لذُؤَيْب بن كَعْب.
١، ٩	في الاشتقاق ٢٠٢ لذؤيب.
١، ٩، ١٠	في العقد الفريد ٥: ٢٣٧ لِذُؤَيْب.
١	في مجالس ثعلب ٢: ٤٧٩ لذؤيب، وفي اللسان، والتاج (حمق) للكناني.
٧ ـ ٩	في المُسْتَقْصَى ٢: ٤٨ لذؤيب.
٩	في الوساطة ٢٨٣ لذؤيب. وفي التشبيهات ٤٠٨، والمُستَجاد من فعلات الأجواد ٢٦١، واللسان، والتاج (جنى) دون عزو.

= الشاعر: وقد يُعْدِي الأجْرَبُ، الصحيحَ مَبْرَكًا، فلمّا وجدوه مُقدَّمًا، ومُؤخّرًا لم يحسنوا تلخيصَهُ، ووجدوا «مَبارِكَ» لا ينصَرِف، فأظلم المعنى عليهم، وإنّما أراد: «وقَد تُعدي الصحاح مبارِكُ الجُرْبِ» ـ النقائض ١٠٢٦. وقد ضُبِطت «الجُرب» هنا بالكسر، وهو وهمٌ، وقال ابن دُرَيد بعد البيت: «أنشدناه أبو حاتم عن الأصمعي، وقال: أراد يُعدِي الصحاح مباركًا الجرب. ووَجْهُ الكلام تُعْدِي الجُرْبُ، الصحَاح في مُبارِكِها». جمهرة اللغة ١: ٢٠٨. وانظر المستقصى ٢: ٤٩. أمّا العيني فقد أقرَّ الإقواء في البيت بوصفه رواية، فقال: «الصحّاح: مفعولٌ، ومبارك: تمييز عن الفاعل. والجرب: فاعِل يُعدِي. والمعنى وقد تُعدي الإبل الجُربُ، الإبلَ الصحاح التي صحَّت مَبارِكُها. وزعموا أنّ مَن خَفَضَ الجُربَ مُخطِئ، وذكر بعضهم أنّ ذلك رواية، وهذا عندي جيِّد. ويكون الشاعر أقوى كما أقوى في بيت آخر في القصيدة، والمعنى على ذلك حسن». المقاصد النحويّة ١: ٥٣٤. وقوله: «جانِيك مَن يجني عليك» مَثَلٌ، مَعناه: صاحب جنايتِكَ مَن يجني عليك، وله مَعانٍ أُخَر أنظر فيه جمهرة الأمثال ١: ٣٠٦ ـ ٣٠٧، ومجمع الأمثال ١: ١٦٩، والمستقصى ٢: ٤٨، واللسان (جني).

(١) في المقاصد النحويّة: «قد يُضطرُّ جالِبُها... نحو المَضيق». وفي العقد: «قد تضطرُّ صاحبها... نحو المضيق».

(٢) لم يرد البيت في أمثال العرب، وأضفتُه من المقاصد النحويّة وفق ترتيبه فيها. والمقارِف: الذي قارف الذنب، أي ارتكبه وباشره. وفي البيت إقواء.

وفي جمهرة اللغة ١: ٢٠٨، ومعجم الشعراء ١٢٥ لعَوْف بن عطيَّة ابن الخَرِع التميمي.

٩ ــ ١٠ في جمهرة الأمثال للعكسري ١: ٣٠٧ لذؤيب.

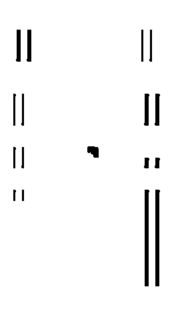
٩، ١١ في العقد ٥: ١٥ دون عزو.

الباب الثالث

شعراء ما بين القرنَين الخامس والسادس الميلاديَّين

(٢٢ شاعرًا)

١٩ ـ الأَضْبَط بن قُرَيْع السَّعْدِي
٢٠ ـ هَمَّام بن رِياح بن يَرْبُوع التَّمِيمِي
٢١ ـ ثَعْلَبة بن صُعَيْر المازِنِي
٢٢ ـ قَطَنُ بن نهشل الدارمي التَّمِيمِي
٢٣ ـ مُرَّة بن هَمَّام البَكْرِي
٢٤ ـ كَلَدَة بن عَبْد بن مُرارة الأَسَدِي
٢٥ ـ عَبَّاد بن شَدَّاد اليَرْبُوعِي
٢٦ ـ هُبَل بن عبدالله الكَلْبِي
٢٧ ـ حُلَيْل بن حَبْشِيَة الخُزاعِي
٢٨ ـ بَكْر بن غالِب الجُرْهُمي
٢٩ ـ رِزاح بن رَبِيْعة النَّهْدِي
٣٠ ـ المُسْتَوْغِر بن رَبِيْعَة السَّعْدِي
٣١ ـ امْرُؤ القَيْس بن الحُمام الكَلْبِي
٣٢ ـ سَعْد بن مالِك البَكْري
٣٣ ـ الفِنْد الزِّمَّاني البَكْري
٣٤ ـ مُرَّة بن الرُّواع الأَسَدِي
٣٥ ـ كَعْب بن الرُّواع الأَسَدي
٣٦ ـ زُهَيْر بن جَناب الكَلْبِي
٣٧ ـ أُحَيْحَة بن الجُلاَح الأَوْسِي
٣٨ ـ هُنَيُّ بن أَحْمَر الكنانِي
٣٩ ـ الأَشْعَر الجُعْفِي
٤٠ ـ مُحَمَّد بن حُمْران الجُعْفِي



١٩ ـ الأَضْبَطُ بنُ قُرَيْع السَّعْدِي

تُقدِّم الأخبارُ التي وَصلتنا عن هذا الشاعر معلومات عن نسبه، وأسرته، وصفاته، وزعامته لقومه بني سعد، وغزواته، وزمانه، وشعره، وعن كونه واحدًا من الشعراء الجاهليِّين القدامى، الذين سبقوا امرأ القيس وعاصروا مهلهلاً وسواه.

وهو، نسبًا، الأَضْبَط بن قُرَيْع بن عَوْف بن كعب بن سعد بن زيد مناة[1]. والأضبط، لغةً، هو الذي يعمل بكلتا يديه، وهو أيضاً الأسد، سمِّي بذلك لأنّه يعمل بيساره، كما يعمل بيمينه[2].

ولم نقع في مصادرنا على ما يفيد بأنّ «الأضبط» لقب لشاعرنا، لذا فليس ثمّة ما يمنع من التسليم بأنّ هذا هو اسمه الحقيقيّ.

ولم يذكر ابن حزم اسم الأضبط بين أبناء قريع بن عوف، في حين ذكر من إخوته حُدَّان، وعبدالله، وجعفرًا. وجعفر هذا هو الذي أورث رهطه لقب «أنف الناقة» فظلّوا يُنْبَزُون به، إلى أن قال فيهم الحطيئة بيته المشهور:

قَـوْمٌ هُـمُ الأنْـفُ والأذْنـابُ غَـيْـرُهُـمُ ... ومَـنْ يُـسـاوي بـأَنْـفِ النَّـاقـةِ الذَّنَـبـا

فتحوّل استحياؤهم باللقب إلى افتخارٍ به[3].

(١) أنظر أبا عبيدة: النقائض ١: ٤٣٨، وابن حبيب: المحبّر ٢٤٧، وابن قتيبة: الشعر والشعراء ١: ٣٨٢، وابن حزم: جمهرة أنساب العرب ٢١٩، والزبيدي: التاج (ضبط).

(٢) الزبيدي: م.س (ضبط).

(٣) إبن حزم: م. س ٢١٩.

وقد عرفنا من أخبار هذا الشاعر أنّه تزوّج غير امرأة، وأنّ أمّه هي عجيبة بنت دارم بن مالك بن حنظلة بن تميم[1]. وأنّهُ عُمِّر عُمرًا طويلاً، لذا سلكه أبو حاتم السجستاني مع المُعمَّرِيْن... ولكنّه، على غير عادته، لم يحدِّد له عمرًا، بل قال فيه: «وعاش عمرًا، ثمّ مات في آخر الزمان، وكان له حَمَّامٌ بالحيرة»[2]. ويبدو أنّ الأضبط كان جوّالاً، فهو ـ إن صدق السجستاني ـ لم يتّخذ له حمّامًا بالحيرة فحسب، بل بنى له أُطُمًا في صنعاء كما سنرى.

وممّا رواه أبو الفرج أنّ الأضبط كان، كامرئ القيس، مُفَرَّكاً تكرهه نِساؤه، وكان إذا شارك في الحرب تقدَّم الصفوف وقال:

أنـا الـذي تَـفْـرِكُـهُ حـلائِـلُـهْ ألاَ فَـتًـى مُـعَـشَّـقٌ أُنـازِلُـهْ[3]

وثمّة خبر عن علاقة الأضبط بنسائِهِ، وتآمُرِهنّ عليه، مُحَلّى بطابع القصّ والطرافة والغرابة، ليس من رَصانة البحث إثباته[4].

وإذا كان حظّ الأضبط من نسائه سيّئًا، فإنّه كان عكس ذلك من الشهرة والمجد والسؤدد، فقد عُرِفَ برئاستِهِ لرهطِ من بني تميم، كما أورد أبو عبيدة أنّه كان زعيم سعد في سوق عكاظ، فالحُكّام والأئمّة، كانوا، بعد عامِر بن الظَّرِب العدواني، في تميم، وممَّن وَلِيَ الموسم والقضاء منهم: سَعْد بن زَيْد مَناة، وحَنْظَلة بن مالِك بن زَيْد مَناة... والأضْبَط بن قُرَيْع، وآخرون كثيرون[5].

ومن مآثر هذا الشاعر أنّه قاد قومه يوم صنعاء إلى حِمْيَر، وقد ذُكِر خبر هذا اليوم غير ما مصدر[6]. وخير رواية وأوضحها لهذا اليوم، الرواية التي جاءت في **شرح ابن حبيب لديوان جرير**. فقد ذكر ابن حبيب في شرحه أنّ الرباب حالفت بني الحارث بن

---

(١) أنظر الأصفهاني: **الأغاني** ١٨: ١٢٨، والبغدادي: **الخزانة** ١١: ٤٥٤.

(٢) السجستاني: **المعمّرون** ١١.

(٣) الأصفهاني: **الأغاني** ١٨: ١٢٨، والبغدادي: **الخزانة** ١١: ٤٥٥.

(٤) أنظر الأصفهاني م.س: ١٨: ١٢٨، وابن سعيد الأندلسيّ: **نشوة الطرب** ١: ٤٤١، والصفدي: **الوافي بالوفيات** ٩: ٢٨٧ ـ ٢٨٨، والبغدادي: م.س: ١١: ٤٥٦.

(٥) أنظر أبا عبيدة: **النقائض** ١: ٤٣٨، وابن حبيب: **المحبّر** ١٨٢.

(٦) أنظر أبا عبيدة: م.س: ١: ٤٤٥، وابن حبيب: م.س: ٢٤٧، **وشرح ديوان جرير** ١٣١ ـ ١٣٢، والهمداني: **القصيدة الدامغة**: ٢٥٤ ـ ٢٥٥، والنهشلي: **الممتع في علم الشعر** ٢٧٣، والتبريزي: **شرح الحماسة للتبريزي** ١: ١٧٩.

كَعْب، وهم يومئذٍ سادة اليمن وملوكهم، ثمَّ وقع بينهم ما يريب ويُنفِّر، فتحمل بنو ضبَّة وعدي، وهم من الرباب، إلى قومهم بني تميم، وأقام بنو عُكْل والتَّيم، فلبثوا زمانًا بعد ذلك في جوار بني الحارث بن كعب، وأقبل ركب من أهل اليمن، ونزل فيهم، فلم يقرّوهم، وأساؤوا ضيافتهم، فشكوا إلى ملكهم صنيع عُكل والتيم. فبعث إليهم وأخذهم، فجدع خمسة وعشرين من سراة التَّيم، وخصى خمسة وعشرين من سراة عُكْل... فظعنت عُكْل بعدئذ، فلحقت ببني تميم، وبقيت التَّيْم، وكانوا أهل شاء وحمير، فلم يستطيعوا بَراحًا... ولكن رجلاً من اليمن، هو ابن أخت لهم، غضب مِمّا يصنع بهم، فبعث إلى تميم بشعر له يقول:

أبْلِغِ الأضْبَطَ بنَ قُرَيْعٍ ... ومَنْ مِثْلُهُ مِنْ تَمِيمِ
إنَّ تَيْمًا لَمِنْكُم هَلْ ... لِتَيْمٍ من ناصِرٍ أوْ حَمِيمِ[1]

وكان الأضبط بن قُرَيْع يومئذ سيِّدَ بني تميم، فلمّا قرأ الكتابَ جَمَعَ بني حَنْظَلة وبني سعد، وأغار على بني الحارث بن كعب فقتلهم، وأخذ من سراتهم مئة رجل ورجلَيْن، وسَبَى ذَرارِيْهم، وأقام بأرضهم سنة، يُغير على قراهم يمينًا وشمالاً، وكان أمير الخيل يومئذ مرة بن عبيد بن الحارث، وهو مُقاعِس، وبنى الأضْبَط أطمًا، وسُمِّي باسمه[2]، فبنت الملوك حول ذلك الأطم مدينة صنعاء، فهي اليوم قصبتها، وفي تصداق تلك الوقعة يقول الأضْبَطُ:

سائِلْ بَوَقْعِ تَمِيْمٍ في ذوي يَمَنٍ ... لمّا أَلامُوا جِوارَ التَّيْمِ أو عُكُلِ
فَلَمْ يُفاجِئْهُمْ إلاَّ تَنادُبُنا ... ضَرْبًا تميمُ على الهاماتِ لا شَلَلِ[3]

ويقول في مقطوعة أخرى:

وَشَفَيْتُ نَفْسِي مِنْ ذَوِيْ يَمَنٍ ... بالطَّعْنِ في اللَّبَّات والضَّرْبِ

---

(١) قال ابن حبيب بعد هذين البيتَين: «هكذا وَجَدْتُهما بخطِّ السكَّري» ـ شَرح ديوان جرير ١٣٢. وقال التبريزي: إنَّ بعض شعراء تميم هو الذي قال، وهو في يد تبَّع، يُحَضِّض تميمًا وضبَّةَ ويُعيِّرهم خذلانَهم:

أبْلِغْ لَدَيْكَ مُحلِّمًا ... ذا العزِّ والشرفِ القديمِ
والأضْبَطَ السعدي بلِّغْ ... والأكارمَ مِنْ تميمِ
فتسارَعُوا في فَكِّنا ... ورعوا عن الفعْلِ الذميمِ

(شرح ديوان الحماسة ١: ١٧٩)

(٢) أنظر ياقوت: معجم البلدان (أطم الأضبط).

(٣) إبن حبيب: شرح ديوان جرير ١٣١ ـ ١٣٢.

وقَتَلْتُهم وأَبَحْتُ بَلْدَتَهُمْ ... وأَقَمْتُ حولاً كامِلاً أَسْبِي
وَبَنَيْتُ أُطْمًا في بلادِهِمُ ... لأُثَبِّتَ التَّقْهِيْرَ بالْغَصْبِ[1]

وممَّن رافق الأضبط في حربه، ضدّ بني الحارث بن كعب، نَمِرُ بن جِبّان بن عَبْدالعزَّى بن كَعْب، وأخوه حُدَّان بن قُرَيْع، وفِيْهم جميعًا يقول جرير مُؤرِّخًا هذا الحدث:

يا تَيْمُ إنَّ تميمًا لَنْ تَزِيْدَكُمُ ... إلاَّ الهَوانَ فأيُّ الخيرِ تَبْغُونا
لَمْ تَشْكُروا نَمِرًا إذْ فَكَّكُمْ نَمِرٌ ... وابنا قُرَيْعٍ منَ الْحيِّ اليَمانِيْنا[2]

وذكر التبريزي في سِياق روايته لهذا الخبر أنّ الأضبط هو أوّل مَن سار بجناحَين وقَلب وَمَيْمَنة ومَيْسَرة[3].

وقد استفاض في كتب الأمثال والأدب والأخبار هذا المأثور على لسان شاعرنا: «في كلّ وادٍ بَنُو سَعْد»، وبرواية أخرى: «أيْنَما أوجِّه أَلْقَ سَعْدًا». وقصّة هذا المأثور أو المَثَل، كما رواها المُفضَّل الضَّبِّي، أنّ الأضْبَط «كان يرى في قومه، وهو سيّدهم، بَغْيًا وتنقُّصًا، فقال ما في مجامعة هؤلاء خير، ففارقهم وسار بأهله حتّى نزل بقومٍ آخرين، فإذا هم يفعلون بأشرافهم، كما كان يفعل به قومه من التنقُّص له والبغي عليه، فارتحل عنهم وحلَّ بآخرين، فإذا هُمْ كذلك، فلمّا رأى ذلك انصرف، وقال: ما أرى الناسَ إلاَّ قريبًا بعضُهم من بعضٍ، فانصرف نحو قومه، وقال: أينما أوجِّه ألقَ سَعدًا، فأرسلها مثلاً[4]».

ولعلَّ كُرْهَ بني سَعْد للأضبط يتّضح من خلال مـ[illegible]ـه أبو الفرج إذ قال: «إنّ قوم خالة الأضبَط الطمُوح بنت دارِم بن جُشَم وعَبْشَمِس ابني سعد، حاربوا قومًا من بني

(١) الجوهري: الصحَاح، وابن منظور: اللسان (أطم).
(٢) إبن حَبِيب: شَرح ديوان جرير ٥٤٣ .
(٣) التبريزي: شَرح ديوان الحماسة ١: ١٧٩ .
(٤) الضبِّي: أمثال العرب ٤٩ ـ ٥٠، والمَثَلُ ذاته في أبي زَيْد: الأمثال ٨١، وأبي عُبَيْد: الأمثال ١٤٧، والجاحظ: البيان والتبيين ٣: ٢٩٤، والجاحظ: الحيوان ١: ٣٥٨، ٣: ١٠٤، ٤: ٣٩٤، وابن قتيبة: الشعر والشعراء ١: ٣٨٢، وابن قتيبة: المعارف ٧٩، والقالي: الأمالي ١: ١٣٢، والبكري: السمط ٣٢٦، و: التنبيه على أوهام القالي ٥٢، والميداني: مجمع الأمثال ١: ٥٣، ٢: ٨٣ بخلافات يسيرة بين هذا المصدر وذاك في قصّة المثل.

سعد، فجعل الأُضبط يدسُّ إليهم الخَيْل والسلاح، ولا يصرّح بنصرتهم، خوفًا من أن يتحزّب قومه حزبَين: معه وعليه. وكان يشير عليهم بالرأي فإذا أبرمه، نقضوه، وخالفوا عليه، وأروه مع ذلك أنّهم على رأيه، فقال في ذلك قصيدته العينيّة المعروفة[١]، التي قيل فيها إنّها نُظمت قبل الإسلام بدهرٍ طويل، وزمنٍ مديد[٢].

زمان الأضبط

لدينا طائفة من الأخبار تتّصل بزمن الشاعر يمكن لنا أن نقسمها قسمَين: قسمًا يجعله من شعراء الدولة الأمويّة، وآخر يرجعه إلى ما قبل الإسلام بمئتَين من السنين. فقد ذكر صاحب **الحماسة البصريّة** أنّ الأضْبَط بن قُرَيْع أمويّ الشعر[٣]. وتابعهُ في ذلك السيوطي في **شَـرْح شواهد المُغْنِي**[٤]. دون أيِّ تعقيب منه على خطأ البصري في **حماسته**، فأثار بسكوته عجب البغدادي[٥]. ولا شكَّ أنّ في هذا الخبر وَهمًا، فالأضْبَط شاعر جاهليّ، عرف بذلك في كثير جدًّا من المصادر، بل هو شاعر من الشعراء الأوائل القدماء، ففي حين ذكر القالي والحُصَري أنّ شعر الأُضبط، أيّ عينيّته، قيل قبل الإسلام بدهر طويل[٦]، كان ثعلب من قبل أكثر تحديدًا إذ قال: إنّ الأضبط وذُؤَيْب بن كعب التميميَّين، وضَمْرَة الكِناني، ومُهَلْهِلاً، كانوا قبل امرئ القيس بكثير، وإنّهم قبل الإسلام بأربعمائة سنة[٧]. ونقل ذلك عن ثعلب السيوطي في **الوسائل إلى معرفة الأوائل**[٨]. وغالى جدًّا الشيخُ خالد الأزهري عندما ذكر اسم الأضْبَط، ثمَّ قال بعده: «وهو جاهليّ قديم قبل الإسلام بنحو خمسمائة سنة»[٩]. وروى الخبر ذاته البغدادي في **الخزانة**[١٠]. دون أيّ تعقيب عليه.

---

(١) الأصفهاني: **الأغاني** ١٨: ١٢٨ ـ ١٢٩، والبغدادي: **الخزانة** ١١: ٤٥٤ .

(٢) أنظر ثعلب: **مجالس ثعلب** ٢: ٤٨، والقالي: م.س ١: ١٠٧، والسيوطي: **شرح شواهد المغني** ١: ٤٥٤، والبغدادي: **الخزانة** ١١: ٤٥٢ .

(٣) البصري: **الحماسة البصريّة** ٢: ٢ .

(٤) أنظر السيوطي: **شَـرح شواهد المغني**: ١: ٤٥٤ .

(٥) أنظر البغدادي: **خزانة الأدب**: ١١: ٤٥٦ .

(٦) أنظر القالي: **الأمالي** ١: ١٠٧، والحصري: **زهر الآداب** ١: ٥١٧ .

(٧) ثعلب: م. س ٢: ٤٧٩ ـ ٤٨٠ .

(٨) السيوطي: **الوسائل** ١٢٣ .

(٩) خالد الأزهري: **شرح التصريح على التوضيح** (ط بولاق) ٢: ٢٦٢ .

(١٠) البغدادي: م. س ١١: ٤٥٤ .

وكما عجِب البغدادي من السيوطي لتسليمه بزعم صاحب **الحماسة البصريَّة** بأنّ الأضبط شاعر أمويّ نعجب نحن من تسليم البغدادي للشيخ خالد الأزهري بأنّ الأضبط كان قبل الإسلام بنحو خمسمائة عام! فعندما قرن ثعلب، وهو أقدم مَن تحدَّث عن زمن الشاعر، الأضبط إلى مهلهل وغيره من الشعراء، فإنّه سلَّم ضِمنًا بأنّ الأضبط لم يكن له وجود قبل أواسط القرن الخامس الميلاديّ بكثير، ولعلّه كان حيًّا أيضًا في مطلع القرن السادس الميلاديّ، كما سنرى.

وعدا عن معاصرته لِمُهَلْهِل، نذكر، في معرض معالجة الأخبار المتّصلة بزمن الشاعر، تولّي الأضبط الموسمَ وسوقَ عكاظ، بعد عامِر بن الظَّرِب، وبعد سلسلة من حكماء تميم ورجالها، من بينهم، كما ذكرنا، حَنْظَلة بن مالِك بن زَيْد مَناة. وحنظلة هذا هو الجدّ الرابع لرجلَيْن هما أَوْس وحَصَبة، تسبَّبا في يوم الغَدْر. وهو يوم أوقعت فيه العرب بتميم. ويوم الغدر، حسب رواية ابن حَبيب، كان قبل الإسلام بمائة وخمسين سنة[1]، أي في السنة ٤٦٠ م، ويعزّز تأريخ يوم الغدر في هذا العام، قول البَيروني في **الآثار الباقية**: إنَّ بين عام الغدر وعام الفيل مائة وعشر سنين[2]، فإذا كان عام الفيل قد وقع في العام ٥٧٠ م، فإنّ عام الغدر يكون في السنة ٤٦٠ م، كما قدَّمنا.

وثمّة أمر آخر، مآله: أنَّ جدول نسب الأَضْبَط بن قريع ينتهي بزَيْد مَناة. وكذلك جدول نسب أَوْس وحَصَبة التميميين، فهما ابنا أَزْنَم بن عَبِيْد بن ثَعْلبة بن يَرْبُوْع بن حَنْظلة بن مالك بن زَيد مَناة. والأضبط هو ابن قُرَيْع بن عوف بن كعب ابن سَعْد بن زيد مناة.

وبالمقارنة نلاحظ أنّ جدّين من جدود بَطَلَي يوم الغدر، يزيدان عن جدود الأضبط الذين ينتهون عند زَيْد مَناة، إن لم يكن ثمّة سَقط في سلسلة نسب الأضبط، أو زيادة في نسب أوس وحَصبة ابنَيْ أزنَم. وعليه فالأضبط يوازي، في زمانه، عَبِيْد بن ثَعْلَبة بن يَرْبوع بن زَيْد مَناة. وعبيد هذا هو جدّ لرجلَين وُجِدا، على الأقلّ، عام ٤٦٠ م. ومن المتوقّع أن يكون جدّهما عبيد بن ثعلبة، والأضبط بن قريع، حَيَّين في هذا العام، أو قبله بأربعين سنة، إذا طبَّقنا هنا القاعدة التي اعتمدناها في حساب أزمان الشعراء الجاهليِّين الأوائل السابقين.

---

(١) أنظر ابن حَبِيْب: **المحبّر** ٨، والمسعودي: **التنبيه والأشراف** ١٨٩.

(٢) أنظر البيروني: **الآثار الباقية** ٣٤.

وبما أنّ الأضبط عُدَّ من المعمّرين، فمن الجائز أن يمتدَّ به العمر إلى أواخر القرن الخامس الميلاديّ أو أوائل السادس.

ومِمَّا يُؤخَذ مؤشّرًا على قِدَم هذا الشاعر، أنّ شعره قد دَرَس. والعرب ـ كما يقول ابن الكلبي ـ لم تحفظ من أشعارها إلاّ ما كان قُبَيْل الإسلام[1]. ونحن لم نستطع أن نجمع للأضبط سوى تسعة عشر بيتًا، وقد روى أبو الفرج عن شعر شاعرنا أنّ الجمَّاز قال: «أنشَدْتُ أبا عُبَيْدة وخلفًا الأحمر، شِعْرَ الأضْبَط:

وصِلْ حبالَ البعيدِ إنْ وَصَل الْـ ـحَبْلَ واقْصِ القريبَ إنْ قَطَعَهْ

فما عَرَفا منه، إلاّ بيتًا وعجزَ بيت، فالذي عرفاه:

فاقْبَلْ مِنَ الدَّهْرِ ما أتاكَ بِهِ...

والعجز:

يا قومُ مَنْ عاذِرِي منَ الْخُدَعَهْ»[2]

ومع الإقرار بأنّه ليس من المحتَّم أن يحفظ أبو عُبَيدة وخَلَف الأحمر شِعر الأضبط، فإنّ خبرَ **الأغاني** ربّما يشجِّع على القول: إنّ قِدَم الشاعر كان سببًا من أسباب ضياع شعره، ونسيانه. ولهذا ساغ لثعلب، ولغيره، أن يَعُدُّوه واحِدًا من الشعراء الجاهليّين الأوائل، مقرونًا إلى ذُؤَيْب بن كَعْب، وضَمْرة الكِناني، ومُهَلْهِل.

شعره

لم نقع على أيِّ ذكر لشعر الأضبط، عَمِلَهُ، أو صَنَعَهُ عالِمٌ قديم. ولم يصل إلينا خبر يشي بوجوده في خزانة من خزائن المخطوطات. وقد تَمَكَّنَّا من جمع تسعة عشر بيتًا من شعره، مُوزَّعةً على قصيدة واحدة، وخمس مقطعات.

شعر الأضْبَط بن قُرَيْع السعديّ

(١)

في مجموعة المعاني (١٢٩)[3]: (الطويل)

١ ـ وَقَدْ يُبْتَلَى الأقْوامُ بالفَقْرِ والْغِنَى وَقَدْ تَنْقُصُ الأقوامُ ثُمَّ تَثُوبُ[4]

---

(١) أنظر ابن الكلبي: **الأصنام** ١٢ .

(٢) الأصفهاني: **الأغاني** ١٨: ١٣٠ .

(٣) قال صاحب مجموعة المعاني: «قال الأضْبَط في الفقر والغِنى: (البيت)».

(٤) ثابَ يَثُوبُ ثَوْبًا: رَجَع. وثابَ الناسُ اجتمعوا وجاؤوا، وكذلك الماء إذا اجتمع في الحوض.

(٢)

في الصحّاح (أطم)[١]: (الكامل)

١ ـ وَشَفَيْتُ نَفْسِيَ مِنْ ذَوي يَمَنٍ ... بالطَّعْنِ في اللَّبّاتِ والضَّرْبِ[٢]

٢ ـ فَقَتَلْتُهُمْ، وأَبَحْتُ بَلْدَتَهُمْ ... وأَقَمْتُ حَوْلاً كامِلاً أَسْبِي[٣]

٣ ـ وَبَنَيْتُ أُطْمًا في بِلادِهِمُ ... لِأُثَبِّتَ التَّقْهِيرَ بالغَصْبِ[٤]

(٣)

في الأمالي (١: ١٠٧ ـ ١٠٨)[٥]: (المنسرح)

١ ـ لِكُلِّ هَمٍّ مِنَ الهُمُومِ سَعَهْ ... والمُسْيُ والصُّبْحُ لا فَلاحَ مَعَهْ[٦]

٢ ـ ما بالُ مَنْ سَرَّهُ مُصابُكَ لا ... يَمْلِكُ شَيْئًا من أَمْرِهِ وَزَعَهْ[٧]

---

(١) قال الجوهري في مناسبة هذه الأبيات: «وباليَمَنِ حِصْنٌ يُعْرَف بأُطُم الأضبط، وهو الأضبط بن قُرَيْع ابن عوف بن سَعْد بن زَيْد مَناة، كان أغار على أهل صنعاء، وبنى بها أطمًا، وقال: (الأبيات) ـ الصحاح، والتاج: (أطم).

(٢) اللبّات: مفردها لَبَّة، وهي وَسَطُ الصَّدْر والمَنْحَر.

(٣) في اللسان، ومعجم البلدان: «قَتَلْتُهُمْ» وسَبا يَسْبِي: أَسَر، وغرَّب وأبْعَد.

(٤) في اللسان، والتاج: «في دِيارِهم». والأطم: الحصن المبني، أو هو بناء مرتفع، وجمعه آطام. وقال ابن منظور: «وفي الحديث حين توارت بآطام المدينة يعني بأبنيتها المرتفعة كالحصون». والأُطْم والأُطُم، يُخفَّف ويثقَّل ـ اللسان (أطم).

(٥) قال القالي: «وأنشدَنا أبو بكر الأنباري وقال أنشدنا أبو العبّاس أحمد بن يَحْيَى النحوي للأضبَط بن قُرَيْع، وقال: بَلَغني أنّ هذه الأبيات قيلت قبل الإسلام بدهر طويل» ـ وانظر زهر الآداب ١: ٥١٦، وشرح التصريح ٢: ٢٦٢، والخزانة، ١١: ٤٥٤ . ولم يرد البيت (٦) في الأمالي، وأضفناه من زهر الآداب بترتيبه فيه. وذكر أبو الفرج الأصفهاني مناسبة الأبيات ـ وتقدّم ذكرها ـ أنظر الأغاني ١٨/١٢٨ ـ ١٢٩، والخزانة ١١: ٤٥٤ .

(٦) في المعمَّرون، والشعر والشعراء: «يا قومُ مَن عاذِري من الخُدَعةْ... والمُسْيُ». وفي التنبيه على أوهام القالي: «لكلِّ أمرٍ مِنَ الأمورِ سَعَةْ». وفي نهاية الأرَب: «لكُل ضيقٍ من الهُمُومِ سَعَةْ». وفي زهر الآداب: «لكلِّ ضيقٍ من الأمور سَعَةْ.. والمسا والصباح لا» وهو خطأ لا يستقيم به الوزن. وفي نشوة الطرب، والحماسة البصريّة: «لكلِّ ضيقٍ من الأمور سَعَةْ... والصبحُ والمسيُ لا بقاءَ مَعه». وفي التمام في تفسير أشعار هُذَيْل، وحماسة الظُّرَفاء: «والصُّبْحُ والمُسْيُ لا» وفي مختار الأغاني، وأنوار الربيع: «والصُّبْحُ والمسيُ لا بقاءَ مَعَه». والفَلاح. الفوز والنجاة والبقاء في الخير والنعيم.

(٧) في الأغاني، والوافي بالوفيَات: «مَنْ غَيَّهُ مُصِيبُكَ لا». وفي التكملة والذَّيْل، وشرح شواهد المُغْني: «من غيُّه مُصِيبُكَ لا... تَمْلِكُ شيئًا». وفي المعمَّرون: «منْ غَيُّه مُصِيبُكَ لا.. تملكُ من أمرِهِ الذي وَزَعَهْ». وفي الخزانة: «مصابكَ لَوْ.. يملكُ». ووزَعَ يزِعُ وَزَعًا: أراد كفّ نفسه عن الشماتةِ بمصابِكَ.

٣ ـ أَذُودُ عَنْ حَوْضِهِ ويَدْفَعُنِي ... يا قَوْمِ مَنْ عاذِرِي مِنَ الْخُدَعَهْ[(١)]

٤ ـ حَتَّى إذا ما انْجَلَتْ عَمايَتُهُ ... أَقْبَلَ يَلْحَى، وغَيُّهُ فَجَعَهْ[(٢)]

٥ ـ قَدْ يَجْمَعُ المالَ غَيْرُ آكِلِهِ ... ويأكُلُ المالَ غيرُ مَنْ جَمَعَهْ[(٣)]

٦ ـ ويَقْطَعُ الثَّوْبَ غيرُ لابِسِهِ ... ويَلْبَسُ الثَّوْبَ غَيْرُ مَنْ قَطَعَهْ[(٤)]

٧ ـ فاقْبَلْ مِنَ الدَّهْرِ ما أتاكَ بِهِ ... مَنْ قَرَّ عَيْنًا بِعَيْشِهِ نَفَعَهْ[(٥)]

٨ ـ وَصِلْ حِبالَ الْبَعِيدِ إنْ وَصَلَ الْـ ... ـحَبْلَ واقْصِ القَرِيبَ إنْ قَطَعَهْ[(٦)]

٩ ـ وَلا تُهِينَ الفقيرَ عَلَّكَ أنْ ... تَرْكَعَ يومًا، والدَّهْرُ قَدْ رَفَعَهْ[(٧)]

---

(١) في مجالس ثعلب: «أدفَعُ عن نفسِهِ ويَخْدَعُني». وفي زَهْرِ الآداب: «أذودُ عنْ حَوْضِي». وفي التكملة والذيل، وشرح شواهد المغني: «عن نفسه ويَخْدَعُني» والخُدَعة: قبيلة من تميم، وهم رَبِيعة بن كَعْب ابن سَعْد بن زيد مَناة بن تميم ـ الأغاني ١٨: ١٣٠، والتكملة والذيل، واللسان (خدع). وقيل: الخُدَعة: الكثيرُ الخِداع، ولعلّ ما ذكره صاحب الأغاني، ومؤلِّفا التكملة، واللسان، هو المُراد هنا. وانظر ما قاله محقِّق مجالس ثعلب عبد السلام هارون ٢: ٤٨٠ .

(٢) في الأغاني: «انْجَلَتْ غَوايَتُهُ». وفي المعمَّرون: «عَمايَتُهُ.. أنْحَى عليهِ وأمْرُهُ فَجَعَهْ». وفي التكملة والذيل: «أقْبَلَ يُلْحِي» بضمّ الياء وكَسْر الحاء. والعَماية: مصدر عَمِيَ، وهي الجهالة وعمى نظر القلب، وقال البغدادي: «هي الشدَّة التي تَلْتَبس معها الأمور» ـ الخزانة ١١: ٤٥٣ .

(٣) في أنوار الربيع: «ويجمعُ المالَ».

(٤) لم يَرِد هذا البيت في الأمالي، وأضفناه نقلاً عن زهر الآداب وغيره بترتيبه هناك.

(٥) في المعمَّرون، والتمثيل والمُحاضرة، والتكملة والذيل، وشَرح شواهد المغني، وأنوار الربيع: «واقبَلْ مِنَ». وفي المحاسن والمساوئ: «وارْضَ مِنَ». وفي قواعد الشعر، والحماسة البَصْريَّة: «واقنعْ منَ العيْش ما أتاكَ بِهِ» وقرَّعينًا: أصلُها من القُرِّ، وهو البَرْد. ومَن بَرَدَتْ عينُه فهو في دَعَةٍ من العيش، وهناءة في البال.

(٦) في البيان والتبيين، والشعر والشعراء، ونهاية الأرَب: «فَصِل حبالَ». وفي المعمَّرون: «وصِل حِبالَ البعيدِ ما وَصَل». وفي حماسة الظرفاء، والحماسة الشجريَّة: «البَعِيْد ما وَصَل». وفي مجالس ثعلب، والسمط: «قال أبو العبَّاس ثعلب، وكان الأصمعي ينشده: فَصِلَنَّ البعيدَ إن وَصَلَ الحَبلَ» السِّمْط ٣٢٧، وانظر تصحيح أغلاط الأمالي في آخر السِّمط ١١١ . وعلّق الميمني على ذلك قائلاً: «هذا الإنشاد الذي نسبه (أي ثعلب) إلى الأصمعي لا يجوز لأنّ البيت يكون حينئذٍ من العروض الخفيف، والشعر من المُنْسِرح، والأصمعي لا يجهل هذا» ـ السِّمط ٣٢٧، وانظر خزانة الأدب (بولاق) ٤: ٥٨٨.

(٧) في الأمالي، وزهر الآداب، والخزانة: «ولا تُعادِ الفقيرَ». وفي بلاغات النساء: «لا تُعادِ الفقيرَ». وأثبتُّ رواية سائر المصادر. وفي البيان والتبيين، والأغاني، والتمثيل والمحاضرة، ومجموعة المعاني، وحماسة الظرفاء، ونهاية الأرب، والوافي بالوفيات، وأنوار الربيع: «لا تَحْقِرَنَّ الفقيرَ». وفي الحماسة البصريَّة: «فلا تُهينَ الكريمَ» وهو خطأ لا يستقيم به معنى البيت. وفي الفَرَج بعد الشدَّة: «لا تحقرنَّ الوَضِيْعَ.. تَلْقاهُ يومًا». وفي الشعر والشعراء: «أنْ تَخْشَعَ يَومًا والدَّهْرُ قد رَفَعه». وقال ابن الأنباري شارحًا: =

(٤)

في الأغاني (١٨: ١٢٩)[١]: (الطويل)

١ ـ أَلَمْ تَرَها بانَتْ بِغَيْرِ وَصِيفَةٍ إذا ما الغَوانِي صاحَبَتْها الوَصائِفُ[٢]

٢ ـ ولكنّها بانَتْ شَموسٌ بَزِيَّةٌ مُنَعَّمةُ الأخلاقِ حَدباءُ شارِفُ[٣]

٢ ـ لَوَ انَّ رسولَ اللهوِ سَلَّمَ واقِفًا عَلَيْها لرامَتْ وَصْلَهُ وهوَ واقِفُ[٤]

(٥)

في الأغاني (١٨: ١٢٨)[٥]: (الرجز)

١ ـ أَنَا الذي تَفْرُكُهُ حَلائِلُهْ ٢ ـ أَلاَ فَتَىً مُعَشَّقٌ أُنازِلُهْ[٦]

(٦)

في ديوان جرير (طبعة نعمان محمّد أمين طه) (١٣٢)[٧]: (البسيط)

١ ـ سائِلْ بِوَقْعِ تَميمٍ في ذَوِي يَمنٍ لمَّا أَلاَمُوا جِوارَ التَّيْمِ أوْ عُكُلِ[٨]

= «لعلَّكَ تَنْحَني، ويقلُّ مالُكَ فَشَبَّهَ قِلَّةَ المالِ بالانحناء ويجوز أن يكون جعل الركوع مثلاً لذهاب ماله لأنَّ فيه ذِلاً وخضوعًا» ـ الأضداد ٢٩٧، والبيت شاهد على أنّ نون التوكيد الخفيفة حذفت لأنّه وليها ألف ولام ـ أنظر الكتاب ٣: ٥٢١ ـ ٥٢٣، والخصائص ٣: ١٣٣ ـ ١٣٥، واللسان (ركع)، والمقاصد النحويّة: ٤: ٣٣٤، وشرح شواهد المُغني ٤٥٤، و«علَّ» في البيت لغةٌ في «لَعَلَّ» ـ أنظر الأمالي ١: ١٠٧، والخزانة ١١: ٤٥٤ .

(١) قال أبو الفرج: «كان الأضبط بن قريع قد تزوّج امرأة على مال ووصيفة فنشزت عليه ففارقها ولم يُعْطِها ما كان ضَمِنَ لها، فلمّا احتملت أنشأ يقول: (الأبيات)».

(٢) بانَتْ: فارقت. والوصيفة: الخادمة، وجمعها وصائِف. والمُذكَّر منها وَصِيف.

(٣) الشموسُ من النساء: النفور التي تطالع الرجال ولا تطمعهم. والبزيّة: لعلّها من البَزاء، وهو أن يتأخّر العجز ويخرج: «وفي حديث عبد الرحمن بن جُبَيْر: لا تُبازِ كَتَبازِي المرأة. ومعنى الحديث ـ فيما قيل ـ : لا تَنْحنِ لكلِّ أحدٍ» ـ اللسان (بزا). والحَدْباء: من الحَدَب، وهو خروج الظهر ودخول البطن والصدر. وشارِف: مُسِنَّة.

(٤) رامَت: رغبَتْ وأرادَت.

(٥) قال أبو الفرج: «كانَ الأضبط بن قريع مُفرْكًا، وكان إذا لُقِيَ في الحرب تقدَّم الصفَّ ثمّ قال: (الشطرَين)».

(٦) في الخزانة: «أنا الفتى». وفَرَكَ فَرْكاً: أبغض، والفِرْك، بالكسر ـ البغضة عامّة. وقيل هو بغضة المرأة لرجلها. والحلائِل: مفردها حَلِيلة، وهي الزوجة، وأنازل: أقاتِل.

(٧) قال محمّد بن حبيب ـ شارح ديوان جرير: إنّ الأضبط قال البيتَين بعد أن أوقع ببني الحارث بن كعب الذين كانوا قد أساؤوا جوار بني عكل وبني التَّيْم التميميَّيْن، وأذلُّوهم.

(٨) أَلاَمَ، ولامَ: أتى ذَنْبًا يُلامُ عليه.

٢ ـ فَلَمْ يُفاجِئْهُمْ إلاّ تَنادُبُنا   ضَرْبًا تَمِيْمُ على الْهاماتِ لا شَلَلِ[1]

تخريج شعر الأضبط بن قريع السعدي

(١)

١ في مجموعة المعاني ١٢٩ للأضبط بن قُرَيْع.

(٢)

١ ـ ٣ في الصحّاح، واللسان (أطم) للأضبط بن قُرَيْع.
١ ـ ٢ في معجم البلدان (أطم الأضبط) للأضبط بن قُرَيْع.
٣ في تاج العروس (أطم) للأضبط.

(٣)

١ ـ ٥، ٧ ـ ٩ في الأمالي: ١: ١٠٧ ـ ١٠٨، وخزانة الأدب ١١: ٤٥٢ (ط هارون) للأضبط.
١ ـ ٩ في زهر الآداب ١: ٥١٦ ـ ٥١٧ للأضبط.
١، ٩، ٨، ٥، ٢، ٤، ٣، ٧ في الأغاني ١٨: ١٢٩ والوافي بالوفيّات ٩: ٢٨٨ للأضبط.
١، ٩، ٨، ٧، ٥ ، ٢، ٤، ٣ في التكملة (خدع)، وشرح شواهد المغني ٤٥٣ ـ ٤٥٤ للأضبط
١، ٢، ٤، ٨، ٧ في المعمّرون ١١ ـ ١٢ للأضبط.
١، ٣، ٥، ٧، ٩ في نشوة الطرب ١: ٤٤٠ للأضبط.
١، ٥، ٧ ـ ٩، ٦ في حماسة الظرفاء ١: ١٥٤ للأضبط.
١، ٨، ٧، ٩، ٥ في البيان والتبيين ٣: ٣٤١ ـ ٣٤٢، ونهاية الأرب ٨: ١٨٩ للأضبط.
١، ٨، ٧، ٥، ٩ في الشعر والشعراء ١: ٣٨٢ للأضبط.
١، ٧، ٥، ٩، ٨ في الحماسة البصريّة ٢: ٢ ـ ٣ للأضبط.

---

(١) قال مُحَقِّق ديوان جرير ـ نعمان محمّد أمين طه: «في النسخ تَنادينا ولا يستقيم بها الوزن، ولعلّها «تنادبنا»، غير أنّها لم ترد في المعاجم». وقال ابن حبيب في شرحه: «أراد لا على شلل، كأنّه دعا لهم أن لا يشلّوا». والواو في «يشلّوا» تعود على تميم ـ ديوان جرير ١٣٢ .

١، ٩، ٨، ٥، ٧ في مختار الأغاني ١: ٤١٦ للأضبط.

١، ٥، ٩، ٨، ٧ في أنوار الربيع في أنواع البديع ٢: ٧٠ ـ ٧١ للأضبط.

١، ٥، ٩، ٧ في التمثيل والمحاضرة ٦٠ للأضبط.

١، ٩، ٥ في الفرج بعد الشدّة ٤٣٨ للأضبط.

١، ٥ في أبيات الاستشهاد لابن فارس (ضمن نوادر المخطوطات) ١: ١٥٣ دون عزو.

١، ٦ ـ ٨ في سمط اللآلي ٣٢٦ للأضبط.

١، ٨ في التنبيه على أوهام القالي ٤٣ للأضبط.

١ في الغريب المصنف ٤: ٣٨، والتهذيب ٥: ٧١، واللسان (فلح) و(مسا)، والتاج (فلح) للأضبط. وفي المقاييس ٤: ٤٥٠، والتمام في تفسير أشعار هذيل ١٣٢ دون عزو.

٣ في العين ١: ١٣٢، والمحكم ١: ٢٧٩، واللسان (خدع). وعجزه في المخصص ٣: ٨٠ دون عزو.

٣، ٨ في مجالس ثعلب ٢: ٤٨٠ للأضبط.

٥ في رسالة الصّاهِل والشاحج ٩٢ للأضبط، وفي المستَطْرف ١: ١٣٢ دون عزو.

٥ ـ ٦ في شرح نهج البلاغة ٨: ٢٨٤ ـ ٢٨٥، وأنوار الربيع ٣: ٣٤١ ـ ٣٤٢ للأضبط.

٧ ـ ٩، ٥ في الحماسة ٤٩٣ للأضبط.

٩، ٥، ٧ ـ ٨ في المقاصد النحوية ٤: ٣٣٤ ـ ٣٣٥ للأضبط. وفيه قال العَيْني بعد هذا البيت:

لا تـهـينُ الـفَـقـيـرَ عـلَّـكَ أنْ ... تـركـعَ يـومًـا والـدهـرُ قـد رَفـعـه

«أقول: قائله هو الأضبط بن قُرَيع، وهو من قصيدة أوّلها هو قوله:

قَـدْ يَـجْـمَـعُ المالَ غـيـرُ آكِـلِـهِ ... ويـأْكُـلُ المالَ غـيـرُ مَـنْ جَـمَـعَـهْ

فأوّل القصيدة إذًا عند العيني هو البيت الخامس في ترتيب الأبيات حسب الرواية التي اخترناها. والله أعلم.

٥، ٩، ٧ في نهاية الأرب ٣: ٦٩ للأضبط.

٧ في قواعد الشعر ٧٥، والمحاسن والمساوئ ١: ٤٤٤ للأضبط. وفي الغيث المسجم ٢: ١٥٦ دون عزو.

٩ في المعاني الكبير ٤٩٥، والأضداد للأنباري ٢٩٧، ومجموعة المعاني ١٢٨، وشرح مقامات الحريري للشريشي ٢: ٦٠، والتاج (ركع) للأضبط. وفي بلاغات النساء ٦٢، وشمس العلوم ٢: ٢٧١، وأساس البلاغة (ركع)، وأمالي ابن الشجري ١: ٣٨٥، وشرح نهج البلاغة ٢: ١٨٩، وشرح الشافية ٢: ٢٣٢ واللسان (ركع) و(هون)، وهَمْع الهوامع ١: ١٣٤ دون عزو.

(٤)

١ ـ ٣ في الأغاني ١٨: ١٢٩ للأضبط.

(٥)

١ ـ ٢ في الأغاني ١٨: ١٢٨، وخزانة الأدب ١١: ٤٥٥ (ط هارون) للأضبط.

(٦)

١ ـ ٢ في ديوان جرير (ط نعمان محمّد أمين طه) ١٣٢ للأضبط.

٢ عَجْزُهُ في تهذيب اللغة ١١: ٢٧٦، واللسان (شلل) دون عزو.

٢٠ ـ هَمَّامُ بنُ رِيَاح بن يَرْبُوْع بن حَنْظَلة التَّمِيْمِي

هو هَمَّام بن رِياح بن يَرْبُوْع بن حَنْظَلة بن مالِك بن زَيْد مَناة بن تَمِيْم. فهو بهذا الانتماء حفيد الشاعر السابق الذكر: يَرْبُوع بن حَنْظلة.

وقد ذكر ابن الكلبي أن لهمّام من أبيه عددًا من الإخوة، هم: هَرْمي، وحِمْيَري، وحُمْري، وزَيْد، وعبدالله، ومُنْقِذ، والحَمَّة، وجابِر. وأمّ همّام والحمَّة، وعبدالله، وجابر هي تَغْجر بنت غالِب بن حنظلة[1].

وقِدَمُ هذا الشاعر التميمي جعله بطنًا من بطون هذه القبيلة العظيمة الشأن في

(١) أنظر ابن الكلبي: جمهرة النسب (ط دمشق) ١: ٣٠٦.

الجاهليَّة. وقد ذكره ابن دُرَيْد، فقال: «واشتقاق همّام، وهو فعّال، من الهَمّ، إذا هَمَّ فعل، أو يكون من هَمِّ الشحمُ، إذا ذابَ، ومنه قولهم: شَيخ هِمٌّ، إذا ذابَ لَحْمُهُ... ومن رجال بني هَمَّام: قَعْنَب بن عَتّاب، فارس بني تميم، قاتِل بَجِير بن عبدالله القُشَيْرِي»[1].

ومن أحفاد هَمَّام بن رِياح الأبرد بن قرّة بن نَعِيم بن عتّاب بن الحارث بن عمرو ابن همّام بن رِياح بن يَرْبُوع. كان سيِّدًا، وغيره كثيرون[2].

وإلى رِياح بن يَرْبُوع، والد شاعرنا، ينتمي الشاعر المخضرم سُحَيم بن وَثِيل الرياحي. فسُحَيم هو ابن وثيل بن عمرو بن جُوَيْن بن أُهَيْب بن حِمْيَري بن رياح، فهو إذًا يلتقي بهَمَّام بن رِياح، بالأب (رياح بن يربوع). وهذا النسب سيكون إحدى دِعامتَين لنا في تقدير زمان همَّام بن رِياح اليَرْبوعي.

زمانه

إنّ الدعامة الأولى التي سنعتمد عليها في تقدير عصر همَّام بن رِياح، هي كونه حفيدًا لشاعر تميمي سابق حَقَّقنا زمانه في الباب الثاني، هو يَرْبُوع بن حنظلة، لذا نستطيع القول أوّلاً: إنّ زمان همّام قريبٌ جدًّا من زمانِ جدِّه يَرْبوع.

والدعامة الثانية تتمثّل بملاحظة عَدَدِ الآباء ما بين جدّ سُحَيْم بن وَثِيل الرِّياحي الخامس، وهو حِمْيَري بن رِياح، وشاعرنا همَّام بن رِياح، فهما أخَوَان، ووجودهما، دون ريب، متقارب. وحساب المدّة بين سُحَيْم وأبيه الأكْبَر حِمْيَري، وهو الأب الخامس له، يُفضِي إلى القول: إنّ نَحوًا من مئة سنة تفصل ما بين سُحَيْم، وجدّه حِمْيَري بن رِياح، وبعبارة أخرى، فإنّ نحوًا من مئة سنة تقع بين سُحَيم، وأخي جدّه: هَمَّام بن رِياح.

فإذا عَرَفنا أن سُحَيمًا عاش في الجاهليّة أربعين سنة، كما يقول ابن دريد[3]، استطعنا القول: إنّ همّامَ بن رِياح ـ شاعرنا ـ وُجِد قبل الإسلام بمائة وأربعين عامًا. فهو ـ

(١) إبن دريد: الاشتقاق ٢٢٢. وبَجِير بن عبدالله القُشَيْرِي هو الذي كانت تقول في قتله كلّ عامريّة عَثَرتْ: تَعِس قاتل بَجِيْر. وقال غير أبي اليَقْظان: إنّ قاتل بَجير ليس قَعْنَب بن عتّاب الرياحي بل كرام بن نخيلة التميمي ـ انظر الحاشية رقم (٢) في كتاب الاشتقاق ٢٢٢.

(٢) أنظر ابن حزم: جمهرة أنساب العرب ٢٢٧.

(٣) أنظر ابن دُرَيْد: الاشتقاق ٢٢٤، وسزكين: تاريخ التراث العربيّ مج ٢ (٢: ١٦٤، ١٦٥).

على الأرجح ـ من رجال القرن الخامس الميلاديّ ـ ولعلّه أدركَ طرفًا من القرن السادس أيضًا، فأبو حاتم السجستاني عدّه بين المعمّرين، فقال:

«وعاش همّام بن رِياح بن يَرْبوع بن حَنْظَلة بن مالك بن زيد مناة مائة وثمانين سنة، وقال في ذلك:

إنّ الْـغَـواني قـد عَـجِـبْـنَ كـثـيـرًا ... ورَأَيْنَنِي شَيْخًا صَحَوْتُ كبيرا...»[1]

وأنشد بعد هذا البيت أربعة أشعار أخرى.

شعره

لم نستطع ـ رغم بَذْل الجهد ـ أن نجمع لهذا الشاعر أكثر من الأبيات الخمسة التي ساقها السجستاني في كتابه **المعمّرون**. كما أنّنا لم نجد لشعره مصدرًا آخر غير هذا المصدر. وها هي ذي الأبيات الخمسة لهمّام بن رياح التميمي:

شعر همّام بن رِياح بن يَـرْبُـوع التميمي

(١)

في المعمّرون (٧٣): (الكامل)

١ ـ إنّ الْغواني قَـد عَـجِبْـن كَـثِيرًا ... وَرَأَيْـنَـنِي شَـيْـخًـا صَـحَـوْتُ كَـبِـيْـرًا[2]

٢ ـ قَـصْـدُ الْغَـوانِـي أنْ أَرَدْنَ هَـوادَتِـي ... حَـسْـبُ الكبيرِ مُـجَـرَّبًـا مَـخْـبُـورًا[3]

٣ ـ إنّـي لأَبْـذُلِ لِلْـحـلـيـلِ إذا دَنَـا ... مـالِـي، وأتْـرِكُ مـالَـهُ مَـوْفُـوْرا[4]

٤ ـ وإذا أَرَدْتُ ثَـوابَ مـا أعْـطَـيْـتُـهُ ... فـكَـفَـى بِـذاكَ لـنـائِـلٍ تَـكْـدِيْـرا[5]

٥ ـ إنّـي امرؤٌ عَـفُّ الخَلائِـقِ لاَ أَرَى ... طُـرُقَ السَّـماحةِ ـ يا أُمَيْـمَ ـ وُعُوْرا[6]

---

(١) السجستاني: **المعمّرون** ٧٣.

(٢) الغَواني: مفردها غانية. وهي الجارية الحسناء. وقيل: الشابّة المتزوّجة. والصَّحْو: هنا، تَرْك الصبا والباطل.

(٣) الهوادة: الحُرْمة والسبب. وقيل الهوادة: المُحاباة والمُمايلة. وخُبِر: جُرِّب.

(٤) الحليل: هنا الجار وكل مَنْ نزل وحلَّ بقربك.

(٥) الثَّواب: الجزاء والمكافأة. والنائل ما نِلْتَ من معروف إنسان، وكذلك النوال. وأناله معروفه ونوّله: أعطاه. أراد الشاعر كَفى تكديراً للعطاء أنْ يُطلَب الثواب عليه أو يُمنّ به..

(٦) عفَّ يَعِفُّ عِفَّةً وعفًّا: كفَّ عمّا لا يحلُّ ويحمل. والوعور: مفردها وَعْر ووَعِر، وهو من الطرق ما =

تخريج شعر همَّام بن رِياح بن يَرْبُوع التميمي

(١)

١ ـ ٥ في المعمرون ٧٣ لهمّام بن رِياح بن يَرْبُوْع.

٢١ ـ ثَعْلَبَة بن صُعَيْر الْمازِنيّ التَّمِيْمي

نسبه

ثَعْلَبة بن صُعَيْر شاعِر تَمِيْمي، وهو، نسبًا، ثَعْلَبة بن صُعَيْر بن خُزاعي بن مازِن بن مالِك بن عَمْرو بن تميم بن مرّ بن أدّ بن طابخة بن إلياس بن مُضَر بن نِزار بن معدّ ابن عَدْنان[١].

زمانه

ويُلاحظ في نسبه قربُهُ من الجدّ التميمي (عَمْرو بن تَمِيْم)، الذي يُعَدّ أبًا لشاعر آخر من شعرائنا الأوائل هو: (العَنْبر بن عَمْرو بن تميم)، فالعنبر بن عمرو، يوازي، في جدول نسب ثعلبة، الأب الرابع لثعلبة، أعني (مالِك بن عَمْرو بن تميم). والآباء الأربعة هؤلاء يمكن أن نقدّر لهم ـ وبحسب قاعدتنا المُتَّبعة ـ ثمانين عامًا. وعليه يكون زمن ثعلبة متأخّرًا عن زمن العنبر بن عمرو بن تميم نحو ثمانين سنة، فإذا تذكّرنا أنّ العنبر كان، في أغلب الظنّ، من رجال أواخر القرن الرابع، وأوائل القرن الخامس الميلاديّين[٢]، صحّ لنا أن نُقدِّر وجود ثعلبة في فترة تقع في أواخر القرن الخامس الميلاديّ، ولعلّها تمتدّ إلى أوائل السادس.

ومّما يؤيِّد قِدَم هذا الشاعر ما رُوِيَ عنه من أنّه: «أقْدَم أوْ أكْبَر من جَدِّ لَبِيْد بن رَبِيْعة العامري»، فقد ساق الأنباري شارح **المفضليّات** بيت ثَعلبة:

فَتذكّرتْ ثقلاً رَثِيدًا بَعْدَما ... أَلْقَتْ ذُكاءُ يَمِيْنَها في كافِرِ

وشَرحه، ثمَّ قال بعد فراغِه من الشرح: «فَسَرَق هذا المعنى لَبِيْدُ من ثَعْلبة بن

= يصعب السَّيْر فيه. وأمَيّمَ: هنا مُنادى مُرخَّم، أصله أُمَيْمة.

(١) أنظر التبريزي: **شَرْح اختيارات المفضَّل** ٦١٢، والأنباري: **شرح المفضَّليّات** ٢٥٤، والبكري: **السمط** ٧٦٨.

(٢) أنظر أخبار العَنْبر بن عَمْرو بن تميم في دراستنا هذه.

صُعَيْر، وثَعْلَبة أكْبَرُ مِنْ جَدِّ لَبِيْد»[1].

وإذا تساءلنا عن زمان جَدِّ لَبِيد، عرفناه، تقريبيًّا، من خلال زمان حفيده لبيد، فأبو الفرج الأصفهاني يحدّثنا عن لبيد فيقول: «ومات بها (بالكوفة) هناك في آخر خلافة معاوية، فكان عمره مائة وخمسًا وأربعين سنة، منها تسعون سنة في الجاهليّة، وبقيّتها في الإسلام»[2]. فإذا أخذنا بهذه الرواية توصّلنا إلى أنّ لبيدًا رأى النور قبل منتصف القرن السادس الميلاديّ. وقد استعرض الدكتور إحسان عبّاس روايات أخرى تتحدّث عن حياة لبيد في الجاهليّة، وعن أخباره مع أعلام مشهورين فيها، كالنابغة الذبياني، والنعمان بن المنذر، وذكر رواية تفيد أنّ عُمر لَبِيْد يوم جَبَلَة كان تسع سنوات، أو بضع عشرة سنة، وعليه فمولده يقع بين سنتَي ٥٤٥ ـ ٥٦٥ م[3].

ومهما يكن من أمر، فإنّ مولد جَدِّ لبيد ـ (مالِك بن جعفر) يُرجَّح أن يكون في مطلع القرن السادس، وربّما كان في أواخر القرن الخامس الميلاديّ. وبما أنّ شاعرنا ثعلبة ابن صُعَيْر أقدَم من جدّ لَبِيْد وأكبر، فالغالب أنّه وُجِد في النصف الأخير من القرن الخامس الميلاديّ، وربّما أدرك طرفًا من أوائل القرن السادس، وهذا التقدير، يتّسق مع ما سبق أن استخلصناهُ، من خلال فَحص العلاقة بين نسب ثعلبة بن صُعَيْر، ونسب العنبر بن عَمْرو بن تميم، قبل سطور آنفات. وكلاهما شاعر تميمي قديم.

شعره

لم يصل إلينا من شعر ثعلبة بن صُعَيْر المازني سوى قصيدة واحدة، هي المفضّليّة (٢٤)، وتقع في ستّة وعشرين بيتًا. وقد أطراها الأصمعي في كتابه **فحولة الشعراء**، فقال: «ولو قال ثَعْلَبة بن صُعَيْر المازِنيّ مثلَ قصيدتِهِ خمسًا كانَ فحلاً»[4]. ويحتمل قول الأصمعي هذا احتمالَين: الأوّل أنّ ثعلبة كان شاعرًا مُقلاً لم ينظم غير قصيدته الرائيّة، التي أثبتها المفضّلُ الضبيّ في **مفضّليّاته**. والثاني: أن يكون ثعلبة قد قرض غير

---

(١) أنظر الأنباري م. س ٢٥٧، والأنباري: **شرح القصائد السّبع الطوال** ٥٨١، والبكري م. س ٧٦٨، وسزكين: م. س مج ٢ (٢: ١٥٢)، وابن السكّيت: **إصلاح المنطق** ٣٣٩، والجوهري: **الصحاح**، والزبيدي: **التاج** (كفر)، وابن قتيبة: **الشعر والشعراء** ١: ٢٨٥.

(٢) الأصفهاني: **الأغاني** ١٥: ٣٦٢.

(٣) أنظر إحسان عبّاس: **مقدّمة شرح ديوان لبيد** ص ١٨ وما بعدها.

(٤) الأصمعي: **فحولة الشعراء** ١٢ (ط توري).

هذه القصيدة، ولكنّ قِدَمه أدّى إلى ضياع شعره، أو تلاشي أكثره من ذاكرة الرواة. وهو الاحتمال الراجح لدينا.

وقد آلَ فقدان شعر ثعلبة، وبقاء قصيدة يتيمة له، إلى إمكان احتسابه، في ضوء ما تقدم، من شعراء القصيدة الواحدة في هذه الدراسة، مثلُه مثل ذُؤَيْب بن كَعْب بن عَمْرو بن تميم، ومثل مرّة بن هَمّام الشيباني. وها هي ذي قصيدته مَشروحةً، ومرصودة الروايات، ومخرَّجةً:

شعر ثَعْلَبة بن صُعَيْر المازِنيّ

(١)

في المفضّليّات (١٢٨ ـ ١٢٩): (الكامل)

١ ـ هَلْ عِنْدَ عَمْرَةَ مِنْ بَتاتِ مُسافِرٍ ... ذِي حاجةٍ مُتَروِّحٍ أوْ باكِرِ[١]

٢ ـ سَئِمَ الإقامةَ بعدَ طُوْلِ ثَوائِهِ ... وقَضَى لُبَانَتَهُ، فَلَيْسَ بِناظِرِ[٢]

٣ ـ لِعِداتِ ذِي أَرَبٍ ولا لِمَواعِدِ ... خُلُفٍ ولوْ حَلَفَتْ بِأَسْحَمَ مائِرِ[٣]

٤ ـ وَعَدَتْكَ ثُمَّتْ أَخْلَفَتْ مَوْعُودَها ... ولَعَلَّ ما مَنَعَتْكَ لَيْسَ بضائِرِ[٤]

٥ ـ وأَرَى الْغَوانِي لا يَدُوْمُ وِصَالُها ... أَبدًا على عُسْرٍ ولا لِمَياسِرِ[٥]

---

(١) في شرح اختيارات المُفَضَّل للتبريزي: «في حاجةٍ». وقال التبريزي شارحًا: «البَتات: الزاد. وتلخيص الكلام: هل عِند عَمْرةَ من بَتاتِ مسافرٍ مُتروِّحٍ أو باكرٍ في حاجةٍ؟ يُقال قد تَبَتَّتَ الرجلُ لِسَفَرِهِ إذا اشترى ما يُصْلِحه. وبَتَتُهُ: زَوْدَتُهُ» ـ شرح الاختيارات ٦١٣.

(٢) في المفضّليّات: «سَئِمَ الإقامةَ من بعد طُوْلِ ثوائِهِ». وبإقحام «من» يختلُّ الوزن. ولعلّ في هذا خطأً مَطبعيًا. وقال الأنباري شارحًا: «ويُروى، ثَوَايَةٍ، والسآمة: الإعياء والمَلَل، أي مَلَّ إقامته. والثواء: الإقامة، يُقال: ثَوَى بالمكان وأثوى. واللبانة: الحاجة. والناظر: المُنْتظِر، يقال: أنظرت الرجل، إذا انتظرته» ـ شرح المفضّليّات للأنباري ٢٥٥.

(٣) قال الأنباري في شرحه: الإِرْب: الدهاء. وقوله: بأسْحَمَ مائِر: أي لو حلفت بدماء البدن. يُريد أنّهُ لَو يَتعرَّف منها وَفاءً، فلا يصدِّقها بيمينها. والمائِر: المنصبُ. وأصل المَوْر: السرعة، يقال: مارَ الشيءُ يَمُورُ مورًا إذا أسرع في عَدْوٍ أو مَشْيٍ أو تقليب كَمٍّ» ـ شرح المفضّليّات ٢٥٥.

(٤) قال التبريزي شارحًا: «كرَّر ذِكْرَ الوَعْدِ تَشَكّيًا مِمّا ناله فيه، ثمَّ تجلَّد معه، فقال: أَطْمَعُ في أن مَنْعَها لا يضرُّني ولا يعودُ بمساءَةٍ علي.. وثُمَّتَ: دخلت التاء علامة التأنيث للقصَّةِ والحال. وهي تنفصل عن التي تدخل على الفعلِ في قولك قامت وضربت» ـ شرح الاختيارات ٦١٥.

(٥) في مخطوط منتهى الطَّلَب: «على يُسْرٍ ولا». والغواني: مفردها غانية، وهي التي غَنِيتْ بجمالِها عن الحِلْي ويقال التي غنيت بزوجها. والعُسْر والعُسُر ضدّ اليُسْر. وهو الضيق والشدّة وقال الأنباري: «ويُرْوَى ولا لِمَيَاسِر جَمْع مَيْسَرة».

٦ ـ وإذا خَلِيْلُكَ لَمْ يَدُمْ لكَ وَصْلُهُ   فاقْطَعْ لُبانَتَهُ بحَرْفٍ ضامِرِ[١]

٧ ـ وَجْناءَ مُجْفَرَةِ الضُّلُوعِ رجِيْلَةٍ   وَلَقَى الهَواجِرِ ذاتِ خَلْقٍ حادِرِ[٢]

٨ ـ تُضْحِي إذا دَقَّ المَطِيُّ كَأَنَّها   فَدَنُ ابنِ حَيَّةَ شادَهُ بالآجُرِ[٣]

٩ ـ وكَأَنَّ عَيْبَتَها وفَضْلَ فِتانِها   فَنَنانِ من كَنَفَي ظَلِيْمٍ نافِرِ[٤]

١٠ ـ يَبْرِي لرائِحةٍ يُساقِطُ رِيْشَها   مَرُّ النَّجاءِ سِقاطَ لِيْفِ الآبِرِ[٥]

١١ ـ فَتَذَكَّرَتْ ثَقَلاً رَثِيْدًا بَعْدَما   أَلْقَتْ ذُكاءُ يَمِينَها في كافِرِ[٦]

١٢ ـ طَرِفَتْ مَراوِدُها وغَرَّدَ سَقْبُها   بالآءِ والحَدَجِ الرِّواءِ الْحادِرِ[٧]

---

(١) الحَرف: الناقة، شُبِّهتْ بحرف السيف في مَضائها، ويقال: شبّهت بحَرْف الجبل لصلابتها.

(٢) في مخطوط مُنتهى الطلب: «الضلوعِ رَجِيلةٍ». وقال الأنباري شارِحًا: «الوَجْناء: الصلبة أخِذت من وَجِيْن الأرض، وهو ما غلظ منها وارتفع وانقاد. والمُجْفَرة: العظيمة. والجُفْرة الوسط. وهو مستحَبٌّ من خلقها. والرجِيْلة: القويّة على المشي خاصّة، ثمّ قيل لكلّ قويٍّ رَجِيل... والوَلَقى: السريعة. والولَق: السرعة. والحادِر: المُمْتلِئ. ومنه قولهم غلام حادِر إذا امتلأ شبابًا، وإنّما قال: وَلَقَى الهواجر، لأنّ سيرَ الهاجرة أشدُّ السير، والعرب تفتخر بالسيرِ في ذلك الوقت» ـ شرح المفضّليّات للأنباري ٢٥٦ .

(٣) قال الأنباري شارحًا: «قَوْلُهُ تُضْحِي، يعني أنّها سارت ليلتَها وضَحْوَتَها لم يكِلّها السير، ولم يُتْعِبها. والفَدَنُ: القَصْرُ. وشادَهُ: بناهُ بالشِّيْدِ وهو الجِصُّ...» - شرح المفضّليّات ٢٥٧ .

(٤) في المقاييس:

أُجُدٌ مُوَثَّقَةٌ كَأَنَّ عِفاءَها   سِقْطانِ مِنْ كَنَفَيْ ظليم نافِرِ

وفي مخطوط منتهى الطلب: «وكأنّ عَيْنَيها وفَضْلَ فتانها... فتنان من» تحريف. والعيبة: وعاء من جلد يكون فيه المَتاع. والفِتان: أديمٌ يُلْبَس الرَّحْل... وقال، الأنباري شارحًا: شبّه عَيْبَتَهُ على هذه الناقة والفتان... عند إسراعها بما نتأ وشخص من ريش جناحي الظليم، وجعله نافِرًا لأنّه أشدّ لعَدْوِه» - شرح المفضّليّات ٢٥٧ .

(٥) قال الأنباري في شرحه: «يَبري: يُعارِض، وإذا عارضها الظّلِيم كان أشدَّ لِعَدْوها. والرائحة: النَّعامة تروح إلى بَيْضِها، فهي لا تألو من العَدْو. والنجاء: السرعة. وهو يُمَدُّ ويُقْصَر. وقوله يساقط ريشها أي يَسْقُط ريشها من شدّة العَدْو. والآبر: المُصْلِح للنخلة، المُلَقّح لها، فإذا صَعِدَها رَمَى باللِّيف عنها، فشبّه الريش إذا سقط عن النعامة، بهذا الليف» - شرح المفضّليّات ٢٥٧ .

(٦) في إصلاح المَنطق، والحيوان، والشعر والشعراء، وعيون الأخبار، وشرح القصائد السبع الطوال، والأمالي، والمُجْمَل، وسِمْط اللآلي، والصحاح، واللسان (رثد) و(كفر) و(ذكا)، والتكملة والذيل (كفر): «فتذكّرا ثقلاً». وقال الصغاني: «والرواية: فتذكّرت على التأنيث، والضمير للنعامة» ـ التكملة والذيل (كفر). والثقل: كلّ شيءٍ مَصون وأراد الشاعر بَيْض النعامة. ورثده يَرْثُدُه رَثْدًا: نضَده ووضعه بعضه فوق بعض. والرَّثِيْد: المُنَضَّد. وهو فَعِيْل بِمَعْنَى مَفْعُول. وقوله: ألقت يدًا: يعني تهيَّأت لِلْمَغِيب. والذكاء: اسمٌ للشمس «قال الأصمعي: اشتقّ اسمها من ذكت النار تذكو إذا التهبت» ـ شرح المفضّليّات للأنباري ٢٥٧ . والكافر: الليل أو البحر.

(٧) طَرِفَتْ: رعت أطراف المَرعى، ولم تَخْتَلط بالنوق. وناقة طَرِفة: لا تَثْبُتُ على مَرْعى واحد. والمراوِد: =

١٣ ـ فَتَرَوَّحا أُصُلاً بِشَدٍّ مُهْذِبٍ ثَرٍّ كَشُؤْبُوبِ العَشِيِّ الماطِرِ(١)

١٤ ـ فَبَنَتْ عليهِ مع الظَّلامِ خِباءَها كالأَحْمَسِيَّةِ في النَّصِيفِ الحاسِرِ(٢)

١٥ ـ أَسُمَيُّ ما يُدْرِيكِ أَنْ رُبَ فِتْيَةٍ بِيْضِ الوُجُوهِ ذَوِي نَدَىً ومآثِرِ(٣)

١٦ ـ حَسَنِي الفُكاهَةِ لا تُذَمُّ لِحامُهُمْ سَبِطي الأَكُفِّ، وفي الحُرُوبِ مَساعِرِ(٤)

١٧ ـ باكَرْتُهُمْ بِسِباءِ جَوْنٍ ذارِعٍ قبلَ الصَّباحِ، وقَبْلَ لَغْوِ الطَّائِرِ(٥)

١٨ ـ فَقَصَرْتُ يَوْمَهُمْ بِرَنَّةِ شارِفٍ وسَماعِ مُدْجِنَةٍ وجَدْوى جازِرِ(٦)

١٩ ـ حَتَّى تولَّى يَوْمُهُمْ وتَرَوَّحُوا لا يَنْثَنُونَ إلى مقالِ الزَّاجِرِ(٧)

= المَواضِع التي تَرُوْد فيها. والسقب: وَلَدُ الناقة. وأراد هنا ولد النعامة، وهو الرأل. والآءَ: شَجَرٌ له ثَمَرٌ يأكله النَّعام. والحَدَج: الحنظل. والرُّواء: جمع رِيَّان. والحادِر: الغَلِيْظ.

(١) تروَّحَ: ذهب وسار. وقيل: سار في العَشِي. والأُصُل: العَشِي، وهو كالأصيل مُفْرَد، وهو أيضًا جَمْع الأَصِيْل. والشَّدُّ المُهْذب: الجَرْي السَّرِيْع. والثرّ: الشديد. والشؤبوب: الدفعة من المطر وغيره.

(٢) قال الأنباري في شَرْح البيت: «أي بَنَتِ النعامةُ على البيض خِباءَها، يريد أنَّها جثمتْ على البيض، فشبَّه جناحَيها بالخِباء، وهو أشْبَه شيء بِه... والأحْمَسِيَّة: امرأة من الحُمْس، وهم قريش وما ولدت من سائر العرب. والنصيف: القِناع. والحاسِر: التي تكشف رأسَها ووَجْهها إدْلالاً بحسنها، ولو كانت قبيحة لم تكشفه... غيره قال: لم يُرِدِ الأحْمسِيَّة خاصَّة، وإنَّما أراد امرأة فقال: أحْمسِيَّة» ـ شَرْح المفضَّليَّات ٢٥٩ .

(٣) في الحيوان: «أعُمَيْر مَا». والنَّدَى: السخاء. والمآثر: مفردها مَأثُرة، وهي ما يُؤْثَر من كريم الأخلاق. و«رُبَ» مخفَّفة من «رُبَّ».

(٤) في الحيوان: «لدى الحُرُوبِ». وقال الأنباري شارحًا: «المُزاح: طِيْبُ العشرة. لا تذمّ لِحامُهُم: يريد سَخاءَهم. واللِّحام: جمع لَحْم، أي قِراهم مُعَدٌّ حاضِر. والسَّبْط: المُسْتَرْسِل... غيره المَساعِر: جمع مِسْعَر، وهو الذي يُوْقِدُ الحَرْبَ كأنَّه يُسْعِرُها، ومنه السعير، أي في السلم هم أهلُ ندى وفي الحَرْبِ مَساعِر» ـ شرح المفضَّليَّات ٢٦٠ .

(٥) في الحيوان: «جَوْن مُتْرَع». وقال الأنباري شارِحًا: «السِّباء: اشتراء الخمر، يقال: سَبَأ الخمرة سَبْأً. والجَوْن: الزِّقّ، جعله جَوْنًا لِسوادِه. والجُوْنة: السواد. والذارع: الكثير الأخذ من الأرض، لعظمه. ولَغْو الطائر: ابتداءُ صوتِهِ في الغَلَس، يقال هو لَغْوُ الطائر ولَغاهُ قال أحمد: الذارِع: زُكْرة (أي وعاء من أدَم) إلى الطول ما هي قَدْر ذِراع والزُّكْرة إلى العرض ما هي كذا. غيره السِّباء: اشتراء الخمْر خاصَّة» ـ شرح المفضَّليَّات ٢٦٠ .

(٦) قال التبريزي في شَرْحه: «أي جَعَلْتُ يومَهُمْ قصيرًا باللهو والطَّرَب. وأراد بالشارِف: العُود. ورنينُهُ: صوته. والمُدْجِنة: الداخِلة في الدُّجْن، وهو إلْباس الغَيْم. واللذّات في مثلِهِ أبْلَغ. وقوله: جَدْوى جازِر: يجوز أن يريد نفسه. والجَدْوى: العَطِيَّة، ويجوز أن يترفَّع عن ذلك ويأمر غيره به، وفائدة الجَدْوى منه خدمته وجزرُهُ» ـ شَرح اختيارات المفضل ٦٢٤ .

(٧) في شرح اختيارات المُفَضَّل: «لا يَنْثَنُون عن الهَوَى للزاجِر». وقال المحقّق الدكتور قباوة: وهي رواية المَرزوقي، وقد اختارها التبريزي، وتوّجها بكلمة «صح» إشارة إلى أنَّه يُؤْثِرها ـ شرح اختيارات المفضل =

٢٠ ـ ومُغِيْرَةٍ سَوْمَ الجرادِ وَزَعْتُها قَبْلَ الصَّباحِ بِشَيْئانٍ ضامِرِ[(١)]

٢١ ـ تَئِقٍ كَجُلْمُودِ القِذافِ ونَثْرَةٍ ثَقْفٍ وعرَّاصِ المَهَزَّةِ عاتِرِ[(٢)]

٢٢ ـ وَلَرُبَّ واضِحةِ الجَبينِ غَرِيْرةٍ مِثْلِ المَهاةِ تَرُوْقُ عَيْنَ النَّاظِرِ[(٣)]

٢٣ ـ قَدْ بِتُّ أُلْعِبُها وأَقْصُرُ هَمَّها حتَّى بَدَا وَضَحُ الصَّباحِ الجاشِرِ[(٤)]

٢٤ ـ ولَرُبَّ خَصْمٍ جاهِدِيْنَ ذَوِيْ شَذًا تَقْذِيْ صُدُوْرُهُمُ بِهِتْرٍ هاتِرِ[(٥)]

٢٥ ـ لُدٍّ ظَأَرْتُهُمُ على ما ساءَهُمْ وخَسَأْتُ باطِلَهُمْ بِحقٍّ ظاهِرِ[(٦)]

٢٦ ـ بِمَقالةٍ مِنْ حازِمٍ ذِيْ مِرَّةٍ يَدَأُ العَدُوَّ زَئِيْرُهُ لِلزَّائِرِ[(٧)]

= ٦٢٤ . وقال الأنباري في شَرْحِه: «غير أبي عكرمة: تولَّى يومُهُم: ذَهب. وتروَّحوا: من الرواح، وهم ثَمِلُون لا يلتفتون إلى واعِظٍ ولا زاجِر لأنّهم سُكارَى» ـ شَرح المفضّليّات ٢٦١ .

(١) قال التبريزي في شَرْحه: «وطامِرٍ» وفي الحاشية قال المحقّق ويُرْوى «طامِر». وأضاف شارِحًا: «المُغِيْرة: القوم يُغِيْرون. وَزَعْتُها: أي كَفَفْتُها. و«سَوْمَ الجراد»، انتصبَ على المصدر مِمّا دَلَّ عليه، ومُغِيْرة، أي يسومون في الأرض سَوْمَ الجَراد. وقوله: قبل الصباح: أي قبل وقت الصباح. ويجوز أن يريد قبل وقت الغارة... ويجوز أن يريد قبل وقت الاستغاثة، لأنّهم ينادون عند الاستغاثة يا صباحاه. والشَّيْئان: البعيد النظر من الخيل الكثير الاشتراف. وأراد بالضامِر المصنوع» ـ شَرْح الاختيارات ٦٢٥ .

(٢) في شرح اختيارات المفضَّل: «زَغِف وَعرَّاص». وقال المُحَقِّق الدكتور قَباوة: «وفي الأصل ثَقْفٍ، وهي رواية الأنباري، استدرك التبريزي فَضَرَبَ عليها في الأَصْل وأثبت في الحاشية: زَغْفٍ، وهي رواية المَرْزُوقي. والزَّغْف اللّيّنة المَسّ السَّهْلة السَّلِسَة» ـ شَرح الاختيارات ٦٢٦ . وقال الأنباري أيضًا: ويروى «زَغْف». والتَّئِق: المُمْتَلِئ من النشاط. والجُلْمُود: الصَّخْر، وجلمود القِذاف: الصخرة تطيق حَمْلَها بيدك وتقذف بها. والنَّثْرة: الدِّرْع السابغة. وسُمِّيَت نَثْرة لقولهم نَثَر عليه درْعَه ـ شرح الأنباري ٢٦١ . والثقف: الحاذِق: وهي هنا بمعنى أنّ السهام لا تعلق بها، فهي ممتازة. والعَرَّاص: الكثير الاضطراب، يَعْني رُمْحًا، والعاتِر: الشديد الاهتزاز.

(٣) قال التبريزي في شَرْحه: «الواضحة: البيضاء. والغَرِيْرة: القليلة الفِطْنة. والمَهاة: البقرة أراد تشبيه عينَيْها بعينَي المَهاة. وتَرُوْق: تُعْجِب، يعني امرأة حَسْناء» ـ شرح الاختيارات ٦٢٧ .

(٤) في شرح الاختيارات: «وأَقْصُرُ هَمَّها.. وَضَحَ النَّهارِ الجاشِرِ». وقال التبريزي شارِحًا: «أُلْعِبُها: أغازِلُها، وأُطِيْل مُؤانَسَتَها بما يُطيِّب وَقْتَها. وقوله: أقْصر همَّها أيْ همَّها بي، أي أجعلها بحيث لا تؤثِّر علي، وقيل: أراد أزيلُ ما تهتمّ به لاشتِغالها بي، فأنزعُها من أوْطارِها. والجَشْرة: تَباشِيْر الصبح عند إقْباله، ومنه سمِّيت الشَّربة في ذلك الوقت: الجاشِريّة» ـ شرح الاختيارات ٦٢٧ ـ ٦٢٨ .

(٥) الخَصْم: الأعداء والخصوم، وهو مصدر في الأصل وُصِف به. وجاهِدِين: أراد جَهدوا أنفسهم في بلوغ الغاية من العداوة. والشَّذَا: الأذى. وتَقْذِي صُدُوْرُهم: تَقْذِفُ ما اكتمنَ فيها من الغِلّ والخيانة. والهِتْر: السَّقط من الكلام والخَطأ فيه. وقوله: هِتْرٍ هاتِر» توكيد لمعنى الهِتْر.

(٦) قال التبريزي في شرحه: «لُدّ: جَمْعُ أَلَدّ، وهو الشديد الخصومة. وظَأَرْتُهُمْ: عَطَفْتُهم ومنه سُمِّيتْ الظِّئْر لعَطْفِها على الوَلَد... وخَسَأْتُ: زَجَرْت» ـ شرح الاختيارات ٦٢٩ .

(٧) في شرح الاختيارات: «يَدَأُ العَدُوَّ». وقال الأنباري: «ويُرْوَى: يَدَأُ العدوَّ» وأضاف شارِحًا: «أي يَدْفَعُه ويَرُدُّه. ويقال: وَدَأْتُهُ أَدَؤُهُ: أدْعُهُ. تُبْدَل العَيْن هَمْزة» ويدأ العدوّ: يَقْمَعُهُ من وَدَأَ يَدَأُ. وقال التبريزي: =

تخريج شعر ثعلبة بن صعير المازني

(١)

١ ـ ٢٦ في المُفَضَّلِيَّات ١٢٨ ـ ١٣١، وشرح المُفَضَّليَّات للأنباري ٢٥٤ ـ ٢٦٢ لِثَعْلَبة بن صُعَيْر.

١ ـ ١٠، ١٢، ١١ في شَرْح اختيارات المفضَّل للتبريزي ٦١٢ ـ ٦٤٠ لِثَعْلَبة بن صُعَيْر.

١٣ ـ ٢٦

١ ـ ١١، ١٤ ـ ٢٦ في منتهى الطَّلَب (مصوَّرة مجمع اللغة العربيَّة بدمشق) ج ١ ص ١٦١ ـ ١٦٢ لِثَعْلَبة بن صُعَيْر.

٦ ـ ٧ في الأضداد للأنباري ٢٠١، واللسان (رجل) دون عزو.

٨ في التكلمة والذيل (أجر) لثعلبة.

٩ ـ ١١ في سمط اللآلي ٧٦٨ لثعلبة.

٩ في المقاييس ٤: ٦٠ دون عزو. وعجزه في المجمل ١: ٤٦٧، والمقاييس ٣: ٨٧ دون عزو أيضًا.

١١ ـ ١٢ في التكملة والذيل (كفر) لثعلبة.

١١ في إصلاح المنطق ٤٩، ٣٣٩، ٤١٧، والحيوان ٥: ١٣١، والشعر والشعراء ١: ١٨٥، والمعاني الكبير ٣٥٨، وعيون الأخبار ٢: ٨٢، وشرح القصائد السبع الطوال ٥٨١، والصحاح، واللسان والتاج (رثد) و(كفر)، واللسان (ذكا) لِثَعْلَبة بن صُعَيْر، وفي الأمالي ٢: ١٤٥، والمجمل ١: ٤٢٠، وعجزه في شرح ديوان لبيد ٣١٦ لثعلبة. وفي الاشتقاق ١٨٧ دون عزو.

١٥ ـ ١٧ في الحيوان ٢: ٢٩٧ لثعلبة.

١٧ في اللسان، والتاج (ذرع). واللسان (لغا) لثعلبة. وفي شرح القصائد السبع ٥٧٥ دون عزو.

٢٠ في التكملة والذيل، والتاج (شيأ) لثعلبة.

٢٤ في اللسان، والتاج (خصم) لثعلبة.

= «ومعنى الكلام: يترك العدوّ مُتَحَيِّرًا لا يفصل بين ما يرفعه وبين ما يَحُطُّه ويُبْدِيه، فيتكلّم بما يكون حجّة للخصم لا له» ـ شرح الاختيارات ٦٢٩ ـ ٦٣٠، وانظر شرح الأنباري ٢٦٢.

٢٢ ـ قَطَنُ بنُ نَهْشَل الدَّارِمِيّ

شاعرنا، نسبًا، هو: قطن بن نَهْشَل بن دارِم بن مالِك بن حَنظلة بن مالِك بن زَيْد مَناة بن تميم[١].

وقد كان لقطن هذا إخوة من أبيه وأُمّه، وإخوة من أبيه فحسب، فقد ذكر ابن الكلبي من الضَّرْب الأوّل زَيْدًا وعبدًا لله، وقال: إنّ أمّهما، وأمُّ قَطَن، هي لُبْنَى بنت زيد بن مالك بن حنظلة. وذكر من الضَّرْب الثاني جَنْدَلاً وصَخْرًا وجَرْولاً، وأمّهم تُماضِرُ بنت بَهْدَلة بن عَوْف، ويُقال: أمّ قَطَن وَزيْد، ماويّةُ بنت مِنْقَر من بني ثَعْلَب... ولهم يقول امرؤ القيس بن حُجْر:

بلِّغْ ولا تَتْرُكْ بني ابْنَةِ مِنْقَرٍ ... وأبْلِغْ بني لُبْنَى وأبْلغْ تُماضِرا[٢]

ولعلّ في هذا البيت ما يستشفّ منه قِدَمُ شاعرنا، وكونه قبل امرئ القيس الكندي.

زمانه

يبدو أنّ الاعتماد على أبناء هذا الشاعر، أو على أحفاده، يعين في تقدير زمانه، فأبناؤه من صُلبه ـ حسب رواية ابن الكلبي ـ هم جابر، وعَمْرو وعامِر، وهما التوأمان[٣]. ومن ابنه جابر انحدر الشاعر الجاهليّ المعروف ضَمْرَةُ بن ضَمْرَة، وهو شقّة ابن ضَمْرَة بن جابِر بن قَطَن بن نَهْشَل. ومن المعروف أنّ ضَمْرَة هذا ـ ابن حفيد شاعرنا ـ كان معاصرًا للنُّعمان بن المُنْذِر (٥٨٠ ـ ٦٠٢ م)، وهو الذي سَمّاه ضَمْرة ابن ضَمْرة، بعد أن كان اسمه شقّة[٤]. وهو دون ريب من رجال النصف الثاني من القرن

---

(١) إبن الكلبي: جَمهرة النسب ١: ٢٩٨ (ط دمشق)، وابن حزم: جمهرة أنساب العرب ٢٢٩، وابن حَبِيب: المُحَبَّر ٢٩٩.

(٢) أنظر ابن الكلبي: م. س ١: ٢٨٩، وابن حزم: م. س ٢٣٠، وديوان امرئ القيس ٣٤٨، والبيت مُلفّق من بيتَين هما:

أبلغْ بني زَيْدٍ إذا ما لَقِيتَهُمْ ... وأبلغْ بني لُبْنى وأبلغْ تُماضِرا
وأبلغْ ولا تَتْرُكْ بني مِنْقَرٍ ... أُفقِّرهم إنّي أفقِّرُ خابِرا

وانظر الأنباري: شرح المفضّليّات ٥٣٤ ـ ٥٣٥، وابن دُرَيْد: الاشتقاق ٢٤٣ ـ ٢٤٤.

(٣) إبن الكلبي: م. س ١: ٢٩٨.

(٤) أنظر ابن حَبِيب: ألقاب الشعراء (ضمن نوادر المخطوطات) ٢: ٣٠٥، وابن دُرَيْد: م. س ٢٤٤، وفيه اسمُهُ: «شِقّ» وليس شقّة. وانظر سزكين: تاريخ التراث العربيّ مج ٢ (٢: ١٤٧).

السادس. والراجح أنّ أبا جده، قَطَن بن نَهْشَل، وهو شاعرنا، شَهِدَ شَطرًا من القرن الخامس، وشطرًا آخر من القرن السادس الميلاديّ.

شعره

يُعَدُّ قَطَنُ بن نَهْشَل جَدًّا كبيرًا لِجِيْل من الأبناء والأحفاد الشعراء، فقد قال ابن رَشِيْق: «ومن المُعْرِقِين في الشعر، عن عبد الكريم، نَهْشَل بن حَرِّي بن ضمرة بن جابِر بن قَطَن، ستّة ليس يَتوالَى في بني تميم مثلُهم شِعرًا وشَرفًا وفعالاً»[1].

ومن الملاحَظ أنّ ابن رشيق يذكر من أسماء الشعراء خمسةً، هم: نَهْشَل، وأبوه حَرِّي، وأبوه ضَمْرة، وأبوه جابِر، وأبوه قَطَن. ولكنّه يقول بعدئذ: «ستّة ليس يتوالى في بني تميم مثلُهم..» ولا نعرف مصدر هذا الوهم... ويبدو أنّ السرّ في الخِلاف بين العددَين، هو سقوط اسم ضَمْرَة بن ضَمْرة الذي يُدعى (شقّة)، والدليل أنّ ابنَ سلاَّم جعل نهشلَ بن حَرّي ـ حفيدَ حفيدِ شاعرنا ـ في الطبقة الرابعة من طبقات الشعراء الإسلاميّين، ثمّ قال: «فنَهْشَل بن حَرّي شاعر شريف مشهور، وأبوه حَرِّي شاعر مذكور، وجدُّهُ ضَمْرَةُ بن ضَمْرةُ: شَريفٌ فارسٌ شاعِرٌ بعيدُ الذِّكر كبيرُ الأمر، وأبوه ضَمْرة بن جابِر سيِّد ضَخْم الشرف بعيد الذكر وأبوه جابر له ذكرٌ وشهرةٌ وشرف. وأبوه قَطن له شَرَفٌ وفعالٌ وذكر في العرب، فهم ستّة كما ذكرنا لا أعلم في تميم رهطًا يتوالون تَوالِيَ هؤلاء»[2].

وعلى الرغم من الإشادة بهذا (البيت الشعريّ) الجاهليّ، الذي انحدر من شاعرنا، فإنّنا لم نجد لِقَطَن بن نَهْشَل سوى خمسة أبيات ساقها (ثعلب)، إذ قال في مجالسه: «وأنشد لِقَطَن بن نَهْشَل يرثي أخاه جَنْدلَ بن نَهْشَل:

ذاكَ أبـو لَـيْـلَـى أتـانِـيْ نَـعِـيُّـهُ　　　فكادَتْ بِيَ الأرْضُ الفَضاءُ تَضَعْضَعُ...»[3]

وروى أربعة أبيات أخرى.

وقد تفرَّدَ ثعلب برواية هذه الأبيات، التي لم نقع على رواية أخرى لها، أو لغيرها،

---

(١) إبن رَشِيق: العُمْـدة ٢: ٣٠٦.
(٢) إبن سلاَّم: طَبقات فحول الشعراء ٢: ٥٨٣.
(٣) ثَعْلَب: مَجالِس ثعلب ٢٦٣.

من أشعار تنسب إلى شاعرنا في ما عدنا إليه من كتب التراث الكثيرة. وها نحن نوردها حسب روايتها في مجالس ثعلب مَشروحةً ومخرَّجةً:

شِعْر قَطَنِ بن نَهشل الدارمِي

(١)

في مجالس ثعلب (١: ٢٦٣): (الطويل)

١ ـ ذاكَ أبو لَيْلَى أتانِي نَعِيُّهُ ... فكادَتْ بِيَ الأرْضُ الفَضاءُ تَضَعْضَعُ[١]

٢ ـ كَساقِطَةٍ إحْدَى يَدَيْهِ فجانِبٌ ... يُعاشُ بِهِ مِنْهُ، وآخَرُ أضْلَعُ[٢]

٣ ـ ويَضْعُفُ عَنْ أن يَظْلِمَ النَّاسَ حَقَّهُمْ ... وفي حَقِّ مَن لاَقَى الزَّمانةَ مَطْمَعُ[٣]

٤ ـ إذا أَخَوانِ آذنا فَتَفَرُّقا ... فأَغْنَى غَناهُ المَيْتُ، فالْحَيُّ أضْيَعُ[٤]

٥ ـ فَلاَ يُبْعِدَنْكَ اللهُ خَيْرَ أخِي امْرِئٍ ... إذا جُعِلَتْ نَجْوَى المِئِيْنَ تَصَدَّعُ[٥]

تخريج شعر قَطَن بن نَهْشَل التميمي

(١)

١ ـ ٥ في مجالس ثعلب ١: ٢٦٣ (ط ١) و١: ٢١٨ ـ ٢١٩ (ط ٢)، لِقَطَن بن نَهْشَل.

---

٢٣ ـ مُرَّة بن هَمَّام بن مُرَّة بن ذُهْل بن شَيْبان البَكْرِي

ضَنَّتْ علينا المصادرُ بترجمةٍ مُجْدِية لهذا الشاعر. وكلّ ما نعرفه عنه أنّه شاعر بكري، وأنّه كان على الأرجح من رجال القرنَين الخامس والسادس الميلاديِّين. فنسبُهُ ينتهي بِبَكْرِ بن وائِل، فهو مُرَّةُ بن هَمَّام بن مُرّة بن ذُهل بن شَيبان بن ثَعْلبة بن عُكابة

---

(١) أبو لَيْلَى: كنية أخي الشاعر المَرْثِي، جَنْدَل بن نَهْشَل. والنعي: خَبَرُ الموت، ونعاه يَنعاه نَعْيًا ونُعْيانًا: أشْعَرَ بموتِهِ، وأخبَرَ بِهِ. والأرْض الفَضاء: الأرض الواسعة. وفضا يَفْضُو فَضاءً: اتَّسَع. وتَضَعْضَعُ: أي تَتَضَعْضَعُ، وهي هنا بمعنى تضيق وتظلم. والبيت مَخْرُوم وأصله: «وذاك».

(٢) ضَلَعَ عن الشيء يَضْلَعُ ضَلْعًا: مالَ وجَنَفَ. والضَّلَع، بالتحريك: الاعْوِجاج خِلْقَة.

(٣) الزمانة: العاهة. وزَمِن يَزْمَن: أُصِيبَ بعاهةٍ أو عَيْب.

(٤) أغْنَى فلانٌ عن فلان: نابَ عنه، وقام مقامه. وقال ابن منظور: «قال ابن سِيْدَه: الغِنى مقصور، ضدّ الفَقْر فإذا فُتِحَ مُدَّ» ـ اللسان (غنا).

(٥) «لا تُبْعِدَنْكَ»: هذا دُعاء بعدم البُعْد وحدوث المَكْروه. والبُعْد: الهَلاك. والنَّجوى: الجماعة يتناجَوْن ويتسارُّون. وتَتَصدَّع: تتفرّق.

ابن صَعْب بن عَلِيّ بن بَكْر بن وائِل[1].

وشاعرنا أيضًا هو ابن أخي جسَّاس بن مرّة، وجسّاس عمّه هو الذي قتل كُلَيْبًا في حرب البَسُوْس، بل كان قتله له الشرارة الأولى لاندِلاع هذه الحرب. وعليه فشاعرنا معاصر لحرب البسوس على الأرجح، وكما قَتل عمّه كُلَيْبًا، قتل ناشرةُ بن أغوات أباه هَمَّامًا[2].

ومِمَّا يُؤيِّد القول بتقدُّم هذا الشاعر أنّه الأب الخامس في عمود نسب الشاعر الجاهليّ عبد المسيح بن عسلة الشيباني، فعبد المسيح هو عبد المسيح بن حكيم بن غُفَيْر ابن قيس بن مرّة بن همّام بن مرّة بن ذُهل بن شَيْبان. وأمّه هي عسلة. وقد كان هو وأخوهُ حَرْمَلة بن حُكَيْم مُعاصِرَيْن للمُنْذِر بن ماء السماء المتوفّى سنة ٥٥٤ م[3]. والآباء الخمسة الواقِعون ما بين مرّة بن هَمّام، وعَبد المسيح بن عَسلة، يجعلون من شاعرنا شاعرًا جاهليًا متقدّمًا دون رَيب.

وما سبق يكاد يُثبت أنّ مرّة بن هَمَّام من الشعراء الذي شَهِدوا أواخر القرن الخامس الميلاديّ، وربّما أدركوا طرفًا من القرن السادس.

وشاعرنا أيضًا أحد شعراء **المفضّليّات**، أمّا عن شعره، ما عدا مفضّليّته، وهي رقم (٨٢)، وتقع في تسعة أبيات، فإنّنا لم نقع على أيّ بيتٍ آخر له في المصادر التي عدنا إليها. وها هي ذي في ما يلي من البحث:

شعر مُرَّة بن هَمَّام بن مُرَّة بن ذُهْل بن شَيْبان البَكْري

(١)

في المفضَّليات (٣٠٢ - ٣٠٣): (الكامل)

١ - يا صاحِبَيَّ تَرَحَّلا وتَقَرَّبَا فَلَقَدْ أَنَى لِمُسافِرٍ أنْ يَطْرَبَا[4]

٢ - طالَ الثَّواءُ فَقِرِّبَا لِيَ بازِلاً وَجْناءَ تَقْطَعُ بالرُّدافَى السَّبْسَبَا[5]

---

(١) التبريزي: شرح المفضّليات ١٣٠٣.

(٢) إبن حَبيب: أسماء المُغتالِيْن (ضمن نوادر المخطوطات) ٢: ١٣١.

(٣) أنظر الآمدي: المُؤتَلِف والمُختَلِف ٢٣٥، وسزكين: تاريخ التراث العربيّ مج ٢ (٢: ١٠٨).

(٤) رَحَل الرَّجُلُ وارْتَحَلَ وتَرَحَّلَ بِمَعْنًى. والترحُّل والارتحال: الانتقال. وتقرَّب: عجِّل. وأَنَى الشيءُ يأني أَنْياً: حانَ وأَدْرَك. والطرب هنا، بمعنى الخِفَّة والجَزَع لشدَّة الشوق. وقال التبريزي في شرحه: «تكلّفا الرحلةَ والقربَ من الوطن، فلقد حانَ لمُسافرٍ أن يَحِنَّ إلى وطنه» - شرح اختيارات المفضَّل ١٣٠٣.

(٥) قال التبريزي في شرحه: «ويُروى بالرداف». وثَوَى يَثوي ثَواءً: أقامَ. والبازِل: الناقة التي بَزَلَ نابُها. ويكون ذلك في السنة الثامنة أو التاسعة من العمر. والوَجناء: الغليظة الوجنتَين. والردافى: مفردها رَدِيف، وهو =

٣ ـ أَكَلَتْ شَعِيرَ السَّيْلَحِيْنَ وعُضَّهُ فَتَحَلَّبَتْ لِيَ بالنَّجاءِ تَحَلُّبَا[١]

٤ ـ وكَأَنَّها بِلَوى مُلَيْحَةَ خاضِبٌ شَقَّاءُ نِقْنِقَةٌ تُبارِيْ غَيْهَبَا[٢]

٥ ـ يا عَوْفُ وَيْحَكَ فِيْما تَأْخُذُ صِرْمَتِي ولكُنْتُ أسْرَحُها أمامَكَ عُزَّبا[٣]

٦ ـ تا للهِ لَوْلاً أن تَشاءَى أهْلُهَا ولَشَرُّ ما قالَ امْرُؤٌ أنْ يَكْذِبَا[٤]

٧ ـ لَبَعَثْتُ في عُرْضِ الصُّراخِ مُفاضَةً وعلوتُ أجْرَدَ كالعَسِيْبِ مُشَذَّبا[٥]

٨ ـ لَتَرَكْتُمُ إبِلِيْ رِتاعًا إنَّنِي مِمَّا أرُدُّ الْجَيْشَ عَنْها خُيَّبَا[٦]

٩ ـ للهِ عَوْفٌ لابِساً أثْوَابَهُ يا لَهْفَ نَفْسِي قِرْنَ ما أنْ يُغْلَبا[٧]

= الراكب خلف آخر على الدابة. والسَّبْسَب: القفر الذي لا نَبْت فيه، ومثله البَسْبَس.

(١) في شرح اختيارات المفضّل، ومعجم البلدان: «وعُضَّةً» وهو خطأ. وسَيْلَحُوْن: قرية قرْبَ الحِيْرة. وسَيْلَحُوْن: قد تُعَامَل معاملة جَمْع المذكّر السالِم، ومنهم مَنْ يُعْربه إعراب ما لا ينصرف ـ أنظر معجم البلدان (سيلحون). والعُضّ: القَتُّ، وهو حَبٌّ برّي تُعْلَفهُ الدوابُّ في الأمْصار، ويأكله أهل البادية عام القَحْط بعد دَقّهِ وطَبْخهِ. وتحلّبَ: سال. والنَّجاء: السرعة. وقال التبريزي «والمعنى ضَمَرَتْ بعلف الحضر لا البدو، فسمحت بالنَّجاء، أي السرعة» ـ شرح الاختيارات ١٣٠٤.

(٢) في شرح الاختيارات، ومعجم البلدان: «فكأنّها بِلَوى». ومُلَيْحة: جَبَلٌ في غربيّ سَلْمَى أحد جبلَيْ طَيّئ، وبه آبار كثيرة وملح ـ معجم البلدان (مليحة). والخاضِب: النعامة وقد رَعت الربيع فاخضرّ ساقاها. والشقاء: الطويلة. والنقنقة: النعامة. وتُباري: تُعارِض. والغَيْهَب: الأسْود. أراد ظَلِيمًا. وهو ذكر النعام. وقال الأنباري: «قال أحمد: ويروى قَرْعاء، يعني نعامة قد سَقَطَ ما على رأسِها من زِفِّها» ـ شرح المفضّليّات للأنباري ٦٠٥.

(٣) قال الأنباري في شرحه: «قال الضبي: يُقال قد أعْزَبَ فلان إبلَه إذا نَحّاها عن مَجْمَع الناس، وقال أحمد: والمَعْنى: يقول ما جرّأكَ عليَّ اليومَ، وقد كنْتَ لا تقدرُ على ذلك قبلَ اليوم، وإنّما يتهدَّده بهذا القول، وقال الضبّي: أمامَكَ: نحوكَ. والعُزَّب المُتنحّيَة أي لم يكن أحد يَجْتَرِئ عَلَيها» ـ شرح المفضّليّات للأنباري ٦٠٥.

(٤) في شرح الاختيارات: «تَشاءَى أهْلُنا». وتشاءَى: تَفَرّق «أي واللهِ لولا أن يتفرّقَ أهلُها» ـ الشرح ٦٠٥.

(٥) في شرح الاختيارات: «ويُرْوى في عُرْضِ الصَّريخ مُنادِيًا». والأجْرَد: القصير الشعر. والعَسِيْب: جريدة النخل. والمُشَذَّب: المُنْتَقَى، من شذب الخوص إذا رَمَى بِهِ. وقال التبريزي في شرحه: «الصراخ: الاستغاثة والصارخ: المُسْتَغيث والمُغِيْث. وعَرْضُ الشيء: ناحِيتُه والمُراد بالمُفاضَة: دعوةٌ مُكَثَّرة من قولهم أفاض القوم في الحديث إذا اندفعوا فيه... والمعنى: لولا إبْقائي على العشيرة، ومُجانَبتي لإيقاعي الشرَّ بينهم، لَجَمَعْتُ الجموع وعلوتُ فرسي طالِبًا لِلْوِتْر، ودافعًا للضَّيْم» ـ شرح الاختيارات ١٣٠٥ ـ ١٣٠٦.

(٦) في شرح الاختيارات: «وتركْتُمْ إبلي». ورَتَعَت الماشِيةُ تَرْتَعُ رُتُوعًا ورَتْعًا: أكَلَتْ ما شاءت وجاءت وذهبت في المَرْعَى نهارًا، والرَّتْعُ لا يكون إلاّ في الخِصْب والسَّعَة. والرّتاع، هنا: الآمِنة. وقال التبريزي: «وقوله: ممّا أردُّ الجيشَ، أي من الأمر والشأنِ. و(ما) هذه واقعة موقع الاسم غير موصول ولا موصوف، ومثله دَقَقْتُه دَقًّا نِعِمّا، أي نِعْمَ الدَّقُّ» ـ شرح الاختيارات ١٣٠٥ ـ ١٣٠٦.

(٧) قال التبريزي شارحًا: للهِ عَوْفٌ: تعجُّب. والمُراد السخرية. ولابسًا، منصوب على الحال. والمراد بالأثواب، السلاح. وقوله: يا لَهْفَ نفسي، تَهَكُّم، ويجوز أن يكون نادى نفس اللهف. ويجوز أن يكون المُنادى =

تخريج شعر مُرَّة بن هَـمَّام البكري

(١)

١ ـ ٩	في المفضَّـليَّات ٣٠٢ ـ ٣٠٣، وشرح المفضَّـليَّات للأنباري ٦٠٤، ٦٠٦، وشرح اختيارات المفضل للتبريزي ١٣٠٣ ـ ١٣٠٧ لِـمُرَّة بن هَـمَّام.
١ ـ ٤	في معجم البلدان (مليحة) لمرّة بن هَمّام.

---

٢٤ ـ كَـلَـدَةُ بنُ عَبْـد بن مُرَارة بنُ سُـوَاءَة الأَسَـدِي

ذُكِرَ هذا الشاعرُ في ثلاثة مصادر ـ حَسب علْمِنا ـ هي **جمهرة النسب** لابن الكلبي، **والمؤتلف والمختلف** للآمدي، **ومعجم الشعراء** للمرزباني.

ولعلَّ أوفى نسبٍ له هذا الذي ساقه المرزباني، فهو عنده: كَـلَـدَةُ بن عَبْـدِ بن مُرارة بن سُوَاءَةِ بن الحارِث بن سَعْد بن مالك بن سَعْد بن ثَعْلبة بن دُوْدان بن أَسَـد[١].

ولسنا نَعرف الكثير عن هذا الشاعر، بيد أنّنا نكاد نطمئنّ إلى قِدَمه، فهو جدّ عَـمْـرو ابن مَسْعُود، الذي يقال إنّ الملك الحيري المنذر بن ماء السماء (٥٥٤ م) قد بنى عليه أحد الغَـرِيَّين، بعد أن قتله، وقتل معه خالد بن نَضْـلة الأَسَـدِيّ، فقال الشاعر في ذلك:

أَلاَ بَـكَـرَ النَّـاعِـيْ بِـخَـيْـرَيْ بَنِـي أَسَـدْ ... بِـعَـمْـرِو بنِ مَسْعُودٍ وبالسَّـيِّدِ الصَّـمَـدْ[٢]

وبما أنّ حفيد شاعرنا قد قتل نحو السنة ٥٥٤ م، أو قبلها، فإنَّ كَـلَـدَة بن عَبْـد ابن مُرارة الأسدي ـ الجدّ ينبغي أن يكون قَد وُلِـد في أواخر القرن الخامس الميلاديّ. ولهذا صحَّ لنا سَلْكُـه بين الشعراء الأوائل.

= محذوفًا. وانتصب (لَـهْـف) على المَصْدَر. وانتصب (قرن) على الحال. و(ما) زائدة كأنّه تلهّف على نفسه، وقد صار مَغْلُوبا. وتلخيص الكلام. لَـهْـفَ نفسي في قران الغَلَبة» ـ **شرح الاختيارات** ١٣٠٦ ـ ١٣٠٧.

(١) المرزباني: **معجم الشعراء** ٢٥٠، وقد ذكر المرزباني أنّ جَدَّ الشاعر عَبْدَة، والصواب عَبْد، كما في ابن الكلبي: **جمهرة النسب** ١: ٢٥٩، والآمدي: **المؤتلف والمختلف** ٢٦٢ .

(٢) انظر ابن الكلبي: م.س: ١: ٢٥٩ (ط دمشق)، وابن حبيب: **أسماء المغتالين** (ضمن نوادر المخطوطات) ٢: ١٣٣ ـ ١٣٤، والبكري: **معجم ما استعجم** ٩٩٦ .

أمّا المصدر الثاني الذي ذكر صاحبنا فهو المؤتلف والمُختَلِف، ومنه عرفنا أنّ هذا الجدّ الأسدي كان جَدًّا للشاعر ضِرار بن فَضالة بن كَلَدة، وأبًا لفضالة بن كَلَدة الذي قتل رَبِيْعة بن بَدْر الفزاري، وعرفنا أيضًا أنّ كَلَدة نفسه كان فارسًا وشاعرًا. وقد ساق له الآمدي أربعة أبيات.

أمّا المرزباني فلم يَزِدْ على ذِكْر نَسَبِ الشاعر الذي تقدَّم آنفًا، سوى بيت واحد له، يختلف عن الأبيات الأربعة التي ذكرها الآمدي. وبهذا البيت المفرد يصبح مجموع ما عثرنا عليه لهذا الشاعر خمسة أبيات فقط، ونصُّها التالي:

شِعْرُ كَلَدَة بن عَبْد بن مُرارة بن سُوَاءَة الأَسَدِي

(١)

في المؤتلف والمختلف (٢٦٢): (الخفيف)

١ ـ طَعْنَةً ما طَعَنْتُ في غَبَشِ اللَّيْـ ـلِ هِلالاً وأيْنَ مثلُ هِلالِ[١]

٢ ـ طَعْنَةَ الثَّائِرِ المُصَمِّم حتّى خَرَجَ الرُّمْحُ بادِيًا كالخِلالِ[٢]

٣ ـ زَعَمُوا أنّني أدِيهِ ألاَ، لاَ لا وَرَبِّ الإحْرامِ والإحْلالِ[٣]

٤ ـ لا أدِيهِ حِقًّا، ولا ابْنَ لَبُوْنٍ ومَعِيْ مُهْجَتِي ولا ابْنَ إفالِ[٤]

(٢)

في معجم الشعراء (٢٥٠): (المتقارب)

١ ـ وإنْ يَكُنِ الْحَمْدُ في باذِخٍ مِنَ الْمَجْدِ أَسْلُكْ إليهِ سَبِيْلا[٥]

---

(١) الغَبَش: شِدَّةُ الظُّلْمة. وقيل آخر الليل، وقيل: هي مِمّا يلي الصُّبْح. وهِلال: اسم رجل. و«ما» هنا، صِلَةٌ يُرادُ بها التوكيد.

(٢) الخِلال: العُوْدُ الذي يُتَخَلَّلُ به. وهو أيضًا عود يجعل في لسان الفصيل لئلاّ يرضع.

(٣) وَدَى فلانٌ فلانًا، إذا أدّى دِيَتَهُ إلى وَلِيِّهِ.

(٤) الحِقُّ من الإبل: الذي بَلَغ أن يُركَب ويُحمَل عليه. وسُمِّي بذلك لاستحقاقه أن يُحمَل عليه وأن يُنتفع به. وابنُ اللَّبون: هو وَلَد الناقة. وفي اللسان: «قال الأصمعي وحَمزة: يقال لولد الناقة إذا استكمل سنتَين وطعن في الثالثة، ابن لَبُون» ـ اللسان (لبن). والإفال: مفردها أَفِيْل، والأفِيل: ابن المَخاض فما فوقه، والأَفِيْل أيضًا: الفَصِيل، أو صغير الإبل بعامة.

(٥) المَجْد الباذِخ: المجد العالي الرفيع.

تخريج شعر كَلَدَة بن عَبْد بن مُرارة الأسدي

(١)

١ ـ ٤ في المُؤْتَلِف والمُخْتَلِف ٢٦٢ لِكَلَدَة بنِ عَبْدِ بن مُرارة.

(٢)

١ في معجم الشعراء ٢٥٠ لِكَلَدة بن عَبْدِ بن مُرارة.

---

٢٥ ـ عَبَّاد بن شَدَّاد اليَرْبُوعِي

هو، نَسبًا، عبَّاد بن شدَّاد بن عَبيد بن ثَعْلبة بن يَرْبُوع بن حَنْظَلة بن مالك ابن زيد مناة بن تميم[١].

ويُلاحظ من هذا النَّسَب أنّ شاعرَنا أحدُ أحفاد (يَرْبُوْع بن حنظلة) الذي تَقدَّمَت دراسةُ أخباره. بل هو الحفيد الثالث له. وبعبارة أخرى، فإنَّ (يَرْبُوْعَ بن حنظلة) هو الأب الرابع لعبَّاد بن شدَّاد بن عَبِيْد بن ثَعْلَبة بن يربوع.

ومن علائق النسب لهذا الشاعر، أنّه يلتقي برجلَين من تميم، مرَّ بنا ذكرهما في أخبار (سَعْد بن زيد مناة)، وهما أَوْس وحَضْبة ابنا أَزْنَم بن عَبِيْد بن ثعلبة. فجدُّهم جميعًا، هو عَبِيْد بن ثعلبة. وهذا يعني أنّ زَمانَ عبَّاد بن شدَّاد قريب من زمان أَوْس وحَضْبَة ابني عمّه أَزْنَم.

وقد كنّا عرفنا أنّ هذين الرجلَين هما بَطَلا (يوم الغَدْر)، الذي وقع نحو السنة ٤٦٠ م[٢]. ومن هنا يَصِحُّ لنا الزعم بأنَّ عبَّاد بن شدّاد كان على الأرجح حيًّا في النصف الأخير من القرن الخامس الميلاديّ.

ولسنا نعرف متى تُوفِّي هذا الشاعر الجاهليّ القديم، بيد أنّ السِّجِسْتانِي عَدَّهُ من المعمَّرين، وقال عنه: «وعاش عبَّاد بن شدَّاد اليربوعي مائة وثمانين سنة. وقال في ذلك:

يا بُؤْسَ للشَّيْخِ عبَّادِ بنِ شدَّادِ ... أَضحَى رهينةَ بَيْتٍ بَيْنَ أَعْوادِ...»[٣]

ثمَّ ساق ثلاثة أبيات أخرى له.

---

(١) أنظر جريدة النَّسب في كتاب المعيني: شعر بني تميم في العصر الجاهليّ ٤٩٥.

(٢) أنظر أخبار سَعد بن زَيد مَناة بن تميم في هذا الكتاب.

(٣) السجستاني: المعمَّرون ٧٢.

شعره

لم نقع في مصادرنا على ما يزيد عن الأبيات الأربعة التي تفرَّد السجستاني بروايتها لعبَّاد بن شدّاد. ولهذا يمكن أن نعدَّه من شعراء المقطَّعات القِصار المفردات، مقرونًا إلى عَمْرو بن عَبْد الجِنّ، والعَنْبر بن عَمْرو بن تميم، ومَعْدِي كَرِب الحِمْيَري، ويَرْبوع بن حَنْظَلة، وهمَّام بن رِياح اليَرْبُوعي، وغيرهم، وإليك أبيات عبَّاد الأربعة فيما يلي:

شِعْرُ عَبَّاد بن شَدَّاد اليَرْبُوعِي التميمي

(١)

في المعمَّرون (٧٢): (البسيط)

١ ـ يا بُؤْسَ لِلشَّيْخِ عَبَّادِ بنِ شَدَّادِ ... أَضْحَى رَهِينَةَ بيتٍ بَيْنَ أَعْوادِ[١]

٢ ـ وتَهْزَأُ العِرْسُ منّي أن رَأَتْ جَسَدِي ... أَحْدَبَ لمْ تَبْقَ منهُ غَيْرُ أَجْلادِ[٢]

٣ ـ فإنْ تَرَيْنِي ضَعِيفًا قاصِرًا عُنُقِي ... فقد أُكَعْكِعُ عنّي عَدْوَةَ العادِي[٣]

٤ ـ وَقَدْ أُفِيءُ بأثْوابِ الرَّئِيسِ وقَدْ ... أَغْدوْ على سَلْهَبٍ لِلْوَحْشِ صَيَّادِ[٤]

تخريج شعر عَبَّاد بن شدَّاد اليَرْبُوعِي

(١)

١ ـ ٤ في المعمّرون ٧٢ لعبَّاد بن شدّاد.

---

(١) الرَّهِينَة: أراد الحَبِيس، وقد ارْتُهِنَ لِكِبَرِه. وقوله: يا بُؤْسَ للشَّيخ: أصلُها يا بؤْسَ الشَّيخ، وأُقْحِمَت اللامُ بين المُتضايفين تقويةً لمعنى الإضافة ـ أنظر الخصائص ٣: ١٠٦، والمغني ٢٣٨، والخزانة ١: ٤٦٩.

(٢) العِرس: إمرأة الرجل. والأجلاد: مفردها جِلْد وجَلَد، وأجْلاد الإنسان وتجاليده: جماعة شخصه، وقيل: جسمه وبَدَنُه.

(٣) كَعْكَعَ: حَبَس وأخاف. «وأصلُ كَعْكَعْتُ، كَعَّعْتُ. فاستثقلتِ العربُ الجَمْعَ بين ثلاثة أحرف من جنس واحد، ففرّقوا بينها بحَرف مُكَرَّر» ـ أنظر اللسان (كعع). وعدا عَدْوًا وعَدوَةً: ظلم ظُلمًا جاوَزَ فيه القدْر. والعادِي: اسم فاعل من عدا.

(٤) أفاء الشيء: جعله فَيْئًا، أي كَسبًا وغنيمة. وغَدَا يَغْدُو عليه غَدْوًا وغُدُوًّا: بَكَّرَ، والسَّلْهَب: الطويل من الخَيْل، وربَّما جاء بالصاد. ويقال: فَرَسٌ سَلْهَب وسَلْهَبَة إذا عَظُمَ وطال.

٢٦ ـ هُبَلُ بنُ عَبْدِالله بنُ كِنانة الكَلْبِي

إسمه ونسبه

هذا الشاعر هو جَدُّ زُهَيْر بن جَناب الكلبي، وزُهَيْرٌ حفيدُهُ أَحَدُ شعراءِ دراستنا هذه، وعليه، فَنَسبَا الجدّ والحفيد مُتَشابِهان بالتأكيد. فشاعرنا هنا، هُوَ: هُبَلُ بن عبدِالله بن كِنانة بن بَكْر بن عَوْف بن عُذْرة بن زَيْد اللات بن رُفَيْدة بن ثَوْر بن كَلْب بن وَبَرة بن تَغْلب بن حُلْوان بن عمران بن الحافِ بن قضاعة بن مالك بن مُرَّة ابن مالك بن حِمْيَر[١].

زمانه وخبره

تبيَّن لنا بالأدِلّة القويَّة أنّ حفيدَ شاعرنا ـ زُهَيْرَ بنَ جَناب، قد وُجِدَ في فترة تقع بين القرنَين الخامس وأواسط السادس الميلاديَّين[٢]. وإذا كان زهيرٌ وُلِدَ في النصف الثاني من القرن الخامس، فينبغي لِجَدِّهِ هُبَل بن عبدالله أن يكون من رجال القرن الخامس الميلاديّ. ومَن يدري فلعلَّ العُمْرَ قد امتدَّ به إلى مطلع القرن السادس.

ولكن مهما يكن من أمر، فمن المستحيل أن يكونَ هُبَلُ بن عَبْدِالله قد عاش ستمائة وسبعين سنة، كما يزعم هِشام[٣]، أو سبعمائة سنة، كما يروي أبو حاتم السِّجِسْتاني، الذي يقول: «قال: وعاشَ هُبَلُ بن عَبْدِالله بن كنانة الكلبي، وهو جدُّ زُهَيْر بن جَناب، سبعمائة سنة حتّى خَرِف، وغرض منه أهله. فقالوا: إنّ بَنِي بَنِيْه، وبني بناته، وبني أخيه كانوا يضحكون منه، ومن اختلاط كلامه، وإنَّ نَفرًا من قومه يقال لهم بنو عَبْدِودٍّ بن كِنانة جلسوا يومًا عنده، فأكثروا التعجُّب منه، ولم يكونوا في الشرف مثله، منهم: جُبَيْل بن عامِر بن عَوْف بن كِنانة، وحَجَل بن عَمْرو بن عَوْف بن كِنانة، وهما من كَلْب، لم يكونا مثله ولا مثل ولده في الشرف، فقال هُبَلُ بن عَبْدِالله:

رُبَّ يــومٍ قَــدْ يُــرَى فــيــهِ هُــبَــلْ»[٤]

(١) أنظر السجستاني: المعمَّرون ٣٥، والأصفهاني: الأغاني ١٩: ١٥.
(٢) أنظر أخبار زهير بن جناب في هذه الدراسة.
(٣) أنظر الأصفهاني: م. س ١٩: ٢٤.
(٤) السجستاني: المعمَّرون ٣٦ ـ ٣٧.

وهذا الخبر يفيد أنَّ هُبَلَ بن عبدالله قد بلغ عتيًّا من العمر، لذا عُدَّ من المعمّرين، وأنّه تزوَّج، وأنجب أبناءً وأحفادًا كثيرين... وأنّه أيضًا كان رجلاً شريفًا في قومه، ولكنّه خَرِفَ، فهَزِئَ منه بعض أقربائِهِ فقال هذه الأرجاز الأربعة.

شعره

لم نَعْثر لِهُبَلِ بن عَبْد الله على غير أربعة أرجاز، وقِلَّةُ ما وصل إلينا من شعره لا تعني أنّه لم يَقُل شِعْرًا كثيرًا، فلعلَّ قِدَمَ هذا الشاعر كانَ وراء ضَياع شعره، وفقدان الكثير منه. وها هِي ذي أرجاز هُبَل الأربعة حسب روايتها في **المعمّرون والوصايا**:

شعر هُبَل بن عَبْدِالله الكَلْبِيّ

(١)

في المعمّرون (٣٦): (الرجز)

١ ــ رُبَّ يَــوْمٍ قَــدْ يُـرَى فِـيْـهِ هُـبَــلْ[١]
٢ ــ ذَا سَــــوَامٍ ونَـــــوالٍ وَجَـــــذَلْ[٢]
٣ ــ لا يُـنَـاجِـيْـهِ، ولا يَـخْـلُـوْ بِـهَـلْ[٣]
٤ ــ عَـبْـدُ وُدٍّ وجُـبَـيْـلٌ وحَـجَـلْ[٤]

تخريج شعر هُبَل بن عَبْدِالله الكَلْبِيّ

(١)

١ ــ ٤	في المعمّرون ٣٦ لِهُبَلِ بن عَبْدالله.
١، ٢، ٤	في الأغاني ١٩: ٢٤ لِهُبَلِ بن عَبْدالله.

(١) في الأغاني: «يا ربّ يَوْمٍ قد غَنِيَ فيهِ هُبَلْ». والبيت في المعمّرون مَخْرُوْم.
(٢) في الأغاني: «لَهُ نَوال ودُرُوْرٌ وَجَذلْ». والسُّوام: المال الراعي. والجَذَل: الفَرَح.
(٣) قال في المعمّرون: «بِهَلْ: يريد بِهِ، واللاّم زائدة» المعمّرون ٣٦.
(٤) في الأغاني: «كأنّه في العزّ عَوْفٌ أوْ حَجَلْ». وعَبْدُ وُدٍّ، وجُبَيل، وحَجَل: جماعة من كنانة.

٢٧ ـ حُلَيْلُ بنُ حَبْشِيَةَ بن سَلُولِ الخُزَاْعِي

هذا الشاعر هو ابن شاعر آخرَ تقدَّم قبل قليل، وقد عُرف عنه أنّه آخر خُزاعي وَلِيَ البيتَ الحرام، بعد أن كانَ أجدادُه يتوارثونه كابرًا عن كابِرٍ[١]. وقد قال ابن دُرَيد فيه: «وكان حُلَيلٌ سادِنَ الكَعْبة، فزوَّجَ ابنَتَهُ حُبَّى بقُصَيّ بن كِلاب، وأوصى إليها، وأعطاها مِفتاح الكَعبة، فأعطته زوجها قُصَيًّا، فتحوّلت الحِجابة من خُزاعة إلى اليوم»[٢]. وزعمت خُزاعة أنّ حُلَيلاً هو الذي أوصى بولايةِ البيت لقُصَيّ بن كِلاب، وثمّة روايات أخرى عن تسلُّم قُصَيّ لمفاتيح الكعبة، بَسْطُها ليس غرضَنا الآن...

وقد زوَّدتنا بعضُ كتب النَّسب بمعلومات قليلة عن أبناء هذا الشاعر وأحفاده، فمن أولاد حُلَيْل بن حَبْشِيَة أبو غَبْشان، واسمُه المُحْتَرِش، وزُعم أنّه هو الذي باع الكعبة بِزِقّ خَمْرٍ إلى قُصيّ بن كِلاب، وهِلال، وعامِر، وعَبْدنُهْم «ومن بني عَبْدنُهْم كان كُرْزُ بن عَلْقَمة بن هِلال بن جُرَيْبة بن عبد نُهْم بن حليل الذي قفا أَثَر رسول الله ـ ﷺ حتّى انتهى إلى الغار... فقال: ها هنا انقطع الأثر... وهو الذي وضع معالم الحَرَم في زمان معاوية»[٣]. وسنستفيد بعد قليل من نسب كُرز بن عَلْقَمَة لتقدير زمان حُلَيْل بن حَبْشِيَة.

زمانه

عرفنا قبل قليل أنّ حَبْشِيَة بن سَلُول كان، على الأرجح، من رجال القرن الخامس الميلاديّ، وهو القرن الذي يبدو أنّ ابنه حُلَيْلَ بن حَبْشِيَة قد وُلِد فيه، وربّما يكون حُلَيْل أدرك أوائل القرن السادس، فبينه وبين حفيده كُرْز بن عَلْقَمَة، الذي مرَّ نسبه قبل سطور، خمسة آباء، وقد عَلِمنا أن كُرْزًا كان معاصرًا للرسول ﷺ، فهو مُخَضْرم إذًا، وعليه فثمَّة مئة سنة تقع بين كُرْز بن عَلْقَمة، وجدّه الأبعد، حُلَيْل بن حَبْشِيَة، فحُلَيْل، على ذلك، كان من رجال القرن الخامس وأوائل السادس، في أغلب الظنّ.

---

(١) أنظر ابن هشام: السيرة النبويَّة ١١٧ .

(٢) إبن دُرَيْد: الاشتقاق ٤٦٩، وانظر ابن حَزْم: جمهرة أنساب العرب ٢٣٥ .

(٣) إبن حزم: م. س ٢٣٦ .

شعره

قال الوزير المغربي: «وحُلَيْلُ بنُ حَبْشِيَة حَمُو قُصَيٍّ يقول الشعر أيضًا، وأنشدونا له:

نَحْنُ بَنُو عَمْرٍو وُلاةُ المَشْعَرِ　　نَدُقُّ بالمَعْروفِ أهْلَ المُنْكَرِ
حُمْسًا ولَسْنا نُهْزَةً لِلْمُحْضِرِ»[1]

وما عدا هذه الأرجاز الثلاثة، الآتي تعليقنا عليها، لم نعثر على شعرٍ آخر لِحُلَيْل ابن حَبْشِيَة.

شعر حُلَيْل بن حَبْشِيَة بن سَلُول الخُزاعِي

(١)

في الإيناس (١١٦): (الرجز)

١ ـ نَحْنُ بَنُو عَمْرٍو وُلاةُ المِشْعَرِ[2]
٢ ـ نَدُقُّ بالمَعْروفِ أهْلَ المُنْكَرِ[3]
٣ ـ حُمْسًا، ولَسْنا نُهْزَةً لِلْمُحْضِرِ[4]

تخريج شعر حُلَيْل بن حَبْشِيَة الخزاعي

(١)

١ ـ ٣　　في الإيناس ١١٦ لِحُلَيْل بن حَبْشِيَة الخُزاعي.

---

(١) الإيناس ١١٦.
(٢) المَشْعَر، والمِشْعَر: مَناسِكُ الحَجّ وشَعائِرُهُ.
(٣) دَقَّ الشَيْءَ يَدقُّهُ دَقًّا: كَسَرَهُ وهَشَمَهُ.
(٤) الحُمْس: هم جماعة من القبائل، أبرزُها قُرَيْش، وخُزاعة، وكنانة، وبعض تميم، وبعض عامِر، وبعض قُضاعة.. وهؤلاء شَدَّدُوا على أنفسهم في دينهم ـ أنظر تقاليدهم وشعائرهم، في المحبّر ١٧٨ ـ ١٧٩. والنُهْزة: هو الشيء المُعَرَّض لك كالغَنِيمة، ويقال: فلان نُهْزَة المُخْتَلِس، أي هو صيد لكلّ أحد. وأحْضَر الفَرَس: ارتفع في عَدْوِهِ. والحُضْر والإحْضار بمعنى. وفي اللسان «قال كُراع: أحْضَرَ الفَرَسُ إحْضارًا وحُضْرًا، وكذلك الرجل، وعندي أنّ الحُضْرَ الاسمُ، والإحْضار المَصْدَر» ـ اللسان (حضر).

٢٨ ـ بَكْرُ بنُ غالِب بن عامِر الجُرْهُمِي

لا نعرف شيئًا كثيرًا عن هذا الشاعر، سوى أنّه ينتمي إلى قبيلة جُرْهُم التي أخرجتها خُزاعة من مكّة، وأنّه قديم في الجاهليّة، لمعاصرته لشاعرٍ خُزاعي آخر مَرَّ خبرُهُ من قبلُ، هو حُلَيْل بن حَبْشِيَة.

فهو بَكْر بن غالِب بن عامِر بن الحارِث بن مُضاض الجُرْهمي. وقد ذَكَر خبرَهُ الوزير المغربي، فقال: «قال بَكر بن غالِب بن عامر بن الحارث بن مَضاض الجُرهمي بعد أن نَفتهم خُزاعة عن مكّة:

أَلاَ لَيتَ شِعري هَلْ أَبِيتَنَّ لَيْلَةً ... وأهْلِي معًا بالمَأْزِمَيْن حُلُولُ
وهَلْ أُبْصِرَنَّ العِيسَ تَنْفُخُ في البُرَى ... لَها في مِنًى بالمُحْرِمِيْنَ ذَمِيلُ

فأجابه حَبْشِيَة:

تَمَنَّى أَمانِيَّ الضَّلالِ وإنَّما ... نَفَتْكَ رجالٌ ذَادَةٌ وخُيُولُ
تَمَنَّيْتَ أن تَلْقَى خُزاعةَ بَرْحَةً ... فَقَدْ مَعَجَتْ مِنها عَلَيْكَ سُيُولُ»[1]

وإذا كُنّا لا نقدر على تحديد زمن نفي خزاعة للجراهمة عن مكّة بدقّة، فإنّنا نعرف أنّ حُلَيْل بن حَبْشِيَة ـ حَمَا قُصَيّ بن كلاب ـ هو على الأرجح، من رجال القرن الخامس وأوائل السادس الميلاديَّين. وعليه، فبَكر بن غالِب الجُرهمي، وُجِد، فيما يبدو، في الفترة التي وُجِد فيها مُعاصِره حُلَيْل بن حَبْشِيَة، أي ما بين القرنَين الخامس والسادس الميلاديَّين.

شعره

لم أظفر إلاّ بخمسة أبيات لهذا الشاعر، ذكرها الوزير المغربيّ في كتابه **الإيناس**، وهي تقع في مقطوعتَين فحسب، ورواياتُها الحرفيّة كما يلي:

(١) الوزير المغربي: **الإيناس في عِلْم الأنساب** ١١٥ ـ ١١٦.

شِعر بكر بن غالب بن عامر الجرهمي

(١)

في الإيناس (١١٥)[١] (الطويل)

١ ـ أَلاَ لَيْتَ شِعْري هَلْ أَبِيْتَنَّ لَيْلَةً ... وأَهْلِي معي بالمأْزِمَيْنِ حُلُولُ[٢]

٢ ـ وهل أبْصِرَنَّ العِيْسَ تَنْفُخُ في البُرَى ... لَها في مِنًى بالمُحْرِمِيْنَ ذَمِيلُ[٣]

(٢)

في الإيناس (١١٦): (مجزوء الكامل)

١ ـ يا عَمْرُو لاَ تَفْجُرْ بِمَكْـ ... ـةَ إنَّها بَلَدٌ حَرامُ[٤]

٢ ـ واسأَلْ بِعادٍ أَيْنَ هُمْ ... أَمْ كَيْفَ تُخْتَرَمُ الأنامُ[٥]

٣ ـ أو بالعَمالِيقِ الذيْـ ... ـنَ لَهُمْ بها كانَ السَّوامُ[٦]

تخريج شعر بكر بن غالب الجرهمي

(١)

١ ـ ٢ في الإيناس ١١٥ لِبَكْر بن غالِب الجُرْهُمي.

(٢)

١ ـ ٣ في الإيناس ١١٦ لِبَكْر بن غالِب الجُرْهُمي.

---

(١) قال الشاعر هذين البيتَين بعد أن نَفَت خزاعة قومه الجرهُميِّين من مكّة ـ الإيناس ١١٥.

(٢) المأزِم، لغةً المَضِيْق. وكلُّ مضيق بين جَبَلَين هو مأزم، ومنه سُمِّيَ الموضع الذي بين المِشْعَر وعَرَفَة مأزِمَيْن، وهو المُراد هنا.

(٣) في مطبوعة البسوس: «العيش تَنْفُخ» تصحيف، وصوابُهُ بالسين المهملة. والعِيْس: مفردها أَعْيَس وعَيْساء، وهي الإبل البِيْض مع شُقْرةٍ يسيرة. والبُرَى: مفردها بُرَة، وهي الحَلْقة تُجْعَل في لَحْم أَنْفِ البعير. وقال الأصمعي: «تُجْعَل في أحد جانبي المِنْخَرَيْن» ـ اللسان (برى). ومِنًى: اسم موضع بمكّة، وهو في درج الوادي الذي ينزله الحاجّ ويرمي منه الجِمارَ من الحَرَم. وهو يُصْرَف ولا يُصْرَف. وسُمِّي بذلك لِمَا يُمْنَى فيه من الدماء، أي يُراق. وأَحْرَم الرجلُ، فهو مُحْرِم وحَرام، إذا كان حاجًّا أو مُعْتَمِرًا، فيُحْرَّم عليه ما كان حلالاً، كالصيد والنساء. والذميل: ضَرْبٌ من السير اللَّيِّن «قال أبو عُبَيْد: إذا ارتفع السيرُ عن العَنَق قليلاً، فهو التزيُّد، وإذا أرتفع عن ذلك، فهو الذميل» ـ اللسان (ذمل).

(٤) عمرو: هو عَمْرو بن الحارث بن عَمْرو الخُزاعي. وفَجَرَ يَفْجُرُ فَجْرًا وفُجُورًا: إذا اندفع في المَعاصي.

(٥) أُخْتُرِمَ فلان: مات وذَهَبَ.

(٦) السوام: المال الراعِي، «وقال الأَصْمَعي: السَّوام: السائِمة تَرْعَى ولا تُعْلَف في الأصل» ـ اللسان (سوم).

٢٩ ـ رِزاحُ بنُ رَبِيْعة النَّهْدِي

رِزاحُ بنُ رَبِيْعة النَّهْدي ـ بكسر الراء[١] ـ شاعر جاهليّ قديم ينتمي إلى قبيلة نَهْد القضاعيّة، ونسبه هو: ابن ربيعة بن حَرام بن ضَنَّة بن عَبْد بن كَبير بن عُذْرة بن سَعْدهُذَيْم بن لَيْث بن سُوْد بن أَسْلُم بن الحافي بن قُضاعة[٢].

وقد عرفنا من إخوة هذا الشاعر: حُنَّ بن رَبِيْعة، ومحمود بن ربيعة، وجَلْهَمة بن ربيعة، وهم إخوته لأبيه. أمّا إخوته لأمّه، فأبرزهم قصيُّ بن كِلاب الجدُّ الرابع للرسول عليه السلام[٣]. ذلك أنّ أبا رِزاح ـ رَبِيْعة بن حَرام النهدي ـ كان قَدِمَ مَكّةَ بعد هُلْك كِلاب بن مُرّة، فتزوَّج زوجته فاطِمة بنت سَعْد بن سَيَل، فولدت لربيعة رِزاحًا[٤]. ولمّا كانت فاطمة وكِلاب قد أنجبا من قبل قُصَيًّا، صار رِزاح بن ربيعة أخا قُصيّ بن كِلاب لأمّه فاطمة. وتفيدنا علاقة القربى هذه في تقدير عصر شاعرنا بعد قليل.

ويبدو أنّ هذا العلم الجاهليّ كان ذا شأن ومكانة، فقد روى عنه ابن حزم أنّه هو الذي أخرج بني نَهْد، وبني جَرْم، وبني حَوْتكة، من بلاد قضاعة، وهو الذي أخرج أيْضاً بني عمّه رِفاعة بن عذرة من جملة بلاد بني عُذْرة[٥].

عصره وأخباره

إستفاض في كتب التاريخ وغيرها خَبَرُ مُساندة رِزاح بن ربيعة لأخيه قُصَيّ بن كِلاب، حينما طلب قُصَيّ مساعدته في حربه ضدّ خُزاعة التي أجلاها عن الحَرَم[٦]. وهذا الخبر يعني أنّ رِزاحًا كان، على الأرجح، من رجال القرن الخامس الميلاديّ ويبدو أنّه أدرك القرن السادس أيضًا.

والدليلُ على إدراك رِزاح القرن السادس، الخبر الذي رواه أبو الفَرَج في **الأغاني**

(١) أنظر الصغاني: **التكملة والذيل** (رزاح).
(٢) أنظر ابن حزم: **جمهرة أنساب العرب** ٤٤٨ ـ ٤٤٩.
(٣) أنظر ابن هشام: **السيرة النبويّة** ١: ١١٨ وابن حبيب: **المنمّق** ١٤ ـ ١٥.
(٤) إبن هشام: م. س ١: ١١٨.
(٥) إبن حزم: م. س ٤٤٨ ـ ٤٤٩، وابن هشام: م. س ١٢٩.
(٦) أنظر ابن هشام: **السيرة** ١٢٤ فما بعدها، وابن حبيب: **المُنَمَّق** ١٤ فما بعدها، والوزير المغربي: **الإيناس في علم الأنساب** ١١٤ ـ ١١٥، والسهيلي: **الروض الأنف** ١٤٩ ـ ١٥٠.

بسنده عن المدائني، وأبي مسكين، ومفاده أنّ الملك الغسّاني الحارث بن ماريّة (٥٢٩ ـ ٥٦٩ م)[1] كان قد قرّب منه ابنَي رِزاح: حَزنًا وسَهْلاً فحسدهما لهذه المنزلة، الشاعر زُهَير بن جَناب الكلبي، فقتلهما المَلِك، ولمّا جاء أبوهما رِزاح، وقد تكشّفت الحقيقة للحارث، وندم على فعلته، دفع له الحارث دِيَةَ ابنَيْه، ولكنّ زهيرًا لم يسكت، فبعث ابنه عامرًا إلى الحارث، فَأَوْغَرَ صدره على رِزاح، فقتله...[2].

ولسنا نعرف بالضبط متى قَتَل الحارثُ رِزاحًا، ولكنّنا نظنّ ظنًّا أنّ ذلك وقع في النصف الأوّل من القرن السادس الميلاديّ.

وإذا عرفنا أنّ رِزاحًا قد قَدِمَ على الحارث الغسّاني، وهو شيخ مُجَرَّب، كما يقول أبو الفرج، تأكّد لدينا أنّ شاعرنا كان من رجال النصف الثاني من القرن الخامس، والنصف الأوّل من القرن السادس الميلاديَّين.

شعره

لم نقع في المظانّ التي عُدنا إليها على أكثر من (٢٣) ثلاثة وعشرين بيتًا لِرزاح ابن ربيعة، تقع في مقطّعتَين، وقصيدة واحدة، أبياتُها سبعة عشر بيتًا. وها هي ذِي جميعها مشفوعة بتعليقاتنا عليها:

شعر رِزاح بنُ رَبيْعة النَّهْدِي

(١)

في الإيناس (١١٤ ـ ١١٥)[3]: (الوافر)

١ ـ إنّي في الْحَياةِ أَخُوْ قُصَيٍّ إذا ما مَسَّهُ ضَيْمٌ أَبَيْتُ[4]

٢ ـ إذا يَجْنِي عَلَيَّ بَذَلْتُ نَصْرِي وَيَبْذُلُ مِثْلَ ذَلِكَ إنْ جَنَيْتُ[5]

---

(١) أنظر جواد علي: **المُفَصَّل في تاريخ العرب** ٣: ٤٠٣، ٤٤٤.

(٢) أنظر الأصفهاني: **الأغاني** ٥: ١١٨ ـ ١١٩، وابن منظور: **مختصر تاريخ دمشق لابن عساكر** ٨: ٣٢٠.

(٣) قال رِزاح بن رَبيْعة هذه الأبيات يجيب بها أخاه لأمّه، قُصَيّ بن كِلاب الذي قال:

نَحْنُ العاصِمُونَ بنو لُؤَيٍ بمكّةَ مَنْصِبِيْ وبها رَبِيْتُ

(٤) قُصَيّ: هو قُصَيّ بن كِلاب بن مرّة ـ الجدّ الرابع للرسول ﷺ. والبيت مَخْروم. والأصل أن يكون: «وإنّي».

(٥) جنى عليه: أكبّ عليه، ومَال إليه. وقال ابن منظور: «وفي حديث أبي بكر رضي الله عنه: إنّه رأى أبا ذَرّ رضي الله عنه فدعاه، فجنى عليه فسارَّهُ، جنى عليه: أكبَّ عليه، وقيل: هو مَهْموز، والأصل فيه الهَمْز، من جَنَأ يَجْنَأ إذا مال عليه وعطف، ثمّ خُفِّفَ» ـ **اللسان** (جنى).

٣ ـ نَـقَـيْـنـا عـنْ منـازِلـهـا عَـلِـيًّـا فَـمَـا مِـنْـهـا بِـذِي الأطواءِ بَـيْـتُ[١]

(٢)

في الأغاني (٥: ١١٩)[٢]: (الوافر)

١ ـ دَعِـيْـنـي مِـنْ سِـنـادِكِ إنَّ حَـزْنًـا وسَـهْـلاً لـيـسَ بَـعْـدَهـمـا رُقُـوْدُ[٣]

٢ ـ أَلاَ تَـسَـلِـيْـنَ عَـنْ شِـبْـلَـيَّ ماذا أصـابَـهُـمـا إذا اهْـتَـرَشَ الأُسُـوْدُ[٤]

٣ ـ فـإنّـي لَـوْ ثَـأَرْتُ المرءَ حَـزْنًـا وسَـهْـلاً قـد بَـدَا لَـكِ مـا أُرِيْـدُ

(٣)

في السيرة النبويَّة (١: ١٢٦ ـ ١٢٨)[٥]: (المتقارب)

١ ـ لمَّا أَتَـى مِـنْ قُـصَـيٍّ رَسُـولٌ فـقـالَ الرسـولُ: أَجِـيْـبُـوا الخَلِـيْـلاَ[٦]

٢ ـ أَجَـبْـنـا قُـصَـيًّـا عـلـى نَـأْيِـهِ على الْـجُـرْدِ تَـرْدِي رَعِـيْـلاً رَعِـيْـلاَ[٧]

٣ ـ نَـهَـضْـنـا إلـيـهِ نَـقُـودُ الْـجِـيـادَ ونَـطْـرَحُ عَـنَّـا المَلُـولَ الـثَّـقِـيْـلاَ[٨]

---

(١) عَليّ: قال الوزير المغربي: «يريد عليَّ بن مسعود بن مازن الغسّاني لأنّه كان أخا كِنانة لأمّه، وكفل ولده من بعده، فنُسِبوا إليه» ـ الإيناس ١١٥. وذو الأطواء: لم أجدْها فيما عُدْتُ إليه من كتب البلدان، بَيْدَ أنّ ياقوت يقول: «أَطْواء بالفتح ثمّ السكون، كأنّه جَمْع طَوِيّ، وهو البِئر المبنيّة، قرية بقَرْقَرى من أرض اليَمامة ذات نَخْل وزَرْع كثير. قال أبو زياد: ومن مِياه عَمْرو بن كلاب الأطواء في جبل يُقال له شراء» ـ معجم البلدان (أطواء)، وانظر اللسان (طوي).

(٢) ذكر أبو الفَرَج الأصفهاني خَبَر هذه الأبيات، ومُلخَّصه: أنَّ الحارث بن ماريَة الغسّاني كان قد قتل ابنَي رزاح حَزْنًا وسهلاً، بوشايةٍ من الشاعر زُهَيْر بن جَناب، ثمّ ندم على فعلته ودفع ديتَهما إلى أبيهما رِزاح، فلم يُرْضِ هذا زُهيرًا، فبعث ابنه عامِرًا لِيُوغِرَ صَدْرَ الملك الغسّاني على رِزاح، وكان ممّا قاله عامر بن زُهَيْر للحارث بن ماريَة: إنّ رِزاح بن ربيعة ما قدم إلاّ ليثأرَ لولدَيه، فقال له: وما آية ذلك؟ قال: اسقِهِ الخمرة، ثمّ ابْعَثْ إليه عينًا يأتِكَ بخبره، فلمّا انتشى صَرَفَهُ إلى قُبَّتِهِ، ومعه بنت له، وبعث إليه عيونًا، فلمّا دخل قبّته، قامت إليه ابنته تسانده، فقال: (الأبيات). ورجعت العيون إلى الملك، فأخبروه بما سمعوا، فقتل رِزاحًا. وردَّ زهيرَ بن جَناب إلى مكانه عنده ـ أنظر الأغاني ٥: ١١٨ ـ ١١٩.

(٣) سانَدَ يُسانِدُ سِنادًا: ساعَدَ وأعانَ.

(٤) إهْتَرَشَ: تَقَاتَل وَتَواثَبَ.

(٥) لم يَرِدِ البيت الثاني بين أبيات السيرة، وأضفناه، بترتيبه، عن كتاب الإيناس ص ١١٥.

(٦) الخليل: الصديق، أو المُحبّ الذي ليس في محبّته خَلَل، والبيت مَخْرُوْم.

(٧) الجُرْد: مفردها أَجْرَد، وهو من الدوابّ القصير الشعْر، وذلك من علامات العتْق والكرم، ورَدَى الجوادُ يَرْدِي رَدْيًا: إذا رَجَمَ الأَرْضَ رَجْمًا بين العَدْوِ والمَشْيِ الشديد. والرَّعِيْل: كلّ قطعة من خيلٍ أو رجال أو غير ذلك.

(٨) المَلُول: لعلّهُ البَرِم بالقتال، من مَلَّ الشيء إذا سَئِمه وبَرِم به. والثقيل: من ثَقُل الرَّجُلُ ثِقَلاً فهو ثَقيل وثاقِل: اشتدَّ مرضُه.

٤ ــ نَسِيْرُ بِها اللَّيْلَ حتّى الصَّباحِ	ونَكْمِي النَّهارَ لَيْلاً نَزُوْلاَ[١]
٥ ــ فَهُنَّ سِراعٌ كَوِرْدِ الْقَطَا	يُجِبْنَ بنا مِنْ قُصَيٍّ رَسُوْلاَ
٦ ــ جَمَعْنا منَ السرّ مِن أشْمذَيْن	ومن كلِّ حَيٍّ جَمَعنا قَبِيلا[٢]
٧ ــ فَيَا لَكِ حُلْبةَ ما لَيلةٍ	تَزيدُ على الأَلْفِ سَيْبًا رَسِيْلا[٣]
٨ ــ فَلمَّا مَرَرْنَ عَلَى عَشجَدٍ	وأسْهَلْنَ مِنْ مُشتناخٍ سَبيلا[٤]
٩ ــ وجاوَزنَ بالرُّكنِ من وَرِقانٍ	وجاوَزنَ بالعَرجِ حَيًّا حُلُوْلا[٥]
١٠ ــ مَرَرْن على الْحِلِّ ما ذُقْنَهُ	وعالَجْنَ من مَرٍّ لَيْلاً طَوِيْلاَ[٦]
١١ ــ نُدَنِّي مِن الْعُوْذِ أَفْلاءَها	إرادَةَ أنْ يَسْتَرِقْنَ الصَّهِيْلاَ[٧]
١٢ ــ فلمَّا انتهينا إلى مَكَّةَ	أَبَحنا الرجالَ قَبِيلاً قَبِيْلاً[٨]

---

(١) نَكْمِي: نَكْمُن ونَسْتَتِر. ونزول: نذهب ونَضْمَحِلّ.

(٢) السِّرُّ: الأصل. والأَشْمذان: قال ياقوت في البيت: «أَشْمَذان ها هنا جَبَلان، وقيل: قبيلتان، وقال نَصر: أَشْمذان تثنية أَشْمَذ: جَبَلان بين المدينة وخَيْبر تنزلهما جُهَيْنَة وأشْجع»، معجم البلدان (عَشْجَد) و(عَشْجَر).

(٣) الحلبة: جماعة الخيل. وقيل: هي خيل تُجْمَع للسباق لا تخرج من موضع واحد ولكنْ من كلّ حيٍّ و«ما» بعدها زائدة. والإِلْف: ما أَلِفته والسَّيْب: المشي السّريع. والرَّسِيْل: الذي فيه تمهُّل.

(٤) في الروض الأنف: «على عَشْجَر». وقال ياقوت في (عَشجد): اسم موضع بعينه وأنشد بيت رِزاح، ثم قال: «ويُروى عَشْجر بالراء» معجم البلدان (عسجد) و(عسجر).

(٥) وَرِقان: جَبَلٌ من جبال تِهامة. ومن صَدَرَ مُصْعِدًا من مكّة، فأوّل جبلٍ يَلْقاه وَرِقان، وهو كأعظم ما يكون من الجبال... فيه منابع وعيون عِذاب ــ معجم ما استعجم ١٣٧٧، ومعجم البلدان (ورقان). والعَرج: قرية جامعة على طريق مكّة، وبها وادٍ يسمّى وادي العَرْج. وإلى العَرْج ينتمي الشاعر الغَزَليّ (العَرْجيّ) ــ أنظر معجم ما استعجم ٩٣٠، ومعجم البلدان (العرج).

(٦) في الروض الأنف: «على الْحَيْل». وقال السُّهَيْلي: هو الماء المستنقع في بطنِ وادٍ، وقال: «ووجدتُ في غير أصل الشيخ روايتَين إحداهما: مَرَرْنَ على الحِلّ، والأخرى مَرَرْن على الحِلْي، فأمّا الحلّ فجَمْعُ حلَّة، وهي بَقْلَةٌ شاكة. أمّا الحِلْي، فيقال إنّه ثُمَرُ القَلْقلان، وهو نَبْت» ــ الروض الأنف ١٥٠. ومَرّ: إسم موضع بينه وبين مكّة خمسة أميال ــ معجم البلدان (مر).

(٧) في الإيناس:

ونُدْنِي مِنَ الخَيْلِ أفلاءَها   مَخافةَ أَنْ يَسْتَرِقْنَ الصَّهِيْلا

وفي «نُدْنِي» تحريف. والعوذ: مفردها عائِذ، وهي كلّ أُنثى إذا وَضَعَتْ مدّة سبعة أيّام لأنَّ ولدَها يعوذ بها ــ اللسان (عوذ). والأفلاء: مفردها فِلْوٌ، وفَلُو، وفُلُوٌّ، وهو المهْرُ إذا فُطِم «قال الجوهري: لأنّه يُفْتَلَى أيْ يُفْطَم» ــ اللسان (فلا).

(٨) أباح واستباح: انتهب، وهنا، بمعنى اسْتَأْصَل. والقَبِيل: الجماعة من الناس يكونون من الثلاثة فصاعدًا من قوم.

١٣ ـ نُعاوِرُهُمْ ثَمَّ حَدَّ السيوفِ وفي كُلِّ أَوْبٍ خَلَسْنا العُقُولا[١]
١٤ ـ نُخَبِّزُهم بِصَلابِ النُّسُوْ رِ خَبْزَ القويِّ الْعَزيزِ الذَّلِيلا[٢]
١٥ ـ قَتَلْنا خُزاعةَ في دارِها وبكرًا قَتَلْنا وجِيْلاً فجِيلا
١٦ ـ نَفَيْناهُمُ من بلادِ المَلِيْكِ كَمَا لا يَحلُّونَ أَرْضًا سُهُولا
١٧ ـ فأصْبَحَ سَبْيُهُمْ في الْحَدِيْدِ ومِنْ كُلِّ حَيٍّ شَفَيْنا الْغَلِيْلا[٣]

تخريجُ شِعر رِزاح بن رَبيعة النهدِي

(١)

١ ـ ٣ في الإيناس في علم الأنساب ١١٤ ـ ١١٥ لرِزاح بن رَبِيْعة.

(٢)

١ ـ ٣ في الأغاني ٥: ١١٩ لرزاح بن ربيعة.

(٣)

١، ٣، ٧ في السيرة النبويَّة ١: ١٢٦ ـ ١٢٨، والروض الأنف ١٠٠ لرزاح.
٢ ـ ٣، ١٠ في الإيناس ١١٥ لرزاح.
٦ في معجم البلدان (أشمذان)، واللسان، والتاج (شمذ) لرزاح.
٨ في معجم البلدان (عسجد) لرزاح.

٣٠ ـ المُسْتَوْغِر بن رَبِيْعَة السعدِي التميمي

أخبار هذا الشاعر قليلةٌ ونادرة، وهي تتّصلُ باسمه ونسبه ولقبه، وبعمره المديد جدًّا، الذي زُعِمَ أنّه امتدَّ إلى الإسلام. وبعض تلك الأخبار شبيه بالأساطير والخرافات التي تسقط في معيار التمحيص العلميّ الصحيح، أو تشيل كفَّتها إن وُضعت في ميزان التأريخ المعقول للأحداث.

(١) عاوَرَهُ يعاوِره مُعاوَرةً: واظَبَ وداوَلَ الشيءَ مَرَّةً بَعْدَ مَرَّة. والأَوْب: الرجوع، وقد يكون الأَوْب هنا بمعنى الوَجه والناحية. وخَلَسَ الشَّيء واختلسه: استلبه.
(٢) نُخَبِّز: نَضرب. والخَبز: الضرب باليدين. وصِلاب النسور: أراد الخيل. والنُّسور: مفردها نَسْر، وهو اللحم اليابس الذي في باطن الحافِر.
(٣) سَبَى العدوّ سَبْيًا وسباءً: إذا أَسَرَهُ، فهو سَبِيٌّ.

١ ـ إسمُه ونسبُه ولقبُه

إسم شاعرنا الحقيقيّ، في مصادر كثيرة[١]، عَمْرو بن رَبِيْعة بن كَعب بن سعد ابن زَيد مناة بن تميم بن مرّ بن أدّ بن طابِخة بن إلياس بن مُضَر. أمّا البلويّ (٦٠٥ هـ ـ ١٢٠٨ م) وابن كثير (٧٤٤ هـ ـ ٣٧٢ م) فاسمُه عندهما، كَعب بن ربيعة[٢]. وانفرد صاحب **التيجان** بالزعم أنّ اسم المستوغر: سالِم بن مِنقَر بن زَيد مَناة[٣]. وليس ثمّة خِلاف في أنّ شاعرنا سَعديٌّ، من بني تميم. أمّا كنيتُه، فهي أبو بَيْهَس[٤]. ولا ندري أكان بَيْهَس هذا، حقًّا، ابنًا للمُسْتَوغر أم لا. وإذا كنّا نجهل بنيه الآخرين، فنحن نعرف أنّ ربيعة بن كعب والده قد أنجب، عدا عمرو، جُشَمَ ولأيًا[٥].

وقد شُهِر شاعرُنا باسم المُسْتَوغِر، ولُقِّب بذلك ـ كما يقول ابن حَبيب ـ لقوله يَصف فرسًا عَرقت:

تَـنِـشُّ الماءُ فـي الـرَّبـلاتِ مـنـهـا   نَشِيْشَ الرَّضْفِ في اللَّبَنِ الوَغِيْرِ[٦]

ومن الغريب أن يسمّيه ابن حُجر (٨٥٢ هـ ـ ١٤٤٨ م) المُستوَعِز (بالعين المهملة والزاي). فثمّة إجماع على أنّه بالغين والراء، لا بالعين والزاي، كما يقول صاحب **الإصابة**، والأغرب أنّه عدَّهُ من الصحابة، فهو يقول: «المستوعِز، بعين مهملة ثمّ زاي، بن رَبيعة بن كعب بن سَعد بن زيد مناة بن تميم السعدي أبو بَيْهَس، واسمه عمرو، والمستوغِر لقبه. قال المُفضَّل الضَّبِّي كان عُمِّرَ زمانًا طويلاً، وكان من فرسان العرب في الجاهليّة. وقال المرزباني: إنّه عاش في أيّام معاوية. ويقال عاش ثلثمائة وعشرين سنة. ويقال مات في صدر الإسلام. وقال الأصمعي: قال أبو عمرو بن العلاء عاش المستوغر ثلثمائة سنة وعشرين سنة»[٧].

وعلى الرغم من أنّ ابن حُجْر ضَبط لقب شاعرنا بالحروف، فإنّ اشتقاق اللقب

---

(١) أنظر ابن حَبِيْب: **ألقاب الشعراء** (ضمن نوادر المخطوطات) مج ٢: ٣٠٤، والشريف المُرْتَضى: **أمالي المُرْتَضى** ١: ٢٣٤، وابن حزم: **جمهرة أنساب العرب** ٢٢١، وابن حُجْر: **الإصابة** ٣: ٤٩٢، والزبيدي: **التاج** (وغر).

(٢) البَلَوي: **أَلِف با**: ٢: ٨٨، وابن كَثِيْر: **البداية والنهاية** ٢: ١٩٢.

(٣) أنظر وَهْب بن مُنَبِّه: **التيجان** ص ٢٦٢.

(٤) أنظر المرزباني: **معجم الشعراء** ٢٣، وابن حجر: م. س ٣: ٤٩٢.

(٥) أنظر ابن حزم: م. س ٢٢١.

(٦) أنظر ابن حبيب: م. س (ضمن نوادر المخطوطات) ٢: ٣٠٤ وابن دُرَيْد: **جمهرة اللغة** ١: ٢٧٦.

(٧) إبن حُجْر: **الإصابة** ٣: ٤٩٢.

من مادّة (وغر) يكاد يقطع بأنّه المُسْتَوْغِر (بالغين والراء)، وليس كما زعم ابن حُجْر المستوعِز (بالعين والزاي).

ويقودنا خبر الإصابة إلى الحديث عن زمان شاعرنا، الذي عُدَّ في كثير من المصادر أيضًا، من المُعمَّرين[1]، حتّى قِيل فيه: إنّه كان أطوَلَ مُضَرَ عُمْرًا[2].

٢ ـ عصره

إنّ أبرز مشكلة تواجِهُنا في دراسة هذا الشاعر هي تحديد زمانه، فهو من الشعراء الأوائل الذي ذُكِروا على أنّهم يمثّلون بدايات الشعر العربيّ، وفي الوقت نفسه ذكر أنّهم أدركوا الإسلام، فهو بهذا يشبه دُوَيْد بن زَيْد بن نَهْد القضاعي. ونودّ ابتداءً، أن نُشيرَ إلى أنّنا لا نعتدُّ بمبالغات مَن بالَغ، فزعم أنّ عمره قد امتدّ إلى ثلاثمائة سنة، أو أكثر أو أقلّ، ولكنّنا لا نجد ما ندفع به قولَ مَن يقول: إنّه عُمِّر زمنًا مديدًا. فمتى كانت بداية هذا الزمن ومتى كانت نهايته؟

يتبيّن من التدقيق في نَسَبِ المُستوغِر أنّه ابنٌ لحفيدِ سَعْدِ بن زَيد مَناة بن تميم، وسَعْد بن زَيد مَناة، وهو شاعر من الشعراء الأوائل، هو الأب الثالث للمُستوغِر والأب السابع أو الثامن للشاعر التميمي سلامة بن جَنْدَل[3]. وعليه فإنّ شاعرنا يوازي في نسبه أبا سلامة الرابع أو الخامس. ومن هنا، فوفْق قاعدتنا التي تقضي بتقدير عشرين سنة لكلّ أبٍ، يكون هناك ما يقرب من ثمانين، أو مئة سنة، بين سلامة بن جَنْدَل والمستوغر بن ربيعة، فإذا كان سلامة يعدّ من مواليد منتصف القرن السادس الميلاديّ[4]، أمكننا القول: إنّ المستوغر كان من مواليد النصف الثاني للقرن الخامس الميلاديّ.

وعلى الرغم من قول المرزباني، وابن حُجْر إنَّ: «بين المُستَوغِر وبين مُضَر بن نِزار تسعة آباء»[5]، فلسنا نظنّ أنّ شاعرنا وُجِد في أزمانٍ سحيقة جدًّا...

---

(١) أنظر السِّجِستاني: المعمَّرون ١٢ ـ ١٣ والشريف المرتضى: أمالي المرتضى ١: ٢٣٤ ـ ٢٣٥، والبَلَوي: ألف با ٢: ٨٧ ـ ٨٨ .

(٢) أنظر السهيلي: الروض الأنف ١: ١٠٩ .

(٣) أنظر ديوان سَلامة بن جَنْدَل ص ٨٩، وجريدة نَسب تميم في كتاب المعيني: شعر بني تميم في العصر الجاهليّ ٤٩٤ .

(٤) أنظر فخر الدين قباوة: سَلامة بن جَنْدَل ـ الشاعر الفارس ٤١ .

(٥) أنظر المرزباني: معجم الشعراء ٢٣ وابن حجر: الإصابة ٣: ٤٩٢، وتمحيص هذا القول يظهر صحّته، ولكنّنا نجهل الزمن الصحيح لوجود مُضَر بن نِزار في التاريخ.

وبالمقابل فإنّنا نتساءل باستغراب: هل أدرك شاعرنا مُعاوية بن أبي سُفيان حقًّا، كما ذكر ابن حُجْر، وكثيرون غيره؟!

إنّ الإجابة عن هذا التساؤل بالإيجاب تخلق لنا مشكلتَين اثنتَين أوّلاهما: إنّنا نكون قد سلّمنا بإمكانيّة الحياة المديدة جدًّا التي أمضاها المُسْتَوغِر بين الجاهليّة والإسلام، والتي ربّما تصل إلى نحو (٢٠٠) سنة تقريبًا...!

وثانيتهما: أنّ المستوغر، إذا كان قد أدرك زمن معاوية، فهو إذًا ليس بشاعر جاهليّ مُتقدِّم، بل ليس بجاهليّ فحسب، بل هو شاعر مُخَضْرَم، أدرك الإسلام وصدر بني أميّة. ومِمّا يزيد المسألة تعقيدًا أنّ خبر هَدْم المُسْتَوغر للصَّنَم (رُضاء)، في الإسلام، مُستفيض في كتب التراث. فقد قال ابن الكلبي وغيرُهُ: إنّ (رُضاء) أو (رضى) كان صنمًا لبني كَعْب بن رَبيْعة بن سَعْد بن زَيْد مَناة فهدَمه المستوغر في الإسلام[١]. وزاد البَلَويّ على ذلك قوله: «وكان المُسْتَوغِر قد أدرك الإسلام، وأسلم، وحَضَر هَدْمَ رضاء، بيت كان يُعْبَد في الجاهليّة، وفيه يقول:

ولَقَدْ شَدَدْتُ على رُضاءَ شَدَّةً ... فتركْتُها قَفْرًا بقاعٍ أَسْحَما»[٢]

وليس بين أيدينا ما يحلُّ الإشكال المتمثِّل بكون شاعرنا شاعرًا أوَّلاً، وكونه قد أدرك الإسلام وعاش إلى زمن معاوية... بيدَ أن ذِكْرَهُ بين الشعراء الأوائل عند كلّ مَن ابن سلاّم[٣]، والرازي[٤]، والسيوطي[٥]، هو الذي حَدَاْ بِنا إلى إدْراجِه بين هؤلاء الشعراء، وإلى تتبُّع أخباره في مظانّها القديمة.

أخباره

لَعَلَّهُ اتَّضح لنا مِمّا سبق أنّ شاعرنا كان أحد الرجال المُعَمَّرين، وقد ذُكر بوصفه مُعَمَّرًا في غير ما مصدر[٦] ولهذا فإنّ ما أصاب أخبار المعمّرين من المبالغة والتهويل، وما

---

(١) انظر ابن الكلبي: **الأصنام** ٣٠، وابن هشام: **السيرة النبويّة** ١: ٨٧ ـ ٨٨، والسهيلي: **الروض الأنف** ١: ١٠٨، وياقوت: **معجم البلدان** (رُضاء)، والبغدادي: **الخزانة** ١: ٥٤.

(٢) البَلَوي: **ألِف با** ٢: ٨٨.

(٣) أنظر ابن سلاّم: **طبقات فحول الشعراء** ١: ٣٣.

(٤) أنظر الرازي: **الزينة** ١: ٣٥.

(٥) أنظر السيوطي: **المُزهِر**: ٢: ٤٧٥.

(٦) أنظر السجستاني: **المعمّرون** ١٢ ـ ١٣، والشريف المُرتَضى: **أمالي المُرتَضى** ١: ٢٣٤ ـ ٢٣٥ والبلوي: م.س ٢: ٨٨.

شابها من الأساطير والخرافات والسخافات، أصاب أخبار شاعرنا، وشابها. ومن هذه الأخبار ما نقرؤه في **أمثال العرب** للضبيّ من قصّة تفيد بأنّ رجلاً يقال له عامر قد خدعه صديق له عن زوجه، وأوهمه أنّ المخدوع هو المُسْتَوغر، ولكنّ المُسْتَوغِر كشف له الحقيقة، وانتهت القصّة بِمَثلٍ قاله المُسْتَوغِر، نصّه: «إنّ المُعافَى غير مَخْدُوع»[1]. وثاني أخبار المستوغر يشير إلى قدومه إلى سوق عُكاظ يقود ابن ابنه أو حفيدَ ابنه، فيظنُّ الآخرون أنّ حفيد المستوغر هو أبٌ للمستوغر أو جَدٌّ له فيصحِّح لهم المستوغر هذا الظنّ، فيتّهمه السامع بالكذب، ويقول له: لو كنت المستوغر ما كذبتَ كهذه الكذبة، فيقول لهم إنّني المستوغر حقًّا...[2]

أمّا الخبر الثالث فهو، دون أدنى رَيب، من الأخبار المصنوعة التي اختلقها وهب ابن مُنَبِّه في كتاب **التِّيجان في ملوك حِمْيَر**، وفي ثناياه تخليط وانتعال واضطراب ممّا يدفعنا إلى الإحجام عن السرد الحَرفي له... ولكنّنا نذكر منه، مثلاً، أنّه ينفرد بتسمية شاعرنا باسم سالِم بن مِنْقَر بن سَعْد بن زَيد مَناة بن تميم... وهي تسمية تخالِف الإجماع... ثمّ إنّه يجعل موت أبناء أبي ذؤيب، الذي شهده المستوغِر يتمّ في عَهْدِ عامِر ابن الظرب، وعهد النعمان بن امرئ القيس بن عَمْرو بن عَدِي، أي في القرن الخامس، أو الرابع الميلاديّ، وهذا كلّه مرفوضٌ تاريخيًّا، ومن غير المعقول ـ كما قدّمنا ـ أن يكون عامر بن الظرب قد عاصر النعمان بن امرئ القيس بن عمرو بن عدي. ثمّ إنّ الخبر ذاته يزعم أنّ بني أَسَد، هم الذين قتلوا أبناء أبي ذؤيب الهُذَلِي، والثابِت، تاريخيًّا، أنّ أبناء أبي ذُؤَيْب ماتوا بالطاعون بعد الإسلام، فرثاهم أبوهم، وهو شاعر مُخَضرَم، بعينيّته البديعة المعروفة[3]. وكذلك ساق صاحب الخبر عبارات نثريّة تعلوها مِسْحَةُ الافتعال والابتذال على لسان المستوغر، منها، مثلاً: «أيّها الأَمَلاء: مَن أنصف من نفسه حَمَدَ عاقِبةَ أمرِهِ، ومَن لم ينصف من نفسِهِ ضلَّت حكمتُه، ومَن مارس الأمور حكَّمته، ومَن جارى الأحقابَ أفنَتْهُ، ومَن قامرَ الدهورَ قَمَرَته، رأتني الأيّام من حيث لا أراها، ذهب الطربُ، وبقي الجَربُ، لا بُدَّ من دعوة الداعي وإجابة المُجيب، فقال شعرًا:

---

(1) أنظر الضبي: **أمثال العرب** ٤٩، والميداني: **مجمع الأمثال** ٢: ١٩٧.

(2) أنظر ابن قتيبة: **الشعر والشعراء** ١: ٣٨٥، والمرزباني: **معجم الشعراء** ٢٤، وابن حجر: **الإصابة** ٣: ٤٩٢.

(3) أنظر السكّري: **شرح أشعار الهُذَليّين** ١: ٣، وابن قتيبة: م. س ٢: ٦٥٣. والأنباري: **شرح المُفضّليّات** ٨٤٩ ـ ٨٥٠.

ولقد سَئِمْتُ مِنَ الحياةِ وطُوْلِها   وعَمَرْتُ منْ عَدَدِ السنين مِئِيْنا»[1]

وبهذا نكون قد استوفَينا ما أصبنا للمستوغر من أخبار فيما عُدنا إليه من المصادر.

شعره

لم تذكر مصادرنا أنّ عالمًا قديمًا نهض بصنع شعر المُستوغِر، أو بجمعه، ويبدو أنّه كان قليلاً بين أيديهم، كما هو قليل بين أيدينا. وقد تصدّى لجمع هذا الشعر، في أيّامنا باحثان اثنان هما الدكتور صلاح كزارة، والدكتور عبد الحميد محمود المعيني. واتّفق أن ظهر هذان الجهدان في عام واحد، هو عام ١٩٨٢[2]. وأسفر جهد الدكتور كزارة عن جمع (١٥) بيتًا للمستوغِر، وانتهى جُهد الدكتور المعيني إلى جمع (١٢) بيتًا للمستوغر.

أمّا شِعره عندنا فقد بلغ (٢٧) بيتًا. وهو قسمان، منه ما هو للمستوغِر حقًّا، ومنه ما هو منسوب إليه وإلى غيره من الشعراء. وقد توسّعنا في تخريج هذا الشعر، ففي حين خرّج الدكتور المعيني مثلاً بيت المستوغِر:

يَنِشُّ الماءُ في الرَّبَلاتِ مِنهُ   نَشِيْشَ الرضْفِ في اللَّبَنِ الوَغِيْرِ

من عشرة مصادر، خرّجناه من ثمانية عشر مصدرًا.

أمّا أخبار المستوغِر ذاتها، فلم يعرض لها الدكتور كزارة، وهذا ليس من شرط كتابه، في حين كتب عنها الدكتور المعيني ستّة عشر سطرًا فقط[3].

والأمر الأخير الذي لم يطرقه الباحثان معًا، هو مسألة توثيق شعر المستوغِر، فقد سبق أن أشرنا إلى أنّ شعراء أُخَر ينازعون شاعرنا نسبة أبيات معيّنة... ومن ذلك مقطوعتان، أبياتهما (١٢) بيتًا. ومن الصعوبة الجَزم إلى أيِّ شاعر تُعزَيان. بيد أنّ المصادر التي عزت المقطوعة التي تقول:

سَلْنِي أُنَبِّئْكَ بآياتِ الكِبَرْ

---

(١) وهب بن منبّه: **التيجان** ٢٦٢ – ٢٦٣.

(٢) أنظر صلاح كزارة: **شعر تميم في العصر الجاهليّ** – ألمانيا – غوتنجن ١٩٨٢. وعبد الحميد المعيني: **شعر بني تميم في العصر الجاهليّ** – السعوديّة، بريدة ١٩٨٢.

(٣) أنظر المعيني: م. س ٤٤ – ٤٥.

إلى غير المستوغِر، أكثر من تلك التي عزتها له، إذ إنّ صاحب **العقد الفريد** وحده، هو الذي عزاها إلى شاعرنا، الذي جعله أيضًا معاصرًا لِمعاوية بن أبي سُفيان[1]. وهذا أمر يميل بنا إلى تضعيف عزوها للمستوغِر.

أمّا المقطوعة الثانية، فهي قوله:

إذا ما الْـمَـرْءُ صَمَّ فـلَـمْ يُـنـاجَـى ... وأوْدَى سَـمْـعُـهُ إلاَّ نِـدايَـا

فقد نسبها ابن سلاّم، والبحتري، والشريف المُرتضى، إلى المستوغِر. ونسب بعضها ابنُ السكِّيت إلى شاعرنا. في حين عزاها عبد السلام البصري لعَشْكلان بن كواهِن الحِمْيَري، ورواها الأصمعي لأعْصُر بن سَعْد بن قَيْس عَيْلان[2]. وكثرةُ الرُّواةِ الذين عَزَوْها للمستوغِر تميل بنا إلى أن نعدَّها له.

أمّا الشعر الآخر الذي لا خلافَ في عَزوه للشاعر، وهو أربعُ قِطَع، فإنّنا نتّهم منه قطعة جاءتنا من **كتاب التيجان** لوَهب بن مُنَبّه. وفي تلك القطعة يُروَى للمستوغِر:

وما كـلُّ ذِي لُـبٍّ يُـعـاشُ بِـعَـقْـلِـهِ ... ولـكـن إذا قـادَ الأمـورَ حَـكِـيْـمُـهـا

وهي سبعة أبيات، وانفراد صاحب **التيجان** برواية هذه القصيدة، بالإضافة إلى ما تقدَّم من حديث عن طبيعة الشعر في هذا الكتاب، يَحفزاننا على اتِّهامها. ويؤيِّد الشكَّ في هذه القصيدة، المناسبة الغريبة التي جعلها وَهب بن مُنبِّه تتقدَّمُ الأبيات، وهي مناسبة لم نجد ما يؤيِّدها، وفيها يزعم أنّ بني أسد، هم الذين قتلوا أبناء أبي ذُؤَيْب الهُذَلي. والإجماع يكاد يكون منعقدًا على أنّ أولاد أبي ذُؤَيْب ماتوا بالطاعون في مِصْر بعامٍ واحد. أمّا أبو ذُؤَيْب نفسه فقد توفّي ـ كما تقول المصادر ـ في مصر في زمن عثمان ابن عفّان[3].

هذا أمر، والأمر الآخر الذي يشجِّع على اتِّهام القصيدة هو الغَثاثة والركاكة ومسحة الافتعال الصارخة في أبياتها، ومثال ذلك قوله:

وقَدْ يَـتَّـقِـي المَظْـلومُ من ذِي ظُـلامةٍ ... بـعَـيْـرٍ هُـمـامٍ، أو يُـطـاعُ ظـلـومُـهـا

---

(١) إبن عبد ربّه: **العقد الفريد** ٣: ٥٣ ـ ٥٤.

(٢) أنظر ابن منظور: **اللسان** (حما).

(٣) أنظر السكّري: **شرح أشعار الهذليّين** ١: ٣، وابن قتيبة: **الشعر والشعراء** ٢: ٦٥٣، فما بعدها، والأنباري: **شرح المفضّليّات** ٨٤٩ ـ ٨٥٠ والتبريزي: **شرح اختيارات المفضّل** ٣: ١٦٨١.

وما سَقَطَتْ يومًا من النّاسِ أُمَّةٌ إلى الذلِّ إلاَّ أن يسودَ ذَميمُها
إذا سادَ فيها بَعْدَ ذلٍّ لَئِيمُها تَصَدَّى لَهُ ذلٌّ وقُدَّ أديمُها

فالتأمّل السريع في أسلوب هذا الشعر ولغته ومعانيه، كافٍ لاتّهامه وتصنيفه إلى جانب الشعر الذي يُجافي نسجه وأَسْرُهُ الشِّعْرَ الجاهليّ الأصيل.

ومن الملائم أن نشير أيضًا إلى أنّ صاحب **التيجان** ـ فيما يبدو ـ تزيَّد في رواية بيتين من المقطوعة رقم (٤) من شعر المُستوغِر، هما:

هَلْ تَرْقُبُ الأرواحُ إلاَّ ساعةً تَلْقَى سَقامًا عِنْدَها ومَنُوْنا
فانظُرْ لِما قَدَّمْتَ سوفَ تَزُوْرُهُ حَتْمًا وتُمْسِي عندَهُ مَرْهُونًا

«فَلْغَةُ» هذين البيتَين باعثة على الشكّ فيهما. ولكن هذا الشكّ قد لا ينسحب على مجموع أبيات هذه المقطوعة الخمسة، لأنّ الثلاثة الأولى منها رُويت للمُستوغِر عند كثير من المصنِّفين، كابنِ هشام، وابن سلاَّم، والسجستاني، والرازي، والمرزوقي، والأصفهاني، والبلوي، وابن كثير، وابن حُجْر[١]. وإذا كان ابن هشام، والسهيلي، والبلوي، وابن كثير، قد قالوا: إنّها تُروى أيضًا لزهير بن جناب، فإنّ البحتري نسب البيتَين الأوَّلين منها إلى المستوغِر، وكذلك فعل السيوطي في **المُزهِر**. أمّا البيت الثالث، فقد رواه الأشناندانى (٢٨٨ هـ ـ ٩٠٠ م) للمُستوغِر في **معاني الشعر**، ولهذا فالظنّ الغالِب أنّ الأبيات الثلاثة من المقطوعة رقم (٤)، هي لشاعرنا المُستوغِر بن ربيعة.

وها نحن الآن نسوق أبيات المُستوغِر التي عثرنا بها في مصادرنا، بعد أن رَصَدْنا رواياتِها، وشرحنا غريبَها، وعالجنا مشكلاتِها، وخرَّجناها بالكامل:

شِعر المُستوغِر بن رَبيعة السعدي التميمي

(١)

في الأصنام (٣٠): (الوافر)

١ ـ يَنِشُّ الماءُ في الرَّبَلاتِ مِنْها نَشِيْشَ الرَّضْفِ في اللَّبَنِ الْوَغِيْرِ[٢]

(١) أنظر تخريج المقطوعة (٤) من شعر المستوغر الوارد بعد صفحات.

(٢) في الروض الأنف: «الرَّبلاتِ منهُ... نَشيشَ». ونَشَّ الماءُ نشّاً ونَشِيْشًا: صَوَّتَ عندَ الغَلَيان أو الصَّبّ. والرَّبَلاَت: مفردها رَبْلَة، ورَبَلَة. وفي اللسان قال الأصمعي: «والتحريك أفْصَح» ـ اللسان (ربل). والربلة: كلّ لحمة غليظة. وقيل: هي باطِن الفخذ، وقال ثعلب «الرَّبَلات أُصُول الأفخاذ» ـ =

(٢)

في التيجان (ط صنعاء) (٢٦٣ ـ ٢٦٤)[1]: (الطويل)

١ ـ وما كُلُّ ذِيْ لُبٍّ يُعاشُ بِعَقْلِهِ ولَكِنْ إذا قادَ الأُمُوْرَ حَكِيْمُها[2]

٢ ـ بِرَأْيِ ذَوِي الأَلْبابِ في الأمرِ يُهْتَدَى وهَلْ يُبْرِمُ الآراءَ إلاَّ عَلِيْمُها[3]

٣ ـ وَقَدْ يَتَّقِي المَظْلُومُ مِنْ ذِي ظُلامَةٍ بِعَيْرٍ هُمامٍ أَوْ يُطَاعُ ظَلُوْمُها[4]

٤ ـ وما سَقَطَتْ يومًا منَ النَّاسِ أُمَّةٌ إلى الذُّلِّ إلاَّ أَنْ يَسُوْدَ ذَمِيْمُها[5]

٥ ـ فَعِنْدَكَ مِنْ هذا وذاكَ مُناهُمَا فَهَذَا لَهُ حَظٌّ، وذاكَ سَقِيْمُها[6]

٦ ـ وما قادَها لِلْخَيْرِ إلاَّ مُجَرِّبٌ عَلِيْمٌ بإقْبالِ الأمورِ كَرِيْمُها

٧ ـ إذا سادَ فيها بعدَ ذُلٍّ لَئِيْمُها تَصَدَّى لَهُ ذُلٌّ وقُدَّ أَدِيْمُها[7]

(٣)

في الأصنام (٣٠): (الكامل)

١ ـ وَلَقَدْ شَدَدْتُ على رُضاءِ شَدَّةً فَتَرَكْتُها قَفْرًا بِقاعٍ أَسْحَمَا[8]

= اللسان (ربل). والرضف: الحجارة المُحمَّاة التي تُحَمَّى وتُطرَح في اللبن ليجمد، واحدتُها رَضْفة. والوَغير: اللبن الذي تُرْمَى فيه الحجارة المُحمَّاة ثمّ يشرب، وخَصَّص ابن قتيبة المعنى، فقال: «الوغير: اللبنُ ساعةَ يُحْلَب» ـ المعاني الكبير ٨ ـ ٩ .

(١) جعل صاحب التيجان مناسبة هذه الأبيات مقتل بني أسد لأولاد أبي ذُؤَيْب الهذلي. وهي مناسبة غريبة لم أجد ما يؤيِّدها في أيٍّ من المصادر التي عُدْت إليها ـ أنظر شرح أشعار الهُذَليِّين ١: ٣، والشعر والشعراء ٢: ٦٥٣ فما بعدها، وشرح المفضَّليَّات للأنباري ٨٤٩ ـ ٨٥٠، وشرح اختيارات المفضَّل للتبريزي ٣: ١٦٨١ . والقصيدة من الشعر المتَّهم.

(٢) اللبُّ: العَقْل.

(٣) أبْرَمَ الأَمْرَ: أحْكَمَهُ، وأصلُهُ أبْرَم الحَبْلَ، إذا جَعَلَهُ طاقَيْن ثمَّ فَتَلَهُ.

(٤) الظُّلامة: اسم مَظْلَمَتِكَ التي تطلبها عند الظالِم. والعَيْر، هنا: السيِّد والملك. والهُمام: السيِّد الشجاع السَّخِيّ. والظلوم: مبالغة اسم فاعِل لظالِم.

(٥) الذَّمِيْم: المَذْمُوْم والقَبيح، وهو على وزن فَعِيْل الذي بمعنى مَفْعُول.

(٦) في التيجان: «فعندَك عن هذا وذاكَ ما هما». وهي رواية غامضة ومُخِلَّة بوزن البيت، لذا أثبتُّ ما هو أقرب إلى إصلاح البيت.

(٧) قُدَّ: قُطِع. والأديم: الجِلْد أو ظاهِرُه، وقِيل: باطِنُه. وأدِيْمُ كلِّ شيءٍ ظاهِر جلده.

(٨) في الأصنام: «فتَرَكْتُها تَلاًّ تُنازِعُ أَسْحَمَا». وأثبتُّ رواية سائر المصادر. ورُضاء: صَنَمٌ وبيتٌ كان لبني ربيعة بن كَعْب بن سَعْد بن زَيْد مَناة، وقد هَدَمها المُسْتَوْغِر. والقاع: المنخفض من الأرض. والأسْحَم: الأسْوَد.

٢ ـ وَدَعَوْتُ عَبْدَاللهِ في مَكْروهِها ... ولِمثْلُ عَبْدِاللهِ يَغْشَى الْمَحْرَمَا[١]

(٤)

في التيجان (٢٦٣)[٢]: ... (الكامل)

١ ـ وَلَقَدْ سَئِمْتُ مِنَ الْحَياةِ وطُوْلِها ... وعَمَرْتُ من عَدَدِ السِّنِيْن مِئِيْنَاْ[٣]

٢ ـ مِئةٌ أَتَتْ منْ بَعْدِها مئتانِ لِيْ ... وازْدَدْتُ مِنْ عَدَدِ الشُّهُوْرِ سِنِيْنَاْ[٤]

٣ ـ هل ما بَقَى إلاَّ كما قَدْ فاتَنا ... يَوْمٌ يَمُرُّ، ولَيْلَةٌ تَحْدُوْنا[٥]

٤ ـ هَلْ تَرْقُبُ الأرْواحُ إلاَّ ساعةً ... تَلْقَى سَقامًا عِنْدَها ومَنُوْنا[٦]

٥ ـ فانظُرْ لما قدَّمْتَ سَوْفَ تَزُوْرُهُ ... حَتْمًا وتُمْسِي عِنْدَه مَرْهُونَاْ

(١) في الروض الأنف، والبداية والنهاية: «وأعانَ عَبْدَ اللهِ... وبمثل عبدِ اللهِ أغْشَى المَحْرَما». وفي معجم البلدان: «وأعان عبدُ الله... وبمثل عبدالله أَغْشَى مَحرَما». وغَشِيَهُ يَغْشاهُ غَشَيانًا: جاءَهُ وغَشِي الشيءَ إذا لاَبَسَهُ، والمَحْرَم: المكان ذو الحُرْمة والمَهابة.

(٢) قال وَهْب بن مُنَبِّه في مناسبة هذه الأبيات: «وكرهت العربُ فِعْلَ بني أسد، وعظم عليهم قَتْلُ بني أبي ذؤيب ظُلْمًا، فقام المستوغر الأكبر، فقال شِعرًا (الأبيات)». والأبيات من الشعر المتَّهم.

(٣) في طبقات فحول الشعراء، والمُزْهِر: «وطولِها... وازْدَدْتُ مِنْ». وفي الأزمنة والأمكنة: «وطولِها... وازدَدْتُ منْ عَدَدِ السِّنين سِنِيْنا». وفي محاضرات الأدباء: «من بَعْدِ السنين». وعَمَرَ الرجلُ يَعْمَرُ ويَعْمُرُ ويَعْمِر عاش، وبقي زمنًا طويلاً.

(٤) في التيجان، والمعمَّرون، وألِف با، والبداية والنهاية: «مِئَةٌ حَدَثْتها بَعْدَها مئتانِ لِيْ». وأثبتُّ رواية سائر المصادر. وفي حماسة البحتري: «مئةٌ مَضَتْ لي مِنْ بَعْدِها... وازْدَدْتُ». وفي الزينة: «مئةٌ أَتَتْ مائتان لي من قبلها... وازْدَدْتُ». وفي محاضِرات الأدباء: «مئةٌ جُزْتُها بعدَها مئتان لِيْ... وازْدَدْتُ» وفيها تحريف وإخلال بالوزن. وفي الأزمنة والأمكنة: «لِيْ... وأَزْدُت منْ عَدَدِ الشُّهورِ مِئِيْنا». وفي «أردتُ» تصحيفٌ وسَقْط.

(٥) في الإصابة: «قَدْ فاتَنِي... يَوْمٌ». وحَدَا يحدو حَدْوًا: تَبِع. وقال الأشنانداني: «وبَقَا: لُغَةٌ طائيّة، ويقولون بقا، وما فنا. وقد تكلَّمت بها غير طيِّئ من العرب، قال المستوغِر، وهو سَعْدِي: (البيت)» ـ معاني الشعر ١٣٩.

(٦) تَرْقُبُ: تنتظر. والسَّقام والسُّقْم: المَرَض.

ما يُنْسَب إلى المُستوغِر - وإلى غيره من الشعراء

(١)

في العقد الفريد (٣: ٥٣ - ٥٤)[1]: (الرَّجَز)

١ - سَلْنِي أُنَبِّئْكَ بآياتِ الكِبَرْ[2]
٢ - نَوْمُ العِشاءِ وسُعالٌ بالسَّحَرْ[3]
٣ - وقِلَّةُ النَّوْمِ إذا اللَّيْلُ اعْتَكَرْ[4]
٤ - وقِلَّةُ الطُّعْمِ إذا الزَّادُ حَضَرْ[5]
٥ - وسُرْعَةُ الطَّرْفِ وتَحْمِيجُ النَّظَرْ[6]
٦ - وتَرْكُكَ الحَسْنَاءَ في قُبْلِ الطُّهُرْ[7]
٧ - والنَّاسُ يَبْلَوْنَ كما يَبْلَى الشَّجَرْ

(١) قال ابن عبد ربّه في مناسبة الأبيات: «دخل المستوغر بن ربيعة على معاوية بن أبي سفيان وهو ابن ثلاثمائة سنة، فقال: كيف تجدكَ يا مُسْتَوغِر؟ فقال: أجدني يا أمير المؤمنين قَدْلانَ منّي ما كنتُ أُحِبُّ أن يشتدَّ، واشتدَّ منّي ما كنتُ أحبُّ أن يلين، وابيضَّ منّي ما كنتُ أُحِبُّ أنْ يَسْوَدَّ، واسْوَدَّ منّي ما كنتُ أُحِبُّ أن يَبْيَضَّ، ثمّ أنشأ يقول: (الأبيات)» وورد الخبر ذاته في البيان والتبيين، فعُزِيَت الأقوال والأشعار إلى الهَيْثَم بن الأَسْوَد بن العُرْيان. وفي عيون الأخبار نُسب أولئك إلى العُريان بن الهيثم. وفي الفاضل إلى الهيثم بن الأسود، وفي الإصابة إلى الهيثم بن الأسود أيضًا. أنظر البيان والتبيين ١: ٣٩٩، وعيون الأخبار ٢: ٣٢١، والفاضل: ٧٠ - ٧١، والإصابة ٣: ٦٢١.

(٢) في الحيوان، والإصابة: «إسْمع أُنَبِّئْكَ». وفي البيان والتبيين: «سوف أُنَبِّيكَ». وفي حماسة الظرفاء: «لا أنبّيكَ».

(٣) السَّحَر والسُّحْر: آخر الليل وقُبَيل الصُّبْح.

(٤) إعتكر الليل: اشتدَّ سوادُه.

(٥) الطعم: الطعام.

(٦) في (الحيوان) «وسرعة الطَّرْفِ، وضَعْفٌ في النظر». وتَحْمِيجُ النَّظَر: تصغير العين للتمكُّن من النظر.

(٧) في البيان والتبيين، والحيوان، والفاضل: «وتركيَ الحسناءَ». وفي حماسة الظرفاء: «وتركيَ الحسناءَ في وَقْتِ السحر» وقُبْل وقُبُل: نقيض الدُّبْر والدُّبُر. والطُّهُر: نقيض النَّجاسة، وهو عند المرأة، وفي هذا البيت، فترة انقطاع الطَّمث.

(٢)

في طبقات فحول الشعراء (١: ٣٤ ـ ٣٥)[١]: (الوافر)

١ ـ إذا مَا الْمَرْءُ صَمَّ فَلَمْ يُناجَى وأوْدَى سَمْعُهُ إلاَّ نِدَايَا[٢]

٢ ـ ولاعَبَ بالْعَشِيِّ بني بَنِيْهِ كِفعْلِ الْهِرِّ يَحْتَرِشُ الْعَظَايَا[٣]

٣ ـ يلاعِبُهُمْ وَوَدُّوا لَوْ سَقَوْهُ مِنَ الذِّيْفانِ مُتْرَعَةً مِلاَيَا[٤]

٤ ـ فَلاَ ذَاقَ النَّعِيْمَ ولا شَرابًا ولا يُشْقَى مِنَ المَرَضِ الشِّفَايَا[٥]

---

(١) روى ابن سلاّم الأبيات الأربعة الأولى للمُسْتَوْغِر عن عبدالله بن مَيْمُون المرّي. وأضفْتُ البيتَ الخامسَ عن معجم الشعراء ٢٣. وتُروى الأبيات أيضًا لِعَثْكلان بن كواهِن الحميري، ولأَعْصُر بن سَعْد بن قَيْس عَيْلان ـ انظر التخريج.

(٢) في إيضاح الوَقْف والابتداء: «إذا ما الشيخ صَمَّ... ولَمْ يَكُ سَمْعُهُ». وفي أمالي المرتضى: «فلم يَكلَّمْ... وأوْدَى». وفي القوافي للتنوخي، وما يجوز للشاعر، واللسان (حما): «فلم يُكلَّمْ.. وأعْيَا سَمْعُهُ» وفي حماسة البحتري: «فلم يُكلَّم... إلاَّ نِداءً» وجعل البحتري الرويَّ كُلَّه مَهْمُوزًا. وصَمَّ يَصَمُّ، وصَمِمَ بإظْهار التضعيف، وهو نادِر: لم يَسْمَع. وأوْدَى سَمْعُه: ذَهَب وهَلِك. والندايا: أراد النداء، فقلب الهَمْزة ياءً لوقوعها بين أَلِفَيْن ـ أنظر القوافي للتنوخي ١٢٤، والنهاية في غريب الحديث ٢: ١٧٤، واللسان (حما). وقال ابن الأثير في النهاية في هذا القلب: إنّه شاذٌ وإثبات الشاعر للألِف المقصورة في «يُناجَى» ضرورة ـ أنظر ضرائر الشعر ٣٢ فما بعدها.

(٣) في اللسان: «ولاعَبَ بالعَشِيِّ بَنِيْها» وهو ناقص ومَكْسور. وفي القلب والإبدال: «يَنْتَهِسُ العَظَايا». وفي ما يجوز للشاعر: «يَلْتَمِسُ العَظايا». وفي النهاية في غريب الحديث: «يَفترسُ العَظايا». وقال الشريف المُرْتَضَى شارِحًا: «قولُهُ يَحْتَرِشُ العَظَايا، أي يَصِيْدُها. والاحتراش أن يقصد الرجل إلى حجْرِ ضبٍّ فيضربه بكفّه ليحسبه الضبُّ أفعى، فيخرج إليه فيأخذه، يقال حرشْتُ الضَّبَّ واحْتَرَشْتُهُ» أمالي المرتضى ١: ٢٣٥. والعظايا: قال ابن الأثير: «هي جَمْعُ عظاءَة، وهي دُوَيْبة مَعْرُوْفة وقيل: أراد بها سامَّ أبرَص، ويقال للواحدة أيضًا عَظَاءَة، وجَمْعها عَظاء» ـ النهاية في غريب الحديث ٣: ٣٦٠.

(٤) في النهاية في غريب الحديث، واللسان: «يُفَدِّيْهم وَوَدُّوا». وفي ما يجوز للشاعر: «مُتْرَعة إنايا». والذِّيْفان: السُّمّ القاتِل. والمُتْرَعة: أراد كُؤُوْسًا مَمْلُوءَة. مَلاْيا: أي مَلاءً، فقلَبَ ياءً كما في سائر الأبيات.

(٥) في الخصائص (٢: ٣٧٦)، وما يجوز للشاعر:

فَأَبْعَدَهُ الإلهُ ولا يُؤَبَّى ولا يُعْطَى مِنَ المَرَضِ الشِّفَايَا

وفي اللسان (ثمن):

فَأَبْعَدَهُ الإلهُ ولا يُؤَتَّى ولا يُشْفَى مِنَ المَرَضِ الشِّفَايَا

وفي الخصائص (١: ٢٩٢)، وسرّ صناعة الإعراب: «فأَبْعَدَهُ الإله ولا يُؤَبَّى... ولا» وقال ابن جنّي في سرّ صناعة الإعراب: «وأخذه عَلَيَّ أبو عليّ وقتَ قراءتي تصريف أبي عثمان عليه، فقال: ولا يُشْفَى».

وفي القوافي للتنوخي:

فَلاَ تَظْفَرْنْ يَداهُ وَلا يَؤُوْبَنْ ولا يُعْطَى مِنَ المَرَضِ الشِّفايا

وفي القَلْب والإبدال (ضمن الكنز اللغوي):

فَلاَ ظَفِرتْ يَداهُ ولا يُؤَبَّى ولا يُشْفَى مِنَ الدَّاءِ الشِّفَايَا =

٥ ـ فـذاكَ الْـهَــمُّ لَـيْـسَ لَـهُ دَواءٌ   سِوَى الْـمَـوْتِ المُنَـطَّـقِ بالْـمَـنَـايَـا[1]

تخريج شعر المُستوغر بن رَبيعة السعدِي

(١)

١ في الأصنام ٣٠، وألقاب الشعراء ٣٠٤، والمعمّرون ١٣، والشعر والشعراء ١: ٣٨٤، والمعاني الكبير ٨، وجَمهرة اللغة ١: ٢٧٦، و٢: ٣٦٤، ٣٩٧ والاشتقاق ٢٥٢، ولطائِف المعارف ٢٧، وأمالي المُرتضى ١: ٢٣٤، وكتاب الضاد والظاء لأبي الفَرَج النحوي (في مجلّة المورد ـ مج ٨، ع ٢، ١٩٧٩ ص ٢٩٧)، وتثقيف اللسان ١٣٤، والروض الأنف ١: ١٠٩، واللسان، والتاج (وغر) و(ربل)، معجم البلدان (رضاء) للمستوغر بن ربيعة. وفي المُبهج ١٣٦، والصحاح (وغر) دون عزو.

(٢)

١ ـ ٧ في التيجان وملوك حمير ٢٦٢ ـ ٢٦٣ للمستوغر بن ربيعة.

(٣)

١ ـ ٢ في الأصنام ٣٠، والسيرة ١: ٨٧، والروض الأنف ١١٠ ـ ١١١، ومعجم البلدان (رضاء)، والبداية والنهاية ٢: ١٩٢، والخزانة ١: ٥٤ (ط هارون) للمستوغر بن ربيعة.

١ في ألِف با ٢: ٨٨ للمستوغر بن ربيعة.

(٤)

١ ـ ٥ في التيجان ٢٦٣ للمستوغر بن ربيعة.

١ ـ ٣ في السيرة ١: ٨٨، وطبقات فحول الشعراء ١: ٣٣، والمعمّرون ١٢، والزينة ١: ٣٥ والأزمنة والأمكنة ٢: ٢٦٩، وأمالي المرتضى

= وفي حماسة البحتري: «ولا يَبَابَا... ولا يَلْقَى منَ الْمَرَضِ الشّفاءَ». وعلّقَ الأب لويس شَيْخو على هذه الرواية بقوله: «والصواب يُبَأْبَأُ مُضارعَ بَأْبَأَ المجهول أي يقال له: بِأَبِي أَنتَ» ـ الحماسة ٣١٤. وفي أمالي المُرْتَضى: «ولا يُشْفَى بِنَ» وفي اللسان (حما): «ولا يُعْطَى بِنَ».

(١) أَضَفْتُ هذا البيت عن معجم الشعراء ٢٣. وهو في الإصابة: «فَذَاكَ الدَّاءُ لَيْسَ... المُنَطَّق بالرَّزايا». والمُنَطَّق: الذي شُدَّ على خاصرته بالحزام، أراد المُحَزَّم والمَحُوط بالمنايا.

١: ٢٣٤، والروض الأنف ١: ١٠٩، ومحاضرات الأدباء ٣: ٣٣٢، وأَلِف با ٢: ٨٨، والبداية والنهاية ٢: ١٩٣، والإصابة ٣: ٤٩٢، للمستوغر بن ربيعة. وأشير في السيرة، والروض الأنف، وأَلِف با، والبداية والنهاية، إلى أنّ هذه الأبيات تُروى لزهير بن جناب الكلبي أيضًا.

١ ـ ٢ في حماسة البحتري ١٠١، والمزهر ٢: ٤٧٥ للمستوغر.

٣ في معاني الشعر ١٣٩ للمستوغر.

ما يُنْسَب إلى المستوغر، وإلى غيره من الشعراء

(١)

١ ـ ٧ في العقد الفريد ٣: ٥٣ ـ ٥٤ للمستوغِر بن ربيعة. وفي البيان والتبيين ١: ٣٩٩ للهَيْثَم بن الأَسْود بن العَرْيان، وزاد قبل البيت الأخير:

وحذرًا أزدادُهُ إلى حَذَرْ

وفي الحيوان ٥: ٤٩ دون عزو، وزاد الشطر السابق أيضًا قبل البيت الأخير. وفي عيون الأخبار ٢: ٣٢١ للعريان بن الهيثم.

١، ٣، ٤، ٦، ٧ في الفاضل ٧٠ ـ ٧١ للهيثم بن الأسود. وزاد عليها هذه الأبيات:

تَـقـارُبُ المَشْـيِ وضَـعْـفٌ فـي البَـصَـرْ
وكـثـرةُ الـنـسـيـانِ فـيـمـا يـذَّكَـرْ
فـهـذه عـلامـات آيـاتِ الـكِـبَـرْ

١، ٣ في الإصابة ٣: ٦٢١ للهَيْثَم بن الأَسْوَد النَّخْعِي.

١، ٤، ٦، ٧ في حماسة الظرفاء ٢: ٢٦ ـ ٢٧ للهيثم بن عريان النخعي.

(٢)

١ ـ ٤ في طبقات فحول الشعراء ١: ٣٤ ـ ٣٥، وحماسة البحتري ٢٠٣، وأمالي المرتضى ١: ٢٣٥ للمستوغِر. وفي حاشية أصل أمالي المرتضى: «قال: قرأت بخطّ عبد السلام البصري رحمه الله أنّ هذه القطعة لعثكلان بن كواهن الحميري». وفي اللسان (حما)

	لأغصُر بن سَعْد بن قيس عَيْلان ـ كما يروي الأصمعي. وفي ما يجوز للشاعر ١٥٨ دون عزو.
١ ـ ٢، ٤، ٥	في القوافي للتنّوخي ١٢٤ دون عزو.
١ ـ ٢، ٥	في معجم الشعراء ٢٣ للمستوغِر.
١، ٥	في الإصابة ٣: ١٠٦ مع بيتَين آخرَين لعَسْكلان بن كواهن الحميري، ولعلّ (عسكلان) مُحَرَّفة عن (عثكلان).
١	في إيضاح الوقف ٣٨٠ دون عزو. وعجزهُ في النهاية في غريب الحديث ٥: ٣٧، ١٧٠ دون عزو.
٢، ٤	في القلب والإبدال (ضمن الكنز اللغويّ) ٥٦ للمستوغِر. وفي سرّ صناعة الإعراب ١: ١٨٣، والخصائص ١: ٢٩٢، ٢: ٣٧٥، واللسان (ثمن) دون عزو.
٢	عجزه في النهاية في غريب الحديث ٣: ٢٦٠ دون عزو.
٣	في النهاية في غريب الحديث ٢: ١٧٤، واللسان (ذيف) دون عزو.

٣١ ـ أَمْرُؤ الْقَيْس بنُ حُمَام، أَوْ جِذَام، أَوْ خِذَام، أو خِدام، الكَلْبِي

هذا الشاعر هو الذي عَناه امرؤ القيس بن حُجْر الكندي في قوله:

عُوْجَا على الطَّلَلِ المُحِيْلِ لأنَّنَا نَبْكِي الدِّيارَ كَمَا بَكَى ابْنُ خِذامِ

ورُوِيَ اسم الشاعر الذي تمثّله امرؤ القيس في بيته: «ابنُ جِذام» و«ابنُ حِمام» و«ابن خِدام»[1]. ويقتضي الإيضاح والتحديد أن نُشير إلى أنّ الآمدي ذكر شعراء أُخَر يقال لهم «ابنُ حُمام»، منهم الحُصَيْن بن الحُمام الْمُرِّي، وأُبَيّ بن حُمام العَبْسِي، وابنُ حُمام الأزدي[2].

(١) أنظر ديوان امرئ القيس ١١٤، وحَمْزَة الأصفهاني: التنبيه على حدوث التصحيف ٩٠ ـ ٩١، والعسكري: شرح ما يقع فيه التصحيف والتحريف ١: ٢٦٠ ـ ٢٦٣، والبغدادي: خزانة الأدب ٤: ٣٧٦ ـ ٣٧٨.

(٢) أنظر الآمدي: المؤتلف والمختلف ١٢٦ ـ ١٢٧.

وامرؤ القيس بن حُمام الكَلبي هو أحد عشرة شعراء مَرَاقِسة ذكرهم الآمدي مُفْتَتِحًا بهم كتابهُ: **المؤتلف والمختلف**، وهم أربعة من كِنْدة، وثلاثة من كَلْب، وثامِن من بني عامِر، وتاسِع من تَغْلِب، وعاشِر من حِمْيَر. وأزمانهم تتوزّع ما بين الجاهليّة والخَضْرَمة والإسلام[1].

ودفعًا لِلَبْسٍ قد يقع، ينبغي أن نُفرّق أيضًا بين شاعرنا، وشاعر آخر قديم، يُدعى «ابن حِذِيم»، وليس ابن حِذام. فقد نقل البغداديّ (١٠٩٣ هـ ـ ١٦٣٣ م) عن ابن الأثير في **المُرَصَّع** قوله: «ابن حِذِيْم شاعر في قديم الدهر يُقال إنّه كان طبيبًا حاذِقًا يُضْرَبُ به المثلُ في الطبِّ فيقال: أَطَبُّ بالكَيِّ من ابن حِذِيم، وسمّاه أوس حِذِيمًا ـ يعني أنّه حذف لفظ ابن ـ فقال:

عـلـيـمٌ بمـا أَعْـيَـا الـنـطـاسـيَّ حِـذِيْـمـا

ويُقال ابن حَذَام أيضًا، وإنّه أوّل مَن بكى من الشعراء في الديار... أقول: جميع من ذكر ابن حَذَام الشاعر، لم يقل إنّه ابنُ حِذِيم الطبيب»[2].

ولهذا، فلا صحّة لِمَا ذَكَرَ مُحِبُّ الدين أفندي في كتابه **تنزيل الآيات على شواهد الأبيات**، من أنّ ابن خِذام الذي ذكره امرؤ القيس في شعره: «كان طبيبًا حاذِقًا وفي المثل: أَطَبُّ بالكيِّ من ابنِ خِذام»[3].

ورغم ما تقدَّم فإنّ اضطرابًا كبيرًا آخَر أصاب أخبارَ شاعرنا، فثمّة خِلافٌ في اسمه الأوّل، واسم أبيه، وانتمائه القبليّ، وبعض أخباره الأخرى، وفي شعره.

وتكاد المصادر تجمع على أنّ اسمه امرؤ القيس. ولكن ابن سعيد الأندلسي نقل عن كتاب **واجب الأدب** أنّ عمْرو بن حِذام هو الذي عَناهُ امرؤ القيس الكندي في قوله: «نبكي الديار كما بكى ابنُ حِذام»[4].

وهذا خبرٌ مَدخول مَدفوعٌ، بأدلّة ستأتي بعد قليل.

---

(١) الآمدي: م. س ٥ ـ ٩.

(٢) البغدادي: **خزانة الأدب** ٤: ٣٧٦. ورواية البيت في ديوان **أوس بن حَجَر** ص ١١١.

فـهَـلْ لـكـمْ فـيـهـا إليَّ فـإنّـنـي ... طَبِيبٌ بما أَعْيَا النِّطاسِيَّ حِذِيْما

وحِذِيْم، رجل من تَيْم الرِّباب، وكان مُتَطَبِّبًا عالمًا.

(٣) الزمخشري: **الكشّاف** ٤: ٥٢٢.

(٤) ابن سعيد الأندلسي: **نشوة الطرب** ١: ١٧٤.

وقد أصابَ الانتماء القبلي للشاعر خَلطٌ آخرُ، إذ ذكر ابنُ سلاَّم، بعد أن ساق بيت امرئ القيس الكندي السابق، أنّ ابنَ حِذام «رجلٌ من طيِّئ لم نسمع شعرَه الذي بكى فيه، ولا شعرًا غير هذا البيت الذي ذكره امرؤ القيس»[1].

وثمّة شِبه إجماع على أنّ شاعرنا هو امرؤ القيس بن حُمام، أو حِذام، أو خِذام، أو خِدام الكلبي. ولعلَّ أوفى نسبٍ له هو الذي ساقه الآمدي، إذ قال: «امرؤ القيس بن حُمام بن مالِك بن عُبَيْدة بن هُبَل بن عبدالله بن كِنانة بن بَكْر بن عوف ابن عُذرة بن زَيدالله بن رُفَيدة بن ثَور بن كَلب بن وَبَرَة»[2].

وهذا الانتساب إلى قبيله (كَلب بن وَبَرة) تؤكّده مصادر أخرى كثيرة[3]. وقد وقف ابن قُتَيْبَة عند الجدّ الثالث للشاعر، فقال، هو امرؤ القيس بن الحارثة بن الحُمام بن معاوية[4]. ووقف أبو هلال العسكري عند الجدّ الأوّل له، فقال: امرؤ القيس بن حارثة ابن الحُمام[5].

ووقع تصحيف كثير في اسم أبي امرئ القيس هذا، فقال حَمزة الأصفهاني (٣٦٠ هـ ـ ٩٧٠ م): «صحَّف العلماء اسم الشاعر الذي ذكره امرؤ القيس في قوله:

عُوْجَا على الطَّلَلِ المُحِيْلِ لَعَلَّنا نَبْكِي الدِّيارَ كَما بَكَى ابنُ خِدامِ

فسألتُ أبا الحُسَين النسَّابة الأصبهاني عنه فقال: رواه الأصمعي «خِدام»، ورواه أبو عبيدة «خِذام»، ورواه راوٍ «حِذام». وقال أبو عبيدة: وفد علينا وفدٌ من بني جعفر بن كِلاب، فيهم أبو الوثيق، فسألناهُ عنه فقال: قدَّرنا علم ذلك بالحَضَر، ونحن على شكّ في خِدام وحِذام، قُلنا مَن هو؟ قال لا أدري؟ قلنا فمتى بكى الديار؟ قال لا أدري».

وأضاف الأصفهاني: «قال النسَّابة: هو عندي غير مَن ذكروا، لأنّه امرؤ القيس ابن الحُمام بن مالك بن عبيدة بن هبل، ابن أخي زهير بن جناب بن هُبَل الكلبي. وكان يقال له عِدْل الأصرَّة، وروى أعراب كَلْب له أبياتًا يبكي فيها الديار، وذكر علماء كلب

---

(١) ابن سلاّم: طبقات فحول الشعراء ١: ٣٩.

(٢) الآمدي: المؤتلف والمختلف ٧.

(٣) أنظر أبا عُبَيْد: كتاب النَّسب ٣٤٧، والسجستاني: المعمَّرون ٧١، والأصفهاني: التنبيه على حدوث التصحيف ٩١، والعسكري: شرح ما يقع فيه التصحيف والتحريف ١: ٢٦٢، وابن حَزْم: جمهرة أنساب العرب ٤٥٦، والبغدادي: خزانة الأدب ٤: ٣٧٧، والزبيدي، التاج (قيس).

(٤) أنظر ابن قتيبة: الشعر والشعراء ١: ١٢٨.

(٥) أنظر العسكري: الأوائل ٢: ٢٢٠.

أنّه كان يغزو مع مُهَلْهِل...»[1].

ونلاحظ بعض الاختلاف عند أبي أحمد العسكري (٣٨٢ هـ ـ ٩٩٢ م) عمّا ساقه الأصفهاني من قبل، عن شاعرنا، ونسبه، وزمانه، فقد قال العسكري:

«وكنت أقرأُ على ابن دُرَيْد شعر امرئ القيس في أوّل ما وردت عليه مدينة السلام، فبلغتُ إلى قوله:

عُوْجَا على الطَّلَلِ المُحِيْلِ لأنَّنا نَبْكِيْ الدِّيارَ كَمَا بَكَى ابنُ خِذامِ

فسألتُهُ من «ابنِ خِذام» هذا، وهل هو بالدال أو بالذال، وفي أي شعر بكى الديار فتمثّله امرؤ القيس، فقال رواه لنا أبو حاتم بالذال المُعْجَمة»[2].

ثمَّ قال العسكري مُعلِّقًا على ما سمعه من ابن دُرَيْد: «فلم أجد ما رواه أبو بكر ابن دُرَيْد لي عن أبي حاتم شافيًا ولا مقنعًا، فسألت أبا الحسن محمّد بن القاسم التميمي النسّابة[3] بعد ذلك بعشرين سنة عن «ابن خِذام» هذا، وما تحقّق عنده من أمره، فقال: قد قال أهل البصرة، منهم أبو عُبَيْدة والأصمعي، فقال الأصمعي: «خِدام» بدال غير معجمة. وقال أبو عبيدة بذال مُعْجَمة»[4].

«ثمَّ قال لي أبو الحسن النسّابة: والوجه عندي أنّه امرؤ القيس بن حُمام بن عُبَيْدة ابن هُبَل بن أخي زُهَيْر بن جَناب... وكان يُقال له: «عِدْلُ الأصرّة». وتروي أعرابُ كَلب له أبياتًا يبكي فيها الديار، وكان يغزو مع مُهَلْهِل، فهو الذي أراد مهلهل بقوله:

لمَّا تَوَعَّرَ في الكُلابِ هَجِيْنُهُمْ هَلْهَلْتُ أَثْأَرُ مالِكًا أو صِنْبِلا

وجابِر[5] وصِنْبل رجلان من تَغْلِب، والهجين هو امرؤ القيس بن الحُمام[6]،

---

(١) الأصفهاني: م. س. ٩٠ ـ ٩١.

(٢) العسكري: شرح ما يقع فيه التصحيف والتحريف ١: ٢٥٩ ـ ٢٦٠ ـ (ط دمشق).

(٣) يُلاحَظ هنا اختلاف نسبة أبي الحسين، فهو عند حمزة «الأصفهاني». وعند العسكري: «التميمي»، فهل هما رجل واحد، أم رجلان؟ الأرجح أنّهما رجل واحد، لأنَّ حمزة الأصفهاني، وأبا أحمد العسكري مُتعاصِران، لذافهما يَتسألان، على الأرجح رجلاً واحدًا. والتدقيق في أخبارهما يظهر أنَّ العسكري كان أولى بالثقة من الأصفهاني. وانظر شرح ما يقع فيه التصحيف والتحريف ١: ٢٦١ ـ الحاشية (٢) ـ (ط دمشق).

(٤) العسكري: م. س ١: ٢٦١ ـ (ط دمشق).

(٥) يلاحظ أنّ الاسم الأوّل في البيت (مالك)، وورد بعده حالاً (جابر). وهو (جابر) في روايات أخرى كثيرة للبيت ـ أنظر المؤتلف ٧، والعمدة ١: ٨٦، والخزانة ٤: ٣٧٧.

(٦) وفي رسالة الغفران قال أبو العلاء، بعد أن ساق هذا البيت: «ويعني بالهجين زُهَير بن جناب» ـ رسالة =

وكان يصحب امرأ القيس في انتقاله في أحياء العرب، فذكره امرؤ القيس بن حُجْر في شعره وجَعَلَه أوَّلَ مَن بَكَى الديار»[1].

إنّ القسم الأخير من خبر العسكري المنقول عن أبي حُسَين النسّابة يقودنا إلى أمور أخرى تتّصل بهذا الشاعر، منها تَلْقِيْبه بِـ «عدل الأصرَّة»، وبِـ «الْهجِيْن»، وانتسابه إلى قبيلة كَلب، وأنّه من أقارب زهير بن جناب. كما أفادنا الخبر أنّ شاعرنا كان يغزو مع مُهَلْهِل وسنناقش هذه المسائل، أو بعضها، فلعلَّ فيه أوْهاماً أو تخليطًا لا ينسجمان مع أخبار الشاعر الأخرى.

فاللقبان «عِدْلُ الأَصِرَّة» و«الهَجِيْن» يكشف شرحهما، والتدقيق فيهما، عن بعض شؤون الشاعر، فالعِدْل هو نصف الحمل يكون على البعير، ولا يكون إلاّ للمتاع خاصّة، والأصِرَّة: جمع صِرار، وهو ما يشدّ به، وجمع صُرَّة، وهي معروفة[2]. وهكذا فربّما كان هذا اللقب قد لزم الشاعر لسبب يتّصل بذلك المعنى.

أمّا الهَجين، لغة، فهو العربيّ ابن الأَمَة[3]، وعليه فامرؤ القيس بن حُمام ربّما كان ابن أَمة من إماء الجاهليّة، لا نعرف اسمَها، ولا شيئًا عن أصلها، أو وطنها، أو معارفها. كما لا نعرف أيضًا موطن الشاعر، ولا معارفه، ولا شيئًا عن ملامح شخصه، بوصفه رجلاً.

وأمّا انتماؤه إلى كلب، وكونه من أقارب زُهير بن جَناب، فهذا ما أكّده الآمدي في **المؤتلف والمختلِف**، ومصنّفون آخرون غيره، كما مَرَّ بنا قبل قليل.

ولكنّ غزوه مع مهلهل، وقد ورد في الخبر السابق، فأَمرٌ مشكوك فيه، بل هو غريب منقوض. وبعض أجزاء ذاك الخبر، يدفع بعضها الآخر، والدليل أنّ مُهَلْهِلاً ذاته يقول في تلك الرواية:

لَمَّا تَـوغَّـر في الكُـلابِ هَـجِيْـنُـهُـمْ ... هَلْهَلْتُ أَثْأَرُ مالِكًا أَوْ صِنْبِلاَ[4]

= الغفران ٣٥٣ ـ ٣٥٤. وجاء في كتاب النسب لأبي عبيد أنّ زهير بن جناب هو الذي قتل جابرًا وصِنْبِلاً ـ كتاب النسب ٣٤٧.

(١) العسكري: **شرح ما يقع فيه التصحيف والتحريف** ١: ٢٦٢ ـ ٢٦٣. والبغدادي: **خزانة الأدب** ٤: ٣٧٧ ـ ٣٧٨.

(٢) أنظر ابن منظور: **اللسان** (عدل).

(٣) م. ن. (هجن).

(٤) في **المؤتلف والمختلِف**: «لمّا تَوَغَّر في الكُراعِ... جابرًا أو صِنْبِلا». وفي **العمدة**: «توقَّل في الكُراع... جابرًا أو صِنْبلاً». وفي **الخزانة**: «توغَّلَ في الكَراع.. جابرا أو صِنْبِلا» ـ أنظر **المؤتلف والمختلِف** ٧، و**العمدة** =

ومعنى البيت: أَنَّ مهلهلاً لمَّا شَدَّ على الهجين، وهو امرؤ القيس بن الحُمام، دفع به إلى مكان وعرٍ وضَنك، وكاد أن يثأر بمالك أو صِنْبِل، وهما رجلان من تغلب قتلهما بنو كَلْب، الذين ينتمي إليهم امرؤ القيس بن الحُمام. وتصداق ذلك قول الآمدي عن شاعرنا:

وكان امرؤ القيس هذا هجينًا، وهو الذي يُدعى «عِدلُ الأصرة» وإيَّاهُ يعني مهلهل التغلبيّ، وكان زهير بن جناب أغار عليهم، ومعه امرؤ القيس هذا، فانصرف وامرؤ القيس هاربًا، فقال مُهَلْهِل:

لمَّا تَوَعَّرَ في الكُلابِ هَجِيْنُهُمْ هَلْهَلْتُ أثْأرُ مالِكًا أَوْ صِنْبِلاَ

في قصّة مذكورة في أخبار زُهَيْر بن جَناب، وبهذا البيت قيل لِمُهَلْهِلٍ مهلهلٌ»[1].

وروى ابن رَشِيْق بعد أن ساق بيت مهلهل المذكور آنفًا: «قال أبو سعيد الحسن ابن الحسين السكري: يعني بقوله هجينهم امرأ القيس بن حُمام الذي ذكره امرؤ القيس في شعره... وقد كان مهلهل تبعه يوم كلاب، ففاته ابنُ حمام بعد أن تناوله مهلهل بالرمح، وقد كان ابنُ حُمام أغار على بني تغلب مع زهير بن جناب فقتل جابرًا وصِنْبِلاً»[2].

وقال الزبيدي في التاج عن شاعرنا: «هو الذي أغار مع زهير بن جناب على بني تغلب»[3].

وهكذا يتّضح بالدليل القويّ الساطع أنّ شاعرنا كان يغزو بني تغلب مع زهير بن جناب، ولا يغزو مع مُهَلْهِل التغلبيّ، كما ذكر حمزة الأصفهاني، وأبو أحمد العسكري، ومَن نقل عنهما[4].

= ١: ٨٦، والخزانة ٤: ٣٧٧. ورُوِيَ «تَوَقَّل» بدل تَوَعَّر، و«في الغبار» أيضًا بدل «في الكُراع» و«في الكُلابِ».

(١) الآمدي: المؤتلف والمختلف ٧ ـ ٨.

(٢) إبن رشيق: العمدة ١: ٨٦ ـ ٨٧، والبغدادي: الخزانة ٤: ٣٧٨.

(٣) الزبيدي: التاج: (قيس).

(٤) الأصفهاني: التنبيه على حدوث التصحيف ٩١، وأبو أحمد العسكري: شرح ما يقع فيه التصحيف ١: ٢٦٢، والبغدادي: الخزانة ٤: ٣٧٨.

زمانه

إتّضح مِمَّا تقدَّم أنّ امرأ القيس بن حُمام كان مُعاصِرًا لزهير بن جناب الكلبي، ولمهلهل بن ربيعة التغلبيّ، فزمانه إذًا هو زمانهما. ومن المستحيل علينا أن نقدِّر سنة لميلاده، وأخرى لوفاته، بَيد أنّ بعض المصادر ذكرت أنّه سبق امرأ القيس في بكائه على الدِّمَن والديار[1]. وكذلك ذكرت مصادر أخرى أنّه صَحِبَ امرأ القيس في تنقُّله في أحياء العرب[2]، وبالتالي فإنّ شاعِرَنا، إن لم يكن قد سبق امرأ القيس الكندي، فهو على الأقلّ مُدرِكٌ لطرف من حياتِه بالتأكيد. ولدينا دليل نَصّي على ذلك، فقد ذكر السيوطي الشعراء المَرَاقِسة، وعدَّ منهم امرأ القيس مهلهل بن ربيعة، وامرأ القيس بن حُمام بن عبيدة بن هبل، ثمَّ قال: وكلاهما كانا في عصر ابن حُجْر»[3].

شعره

جاء في غير ما مصدر أنّ امرأ القيس بن حُمام، هو أوّلُ مَن بكى في الديار: «قال ابن الكلبي: أوّلُ مَن بكى في الديار امرؤ القيس بن حارثة بن الحمام بن معاوية»[4]. ورُوِيَ عن ابن الكلبي نفسه أيضًا خبر يتعلَّق بخبره هذا، يقول: «وإذا سُئِلَ علماء كَلْب عمَّا وصف به ابن خذام الديار، أنشدوا أبياتًا من «قِفا نَبْكِ»، وذكروا أنّ امرأ القيس انتحلها، فسارت، وخَمل ابنُ خِدام»[5].

أمّا أبو عُبَيْدة، فقد قال: «إنّ ابنَ جِذام الكلبي كان يصحب أمرأ القيس بن حجر الكندي، وأنّه أوّل مَن وصف الديار، وهو القائل:

لآلِ هِـنْـدٍ بِـجَـنْـبَـيْ نَـفْـنَـفٍ دَارُ	لَمْ يَـمْـحُ جِـدَّتَـهـا رِيْـحٌ وأمْـطـارُ
أَمَا تَرَيْني بِجَنْبِ البَيْتِ مُضْطَجِعًا	لا يَـطَّـبِـيْـنـي لـدى الحيَّـيْـن إفْـكـارُ
فَـرُبَّ نَـهْـبٍ تُـصِـمُ الـقَـوْمَ رَجَّـتُـهُ	آفـاتُـهُ أَنَّ بـعـضَ الـقـومِ عَـوَّارُ»[6]

(١) أنظر ابن قتيبة: الشعر والشعراء ١: ١٢٨، والقرشي: جمهرة أشعار العرب ١: ١٨٥ ــ ١٨٦ (ط الرياض)، وأبا هلال العسكري: الأوائل ٢: ٢٢، وابن الأثير: المثل السائر ٢: ٦٢، والبغدادي: م. س ٤: ٣٧٦.

(٢) أنظر أبا أحمد العسكري: م. س. ١: ٢٦٣، والحاتمي: حلية المحاضرة ٢: ٣٠.

(٣) السيوطي: شرح شواهد المغني ١: ٢٦.

(٤) إبن قتيبة: م. س ١: ١٢٨، والآمدي: المؤتلف والمختلف ١٥٥، ونقل السيوطي عن كتاب ليس أنّ أوّلَ مَن قال الشعر ابنُ خِدام، ولم أجد الخَبَر في ما طُبِع من كتاب ليس ــ أنظر المزهر ٢: ٤٧٧.

(٥) الحاتمي: م. س ٢: ٣٠.

(٦) الحاتمي: حلية المحاضرة ٢: ٣.

وقد روى هذه الأبيات الآمدي، وأضاف بعدها: «وهي أبيات في أشعار كَلْب»[1]. وقولة الآمدي الأخيرة تؤكّد، لآخر مرّة، أنّ شاعرنا من كَلْب، وليس من طَيِّئ، كما زعم ابن سلاّم، وتابعه السيوطي[2].

وفي **جمهرة أنساب العرب** ساق ابن حزم خَبرًا عن شاعرنا جاء فيه: «وهو شاعر قديم دَثَر شعره لأنّه لم يكن للعرب كتاب، وإنّما بقي من أشعارها شِعْرُ مَن أدرك رواتُه الإسلامَ فقط»[3]. وكان الآمدي قبل ابن حزم، وقد قال في شعر ابن حُمام: «دَرَسَ شِعْرُهُ، وذهب، إلاّ اليَسِير»[4].

وقول ابن حَزم: إنّ شاعرنا قديم تقدّمت الأدلّة عليه. أمّا أنّ شعرَه قد دَثَر أو ذهب إلاّ اليسير، فهذا ما أكّدته عودتنا إلى مجموعة كبيرة من المصادر، لم نستطع بعدها أن نجمع لابن حُمام، أو خِذام، إلاّ سبعة أبيات فقط، منها ستّة خالصة النسبة إليه، ذكرت في **المعمّرون**، و**المؤتلف والمختلف**، و**حلية المحاضرة**، وواحد ينازعه فيه امرؤ القيس الكندي، ورواه له أبو عبيدة عن أبي الوَثِيق، أحد أعراب بني جَعْفَر بن كِلاب، وهو قوله:

كأنّي غَداةَ البَيْنِ يَوْمَ تَحَمَّلُوا ... لَدَى سَمُراتِ الحَيِّ ناقِفُ حَنْظَلِ[5]

وهو أحدُ أبيات معلّقة امرئ القيس المَعْروفة.

وتعدّدت الأخبار التي أرادت أن تسلبَ أبياتًا من قصيدة امرئ القيس لشاعرنا، ولم تَكتفِ ببيت واحد، فقد قال هشام بن السائب: «فأعراب كَلْب إذا سُئِلوا بماذا بكى ابنُ حُمام الديار؟ أنشدوا خمسة أبيات متّصلة من أوّل «قِفا نَبْكِ مِن ذكرى حبيبٍ ومنزلِ» ويقولون: إنَّ بقيتَها لامرئ القيس»[6].

وأغرب البطليوسي في خبر له عن ابن الكلبي أيضًا، عندما قال في معلّقة الملك

---

(١) الآمدي: **المؤتلف والمختلف** ٧.

(٢) أنظر ابن سلاّم: **طبقات فحول الشعراء** ١: ٣٩، والسيوطي: **المزهر** ٢: ٤٧٦.

(٣) إبن حزم: **جمهرة أنساب العرب** ٤٥٦.

(٤) الآمدي: م. س. ١٢٧.

(٥) أنظر العسكري: **شرح ما يقع فيه التصحيف والتحريف** ١: ٢٦٣، وقد نقل الدكتور السيِّد محمّد يوسف محقّق الكتاب خبرًا عن مخطوط نور القَبَس ــ الورقة ٦٤ يكرّر خبر رواية أبي عبيد عن أبي الوثيق ــ أنظر الحاشية (٢) ــ ص ٢٦١.

(٦) إبن حزم: **جمهرة أنساب العرب** ٤٥٦.

الضلّيل: «أعاريبُ كَلْب ينشدون هذه القصيدة لابن خِذام»[1].

وهذان خبران غريبان لا نُسَلِّم بهما، ولا نَجِدُ في كتب الأدب واللغة والتاريخ ما يؤيِّدهما. ولكنّنا اضطررنا إلى إدخال بيتٍ واحد من قصيدة امرئ القيس في أشعار شاعرنا، لأنّ راويه واضح ومعروف، ولأنّ مصادر كثيرة عَزته لابن خِذام[2]. وفيما يلي أشعار امرئ القيس بن حُمام الكَلْبي وتعليقاتنا عليها:

شِعر امرئ القيس بن حُمام، أو ابن حِذام، أو خِذام أو خِدام الكَلْبي

(١)

في المؤتلف والمختلف (٧): (البسيط)

١ ـ لآلِ هِنْدٍ بجَنْبَيْ نَفْنَفٍ دارُ ... لَمْ يَمْحُ جِدَّتَها رِيحٌ وأمْطارُ[3]

٢ ـ أمَا تَرَيْني بِجَنْبِ الْبَيْتِ مُضطَجِعًا ... لا يَطَّبِيْنِي لَدَى الْحَيَّيْنِ أبْكارُ[4]

٣ ـ فَرُبَّ نَهْبٍ تُصِمُّ الْقَوْمَ رَجَّتُهُ ... أَفَأْتُهُ، إنَّ بعضَ الْقَوْمِ عُوَّارُ[5]

وفي المعمّرون (٧١):

٤ ـ إنَّ الكبيرَ إذا طالَتْ زَمانَتُهُ ... فإنَّما حَمْلُهُ جِنازَةٌ عارُ[6]

٥ ـ ومَنْ يَعِشْ زَمَنًا في أهلِهِ خَرِفًا ... كَلاًّ عَلَيْهم إذا حَلُّوا وإنْ سارُوا[7]

٦ ـ يَذْمُمْ مَرارةَ عَيْشٍ كانَ أوَّلُهُ ... حُلْوًا ولِلدَّهْرِ إحْلاءٌ وإمْرارُ

---

(١) ديوان امرئ القيس ٣٦٧.

(٢) أنظر تخريج شعر ابن حمام (أو ابن خذام) بعد روايته لاحقًا.

(٣) نَفْنَف: اسم مَوْضِع. وفي التاج (نفنف)، هو جبل قرب المدينة.

(٤) في حِلْية المُحاضَرة: «لا يُطَبِّبني لدى الحيَّيْن إفْكار»، وبهذه الرواية تحريف أخلَّ بالوزن. واطَّباهُ مثلُ طَباهُ، يَطْبُوه ويَطْبِيه: دعاه واستماله إليه.. والأبكار: مفردها بِكْر، وهي الجارية الفتيَّة العذراء.

(٥) في المؤتلف: «فَرُبَّ بَيْتٍ يُصِمُّ القَوْمَ». وأثْبَتُّ روايةَ الحِلْية. وفي الحِلْية: «آفاته إنَّه». وأثبتُّ رواية المؤتلف، فخلص لي الصوابُ منهما. والنَّهب: الغارة. وتُصِمُّ: تُصيب بالصَّمَم. ورجُته: حَرَكَتُه وشدّته. وأفأتُ الشيءَ: جَعَلتهُ فَيْئًا أي غنيمةً وكسبًا. والعُوّار: الضعيف الجبان والسريع الفرار.

(٦) الزمانة: العاهة. والجَنازة: المَيْت. وقال ابن سِيْدَه: «الجَنازة بالفتح المَيْت والجِنازة، بالكسر، السرير الذي يُحْمَل عليه المَيْت» ـ اللسان (جنز).

(٧) الكَلُّ: الذي هو عِيال وثِقْلٌ على صاحبه. وفي سورة النَّحل: «وهو كلٌّ على مولاه» ١٦: ٧٦.

ما يُنْسَب إلى ابنِ حُمام، وإلى غيره من الشُّعَراء

(٢)

في الشعر والشعراء (١: ١٢٨)[١]: (الطويل)

١ ـ كأنّي غَداةَ البَيْنِ لمَّا تَحَمَّلُوا   لَدَى سَمُراتِ الدَّارِ ناقِفُ حَنْظَلِ[٢]

تخريج شعر امرئ القيس بن الحمام الكلبي

(١)

١ ـ ٣   في المؤتلف ٧ وحلية المحاضرة ٢: ٣٠ لامرئ القيس بن الحُمام.

٤ ـ ٦   في المعمّرون ٧١ لامرئ القيس بن الحُمام.

ما يُنْسَب إلى امرئ القيس، وإلى غيره من الشعراء.

(١)

١   في الشعر والشعراء ١: ١٢٨، والمؤتلف ١٥٥، وشرح ما يقع فيه التصحيف ١: ٢٦٣، وخزانة الأدب ٤: ٣٧٦ ـ ٣٧٧ لابن خذام، والبيت أحد أبيات معلّقة امرئ القيس بن حجر الكندي، وهو في ديوانه ٩، وفي شرح القصائد السبع الطوال للأنباري ٢٣ له، وفي شرح القصائد العشر ٢٥ له. وكان التبريزي روى هذا البيت:

تَرَى بَعَرَ الآرامِ في عَرَصاتِها   وقِيعانِها كأنَّهُ حَبُّ فُلْفُلِ

وقال بعده: «هذا البيت وما بعده ممّا يُزاد في القصيدة، قال الأصمعي: والأعراب ترويهما». ولم يرد البيت في شرح الزوزني للمعلّقات السبع، وهو في الصحاح، واللسان، والتاج (نقف) لامرئ القيس.

---

(١) ويُعْزَى البيتُ أيضًا لامرئ القيس بن حُجْر الكندي، وهو أحد أبيات معلّقته في بعض الروايات ـ وانظر التخريج.

(٢) في ديوان امرئ القيس، وشرح القصائد السبع الطوال، وشرح المعلّقات السبع: «يَوْمَ تَحَمَّلُوا... الحَيِّ ناقِفُ». وغداة البَين: صبيحة الفِراق. والسَّمُرات: مفردها سَمُرة. وهي شجرة الصمغ العربيّ، أو هي شجرة الطَّلْح. والناقِف: المستخرج حَبَّ الحَنْظَل. والحنظل له مرارة تدمعُ منها العينُ لحرارته. وإنّما خصَّ الحَنْظل لأنّ ناقِفَهُ لا يملك سَيَلانَ دَمْعِهِ كما لا يملكهُ مَنِ اشتدَّ شَوقه وحزنه.

٣٢ ـ سَعْدُ بنُ مالِك الْبَكْرِي

سَعْد بنُ مالِك شاعِرُ بَكْر في حَرْب البَسُوس، وهو الجَدُّ الثاني لِطَرَفَة بن العَبْد، وسَيِّدٌ من سادات بَكر. وجُلُّ أخباره تتّصل بحربِ قومه ضدّ تَغْلِب، وهي الحرب التي شارك فيها بشعره وسيفه معًا، كما أنّ شعره انطوى على إشارةٍ إلى علاقة بَكْر بالغَسَاسِنة، وعلى علاقة له ولأخيه عَمْرو بالنعمان، أحد ملوك الحيرة، وعليه فدراستنا له ستتناول: اسمه ونسبه، وتحديد زمانه، وأخباره، وشعره.

١ ـ إسمُه ونسبُه

أمّا اسمُه ونسبه فهما ـ كما قال ابن الكَلْبي ـ : «سَعْد بن مالِك بن ضُبَيْعة ابن قَيْس بن ثَعْلبة بن عُكابة بن صَعْب بن عليّ بن بَكْر بن وائِل». وذكر ابن الكلبي أيضًا من إخوة سَعد: «عمرًا، وعوفًا، ورَبيعة، وعبادًا، وصَنْبًا، وصَعْبًا، والأجرد، وأمّهم عُوَار بنت ذُهْل بن شَيْبان». وهي أيضًا أمّ شاعرنا سَعْد بن مالِك[١].

أمّا أبناء سعد، فهم عند صاحب **جمهرة النسب**: «مَرْثد، وكَهْف، وقميّة، ومُرَقّش الأكبر وهو عمرو، وأمّهم قِلابة بنت الحارث بن قيس بن الحارث بن ذهل اليشكري، وحَرْمَلة، وهو حَرْمَل، وسُفَين، وعَوف، وعدي، وربيعة، ومرقّش الأصغر، وأَنَس، وأمُّهم فاطمة بنت الأقيصر من بني يَشْكُر»[٢].

ومِمّا تقدّم يتبيّن أنّ لسعد سبعة إخوة، كان منهم عَمْرو بن مالِك، الذي ارتاد الكلأ للنعمان، فتوعّده، وأراد قتله، فخلّصه سعد بحنكة كما سنرى... ومنهم عوف ابن مالك، الذي سدَّ الثنيّة في حرب البسوس قائلاً: «أنا البُرَك، أنا البُرَك أبرك حيث أدرك، فسُمّي البرك»[٣].

كما يتبيّن أنّ لسعد أحد عشر ولدًا، وزوجتَين، هما: قِلابة بنت الحارث اليشكريّة، وفاطِمة بنت الأقيصِر اليشكريّة أيضًا. ولكن إذا صحَّ أن نُسلِّم بأسماء إخوة شاعرنا، فإنّ عدد أبنائه وأسماءَهم، عند ابن الكلبي، موضع خلاف، فقد أدرج فيهم

---

(١) أنظر ابن الكلبي: **جمهرة النسب** ٢: ٢٥٧ (ط دمشق).
(٢) ابن الكلبي: م. س. ٢: ٢٥٧، والأنباري: **شرح القصائد السبع الطوال** ١٢٨ .
(٣) الأصفهاني: **الأغاني** ٥: ٤٣ .

المُرقِّشَ الأصغر، وهو في مصادر أخرى حفيد لسعد، وليس ابنًا له، وعند ابن حَبيب: «المرقّش الأصغر هو عَمْرو بن حَرْملة بن سعد بن مالك»[1]. وكذلك نعته ابن حزم أنّه ابن أخي المرقّش الأكبر[2]. أمّا المرقّش الأكبر، فهو على الأرجح، ابن لسعد بن مالك[3]. ومن المعروف أنّ الأكبر عمّ الأصغر، وأنّ الأصغر عمّ طَرَفة بن العَبْد[4]. وقد كان المرقّش الأكبر وأخوه حَرْمَلة أحبَّ أبناء سعد بن مالك إلى نفسه، لذا وضعهما عند رجل من الحيرة، فعلّمهما الكتابة[5].

ومن المُلاحَظ أنّ سعدًا كان أبًا، أو جَدًّا، لشعراء جاهليّين كُثُر، منهم، كما مرّ بنا، طَرَفة بن العَبْد، والمرقّشان اللذان قال فيهما المرزباني: «كانا على عَهْد مُهَلْهِل، وشهدا حرب بَكْر وتَغْلِب»[6]. ونضيف إليهم شاعرًا جاهليًا رابعًا مُهمًّا، هو عَمْرو ابن قميئة بن سعد بن مالك. وعمرو هذا هو حفيد لسعد، كما يتّضح من نسبه، بل هو ابن لحفيد سعد حسبما جاء في مصادر أخرى[7]. وقد قيل فيه: «إنّه أوّل مَن قال الشعر من نِزار، وهو أقدم من امرئ القيس، ونقيه امرؤ القيس في آخر عمره، فأخرجه معه إلى قَيصر لمّا توجّه إليه، فمات معه في طريقه»[8]. وذكر أنّه عُمِّر حتّى جاوَز التسعين[9]. وفي رواية أخرى أنّه أرمى على مئة سنة[10]. أمّا طَرَفَةُ بن العَبْد، فشاعرنا جدُّه الثاني،

---

(١) ابن حَبِيْب: **ألقاب الشعراء** (ضمن نوادر المخطوطات) ٢: ٣٢١.

(٢) ابن حزم: **جمهرة أنساب العرب** ٣١٩.

(٣) ابن حبيب: م. س ٢: ٣٢٠، وابن قتيبة: **الشعر والشعراء** ١: ٢١٠.

(٤) أنظر الأنباري: **شرح المُفضّليّات** ٤٨٤، والمرزباني: **معجم الشعراء** ٥، وابن حزم: م. س ٣١٩ – ٣٢٠.

(٥) أنظر التبريزي: **شرح اختيارات المفضّل** ٩٩٢.

(٦) المرزباني: **معجم الشعراء** ٤.

(٧) أنظر مثلاً: الأصفهاني: **الأغاني** ١٨: ١٣٩، والآمدي: **المؤتلف** ٣٥٤، والمرزباني: م. س ٣ حيث قالوا هو عمرو بن قَميئة بن ذَرِيح بن سعد بن مالك بن ضبيعة...». وانظر **ديوان عمرو** نفسه ص ٧ (ط بغداد). وتفرّد صاحب **العمدة** في هذا السؤال عن سَعْد، إذ قال: «ولا أدري هل هو أبو عَمْرو بن قميئة الشاعر، والمرقّش الأكبر، أم لا؟» ــ **العُمْدة**: ١: ٨٧.

(٨) الأصفهاني: م. س ١٨: ١٣٩.

(٩) أنظر المرزباني: م. س ٣. وفي موضع آخر قال المرزباني: «بين عمرو بن قَميئة المُعَمَّر، وبين نزار عشرون أبًا». وعدد آباء عمرو في **الأغاني** يؤكّد ذلك ــ أنظر **معجم الشعراء** ٢٣، و**الأغاني** ١٨: ١٣٩.

(١٠) أنظر **ديوان عَمْرو بن قميئة** ٨٥ (ط بغداد)، وقد أثبت المحقّق هنا ترجمة عَمْرو بن قَميئة نقلاً عن كتاب محمّد بن الجراح، المَوْسُوم بـ «مَنْ سُمّي عمرًا من الشعراء».

بإجماع جُلّ المصادر، فهو طَرَفَة بن العَبْد بن سُفْيان بن سَعْد بن مالك بن ضُبَيْعة بن قَيْس...»[1]. وفي شعر طَرَفَة فَخْرٌ بجدِّه سعد بن مالك إذ يقول:

رَأَيْتُ سُعُوْدًا من شُعُوْبٍ كَثِيْرةٍ　　فَلَمْ تَرَ عَيْني مِثْلَ سَعْدِ بنِ مالِكِ[2]

وأُبوَّة سَعْدٍ لهؤلاء الشعراء الجاهليّين المتقدّمين، تجعله، من غير شكّ، من أوائل الشعراء الذين يجدر أن نتوقّف عندهم، وأن نتساءل متى عاشوا ومتى وُجِدوا؟

٢ ـ زمان سعد

لعلّ ما سبق يوضّح أنّ شاعرنا، الذي أنجب عَمْرو بن قَمِيئة، والمُرَقِّشَيْن، وطَرَفَة بن العبد، كان من رجال القرن الخامس الميلاديّ أوّلاً. ويبدو أنّه عاش طويلاً في هذا القرن، بدليل أنّ حفيدَه عَمْرو بن قميئة مات شيخًا في أواسط القرن السادس، في أثناء صحبته لامرئ القيس الراحل إلى ملك الروم؛ فامرؤ القيس لم يتجاوز في حياته السنة ٥٦٥ م، بالتأكيد[3]، فإذا كان عَمْرو بن قميئة قد مات نحو هذا التاريخ، وقد جاوز التسعين، كما يشهد له شعره القائل:

كأنّي وقدْ جاوَزْتُ تسعينَ حِجَّةً　　خَلَعْتُ بها يومًا عذارَ لِجامِي[4]

فإنّ ميلاده سيكون نحو العام ٤٧٥ م[5]. وميلادُ جدِّه ـ سعد بن مالك ـ ينبغي أن يكون قبل هذا التاريخ بثلاثين أو أربعين عامًا على الأقلّ، أي في سنةٍ بين سنتي ٤٣٥

---

(١) أنظر ديوان طَرَفة ٥، وابن سلاّم: طبقات فحول الشعراء ١: ١٣٨، وابن حَبِيب: ألقاب الشعراء ٢: ٣٢٠، وابن قُتَيبة: الشعر والشعراء ١: ١٨٥، والقُرَشِي: جمهرة أشعار العرب ١: ٤١٩ (ط الرياض)، والأنباري: شرح القصائد السبع الطوال ١١٧، وابن حَزم: جمهرة أنساب العرب ٣٢٠، والتبريزي: شرح القصائد العشر ٩٥، والبغدادي: خزانة الأدب ٢: ٤١٩ (ط هارون).

(٢) ديوان طرفة ٨٨، وقال الأعلم في شرحه: «أراد بالسعود سعد بن زيد مناة، وسعد بن الحارث من بني أسد، وسعد بن بكر بن هوازن».

(٣) أنظر لويس شيخو: شعراء النصرانيّة ١: ٦ وشوقي ضيف: العصر الجاهليّ ٢٤٣، والطاهر أحمد مكّي: امرؤ القيس ٨٩.

(٤) ديوان عَمْرو بن قَمِيئة ٣٨ (ط بغداد).

(٥) أرَّخَ (غوستان فون غرونباوم) لميلاد عَمْرو بن قميئة بالسنة ٤٨٠ م، أنظر Orientalia 8/1939, p. 345. وقال البحّاثة (فؤاد سزكين): إنّ سنتَي ميلاد أقدم شاعرَين جاهليَّين نَعرفهما، وهما مهلهل وعَمرو بن قميئة، يبدو أنّها ليست قبل ٤٥٠ م» ـ تاريخ التراث العربيّ مج ٢ (١: ١٣). وما قدّمنا من مباحث يُبطل هذا القول.

و٤٤٥ م. ويمكن أن يكون العمر قد امتدَّ بسعدٍ إلى بعض سني الربع الأوّل من القرن السادس الميلاديّ. ولكنّنا لا نعرف متى وقعت وفاته بدقّة. ويبدو أنّها كانت في إحدى وقائع حرب البسوس، وفي مكان يُدعى (أُسُود العُشارِيّات)، وهو جبل في بلاد بكر ابن وائل، قال فيه ياقوت الحموي: «كانت به وقعة من وقائع حرب البَسوس، وكانت الدائرة فيه على بَكر، وقُتل سعد بن مالك بن ضُبَيعة وجماعة من وجوههم»[١]. وقد حدّد الأب (لويس شيخو) وفاة سعد بالسنة ٥٣٠ م، دون أن يذكر مُسَوِّغات هذا التحديد الصارم[٢].

٣ ـ أخباره

في شعر سعد، وفي كتب التراث، إشارات إلى معاصرة الشاعر لبعض ملوك غسّان في أواخر القرن الخامس الميلاديّ، وإلى صلته بأحد ملوك الحيرة، الذي زُعِمَ أنّه النعمان، وهو اسم ينبغي أن لا نفهم منه (نُعمانًا) بعينه، بقدر ما نفهم منه ملكًا من ملوك الحيرة. لأنّ ملوك الحيرة كانوا ـ كما يقول المسعودي ـ يُسَمَّون النّعامِنة والمَناذِرة[٣]. وثمّة أمر ثالث يبرز في أخبار الشاعر بسطوع، وهو مشاركته في حرب البَسوس، حتّى إنّه قضى نَحْبَهُ فيها.

أمّا إشارة سَعد إلى ملوك الغساسنة، فقد وردت في **البيان والتبيين** حيث يقول الجاحظ: «والدليل أنّهم كانوا يُقاتلون بالليل قول سَعْد بن مالك في قتل كعب بن مُزَيْقِياء الملك الغسّاني:

وليلةِ تُبَّعٍ وخَميسِ كَعْبٍ ... أَتَونا بَعْدَمَا نِمْنا دَبِيْبا

فَلَمْ نُهْدَدْ لِبأْسِهِمُ، ولكَنْ ... رَكِبْنا حَدَّ كَوْكَبِهم رُكُوْبا

بِضَرْبٍ يَفْلِقُ الهاماتِ مِنْهُ ... وطَعْنٍ يفصلُ الحَلَقَ الصَّلِيْبا»[٤]

ويفهم من هذه الأبيات أنّ التبابعة والغساسنة، أو بعض ملوكهم، قد غزوا بني بكر قوم الشاعر، فأخفقوا في غزاتهم تلك، وقُتِل أحد ملوك الغساسنة. وإذا كان سعد

(١) ياقوت: معجم البلدان (أسود العشاريّات).
(٢) أنظر لويس شيخو: شعراء النصرانيّة ١: ٣٦٤.
(٣) المسعودي: التنبيه والأشراف ١٥٨.
(٤) الجاحظ: البيان والتبيين ٣: ١٩ ـ ٢٠.

يذكر في شعره اسم قائد الجيش الغسّاني، فإنّه لم يحدّد لنا أيَّ تُبَّع من التبابعة غزا بكرًا. ولكنّنا نُرَجِّح أنّه أحد التبابعة الذين وُجِدوا في أواخر القرن الخامس الميلاديّ. أمّا الملك الغسّاني الذي دعاه الشاعر كَعْبًا، فلعلّه كعب بن عمرو مزيقياء بن عامر ماء السماء بن حارثة الغطريف بن امرئ القيس بن ثعلبة بن مازن بن الأزد... الذي ذكره ابن حزم[1]. ولكن ليس لدينا ما نقطع به، بأنّ كعبًا هذا هو المُراد في شِعْر سَعد، ولا سيّما أنّ اليعقوبي يذكر أنّ كعبًا هو جَفْنَةُ الغسّاني، أوّل ملك من الغساسنة انتزع الملك من بني سَلِيْح الضَّجَاعِمة[2]. فهل قام جفنة بغزو بني بكر، وقتل هو، أو قتل قائد من قادة جيشه يدعى كعبًا، في هذه الغزوة، فأشار سعد بن مالك إلى ذلك في شعره؟

وعلى أيّة حال، فإنّ الملك المقتول هو من غسّان في الأعمّ الأغلب. ويؤيِّد ذلك أنّ طَرَفة بن العَبْد البكري قد افتخر بذاك الحدث بقوله:

رأيْتُ سُعُوْدًا مِنْ شُعُوْبٍ كثيرةٍ　　فلمْ تَرَ عَيْنِيَ مِثْلَ سعدِ بنِ مالِكِ
أبي أنْـزَلَ الجَبّـارَ عـامِـلُ رُمْـحِـهِ　　عن السَّرْجِ حتّى خَرَّ بَيْنَ السَّنابِكِ

فقال الأعْلَم الشَّنْتَمري (٤٧٦ هـ ــ ١٠٨٣ م) شارحًا الشطر الأوّل من بيت طَرَفة الثاني هنا: «وقوله: أبي أنزل الجبّار عامل رمحه، يعني الملك الجبّار، وأراد بعض ملوك غسّان»[3].

وصِلة الشاعر بملوك الحيرة تبدو من خلال خبرٍ يتحدَّث عن تخليص سعد لأخيه عَمْرو من قبضة، أو غضبة، أحد الملوك اللخميّين. وقد أشير إلى هذا الحدث في غير ما مصدر[4]. وذلك في معرض شَرح المَثَل: «إنّ العصا قُرِعَت لذي الحِلم». ولعلَّ أوفى رواية لهذا الخبر وردت في شرح التبريزي لحماسة أبي تمّام إذ جاء فيه ما خلاصته: أنَّ النعمان لقي سَعْدًا، ومعه خيلٌ بعضُها يُقاد، وبعضها أعراء مُهمَلة، فسأله النعمان عنها، فقال: لم أَقُد هذه لأمنعها، ولم أُعِرْ هذه لأضيِّعها. وكذلك سأله عن أرضه، فأجابه

(١) أنظر ابن حَزم: جمهرة أنساب العرب ٣٣١ و٤٧٢.
(٢) أنظر اليَعْقُوبي: تاريخ اليعقوبي ١: ٢٠٧، ونولدكه: أمراء غسّان ٦٥.
(٣) ديوان طَرَفة ٨٨ ــ ٨٩. (ط مجمع اللغة العربيّة بدمشق).
(٤) أنظر الجاحظ: البيان والتبيين ٣: ٣٩، وابن قتيبة: عيون الأخبار ٢: ٢٠٥ ــ ٢٠٦، والأصفهاني: الدرّة الفاخرة ١: ١٦٣ ــ ١٦٤، والتبريزي: شرح الحماسة ١: ٢٠٢ ــ ٢٠٤، والميداني: مَجْمَع الأمثال ١: ٣٨.

إجابةً فصيحةً معبِّرة تشبه أن تكون مَتنًا لغويًّا غرضُهُ حفظُ بعض الألفاظ الغريبة... فخلص النعمان من ذينك الجوابَين إلى أنّ سَعدًا رجل مُحَنَّك وبليغ، فقال له: وأبيك إنّكَ لمُفَوَّه. وشاء أن يعجزه عن الجواب، فأمر وصيفه بلَطْمِ سعد، لعلَّه يتعدَّى بالقول، فيقتله، وقال له النعمان: ما جواب هذه؟ فقال سعد: سَفِيْهٌ مأمور. فأرسلها مثلاً. فضربه ثانية، فقال سعد في جوابه: لو نُهِيَ عن الأولى لم يعد للأخرى. فلطم سعد ثالثة، فقال للنعمان: رَبٌّ يؤدِّب عَبْدَه. ولطم مرّة رابعة، فقال له النعمان: وما جواب هذه؟ قال سعد: ملكتَ فأسْجِحْ. فقال النعمان: أجبتَ فاقعُدْ. فمكث عنده ما مكث. ثمَّ إنّ النعمان أرسل عمرو بن مالك أخا سعد ليرتاد له الكلأ، فأبطأ عمرو، فغضب النعمان، وأقسم أن سيقتل عَمْرًا، سواء مدح الكلأ أم ذمَّه. فلمّا قدم عمرو دخل على النعمان وعنده الناس، فاستأذن سعد النعمان أن يكلِّم أخاه، فأبى... فطلب منه أن يقرع له العصا، فسمح له... فتناول سعد عصا من بعض جُلَسائِه، وأخذ عصاه، وكان أخوه قائمًا، فقرع بعصاه العصا الأخرى، ثمَّ أومأ بالعصا نحو أخيه، فعرف أنّه يقول له: مكانَك... ثمَّ قرع العصا قرعة واحدة، ثمَّ رفعها إلى السماء ثمَّ مسح عصاه بالأخرى، فعرف أنّه يقول: قُل لم أجِد جَدبًا. ثمَّ قرع العصا مرارًا بطرف عصاه ثمَّ رفعها شيئًا، فعرف أنّه يقول: لا نباتًا، ثمَّ قرع العصا قرعة واحدة، وأقبل بها نحو النعمان، فعرف أنّه يقول: كلِّمه! فأقبل عمرو بن مالك حتّى وقف بين يدي النعمان، فقال له النعمان: هل حَمَدتَ خصبًا، أو ذممتَ جَدبًا؟ فقال: لم أحمد بقلاً: الأرض مُمسِكة لا خصبُها يُعرَف، ولا جَدبُها يُوصَف، رائدها واقف، ومنكرها عارف، وآمِنُها خائف، فقال النعمان: أولى لك بذلك نجوت... فنجا. وهو أوّل من قُرِعت له العصا. فقال سَعد بن مالِك لقرعِهِ العصا:

قرعْتُ الْعَصَاْ حتَّى تَبيَّنَ صاحِبِي	ولمْ تكُ لولا ذاكَ لِلْقَومِ تُقْرَعُ
فقالَ: رأَيْتُ الأرضَ لَيْسَتْ بِمُمْحِلٍ	ولا سارِحٌ مِنْها على الرعْيِ يَشْبَعُ
سواءٌ، فلا جَدْبٌ فيُعْرَفُ جَدْبُها	ولا صابَها غَيْثٌ غزيرٌ فتُمْرِعُ
فنجَّى بها حوباءَ نفسٍ كريمةٍ	وقد كادَ لولا ذاكَ فيهم يُقَطَّعُ[1]

وعلى الرغم من المسحة الخرافيّة في هذا الخبر، فإنّه يشير إلى علاقة شاعرنا بالحيرة ـ حاضرة المناذرة، وهي علاقة اتَّخذت شكلاً آخر، حينما وضع سعد ولدَيْه المرقّش

(١) أنظر التبريزي: شرح الحماسة ١: ٢٠٢ ـ ٢٠٣ (ط محمّد محي الدين عبد الحميد).

وحَرْملة عند رجل فيها، فعلَّمهما الكتابةَ، كما سبق أن أشرنا من قبل.

أمّا مشاركة الشاعر في حرب البسوس، فقد تمثَّلت في أمرَين اثنَين، أوّلهما: الشعر الذي نظمه مؤرِّخًا ومحرِّضًا. والثاني: القتال الفعليّ والمُقارعة الحقَّة في الميدان. وفي المجال الأوّل نقرأ عند أبي الفرج رواية عن (مُقاتِل)، تقول: «ولم يُقاتل معنا من بني يَشْكُر ولا من بني لُجَيم، ولا ذُهْل بن ثعلبة غير ناس من بني يشكر، وذُهل قاتلت بأَخَرة، ثمَّ جاء ناسٌ من بني لجيم يومَ قِضَة مع الفِند، وفي ذلك يقول سَعْد بن مالِك:

إنَّ لُـجَـيْـمًـا قَـدْ أَبَـتْ كُـلُّـهـا ... أَنْ يَـرْفِـدُوْنـا رَجُـلاً وَاحِـدا

ويَـشْـكُـرُ أَضْـحَـتْ على نأيِـهـا ... لمْ تَـسْـمـعِ الآنَ لَـهـا حـامِـدا

ولا بـنـو ذهـلٍ، وقـد أصْـبَـحـوا ... بـهـا حُـلُـولاً خَـلَـفًـا ماجِـدا»[1]

فهذه القبائل لم تكن تشارك، ابتداء، في حرب البسوس، فسجَّل سعد ذلك في شعره، مُعَرِّضًا بهم، وحاثًّا إيّاهم على القتال ضدّ تغلب. والشيء ذاته كان في شعره في الحارث بن عُباد، الذي اعتزل بني شَيْبان لقتلهم كُلَيْبًا، ولم يشأ أن يسهم في حرب البسوس قائلاً: لا ناقةَ لي في ذلك ولا جَمَل. فغاظ هذا الموقف شاعرَنا، فنظم حماسيَّتُه الحائيَّة المعروفة، التي يقول فيها معرضًا بالحارِث بن عُباد:

يـا بُـؤْسَ لِـلْـحَـرْبِ الـتـي ... وَضَـعَـتْ أراهِـطَ فـاسْـتَـراحُـوا

والحَرْبُ لا يَـبْـقَـى لِـجَـا ... حِـمِـهـا الـتـخـيُّـلُ والمِراحُ

إلاَّ الـفَـتَـى الـصـبَّـارُ ذُوْ الـنَّـ ... ـجَـداتِ والـفَـرَسُ الـوَقَـاح[2]

وقد استأثرت البسوس بعطاء سعد الشعري، فباستثناء (١٢) بيتًا لسعد قيلت في ثلاث مناسبات مختلفات، فإنّ ما تبقّى من شعرٍ مَعزُوٍّ إليه، وهو (٥٤) بيتًا، جاء في هذه الحرب. وربّما لهذا السبب ساغَ لأبي الفَرَج أن يروي: «قال مُقاتِل: فكان حَكَمْ بَكْر ابن وائل يومَ قِضَة الحارثَ بن عُباد، وكان الرئيسُ الفِندَ، وكان فارسُهم جُحْدر، وكان شاعرُهم سعدَ بن مالك بن ضُبَيْعة، وكانَ الذي سَدَّ الثَّنِيَّةَ عوف بن مالك. وكان عوف أنْبَهَ مِنْ أخيه سعد»[3]. ولم تكن مُساهمة سعد في البسوس، وفي يوم قِضة، قاصِرةً على الشعر والكلمة كما قدَّمنا، بل تعدَّتهما إلى الانخراط الفعليّ في القتال، وإلى

(١) الأصفهاني: الأغاني ٥: ٥٢، والقالي: الأمالي ٣: ٢٥ ـ ٢٦.

(٢) أنظر الأصفهاني: م. س ٥: ٤٦، والبغدادي: الخزانة ١: ٤٦٧ فما بعدها.

(٣) الأصفهاني: م. س ٥: ٤٨.

مقارعة تغلب بالرماح ومجالَدَتِها بالسيوف؛ فهو الذي قتل، يوم قِضة، ابنَ القَبِيْحة، وقتلَ غيرُهُ من بكر غير ابنِ القبيحة من تغلب... وكانت نهاية سعد أيضًا في هذه الحرب، كما ذكرنا قبل قليل، في مكان يُدْعَى (أسود العشاريّات).

٤ ـ شعره

أصَبنا من شعر سَعْد بن مالِك البكري (٦٦) بيتًا، بينها مُقَطَّعة ينازعه فيها شعراء آخرون. أمّا ما تبقّى فيقع في سبع قصائد ومقطّعات، فيها حماسيّته المشهورة، التي اختارها أبو تمّام في **حماسته**. وقد بلغت روايتها عندنا (٣٤) بيتًا، في حين روى منها التبريزي فقط (١٥) بيتًا، ولسعد ثلاث مُقَطَّعات وردت في **كتاب البسوس**، وهي موضع شكّ ورِيْبة كما سَنَرى. وثلاث مقطّعات وردت في كتب التراث الأخرى. ولا جرم أنّ بعض شعر هذا الشاعر قد ضاع، والدليل أنّ الآمدي، الذي مَيَّزَ بينه وبين شاعر آخر، يُدعى سعد بن مالك القُرَيْعي من بني قُرَيع بن سَلامان، قال: «سَعْد بن ضُبَيْعة بن ثعلبة أحد سادات بكر بن وائل وفرسانها في الجاهليّة، وكان شاعرًا، وهو القائل:

يــا بُــؤسَ لِـلــحــربِ الــتــي   وَضَـعَـتْ أراهِـطَ فـاسْـتَـراحُـوا»

ثمَّ أنشد خمسة أبيات من هذه القصيدة، وأتبعها ـ وهذا ما نريد أن ننبِّه عليه ـ بقوله: «وله أشعار جِياد في **كتاب بني قَيْس بن ثَعْلبة**»[١].

وهذه الأشعار التي أشار إليها الآمدي، أشعارٌ أخرى غير «الحماسيّة»، ولكنّنا لا نعرف ما هي بالضبط ولا مقدارها الحقيقيّ، ولا ندري إذا كُنّا قد وقفنا على بعضِها في جولتنا في كتب التراث التي وصلت إلينا، بيد أنّنا نرجِّح أنّ بعضًا مِمّا أشار إليه الآمدي، وممّا لم يُشِر إليه، قد ضاع، أوْنُسِيَ، فَصَحَّ لنا أن نستنتج من ذلك أمرَين اثنَين، أوّلهما: قِدَمُ هذا الشاعر الجاهليّ، وثانيهما: استحالة الوصول إلى كلّ النتاج الشعريّ لشاعر جاهليّ مُغرِق في القِدَم.

أمّا فيما يتّصل بالثقة بأشعار هذا الشاعر، فإنّ الكثير منها لا يحوز مُسَوِّغات احتسابهِ من الشعر الجاهليّ الصحيح، وذلك بسبب من مصدره الذي جاءنا منه، وبسبب من اللغة أو الأسلوب أو التراكيب التي حَمَلته إلينا. ويمكن لنا أن نُصنِّف شعرَ سعد بن

(١) الآمدي: المؤتلف والمختلف ١٩٨ ـ ١٩٩.

مالك هذا المُريب كلّه، أو بعضه، في ثلاثة أضْرُب:

ـ الضربُ الأوّل: شعر مُفتعَل مَنحول، في الأغلب الأعمّ، وهو الذي جاء من أوّله إلى آخره في **كتاب البسوس** فقط دون غيره من الكتب. ونمثّل له بالمقطوعات ذوات الأرقام (٤) و(٦) و(٧) في شعر سعد الآتي بعد قليل.

ـ الضرب الثاني: شعر، قسم منه صحيح، والآخر منه منحول، وقعت زياداته المنحولة، في غالب الظنّ، بعد الإسلام. ونمثّل له بما زيد على «حماسيّة» سعد الحائيّة، وعدده (١٦) بيتًا.

ـ الضرب الثالث: شعر مختلف فيه، فهو يُعزى إلى سعد، وإلى غيره من الشعراء. ونمثّل له بالمقطوعة الأخيرة من شعر الشاعر، وهي على النون.

فمن الضرب الأوّل مثلاً ما يُعْزَى إلى سعد بن مالك في **كتاب البسوس**، كقوله في المقطوعة (٤):

أَلاَ قُـلْ لِـمَـنْ تَـزْدريْـهِ الحروبُ   تـنـحَّ وخـلِّ لـهـا دارَهـا

وقوله في المقطوعة رقم (٦):

أحارثُ مَنْ ذا بَـعْـدَ بَـكْـرِ بنِ وائـلٍ   يُـرَجَّى ومَن ذا بَـعْـد سعد بن مالِك

وقوله في المقطوعة رقم (٧):

عـمـرْنـا بـابـنـةِ الـبَـكْـري قـدْمًـا   تـهـامـة دارَنـا فـي حـسـنِ حـالِ

والقاسم المشترك بين هذه المقطوعات الثلاث، وأبياتها (١٦) بيتًا، هو انفراد **كتاب البسوس** بروايتها، ثمَّ مظاهر الغَثاثة والتلفيق الصارِخة فيها؛ فأيُّ شعر هذا الذي يقول فيه ناظِمهُ:

أَلاَ قُـلْ لِـمَـنْ تَـزْدريْـهِ الحروبُ   تـنـحَّ وخـلِّ لـهـا دارَهـا

أو يقول:

إنَّـا سَـنَـكْـفِـيْـكَ ريْـبَ المَنون   لـدى الحَرْبِ يـومًـا وأوْطـارَهـا

فكيف يكفي قومُ الشاعر عَدُوَّهم ريب المنون؟ وما معنى أن يكفوه أوطارها؟ وكم هو قلق موقع الظرفَين في هذا البيت: (لدى) و(يومًا)...! ومثل هذا الارتياب في

أصالة البيت يمكن أن نرفعه في وَجْه قول الناظم:

إذا هـاجَـتِ الحَرْبُ هـاجُـوا لَـهـا بَـحـرْبٍ يـخـيـبُ مَـنْ زارَهـا
تـعـادَى بـهـم مُـخْـطَـفـاتُ الـبطـونِ يـطـلـبـون فـي الحرب تـكْـرارَهـا
يـقـودونَـهـا مـن حـبـالاتِـهـم ويـصـلـونَ يـومَ الـوَغـى نـارَهـا

ورواية البيت الأخير كما في **البسوس** رواية مُحَرّفة ومُخِلّة بالوزن. ولم نهتدِ إلى إصلاحها، لذلك بقي المعنى غامضًا ومُظْلِمًا. ومثل هذا البيت وغيره يكاد يعلن أنّه ليس من الشعر في شيء، ولهذا نالنا من مشقّة إصلاحه وشرحه، في أثناء التحقيق، ما نالَنا...

أمّا الضرب الثاني الذي وقعت إضافته إلى شِعر صحيح موثوق لسعد بن مالك فهو ما زيد في **كتاب البسوس** على (حماسيَّةٍ) شاعرنا من أبيات، نحو قوله:

والـقَـطْـعُ لـلأعـنـاقِ والـ أوْسـاطِ إذ جَـدَّ المِزاحُ
ومـشـى الـكـمـاةُ إلـى الـكُـمـا ةِ وقُـرِّبَ الـكَـبْـشُ الـنِّـطـاحُ
وَغدَت بنو جُشَـم بن بَكْـ ـر إذا بـدا مـنـه الـصـراح
أيـنَ الأراقـمُ حـيـنَ يُـد نـيـهـا مـن الموتِ الـصـراح
والخيـلُ تـعـدو بـالـكـمـا ةِ ظـهـورهـا شـيـخ مـلاح
مـنّـا ومـنـهـم حـين لا يـنـجـي مـن الموت المراح

وتجرى الأبيات الباقية على مثل هذا النحو من الغثَاثة والركاكة والتلفيق...! الأمر الذي يجعلنا نقدِّر أنّها ليست من طبقة الشعر الجاهليّ الصحيح، وأنّها، في الغالب، من ذلك الشعر الذي نُحِل على سعد بن مالك في زمن لاحق، بينه وبين زمان سعد السنون الطوال الكثيرة.

أمّا الضربُ الثالث من شعر سَعد، من حيث الصحّة، أو الزيف، فهو ما تنازعه سعد مع غيره من الشعراء، وذلك يتمثّل في مقطوعة واحدة، هي قوله:

«لَبِّثْ قليلاً يلحقِ الدارِيُّونْ»

فقد نازعه فيها، أو في بعضها، معاوية بن قُشَيْر، وأكثَم بن صَيْفي، والحارث ابن عُباد البكري، ومالِك بن المُنْتَفِق. وقد تفرَّد صاحب **مجمع الأمثال** في عزو الأبيات الخمسة لشاعرنا، في حين روى البيتَين الرابع والخامس فقط لسعد بن مالك، كلّ من ابن دُرَيْد، والجوهري، والتبريزي، والزبيدي. وإزاء هذه الاختلافات يصعب علينا أن نجزم بعزو هذه الأبيات لشاعرنا.

ونخلص مِمّا سبق إلى أن ما يُرْكَنُ إليه من شعر سَعْد بن مالك، لا يتجاوز ثلاثين بيتًا، من بينها حماسيّتُه المعروفة التي أوردها أبو تمّام في اختياراته، وشرحها كلّ من المرزوقي والتبريزي في شرحهما للحماسة التَّمّامِيَّة. وها هي أشعار سَعد جميعها مشفُوعة بتعليقاتنا عليها من جميع الأوجه التي يُستنسب فيها التعليق:

شِعرُ سَعْدِ بن مالك البَكْري

(١)

في البيان والتبيين (٣: ١٩ ـ ٢٠)[١]: (الوافر)

١ ـ ولَيْلَةِ تُبَّعٍ وخَمِيْسِ كَعْبٍ ... أَتَوْنا بَعْدَما نِمْنا دَبِيْبَا[٢]

٢ ـ فَلَمْ نُهْدَدْ لِبأْسِهِمُ وَلَكِنْ ... رَكِبْنا حدَّ كَوْكَبِهِمْ رُكُوبا[٣]

٣ ـ بِضَرْبٍ يُفْلَقُ الهاماتُ مِنْهُ ... وطَعْنٍ يَفْصِلُ الحَلَقَ الصَّلِيْبا[٤]

(٢)

في شرح الحماسة للتبريزي (٢: ٧٣ ـ ٧٩)[٥] (مجزوء الكامل)

١ ـ يا بُؤسَ لِلْحَرْبِ التي ... وَضَعَتْ أراهِطَ فاسْتَرَاحُوا[٦]

---

(١) قال الجاحظ قبل هذه الأبيات: «والدليل أنّهم كانوا يقاتلون بالليل قول سَعْد بن مالك في قتل كَعْب بن مُزَيْقِياء الملك الغسّاني». وفي تأكيد نسبة الأبيات إلى سعد بن مالك البكري. أنظر شرح الأعلم الشَّنْتَمَرِي لديوان طَرَفَة بن العَبْد ٨٨ ـ ٨٩.

(٢) تُبّع: لقب لملوك اليمن. وكَعْب: لعلّه كَعْب بن عمرو مُزَيْقِياء. وقيل: إنّ كعبًا هو جَفْنة ـ جدّ الحارث الأكبر ـ أنظر تاريخ اليعقوبي ١: ٢٠٧، وأمراء غسّان ٦٥ . ودَبَّ يدبُّ دَبِيبًا: مَشَى رويدًا.

(٣) هدَّهُ يَهُدُّه ويَهَدُّهُ هَدًّا: هَدَمَه وكَسَره. والبَأس: الشِّدَّة. وكَوْكَب الجيش: مُعْظَمُه.

(٤) يَفْلِق: يَكْسِرُ ويَحْطِم. والهامات: الرؤوس. والحَلَق: هو حَلَقُ الدِّرْع. والصَّلِيْب من صَلُب الشيءُ صَلابةً، فهو صَلِيْب أي شديد.

(٥) هذه القصيدة هي «حماسيّة» سَعد بن مالك التي قالها في حرب البسوس يحثّ فيها الحارث بن عُباد على حرب تغلب، بعد أن اعتزل الحارث هذه الحرب قائلاً: لا ناقةَ لي فيها ولا جَمَل. وفي حين روى المرزوقي من هذه الحماسيّة عشرة أبيات، روى التبريزي منها (١٥) بيتًا. أمّا كتاب (البسوس) فقد جاء فيه (٢٩) بيتًا من هذه القصيدة، منها (١٧) بيتًا، لم ترد في رواية التبريزي، فأُثبتُّ هذه الزيادات، بعد أن فرغت من رواية التبريزي. ومن أبيات البسوس، اثنان وردا مع اثنَين آخرَين، في أمالي القالي ٣: ٢٦، وآخر ورد في شَرْح شواهِد المغني ٢: ٥٨٣ . ونَصَّ البغداديّ في الخزانة على أنّ القصيدة (١٥) بيتًا، وانفرد برواية بيتَين لم يَرِدا عند التبريزي، ولا عند السيوطي، وقال بعدها: «وهذا آخر القصيدة» ـ الخزانة ١: ٤٦٨، فأثبتُّها في آخر القصيدة، فصارَ لنا منها جميعًا (٣٤) بيتًا. وقد عكسنا ترتيب البيتَين الخامس والسادس ليصبحا وفق رواية المرزوقي للنصّ. وبعض الأبيات الواردة في كتاب البسوس من الشعر المتّهم.

(٦) في البسوس «يا بِئْسَ حَرْبَكُمُ التي». وفي شَمْس العلوم: «جَمَعَتْ أراهِطَ». ووضعت: حطّت =

٢ ـ والْحَرْبُ لا يَبْقَى لِجَا حِمِها التَّخَيُّلُ والْمِراحُ[(١)]

٣ ـ إلاَّ الْفَتَى الصَّبَّارُ في النَّـ ـجَداتِ والْفَرَسُ الْوَقاحُ[(٢)]

٤ ـ والنَّثْرةُ الْحَصْداءُ والْـ ـبَيْضُ المُكَلَّلُ والرِّماحُ[(٣)]

٥ ـ والْكَرُّ بَعْدَ الفَرِّ إذْ كُرِهَ التَّقَدُّمُ والنِّطاحُ[(٤)]

٦ ـ وتَساقَطُ الأوْشاظُ والذُّ نَبَاتُ إذْ جُهِدَ الْفِضاحُ[(٥)]

٧ ـ كَشَفَتْ لَهُمْ عن ساقِها وَبَدَا مِنَ الشَّرِّ الصُّراحُ[(٦)]

٨ ـ فَالْهَمُّ بَيْضاتُ الخُدُو رِهُناكَ، لا النَّعَمُ المُراحُ[(٧)]

= وأسقطت. والأراهِط: مفردُها أرْهُط، وأرْهط مفردها رَهْط، وهو النَّفر من ثلاثة إلى عشرة. وأصلُ الكلام في البيت «يا بؤسَ الحَرْبِ» وأُقْحِمَتِ اللامُ بين المُتَضايِفَيْن تقويةً لمعنى الإضافة ـ أنظر الخصائص ٣: ١٠٦، ومغني اللبيب ٢٣٨، والخزانة ١: ٤٦٩ . وعلَّق التبريزي على رواية الرفع في «أراهط» فقال: ومَن رَفَع أراهِطَ، فالمعنى يا بؤسَ للحربِ التي وضعتها أراهطُ، وهذا اللفظ هو الأصل لأنَّ قولَك، ترك بنو فلان الحربَ هو واجبُ الكلام، وقولُكَ تركتِ الحربُ بني فلان مجازٌ واتِّساع».

(١) في البسوس، والأغاني: «لصاحِبِها التخيُّل» وجاحِم الحرب: مُضْرِمُها ومُثيرها. والتخيُّل: التكبُّر. والمِراح. الأَشَر والبَطَر. وقال المرزوقي شارِحًا: «هذا الكلام جارٍ مَجْرى ما قبله، وفيه إزراء بالذين ذكرهم بأنّهم كانوا أصحاب خُيَلاء وبَطَر ومِراح ونَزَق، فلم تثبتْ أقدامُهم عند اللقاء ولا صبرتْ أنفسهم أوانَ الكِفاح» ـ شرح المرزوقي ٢: ٥٠٢ .

(٢) في البَسوس: «في الوَقَعاتِ والفَرَحُ الوَقاحُ» تحريف. والنَّجَدات: مفردها نَجْدَة، وهي الشِّدَّة والبَأْس في الحرب، والفَرَسُ الوَقاح: الفَرَسُ ذو الحافر الصلْب الشديد.

(٣) في التكملة والذيل: «والأسرة الحَصْدَاءُ». والنثرة: الدرع الواسعة المُحْكَمَة السَّرْد. والحَصْداء: الجَدْلاء من حَصِد يَحْصِد حَصْدًا، إذا جَدَل وأحْكَمَ الفَتْلَ. والبِيض: مفردُها بَيْضَة، وهي الخُوذَة. والمُكَلَّلُ: قال السيوطي «قال التدمري: المركَّب على هيئة الإكليل» ـ شرح شواهد المغني ٢: ٥٨٤ .

(٤) في البسوس: «والْكَرُّ بعدَ الْكَرِّ» تحريف، وجعل التبريزي هذا البيت بعد تاليه، فأخذنا بترتيب المرزوقي، لأنّه قال: «وبعضهم يروي هذا البيت في غير هذا الموضع، والصواب هذا الترتيب» شرحه ٢: ٥٠٣ .

(٥) في حماسة البحتري:

وتَقَطَّعُ الأوْساطُ والذُّ نَباتُ إذْ جَدَّ الفِضاحُ

وفي شرح المرزوقي: «وتَساقَطُ التَّنْواطُ والذُّنَباتُ». وفي شرح شواهد المغني: وتَساقَطُ التَّنْواةُ والذُّنباتُ أو جُهِدَ». وقال المُحقِّق: وفي الأصل (التنواة) خطأ، وصحُتُها التَّنْواط». وفي المقاصد النحويَّة: «وتساقَطُ التنواطُ... جُهِدَ الفِصاح» وفي «الفِصاح» تصحيف. والأوشاظ: مفردها وَشِيْظ، وهو الخسيس من الناس والدَّخِيل فيهم، والذُّنبات: التُّبَّاع والعُسَفاء. وقوله «جُهِدَ الفِضاحُ»: أي بُلِغ بالفضيحةِ جَهْدَها وأقصاها.

(٦) في البسوس «الشَّرُّ القُراحُ». وقوله: «كَشَفت لَهُمْ عن ساقِها» مَثل يُضرَب لشدّة الحرب. يقول: انكشفت لهم الحرب عن تشمُّر أهلِها واشتدادها. وقيل: «الساق» اسم للشِّدَّة. وفي سورة القَلَم: «يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ ساق» ٦٨: ٤٢، أي يوم يُكْشَف عن شدّة. والصُّراح: الخالِص من كلِّ شيء.

(٧) الهَمُّ: ما يُهَمُّ بِهِ، أو له، وبَيْضات الخدور، النساء: «وقال الخليلُ: بَيْضَةُ الخِدْر هي الجارِية المُخدَّرة =

٩ ـ بِئْسَ الخلائِفُ بَعْدَنا أوْلادُ يَشْكُرَ واللِّقاحُ(١)
١٠ ـ مَنْ صَدَّ عَنْ نِيْرانِها فأنا ابنُ قيسٍ لا بَرَاحُ(٢)
١١ ـ صَبْرًا بني قَيْسٍ لَها حَتَّى تُرِيحُوا، أوْ تُراحُوا(٣)
١٢ ـ إنَّ الموائِلَ خَوْفَها يَعْتاقُهُ الأَجَلُ الْمُتاحُ(٤)
١٣ ـ هَيْهاتَ حالَ المَوْتُ دُوْ نَ الفَوْتِ وانْتُضِيَ السِّلاحُ(٥)
١٤ ـ كَيفَ الحَياةُ إذا خَلَتْ مِنّا الظَواهِرُ والْبِطاحُ(٦)

= الجميلة» ـ شرح المرزوقي ٢: ٥٠٥. والخُدُور: الهوادج. والنَّعَم: الإبل. والمُراح: التي جاءت عشيَّةً من مراعيها. وقال المرزوقي: «إنّما قال المُرَاح لأنّ النَّعَم تُذَكَّر» ـ شرح المرزوقي ٢: ٥٠٥.

(١) قال التبريزي: «يُرْوَى اللَّقاح، بفتح اللام، واللِّقاح بكسرها، يقول: خَلَّفْنا مَنْ لا دفاعَ بِهِ من الرجال والأموال، فبئسَ الخلائِف بعدنا، جعل أولاد يشكر كاللقاح، وهي الإبل فيها لَبَن، في حاجتها إلى مَن يَذُبُّ عنها. ومَن روى اللَّقاح، بفتح اللام، فالمُراد بنو حنيفة، وكانوا لا يدينون للملوك، ويكون الكلام على هذا تَهَكُّمًا، يعني أنّهم لا يحمون حوزتهم بعدها، فهي لِمَن غَلَب»، وفي الخزانة قال البغدادي مُعلِّقًا على العبارة الأخيرة من هذا الشرح: «وهذا ليس بالوَجْه، وإنّما ذَمَّ الحَيَّيْن لقعودهما عن بَكْر في حربهم» ـ الخزانة ١: ٤٧.

(٢) في البسوس: «فإذا بَدَت نيرانُها». وفي الكتاب (١: ٥٨) ط هارون، والمؤتلف، واللسان، والتاج (برح): «مَنْ فَرَّ عَنْ نِيْرانِها». وفي حماسة البحتري: «مَن فَرَّ من نيرانِها». وقَيْس: هو جَدُّ الشاعر. والبَراح هو مصدر قولك بَرَحَ مكانه، أي زالَ عنه وصار في البَراح. وقوله: «لا بَراحُ» الوَجْهُ فيه نَصْب براح، ولكنَّ الضرورة دعته إلى الرفع، و«لا» هنا عَمِلتْ عَمَل (لَيس) شذوذًا. أنظر الكتاب ١: ٥٨، ٢: ٢٩٦، والمغني ٢٦٤، ٧٠١، والمقاصد النحويّة ٢: ١٥٥ ـ ١٥٦، وشرح شواهد المغني ٢: ٥٨٥، والخزانة ١: ٤٦٧.

(٣) في البسوس: «حتّى تُبيْحوا أوْ تُناحُوا» ولعلّه تحريف. وقال التبريزي شارحًا: «اصبروا لهذه الحرب حتّى تقتلوا أعداءَكم فتريحوهم من شدَّتِها، أو يقتلوكم فيريحوكم من ذلك».

(٤) في البسوس:

وبَدَتْ عُقابُ الْمَوْتِ يَخْفقُ تَحْتَها الأَجَلُ المُتاحُ

والمُوائِل الذي يطلب المَوْئِل أي المَلْجأ ـ والهاء في خوفها تعود على الحرب. واعتاقَهُ الأجل: شغله الموت عن النَّجاة. والمُتاح: المُقَدَّر. وقال السيوطي: «قال العيني بفتح الميم وتشديد التاء: الطويل، يُقال لَيْلٌ مَتَّاح، قُلت: وليس كما قال، ولا يستقيم بذلك الوزن» ـ أنظر شرح شواهد المغني ٢: ٥٨٥، والمقاصد النحويّة ٢: ١٥٤.

(٥) في المقاصد النحويّة: «هَيْهات جالَ الموتُ» تصحيف. وفي شرح شواهد المغني: «هيهاتَ هانَ الموت»، تحريف. وفي البسوس:

هَيْهاتَ حَلَّ المَوْتُ دُوْ نَ المَوْتِ وابْيَضَّ السِّلاحُ

وفيها تحريف. وقال التبريزي في شرحه: «أراد أنّ الموتَ قد حال دون أن يفوت الرجل، فيذهب عن هذه الحروب مُنْهزِمًا».

(٦) قال التبريزي في شَرْحه: «الظواهر: أعالي الأودية، والبِطاح: بطونها، وهو من نوادر الجَمع، واحدها =

١٥ ـ أيـن الأعـنَّـة والأَسِـنَّـ ـةُ عـنـدَ ذَلِـكَ والـرِّمـاحُ[١]

وفي البسوس (٩٢ ـ ٩٤):

١٦ ـ والـقَـطْـعُ لِـلأَعْـنَـاقِ والْـ ـلأَوْسـاطِ إِذْ جَـدَّ الميزاحُ

١٧ ـ وَمَـشى الكُـماةُ إلى الكُـما ةِ وقُـرِّبَ الـكَـبْـشُ الـنِّـطـاحُ[٢]

١٨ ـ وغَـدَتْ بنو جُشَـمَ بنِ بَكْـ ـرٍ إذْ بَـدَاْ مِـنْـهُ الـصُّـرَاحُ[٣]

١٩ ـ أَيْـنَ الأراقِـمُ حِـيْـنَ يُـدْ نِـيْـهـا مِـنَ الْـمَـوْتِ الـصُّـراحُ[٤]

٢٠ ـ والخَيْـلُ تَـغْـدُوْ بـالـكُـما ةِ ظُـهـورُهـا شُـيُـخٌ مِـلاحُ[٥]

٢١ ـ مِـنَّـاوِمِـنْـهـم حِـيْـنَ لاَ يُـنْـجِـي مِـنَ الْـمَـوتِ المِراحُ[٦]

٢٢ ـ يا لـيـلـةً طالَـتْ عَـلَـيَّ تَـفَـجُّـعًـا فَـمَـتَـى الـصَّـباحُ[٧]

٢٣ ـ إِنَّـا وإخْـوتَـنـا غَـدًا كَـثَـمُـوْدِ حِـجْـرِ حِـيْـنَ طاحُـوا[٨]

٢٤ ـ أَلْـبِـيْـضُ لاَهُـمْ يَـنْـكُـلُـوْ نَ ولا نَـفِـرُّ ولا نُـبـاحُ[٩]

= أبطح وبطحاء». شرح الحماسة ٢: ٧٨ ـ ٧٩.

(١) في شرح الحماسة للتبريزي:

أَيْـنَ الأعِـزَّةُ والأعِـنَّـةُ عـنـدَ ذلـكَ والـسَّـمـاحُ

وفيها تحريف لا يستقيم به المَعْنى. وأثبتُّ رواية السيوطي في شرح شواهد المغني، وفي المقاصد النحويَّة: «أين الأعِزَّةُ... والسَّماحُ».

(٢) الكُماة: مفردها كَمِي، وهو الشجاع والجريء. وناطَحَ: نازَلَ وقاتَلَ، وفي العجز كناية عن شدّة القتال، ففي اللسان: وفي الحديث: لا ينتطح فيها عنزان أي لا يلتقي فيها اثنان ضعيفان، لأنَّ النطاح من شأن التيوس والكباش» ـ اللسان (نطح).

(٣) غدا: بَكُر. وجُشَم بن بَكر: حَيٌّ من تَغْلِب، وهم الذين يقال لهم الأراقم ـ جمهرة أنساب العرب: ٣٠٤، واللسان (جُشَم). والصُّراح: الخالص من كلّ شيء.

(٤) الأراقِم: هم بنو جُشَم بن بكر التغلبيّون.

(٥) الشُّيُخ: مفردها شَيْخ. ومِلاح: مفردها مليح، من مَلُحَ يَمْلُح مَلاحةً، أي حسن. ولعلَّ في قوله: «ظهورُها شُيُخ مِلاح» عِلَّةً بلاغيَّة، فثمّة مجاز علاقته المكانيَّة.

(٦) المِراح: الاختِيال والتَّبَخْتُر. والمِراح أيضًا: اسم مكان. وكلاهما يصحُّ في البيت.

(٧) في البسوس: «عَلَيَّ... يا وَيْلَتي فَمَتى». وهي مُخْتَلَّة الوزن، وأثبتُّ رواية شرح شواهد المغني.

(٨) في الأمالي: «يومَ طاحُوا» وثَمود: قبيلة عربيَّة بائدة ـ أنظر جمهرة أنساب العرب ٨ ـ ٩. والحِجْر: اسم ديار ثمود بوادي القرى بين المدينة والشام. وروى ياقوت: «قال الأصْطَخْري: الحجر قرية صغيرة قليلة السكّان، وهو من وادي القرى على يوم بين جبال، وبها كانت منازل ثَمود» ـ معجم البلدان (حجر) وطاح: هلك وفني.

(٩) في الأمالي:

بـالمَشْـرَفـيَّـةِ لا نَـفِـرُّ ولا نُـبـاح ولَـنْ نُـبـاحُـوا =

٢٥ ـ أولادُ ثَـعْـلَـبَـةَ الأغَـرّ وتَـغْـلِـبُ النُّـجُـبُ الصِّـبـاحُ[١]

٢٦ ـ أَفَـبَـعْـدَهُـمْ، أوْ بَـعْـدَنـا أنـثـى، ولا جَـرَتِ الـقِـداحُ[٢]

٢٧ ـ أبْـلِـغْ لُـجَـيْـمًـا إذْ نَـأَتْ لا تَـبْـرَحُ الحَزْبَ المَطـاحُ[٣]

٢٨ ـ لَـوْ أنـتُـمُ أَلْـحَـمْـتُـمُ مـا شَـقَّ سَـيْـلَـكُـمُ المِلاحُ[٤]

٢٩ ـ حـتّـى تَـضَـرَّج حَـوْلَـهُ أوْ تُـكْـسَـرُ الأسَـلُ الصِّـحـاحُ[٥]

٣٠ ـ ويـكـونُ بَـينهـمـا بِـنَـا طَـعْـنُ الأسِـنَّـةِ والـرِّمـاحُ[٦]

٣١ ـ والمَوْتُ أهْـوَنُ مُـوْطِـئًـا مِـن أنْ يَـسِـيْـحوا حَيْثُ ساحُـوا[٧]

٣٢ ـ رُدُّوا الجمـوعَ عـلـى الجُمُـو عِ كـأنَّـهُ الـلُّـجَـجُ المِلاحُ[٨]

وفي الخزانة (١: ٤٧١):

٣٣ ـ والْـمَـوْتُ غـايـتُـنَـا فـلا قَـصْـرٌ ولاعَـنْـهُ جِـمـاحُ[٩]

٣٤ ـ وكـأنَّـمـا وِرْدُ الْـمَـنِـيَّـةِ عِـنْـدَنـا مـاءٌ وراحُ[١٠]

ـ وعلّق المَيْمني بقوله: «كذا في الأصل، ووَجْهُ الكلام: ولا نُباح لِمَنْ يُباحُ». والبِيْض: مفردها أبْيَض، وهو الرجل الكريم. ونَكَلَ يَنْكِلُ ويَنْكُل نكولاً: نكص وجبن. وقُطِعَتِ الهمزة في «ألبِيْض» لأنها وقعت في أوّل البيت ـ أنظر الكتاب ٤: ١٥٠ ـ ١٥١ (ط هارون).

(١) ثَعْلَبة: جَدٌّ من جدود بَكْر. والأغرّ: الشريف. والنُّجُب: مفردها نَجِيْب وهو الكريم. والصِّباح: مفردها صَبِيْح وصُباح، وهو الجميل.

(٢) البيت بهذه الرواية غامض، ولم نَهْتَدِ إلى وَجْه من وجوه المعنى فيه.

(٣) في البسوس: «لا تترحُ الحرْب». وفيها تَحْريف: واجتهدتُ أن أقرأها: «لا تبرح الحرْب». والمَطاح: المهالك والقواذف.

(٤) في البسوس: «ألْجَمْتُمُ... ماء» تصحيف. وألْحَمَ الشيء ولَحَمَهُ: لأَمَهُ وأصْلَح صَدْعَه. والمِلاح: أرى أنّها المياه المِلاح. وعجز البيت كناية عن الاضطراب واختلاط الأشياء.

(٥) تضرَّج: تلطَّخ بالدم، والأسَل: الرِّماح.

(٦) قوله «بينهما»: لعلّهُ أراد بين الجمعين، وقوله «بنا» لعلّه أراد بِسَبَبنا.

(٧) ساح يسيح في الأرض سياحةً وسُيُوْحًا: ذهب في الأرض، وفارق الأمصار، وسكن البراري.

(٨) اللُّجَج: مفردها لُجّة، واللُّجّة: مُعظَم الماء، وخصَّ بعضُهم بِهِ معظمَ البحر.

(٩) القَصْر: كَفُّ النفس عن أمرٍ ما. والجِماح: السُّرعة، من جَمَح إذا أسْرَع، ولم يردّه شيء.

(١٠) الرَّاح: الخَمْرة.

(٣)

في الأغاني (٥: ٥٢)[1]: (السريع)

١ ـ إنَّ لُجَيْمًا قد أبَتْ كُلُّها أنْ يَرْفِدُوْنا رَجُلاً واجِدا[2]

٢ ـ ويَشْكُرُ أضْحَتْ على نَأْيِها لمْ تَسْمعِ الآنَ لها حاسِدا[3]

٣ ـ ولا بنو ذُهْلٍ، وقَدْ أصْبَحُوا بِها حُلولاً خَلَفًا ماجِدا[4]

٤ ـ ألْقائِدِي الخيلَ لأرْضِ العِدا والضّارِبينَ الْكَوْكَبَ الْوافِدا[5]

(٤)

في البسوس (٩٤)[6]: (المتقارب)

١ ـ ألاَ قُلْ لِمَنْ تَزْدَرِيهِ الحُرُوْبْ تَنَحَّ وخَلِّ لها دارَها[7]

٢ ـ فإنَّا نَخالُكَ لا تَسْتَطِيْعُ مِراسَ الْحُرُوْبِ وإمْرارَها[8]

٣ ـ إنَّا سَنَكْفِيْكَ رَيْبَ الْمَنُوْنِ لَدَى الْحَرْبِ يومًا وأوْطارَها[9]

---

(١) قال أبو الفَرَج في مناسبة الأبيات: «قال مُقاتِل: ولم يُقاتِل معنا من بني يَشْكُر، ولا من بني لُجَيْم ولا ذُهْل بن ثعلبة غير ناس من بني يشكر، وذُهْل قاتلت بأُخَرَة، ثمّ جاءَ ناسٌ من بني لُجَيْم يوم قِضَة مع الفِنْد، وفي ذلك يقول سعد بن مالك: (الأبيات)».

(٢) في الأمالي:

إنَّ لُجَيْمًا عَجِزَتْ كُلّها أنْ يَرْفِدُوْني فارِسًا واجدا

ولُجَيْم: هو لُجيم بن صَعْب بن عليّ بن بَكْر بن وائل ـ جمهرة أنساب العرب ٣٠٩. ورفده يَرفده: أعطاه وأعانه.

(٣) في الأمالي:

ويشكر العام على خَتْرِها لمْ يَسْمَعِ الناسُ لَهُمْ حامِدا

ويشكر: هم يشكر بن بكر بن وائل ـ انظر جمهرة أنساب العرب ٣٠٧ ـ ٣٠٨ والخَتْر: شِبْه الغَدْر والخديعة، وقيل هو أسوأ الغدر.

(٤) بنو ذُهْل: هم بنو ذهل بن الدول بن حنيفة بن لجيم بن صعب بن علي بن بكر بن وائل ـ جمهرة أنساب العرب ٣١٠ ـ ٣١١. والخَلَف: ما استُخلِف من شيء، وقيل: الخَلَف: الولد الصالح، وخلفه يَخلُفُه: صار مكانه.

(٥) الكوكب: سيِّد القوم وفارسهم، والرجل بسلاحه. والوافد: القادِم.

(٦) القصيدة من الشعر المتَّهم.

(٧) في البَسوس (ط بغداد): «قُلْ لِمَنْ نزدريه». وهي مُحرَّفة ومُخِلّة بوزن البيت، وأثبتُّ رواية البسوس (ط نخبة الأخبار).

(٨) المِراس: المُمارسة وشدّة القَتل. والإمرار: القَتل.

(٩) الأوطار: مفردُها وَطَر، وهو الحاجة والإرب، وليس له فعل. والبيت مَخْرُوْم.

٤ ـ بِفِتْيانِ حَرْبٍ صَدُوْقِ اللِّقا يَقُوْمونَ في الحَرْبِ إصْغارَها[1]

٥ ـ إذا هاجتِ الحَرْبُ هاجُوا لَها بِحَرْبٍ يُخَيِّبُ مَنْ زارَها

٦ ـ تَعادَى بِهِمْ مُخْطَفاتُ البُطونِ يُطِيلونَ في الحَرْبِ تَكْرارَها[2]

٧ ـ يَقُوْدُوْنَها مِن جِبالاتِهِمْ ويَصْلَون يومَ الوَغَى نارَها[3]

(٥)

في شرح الحماسة للتبريزي (١: ٢٠٣)[4]: (الطويل)

١ ـ قَرَعْتُ العَصَا حتَّى تبيَّنَ صاحِبِي ولمْ تَكُ لولا ذاكَ لِلْقَوْمِ تُقْرَعُ

٢ ـ فقالَ: رَأَيْتُ الأرْضَ لَيْسَ بمُمْحِلٍ ولا سارِحٌ مِنْها على الرَّعْيِ يَشْبَعُ[5]

٣ ـ سَواءٌ فَلاَ جَدْبٌ فَيُعْرَفُ جَدْبُها ولا صابَها غَيْثٌ غَزِيْرٌ فَتُمْرِعُ[6]

٤ ـ فَنَجَّى بِها حَوْبَاءَ نَفْسٍ كَرِيْمَةٍ وَقَدْ كادَ لَوْلاَ ذَاكَ فِيْهِمْ يُقَطَّعُ[7]

(٦)

في البسوس (٩٤ ـ ٩٥)[8]: (الطويل)

١ ـ أَحارِثُ مَنْ ذَا بَعْدَ بَكْرِ بنِ وَائِلٍ يُرَجَّى، ومَنْ ذَا بَعْدَ سَعْدِ بنِ مالِكِ

---

(١) إن لم يكن ثمّةَ تحريفٌ في البيت، فثمّة ضرورتان فيه، وذلك في قوله: «صدوق اللقا»، الضرورة الأولى: هي وَضع المُفرد موضع الجَمع، ففتيان جمع، وصدوق مفرد. وهذا من الضرائر ـ أنظر ضرائر الشعر ٢٥١ ـ ٢٥٢. والضرورة الثانية قَصْر الممدود، فاللقا، أصلها اللقاء، فحذف الشاعرُ الهمزة ضرورةً، أنظر ضرائر الشعر ١١٦، والخصائص ٣: ١٥٣. ورغم ذلك يبقى المعنى غامضًا ومظلمًا في عجز البيت.

(٢) تَعادَى القوم: تباروا في العدو. وتعادَوا: تَتالَوا وتتابَعُوا. والمُخْطَفات: مفردها مُخْطَف، والمُخْطَف من الخيل: المُضَمَّر القليل لَحْم الجَنْب.

(٣) الجِبالات: مفردها جِبالة، وهي المِصْيَدة. ولعلّه أراد هنا مَكايدَهم وحنكتهم.

(٤) قال سَعْد هذه الأبيات في قرعِهِ العصا لأخيه عَمْرو بن مالك. وكان النعمان ـ مَلِك الحيرة ـ قد أرسله ليرتادَ له الكلأ فأبطأ عليه في قصّة مرّت عند الحديث عن أخبار سعد من قبل ـ أنظر شرح الحماسة للتبريزي ١: ٢٠٣ (ط عبد الحميد) ومجمع الأمثال ١: ٣٧ ـ ٣٨.

(٥) في مجمع الأمثال: «فقال... فيها على».

(٦) تُمْرِع: تُخْصِب ويَنْبُتُ فيها الكَلأُ والمَرْع.

(٧) في مجمع الأمثال: «.. فيهم تقطع». والحَوباء: قال التبريزي في شرحه: «وقوله حوباءَ نفسٍ كريمة» فيه وُجوهٌ، يُقال: إنّ الحَوْباءَ النفس، فإذا أُخِذَ بها، فإنّما أُضِيفَتِ الحوباءُ إلى النفس في شعر سعد لاختلاف اللفظين، وربّما قالوا: الحوباء خالِص النفس، وقال بعضهم: الحوباء روح القلب» ـ شرح الحماسة ١: ٢٠٤.

(٨) في البَسوس: «وقال أيضًا يُهيِّج الحارث». وهو الحارث بن عُباد الذي كان قعودُهُ عن حرب بَكْر وتغلب وراء «حماسيَّة» سَعْد بن مالك المُتقدِّمة. والأبيات هنا من الشعر المُتَّهم.

٢ ـ فَلاَ حُجِبَتْ مِنْ بَعْدِنا ذاتُ بَهْجَةٍ ... ولا حَمَلَتْ أُنثَى لِفَحْلٍ مُشارِكِ[(١)]

٣ ـ ويا حارِ، كَمْ مِنْ سَيِّدٍ وابنِ سَيِّدٍ ... إذا ما الْتَقَيْنا يُعْتَلَى بالسَّنابِكِ[(٢)]

٤ ـ ويا حارِ، كَمْ مِنْ ماجِدٍ سوفَ تَلْتَقِي ... عَلَيْه ذُيُوْلُ العاصِفاتِ الشَّوارِكِ[(٣)]

٥ ـ فإنْ تَكُ ذُهْلٌ قَدْ أَتَتْ بعَظِيْمَةٍ ... فإنّي لها جارٌ، ولَسْتُ بِتارِكِ

(٧)

في البسوس (٤٦)[(٤)]: (الوافر)

١ ـ عَمَرْنا بابنةِ البَكْرِيِّ قُدمًا ... تهامَةَ دارَنا في حُسْنِ حالِ[(٥)]

٢ ـ بِها قَيْسٌ وشَيْبانٌ جَمِيعًا ... ذَوِي الألبابِ والأيدي الطِّوالِ[(٦)]

٣ ـ فَسَيَّرَنا أَخُوْنا واحْتَواها ... ولَيْسَ أَخُوْكَ غَيْرَ أَخٍ مُوالِ

٤ ـ فبدَّلَنا الإلهُ بِها سِواها ... بلادًا جَمَّةً، وثَراءَ مالِ[(٧)]

---

(١) ذات بهجة: ذات حسن وجمال.

(٢) السنابك: مفردها سُنْبُك، وهو طَرَفُ الحافر وجانباه. وسُنْبك كلّ شيء: أوَّلُه.

(٣) العاصِفات: مفردها عاصِف وعاصِفة، وهي الريح إذا اشتدَّت. وذيول الرياح: ما تجرُّه على الأرض من التراب والقَتام.

(٤) جاء في البسوس قبل الأبيات: «وفارقَت رَبيْعة مضرَ لحربٍ كانت بينهما بعد قَتْلِ كُلَيْب بن ربيعة، وفيه قال سعد بن مالك ـ جدُّ طرفة بن العَبْد: (الأبيات)». والأبيات من الشعر المُتَّهم.

(٥) عَمَرْنا: عِشْنا، من العَمْر والعُمْر والعُمُر، وهو الحياة. وقُدمًا: قديمًا.

(٦) قَيْس وشَيْبان: بطون من بكر بن وائل. والألباب: العقول، والأيدي الطِّوال: الأيدي الكريمة.

(٧) في مطبوعة البسوس: «بلادٌ جَمَّةٌ، وثراةَ مالٍ». ولعلَّ أقرب صورة إلى الصواب ما أثبته.

ما يُنسَب إلى سَعد بن مالِك، وإلى غيره من الشعراء

(١)

في مجمع الأمثال (١: ١٥)[(١)]: (الرجز)

١ ـ لَبِّثْ قليلاً يَلْحَقِ الدَّارِيُّونْ[(٢)]

٢ ـ أهْلُ الجِيادِ البُدَّنِ المُكْفِيُّونْ[(٣)]

٣ ـ سَوْفَ تَرَى إنْ لَحِقُوا ما يُبْلُونْ[(٤)]

٤ ـ إنّ بَنِيَّ صِبْيَةٌ صَيْفِيُّونْ[(٥)]

٥ ـ أفْلَحَ مَنْ كانَ لهُ رِبْعِيُّونْ[(٦)]

تخريج شعر سعد بن مالك البكري

(١)

١ ـ ٣ في البيان والتبيين ٣: ١٩ ـ ٢٠ لِسعد بن مالِك.

(٢)

١ ـ ٤، ٦، ٥، ٧ ـ ١٥ في شرح الحماسة للتبريزي ٢: ٧٣ ـ ٧٩ (ط محمّد

---

(١) وتُنسَب الأبيات، أو بعضها، إلى معاوية بن قُشَير، وأكْثَم بن صَيْفي، والحارث بن عُباد البَكْري ـ أنظر التخريج. وساق الميداني هذين البيتين أوّلاً:

إنّ بَنِيَّ صِبْيَةٌ صَيْفِيُّون   أفْلَحَ مَنْ كان لَهُ رِبْعِيُّون

ثمّ قال: «ويتقدَّمهما قَولُه»، وأنشد الأبيات الأربعة الأولى. وأضاف الميداني: «وقيل: بل قاله معاوية بن قُشَير. وكان قد غزا اليمن بولده فقتلوا، ونجا وانصرف، ولم يبقَ من أولاده إلاّ الأصاغر. فبعث أخوه سلمة الخير أولاده إليه. فقال لهم: إجلسوا إلى عمّكم وحدّثوه ليَسلُوَ، فنظر معاوية إليهم، وهم كِبار، وأولاده صِغار، فساءه ذلك، وكان عَيُونًا، فردَّهم إلى أبيهم مَخافَةَ عينِهِ عليهم، وقال هذه الأبيات» مجمع الأمثال ١: ١٥، وانظر أيضًا التعازي والمراثي ٢٢٦ ـ ٢٢٧، وفصل المقال ٢٢٢ ـ ٢٢٣.

(٢) في الأمثال لأبي عُبَيْد: «لبِّثْ رُوَيْدًا يَلْحَقِ». وفي اللسان: «يدرك الداريّون». والداريّون: مفردها داريّ، وهو الذي يلازم الدّار، وقيل: هو ربُّ النعم لأنّه يقيم في الدار.

(٣) في مجمع الأمثال، والأمثال لأبي عُبَيْد، وفَصل المَقال: «أهل الجِبابِ» تحريف. وأثبتُّ روايةَ جمهرة الأمثال. وفي المأثور، واللسان: «ذَوُو الجِيادِ البُدَّنِ»، وفي الأمالي: «ذوو الجِباب البُدَّنِ». والبُدَّن: مفردها، بَدَن وهو المُسِنّ.

(٤) في المأثور: «فسوف». وفي الأمالي: «إن حضروا ما يَغْنُون». وفي الأمثال لأبي عُبَيْد، وفَصْل المقال: «ما يَغْنُون»..

(٥) في التعازي والمراثي: «غِلْمةٌ صَيْفِيُّون». وقال في إصلاح المنطق: «ويروى غِلْمة». والصَّيْفِيُّون مفردها صَيْفِيّ، وهو الذي يولَد لأب مُسِنّ.

(٦) في محاضرات الأدباء: «رَبيْعيُّون» تحريف. والرِّبْعِيُّون: مفردها رِبْعِيّ، وهو الذي يولَد وأبوه شابّ.

محي الدين عبد الحميد) و ٢: ٢٩ ـ ٣٠ (ط بولاق) لِسَعْد بن مالِك.

١ ـ ٤، ٦، ٥، ٧ ـ ١٣، ٢٢، ١٤، ـ ١٥ في شرح شواهد المغني ٢: ٥٨٢ ـ ٥٨٣ لِسَعد بن مالِك.

١ ـ ٤، ٦ ـ ١٥ في المقاصد النحويّة ٢: ١٥٠ لسعد بن مالك.

١ ـ ١٠ في شرح الحماسة للمرزوقي ٢: ٥٠٠ ـ ٥٠٦ لسعد بن مالك.

١ ـ ٤، ١٦، ٥، ٧، ١٠، ١٣، ١٢، ١٧ ـ ٣٠، ١٤، ٩، ٣١، ٣٢ في البسوس ٩٢ ـ ٩٤ لسعد بن مالك.

١ ـ ٤، ١٠ في المؤتلف ١٩٩ لسعد بن مالك.

١ ـ ٣، ٩، ١٠، ٣٣، ٣٤ في الخزانة ١: ٤٧١ (ط هارون) و١: ٢٢٤ ـ ٢٢٥ (ط بولاق) لسعد.

١ ـ ٣، ١٠ في نشوة الطرب ٢: ٦١٦ لسعد.

١ ـ ٣ في الأغاني ٥: ٤٦ لسعد. وفي (مَنْ اسمُه عَمْرو من الشعراء) المنشور في مجلّة العرب ج ٥، شباط ١٩٧٠، ص ٦٤٥ لعَمْرو ابن مَرْثد، ثمَّ لسعد بن مالك.

١، ٢٣، ٢٤، ١٠ في الأمالي ٣: ٢٦ لسعد.

١ في العمدة ١: ٨٧ لسعد، وفي الأمالي الشجريَّة ١: ٢٧٥، ٢: ٨٣، والمحتسب ٢: ٩٣، والخصائص ٣: ١٠٦، والمقاييس ٢: ٤٥١، وشمس العلوم ٢: ٢٨٠، والمغني ٢٣١ دون عزو. وصدره في الكتاب ٢: ٢٠٧ دون عزو. وهو في معجم الشعراء ١٤ لعمرو بن مرثد، ثمَّ لسعد. وفي المُسْتَقصى ٢: ٢٧٨ لمالك ابن المنتفق.

٢ ـ ٣ في جمهرة اللغة ٢: ١٨٤ لسعد، وفي الكتاب ٢: ٣٢٤ (ط هارون) للحارث بن عباد، وفي شرح أبيات سيبويه لابن السيرافي

٢	في اللسان (جحم) دون عزو.
٤	في التكملة والذيل (أسر) لسعد.
٦، ٥، ١٠	في حماسة البحتري ٣٧ لسعد.
٩	في اللسان، والتاج (برح) لسعد.
١٠	في الكتاب ١: ٥٨، ٢: ٢٩٦ (ط هارون) و١: ٢٨، ٣٥٤ (ط بولاق)، وشرح أبيات سيبويه لابن السيرافي ٢: ٨، والأمالي الشجريَّة ٢: ٢٢٤ وشرح المفصّل ١: ١٠٨، وهَمْع الهوامِع ١: ١٢٥، والقاموس المحيط ٤: ٤١٢، والخزانة ٢: ١٧٢ (ط هارون) دون عزو. وفي اللسان، والتاج (برح) لسعد بن ناشب، ثمَّ لسعد بن مالك.

(٣)

١ ـ ٤	في الأغاني ٥: ٥٢ لِسَعْدِ بن مالِك.
١ ـ ٧	في البسوس ٩٤ لِسَعْد بن مالِك

(٤)

١ ـ ٧	في البسوس ٩٤ لسعد بن مالك.

(٥)

١ ـ ٤	في شرح الحماسة للتبريزي ١: ٢٠٣، ومجمع الأمثال ١: ٣٨، وبلوغ الأرب ١: ٣٤ ـ ٣٥ لسعد بن مالك. وفي مجمع الأمثال عزاه إلى كنانة، وهو وهم على الأرجح.

(٦)

١ ـ ٥	في البسوس ٩٤ ـ ٩٥ لسعد بن مالك.

(٧)

١ ـ ٤	في البسوس ٤٦ لسعد بن مالك.

ما يُنسب إلى سَعد بن مالك، وإلى غيره من الشعراء.

(١)

١ ـ ٥ في مجمع الأمثال ١: ١٤ ـ ١٥ لسعد بن مالك، ثمَّ لمعاوية بن قُشَيْر.

١ ـ ٣ في المأثور فيما اتُّفق لفظه واختلف معناه (ق ١١١/ب)، والأمالي ١: ٢٥١، وجمهرة الأمثال ٢: ١٨٦، واللسان (دور) دون عزو. وفي فصل المقال ٢٨٨ لمالِك بن المنتفق الضبّي.

١ ـ ٢ في الأمثال لأبي عُبَيْد ١٩٦ دون عزو.

٤ ـ ٥ في جمهرة اللغة ١: ٢٦٤، والصحاح، واللسان، والتاج (ربع)، وتهذيب إصلاح المنطق ٥٧٨ لسعد بن مالك. وفي المعمّرون ١٦٧، وإصلاح المنطق ٢٦١، ٤٢٤، والنوادر لأبي مِسْحَل الأعرابيّ ١: ٣٠٠، والحيوان ١: ١٠٩ والعقد ٣: ١٠٣ وإعراب ثلاثين سورة من القرآن ١٩٨، والمقاييس ٣: ٣٢٦، والجليس الصالح ١: ٢٧٧، ٣٤١، والمُخَصَّص ١: ٣٠، والصحاح (صيف)، ومحاضرات الأدباء ٣: ٢٠١، والفائق في غريب الحديث ٢: ٤٧ دون عزو. وفي النوادر لأبي زيد ٣١٣ لأكثم بن صَيْفِيّ، وفي فصل المقال ٢٢٢ ـ ٢٢٣ مع اثنين آخرين، واللسان، والتاج (صيف) لأكثم بن صيفي، ثمَّ لسعد بن مالك. وقال البكري في فصل المقال إنّ سعدًا قال في معنى البيتَين:

إنَّ بَنيَّ صِبْيَةٌ صِغارُ   أفْلَحَ مَنْ كانَ له كِبارُ

وفي التعازي والمراثي ٢٢٦ ـ ٢٢٧ مع اثنين آخرين للحارث بن عُباد.

٤ في المعاني الكبير ٣١١ دون عزو.

٥ في شرح الحماسة للمرزوقي ١٣٩٥ دون عزو.

٣٣ ـ الفِنْدُ الزِّمَّانِي

إنَّ الأخبارَ التي وصلتنا عن (الفِنْد الزِّمَّانِي) شحيحة ونادرة ولا تنقَعُ غُلاًّ، فهي تتحدَّث عن نسبه، ولقبه، وإسهامه في حرب البَسوس، وهو شيخ طاعن في السنّ، كما تتحدَّث عن شعره وديوانه.

والشاعر في أتمّ الروايات، هو شَهْل بن شَيْبان بن رَبِيْعة بن زِمَّان بن صَعْب ابن عليّ بن بكر بن وائل بن قاسِط بن هِنْب بن أَفْصَى بن دُعْمِي بن جَدِيْلة بن أَسَد ابن رَبِيْعة بن نِزار[1].

ونلاحظ أنّ الفِنْدَ منسوب إلى (زِمَّان)، وهو جدُّ أبيه، وثمّة خلاف في نَسَبِ (زِمَّان)، فقد قال الجوهري: هو زِمَّان بن تَيْم الله بن ثَعْلبة بن عُكابة بن صَعْب بن عليّ بن بكر[2]. وصحَّح له هذه النسبة الصَّغاني[3]، وفقَ ما أطبَقَت عليه المصادر.

وإذا راجعنا جمهرة أنساب العرب وجدنا أنّ تيْمًا، أو تَيْمَ الله ـ والِدَ زِمَّان عند الجوهري ـ هو أخو ثعلبة بن قيس، وليس ابنًا له. وكلاهما، عند ابن حَزْم، ابنان لقيس بن ثعلبة بن عُكابة بن صَعْب[4]، وبالتالي فإنَّ نَسَب جَدِّ الشاعر عند الجوهريّ غير صحيح.

وقد تَوَهَّم النَّمري (٣٨٥ هـ ـ ٩٩٥ م)، وابن جنِّي، حين قالا: ليس في العرب (شَهْل) غير شاعرنا[5]. ولم يَفْطَنا إلى أنَّ أبا محمّد الأعرابيّ (٢٣١ هـ ـ ٨٤٥ م) قد صحَّح هذا الوهم، من قبل، بقوله: «وفي بَجِيْلة شَهْلُ بن أنمار بن أراش...»[6].

وجاء في تلقيب (شَهْل) بالفِنْد أقوالٌ كثيرة، منها أنّه سُمِّيَ بذلك لأنَّ الفِنْدَ،

(١) أنظر نسبه في الأصفهاني: الأغاني ٢٤: ٩٣، وابن حَزْم: جمهرة أنساب العرب ٣٠٣، ٣٠٩ وابن ماكُوْلاَ: الإكمال ٤: ٤٠١، والتبريزي: شَرح الحماسة ١: ١١، ومحمّد بن ميمون: مُنْتَهى الطلب (ج ٥ ق ١٥٦ أ) والسيوطي: شرح شواهد المغني ٩٤٥، والزبيدي: التاج (فند).

(٢) الجوهري: الصحاح (زمن). وفي اشتقاق (زِمَّان)، أنظر ابن جنّي: المُبْهِج ٢٣.

(٣) أنظر الصغاني: التكملة (زمن) ٦: ٢٤٤ ـ ٢٤٥.

(٤) أنظر ابن حزم: م. س ٣١٩.

(٥) أنظر النمري: معاني أبيات الحماسة ٨، وابن جنّي: المُبهج ٢٤.

(٦) أنظر الغُنْدُجاني: إصلاح ما غلط فيه النمري ٣٠ ـ ٣١، والتبريزي: شرح الحماسة ١: ١١.

في اللغة، هو القطعة العظيمة من الجبل. وقد لُقِّب به لعِظَم شخصه[1]. وقيل بل لُقِّب به لقوله في بعض الوقائع: «استندُوا إليَّ فإنّي فِنْدٌ لكم»[2]. وفي التاج: «وقيل: من الفند بمعنى غصن الشجرة، وقيل من الفِنْد بمعنى الطائفة من الليل، وقيل من قولهم هم فِنْدٌ على حِدَة، وقيل غير ذلك»[3].

أخباره

لا نظفر بشيء من أخبار الفِنْد يتّصل بطفولته وشبابه، وكهولته، ولكنّنا نستخلص من **الأغاني** أنّ شاعرنا متزوّجٌ، وله ابنتان، فقد روى ابن الكلبي أنّه «لمّا كان يومُ التّحالُق أقبل الفِنْدُ الزماني إلى بني شَيْبان، وهو شيخٌ كبير قد جاوز مائة سنة، ومعه بنتان له شيطانتان من شياطين الإنس»[4].

ويفيد خبر ابن الكلبي أيضًا أنّ الفِنْدَ عُمّرَ طويلاً. وهناك غير ما مصدر يذكر مشهد الفِنْد للبسوس، وقد قارب المائة[5]. وإذا كُنّا لا نسلّم بأنّ عُمْرَ الفِنْد كان نحو هذا الرقم تمامًا، فإنّنا لا نشكّ بأنّه كان شيخًا يودّع الكهولة آنئذ، وعليه فنحن نستطيع أن نقدِّر، في ضوء ما سبق، أنّ شَهْل بن شَيْبان وُلِد في القرن الخامس الميلاديّ، وبقي حيًّا إلى أواخر حرب البسوس التي دامت أربعين سنة، كما تذكر بعض المصادر[6]. وحدَّد عُمَر فَرُّوخ نهاية هذه السنوات الأربعين بالسنة ٥٢٥ م[7].

وقد عُرف عن الفِنْد أنّه كان فارسًا شجاعًا من فرسان ربيعة المعدودين، حتّى إنّه لُقِّبَ بعديد الألف. وسبب هذا اللقب أنّ بني حَنِيفة، وهم من بكر، أمدّت إخوتها من

---

(١) الأصفهاني: **الأغاني** ٢٤: ١٩٣، وابن جنّي: م. س ٢٣، والمرزوقي: **شرح الحماسة**: ٣٢. والتبريزي: **شرح الحماسة** ١: ١١، وابن مُنْقِذ: **لُباب الآداب** ٢٠٥، وابن منظور، والزبيدي: **اللسان**، **والتاج** (فند).

(٢) أنظر المرزوقي: م. س ١: ٣٢، والتبريزي: م. س ١: ١١، والزمخشري، والزبيدي: **أساس البلاغة**، **والتاج** (فند)، والبغدادي: **الخزانة** ٤: ٤٣٥.

(٣) الزبيدي: م. س (فند).

(٤) الأصفهاني: م. س ٢٤: ٩٤ ـ ٩٥.

(٥) أنظر الأصفهاني: م. س ٢٤: ٩٣، وابن منقذ: م. س ٢٠٦، والبغدادي: م. س ٤: ٤٣٥.

(٦) أنظر الأصفهاني: **الأغاني** ٥: ١١ ـ ٤٢، والبكري: **معجم ما استعجم** ٣٦٢.

(٧) عمر فرُّوخ: **تاريخ الجاهليّة** ٩٨، وانظر فيليب حتّي: **تاريخ العرب** (مطول) ١: ١٢٠.

بني ثعلبة في حربهم ضدّ تغلب بالفِنْد، وسبعين رجلاً، وقالوا بعثنا لكم بألف فارس، فلمّا قدموا، قالت حَنِيْفة: أين الألفُ؟ قال الفِنْد: أنا، أَمَا ترضون أن أكون لكم فِنْدًا؟[1].

وقامت شهرة الفِنْد هذه على إسهامه في (يوم قِضَة)، وانتصار بكر فيه، فمن المعلوم أنّ كثيرًا من بطون بكر اعتزلت هذه الحرب، وروى الأصفهاني عن مُقاتِل قوله، «ولم يُقاتِل معنا من بني يَشْكُر، ولا من بني لُجَيْم، ولا ذُهْل ولا ثَعْلبة، غير ناسٍ من بني يشكر، وذهل قاتلتْ بأُخَرَة، ثمّ جاء ناسٌ من بني لُجَيم يوم قِضَة مع الفِنْد»[2].

ويبدو أَنَّ يوم قِضَة، وشاعرنا بَطلُه، على الأرجح، كان حاسمًا في حرب البسوس إذ: «لم تزل الحروب والوقائع تنقل بكرًا من بلد إلى بلد، بعد أن قتل جساسٌ كُلَيْبًا، حتّى التقوا يومَ قِضَة»[3].

ويومُ قِضَة هو اليوم الخامس في البَسوس، بعد يوم عُنَيْزة الذي تكافأوا فيه، ويوم واردات، وكان لتغلب، ويوم الحِنْو، وكان لبكر، ويوم القُصَيْبات، وكان لتغلب، وفيه قُتِلَ هَمّام بن مُرَّة[4].

ويسمّى يوم قِضَة أيضًا باسمَين آخرَين، هما يوم التحالُق (أو تَحْلاق اللِّمَم)، ويوم الثنيَّة[5]. وقِضة عَقَبة في جبل اليمامة، وهي على ثلاث ليال من اليمامة[6].

واختلف في زعامة بكر في هذا اليوم، أَلِلْفِنْد كانت، أم للحارث بن عُباد، فقد روى الأصفهاني بسنده أنّ «حَكَم بكر بن وائل يوم قِضَة الحارثُ بن عباد، ورئيسهم الفِنْد، وفارسهم: جَحْدَرُ، وشاعرهم سَعْدُ بن مالك»، ثمّ قال: أمّا فِراس بن خَنْدَق فقال: «وكان رئيسهم يوم قِضَة الحارث بن عُباد»[7].

وكما اضطربت الأخبار في رئاسة يوم قِضَة، اضطربت في أحداثه ونتائجه،

---

(١) الأصفهاني: م. س ٥: ٤٨.
(٢) م. ن ٥: ٤٥ ـ ٤٦.
(٣) م. ن ٥: ٤٢، ٤٥، ٤٦، ٤٨، ٥٥، ثمّ م. ن ٢٤: ٩٣ ـ ٩٥. وابن عبد ربّه: العقد الفريد ٥: ٢١٦.
(٤) م. ن ٥: ٤١ ـ ٤٢، والبكري: م. س ١٣٦٢.
(٥) الأصفهاني: الأغاني ٥: ٤٢، والبكري: معجم ما استعجم ١٣٦٢.
(٦) البكري: م. س ٨٥.
(٧) الأصفهاني: م. س ٥: ٤٨.

وتمثّل رواية أبي الفَرَج لوقائع هذا اليوم تَجسيدًا لهذا الاضطراب والتشويش[1] ولعلَّ تلخيصها الآتي يقدِّم لنا صورة عن هذا اليوم، فبعد أن التقت بكرٌ تغلبَ في أيّام أربعة ذكرناها، وبعد أن قُتل همَّامُ بن مرة، تجمّعت بكر بن وائل لتغلب، وجاءهم الفِنْد من اليَمامَة، فرأَّسوه عليهم، أو رأّسوا الحارثَ بن عُباد في رواية أُخرى، وكان مع الفِنْد مجموعة من الرجال، أو كان وحدَهُ في رواية أخرى، وفي رواية ثالثة قال ابن الكلبي: إنّ الفِند أقبلَ يوم التحالُق، ومعه بنتان شيطانتان، تجرَّدت إحداهما وجعلت تصيح ببني شَيْبان ومَن معهم من بني بَكْر:

وَغَـا وَغَـا وَغَـا وَغَـا
حـرُّ الجُوَادُ والْـتَـظَـى
ومُـلِـئَـتْ مِـنْـهُ الـرُّبَـى
يـا حَـبَّـذَا يـا حَـبَّـذَا
الْـمُـلْـحَـقُـونَ بـالـضُّـحَـى

ثمَّ تجرَّدت الثانية وأقبلت تقول:

إنْ تُـقْـبِـلُـوا نُـعَـانِـقْ ونَـفْـرُشُ الـنَّـمَـارِقْ
أوْ تُـدْبِـروا نُـفـارِقْ فِـراقَ غـيـرِ وامِـقْ[2]

والتقى القومان، فأصعد عوف بن مالك بن ضُبَيْعة ابنته على جَمَلٍ له في ثنيّة قِضَة، حتّى إذا توسَّطها، ضَرَبَ عرقُوْبَي الجَمَل ثمَّ نادى:

أَنَـا الـبُـرَكْ أنـا الـبُـرَكْ أنْـزَلُ حـيـث أدركْ

وقال لا يمرُّ بي رجل من بَكْر بن وائل إلاَّ ضربته بسيفي هذا، أفي كلّ يوم تَفِرُّون فيعطف القوم؟ فقاتَلوا حتّى ظفروا، وانهزمت تغلب.

وقال ابن الكلبي: ولحق الفِنْدُ الزّماني رَجُلاً من بني تغلب، يقال له: مالِك بن

---

(1) م. ن ٥: ٤٢، ٤٥، ٤٦، ٤٨، ٥٥ . وم. ن أيضًا ٢٤: ٩٣ _ ٩٥، وابن عبد ربّه: **العقد الفريد** ٥: ٢١٦ .

(2) الأصفهاني: **الأغاني** ٢٤: ٩٤ _ ٩٥، وعُزِيتْ هذه الأرجاز مع أشطار أخرى، إلى هِند بنت بيّاضة الإياديَّة _ البكري: معجم ما استعجم. ٧٠ . ووعا وعا (بالعين والغين): الأصوات في الحرب. والجُواد: جهْد العطش أو الهلاك. والتّظى: اتَّقَدَ.

عوف قد طَعَنَ صبيًّا من صبيان بَكْر، فطعنه والردف الذي وراءَه، فأنفذَهُما جميعًا، وجعل يقول:

أَيَــا طَــعْــنَــةَ مــا شَــيْــخٍ كَــبِــيــرٍ يَــفَــنٍ بــالِــي
تَــفَــتَّــيْــتُ بِــهــا إذْ كَــرِهَ الــشِّــكَّــةَ أمــثــالِــي[1]

وقد كانت رواية ابن دُرَيد لأحداث قِصَّة عامّة وغامضة، فهو يقول: إنَّ الفِنْدَ لَمّا سألته بكر، وقد جاء وحده، ماذا تفعل؟ قال: «أَقْتلُ مَنْ يَطْلَعُ عليكم». فطلع فارس قد أردف رجلاً خلفه، فطعنه الفِنْدُ فأنفذ الرجلَيْن»[2]. وقد سمَّى أسامةُ بن منقذ الرِّدْفَ الذي كان وراء مالك بن عوف، فقال: هو الثريار بن مازِن بن جُشَم بن عوف بن وائل بن الأوْس»[3].

وقيل إنّ جَحْدَر بن ضُبَيْعة قَتَلَ أبا مكنف التغلبي في هذا اليوم، وكذلك قَتَلَ سعدُ بن مالِك ابنَ القَبِيحة التغلبي[4]. وفي **الخزانة** جاء أنّ جحدرًا قتل أيضًا عمرًا وعامرًا التغلبيّين[5].

ولا نعرف المدَّة التي عاشها الفِنْد بعد حرب البسوس، وقد رأى الأب شيخو أن يُحدِّد وفاته بالسنة ٥٣٠م[6]، دون سند واضح، وكذلك فعل صاحب **الأعلام** حين أرَّخَ لوفاة الفِنْد، بلا حُجَّة، بنحو السنة ٥٥٥ م[7].

شعر الفند وديوانه

خَلَّف لنا الفِنْد مجموعةً من الأشعار، لا شكَّ أنّ بعضها قد ضاع، ولعلَّ بعضها الآخر عُزِيَ للفِنْد زُورًا وافتِعالاً كما سنرى. وقد جمعنا للفِنْد من كتب التراث ما مجموعهُ ٢٠٠ بيت، في خَمس قصائد وثلاث مقطَّعات. من بينها قصيدتان

---

(١) الأصفهاني: م. س ٢٤: ٩٦.
(٢) أنظر ابن دُرَيْد: **الاشتقاق** ٣٤٤.
(٣) أنظر ابن منقذ: **لُباب الآداب** ٢٠٥ ــ ٢٠٦، وسمَّى (شيخو) هذا الرِّدْفَ البزباز بن مازن، ولكنّه لم يذكر مصدره القديم ــ أنظر **شعراء النصرانيّة** ١: ٢٤١.
(٤) الأصفهاني: **الأغاني** ٥: ٥٥.
(٥) أنظر البغدادي: **الخزانة** ٢: ١٧٢.
(٦) أنظر شيخو: **شعراء النصرانيّة** ١: ٢٤١.
(٧) أنظر الزركلي: **الأعلام** ٣: ٢٦٠.

«حماسيّتان» اختارَهما أبو تمّام، وشرحَهما المرزوقي والتبريزي، وغيرُهما من شُرّاح الحماسة.

كما بلغت قصائد الفِنْد في **مُنتَهى الطَّلب** ثلاث قصائد، مجموع أبياتها ١٢٠ بيتًا. ووجود أبيات للفِند في **منتهى الطلب**، أمرٌ له دلالته، ذلك أنّ محمَّد بن مَيمون بن مُبارَك قال في مُقدِّمة كتابه هذا: «هذا كتابٌ جَمعْتُ فيه ألف قصيدةٍ، اخترتُها من أشعار العرب الذين يُسْتَشْهَد بأشعارهم... ولم أُخِلَّ بذكر أحد من شعراء الجاهليَّة والإسلاميِّين الذين يُستشهَد بشعرهم، إلاَّ مَن لم أقف له على مجموع شعره، ولم أَرَهُ في خزانة وقف ولا غيرها. وإنّما كتبتُ لكلّ أحدٍ مِمَّن ذكرتُ أفصحَ ما قاله وأجودَه»[1]. وهذه العبارات تشير إلى أنّ شعر الفِنْد رُبَّما جُمِعَ في زمن ابن مبارك، أي في القرن السادس الهجريّ (الثاني عشر الميلاديّ)، وهو القرن الذي جمع فيه ابن المبارك كتابه هذا[2]. ولعلّ ابن مبارك قد وقف عليه في خزانة وقف، أو غيرها. ويعزِّز هذا التوقُّع أنّ **ديوان الفِنْد** بقي مُتداولاً، في الغالب، حتّى السنة (٩٩٤ هـ ــ ١٥٥٦ م). وهي السنة التي أُلِّف فيها (خضر المَوْصِلّي) كتابَهُ: **الإسعاف بشَرح شواهِد القاضي والكشّاف**[3]، فقد ذكر عبد العزيز المَيْمَني أنّ صاحب (**الإسعاف**) أنشد من القصيدة اللاميَّة التي مطلعُها:

أَيَــاْ تمــلِــكُ يــاتَـــمْـــلِ ذاتُ الـــدَّلِ والـــشَّـــكْـــلِ

ثمانية عشر بيتًا، نقلاً عن **ديوان الفِنْد**[4]. وإذا عرفنا أنّ (خضر بن عطا الله الموصِلّي) قد توفّى سنة (١٠٠٧ هـ ــ ١٥٩٨ م)[5]، تأكّد لدينا أنّ **ديوان الفند** كان موجودًا حتّى هذا التاريخ، حتمًا. ومن سوء الحظّ أنّ ديوان هذا الشاعر فُقِدَ، على الأرجح، فلم أستطع الوقوف على أيّ ذِكرٍ له في أيٍّ من فهارس المخطوطات التي عُدْتُ إليها، أو عاد إليها غيري[6]. ولهذا فلسنا نعرف بدقّة مقدار العطاء الشعريّ لهذا الشاعر

(١) و (٢) ــ أنظر يحيى الجبّوريّ: **قصائد جاهليّة نادرة** ١٣ .

(٣) ذكر عبد العزيز الميمني أنّ كتاب **الإسعاف** ما زال مخطوطًا في ثلاثة أجزاء في حيدر آباد (بانكي بَوَر) ــ أنظر مقدّمة **سِمْط اللآلي** ص (س)، وشعر ابن مَيّادة ٣٣٢ . ولم أتمكّن من الاطّلاع على كتاب الإسعاف المخطوط.

(٤) أنظر البكري: **سِمط اللآلي** ٥٠٥ ــ ٥٠٦ .

(٥) الزركلي: **الأعلام** ٢: ٣٠٧ .

(٦) أنظر مثلاً سزكين: **تاريخ التراث العربيّ** مج ٢ (٢: ٨٦).

الجاهليّ القديم، وإن كان قد تيسّر لنا جَمعُ مئتي بيت له كما سبق أن ذكرنا.

ومئتا بيتٍ معزوَّة لِلْفِنْد في كُتُب التراث المختلفة تُظْهر أنّه أكثر شعراء هذه الأطروحة شِعْراً. ولكنّنا لدى التوثيق والتدقيق سنجد أنّ هذا العدد الضخم، نسبيًّا، يتناقص حتّى لا يبقى منه إلاّ القليل مِمّا هو موطن ثقة.

ويمكننا أن نقول: إنَّ كلّ ما جاء في كتاب **البسوس** لِلفِنْد الزمّاني شعرٌ متَّهَم، وهو الشعر الذي وقع تحت الأرقام التالية من شعر الفِند عندنا: (١) و(٢) و(٤) و(٥). يضاف إلى ذلك القصيدة ذات الرقم (٣). وهي أطوَل قصيدة في أشعار شعرائنا الأوائل، وتبلغ (٧٨) بيتًا. ومصدرها كتاب **منتهى الطلب في أشعار العرب** لمحمّد بن المبارك.

وهناك نوع ثانٍ من شعر الفِنْدِ مُتَّهم، وهو ما زيد على القصيدة رقم (٧)، ومقداره خمسة أبيات مصدرها **كتاب البسوس**. وثمّة نوع ثالث يُعزى لشاعرنا ينبغي الوقوف عنده ها هُنا، وهو ما تنازع نسبته الفِنْدُ الزمّاني، وشعراء آخرون. وتُمثِّله القصيدة الأخيرة في شعر الفِنْد، وأوّلها:

أيـا تَـمْـلِـكُ يـا تَـمْـلِ ... وذاتَ الـدَّلِّ والـشَّـكْـلِ

وإذا شئنا مناقشة النوع الأوّل، فإنّنا نُمثِّلُ له بما يُروَى للفِند في **كتاب البسوس** كقوله في القصيدة رقم (٢):

عَـجِّـلا الـيومَ صاحِـبـيَّ رَواحـا ... واسـقـيـانـي قـبلَ الـتـروُّحِ رَاحـا
عَـلَّ مـا بـالـفـؤادِ يـذهـبُ عَـنْـهُ ... إنَّ عَـقْـلي أمسى غريبًا مُـراحا
أينَ ليلى وأينَ ليلى وليلى ... أمْرضَتْ غيرَنا رِجالاً صِحاحا
لا ترى عاشِـقًـا تعلَّق لَيْلى ... ويُـلاقـي المَمات مِـنْـها رَواحـا

وقوله أيضًا:

لَـقِـيَـتْ تـغلبُ كـهَـقْـلةِ عادٍ ... إذْ أتاهُـمْ هَوْلُ العَذابِ صَباحا
ونـهـاهُـمْ نـبـيُّـهُـمْ يـومَ ذاكُـمْ ... ودعـاهـم إلـى الإلـهِ صُـراحـا
ونَـهَـيْنا عن حَرْبنا تغلب العشـ ... ـوَ فما عافت البلاءَ المُتاحا
دونَ أن أبْـصَـرَتْ خُيولاً لِـبَـكْـرٍ ... وسُـيـوفًـا هِـنـديَّـةً ورِمـاحـا

فمثل هذه الأشعار تعلن تعابيرها وتراكيبها أنّهما عقبتان تقفان دون الاعتقاد بصحّة انتسابها إلى شاعر جاهليّ، فليس من أساليب الشعراء الجاهليّين أن يُقال في

الغزل:

أينَ لَيْلَى وأينَ لَيْلَى ولَيْلَى أمْرَضَتْ غيرَنا رِجالاً صِحاحا
لا ترى عاشِقًا تعلَّقَ لَيْلَى ويُلاقي المماتَ مِنْها رَواحا

فهذا التكرار الغثّ لاسم (ليلى)، و(إمْراض الرجال الصّحاح)، هو إمراض لهذا الشعر، وابتعاد به عن الصحّة والأصالة. ولا نقع على التكرار والغثاثة وحدهما في هذا الشعر، بل على طريقة في استخدام الظروف غريبة جدًّا، كقوله:

دون أنْ أبصرتْ خيولاً لِبَكْرِ وسيوفًا هنديَّةً ورِماحا

وقد ظهر إلى جانب هذا الاستخدام الغريب للظروف، استخدامٌ غريبٌ لتركيب العبارة، ولتعدية الأفعال، ونسج الشعر بعامّة. وذلك يتّضح من خلال أبيات تُنسَب إلى الشاعر في **كتاب البسوس** أيضًا، نحو ما جاء في هذه الأبيات الغريبة العجيبة:

ليسَ يُغني المرءَ إلاَّ لامرِئٍ صادِقٍ بالقولِ يومًا أو مُطِيْق
إنَّ مَنْ أوْرَدَ صَعْبًا نَفْسَهُ هُوَّة ذات ازورارٍ ومضيق
لاحِق تغلبَ في عدوانِهِ باديًا في الظُّلم فينا والفَسُوق
ليس ظُلْمٌ يبتدِي المرءُ بِهِ كانتصارِ المرءِ في الوتْرِ الحنيق

والحقُّ أنّه ينبغي أن نترخَّص كثيرًا جدًّا إذا شئنا أن ننعت هذه الأبيات بأنّها شعرٌ. وربّما كان من قبيل الجهد الضائع محاولة شرحها وتحقيقها، فرغم الجهد الذي بذلناه في ذلك، لم نستطع أن نتبيَّن المعاني الصحيحة فيها، ولا أن نقرأ العبارة العربيَّة التي تحوز حدًّا أدنى من السلامة وتقديم الفائدة. زد على ذلك أمرَين، أوّلهما: احتواؤها على ألفاظ غريبة جدًّا نصّ القدماء على أنّها لم تسمع في كلام الجاهليِّين ولا في شعرهم، ففي شرحنا لكلمة (الفَسُوق) الواردة في البيت الثالث هنا وجدنا ابن الأعرابي يقول: «لم يسمع قطّ في كلام الجاهليَّة ولا في شعرهم فاسِق. قال: هذا عجَب، وهو كلام عربيّ»[1].

والثاني: مجيء بعض المعاني والمفاهيم التي نشأت بعد الإسلام في أبياتها، على نحو ما نقرأ في هذا البيت:

ورَمَى بالوتْرِ منهُ جانِبًا فَرَمَى الأعداءَ بالطَّعْنِ المُرِيْق

---

(١) اللسان (فسق).

والوتر، هنا: واحد الأوتار. وكانوا في الجاهليَّة يقلِّدون الخيلَ أوتارَ القِسِي لئلاّ تصيبها العين. وفي اللسان: «رُوِيَ عن جابر أنّ النبي ﷺ، أمر بقطع الأوتار من أعناق الخيل. قال أبو عُبَيْدة: وبلغني أنّ مالِك بن أنَس قال: كانوا يُقلِّدونها أوتار القسي لئلاّ تصيبها العين، فأمرهم بقطعها يعلِّمهم أنَّ الأوتار لا تردّ من أمر الله شيئًا، وهذا شبيهٌ بما كُرِهَ من التمائم»[1].

وواضح هنا أنّ البيت يشير إلى أنّ الفارس الموصوف فيه قد نبذ عادةً جاهليَّة متأثِّرًا بتعاليم الإسلام، ولا يُعقَل أن يصف الفِنْد الزِّمّاني، وهو الشاعر الجاهليّ القديم، فارسًا ينفِّذ تعاليم الإسلام، ويعمل بهَـٰذي حديثٍ شريفٍ رواه جابر...!

كلّ ما سبق يؤكِّد أنّ هذه القصيدة من المنظومات المنحولة المزيَّفة، التي جازف بنحلها وتزييفها ونسبتها إلى الفند الزمّاني، رجالٌ جَهلةٌ بعيدون عن أجواء الشعر الجاهليّ ونماذجه بُعْدَ الأرض عن السماء، فكانوا بعملهم هذا ينتهكون حُرْمَة الشعر الأصيل، وقُدسيَّة صِدقه، وسموَّ عبارته الصحيحة المفيدة.

ويمكن لنا أن نقول شيئًا من هذا القبيل، أو قريبًا منه، في أطول قصيدة لشاعرنا وقعنا عليها في مخطوط منتهى الطلب، وتقع في (٧٨) بيتًا، ومطلعها:

أَشَـجَـاكَ الرَّبْـعُ أَقْـوَى والـدِّيـارُ ... وبـكـاءُ الْـمَـرْءِ لِـلـرَّبْـعِ خَـسـارُ

فناظم هذه القصيدة لم يتحرَّج من القول:

إنّ لُـــؤْمَ الْـــمَـــرْءِ إنْ فـــاتَ امْـــرأً ... سَـبَـبٌ لِـلْـغَـدْرِ اضـطـرار وانْـبِـهـارُ

وهذا كلام لا يكاد يقوم به معنى. وفي وسعنا أن نلاحظ ببساطة، في عجز البيت، تركيبًا غثًا ليس من أساليب العربيَّة في شيء، فكأنَّ لفظتَي (اضطرار وانبهار)، اللتين جاءتا في النهاية: أُقحِمَتا فقط لإنهاء البيت وإقامة الوزن، ولم يستدعهما أيّ سبب آخر من أسباب الشعر الأصيل. والشيء نفسه يمكن أن نقوله في هذا البيت:

لَـيْـسَ يُـغْـنِـي الـلُّـؤْمُ إلاَّ أَنَّـهُ ... جَـزَعٌ بـالـقـومِ لُـؤْمٌ واضْـطِـرارُ

ومن غريب العبارات، وعجيب تعدية الأفعال، قول ناظم هذه القصيدة:

يَـوْمَ فـيـكُـمْ ذِلَّـةٌ عـنْ عِـزَّةٍ ... ولـنـا مـنـكـم سـبـاءٌ وإسـارُ

وعـلـى نِـسْـوَتِـكُـمْ أَرْدَافُـنـا ... كـالـرَّبـابـيـح مـن الحَوْكِ شـوارُ

---

(١) اللسان (وتر).

فمفتعل هذا الشعر لم يتورَّع عن أن يُضَحّي بجزالة التعبير، وسلامة اللغة، وحسن التركيب، وقوّة الأسر، فقال: «ذِلَّةٌ عن عزّة»، ولفَّق البيت الثاني بطريقة قريبةٍ من الهَلْوسة والخلط العجيب اللذين استحال معهما الوصول إلى معنى واضح، فبقي البيت غامِضًا لم نهتدِ إلى معناه بوجهٍ من الوجوه... وقول الناظم أيضًا:

لمْ تَلُوْمونا على ريثِ القُوَى ... بخزارٍ يَوْمَ ضمَّتنا الدِّيارُ
منْ ملوكٍ أشْرَفَتْ أعْناقُها ... بوجوهٍ نجبتْ، فهي نُضارُ
حَرُمَتْ كأسٌ على ناذِرِها ... فلقد طابَت بأن حُلَّ العُقارُ
وملوكًا مِنكُمُ رُخْنايِهِمْ ... وعلى كُلٍّ مِنَ الذُّلِّ عَذارُ
تِسْعَةٌ كُلٌّ على قِسْمَتِهِ ... حليةُ الْمُلْكِ التي لا تُسْتَعارُ

وإذا كانت هذه الأبيات شواهد على غثاثة لغة الشعر، وسقوط تراكيبه، وتلفيق صدوره وأعجازه، فإنّ أبياتًا أخرى يمكن أن تكون صدى للخلاف بين قيس واليمن، أو نِزار وقحطان، وتسجيلاً للمفاخرات والمشاحنات التي كانت تقع بين تلك القبائل في الإسلام، إذ تفخر النزاريَّة على القحطانيّة بالنبوَّة، وتفخر الأخيرة بمفاخرَ أخرى... وفي ذلك يقول مُلَفِّق القصيدة:

أسْمَحَتْ قَحْطَانُ في أرسانِنا ... خَبَبَ الأعيْار يَتْلوها الصِّغارُ
وعلى هَمْدانَ مِلْنا بالْقَنا ... فورانَ القِدْرِ تُطْفَى وتُنارُ
فارجعُوا مِنَّا فلولاً واهْرُبُوا ... لِظَفارٍ لَيْسَ يؤوِيْكُمْ ظَفارُ
إنَّما قَحْطانُ فِيْنا حَطَبٌ ... ونزارٌ في بني قحطانَ نارُ

ويقول:

نَحْنُ أولادُ مَعَدٍّ ذي الْحَصَى ... ولنا من هاجَرَ الْمَجْدُ الكبُارُ
وَلَدَتْ أكْرَمَ مَنْ شُدَّ بِهِ ... عُقَدُ الحَبْوة قِدْمًا والإزارُ
إنَّ إسماعيلَ مَنْ يَفْخَرْ بِهِ ... يُلْفَ في دارٍ بها حلَّ الفَخارُ
فاخسأوا ليسَ لكم بيتٌ على ... مِثْلِنا الله لَهُ رَبٌّ وجارُ
قدْ رآنا اللهُ أوْلَى منكُمُ ... باليَدِ العُلْيا، ولله الخَيارُ

وانتقلَ مُزوِّرُ هذا الشعر إلى حديثٍ عن خلاف مزعوم ما بين الفِند الزِمّاني ذي الأصل النِزاري، والأفوَه الأودي ذي الأصل اليمنيّ. وهو خِلافٌ لم نقع على أيّ إشارة

إليه في أخبار الأفوه، أو أخبار الفِند الزمّاني، رغم كونهما متعاصرَين[1]. ولكن انتماء أحد الشاعرين إلى نزار، والآخر إلى قَحْطان، سَوَّغ للناحلِ أن يقول:

فَــوهَ الأفــوهُ لمَّا هَــتَــمَــتْ ... فَمَهُ من هَضْبةِ الشِّعْرِ الفِهارُ

كانَ في القولِ مُطِيْلاً قَبْلَها ... فَلَقَدْ أَقْصَرَ، والقَصْرُ القَصارُ

وهكذا نستطيع أن نجزم بقوّة أنّ هذه القصيدة هي إحدى القصائد المنحولة بعد الإسلام، وهي تمثِّل ثمرةً من ثمارِ الخِلاف بين القيسيَّة واليمانيَّة، فهي ليست من الجاهليَّة في شيء.. ولا يمكن بحال من الأحوال أن نَثِقَ بنسبتها إلى شاعرنا الفِنْد الزمّاني.

وبذا نكون قد أسقطنا من شعر الفِنْد حتّى الآن (١٢٨) بيتًا. ويمكن أن نضيف إلى هذه الأبيات أبياتًا خمسة زِيْدَت على القصيدة رقم (٧). ومُسوِّغ اتّهامنا لها أنّها جاءت من كتاب **البسوس** الذي كثر قولنا في الشكّ في أشعاره. فيصبح مجموع الشعر المُتَّهم عند الفِنْد (١٣٥) بيتًا.

ولم يَبقَ لنا أخيرًا إلاَّ أن نقف عند قصيدة يقول طالِعُها:

أَيَــا تَــمْــلِــكُ يــا تَــمْــلِ ... وذاتَ الــدَّلِ والــشَّــكْــلِ

والقصيدة، من حيث الشكل، لا تقدِّم دليلاً كافيًا للبتِّ في عَزْوِها لِلِفنْد، ومن حيث المضمون، وهو الفخر الذاتيّ، المسبوق بالغزل القصير، تشاكل قصائد أخرى في دواوين الجاهليِّين. ولهذا فهي، في الغالب، قصيدة جاهليَّة، ولكنَّ الجزم في عزوها إلى شاعرنا، أو لامرئ القيس بن عابِس الكِنْدِي الذي نازعه ذلك، ليس سهلاً، فالمصادر القديمة، تردَّدت كثيرًا في هذا. وقد كانت أحيانًا، تعزو البيت منها إلى الفِنْد، ثمَّ تعود، وتعزوهُ إلى امرئ القيس بن عابس الكندي[2]. وإزاء كثير من الخلافات الملحوظة في تخريج الأبيات، وفي عَزْوها، نجد من المتعذّر البتّ الكامل بأنَّ القصيدة للفِنْد، وإنَّ كنّا نظنّ ظنًّا أنّها، من حيث اللغة والأسلوب، تشاكل شِعر الفِند الصحيح. ويؤيِّد ظنَّنا هذا ما قرأناه من تعقيب للصغاني على هذا البيت من القصيدة:

رَأَيْــتُ الْــفِــتْــيَــةَ الأعْــزا ... لَ مِــثْــلَ الأيْــنُــقِ الــرُّغْــلِ

(١) ولكن تقتضي الإشارة إلى أنَّ في **ديوان الأفوَه الأودي** ــ صنعة الميمني قصيدة على الراء في ثلاثين بيتاً. يمكن أنْ تُعَدَّ نقيضةً لقصيدة الفِنْد هذه التي نناقشها ــ انظر **الطرائف الأدبية** ص ١١ . و**الحماسة البصرية** ١: ٤٩ ــ ٥٠ .

(٢) أنظر مثلاً **اللسان** (عرقب).

وهو: «وللفِند قصيدتان على هذا الروي، وليس هذا البيت في واحدة منهما»[1].

وإذا كان الصغاني يستبعد هذا البيت عن القصيدة، فإنّه يؤيِّد، ضِمنًا، بأنَّ ما تبقّى منها هو للفِنْد، لأنّ هذه القصيدة اللاميَّة هي القصيدة الثانية في شعر الفِنْد، بعد قصيدته الموثّقة التي يقول فيها:

يـا طَـعْـنَـةً مـا شَـيْـخٍ   كـبـيـرٍ يَـفَـنٍ بـالِ

وهذه اللامِيَّة الأخيرة هي «حماسِيَّة» الشاعر المعروفة، التي شرحها كلّ من المرزوقي والتبريزي، في شرحهما لحماسة أبي تمّام دون أن يَشُكّا في نسبتها إلى شاعرنا.

وخلاصة ما تقدَّم أنّنا لا نستطيع أن نثق بأكثر من (٥٥) بيتًا من شعر الفِند، ولكنّنا نسوق، فيما يلي، جميع الأشعار التي عثرنا عليها منسوبةً إليه، محقَّقة تحقيقًا كاملاً، وفق المنهج الذي صارت معالِمُه واضحة تمامًا:

شعر الفِنْد الزِّمّاني

(١)

في البسوس (١٣٩)[2]:   (مجزوء الرَّمل)

١ ـ دارَتِ الحَرْبُ رَحـاهـا   فـادْفَـعُـوهـا بِـرَحـائِـي[3]

٢ ـ واضْـرِمُـوهـا يـا لَـبَـكْـرٍ   لـيـسَ ذَا جِـيـنُ ونـائِـي[4]

٣ ـ وانْـظُـرُونِـي حِـيـنَ أغْـدُوْ   ثُـمَّ كُـونُـوا مِـنْ وَرائِـي

(٢)

في البسوس (١٥٤ ـ ١٥٥)[5]:   (الخفيف)

١ ـ عَـجِّلاَ الْـيَـوْمَ صاحِـبَـيَّ رَواحـا   واسْـقِـيَـانِـي قَـبْـلَ التَّـرَوُّحِ رَاْحَـا[6]

---

(١) التكملة والذيل (رعل).

(٢) قدّم مؤلّف البسوس لهذه المقطوعة بقوله: «وحَمَل الفِنْدُ يطاعن ويحرضُ قومه ويقول: (الأبيات)»:

(٣) الرُّحى: الحَجَرُ العظيم الذي يُطحَن به. ورَحى الحرب: حومتُها. والرحا: الصدر.

(٤) في الأصل المطبوع: «واضربوهايا». ولعلّ الصواب ما أثبتناه. والوَنَى: الضّعف والفتور والإعياء.

(٥) ساق صاحب البسوس قصيدة حائيّة لِمُهَلْهِل يرثي بها كُلَيْبًا، مطلعها:

إنَّ فـي الـصَّـدْرِ مِنْ كُـلَـيْـبٍ دواءً   هـاجِـسـات فـكـانَ مـنـهُ الجِراحـا

ثمّ قال: «فأجابه الفِنْد بن شَهْل (كذا) حيث يقول: (الأبيات)». والقصيدة من الشعر المتّهم.

(٦) في الأصل المطبوع: «عجل اليوم صاحبي بالرواحا» وفيها تحريف ومجافاة للعجز، وأثبت ما هو أقرب =

٢ ـ علَّ ما بالْفُؤادِ يذهبُ عَنْهُ إنَّ عقلي أَمْسَى غَرِيبًا مُراحا[١]

٣ ـ أيْنَ لَيْلَى وأيْنَ لَيْلَى ولَيْلَى أمْرَضَتْ غيْرَنا رجالاً صِحَاحا

٤ ـ لا تَرَى عاشِقًا تَعَلَّقَ لَيْلَى ويُلاقي الْمَمَاتَ مِنْها رَواحا[٢]

٥ ـ هاجَ لي ذِكْرَها حمامُ هَدِيلٍ ذُكَّرَ الإلْفَ في الغُصُونِ فَنَاحَا[٣]

٦ ـ لَقِيَتْ تَغْلِبٌ كَهَقْلَةِ عادٍ إذْ أتاهُمْ هَوْلُ العَذابِ صَباحا[٤]

٧ ـ ونَهاهُمْ نَبِيُّهم يومَ ذاكُمْ ودعاهُم إلى الإلهِ صُراحا[٥]

٨ ـ ونَهَيْنا عنْ حَرْبِنا تَغْلِبَ الْعُشْـ ـوَ فَمَا عافتِ البَلاَ والمَتاحا[٦]

٩ ـ دُونَ أن أبْصَرَتْ خيولاً لِبَكْرٍ وسُيُوفًا هِنديَّةً ورماحا

١٠ ـ فَقَتَلْنا بِواردِاتٍ رِجالاً إذْ بَدَا كاظِمُ الضَّميرِ ضُباحا[٧]

١١ ـ وَلَقَى القَوْمُ بالذنائِبِ مِنَّا إذْ كَشَفْنا الخُلُودَ مَوْتًا ذُباحا[٨]

١٢ ـ وأَسَرْنا عَدِيُّها واصْطَنَعْنا بِيَدٍ لَوْ أثابَ مِنَّا نَجاحا[٩]

١٣ ـ سَفُّهوا حِلْمَنا، فلمَّا أثاروا لِلِقاءِ الكُماةِ طاحُوا طِياحا[١٠]

= إلى إصلاح البيت.

(١) عَزَب يَعْزُب عزوبًا: غاب وبعد. والمُراح: اسم مفعول من أريح.

(٢) الرواح، هنا: اليُسْر والسهولة، تقول أفعل ذلك في سَراحٍ ورَواح، أي في يُسْرٍ وسُهولة.

(٣) في الأصل المطبوع: «عاج لي ذكرها حمام هدو» تحريف. ولعلّ ما أثبتنا أقرب إلى الصواب. والهَدِيل: صوت الحمام، وقيل: هو ذَكَرُ الحمام، وقيل: فَرْخُه. ولعلَّ الصواب: «هَدِيْل حَمام» ولكن وقع قَلْبٌ.

(٤) الهَقْلة: أُنْثى النَّعام. وعاد: قبيلة عربيَّة بائدة.

(٥) الصُراح: المُجاهَرة.

(٦) العُشْو: مفردها الأعشى، وهو الذي لا يُبْصِرُ ليلاً.

(٧) واردات: اسم مَوْضِع على يَسار طريق مكّة، ويوم واردات كان بين بَكْر وتَغْلِب وقُتِل فيه بُجَيْر بن الحارث بن عُباد ـ أنظر **الأغاني** ٥: ٤١. وكَظَم غيظَهُ: حَبسه. وضَبَحَ يضبحُ ضُباحًا: صَهَلَ. وضَبَحَتِ الخيلُ في عَدْوِها. أسمعت من أفواهها صوتًا ليس بصهيلٍ ولا حَمْحَمَة ـ **اللسان** (ضبح). ولم يتّضح لنا المعنى في عجز البيت.

(٨) الذنائب: اسم موضع، وهو ثلاث هضبات بنَجْد. وقيل: هي أرض في بني البكاء على طريق البصرة إلى مكّة. والذُباح: القَتل أيًّا كان.

(٩) في الأصل المطبوع: «واصطَنَفْنا» تصحيف. ولعلّ ما أثبتنا أقرب إلى الصواب. وعَدِيّ: هو مُهَلْهِل بن ربيعة. وقد أُسِر مُهَلْهَل على يدِ الحارث بن عُباد البكري ـ **الأغاني** ٥: ٤٨.

(١٠) سفَّهوا حِلْمَنا: هَزِئوا بصَبْرِنا. والكُماة: مفردُها كَمِيّ، وهو الشُّجاع. وطاح يطوح ويطيح: هلك أو أشْرف على الهلاك. ومصدر طاح: طَوحٌ وطَيْحٌ، ولم أَجِدْ «طِياحا».

١٤ ـ لقيوا أُسْدَ غابَةٍ وكُهُولاً وقَنًا تَضْرَعُ الكُماةَ سِفاحا[١]

١٥ ـ يَطْرِدُونَ الْخُيولَ في رَهَجِ النَّقْـ ـعِ ويَفْرونَ بالسيوفِ السِّلاحا[٢]

١٦ ـ سايَحُوا شَيْخَنا جُحَيْشًا وكانوا كُلَّما أخرجوه لِلْحَربِ ساحا[٣]

١٧ ـ ولَقَدْ كانَ كارِهًا للذي كا ن رَجاءً بأن يكونَ الرَّباحا[٤]

١٨ ـ فأصابُوا بُجَيْرَ مِنْ غَيْرِ جِرْمٍ كانَ مِنْهُ إذْ صادفُوهُ كِفاحا[٥]

١٩ ـ ضَرَّجُوا ثوبَهُ وقالوا سَفاهًا أنْتَ بالشِّسْعِ مِنْ كُلَيْبٍ صُراحا[٦]

٢٠ ـ فأصابَ القِتالُ آنافَ بَكْرٍ فأبادَت بِهِ الرِّجالَ الصِّباحا[٧]

٢١ ـ وَرَجَتْ تغلِبٌ تُعِيدَ كُلَيْبًا فَأَطَحْنا سَراتَهُمْ حَيْثُ طاحا[٨]

٢٢ ـ قَدْ تَرَكْنا نساءَهُمْ مُعْولاتٍ مُعْلِناتٍ مع البُكاءِ النُّواحا

٢٣ ـ بَقِيَتْ بَعْدَهُ الْجَلِيْلَةُ تَبْكِيْ والخَرُوْدُ العَيْطاءُ تَدْعُو لَحاحا[٩]

٢٤ ـ وتَركنا أُصَيْبِياتٍ صِغارًا وذَرارى يَحْتَسُون القِراحا[١٠]

---

(١) في الأصل المطبوع: «الكُماة سباحا» وهي غامضة. ولعلّ ما أثبتنا أقرب إلى الصواب. والسفاح: سَفك الدماء.

(٢) الرَّهَج: السَّحاب الرقيق، ورهج النقع: الغيمة التي تنشأ عن غبار المعركة. وفَرَى الشيء يَفْرِيه: شقَّهُ. والسلاح: اسم جامع لآلة الحرب.

(٣) سايَحَ: جارَى وبارَى. وساحَ الرجلُ: إذا ذهب ضاربًا في الأرض.

(٤) الرَّباح: مصدر رَبِحَ يَرْبَح، أي كَسِبَ وغنم.

(٥) بُجَيْر: هو بُجَيْر بن الحارث بن عُباد على الأرجح. وصادفوه: لاقوه. والكِفاح: المواجهة. وتَرْك تنوين «بُجَيْر» ضرورة ـ أنظر ضرائر الشعر ١٠١.

(٦) ضَرَّجَ الثوب: لطَّخه بالدم. والسَّفاه: نقيض الحلم. والشِّسْع: أحد سُيُوْر النعل. والصُّراح: المَحْض الخالِص من كلِّ شيء. وفي عجز البيت إشارة إلى قولة مُهَلْهِل لِبُجَيْر عندما قَتَلَه: «بُؤْبِشِسْعِ نَعْلِ كُلَيْب». وهي كلمة مأثورة ـ أنظر الأغاني ٥: ٤٧، وفَصل المقال ٣٠٥.

(٧) في الأصل المطبوع: «فأصاب المقال» تحريف. ولعلّ ما أثبتنا أقرب إلى الصواب. والصِّباح: مفردها صُباح وصَبِيْح، وهو الرجل الوَضِيْءُ الوَجْه.

(٨) في الأصل المطبوع: «تصيد كُلَيْبًا» تحريف. ولعلّ ما أثبتنا أقرب إلى الصواب. وأطاح: رمى في الهواء، وأهلك. والسَّراة: مفردها سَرِيّ، وهو الشريف في قومه، والسُّراة، اسمُ جَمْع، بالفَتْح والضمّ. وفعل «تُعِيدَ» منصوب بأن محذوفة.

(٩) في الأصل المطبوع: «والخُرَّد العَيْطاء». وبهذه الرواية يختلُّ الوزن، ولعلَّ ما أثبتنا أقرب إلى الصواب. والجَلِيْلَة: هي جليلة البكريَّة زوجة كُلَيْب. والخرود والخَرِيد والخريدة من النساء البِكْرُ، أو الحَيِيَّة الخَفِرة. والعَيْطاء: الطويلة العنق. واللَّحاح: لعلَّها مصدر لَحَّ، ولكنّ لم أجدها فيما عُدتُ إليه من معاجم.

(١٠) في الأصل المطبوع: «يحسون القراحا». وبهذه الرواية يختلّ الوزن، ولعلّ ما أثبتنا أقرب إلى الصواب. =

٢٥ ـ كانَ سَهْمُ النِّساءِ سَهْمَ جِباهٍ وأَجَلْنا على الرجالِ القِداحا[١]
٢٦ ـ وتَرَكْنا دِيارَ تغلبَ قَفْرًا وكَسَرنا مِنَ الغُواةِ الجَناحا[٢]
٢٧ ـ وتَرَ الزَّئْرَ يَمْعَجُ القَوْلَ فِينا بعدَما صار مُفْرَدا مُسْتَباحا[٣]
٢٨ ـ هُوَ في الشَّرِّ قائِلٌ ومُرَوٌّ لَيْتَهُ ماتَ قبلَها فاسْتَراحا

(٣)

في منتهى الطلب (ج ٥ ق ١٥٥/أ ـ ١٥٧/ب)[٤]: (الرمل)

١ ـ أَشَجاكَ الربعُ أقوى والدِّيارُ وبُكاءُ المَرْءِ للرَّبْعِ خَسارُ[٥]
٢ ـ أيُّ لُبٍّ لامرِى في قَدْرِهِ عائِذٍ بالحُزْنِ إذْ تُشْجِيهِ دارُ[٦]
٣ ـ إنَّما يبكي الأُلَى كانوا بِها فانْتَأَوْهُ بعدَ ما شطَّ المَزارُ[٧]
٤ ـ يُخْرِبُ الدَّهْرُ ويَبْني جاهِدًا وخرابُ الدَّهْرِ للدَّارِ عَمارُ[٨]
٥ ـ أيُّها الباكي على ما فاتَهُ أقصِرَنْ عَنْكَ فَبَعْضُ القولِ عارُ[٩]

= وأُصَيْبِيات: مفردُها أُصَيْبِيَة، وهي تصغير صبية على غير قياس. وذَرارى: مفردها ذُرِّيَّة، وهي وَلَد الرجل. والقَراح: الماء الذي لا يخالطه شيء، والخالص من الشوائب.

(١) سَهْم النِّساء: نَصيبهنّ. والجِباه: لعلّها جمع جَبْهة. والجَبْهة: المَذَلَّة. وجبهت الرجل تجبهُهُ، إذا استقبلته بمَكْروه. والقِداح، أراد قِداح المَنِية.

(٢) في الأصل المطبوع: «قَفْرى وكَسَرْنا من القوات». وفي الأصل أيضًا (ط نخبة الأخيار): «قفرى... وكسرنا من القواة» وكلتاهما فيها تحريف. ولعلّ ما أثبتنا أقرب إلى الصواب. والقفر: الخلاء من الأرض. والدار القَفر: الخالية من أهلها.

(٣) كذا ورد الشطر الأوّل في الأصل المطبوع. وهو غامِض ومُحرَّف، ولم نهتدِ إلى إصلاحه. ويَمْعَج: يَتَفنَّن، من مَعَجَ الفَرَسُ في جَرْيِه، أي تَفنَّنَ فيه.

(٤) قدَّم صاحب منتهى الطلب لهذه القصيدة بقوله: «وقال الفِنْدُ الزِّماني، واسمه شَهْلُ بن ربيعة بن زِمّان بن مالِك بن صَعْب بن علي بن بكر بن وائل بن قاسط بن هنب بن أفصى بن دعمي بن جديلة بن أسد بن ربيعة بن نزار يناقض الأَفْوَه الأودِي». والقصيدة من الشعر المتّهم.

(٥) شَجا يَشْجُوهُ شَجْوًا: أحْزَنَهُ، وقيل: شَجاني: طَرَّبني وهيَّجني. والرَّبع: المنزل والدار. وأقوى: أقفر وخلا من الأنيس. وخَسِير خَسْرًا وخَسارًا وخَسارة: ضَلَّ.

(٦) في المخطوط، وقصائد نادرة: «عابِدٌ بالحزن» تحريف. وأثبتُّ رواية المنازل والديار، واللُّب: العَقل والرأي. والعائِذ: المُلتجِئ.

(٧) في المخطوط، وقصائد نادرة: «بعد فانشطُّ المَزار». وأثبتُّ رواية المنازل والديار، وشطَّ: بَعُدَ.

(٨) في المنازل والديار قال المُحقِّق في هذا البيت: «في الأصل تحت هذا البيت ما نَصُّه: هذا قَلْب أرادَ عمارتُها خَرابٌ لها» ـ المنازل والديار ١: ٢٥٧.

(٩) أَقْصَرَ عن الشيء: تَرَكَهُ وكفَّ عنه، وهو يقدر عليه.

٦ ـ إنَّ لُــؤْمَ المَرْءِ عَـــجْـــزٌ نَـــدَرًا سَبَبٌ لِـلْـجَـهْـلِ، والجَهْلُ مَـحارُ[١]

٧ ـ إنَّ لُـؤْمَ الْـمَـرْءِ إنْ فـاتَ امْـرأً سَبَبُ الغَـدْرِ اضطِـرارٌ وانْـبِـهارُ[٢]

٨ ـ لَـيس يُـغْـنـي الـلُّـؤْمُ إلاَّ أنَّـهُ جَــزَعٌ بـالـقَـوْمِ لُـؤْمٌ واضْـطِـرارُ[٣]

٩ ـ لَـيْـسَ يُـغْـنـي جَـزَعُ الْـقَـوْمِ إذا وَقَــعَ الأمْــرُ بـهِـمْ إلاَّ الـغِـيـارُ[٤]

١٠ ـ فاجْـزَعوا لِلأَمْـرِ أوْ لا تَـجْـزَعُـوا قَـدْ تَـدَاعَـى السَّـقْـفُ وانْـهارَ الجِدار

١١ ـ لَوْ رَأَيْتَ الطَّعْنَ دَيْنًا لَمْ تَجِدْ إذ دِمـاءُ الـقَـوْمِ بـالـطَّـعْـنِ تُـمـارُ[٥]

١٢ ـ ولـقَـدْ هَـرَّتْ فَـمَـا عَـزَّتْ بِـهِ كَـلْـبَـةُ الأوْدِيِّ إذْ ضـاعَ الـذِّمـارُ[٦]

١٣ ـ هَـيِّنٌ بالقولِ تَـقْـصِـيْـفُ الْـقَـنا إذْ نَـأَتْ عَـنْـكَ الـعَـوالِـي والـشِّـفـارُ[٧]

١٤ ـ قَدْ وَصَـفْـتُ الْـخَـيْـلَ لوْ أقْدَمْتَها والقَـنا لَـوْ ساعدَ الْـوَصْـفَ اضْـطِـبارُ

١٥ ـ قَـلَّ ما تُـجْـدِي قوافِـيْـكَ عَـلَـى أَعْـظُـمٍ قَـدْ شَـنَـفَـتْ مِـنْـها الـنِّـسارُ[٨]

١٦ ـ فَـأَضَـعْـتَ الْـكَـرُّ فـي إبَّـانِـهِ ونَـسِـيْـتَ الضَّـرْبَ إذْ في الضَّـرْبِ عارُ[٩]

١٧ ـ وتَـغَـنَّـيْـتَ بـهِ مُـسْـتَـأْنِـسًـا بَــعْــدَ مـا نَجّــاكَ رَكْـضٌ وبِـدارُ[١٠]

١٨ ـ تَـتَـمَـنَّــاكَ الأمـانِـيُّ وقَــدْ مِـلْــتَ بـالْمُهْــرِ ونَــجَّــاكَ الـفِـرارُ

١٩ ـ كانْجِحارِ الكلْبِ يَدْمَى وَجْهُهُ وُهْـوَ يَـعْـوِي حِـيْـنَ أَعْـيَـاهُ الْـهُـرارُ[١١]

---

(١) كذا ورد صدر البيت في المخطوط، وهو غامض ومُظلم لا يقوم به المعنى. والمَحار: النقصان والرجوع.

(٢) الانبهار: إنقطاع النَّفس من الإعياء.

(٣) جَزِع يَجْزَع جزعًا: جَبُنَ ولمْ يُظْهِرْ صَبْرًا.

(٤) قال محقّق المنازل والديار: «في الأصل تحت هذا البيت ما نصّه: يقول ليس يغني عنهم أن يجزعوا ولكن أن يغيروا» ـ المنازل والدّيار ١: ٢٥٧.

(٥) مارَ الدَّمُ يَمُوْرُ مَوْرًا: إذا جَرَى وسال.

(٦) هَرَّ الكلْبُ هَرِيْرًا: أصْدَرَ صَوْتًا دونَ النباح. والأوْدِي: هو الأفْوَه الأوْدِي الشاعر الجاهليّ المعروف، الذي زُعِمَ أنَّ الفِنْد ناقضهُ بهذه القصيدة. والذمار: هو ما وراء الرجل مِمّا يحقُّ له أن يَحْمِيَهُ كالحَرَم والأهْلِ والحَوْزة والأنساب.

(٧) تَقْصِيْف القَنا: تكسير الرِّماح. والشِّفار: واحدتُها شَفْرة، وهي السكّين العريضة العظيمة. والعوالي: مفردها عالية وهي القناة أو رأس القناة.

(٨) شَنَفَ شَنفًا: بَغَضَ. والنِّسار: مفردها نَسْر، وهو طائر معروف.

(٩) الكَرّ: مصدر كَرَّ أيْ عَطَفَ، ولم يَفِرّ. وإبَّانه: وقته وزمانه.

(١٠) البِدار: الإسراع والتعجيل، مَن بادر إلى الشيء بِدارًا ومُبادَرَة إذا أسرع إليه.

(١١) الهُرار: الداء الذي يُسْتَطْلَق فيه بطنُ الحيوان المريض حتى يموت.

٢٠ ـ إنّما ذِكْرُكَ شَيْئًا قد مَضَى حُلُمٌ، لَمْ يُرْجِعِ الحُلْمَ ادّكارُ[١]

٢١ ـ هَدَمَ الآخِرُ ما كانَ بَنَى لَكُمُ الأوّلُ، فانقاضَ المَنارُ[٢]

٢٢ ـ يا بَنِيْ تَيْمَةَ قَدْ عايَنْتُمُ وَقْعَةً مِنّا لَها نارٌ شَنارُ[٣]

٢٣ ـ لمْ تَزَلْ قَحْطانُ عَنْزًا باحِثًا عَنْ مُدَى فِيْها لِقَحْطانَ الْبَوارُ[٤]

٢٤ ـ مالتِ الرِّيْحُ على أبْياتِكُمْ مِنْ لَظاها بِلَظَىً فِيْهِ الدَّمارُ[٥]

٢٥ ـ فَتَفادَيْتُمْ وأبْقَتْ مِنْكُمُ ذَنَبِيّاتٍ، كَذَا يَبْقَى الشَّرار[٦]

٢٦ ـ دارتِ الْحَرْبُ عَلَيْكُمْ دَوْرَةً تَرَكَتْكُمْ، وأواسِيكُمْ قِصارُ[٧]

٢٧ ـ رَفَعَ اللهُ نِزارًا فَعَلَتْ بالعُلَى النّاسَ، فَلِلْباغِي الصَّغارُ[٨]

٢٨ ـ جَمَعَ اللهُ نزارًا فَنَفَى بِهِمُ النّاسَ جَميعًا، فاسْتَنارُوا[٩]

٢٩ ـ إنّما النّاسُ ظَلامٌ دُوْنَهُمْ فإذا ما أظْلَمَ النّاسُ أنارُوا

٣٠ ـ نَحْنُ للنّاسِ سِراجٌ ساطِعٌ وضِرامٌ يُتَّقَى مِنْهُ الشَّرارُ[١٠]

٣١ ـ فأسْألُوا عنّا الرَّدَى ثمَّ الظُّبَى يَوْمَ قَحْطانُ ضِباعٌ لا تُجارُ[١١]

٣٢ ـ إذ قَتَلْنا بالحِمَا ساداتِكُمْ وأَجَرْناكُمْ، وفي ذاكَ اعْتِبارُ

٣٣ ـ يومَ فِيْكُمْ ذِلّةٌ عَنْ عِزّةٍ ولَنا مِنْكُمْ سِباءٌ وإسارُ[١٢]

---

(١) في المخطوط: «يَرْجِع» بفتح الياء والصّواب ضَمُّها، لأنّها مُضارع «أرْجَعَ». والادّكار: التذكُّر وأصلُها الاذتكار، فصُيِّرت الذالُ وتاء الافتعال، دالاً مُشَدَّدة ـ أنظر اللسان (ذكر).

(٢) انقاضَ: لم أجِدْها في معاجم اللغة التي عدْتُ إليها. والمَنار: العَلَم وما يُوْضَع بين الشيئَين من الحدود.

(٣) التَّيْمة: الشاةُ تُذبَح في المجاعة. والشَّنار: العَيْب. والنار: أراد وقعة لها نار فاضحة ومُخْزية.

(٤) المُدَى: مُفْرَدُها مُدْيَة. شبَّه الشاعر قحطان بعنزٍ تبحث عن مُدْية، وهذا مَثل، يقولون «لا تكُ كالعَنْزِ تَبحث عن مُدْية» يضرب مثلاً للجاني على نفسه جناية يكون فيها هلاكه، وأصلُه أنّ رجلاً كان جائعًا بالفَلاة، فوجد عنزة، ولم يجد ما يذْبحُها به، فبحثت بيديها، وأثارت عن مدية فذبحها بها ـ أنظر فصل المقال ٤٥٥ . والبوار: الهلاك.

(٥) اللَّظَى: النار، وقيل: اللهب الخالِص.

(٦) الذَّنَبِيّات: لم أجِدْ مفردًا لهذا الجمع، ولعلَّها تعني بقايا أو أذنابًا.

(٧) الأواسِي: مفردها آسِية، وهي الدعامة والسارية والبناء المُحْكَم.

(٨) الصَّغار: الذلّ والهوان.

(٩) إستنار: أضاء، ومثلها نارَ وأنارَ ونوَّر، يُقال بان وتبيَّن واستبانَ ـ اللسان (نور).

(١٠) الضِّرام: لَهِيْب النار.

(١١) الظُّبَى: مفردها ظُبَة، وهي حَدُّ السيف.

(١٢) السِّباء: النَّهب، وأخْذُ الناس عبيدًا وإماءً. وإسار: مصدر أَسَر، أي أخَذَ العَدُوَّ أسيرًا.

٣٤ ـ وعلى نِسْوَتِكُمْ أردافُنا كالرَّبابِيحِ مِنَ الحَوْكِ شَوارْ[١]

٣٥ ـ حِيْنَ لِلْخَطِّيِّ في أكنافِكُمْ كأطِيطِ البُزْلِ هاجَتْها الْبِكارْ[٢]

٣٦ ـ يومَ يَرْوِي منكُمُ أطْرافَهُ عَلَقٌ فيهِ اِسْوِدادٌ واحْمِرارْ[٣]

٣٧ ـ واسْأَلُوا عنَّا بَقايَا حِمْيَرِ وبقاياكُمْ إذا النَّقْعُ مُطارْ[٤]

٣٨ ـ أيّ قَوْمٍ ناجَدُوا إذْ ناجَدُوا وعَلاَ بالنَّقْعِ في الدَّارِ الْغِوارْ[٥]

٣٩ ـ لَمْ تَلُوْمُوْنا عَلَى رَيْثِ القُوَى بِخَزارٍ يَوْمَ ضَمَّتْنا الدِّيارْ[٦]

٤٠ ـ كَمْ قَتَلْنا بِخَزازَى مِنْكُمُ وأَسَرْنا بَعْدَما حَلَّ الْحَرارْ[٧]

٤١ ـ مِنْ مُلُوْكٍ أَشْرَفَتْ أعْناقُها بِوُجُوهٍ نَجُبَتْ، فَهْيَ نُضارْ[٨]

٤٢ ـ حَرُمَتْ كَأْسٌ عَلَى ناذِرِها فَلَقَدْ طابَتْ بأنْ حَلَّ العُقارْ[٩]

٤٣ ـ ومُلوكًا مِنْكُمُ رُحْنَا بِهِمْ وعلى كُلٍّ مِنَ الذُّلِّ عِذارْ[١٠]

٤٤ ـ تِسْعَةٌ كُلٌّ على قِسْمَتِهِ جِلْيَةُ المُلْكِ التي لاَ تُسْتَعارْ[١١]

---

(١) الأرداف: مفردها رِدْف. وهو التَّبَع والرَّدِيْف. والردْف أيضًا الكَفَل والعجز. والرَّبابِيح: مفردها رُبَّاح، وهو القرد أو الجدي أو القَصِيْل. والحَوْك: النسج. والشُّوار: حُسْن الهيئة. ولم يزل معنى البيت غامضًا لم يتَّضح على أيِّ وجه من الوجوه.

(٢) الخَطِّي: الرمْح المنسوب إلى الخَطِّ، والخَطُّ موضع باليَمامة، أو هو مرفأ السفن التي تحمل القنا من الهِنْد. والأطِيْط: أنين الإبل المُتْعَبَة أو حنينها. والبزْل: مفردها بازِل، وهو البعير إذا استكمل السنة الثامنة وطَعَنَ في التاسعة. والبِكار: مفردها بِكْر، وهي الناقة التي لم تلِدْ، أو التي ولدت بطنًا واحدًا.

(٣) العَلَق: مفرده عَلَقة، وهي دُوَيْبَة حمراء تعلق في البدن وتمصُّ الدم.

(٤) النقع: غبار المعركة.

(٥) ناجَدَ: بارَزَ وقاتَل. والغِوار: مصدر غار.

(٦) الرَّيث: الإبطاء من راث يريث رَيْثًا، أبْطأ. وخَزاز: اسم جَبَل وقع فيه يوم عظيم من أيام العرب، وفيه التقت عرب الشمال عربَ الجنوب فظهرت عليهم ـ انظر **النقائض** ١٠٩٣، و**العِقْد** ٥: ٢٤٥، و**العُمْدة** ٢: ٢١٢، و**معجم ما استعجم** ٤٩٧، و**معجم البلدان** (خزاز)، و**الكامل لابن الأثير** ١: ٥٢٠.

(٧) حَرّ يَحُرُّ حَرارًا: إذا أُعْتِقَ وأُفْرِجَ. وحَرَّ صَدْرُهُ يَحَرُّ: إذا الْتَهَبَ من العطش أو غيره.

(٨) أشْرَف: ارتفع وتعالى. ونَجُبَ: كرم. والنُضار: الخالِص من كلِّ شيء. والوَجْهُ النُّضار: الغضُّ الناعم الحسن.

(٩) الناذِر: الواعِد على شَرْط. وكانوا يُحرِّمون الخَمْرة حتَّى يثأروا، وإذا ظفروا بغريمهم حلَّت لهم. وهذا ما أراده الشاعر في البيت. والعُقار: الخَمْرة.

(١٠) العِذار من اللِّجام: ما سال على خَدِّ الفَرَس منه.

(١١) القِسْمة: الحَظُّ والنصيب. ولعلَّ أصلها القَسِيمة، ثمُّ سُكِّنت السين، وهو الوَجْه. والحِلْية: ما تتحلَّى به المرأة، وجاء هنا بمعنى الصفة والصورة.

٤٥ ـ صَلِيَ القَتْلَ بِهِ ذُوْ حُرَثٍ وقَدِيْمًا صَلِيَ القَتْلَ الخِيارُ[1]

٤٦ ـ وهَوَتْ أَوْدٌ، ولِلسُّمْرِ بِنِا في سَبابِ القَوْمِ قَصْدٌ وانْكِسارُ[2]

٤٧ ـ ونَجَتْ مِنَّا فِرارًا مَذْحِجٌ هَرَبًا، والخَيْلُ يَعْلُوها الغُبارُ[3]

٤٨ ـ إنَّنا نَضْرِبْ بِبِيْضٍ أُخْلِصَتْ فَلَها مِنْ جَوْهَرِ العِتْقِ نِجارُ[4]

٤٩ ـ أَسْمَحَتْ قَحْطانُ في أَرْسانِنا خَبَبَ الأَعْيارِ تَتْلُوْها الصِّغارُ[5]

٥٠ ـ فَحَوَيْنا دُوْنَكُمْ أَرْؤُسَكُمْ وتَرَكْنا النَّهْبَ يَحْوِيْهِ الخُشارُ[6]

٥١ ـ تُجْنَبُ الأَمْلاكُ مِنْكُمْ طَرَدًا بَيْنَ أَيْدِيْنا وتُسْتَهْدَى العِشارُ[7]

٥٢ ـ لَسْتُمُ كالْخَيْلِ في أَعْراقِها تَتْبَعُ الخَيْلَ لَدَى السَّبْقِ المِهارُ[8]

٥٣ ـ وعلى هَمْدانَ مِلْنا بالْقَنا فَوَرانَ القِدْرِ تُطْفَى وتُنارُ[9]

٥٤ ـ فارْجِعُوا منّا فُلُوْلاً واهْرُبُوا لِظَفارٍ لَيْسَ يُؤْوِيكُمْ ظَفارُ[10]

---

(١) صَلِيَ القَتْلَ: عاناه ولاقاه، وذو حُرَث: حُرَث بوزن عُمَر وزُفَر، يجوز أن يكون معدولاً عن الحارث. وذو حُرَث حميري من بيت الملك باليَمَن ـ معجم البلدان، (حرث). وخِيار: مفردها خَيْر وخَيِّر، وهو الفاضل من كلّ شيء.

(٢) في المخطوط: «نَعْدٌ وانكسارٌ»، وأثْبَتُّ ما في «قصائد نادرة». وأَوْد: قبيلة الشاعر الأفْوَه الأَوْدِي، والسُّمْر: الرِّماح. وسَباب: مفردها سَبَّة، وهي الدُّبُر. والقَصْد: الكَسْر، تقول قَصَدْتُ العُوْدَ قَصْدًا، أي كسرتُه.

(٣) مَذْحِج: قبيلة يَمَنِيَّة.

(٤) البيض: السيوف. وأُخْلِصت: اختِيْرَت. والعِتق: الكَرَم والجودة. والنِّجار: الأصل والحسب. وتسكين «نَضْرِب» في البيت ضرورة. ووجه الضرورة هنا هو إمّا التخفيف، أو إجراء للوَصْل مَجْرَى الوقف ـ أنظر ضرائر الشعر ٩٣، والخصائص ١: ٧٤ ـ ٧٥، ٢: ٣١٧، ٣٤٠، ٣: ٤٦. ورسالة الغفران ٣٦٩.

(٥) في المخطوط: «الصَّغار» بفتح الصاد، والصواب كَسْرُها. وأسمح: ذَلَّ ولانَ وانْقادَ. والأرسان: مفردُها رَسَن، وهو الحبل. والخَبَبُ: ضَرْبٌ من العَدْو. والأعيار: مُفردُها عَيْر، وهو الحِمار، وغلب إطلاقه على الحمار الوحشيّ.

(٦) في المخطوط «الخَشار» بفتح الخاء، والصوابُ ضَمُّها ـ القاموس المحيط (خشر). والأرْؤُس: مفردُها رئيس، وهو معروف. والخُشار: الرديء من كلّ شيء، ومن الناس سَفَلَتُهم.

(٧) جُنِب يُجْنَب: كان سَهْل الانقِياد، ويقال جُنِبَ فلان إذا جُنِب إلى دابّة، والأمْلاك: مفردُها مَلْك بتسكين اللام، وهو ما ملكتِ اليدُ من مال أو عبيد أو إماء. وطَرَدًا: قَسْرًا، ومنها طَرَدْتُ الإبلَ طَرَدًا، إذا ضَمَمْتُها بعضُها إلى بعض. والعِشار: الإبل التي أتى عليها عشرة أشهر، أو هي نُوْق أُنْتِجَ بعضُها، وبعضها ينتظر نتاجُه.

(٨) أعراق الخيل: أنسابُها الكريمة وأصولها النجيبة. والمِهار: مفردها مُهْر وهو ولد الفَرَس.

(٩) همدان: قبيلة يَمَنِيّة.

(١٠) في المنازل والدِّيار: «واهْرُبُوا... عائِذِيْن ليسَ تُنْجِيْكُمْ ظَفارُ». والفُلُول: البقايا المُنْهَزِمة من الجيش. وظَفار: اسم لمدينة باليمن. وقال بعضهم: إنَّ ظفارًا هي صنعاء نفسها ـ أنظر معجم البلدان (ظفار).

٥٥ ـ إنّما قَحْطانُ فِينا حَطَبٌ ... ونِزارٌ في بني قَحْطانَ نارُ

٥٦ ـ لَنْ تنالُوا مِنْ نزارٍ مِثْلَما ... مِنْكُمُ نالَتْ من الذُّلِّ نِزارُ

٥٧ ـ وسَمَتْ في عارِضٍ مُغْلَوْلِبٍ ... بِسَجِيلٍ فيهِ بَرْقٌ وقِطارُ[1]

٥٨ ـ آخِذٌ بالأُفْقِ كاللَّيْلِ لَهُ ... عارِضٌ ما بَلَغَتْ مِنْهُ الغِزارُ

٥٩ ـ شَمَّرَ الفِتْيانُ فيهِ بالقَنا ... وبأسْبابٍ لَهُمْ فِيها ابْتِيارُ[2]

٦٠ ـ نَحْنُ ذُدْنا فَحَمَيْنا دارَنا ... حِينَ لَمْ يَمْنَعْكُمُ مِنْها اضطِهارُ[3]

٦١ ـ نَحْنُ أولادُ مَعدٍّ ذِي الحَصَى ... ولنا مِنْ هاجَرَ المَجْدُ الكُبارُ[4]

٦٢ ـ وَلَدَتْ أكْرَمَ مَنْ شُدَّ بِهِ ... عُقَدُ الحُبْوَةِ قِدْمًا والإزارُ[5]

٦٣ ـ إنَّ إسْماعِيلَ مَنْ يَفْخَرْ بِهِ ... يُلْفَ في دارٍ بِها حَلَّ الفَخارُ

٦٤ ـ عَكَفَ اللَّيْلُ على آثارِنا ... مِثْلَ ما حَنَّتْ على البَوِّ الظُّؤَارُ[6]

٦٥ ـ فاخْسَأُوا لَيْسَ لكمْ بَيْتٌ عَلَى ... مِثْلِنا، اللهُ لَهُ رَبٌّ وَجارُ

٦٦ ـ لَيْسَ بَيْتٌ رِغْبةُ النَّاسِ مَعًا ... أنْ يَزُورُوهُ كَبَيْتٍ لا يُزارُ

٦٧ ـ قَدْ رآنا اللهُ عِزًّا أهْلَهُ ... وهو المُخْتارُ، والخَلْقُ كُثارُ[7]

٦٨ ـ قَدْ رَآنا اللهُ أوْلَى مِنْكُمُ ... باليدِ العُلْيا، ولله الخِيارُ

٦٩ ـ لَمْ تَزَلْ تُخْجَرُ قَحْطانُ لنا ... كَجِعارِ الرَّمْلِ إذْ جَدَّ الفِرارُ[8]

٧٠ ـ فَوِهَ الأفْوَهُ لَمَّا هَتَمَتْ ... فَمَهُ مِنْ هَضْبةِ الشِّعْرِ الفِهارُ[9]

---

(١) سَمَا يَسْمُو سُمُوًّا: ارتفع. والعارِض: السحاب المُطِلّ يَعْتَرِضُ الأفق. والمُغْلَوْلِب: المُتكاثِف. والسَّجِيل: من السَّجْل وهو الدَّلْو المَلأى، شَبَّهَ السحاب المندفق بالماءِ بالدلو المَلأى به.

(٢) شَمَّرَ: تهيَّأَ ومَضَى لأمرِهِ. والقَنا: الرِّماح. وابْتارَ الشيء: اختَبَره وامتحنه.

(٣) الاضْطِهار: علاقة القُرْبَى بالمُصاهَرة، وهو أيضًا اصطِلاء النار وحَرِّ الشمس.

(٤) ذو الحَصَى: ذو العَدَد. وهاجَر: امرأة من جُرْهُم تزوَّجها إبراهيم فولدتْ له إسماعيلَ، أبا العرب، عليه السَّلام. والمَجْدُ الكُبار: المَجْدُ العظيم.

(٥) الحَبْوَة: الاشتمال بالثوب. والحُبْوة: الثوبُ الذي يُحْتَبَى به.

(٦) عَكَفَ: أقام ولَزِم. والبَوُّ: جِلْد الحِوار يُحْشَى تِبْنًا أو حَشِيشًا لتعطف عليه الناقة إذا مات ولدُها. والظُّؤار: مفردها ظِئْر، وهي العاطِفة على غير ولدها والمُرْضِعة له من الناس والإبل، وهو جَمْعٌ عزيز.

(٧) الكُثار: الكثير، وكَثُر الشيء كَثارةً فهو كَثير، وكُثار، وكُثْر ـ اللسان (كثر).

(٨) في المخطوط: «فجِعارِ الرَّمْلِ». وأثبتُّ ما في قصائد نادرة. وتُخْجَر: تدخل في مكانها. والجَعار: اسم للضبع لكثرة جعرها. وفي اللسان «وإنَّما بُنِيَتْ على الكسرة، لأنَّه حصل منها العدل والتأنيث والصفة الغالبة... وهي معدولة عن جاعرة» ـ اللسان (جعر). والرمل: لعلَّها اسم موضع ـ معجم البلدان (رمل).

(٩) فَوِهَ: اتَّسعَ فُوْهُ. والأفْوَه: العظيم الفم والطويل الأسنان، وهو هنا الشاعر الجاهليّ المعروف بالأفْوَه الأوْدِي. وهَتْم الفَمِ: إنكسار مقدَّم الأسنان. والفِهار: مفردها فِهْر، وهو الحَجَر مِلء الكفّ.

٧١ ـ كانَ في القَوْلِ مُطِيْلاً قَبْلَها ... فَلَقَدْ أَقْصَرَ، والقَصْرُ القُصارُ[1]

٧٢ ـ وَعَلاَ في شَأْوِهِ مَيْداءَهُ ... وَعَلاَ الكَوْدَنُ رَبْوٌ وانْبِهارُ[2]

٧٣ ـ بِبِرازٍ ناهَ مِنْ قَحْطانَ في ... شَرَفِ الذِّكْرِ بِعِزٍّ لا يُطارُ[3]

٧٤ ـ ولَقَدْ تَعْلَمُ أنَّا دُوْنَها ... لِلْعَذارى البِيْضِ بِالبِيْضِ نَغارُ[4]

٧٥ ـ قَدْ خَطَرْنا عنهم المَجْدَ بِنا ... ولَهُمْ نَحْنُ لدى البأْسِ خِطارُ[5]

٧٦ ـ نَحْنُ نَحْمِيْهُمْ عِداهُمْ ونَلِي ... قَتْلَهم إنْ نَكَبُوا عنَّا وجاروا[6]

٧٧ ـ إنَّنا قَوْمٌ تَرَى الجِنُّ لَنا ... سَوْرةً مِنْها جميعًا تُسْتَطارُ[7]

٧٨ ـ أَيُّما قَوْمٍ حَلَلْنا بِهِمُ ... لِلرَّدَى فِيْهِمْ رَواحٌ وابْتِكارُ[8]

(٤)

في البسوس (٩٠ ـ ٩١)[9]: (الرمل)

١ ـ لَيْسَ يُغْنِي القولُ إلاَّ لامْرِئٍ ... صادِقٍ بالْقَوْلِ يَوْمًا أو مُطِيقِ[10]

٢ ـ إنَّ مَنْ أوْرَدَ صَعْبًا نَفْسَهُ ... هُوَّةً ذاتَ ازوِرارٍ ومَضِيقِ[11]

٣ ـ لاحِقٌ تَغْلِبَ في عُدْوانِهِ ... بادِيًا في الظُّلْمِ فِيْنا والْفُسُوقِ[12]

---

(١) أقْصَرَ: كَفَّ وانتهى. والقَصْر: الغاية. والقُصار: العَجْز عن الشيء.

(٢) الشَّأْو: السَّبْق. وشَأَوْتُ القَوْمَ شَأْوًا: سبقتُهم. وكذلك شَأَيْتُ شَأْيًا. والمَيْداء: المَبْلَغ والقياس. والكَوْدَن: الفَرَس الهجين. والرَّبْو: تواتُر النَّفَس وانتفاخ الجوف. والانْبِهار: تتابُع النَّفس من الإعْياء.

(٣) في المخطوط: «في... الشَّرَفِ الذِّكْرِ» وأثبتُّ ما في قصائد نادرة. والبِراز: مصدر بارز في الحرب. وناهَ: علا وارتفع. والعِزُّ الذي لا يُطار: المَجْد الذي لا يتزعزع.

(٤) البِيْض الأولى: صفة للعَذارَى. والبِيْض الثانية: السُّيُوف.

(٥) خَطَر: جَلَّ وعظُمَ. والخِطار: مفردها خَطِير، وهو الرجل القوي ذو القدر والخطر.

(٦) نكَبَ: عَدَل ومال إلى جهة أخرى.

(٧) السورة: السطوة والوثبة.

(٨) الرواح: نقيض الصباح، أو هو السير بالعشي، والابتكار: عكس الرواح، وهو التبكير في طلب الحاجات.

(٩) قدَّمَ مُؤَلِّف البَسوس لهذه القصيدة بقوله: «وبلغ قول مُهَلْهِل من باليمامة فأجابه الفِنْد بن شَهْل (كذا) ابن شَيْبان يقول: (الأبيات)». والملاحظ أنّ اضطرابًا أصاب اسم الشاعر هنا، فهو الفِنْد، وهذا لقبه، أمّا اسمه فشَهْل بن شَيْبان. والقصيدة من الشعر المتَّهم.

(١٠) مُطِيْق: قادر ومستطيع.

(١١) أوْرَد صَعْبًا: ركب مَركبًا خَشِنًا. والهُوَّة: الفَجْوة. والازْوِرار: الميل. والمضيق: المشقَّة والحرج.

(١٢) الفُسُوق: الفجور والخروج عن الحقّ. وفي اللسان: «قال ابن الأعرابي: لم يُسْمَعْ قطّ في كلام الجاهليَّة، ولا في شعرهم، فاسِق: قال: وهذا عَجَب، وهو كلام عربيّ» ـ اللسان (فسق).

٤ ـ لَيْسَ ظلمٌ يَبْتَدِي المَرْءُ بِهِ كانتصارِ المَرْءِ في الوتْرِ الحَنِيْقِ[١]

٥ ـ ليس مَنْ جَرَّبَ يومًا حَرْبنا كانَ للعَوْدَةِ فِيْها بالْحَقِيْقِ[٢]

٦ ـ شَجَّعَتْهُ النفسُ عن ذي صَدْرِهِ أشْخَصَتْهُ جِدَّةُ النَّفْسِ الْبَرُوْقِ[٣]

٧ ـ قَعَدَ المُهْرُ بِهِ مُعْرَوْرِيًا لَيْسَ غَيْرَ الرُّمْحِ والنَّصْلِ العَتِيْقِ[٤]

٨ ـ لَيْسَ يَشْكُو أَلَمَ الجُرْحِ امْرُؤٌ نالَ حِيْنَ سَعَةً مِنْ بَعْدِ ضِيْقِ

٩ ـ وَرَمَى بالوتْرِ مِنْهُ جانِبًا فَرَمَى الأعداءَ بالطَّعْنِ المُرِيْقِ[٥]

١٠ ـ ذاكَ ما ذاكَ ولوذا حِفْظَةٍ بَطَلٌ يَقْطَعُ أقْرابَ الصَّدِيْقِ[٦]

١١ ـ مِنْ رئيسٍ لم يُراقِبْ إذ غَدَا حُرْمَةَ الجارِ، ولا حَقَّ الرَّفِيْقِ

١٢ ـ رَفَضَ القَوْمَ ولمْ يَرْحَمْهُمُ ورمانا رَمْيةَ الْمَوْلَى العَقُوقِ[٧]

١٣ ـ نَحْنُ لمَّا نَبْتَدِعُ ظُلْمًا بِهِ فَتَصَدَّى وبَغَى الظُّلْمَ السَّحيقَ[٨]

١٤ ـ وَنَصَبْنا في خَزازَى رُمْحَهُ وطَرَدْنا العُصْمَ عنْ كلِّ أنيقِ[٩]

١٥ ـ وكَفَيْناهُ عَيانًا مَذْحِجًا بضِرابٍ مِثْلِ تَضْرامِ الْحَرِيْقِ[١٠]

---

(١) الوَتْر والوِتْر: الظُّلْم أو الجناية يُلْحِقُها الرجل بغيره من قَتْل أو نَهْب أو سَلْب. والحنيق: الحاقِد، من أحنَق الرجل إذا حقد حِقْدًا لا يخمد.

(٢) الحقيق: الجدير بالشيء.

(٣) أشخَصَتْهُ: جَعَلْته يُخطِئ الهدف من أشخص الرامي إذا جاز سهمه الغرض من أعلاه. والبَروق: من البرق، وهو الفَزَع. ورجل بَرُوق: جَبان. والبَرَق: الحَيْرة والدَّهَش.

(٤) في الأصل المطبوع: «مغرورنا» تحريف. ولعلّ ما أثبتنا أقرب إلى الصواب. واعْرَوْرَى الفَرَسُ: صار عُرْيًا. والفَرَس المُعْرَوْرِي الذي لا سَرْجَ عليه ولا غيره ـ اللسان (عرا)، والعتيق: الكريم الرائع من كلّ شيء.

(٥) الوِتْر: واحد الأوتار. وكانوا يقلّدون الخيلَ أوتارَ القِسِي لئلاّ تصيبها العين «ورُوِيَ عن جابر: أنَّ النبيَّ ﷺ أمر بقَطع الأوتار من أعناق الخيل، قال أبو عُبَيد: وبلغني أنّ مالِك بن أنَس قال: كانوا يُقلّدونها أوتارَ القِسِي، لئلاّ تصيبها العَيْنُ، فأمَرَهُمْ بقطعها يعلّمهم أنّ الأوتار لا تردُّ من أمر اللهِ شيئًا، قال: وهذا شبيهٌ بما كُرِهَ من التَّمائِم» ـ اللسان (وتر). والطعن المُرِيْق: الطعن القاتل، وراق يُريق بنفسه: إذا جاد بها عند الموت.

(٦) الحِفْظة: الغَضَب. والأقراب: مفردها قُرُب، وهو الخاصِرة أو الْجَنْب.

(٧) العَقوق: الذي يشقُّ عصا الطاعة.

(٨) ابتدع: اخترع. والظلم السحيق: الظلم البعيد. وفي البيت إقواء.

(٩) خَزازَى: إسم موضع جرت فيه وقعة بين نزار واليَمن ـ أنظر فيه النقائض ١٠٩٣، والعقد ٥: ٢٤٥، والكامل لابن الأثير ١: ٥٢٠، والعُصم: مفردها أعْصم وهو الوعل الذي في يديه بياض. والأنيق: الحَسَن المُعْجِب. والأَنَق: النبات الحَسَن المُعْجِب.

(١٠) عَيانًا: مواجهةً. وتَضْرام الحريق: إشعاله. والتاء فيه للمبالغة.

١٦ ـ يومَ لا تَستُرُ أُنثى وَجْهَها ونفوسُ القومِ تَنْزُو في الحُلُوْقِ[1]
١٧ ـ نَحنُ لا أمثالُكم يومَ الوَغَى في حُمَيَّاها، ولا يومَ الحُقُوقِ[2]
١٨ ـ قَدْ رَأَيتم أَثَرًا مِنْ طَعْنِنا فَخُذُوْهُ أَوْ ذَرُوْهُ في الطَّرِيْقِ
١٩ ـ إنْ خَذَلْنا الْيَوْمَ ذُهْلاً لَهُمُ فَغَدًا نَحمِلُ عَنْهم ما نُطِيْقُ[3]

وفي **المستقصى في أمثال العرب** (١: ٢٥):

٢٠ ـ قَدْ تَمَنَّتْ تَغْلِبٌ أُمْنِيَةً هِيَ مِنْها حَيْثُ بَيْضاتُ الأَنُوقِ[4]

(٥)

في **البسوس** (١٤٢): (السريع)

١ ـ يا طَعْنَةً قَدْ أَطْعَنَتْ مالِكا أَهْوِنْ بِها عِزًّا علينا هالِكا[5]

(٦)

في **شرح الحماسة للمرزوقي** (٢: ٥٣٧ ـ ٥٤٢): (الهزج)

١ ـ يا طَعْنَةَ ما شَيْخٍ كَبِيْرٍ يَفَنٍ بالِ[6]
٢ ـ تُقِيْمُ المَأْتَمَ الأَعْلَى على جُهْدٍ وإعْوالِ[7]
٣ ـ ولَوْلاَ نَبْلُ عَوْضٍ في خُضُمَّاتِيْ وأَوْصالِيْ[8]

---

(١) تَنْزُو: تَثِب.

(٢) حُمَيَّاها: شدَّتُها وجِدَّتُها. ويوم الحقوق: يوم الواجبات.

(٣) في البيت إقواء.

(٤) في الأصل: «فهي مِنْها». وبإدخال الفاء على «هِيَ» يَخْتَلُّ الوزن، والصواب ما أثبتنا. وقوله «حيثُ بَيْضاتُ الأَنُوْقِ» مَثَل، يعني حيث البُعْد وعزّة النوال، لأنَّ الأنوق هو ذَكَرُ الرَّخَم، والذكر لا يبضَ له. وقيل: الرَّخَمة، وهي طائر كالنسر، أبْعَد الطيور وَكْرًا، لأنّها تبيض في شِعاف الجبال ـ أنظر **المستقصى** ١: ٢٥، **واللسان** (رخم).

(٥) كذا ورد البيت في **البسوس**. وهو مضطرب اللغة والمعنى، ولم أهتدِ إلى إصلاحه.

(٦) في **الاشتقاق**، **والأغاني**، **ولُباب الآداب**، **وشرح الحماسة للتبريزي**، **ونشوة الطرب**: «أيَا طَعْنَةً». و«ما»، بعد «طعنة» زائدة. أراد يا طعنة شيخ. وقال التبريزي شارحًا: «هذا اللفظ لفظ الثناء، والمعنى معنى التعجُّب. كأنّه أراد ما أهولَها مِن طعنة ويا لها من طعنةٍ بدرت من شيخ كبير السنّ. واليَفَن: الشيخ الهَرِم» ـ **شرح التبريزي** ٢: ٥١ (ط بولاق).

(٧) تقيم المأتم: أي الطعنة. وكان تَناوَلَ بها رئيسًا، لذلك وصف المأتم بالأعلى. والإعوال: رَفْعُ الصوت بالبكاء.

(٨) في **نظام الغريب**: «فلولا... حُظُبَّايَ». وفي **شرح التبريزي للحماسة**: «حُظَبَّايَ». وفي **الدُّرَر** =

٤ ـ لَطَاعَنْتُ صُدُوْرَ الْخَيْـــلِ طَـعْـنًـا لَـيْـسَ بـالآلـي[١]

٥ ـ تَـرَى الْـخَـيْـلَ عـلـى آثـارِ رُمْـحِـي في السَّـنا العالِـي[٢]

٦ ـ تَـفَـادَى كَـتَـفـادِي الوَحْـــشِ مِـنْ أغْـضَـفَ رِئْـبالِ[٣]

٧ ـ ولا تُبْقِيْ صُرُوْفُ الدَّهْــرِ إنْـسـانًـا عـلـى حـالِ[٤]

٨ ـ تَـفَـتَّـيْـتُ بِـهـا إذْ كَـــرِهَ الـشَّـكَّـةَ أمْـثـالِـي[٥]

٩ ـ كَـجَـيْـبِ الدِّفْـنِـسِ الْـوَرْهَـاءِ رِيْـعَـتْ بَـعْـدَ إجْـفـالِ[٦]

= اللوامع: «حُظَّبَاي». وعَوْض: إسم للدهر يُبنَى على الضمّ، وقد يبنى على الكسر، والفتح أعلاهما. ونُوِّن هنا ضرورةً. والحُضمَّة: ما غلظ من الساعد. وقال التبريزي شارحًا: «لولا رَمْي الدهر في مفاصلي لكان تأثيري في الحرب أكثر مِمّا كان. ونَبْل الدهر: حوادثه» شرح التبريزي ٢: ٥٢ (ط بولاق).

(١) في نظام الغريب، والدرر اللوامع: «صدور القوم». وقال التبريزي شارحًا: «أراد بالخيلِ الفرسانَ، ويجوز أن يريد بالصدور الأكابر والرؤساء. والآلي: المُقَصِّر، وجعل التقصير للطعن على المجاز» ـ شرح التبريزي ٢: ٥٢ ـ (ط بولاق).

(٢) في اللسان: «تركْتُ الخَيْلَ من... رُمْحِي في الثُّبَى العالِي». وفي شرح التبريزي: «آثار مُهْري في». وقال صاحب اللسان قبل هذا البيت، والذي يليه: «وقول الرُّمّاني أنْشَدَهُ ابنُ الأعرابي». وأضاف شارحًا: «قال: الثُّبى العالِي من مجالس الأشراف... وهذا غريبٌ نادِرٌ لم أسْمَعْهُ إلاّ في شعرِ الفِنْد» ـ اللسان (ثبا). وقال التبريزي شارحًا: «ومعنى السَّنا: قِيْل النور العالي. وها هنا يريد بريق السلاح كأنّهم يقدّمونه ويتّقون به، هذا معنى، والأجْوَد أن يكون المعنى ترى الفرسان إذا تَبِعَتْ أثري في مَجْدٍ عالٍ، أي أنّهم يرضون برئاستي عليهم» ـ شرح التبريزي ٢: ٥٢ (بولاق).

(٣) لم يرد البيت في شرح المرزوقي للحماسة، وأضفته من اللسان (ثبا). وتفادى: تَحامَى، وانزوى للتخلُّص من خَطر مُحدِق. والأغضَف: الأسد أو صِفة من صِفاته. والغَضَف في الأسد استرخاء أجفانها العليا على أعينها يكون ذلك من الغضب والكِبْر، أو هو كثرة أوْبارها وتَثَنّي جلودها. والرِّئْبال: من أسماء الأسد أو الذئب.

(٤) قال التبريزي في البيت: «هذه تسلية له مِمّا صار إليه من ضعفٍ بعد قوّة» ـ الشرح ٢: ٥٣ (بولاق).

(٥) تَفتَّيت: صنعتُ ما يصنع الفتيان. والشَّكَّة: ما يُلْبَس من السِّلاح. وقال المرزوقي شارحًا: «يقول: تكلَّفتُ بهذه الطعنة وإحداثها فعْلَ الفِتيان، وأبليت بها بلاءَ الشبّان في وقت تكره فيه حمل السلاح أمثالي من الرجال الشيوخ، فكيف استعمالها».

(٦) قال المرزوقي شارحًا: «قوله: كَجَيْبِ الدِّفْنِس، شبَّهَ اتِّساعَ الطعنة وسرعة خروج الدم منها، باتِّساع جَيْب المرأة الحَمْقاء. والوَرْهاء: المتسافطة العقل، الضعيفة التماسُك». ورِيْعَت: أُفْزِعَتْ. والإجفال: الهروب من الشيء.

(٧)

في منتهى الطلب (ج ٥ ق ١٥٨ ب ـ ١٥٩ أ)[١]: (الهزج)

١ ـ أَقِيدُوا الْقَوْمَ إِنَّ الظُّلْـ ـمَ لا يَرْضَاهُ دَيَّانُ[٢]

٢ ـ وإنَّ النَّارَ قَدْ تُصْبِـ ـحُ يومًا، وهيَ نِيرانُ

٣ ـ وفي العُدْوانِ لِلْعُدْوا نِ تَوْهِينٌ وإقْرانُ[٣]

٤ ـ وفي القَوْمِ معًا لِلْقَوْ مِ عندَ اليَأْسِ أَقْرانُ[٤]

٥ ـ وبعضُ الْحِلْمِ عِنْدَ الْجَهْـ ـلِ لِلذِّلَّةِ إِذْعانُ[٥]

٦ ـ كَفَفْنا عنْ بَنِي ذُهْلٍ وقُلْنا: القَوْمُ إِخْوانُ[٦]

٧ ـ عَسَى الأيَّامُ أنْ يَرْجِعْـ ـنَ قومًا كالَّذي كانُوا[٧]

٨ ـ فلمَّا صَرَّحَ الشَّرُّ بَدَا، والشَّرُّ عُرْيانُ[٨]

---

(١) جاء في منتهى الطلب قبل إنشاد القصيدة: «قال: ولِلْفِنْد أيضًا من ولده عبدالله بن صباح وَلِيَ عَدَن وأبْيَن زَمَنَ نَجْدة الخارجيّ، وكان من فرسان أصحابه، يقولها في بعض حروبه، أعني الفِند». ولم يرد البيت التاسع في منتهى الطلب، وإنّما أضفناه من المصادر الأخرى بترتيبه فيها ـ انظر التخريج. وكذلك أضفنا الأبيات (٢٢ ـ ٢٦) من كتاب البسوس ـ فصار لنا من هذه القصيدة (٢٦) بيتًا. والقصيدة قيلت في يوم قِضَة، وهو أحد أيّام حرب البَسوس ـ وانظر في ذلك السمط ٩٤٠ ـ ٩٤١، والعقد ٥: ٢١٦، والأغاني ٥: ٤٢ ـ ٥٥ و٢٤: ٩٣، ومعجم ما استعجم ١٣٦٢، ومعجم البلدان (قِضَة)، والخزانة ٤: ٤٣١ (ط هارون).

(٢) أقيدوا: اقتصوا، من القَوَد، وهو القصاص، وقَتْل القاتِل. والديَّان: القاضي والحاكِم.

(٣) تَوْهين: إضْعاف. والإقران: القُوَّة على العُدْوان، وأقرن له، إذا قَوِي عليه.

(٤) أقران: مفردها قِرْن، وهو مثلك في الشجاعة والحرب.

(٥) في المخطوط، وقصائد نادرة: «يومَ الجَهْلِ». وأثبتُّ رواية سائر المصادر. وفي التَّذْكِرة السعديَّة: «وبعضُ الجَهْل عندَ الجهلِ» وهي مُحرَّفة. والإذعان: الطاعة والانقياد. وفي البيت تقديم وتأخير. والتقدير، كما يقول المرزوقي: «بعض الحِلم إذعان للذلَّة عند جَهْل الجاهِل» ـ شرح الحماسة للمرزوقي ١: ٣٨ .

(٦) في رسائل الجاحظ، والأمالي، والمُمْتِع في عِلم الشعر، وبَهجة المجالس، وشرح ديوان الحماسة للمرزوقي، والتبريزي، والتذكرة السعديَّة، والمقاصِد النحويَّة، وشرح شواهد المغني، والخزانة: «صَفَحنا عن». وفي المخطوط، وقصائد نادرة: «عن بني هِند»، وأثبتُّ رواية سائر المصادر. وقال التبريزي في شرحه: «ويُرْوَى صَفَحْنا عن بني هِند، وهي هِنْد بنت مُرّ بن أُدّ، أخت تميم، وهي أمّ بكر وتغلب ابني وائل، فيقول: صَفَحنا عن بني تغلب، لأنّهم إخوتنا عطفتنا عليهم الرحم» ـ الشرح ١: ١٢ (بولاق). وانظر السمط ٩٤١ .

(٧) في حماسة البحتري: «تُرْجِعُ قومًا». وفي الحيوان: «الأيَّامُ تُرْجِعُهُم جميعًا كالذي».

(٨) في البسوس، وشرح القصائد السبع الطوال، والأمالي، وشرح الحماسة للمرزوقي، والتبريزي، =

٩ ـ ولَمْ يَبْقَ سِوَى الْعُدْوا نِ، دِنَّاهُمْ كَمَا دَانُوا[١]

١٠ ـ أناسٌ أَصْلُنا مِنْهُمْ ودِنَّا كالَّذي دانُوا[٢]

١١ ـ وكُنَّا مِنْهُمُ نَرْمِي فَنَحْنُ الْيَوْمَ أُحْدانُ[٣]

١٢ ـ وفي الطَّاعةِ لِلْجاهِـ ـلِ عِنْدَ الحُرِّ عِصْيانُ

١٣ ـ فَلمَّا أُبِيَ الصُّلْحُ وفي ذلكَ خِذْلانُ[٤]

١٤ ـ شَدَدْنا شَدَّةَ اللَّيْثِ غَدَا واللَّيْثُ غَضْبانُ[٥]

١٥ ـ بِضَرْبٍ فِيهِ تَأْيِيمٌ وَتَفْجِيعٌ وإرْنانُ[٦]

= وشرح نهج البلاغة، والتذكرة السعديّة، والمقاصد النحويّة، وخزانة الأدب: «فأمسَى وهو». وفي رسائل الجاحظ، والأغاني: «وأمسى وهو». وفي الحيوان، والممتع في علم الشعر: «وأضحى وهو». وفي المقاصد النحويّة: «وهو عُرْثان» تصحيف. وصرَّح: انكشف وخلص. وقال التبريزي شارحًا: «شبَّهه باللَّبَن الصريح وهو الذي قد ذهبت رغوته. وإذا ذهبت الرغوة، فاللبنُ عُرْيان، وقوله: وهو عريان، أي مُنكَشِف لا سِتْرَ دُونَه» ـ الشرح ١ : ١٣ (بولاق).

(١) لم يرد البيت في مخطوط منتهى الطلب، وأضفته من المصادر الأخرى حسب ترتيبه فيها. والعُدْوان: الظلم. وقوله: «دِنَّاهُمْ كما دانُوا»: فَعَلْنا بهم كما فعلوا بنا، أي جازَيْناهم. وقال البغدادي: إنّ هذا البيت شاهد على أنّ «سوى» خرجت من الظرفيه إلى الاستثناء عند الكوفيّين... وهي هنا حلَّت محلَّ فاعل (يَبْقَ) المحذوف. وهذا عند البصريّين شاذٌّ إلاّ في ضرورة الشعر ـ الخزانة ٣: ٤٣١ (ط هارون).

(٢) الدين، هنا: قد يكون الجزاء، أو الحساب.

(٣) في قصائد نادرة: «اليَوْمَ أَجْدانٍ» تصحيف. وفي شرح شواهد المُغني: «أَخْدان». وأُحْدان: مفردها أَحَد. والمعنى: نحن متفرّقون، واسْتَأْحَدَ: انفرد.

(٤) في شرح شواهد المغني: «فلمَّا أن أبَوا صُلْحًا». والخِذْلان: تَرْكُ النَّصْر والإعانة.

(٥) في الأمالي، وشرح الحماسة (للمرزوقي، والتبريزي)، والتذكرة السعدية، وخزانة الأدب: «مَشَيْنا مِشْيَةَ». وفي رسائل الجاحظ: «مَشَيْنا مِشْيَةَ.. بَدَا» وفي سمط اللآلي قال البكري: «عدا بالعين معجمة، كذلك رواه أبو عليّ، وهو الصواب. ومَن روى شَدَدْنا شدَّة الليثِ، يكون الاختيار (غدا) لأنَّ السبع يغدو جائِعًا، وتغدو المواشي أيضًا سارِحة من مُراحِها، ويبرز الصيد من مجاثِمه، وكُنسِه ومكامنه» ـ السمط ٥٧٩ . وقال أيضًا، «ومَن روى، مَشَينا مشيةَ الليثِ لم يصلح له أن يقول (عدا)، لأنَّ الليث لا يكون ماشِيًا عادِيًا في حال، فإن قيل: (عدا) هنا من العدوان، فالجواب أنَّ الليثَ لا يمشي في حال عدوانه، وإنّما يشدُّ شدًّا، وهذا بَيِّنٌ واضح. ومَن روى: شَدَدنا شدَّة الليثِ، جازَ أن يقول (غدا) من الغَدَوان، لا من العدوان لأنَّ الشدَّ هو العَدوُ...» ـ السمط ٥٧٩، وانظر ما يشبه هذا في معاني أبيات الحماسة للنمري ٨ . وقال المرزوقي شارحًا: سَعَينا إليهم بِمشيةَ الأَسد ابتكرَ وهو جائع وكنَّى عن الجوع بالغضب لأنّه يصحبه» الشرح ١: ٣٦ .

(٦) في المخطوط: «تأثيم» وأثبتُّ ما في حماسة البحتري، والأغاني، واللسان، لملاءمته لمعنى البيت. وفي البسوس، والحيوان، والممتع في عِلم الشعر: «فيه تَفْجِيعٌ، وتَوهِينٌ». وفي رسائل الجاحظ: «فِيْهِ تَوْهِيْنٌ وتَضْجِيْعٌ وإِذْعان». وفي الأغاني: «فيه تَفْجِيعٌ وتأْيِيمٌ». وفي الأمالي، وشرح الحماسة (للمرزوقي والتبريزي)، والتذكرة السعديّة، والخزانة: «فِيْهِ تَوْهِيْنٌ وتَخْضِيْع =

١٦ ـ وَقَدْ أَدْهَنَ بَعْضُ الْقَوْ م إذْ في الْبَغْيِ إدْهانُ[١]

١٧ ـ وَقَدْ حَلَّ بِكُلِّ الْحَيْ يِ بَعْدَ الْبَغْيِ إمْكانُ[٢]

١٨ ـ وَطَعْنٍ كَفَمِ الزِّقِّ غَذَا والزِّقُّ مَلآنُ[٣]

١٩ ـ لَهُ بادِرَةٌ مِنْ أَحْ مِرِ الْجَوْفِ وثُعْبانُ[٤]

٢٠ ـ وفي الشَّرِّ نَجاةٌ حِيْ نَ لا يُنْجِيكَ إحْسانُ[٥]

٢١ ـ ودانَ الْقَوْمُ أَنْ لَقِيَ الفِتْيانَ فِتْيانُ[٦]

وفي البسوس (١٥٢):

٢٢ ـ قَبَسْنا مِنْهُمُ نارًا ولِلنِّيرانِ نِيرانُ

٢٣ ـ ووَلَّوا إذْ تَفَكَّرْنا لَهُمْ والْمَوْتُ عَجْلانُ[٧]

٢٤ ـ حَذارِ الْمَوْتَ إنَّ الْمَوْ تَ لِلأعْداءِ مِحْسانُ[٨]

٢٥ ـ قَصَدْنا نَحْوَهُمْ حَتَّى إذا جُرْنا لَهُم لانُوا[٩]

= وإقران». وفي المقاصد النحويَّة: «فِيْهِ تأْيِيْمٌ وتَفْجِيْعٌ». وفي حماسة البحتري: «فيه تأْيِيم وإيتام، وإرنان» وفي اللسان: «تأيِيم وتَيْتِيم». والتأْيِيم: قتل الأزواج. قال التبريزي شارحًا: «أَيَّمْتَ المرأةَ إذا قَتَلْتَ زوجَها فصارتْ أَيِّمًا. والتفجيع: إيقاعُ الفَجِيْعة، وهي الرزيَّة بما يكْرُم، والإرْنان: من الرنين، وهو رَفْع الصوتِ بالبُكاء، يقال أَرَنَّ ورَنَّ لُغَة» ـ شرح الحماسة ١: ١٤ (بولاق).

(١) أَدْهَنَ: أَظْهَرَ خِلافَ ما يُضْمِر. والبَغْي: الظُّلْم. والإدْهان: المُلايَنة في القول أو الغِشّ والكَذِب.

(٢) الإمكان: القُدرة والتمكُّن.

(٣) في المخطوط، وقصائد نادرة: «بِطَعْنٍ». وأثبتُّ رواية سائرِ المصادر. وفي المخطوط، والبسوس، وحماسة البحتري، والأمالي، والمُمْتِع في عِلْم الشعر، والخزانة: «غدا» بالدال تصحيف. وأثبتُّ ما في الأغاني، وشرح الحماسة (للمرزوقي، والتبريزي)، والمقاصد النحويَّة، لصوابه. وفي رسائل الجاحظ، والحيوان: «وَهَى والزِّقُّ» والزِّقُّ: القِربة. وغذا: سال. وقال التبريزي شارحًا: «وصف الطعنة بالسعة وذكر أنَّ الدم يسيل من موضع الطعنة كما يسيل الماء من فم القربة» ـ الشرح ١: ١٤ (بولاق). وانظر شرح ما يقع فيه التصحيف ٣٤٨ (ط مصر).

(٤) البادرة: الحدّ. وبادرة السيف: شَباتُهُ وحدُّه. وأحمر الجوف: الدم. وثُعْبان: من ثَعَبَ الدَّم: إذا تفجَّر.

(٥) قال المرزوقي شارحًا: «قوله: في الشَّرِّ نجاةٌ، أراد وفي دَفْع الشرّ، فحذف المضاف، وأقام المضاف إليه مقامه، ويجوز أن يريد: وفي عمل الشرّ نجاةٌ، كأنّه يريد: وفي الإساءة مَخلَص إذا لم يخلِّصكَ الإحسان» ـ الشرح ١: ٣٨.

(٦) دانَ: أطاعَ ولان.

(٧) وَلَّى الشيءُ: أَدْبَر وأعْرَض. وعَجْلان: آتٍ سريع. وتَفكَّر مثل فكَّر وأَفْكَرَ، أي أعْمَل خاطِرَهُ في الشيء.

(٨) المِحْسان: المُحْسِن. وهو مبالغة اسم فاعل من حَسُن.

(٩) جار: ظَلَمَ. وقد عَدَّى الشاعر الفعلَ باللام، وحقُّه أن يُعدَّى بعلى، تقول جار عليه في الحكم جَوْرًا. =

٢٦ ـ فأمسَوا رُهُنَ الرَّمْلِ   عَلَيْهُمْ ثَمَّ أكْفانُ[1]

ما يُنسَب إلى الفِنْد، وإلى غَيْرِهِ مِنَ الشُّعَراء

(١)

في منتهى الطلب (ج ٥ ق ١٥٩ ب ـ ١٦٠ أ)[2]:   (الْهَزَج)

١ ـ أيَا تَمْلِيكُ يا تَمْلِ   وذاتَ الدَّلِّ والشَّكْلِ[3]

٢ ـ وذاتَ الطَّوْقِ والدُّمْلُـ   ـجِ والتَّقْصارِ والحِجْلِ[4]

٣ ـ ذَرِيني وذَرِيْ عَذْلِيْ   فإنَّ العَذْلَ كالْقَتْلِ[5]

٤ ـ ذَرِيني وَسِلاحِي ثُـ   ـمَّ شُدِّي الْكَفَّ بالْعُزْلِ[6]

٥ ـ فَبُرْدايَ جَدِيدانِ   وأُرْخِي طَرَفَ النَّعْلِ[7]

= واستعمال حرف بدل حرف من حروف الخفض مِمّا يُحْمَل على الضرورات ـ أنظر الخصائص ٢: ٣٠٦، وضرائر الشعر ٢٣٣.

(١) الرُّهُن: مفردها رَهن، وهو معروف. ورهن الرمل، أراد موتى تحت الرمل.

(٢) تُروَى هذه القصيدة أيضًا لامرئ القيس بن عابس الكندي، وانظر التخريج. وقال المَيْمَني في حاشية له في سِمْط اللآلي (٥٠٤ ـ ٥٠٥): «من هذه القصيدة ثمانية عشر بيتًا في الإسعاف نقلاً عن ديوان الفِنْد»، وكتاب الإسعاف هذا، هو، على الأرجح: الإسعاف بشرح شواهد القاضي والكشاف لخضر بن عطاالله الموصلّي، ألّفه سنة ٩٩٤ هـ وهو مخطوط في حيدر آباد، وبانكي بور في ثلاثة أجزاء (أنظر مقدّمة سمط اللآلي) ص (س). ومنه نسخة في مكتبة حميديّة باشطَنْبول برقم ١٤٧ ـ (أنظر شِعْر ابن ميادة ٣٣٢). ولم أستطعْ الاطّلاع عليه.

(٣) في المخطوط: «ذات الدل» وبها يختلُّ الوزن. والتصويب من الصناعتَين. وفي أخبار النحويِّين، واللسان (فقا) و(عرقب) و(دفنس)، وأخبار المراقسة: «أيا.. ذَرِيْني وذَرِيْ عَذْلِيْ». وفي الشعر والشعراء، وأخبار النحويِّين: «صِلِيْنِيْ وذَرِيْ عَذْلِي». وفي الصناعتين: «وذاتِ الطُّوق والحِجْلِ». وفي رسالة الصاهل والشاحج: «ذواتِ الطوقِ والحِجْلِ». وقال ابن منظور «وتَمْليك: اسم امرأة، وتَمْلِ: مُرَخَّم، مثل يا حارِ» اللسان (دفنس). والدَّلّ: التَّدَلُّل والجُرْأة على الرجل، أو حُسْن الحديث، وحسن المِزاح، وامرأة ذات دلٍّ: أي ذات شَكْلٍ تَدِلُّ به. والشكلُ: غُنْجُ المرأةِ وغزلُها وحُسن دلِّها.

(٤) الدُّمْلُج: الحُلِيُّ المُسَوَّى والمَصْقُول. والتَّقْصار: من قصر الثوبَ وقصَّرَه، أي حَبَّرَهُ ودقَّه. والحِجْل: الخَلْخال.

(٥) العَذْل: اللَّوْم.

(٦) في الكنز اللغويّ: «دَعِيني وسِلاحِي». وقال ابن منظور شارِحًا: «العُزْل جَمْع أعْزَل، وهو الذي لا سلاحَ معه، يقول: اصْرِفي هَمَّكِ إلى مَن هو قاعد عن الحَرْب والرَّمِيَّة، ولا تفارقِيْهِ، وشدِّي كَفَّكِ به» ـ اللسان (دفنس).

(٧) في الشعر والشعراء، وأخبار النحويِّين، واللسان (فقا) و(عرقب): «وثوبايَ.. شَرَكَ النَّعْلِ». وفي أدب الخَواص: «فثَوْبانِ.. شَرَك النَّعْلِ» ولعلّه تحريف.

٦ ـ فـمِـنّـي نَـظْـرَةٌ بَـعْـدِي ومِـنّـي نـظْـرةٌ قَـبْـلِـي[١]

٧ ـ حَـذارِ الأَسَـدَ الْـبـاسِــلَ أو ذِيْ جُـرْأَةٍ مِـثْـلِـي[٢]

٨ ـ فَـقَـدْ أَشْـبَـأُ لـلـنُّـدْمـانِ بـالـنّـاقـةِ والـرَّحْـلِ[٣]

٩ ـ وَقَـدْ أَنْـزِعُ فـي الـزَّوْراءِ تُـغْـطِـيْـني عـلى مَـهْـلِ[٤]

١٠ ـ لَـهـا وَلْـوَلَـةٌ فـي الْـكَـفْ كـالْـمَـعْـنِـيِّ بـالـثُّـكْـلِ[٥]

١١ ـ ونَـبْـلِـي وفُـقـاهـا كَـعَـراقِـيْـبِ قَـطًـا طُـحْـلِ[٦]

١٢ ـ وقَـدْ أَخْـتَـلِـسُ الـطَّـعْـنَـةَ تُـنْـفِـيْ سَـنَـنَ الـرِّجْـلِ[٧]

١٣ ـ وَقَـدْ أَسْـبِـقُ بـالـضَّـرْبَـةِ لا يَـدْمَـى لَـهـا نَـصْـلـي[٨]

---

(١) في الشعر والشعراء، وأخبار النحويِّين، وأدب الخواص، ورسالة الصاهل والشاحج، واللسان (فقا) و(عرقب)، وأخبار المراقسة: «ومنّي». وفي أخبار النحويِّين، واللسان (فقا) و(عرقب)، وأخبار المراقسة: «نظرة خلفي»، وقال ابن منظور شارحًا: «أي أَفْهَمُ ما حَضَرَ وما غابَ» ـ اللسان (فقا).

(٢) في رسالة الصاهل والشاحج: «الأَسَد الضَّيْغَمَ... أو في نَظرة مِثْلي». وفي «في» تحريف، ولعلّها: «ذي».

(٣) في اللسان (فقا) «وقد أَشْنَأُ» تصحيف. وفي أخبار المراقسة: «وقَد أَسْبِي إلى القُدْسَين» وأسْبأ: أشتري الخَمْرة. والرَّحْلُ: مركب البعير. وقال أبو عُبيدة: «هو من مراكب الرجال دون النساء» ـ اللسان (رحل).

(٤) في رسالة الصاهل والشاحِج: «على بُخْلٍ». ونَزَعَ يَنْزِع نَزْعًا: جَذَبَ الوَتَرَ بالسهم. والزوراء: القوس، وسُمِّيتْ بذلك لمَيْلِها، والازورار: العدول والانحراف.

(٥) الوَلْوَلَة: حكاية صوت النائحة. والثُّكْل والثَّكَل: الموت أو الهلاك، أو فقدان الحبيب، وأكثر ما تستعمل في فُقدانِ المرأةِ زوجَها، أو فقدان الرجل والمرأة ولدَهما.

(٦) النَّبْل: السهام، وهي مؤنّث لا واحدَ له من لفظه، فلا يقال نَبْلة، وإنّما يُقال سَهْم. وقال ابن منظور شارحًا: «وَفُقا: جَمْع السَّهم، وهو مقلوب من فُوَق قال رؤبة:

كَسَّرَ مِنْ عَيْنيهِ تكْسِيْرَ الفُوَق

وقوله: كعراقِيْبِ قَطًا، شَبَّهَ أَفْواق النبل أي الحُمْرة التي تكون في الفُوَق، بعراقيب القطا. والطُّحْل: جمع أَطْحَل وطَحْلاء. والطُّحَل لَوْنٌ يُشْبِه الطِّحال شَبَّه بها رِيَش السهم» ـ اللسان (دفنس).

(٧) في رسالة الصاهل والشاحج: «وقد أَبْدأُ بالطَّعْنةِ». وفي أخبار النحويِّين، واللسان (دفنس): «يَنفي سَنَنَ» وفي اللسان (عرقب): «تَنْفي سَنَنَ». وفي اللسان (فقا): «ينفي سَنَنَ الرَّحْلِ». وأَخْتَلِس: أَطْعَنُ مُخاتلَةً. وقال ابن منظور شارحًا: «وقوله تنفي سَنَنَ الرِّجْلِ، أيْ يَخْرُجُ منها من الدم ما يَمْنَعُ سَنَنَ الطريق». وقال ابن منظور أيضًا: «والذي ذكره السيرافي في تاريخ النحويِّين (الرِّجْل) بالرّاء، قال: ومعناه: أنَّ الدمَ يسيلُ على رجله فيخفي آثارَ وَطْئِهَا، والمعنى الأوَّل أَجْوَد» ـ اللسان (دفنس)، و(عرقب). والسنن: النَّهْج والوجهة.

(٨) في المخطوط: «وقد أَخْتَلِسُ الضَّرْبَة». وأثبتّ رواية الصاهل والشاحج، وفي أخبار النحويِّين، والتشبيهات لابن أبي عون: «أَختلِسُ الطعنة» أراد أنّه لسرعته وحذقه لا يعلق الدمُ على نَصْلِه. وقال ابن أبي عون: «وإنَّ أَقْطَعَ ما يكون السيف إذا سَبَق الدم»، ثمَّ استشهد بقول الفِنْد: «لا يَدْمى لها نصلي» التشبيهات ١٥٧ . والنصل: حديد السيف.

١٤ ـ كَجَيْبِ الدِّفْنِسِ الوَرْها ءِ رِيْعَتْ، وَهْيَ تَسْتَفْلِي[1]
١٥ ـ وأحْمِي الثَّغْرَ لا يُخْشَى بِغَيْرِي زَمَنُ الْبَقْلِ[2]
١٦ ـ أَخُطُّ الأَرْضَ خَطًّا مِثْـ ـلَ خَطِّ الْجَمَلِ الْفَحْلِ[3]
١٧ ـ وأكْفِي القَوْمَ في الكَبَّـ ـةِ هَوْلَ الخَيْلِ والرُّجْلِ[4]
١٨ ـ وقَدْ أجْتَزِعُ الخَرْقَ على خَرْقاءَ كالْفَحْلِ[5]
١٩ ـ لَهَا جِسْمٌ مِنَ الحِلْمِ على رُوحٍ مِنَ الْجَهْلِ
٢٠ ـ فَهَلْ في النّاسِ مَنْ مِثْلِي إذا عَدُّوا، ولا مِثْلِي
٢١ ـ فإنْ أهْلِكُ يا تَمْلِي فَما مِنْ أحدٍ مُخْلِ[6]
٢٢ ـ ولا أشْرَبُ وَغْلاً لا ولاَ أَسْتَصْحِبُ الوَغْلَ[7]

وفي اللسان (عرقب):

٢٣ ـ فإمّا مُتُّ يا تَمْلِي فَمُوتِي حُرَّةً مِثْلِي

وفي الكنز اللغويّ (كتاب الإبل) (١٣٤):

٢٤ ـ رأَيْتُ الفِتْيَةَ الأعْزا لَ مِثْلَ الأيْنُقِ الرُّغْلِ[8]

---

(١) الدِّفْنِس: المَرأة الحَمْقاء البَلْهاء. والورهاء: المُتساقِطة العقل المسترخية. وريع: أُفْزِعَ. وتَسْتَفلي: تطلب الفَلْيَ، وهو البحث عن القَمْل في الرأس.

(٢) زمن البَقْل: زمن اخضرار الأرض وظهور نَبْتِها.

(٣) أَخُطُّ: أَمْشِي.

(٤) الكَبَّة: الصَّدْمة، والحملة الشديدة في القتال. والرَّجْل: بفتح الراء، جماعة الرجال، تسير على أقدامها.

(٥) أجتَزع: أقطع عرضًا. والخَرق: الفَلاة الواسعة، سُمِّيت كذلك لانخراق الريح فيها. والخرقاء: الناقة الهَوْجاء السريعة.

(٦) المُخلِي: المنفرد، من أخلَى إذا انفرد. والرفع في «أهْلِكُ»، ضرورة شعريَّة، وكان الوَجْهُ الجَزْمَ بإنْ الشرطيَّة، وتغيير الإعراب هنا، أو إبدال حركة من حركة ضرورة ـ أنظر ضرائر الشعر ٢١٦ .

(٧) الوَغْل: الداخل على القوم في شرابهم من غير أن يدعوه إليه، أو ينفق معهم مثل ما انفقوا. وفي البيت إقواء.

(٨) في الجَمْهرة: «الفِتْيةَ الأغْرالَ» بالغين والراء، ولعلّه تحريف. وفي اللسان (عزل) قال ابن منظور: «هكذا رواه عليّ بن حَمْزة بالعين والزاي، والمعروف الأزعال». والأعزال: مفردها الأعْزَل، وهو الذي لا سلاح معه. والأَيْنُق: جمع قِلّة للناقة، والياء في «أيْنُق» عوض من الواو في «أونق» ـ أنظر اللسان (نوق). والرُّغْل: مفردها رَغْلاء، وهي الشاة، أو الناقة التي يقطع من أذنها رَغْلَة، وتترك مُعلَّقةً تَنُوس. وقال ابن الأعرابيّ: وشاةٌ رَغْلاء طويلة الأذن. وفي اللسان: «قال ابن بَرّي: والرُّغْل جمع رَغْلاء، أي لا تمتنع من أحد. قال الأزهري: وكلّ شيءٍ مُتَدَلٍّ مُسْتَرخٍ فهو أرْغَل» ـ اللسان (رغل).

تخريج شعر الفِنْد الزِّمّاني

(١)

١ ــ ٣	في البسوس ١٣٩ للفِنْد الزِّمّاني.

(٢)

١ ــ ٢٨	في البسوس ١٥٤ ــ ١٥٥ لِلْفِنْد الزِّمّاني.

(٣)

١ ــ ٧٨	في منتهى الطلب (ج ٥ ق ١٥٥/أ ــ ١٥٧ ب)، وقصائد نادرة ٦٦ ــ ٦٩ لِلْفِنْد.
١ ــ ٥، ٩، ١٠	في المنازل والديار ١٣٨ ــ ١٣٩ للفِنْد.
٥٤ ــ ٥٥	في معجم ما استعجم ٩٠٤، والروض المعطار ٤٠٣ لِلْفِنْد.

(٤)

١ ــ ١٩	في البسوس ٩٠ ــ ٩١ لِلْفِنْد.
٢٠	في المستقصى ١: ٢٥ لِلْفِنْد.

(٥)

١	في البسوس ١٤٢ لِلْفِنْد.

(٦)

١ ــ ٥، ٧ ــ ٩	في شرح الحماسة للمرزوقي ٢: ٥٣٧ ــ ٥٤٢، وشرح الحماسة للتبريزي ٢: ٥١ ــ ٥٣ للفند.
١، ٨، ٢، ٩	في الأغاني ٢٤: ٩٦ للفند.
١، ٧	في نشوة الطرب ٢: ٦٣٣ للفند.
١، ٩، ٨	في لباب الآداب ٢٠٦ للفند.
١، ٨	في الاشتقاق ٣٤٤ للفند.
١	في اللسان (قضى) لِلْفِنْد.
٣	في المقصور والممدود لابن ولاّد ٢٩، وهَمْع الهَوامِع ١: ٢١٣ دون عزو.
٣، ٤	في نظام الغريب للربْعيّ ٢٢ ــ ٢٣، ٢٢٩، والدُّرَر اللَّوامِع ١:

١٨٣ لِلْفِنْد.

٥، ٦ في اللسان (ثبا) لِلْفِنْد، وانفرد صاحب اللسان برواية البيت السادس هنا.

٨ في معاني أبيات الحماسة للنمري ١٠٠ لِلْفِنْد.

٩ في الجيم ١: ٢٧٥، والوساطة ١٨٩، ونظام الغريب ٣٢ للفند.

(٧)

١ ـ ٨، ١٠ ـ ٢١ في مُنْتَهى الطَّلَب (ج ٥ / ق ١٥٨ ب) للفند الزماني.

١ ـ ٢١ في قصائد نادرة ٦٩ ـ ٧٠ للفند الزماني.

١ ـ ١٥، ١٨ في شرح شواهد المغني ٩٤٤ للفند الزماني.

٦ ـ ٩، ١٤ ـ ١٥، ١٨، ٣، ٥، ٢٠ في الأغاني ٢٤: ٩١ للفند.

٦ ـ ٩، ٣، ١٤ ـ ١٥، ١٨، ٢٠ في حماسة البحتري ٥٦ للفند.

٥ وصدر البيت ٩ في همع الهوامع ٢: ٩٣، ١: ١٠٢ دون عزو.

٦ ـ ٧، ٥، ٢٠، ٨، ٩، ١٤ ـ ١٥، ١٨، ١٩، ٢٢ ـ ٢٦ في البسوس ١٥١ ـ ١٥٢ للفند.

٦ ـ ٩، ١٤، ١٥، ١٨، ٥، ٢٠ في الأمالي ١: ٢٦٠، وشرح الحماسة للمرزوقي ١: ٣٣ ـ ٣٨، وشرح الحماسة للتبريزي ١: ١٣ ـ ١٤، والمقاصد النحويّة ٣: ١٢٢، والخزانة ٣: ٤٣١ ـ ٤٣٢ (ط هارون) للفند.

٦ ـ ٩، ١٤، ١٥، ٥، ٢٠ في التذكرة السعديَّة ٥٣ ـ ٥٤ للفند.

٨، ٩، ٥، ٢٠ في شرح نهج البلاغة ١٩: ٢٢١ للفند.

٥، ٢٠ في الأمثال لأبي عُبَيْد ٣٥٩، وفصل المقال ٤٩٠، ومجمع الأمثال ٢: ٩٨، ونشوة الطرب ٣٥٩، ٦٣٣ للفند.

٦ ـ ٩، ١٤، ١٥، ١٨، ٢٠ في الممتع في علم الشعر ٣٨٥ ـ ٣٨٦ للفند.

٦ ـ ٨، ١٤، ١٥، في رسائل الجاحظ ٢: ٣٦٤ ـ ٣٦٥ للفند.
١٨، ٢٠

٦ ـ ٨، ١٤، ١٥، ١٨ في الحيوان ٦: ٤١٥ ـ ٤١٦. وهنا قال الجاحظ: «ورُوِيَ لِلْفِنْد الزمّاني ولا أظنّه له».

٦ ـ ٩، ٢٠ في سمط اللآلي ٩٤٠ للفند.

٦ ـ ٧ في بهجة المجالس ١: ٦٦٦ للفند.

٦ ـ ٨، ١٤، ١٥ في السمط ٥٧٨ ـ ٥٧٩ للفند.

٨، ٩ في شرح القصائد السبع الطوال ٢٩ دون عزو، وفي شرح نهج البلاغة ١٧: ٤ للفند.

١٤، ١٨ في معاني أبيات الحماسة ٨، ٩ للفند.

١٥ في اللسان (تيم)، والخزانة ٣: ٤٣٤ (ط هارون)، وشرح ما يقع فيه التصحيف ٣٤٨ (ط مصر)، وبهجة المجالس ١: ٤٧٥ للفند.

٢٠ في الصاحبي ١٩٧، وشروح سقط الزند ١٠٨٦ دون عزو.

ما يُنْسَب إلى الفند، وإلى غيره من الشعراء.

(١)

١ ـ ٢٢ في منتهى الطلب (ج ٥ ق ١٥٩ ب ـ١٦٠/أ) وقصائد نادرة ٧٠ ـ ٧١ لِلْفِنْد الزمّاني.

١، ٣، ٦، ٧، ١٢، في رسالة الصاهل والشاحج ٤٣٣ دون عزو.
١٤، ١٣، ٩

١، ٣ في الصناعتَيْن ٥٦ ـ ٥٧ للفند.

١، ٤، ١١، ٥ ـ ٦، في أخبار النحويِّين البصريِّين ٢٣ لرجل من اليمن نقلاً عن أبي
٢٣، ١٣، ١٢، ١٤ عَمْرو بن العلاء، ثمَّ قال: (سمَّاه غيره فقال: امرؤ القيس بن عابِس. وهي في اللسان (عرقب) وقد نسب ابن منظور البيت ١١ إلى الفند، ثمَّ ساقه ضمن الأبيات التسعة الأُخرى المَعْزُوَّة إلى امرئ القيس بن عابِس.

١، ٤، ١١، ٦، ٥	في الشعر والشعراء ١: ٨٥ دون عزو.
٢١	
١، ٥، ٦، ١١	في أدب الخَواص ١٢٤ للفند.
٤	في الكنز اللغويّ (خلق الإنسان لِلأصمعي) ٢٣١ دون عزو.
١١	في جمهرة اللغة ٢: ١٧١، ٣: ٢٦٥، والبارع ٥٠٢ للفند. وفي المعاني الكبير ١٠٦٣ دون عزو.
١٣	في سمط اللآلي ٥٠٤ للفند.
١٣، ١٤	في شرح الحماسة للمرزوقي ٥٤٢، وشرح الحماسة للتبريزي ٢: ٥٣ دون عزو. وهما في ديوان امرئ القيس بن حجر الكندي ٤٧٥ . وفي الوساطة ١٨٣، ومحاضرات الأدباء ٣: ١٦١ لابن عابس الكندي. وفي الصبح المنير ٣٥٨ للمُسَيَّب بن عَلَس عن التهذيب ٣٦٠ .
٢٣	في اللسان (عرقب) و(فقا) لامرئ القيس بن عابس الكندي.
٢٤	في الكنز اللغويّ (كتاب الإبل) ١٣٤، وجمهرة اللغة ٢: ٣٨٦، والصحاح، والمجمل، واللسان (رعل)، والمقاييس ٢: ٤٠٧ للفند. وفي شمس العلوم (رعل)، واللسان (عزل) دون عزو. وفي التكملة والذيل (رعل) قال الصغاني: «أنشده ابن فارس له (أي لِلْفِنْد). وللفند قصيدتان على هذا الروي، وليس هذا البيت في واحدة منهما».

٣٤ ـ مُرَّة بن الرُّواع (أو الرَّوّاغ) الأَسَدِي

لعلَّ أقدَمَ مَن ذَكَرَ هذا الشاعر، فيما نعلم، ابنُ حبيب في كتابِهِ: **ألقاب الشعراء ومَن يعرف منهم بأمّه**، فقال: ومِنْ بني أَسَد: «مُرَّةُ بن الرُّوَاع يُعْرَف بأمّه، إحدى بني كَعْب بن حَيّ بن مالِك»[1]. ولم يزد ابن حَبِيْب شيئًا على ذلك. في حين نعت الآمدي شاعرنا بأنّه من قدماء شعراء بني أَسَد، فكان وراء إدْراجِنا له بين الشعراء الجاهليِّين الأوائل، ولا سيَّما حينما قال: إنَّ امرأ القيس بن حُجْر كان يأمر قِيانَهُ أن يُغَنِّيْنَ شعرَ مُرَّة. وعبارة الآمدي في (ابن الرَّوَّاغ)، وليس (ابن الرُّواع) هي:

«مُرَّة بن الرَّوَّاغ، وهي أُمّه، وأخوه كَعْب بن الروَّاغ، وأبوهما سَلْم بن عَمْرو المالِكيّ من بني مالك بن ثَعْلبة بن دُودان بن أَسَد بن خُزَيْمة، شاعران من قدماء شعراء بني أَسَد، وكان امرؤ القيس بن حُجْر يأمر قِيانَه أن يُغنّينَ بشعر مُرَّة، وكانت قِيانُ الملوك أيضًا يُغنّينَ به»[2].

وخَبَرُ الآمدي أضاف ملامحَ للشاعر، وطَرَح إشكالاً، فلشاعرنا أخٌ يُدعَى كَعْبًا. وأبوهما سَلْم بن عمرو المالكي، وهما من بني مالك بن ثعلبة. ولكنّهما ابنان للروَّاغ، وليس للرُّواع...! أمّا المرزباني، فقد نَعَتَ شاعرنا بأنّه: «جاهِلِيّ قديم كثير الشعر» وأضاف: «يقال: إنّه كان في عصر امرئ القيس بن حُجْر وإن امرأ القيس كان يُعلِّم قِيانَه أشعارَ ابنِ الرواع»[3]. فمُرَّة ـ عند المرزباني ـ ابن الرُّواع، وكذلك هو عند ابن حَبِيْب. ويصعب علينا أن نبتَّ في ضَبْط اسم شاعرنا؛ «فالرّواع» ـ كما في **اللسان** ـ «اسم امرأة، قال بشر بن أبي خازم:

تحمَّلَ أهْلُها مِنْها فباتُوا ... فأبكَتْني منازِلُ للرواعِ

وقال رَبيعة بن مَقروم الضَّبِّيّ:

أَلاَ صَرَمَتْ مَوَدَّتَكَ الرُّواعُ ... وجَدَّ البَيْنُ مِنْها والوداعُ»[4]

(١) أنظر ابن حَبِيب: **ألقاب الشعراء** (ضمن نوادر المخطوطات) ٢: ٣٠١. وفي معجم الشعراء «حيي» وليس «حي».
(٢) الآمدي: **المؤتلف والمختلف** ١٨٥.
(٣) المرزباني: **معجم الشعراء** ٢٩٤.
(٤) إبن منظور: **اللسان** (روع).

وهذا كلام يُؤْنِسُ مَن يقول: إنَّ مُرَّة هو ابنُ الرُّواع، وليس ابنَ الرَّوَّاغ، ويقوِّي هذا الاحتمال أنّ (ابن حبيب) ذكر شاعرَنا في باب مَن يعرف بأمّه من الشعراء. ولكنّ العرب، من وجهٍ آخر، سمَّت الروَّاغ[1]. والآمدي الذي جعلَ مرّةَ ابنَ الروَّاغ، بالغين، جدير بالثقة، لأنّه يؤلّف فيمن ائتلف واختلف اسمه من الشعراء... ولكنّنا قَدْ لا نعدم أن يكون نُسَّاخ مخطوطات المؤتلف، قبل طبعه، قد أخطأوا في رسم اسم أمّ شاعرنا، فكتبوا «الروَّاغ» وهي «الرواع»... ولهذا فنحن لا نملك الدليل الفَصل في هذه المسألة، وإن كُنّا نظنُّ ظنًّا أنّ أمّ مرّة هي «الرواع» بالعين، لا بالغين، وبتخفيف الواو، وهو ما أكّده المرزباني عندما ذكر أخا مرّة ــ كعبًا في موطن آخر من **معجم الشعراء**[2].

زمانه

والمسألة الثانية التي نتوقّف عندها، هي معاصرة مُرَّة لامرئ القيس. فالمرزباني يقول في مُرَّة: «ويقال: إنّه كان في عصر امرئ القيس بن حُجْر»[3]. وهذا يعني أنّه أدرك النصف الأوّل من القرن السادس الميلاديّ على الأرجح، وربّما وُجِد في الربع الأخير من القرن الخامس أيضًا.

شعره

لم نقع فيما عُدنا إليه من كتب تراثيّة على أكثر من تسعة أبيات لمُرَّة بن الرواع. ولكنّ المرزباني وصف مُرَّة بأنّه كثير الشعر. وهذا نعتٌ نستدلّ به على أنّ شعراء أوائل كثيرين ربّما كانوا ــ مِثْلَ مرّة ــ كثيري الشعر، ولكن لم يصل إلينا من شعرهم إلاَّ أقلُّهُ. وهذا أمرٌ يشكّل إحدى المشكلات الكُبرى في دراسة هؤلاء الأوائل الذين نقف عندهم. وها هي ذي الأبيات التسعة لمرَّة بن الرواع، وقد توزَّعتها قصيدةٌ ومقطَّعتان:

---

(١) أنظر الزبيدي: **التاج** (روغ).

(٢) أنظر المرزباني: **معجم الشعراء** ٢٢٣.

(٣) ــ م. ن ٢٩٤.

شِعر مُرَّة بن الرواع الأسدي

في المؤتلف والمختلف (١٨٥ ـ ١٨٦): (البسيط)

١ ـ إنَّ الخَلِيْطَ أَجَدَّ الْبَيْنَ فادَّلَجُوا وهُمْ كَذَلِكَ في آثارِهِمْ لُجَجُ[١]

٢ ـ بانُوا وفِيْهِمْ كَئِيْبٌ ما يُكَلِّمُنِي وبَعْضُ ساداتِهِمْ بالبَيْنِ مُبْتَهِجُ

٣ ـ وقدْ لَحِقْتُ بأُوْلَى الخَيْلِ تَحْمِلُنِيْ والفَضْلَتَيْنِ وسَيْفِيْ سَهْوَةٌ حَرَجُ[٢]

٤ ـ عَصْرَ الشَّبابِ تُغَنِّيْني مُصَلْصِلَةٌ جَيْداءُ لا مَجَلٌ فِيْها ولا رَتَجُ[٣]

٥ ـ وَقَدْ أَقُوْدُ لِغَيْثٍ لا أنيسَ بِهِ إلاَّ البَعُوضُ وإلاَّ الأَزْرَقُ الْهَزِجُ[٤]

٦ ـ نَهْدَ الْمَراكِلِ يَطْوِيْهِ ويَرْكَبُهُ حَتَّى يُكَفَّتَ عَنْ مُصْرانِهِ العَفَجُ[٥]

٧ ـ بِمِثْلِه كُنْتُ أعْلُو الْخَيْلَ إذْ رُكِبَتْ إذِ الْجِيادُ كَسَا فُرْسَانَها الرَّهَجُ[٦]

(٢)

في معجم الشعراء (٢٩٤): (الوافر)

١ ـ أَشاقَكَ مِنْ فُكَيْهَتِكَ ادِّلاجُ وَبُتَّ الْحَبْلُ وانْقَطَعَ الْخِلاجُ[٧]

---

(١) في معجم الشعراء: «وادَّلَجُوا... لَحَجُ» تصحيف. والخليط: الصديق المُخالِط، والقوم الذين أمرُهُمْ واحد، وأَجَدَّ: بَلَغَ مَبْلَغَ الجَدِّ. والبَيْن: الفِراق: وادَّلَجَ: سارَ في آخر الليل. واللُّجَج: مفردُها لَجَّة، ولَجَّةُ القوم: أصواتُهم وصَخَبُهم.

(٢) الفَضْلتان: بقيّة الماء في المَزادة، وبقيّة الشراب في الإناء. والسَّهْوَة: الحَجَلة، أراد ناقة سَهْوة، أي حجلة، فحذف الموصوف، وأثْبَتَ الصفة، ويجوز أن يكون قد شبَّه ناقته بالقوس السهوة، وهي القوس المُواتِية. والحَرَج: الناقة الجسيمة الطويلة.

(٣) المُصَلْصِلَة: أراد مُغَنِّية مُصَلْصِلَة. والصُّلْصُل: طائر صغير، وقيل: هي الصلاصل: الفواخِت، والفاخِته واحدة الحمام المُطوَّق. شبَّهَ صوتَ المُغَنِّية بصوت الحمامة. والجَيْداء: المرأة ذات الجِيْد الطويل الحَسَن. والمَجَل: عيبٌ من عيوب العرقوب، فيه تصبح المشية سيئة. والرَّتَج: ضَرْبٌ من السير سريع.

(٤) الغَيْث، هنا: الكلأ، وهو في الأصل المطر، ثمَّ سُمِّي ما يَنْبت غَيْثًا. والأزرَق الهَزِج: أراد ذُبابًا أَزْرَق، لطيرانه تَرَنُّم.

(٥) النَّهْد: المُرْتَفع. والمَراكِل: مفردُها مَرْكَل. ومَرْكَل الدابّة حيث تَضْرب برجلِكَ وأنتَ راكِب. وكفُتَ: شَمَّر، وقَلَّص، وضَمَّ. والمُصْران: مفردُها مَصِيْر، وهو المِعَى، وفي اللسان: «وإنَّما قالوا مُصْران كما قالوا في جَمْع مَسِيْل الماء مُسْلان، شبهوا مُفْعِلاً بفَعِيْل... وكذلك توهَّمُوا المِيْم في المصير أنَّها أصليّة فجمعوها على مُصران، كما قالوا لجماعة مصادِّ الجبل مُصدان» ـ اللسان (مصر). والعَفَج: الكَرْش، أو المِعَى، وقيل: ما سَفُلَ منه.

(٦) الرَّهَج: الغُبار.

(٧) فُكَيْهة: اسمُ امرأة، ويجوز أن يكون تصغير فَكِهة، وهي الطيّبة النفس الضَّحُوك، أو أن يكون تصغير =

(٣)

في المقاصد النحويّة (٤: ٣٠٠): (الرمل)

١ ـ كُـلَّـمـا نـادَى مُـنـادٍ مِـنْـهُـمُ يا لَـتَـيْـمِ اللهِ، قُـلْـنـا: يَـاْ لَـمـالِ[1]

تخريج شِعْرُ مُرَّة بن الرُّوَّاع الأسدِي

(١)

١ ـ ٧ في المؤتلف والمختلف ١٨٥ ـ ١٨٧ لِمُرّة بن الرّواع الأَسَدِي.

١ في معجم الشعراء ٢٩٤ لِمُرّة بن الرّواع.

(٢)

١ في معجم الشعراء ٢٩٤ لمرّة بن الرّواع.

(٣)

١ في المقاصد النحويّة ٤: ٣٠١ (على هامش الخزانة ط بولاق) لمرّة ابن الرُّواع.

٣٥ ـ كَعْب بن الرُّوَاع الأَسَدِي

إنَّ جلَّ ما ذكرناه عن مُرّة بن الرُّواع الأَسَدي يَصْدُق على كَعْب بن الرُّواع الأَسَدِي: فهما أَخَوان، وأمُّهما «الرُّواع» إحدى بني كَعْب بن حَيّي بن مالِك، وأبوهما سَلْم بن عَمْرو المالكي. وفيما عدا هذه الأشياء لم يَجُدْ علينا المُصنِّفون بشيء يذكر عن كَعْب بن الرواع، سوى إشارات عابرة تتّصل بزمانه وشعره.

= فاكِهة مُرَخَّمًا ـ اللسان (فكه). والادُّلاج: السير في آخر الليل. والخِلاج: مفردها خليج، وهو الحَبل إذا خُلِج أي فُتِلَ شَزْرًا.

(١) يالَمالِ: أصلُها يا لمالِك. وقال العيني في البيت: «والشاهِد في البيت «يالمالِ» مُنادَى مُستَغاث به، والاستشهاد فيه، في قوله: يالَمالِ فإنّه مُنادَى مُرَخَّم، وفيه اللاَّم، إذ أصلُهُ يالَمالِك، فرخَّمَ المُسْتَغاث به. وقد علم أنّ المُنادَى المُستغاث به لا يرخّم سواء كان فيه لامٌ أو لم يكن، إلاَّ ما ذهب إليه ابن خَروف من جواز تَرْخِيمِهِ إذ لم يكن فيه لام كما ذكرنا في البيت السابق. وهذا المُنادَى فيه منادَى مُستغاث به وهو باللام، وقد رُخِّم، وهو ضرورة أو شواذ» المقاصد النحويّة ٤: ٣٠١ ـ ٣٠٢.

زمانه

قال المرزباني في أخيه مرّة: «يُقال إنّه كان في عصر امرئ القيس بن حُجْر»[1]، وقد سلف أنّ هذا يعني وجود كعب ومرّة الأسديَّين في فترة بين أواخر القرن الخامس وأوائل السادس الميلاديَّين. وقِدَمُهما هذا حدا بالآمدي أن يقول في هذين الأخوَين: «شاعران من قدماء شعراء بني أَسَد»[2].

شعره

لم نقع إلاَّ على خمسة أبيات لكعب بن الرُّوَاع الأسدي ذكرها الآمدي جميعًا[3]، في حين ذكر منها المرزباني بيتَيْن فقط[4]، وفيما عَدَا هذه الأبيات الخمسة الآتية، لم نقع على أيّ شعر آخر لكَعْب بن الرّواع، في أيٍّ من المصادر التي عُدْنا إليها:

شِعر كَعب بن الرُّوَاع الأَسدي

(١)

في المؤتلِف والمختلِف (١٨٦): (الكامل)

١ ـ ذَكَرَ ابْنَةَ الْعَرْجِيِّ، فَهْوَ عَمِيْدُ ... شَغَفًا شُغِفْتَ بِها، وأنْتَ وَلِيْدُ[5]

٢ ـ ويَخالُها الْمَرِخُ السَّفِيْهُ تُحِبُّهُ ... ونَوالُها غَيْرَ الْحَدِيْثِ بَعِيْدُ[6]

٣ ـ وتَقِيْكَ مِنْ دُوْنِ الْفِراشِ مَعَاصِمٌ ... مِثْلُ النَّمارِقِ، وَشْيُهُنَّ جَدِيْدُ[7]

٤ ـ وإذا تَبسَّمُ قُلْتَ: شَوْكُ سَيَالَةٍ ... أَوْ أُقْحُوانُ صَرِيْمَةٍ مَعْهُوْدُ[8]

٥ ـ رَيَّانُ رُكِّبَ في نُخالةِ إِثْمِدٍ ... خَضِرٍ تُزَيِّنُهُ غَدائِرُ سُوْدُ[9]

---

(١) أنظر المرزباني: معجم الشعراء ٢٩٤، ٢٣٣.

(٢) الآمدي: المؤتلف والمختلف ١٨٥.

(٣) م. ن ١٨٦.

(٤) المرزباني: م. س: ٢٣٣.

(٥) في معجم الشعراء: «بِهِ وأَنْتَ» تحريف. والعَمِيد: المريض الذي لا يستطيع الجلوس من مرضه حتى يُعْمَدَ من جوانبه بالوسائد، أي يُقام. والشَّغَف: بلوغ الحب شِغاف القلْب، وهو سويداؤه أو غلافه. والشَّغف ايضاً الوَلَع الشديد بالمحبوب.

(٦) في معجم الشعراء: «السَّفِيهُ تَحِيَّةً..».

(٧) المعاصم: مفردها مِعْصم، وهو موضع السّوار من اليد. والنَّمارق: مفردها نُمْرق، وهو الوِسادة، وقيل: الوِسادة الصغيرة. والوَشْيُ: النَّسْجُ والنقش.

(٨) السَّيالة: واحدة السيال، وهو شَجَرٌ له شَوْك أبيض طويل، إذا نُزِع خرج منه مثل اللبن. والصَّريمة: قطعة ضخمة من الرَّمل تنصرم عن سائر الرمال.. والمعهود: المُعْتَنى به.

(٩) الرَّيَّان: ضد العطشان، والرَّيَّان هنا النَّضِر والنَّدِي. والنُّخالة: ما نخِل من الدقيق، وهنا من الكُحْل، بدليل =

تخريج شعر كعب بن الرّواع الأسدي

(١)

١ ـ ٥ في المؤتلف والمختلف ١٨٦ لِكَعْب بن الرُّواع.

١ ـ ٢ في معجم الشعراء ٢٣٣ لِكَعْب بن الرُّواع.

٣٦ ـ زُهَيْرُ بنُ جَناب الْكَلْبِيّ

دارِسُ هذا الشاعر، أمامَ رجلٍ عظيم من رجال الجاهليّة كان ذائع الصيت وافر الشهرة، فقد جمع في شخصيّته مؤهّلات زعامة عشيرته من بني كَلْب، لِمَا تمتّع به من عددٍ كبير في أهل بيته، ولمّا اتّصف به من سداد في الرأي، وصحّة في البصيرة، وما توافر له من جاهٍ وسلطان وسُؤْدد، حتّى إنّه نادم الملوك من آل غسّان ولَخم. وقد خاض وقائع كثيرة ضدّ قبائل عربيّة كبيرة، كما أنّه عُمِّر عمرًا مديدًا. وكان له باع في قرض الشعر، فخلّف لنا قصائد ومقطّعاتٍ من نظمه، تمكّنّا من جَمع عددٍ طيّبٍ منها... ولكلّ هذه الأسباب احتفظت لنا كتب التراث بمجموعة وافرة من أخباره، سنحاول، من خلالها، أن نرسم صورة لملامحه وأن نُحدِّد ـ قدر المستطاع ـ مكانته وقدره.

نَسب الشاعر وأسرته وقبيلته

روى محمّد بن السّائب الكلبي عن أشياخه الكلبيّين نسب هذا الشاعر، فقال: «زُهَيْر بن جَناب بن هُبَل بن عبدالله بن كِنانة بن بَكْر بن عَوْف بن عُذْرة بن زَيداللاّت بن رُفَيْدة بن ثَور بن كَلب بن وَبَرة بن تَغْلب بن حُلوان بن عمران بن الحافِ بن قُضاعة بن مالِك بن مُرَّة بن مالِك بن حِمْيَر»[1].

وقد نقل ابن عساكر عن أبي أحمد العسكري وابن ماكَوْلا، بشأن أبي زهير،

= مجيء الإثمد بعدها. والإثمد: حجر يتخذ منه الكحل، أو هو الكحل نفسه... والشاعر هنا يُشبّه أسنان صاحبته البيض، وقد انغرزت بلثّها السّوداء، باقحوانٍ نديٍّ أبيض، انغرس في رملةٍ تشبه نخالة الكحل الأسود.

(١) السجستاني: المعمّرون ص ٣٥، وانظر الأصفهاني: الأغاني ١٩: ١٥، وقارن بالآمدي: المؤتلف والمختلف ص ١٩٠، وفي أمالي المرتضى زاد الشريف المُرتَضى بعد مالِك بن قُضاعة: «ابن مالك بن عمرة بن مرّة ابن زيد بن مالِك بن حِمْيَر» ـ أمالي المُرْتَضى ١: ٢٣٨.

قولهما: «أمّا جَناب، أوّله جيم مفتوحة بعدها نون، وآخره باء مُعْجَمة بواحدة...»[1].

وكذلك ميَّز الآمدي بين شاعرَين باسم زُهَيْر بن جَناب، أحدهما شاعرنا، وقد مرّ نَسبه، والثاني هو زُهَير بن جَناب بن مالِك بن الحارِث بن عَبْدالله بن دَهْثَم بن سَعْد بن كَعْب بن رُوَى بن مالِك بن نَهْد[2].

وإذا صحَّ لنا ضَبطُ اسم شاعرنا، وتمييزه عن غيره من الشعراء، فإنَّ نشأته وفتوّته وشبابه غُيِّبَت عنّا. وقد صادَفنا أخبارًا تفيد أنّه تزوَّج غير مرّة[3]. وقد عرف من زوجاته واحدة تدعى لَمِيْس الأَرْأشِيَّة، وهي التي خاطبها بقوله:

جَـدُّ الـرَّحِـيْـلُ ومـا وَقَـفْـــــتُ على لَـمِـيْـسَ الأراشيَّه[4]

وكان لِزُهَير منها ولدان هما عامر وخِداش[5]. وروى ابن حَبِيب أنّ خِداش ابن زُهَير كان من حَمقى العرب وأنّه لم يُنْجِب[6].

ومن إخوة زُهَير بن جَناب عَدِي وعليم وحارثة ومالك[7]. ولعليم ابن اسمه عبدالله، كان قد خالف زهيرًا في أمر الرحيل والإقامة، فغضب منه زهير، وقال فيه:

وكَـيْـفَ بِـمَـنْ لا أسْـتَـطِـيْـعُ فِـراقَـهُ ومَـنْ هُـوَ إنْ لا تَـجْـمَـعِ الدَّارُ لاهِـفُ
أمِـيْـرُ خِـلافٍ إنْ أُقِـمْ لا يُـقِـمْ مَـعِـي ويَـرْحَـلْ، وإنْ أرْحَـلْ يُـقِـمْ ويُـخالِـفُ[8]

أمّا مالِك أخو زُهَيْر فمن أخباره أنّه كان يعرف بالأصمّ لقوله:

أَصَـمُّ عـن الخَنَـا إنْ قِـيْـلَ يَـومًـا وفي غَـيْـرِ الْـخَـنَـا أُلْـفَـى سَـمِـيْـعا[9]

ويروي أبو الفَرَج أنّ أخا زُهَيْر ـ حارثة بن جَناب، وفد معه على بعض ملوك غسّان، وكانت أمّ الملك عَلِيْلة، فسأل الملك الأخوَين عن دواء لها، فأساء حارثة الأدب

---

(١) إبن عساكر: تاريخ مدينة دمشق (ج ٦ ق ٢٢٦/أ).
(٢) الآمدي: المؤتلف والمختلف ص ١٩١.
(٣) أنظر السجستاني: المعمَّرون ص ٣٤، والشريف المرتضى: أمالي المرتضى ١: ٢٣٨، وابن عساكر: تاريخ مدينة دمشق (ج ٦ ق ٢٢٧/أ).
(٤) السجستاني: م. س ٣٢.
(٥) إبن حبيب: المنمق ص ٥٥.
(٦) إبن حبيب: المحبر ص ٣٨١.
(٧) أنظر ابن عساكر: تاريخ مدينة دمشق (ج ٦ ق ٢٢٦/أ)، والسهيلي: الروض الأنف ص ١١٠.
(٨) السجستاني: م.س ٣٦. والأصفهاني: الأغاني ١٩: ٢٣ ـ ٢٤.
(٩) السهيلي: م.س ١١٠.

في إجابته الملك، عندئذ تدخَّل زهير بدهاء وذكاء، وخلَّص نفسَه وأخاه من هذه الورطة، فحلُمَ الملك عن مقالة حارِثة[١].

ملامح شخصيَّته وصفاته

لم تكن حكمة زهير وحُسن تخلّصه خلَّةً فريدةً فيه، فقد نُعِت بأنَّه يتمتَّع بعشر خصال لم تجتمع في غيره من أهل زمانه: كان سيِّدَ قومِهِ، وخطيبَهُم، وشاعرَهم، وشريفَهم، ووافدَهم إلى الملوك، وطبيبَهم، والطِّبُّ في ذلك الزمان شَرَفٌ، وحازِي قومه، والحُزاة الكُهَّان، وكان فارسَ قومه، وله البيتُ فيهم، والعددُ منهم[٢].

وقد وصفه أبو الفرج بقوله: شاعر جاهليّ، وهو أحد المُعَمَّرين، وكان سيِّد بني كَلْب وقائدهم في حروبهم، وكان شُجاعًا مُظَفَّرًا ميمون النقيبة في غزواته، وهو أحد من مَلَّ عمره، فشرب الخمر، صرفًا، حتّى قتلته[٣]. ونعته ابن حبيب بأنَّه جرّارٌ، والجرَّار قائدُ الجيش الذي يربو على ألفِ مُحارب[٤].

وكذلك قِيل فيه: لم يكن في العرب أنطَقُ من زُهَير بن جَناب، ولا أوجَهُ عند الملوك، وكان لصحَّةِ رأيه يسمَّى كاهِنًا[٥]. وفي الأغاني أنّه كان يشيمُ الغيوم ويتنبَّأ بالمطر[٦]. ونقل أبو الفرج أيضًا عن مشيخة من الكلبيِّين قولهم: «عاش زُهَيْر بن جَناب ابن هُبَل بن عبدالله خمْسين ومائتي سنة أوقع فيها مائتي وقعة في العرب، ولم تجتمع قضاعة إلاَّ عليه، وعلى حُنّ بن زَيْد العُذْرِي، ولم يكن في اليمن أشْجَعُ ولا أخْطَبُ ولا أوْجَهُ عند الملوك من زهير. وكان يدعى الكاهن لصحّة رأيه»[٧].

وأمّا عُمْرُ زُهَيْر فقد اختُلِفَ فيه، ففي حين يزعم أبو حاتم السجستاني أنّ زُهَيْرًا عاش مائتي سنة، نجده ينقل مرّة أخرى أنّه عاش أربعمائة سنة، وفي رواية ثالثة أربعمائة

(١) أنظر الأصفهاني: م. س ١٩: ٢٠، وفي رواية أخرى إنّ الذي رافق زهيرًا في وفادته تلك هو أخوه عدي.
(٢) أنظر السجستاني: م. س ٣١ والشريف المُرتضى: أمالي المرتضى ٢٣٨/١.
(٣) الأصفهاني: م. س ١٩: ١٥.
(٤) إبن حبيب: المحبر ٢٥٠.
(٥) السجستاني: المعمّرون ٣٥.
(٦) الأصفهاني: م. س ١٩: ٢٠ ــ ٢١.
(٧) الأصفهاني: م. س ١٩: ٢١. وانظر رسالة ابن مَنّ الله القرويّ في (نوادر المخطوطات) ــ مج ١ ص ٣٢٢.

وعشرين سنة...»[1].

وفي الأغاني أنّ زهيرًا عاش مائتَي سنة، وعن حمّاد الراوية إنّه عاش أربعمائة وخمسين سنة. وعن الشرقيّ بن القطاميّ عاش زهير أربعمائة سنة...[2] وكلّ هذه الأرقام (٢٠٠ و٢٢٠ و٢٥٠ و٣٥٠ و٤٠٠ و٤٢٠ و٤٥٠) سنة، وقد ذكرتها مصادر أخبار زُهَيْر بدقّة، تنطوي على مُبالَغات وتهاويل لا يُرْكَن إليها... وهي إن دَلَّتْ على شيء، فإنّما تدلّ على طول الأمد الذي عاش فيه شاعرنا، وليس على دقّة العدد لِسِنِيِّ حياتِهِ.

وكما اختلفت المصادر في سِنِيِّ حياة هذا الرجل، اختلفت في عدد الوقعات التي أوقعها بالعرب، فالكلبي يقول: إنّها مائتا وقعة، والشرقيّ بن القطاميّ يزعم أنّها خمسمائة وقعة، والخبران عصيّان على التصديق، بيدَ أنّهما يُشيران إلى أنّ زهيرًا كان، بحقّ، رجل حرب وقتال. وكانت له وقائعه ومعاركه الكثيرة على مسرح الأرض التي حلّ بها، أو رحل عنها.

مكانه وزمانه

من المعلوم أنّ قُضاعة ـ قبيلة زهير الكُبْرى ـ قبيلة جنوبيّة، ولكنّها، وبسبب خلافات مع التبابعة، هاجرت إلى الشمال في زمن لا نعرفه بدقّة، وقد اتّجهت، فيما يبدو، إلى نجد خاصّة[3]. وكان زهير، كغيره من زعماء القبائل، ينتقل من موضع لآخر طلبًا للكلأ والماء. ولكنّ نجدًا كانت مسرح قبيلة كلب التي يتزعّمها زهير. وقد روى ابن الأنباري عن أحمد بن هشام أنّ بلاد كَلب كانت من حضن وما والاه إلى ناحية الرَّبَذة وما خلفها إلى جبل طَمِيَّة. وجبل طَمِيَّة هذا هو منزل زُهَيْر بن جَناب[4]. وقال أبو عبدالله السكوني: إذا خرجتَ من الحاجر تقصد مكّة، تنظر إلى طميَّة، وهو جبل بنجد شرقيّ الطريق، وفي طميَّة قال زهير:

(١) أنظر السجستاني م. س ٣٥، ٣٦، ٣١، وقارن بالشريف المرتضى: أمالي المرتضى ١: ٢٣٨ وابن الأثير الكامل في التاريخ ١: ٥٠٢.
(٢) الأصفهاني م. س: ١٩: ٢١ ـ ٢٢.
(٣) أنظر البكري: معجم ما استعجم ص ٣٠.
(٤) إبن الأنباري: شرح المُفضَّليّات ص ١١٧.

ولقد شَهدتُ النّارَ للأضيافِ تُوقَدُ في طَمِيَّة[1]

وما يُروى عن لقاء زهير بأَبْرَهة الحَبشي في نجد، يرجِّح أنّ هذه الهضبة وما حولَها كان موطنًا للشاعر وقومه من بني كَلْب[2]. هذا، ثمَّ إنّ قتال زُهَير لِغَطَفان، كما سنرى، يعزِّز الزعم بأنَّ موطن شاعرنا كان قريبًا من مكّة ومن طريق الحجّ إليها. وقد ذكر (ابن سعيد) كَلْب بن وَبَرة، فقال عنها: «هي من الأرحاء المذكورة تديَّرتْ في الجاهليَّة دُومَةَ الجَنْدَل وتَيْماء. وتبّوك وأطْرار الشام وجاورت النصرانيَّة فغلبت عليها»[3].

أمّا ميلاد زُهَيْر بن جَناب فمن العسير جدًّا، ونحن في بدايات العصر الجاهليّ، أن نحدِّدَ له زمانًا دقيقًا يقترن بسنة بعينها. بيد أنّ لَدينا أخبارًا تفيد أنّه عاش في القرن الخامس الميلاديّ، وأدرك السادس أيضًا.

ومن الأخبار التي تفيد بوجود زهير في القرن الخامس الميلاديّ خبرٌ يشير إلى معاصرته لِداوُد بن هُبالة، ومعاصرته لكُلَيْب وائل، ومشهده ليوم السُّلاّن، وليوم خَزازى.

ومعاصرة زُهَير لِداوُد بن هُبالة ذكرها ابن حبيب حين قال عن ابن هُبالة: «وكان ملكًا فغلبه ملك الروم على ملكه، فصالحه داود على أن يقرّه في منازله، ويدعه فيكون تحت يده، ففعل، فكان يغير بِمَن معه... فكان على خيله جَعْفر بن صُبح التنّوخي، وكان معه في جيشه زُهَيْر بن جَناب بن هُبَل الكلبي، فغزا عبد القيس فقتل زهيرُ بن جناب هدَّاجَ بن مالك بن عامر بن الحارث»[4]. وقد نتساءل مَن هو داود بن هبالة، وما زمانه؟

جاء في كتاب **اللُّباب في الجاهليَّة** لهشام بن الكلبيّ: «.. ومنهم داود اللَّثِق بن هُبالة بن عَمْرو بن ضَجْعَم، كان ملكًا، وهو الذي أغار على حُجْر آكِل المُرّار، وهو

---

(١) أنظر ياقوت: **معجم البلدان** (طمية).

(٢) أنظر الأصفهاني: **الأغاني** ١٩: ١٧، وابن الأثير: **الكامل** ١: ٥٠٤.

(٣) إبن سعيد الأندلسي: **نشوة الطرب** ص ١٧٢.

(٤) إبن حبيب: **أسماء المغتالين** (ضمن نوادر ـ المخطوطات)، ج ٢: ص ١٢٧، والهَمْداني: **شرح القصيدة الدامغة** ص ١٦٣.

محرّق كان أوّل مَن حرَّق بالنار، وفي **جمهرة النَّسب** لهشام فولد سعد حماطة، ومنهم ضَجْعم بطن، وهم الضجاعم وكانوا الملوك بالشام قبل غسّان، منهم ذِياد بن هَبولة... قلت: وهذا هو الصواب فَهبولة على هذا، وهُبالة أخوان، وذِياد وداود ابنا عَمٍّ»[1].

وعليه، فزهير كان معاصِرًا لداود بن هُبالة، الذي ينتمي للضجاعمة، الذين كانوا في الشام قبل الغساسنة. ثمَّ إنَّ (داود) هذا هو الذي أغار على حُجْر آكِل المرّار ــ الجدّ الثالث لإمرئ القيس[2]. وحُجر هذا هو باني مَجْد كِنْدَة «وقد روت الأخبار أنّه رضيع حسّان بن تُبّع الحِمْيَري، وأنّ هذا الأخير عيَّنه حاكِمًا على بعض القبائل التي قهرها (٤٨٠ م) تبّع في أواسط الجزيرة»[3].

وكلّ ما سبق يشير إلى وجود زُهَير بن جَناب في الربع الأخير من القرن الخامس الميلاديّ، وإلى أنّه كان رجلاً يشارك في الحروب في أواخر القرن المذكور، وبالتالي فإنّ ميلادَه لا يبعد كثيرًا عن أواسط القرن الخامس بكثير. وقد ذهب بعيدًا (جرجي زيدان) حين قال: إنَّ تولّي زهير بن جناب على بدوِ الشمال من قبل تَبابِعة اليمن كان في أواسط القرن الخامس للميلاد[4].

وجاء في **المعمّرون والوصايا** أنّ زهيرًا كان على عَهد كُلَيب وائل[5]. وكُلَيب هذا هو الذي هاجت، بسبب مقتله، حربُ البَسوس التي استمرّت، كما يقال، أربعين عامًا، إلى أن وضعت أوزارها حوالي السنة ٥٢٥ م، على يد الملك اللخمي المنذر بن ماء السماء[6]. وما يصدق على معاصرة زهير لكليب، يصدق على معاصرته لهمَّام بن مرّة ــ أخي جسّاس ــ قاتل كُلَيب، فقد ذكر أنّه أسر زُهَيرًا[7]... وقلّ الشيء ذاته عن مُهَلْهِل

---

(١) أنظر ابن دُرَيْد: **الاشتقاق** ص ٥٤٥ الحاشية رقم (٧)، والزبيدي: **التاج** (مرر). وانظر جواد علي: **المفصّل في تاريخ العرب قبل الإسلام** ٣: ٣٩٤ ــ ٣٩٥.

(٢) أنظر ابن دُرَيْد: م. س ٢٢.

(٣) فيليب حتّي: **تاريخ العرب مُطَوّل** ١: ١١٤ ــ ١١٥، وانظر جواد علي: م. س ٣: ٣٢٣. ويؤرّخ جرجي زيدان لوفاة حُجْر بن عَمْرو آكِل المرّار بالسنة ٤٥٠ م ــ **العرب قبل الإسلام** ٢٣٤.

(٤) جرجي زيدان: م. س ٢٣٤.

(٥) السجستاني: **المعمّرون** ٣٥، والشريف المُرتضى: **أمالي المرتضى** ١: ٢٤٠.

(٦) فيليب حتّي: **تاريخ العرب مطوّل** ١: ١٢٠ وشوقي ضيف: **العصر الجاهليّ** ص ٦٥. ويروى على يد الحارث بن عمرو الكندي.

(٧) إبن سعيد الأندلسي: **نشوة الطرب** ص ١٧٣.

أخي كليب الذي أسره زهير، وأشار إلى أسره في شعره، حين قال:

إنّا ـ مُهَلْهِلُ ـ ما تَطِيْشُ رِماحُنا أيّامَ تَنْقُفُ في يَدَيك الحَنْظَلا
ولّتْ حُماتُكَ هارِبِيْنَ مِنَ الْوَغَى وبقيْتَ في حَلَقِ الحديدِ مُكَبَّلا
فَلَئِنْ قُهِرْتَ لقدْ أسرْتُكَ عَنْوَةً ولئِنْ قُتِلْتَ لقدْ تكونُ مُؤَمَّلا[1]

وقد شارك شاعرنا أيضًا في يومَين عظيمَين من أيّام العرب، وقعا في القرن الخامس هما يوم السُّلاّن، ويوم خَزازَى، ففي **مجمع الأمثال** قال الميداني عن يوم السُّلاّن: إنّه لربيعة على مذحج[2].

وقد حدَّد الأب (لويس شَيْخو) تاريخ يوم السُّلاّن بالسنة ٤٨١ م[3]. وإذا كُنّا لا نسلّم للأب (شيخو) بهذا التحديد الدقيق، فإنّنا نوافقه على وقوع يوم السلاّن في أواخر القرن الخامس؛ فهو، كما تجمع الروايات العربيّة، كان قبل يوم خَزازى، هذا الذي شهده زهير أيضًا.

ونكتفي هنا بدليل واحد على مشهد زهير ليوم خَزازى، وهو دليل مستمدّ من شعره، يقول زهير:

شَهِدْتُ المُوْقِدِيْنَ على خَزازٍ وبالسُّلاّنِ جَمْعًا ذا زُهاءِ[4]

أمّا وجود زُهَيْر في القرن السادس الميلاديّ فلدَينا أَدلّة تؤكّده تأكيدًا قاطعًا، وربّما كان أقواها ما رُوي عن منادمة زهير للحارث بن جَبلَة الغسّاني، فقد جاء في **الأغاني**: «كان الحارث بن ماريّة الغسّاني مُكْرِمًا لزُهَيْر بن جَناب الكلبي يُنادمه ويحادثه..»[5] والحارث بن مارية هذا مَلكَ ما بين سنتَي (٥٢٩ و٥٦٩)[6]. وهو الذي

(١) الأصفهاني: **الأغاني** ١٩: ١٨ ـ ١٩.
(٢) الميداني: **مجمع الأمثال** ٢: ٤٣٨، وانظر في يوم السلاّن الأصفهاني: م. س ط دار الثقافة ١٨: ٣٠٣، وياقوت: **معجم البلدان** (سلان).
(٣) لويس شيخو: **شعراء النصرانيّة** ١: ٢٠٦ ـ ٢٠٧.
(٤) أنظر السجستاني: م. س ٣٤، الأصفهاني: م. س ١٩: ٢٣.
(٥) الأصفهاني: **الأغاني** ٥: ١١٨، وانظر **الأغاني** أيضًا ١٩: ٢٠ وابن عساكر: **تاريخ مدينة دمشق** (ج ٦ ق ٢٢٦/أ).
(٦) أنظر نولدكه: **ملوك غسّان** ص ٥٧، وفيليب حتّي: **تاريخ العرب مُطَوّل** ١: ٢٠٣، وجواد علي: **المفصّل** ٣: ٤٠٣ و٤٠٤.

قاتل المنذر بن ماء السماء. وقد عرف هذا الحارث بالحارث الأعرج، أو الحارث الأكبر.

ويروي (أبو الفَرَج) أنّ هذا الملك الغسّاني كان قد اجتبى أخوَين من بني نَهد بن زَيد وهما ابنا رِزاح. ونزلا بالمنزل الأثير عنده، فحسدَهما زهير، وأوغر صدرَ الحارث عليهما، حين اتّهمهما بأنّهما عَينٌ لذي القرنَين عليه، فقتلهما الحارث، ثمّ ندم، بعد أن عرف الحقيقة وطرد زهيرًا. واستدعى أباهما وأعطاه ديةَ ابنَيه. ولكنّ زهيرًا أيضًا لم يرضَ بما آلَ إليه الأمر، فأرسلَ ابنَه عامرًا ليحتال عند الحارث، ويوهمه بأنّ رزاحًا ينوي الثأر... وكان له ــ حسب الرواية ــ ما أراد، إذ قتل الحارثُ رِزاحًا...[1].

وهذه القصّة، على ما فيها من دواعي الشكّ، تشير إلى أمرَين اثنَين، هما:

أوّلاً: معاصرة زهير للحارث الغسّاني والمنذر بن ماء السماء اللخمي.

ثانيًا: دهاء زهير ومكره وحسده.

وممّا يشير إلى معاصرة زهير للملوك كندة وملوك لَخم، قوله في شعره:

ونادَمْتُ المُلُوْكَ مِنَ آلِ عَمْرٍو وبَعْدَهُمُ بنيْ ماءِ السَّماءِ

فقد قال السجستاني تعقيبًا على هذا البيت: «ويعني بآلِ عَمْرو: بني عَمْرو آكل المرار»[2]، أي ملوك كِنْدة. وقال البغدادي: «وماء السماء لَقَبُ أُمِّ المُنْذِر بن امرئ القيس... وقيل لولدها بنو ماء السماء، وهم ملوك العراق»[3].

ولم تقتصر علاقات زهير بالملوك والأمراء والقادة، على الغساسنة والمناذرة وكِنْدة، بل امتدّت لتصل إلى الأحباش الذين غزوا اليمن في مطلع القرن السادس الميلاديّ، واستمرّوا فيه إلى أن أخرجهم سَيْف بن ذِي يَزَن حوالي السنة ٥٧٥ م.

فقد روى أبو الفرج وابن الأثير كلاهما أنّ أَبْرَهة الحَبشيّ لمّا جاء إلى الشمال، صادف زهير بن جناب، فأكرمه وفضّله على غيره، وأمّره على بكر وتغلب ابنَي وائل[4].

---

(١) الأصفهاني: م. س ٥: ١١٨ ــ ١١٩.
(٢) السجستاني: المعمّرون ص ٣٤.
(٣) البغدادي: خزانة الأدب ٢: ٣٢٠.
(٤) أنظر الأصفهاني: الأغاني ١٩: ١٧ ــ ١٨ وابن الأثير: الكامل ١: ٥٠٤.

وليس في مقدورنا تحديد الزمن الذي تولّى فيه زهير على ابنَي وائل، وتأمير أبرهة له على قبائل الشمال، أو بعضها. وفي حين يذهب الأب (لويس شيخو) إلى أنّ أبرهة الحَبشي هذا هو أبرهة بن صباح، الذي كان ملكه نحو السنة ٤٤٠ م، وملك زهاء عشرين سنة[1]، نجد الباحثة السوفييتيّة (نينا ڤكتور فنا بيغوليڤسكيا) تذهب إلى أنّ حملة أبْرَهة الحبشي على الشمال التي أُشير إليها في نقش وُجِد على مَقربة من بئر مَريْغان، كانت نحو السنة ٥٤٧ م، فهي تعقد صلة بين ما جاء في هذا النقش ذي الرقم RY 506، وما جاء في كتاب **الحروب الفارسيّة** للمؤرّخ (بروقوبيوس)، فتقول: «يمكن القول بالكثير من الثقة بأنّ هذه الحملة هي الحَملة الوحيدة التي يقول عنها بروقوبيوس القَيساري أنّ الحِمْيَريّين قاموا بها ضدّ إيران، تلبيةً لرجاء (يوسطنيان). وأضيف إلى هذا أنّ هذه الحملة بالذات هي المَعْنِيّة في الرقيم الذي تمّ العثور عليه عند بئر مَريْغان. وقد دوّن (بروقوبيوس) مُصنَّفه **الحروب الفارسيّة** بين عامَي ٥٤٥ و٥٥٤ وهو لا يتحدَّث إلاّ عن حملة واحدة لأبرهة فيقول: إنّه لم يشرع في الحملة إلاّ مرّة واحدة، ثمّ قفل منها عائدًا على الفور وهناك أساس قويّ للافتراض بأنّ رَقيم عام ٥٤٧، ومصنَّف **الحروب الفارسيّة** لبروقوبيوس، إنّما يتحدَّثان عن واقعة واحدة»[2].

ومهما يكن من أمر فإنّ زهيرًا تولّى أمر بعض القبائل المَعَدّيّة، وضيَّق عليها، فضاقت به، وكان له معها وقائع وجولات.

وقائع زهير وأيّامه

مرَّ بنا، لِمَمًا، أنّ زهيرًا كان في جيش داود بن هُبالة، وأنّه شارك في يومَين هامَّين من أيّام العرب، وقعا ــ على الأرجح ــ في أواخر القرن الخامس الميلاديّ، هما يوم السُّلاَّن ويوم خَزازى، وأنّه أيضًا اصطدم ببني تغلب، فأسره همَّام بن مرّة في رواية، وأسر هو بدوره المُهَلْهِلَ، في رواية أخرى. وذكرت كتب التاريخ أيضًا لزهير وقائع مع بني القَين بن جَسْر، ومع غطفان، ومع بني تغلب مرّة ثانية.

ومن الصعوبة بمكان ترتيب وقائع هذا الشاعر المُحارِب ترتيبًا زمنيًّا، بيد أنَّ هذه الصعوبة لن تمنعنا من المحاولة، ومن هنا فنحن نرى أنّ اصطدامه ببني عبد القيس، وهو في

---

(١) أنظر شيخو: شعراء النصرانيّة ١: ٢٠٦.

(٢) أنظر بيغوليفسكيا: العرب على حدود بيزنطة وإيران ص ١٢٩.

جيش داود بن هُبالة، كان أوّل وقائعه، في أغلب الظنّ، لأنّ داود هذا كان ملكًا في عهد حُجْر الكِنْدي ــ آكل المُرار، في أواخر القرن الخامس الميلادِيّ.

أمّا الوقعة الثانية فهي يوم السُّلاّن، وهذا اليوم كان قبل يوم خَزازى، حسبما يذكر أبو عُبيدة في **النقائض**، وكان بين معدّ ومذحِج[1]. وكلب يومئذ معدّيُّون، وشهد هذا اليوم زهير فقال:

شَـهِـدْتُ المُوْقِـديْـنَ عـلى خَـزازٍ   وفي السُّـلاَّن جَـمْـعًـا ذا زُهاءِ[2]

وقد مرَّ بنا تأريخ الأب (لويس شيخو) لهذا اليوم، ومناقشتنا لهذا التاريخ.

ويوم خَزازى، الذي شارك فيه شاعرنا، تتضارب فيه الروايات، وتختلف في اسم قائد قبائل معدّ، وفي اسم ملك اليمن، وتختلف في سبب وقوعه، وفي زمنه، فقد قالوا: إنّ رئيس معدّ هو كُلَيب بن رَبيْعة، وقالوا بل هو زُرارة بن عُدَس، وقالوا: لا، إنّما هو ربيعة بن الأحْوَص بن جَعْفر. وقيل في اليوم إنّه كان لربيعة ومُضَر وقُضاعة، على مَذحِج وغيرها من قبائل اليمن[3].

وخَزازى أعظم يوم التقته العرب في الجاهليّة. ونقل ياقوت عن رواته أنّ نزارًا لم تكن تستنصف من اليمن، ولم تزل اليمن قاهرة لها في كلّ شيء حتّى كان يوم خَزاز[4]. وكلّ ما سبق قد يُثير بعض الشكوك في حضور زُهَير لهذا اليوم. بَيْدَ أَنَّ شعره الذي ذكرناه قبل سطور يُبَدِّد هذه الشكوك، إن لم يكن ثمّة شَكٌّ أيضًا في نسبة هذا الشعر إلى زُهير بن جَناب.

ولعلَّ يوم خَزازى وقع قبل حرب البسوس، التي شبّت بسبب مقتل كُلَيب، والتي برز فيها أخو كُلَيب ــ الشاعر المعروف المُهَلْهِل. والراجح لدينا أنّ حرب زهير ابن جناب لتغلب كانت قبل البسوس أيضًا ــ فمن المعروف أنّ زهيرًا أسر كُلَيْبًا ومُهَلْهِلاً فيها. ولا يعقل أن يأسر زهير كليبًا بعد حرب البسوس، التي هاجت بسبب مقتل كليب على يد جسّاس بن مرّة.

---

(١) أبو عُبَيْدة: النقائض ١٠٩٣، وقارن بابن الأثير: الكامل ١: ٦٣٩ ــ ٦٤١ حيث يجعل هذا اليوم بين النعمان بن المنذر وبني عامر بن صَعْصَعَة، فهل كان ثمّة يومان باسم (يوم السلاّن)؟

(٢) ياقوت: معجم البلدان (سلان).

(٣) أنظر أبا عُبَيْدة: م. س ١٠٩٣، وابن حبيب: المحبّر ٢٤٩، وابن رشيق: العُمْدة ٢: ٢١٢، وعلى هذا النحو: م. س (خزاز).

(٤) ياقوت: م. س (خَزاز).

ويواجه ترجيحنا هذا عقبة تتمثّل بخبر في **الأغاني**، منقول عن أبي عَمْرو الشيباني، يقول: إنّ أَبْرهة هو الذي ولّى زهيرًا على ابنَي وائِل: بَكْر وتغلِب، ثمَّ إنّ هذين الحيَّين أصابتهم سنةٌ شديدة، فاشتدّ عليهم ما يطلبه زهير منهم، فأقام بهم زهير في الجدب، ومنعهم من النجعة حتّى يؤدّوا ما عليهم... وكان أنْ ضاق ذرعًا به أحد زعماء تغلب ويدعى ابن زِيابة، فطعن زهيرًا بسيفه، فأصابه، ولم يقتله، كما تقول الرواية، واحتال زهير، وأوهم هذا الرجل التغلبي بأنّه مات، وطلب إلى صحبه إيهام تغلب أنّه دُفِنَ، وهكذا كان...[1]. ويضيف أبو الفرج بعد هذا مباشرة: «قال: وجَمَعَ زهيرٌ بني كَلْب ومَنْ تجمَّع له من شُذّاذ العرب والقبائل ومَن أطاعه من أهل اليمن، فغزا بَكرًا وتغلب ابنَي وائل، وهم على ماءٍ يقال له الحُبَيّ، وقد كانوا نذروا به، فقاتلهم قتالاً شديدًا، ثمَّ انهزمت بكر وأسلمت بني تغلب، فقاتلت شيئًا من قتال ثمَّ انهزمت، وأُسِرَ كُلَيْبٌ ومُهَلْهِلٌ ابنا ربيعة»[2]. ويسوق الأصفهاني، من ثمَّ، شعرًا لزهير يؤرِّخ هذه الوقعة كقوله:

إذْ أَسَرْنا مُهَلْهِلاً وأخاه ... وابنَ عَمْرٍو في القدِّ وابنَ شهابِ

وفحوى المشكلة التي تواجهنا، في ضوء ما تقدَّم، هي: كيف تكون حرب زهير وتغلب في أواخر القرن الخامس الميلاديّ، قبل حرب البسوس، والخبر يذكر أنَّ أبرهة أمَّرَ زهيرًا على ابني وائل بكر وتغلب، وأبرهة هذا، كما مرَّ سابقًا، جاء إلى نجد بعد أن حكم اليمن، أي بعد السنة ٥٢٥م على الأرجح؟

فلكي تكون حرب زهير وتغلب وأسره لِمُهَلْهِل وكُلَيْب، في القرن السادس، أو في نصفه الأوَّل، يجب أن نشكّ في شعر زهير، أو أن نجعل مُهَلْهِلاً، وكليبًا خاصّة، قد أُسِرا بعد حرب البسوس، وهذا ما لا يُعْقَل، إذ إنّ حرب البسوس (٥٨٥ ـ ٥٢٥ م) هاجت بسبب مقتل كليب، كما تجمع الروايات العربيَّة على ذلك.

والذي يبدو إذن أنّ أبا الفرج في نقله الخبر، أو أنّ أبا عَمرو الشيباني، قد خلط في خبره الذي نقله عنه أبو الفرج، فقدَّم له بمقدّمة لا تنسجم، زمنيًّا، مع الأحداث التي ساقها في ثناياه.

---

(١) الأصفهاني: الأغاني ١٩: ١٧ ـ ١٨ . وقارن بما جاء في ابن قتيبة: الشعر والشعراء ١: ٣٧٩، وابن الأثير: الكامل ١: ٥٠٤ ـ ٥٠٥ .

(٢) الأصفهاني م. س ١٩: ١٨ ـ ١٩ .

ولدينا احتمال آخر قد يحلّ الإشكال، فحواه: أَنَّ قسم الخبر الذي يفيد بأسر زهير لكليب ومُهَلْهِل، هو الذي وقع في أواخر القرن الخامس الميلاديّ. أمّا اصطدام زهير ببني تغلب، ومحاولة اغتياله على يد ابن زِيابة، فقد كانا بعد تولّيه لأمرهم من قبل أبْرَهة الحَبَشي، هذا الذي تولّى أمر اليمن حوالي السنة ٥٢٥ م، ثمّ خرج إثر ظفره، إلى نجد، ليضمن أمن حدود سلطته من الشمال، فأمّر زهيرًا، وهو من أصل يمني، على حَيَّيْن بارزَين من أحياء عرب الشمال، وإذا صحّ هذا، نخلص منه إلى أنّ أبا الفَرج لم يكن، أحيانًا، يُمحّص الأخبار التي يسوقها، ولا يلحظ ما فيها من مغالطات تاريخيّة.

والصدام الثاني لزهير ورهطه كان مع بني بَغِيْض بن غَطَفان، ونقل خبره أبو الفرج فقال: كان سبب غزوة زهير بن جناب غطفان، أنّ بَنِي بَغِيْض حين خرجوا من تهامة، ساروا بأجمعهم، فتعرَّضت لهم صُداء، وهي قبيلة من مذحج، فقاتلوهم، وبنو بغيض سائرون بأهلهم ونسائهم وأموالهم، فقاتلوا عن حريمهم، فظهروا على صداء، فأوجعوا فيهم ونكأوا، وعزت بنو بغيض بذلك وأثرت وأصابت غنائهم، فلمّا رأوا ذلك قالوا: أمّا والله لَنتخِذَنَّ حَرمًا مثل حَرم مكّة، لا يُقتَل صَيده، ولا يُعضَد شجره، ولا يُهاج عائِذُه، فوليت ذلك بنو مرّة بن عوف.

ثمّ كان القائم على أمر الحرم وبناء حائطه رياح بن ظالم، ففعلوا ذلك، وهم على ماء يُقال له (بُسٌّ). وبلغ فعلهم وما أجمعوا عليه زهيرَ بنَ جَناب، وهو يومئذ سيّد بني كلب، فقال: والله لا يكون ذلك أبدًا، وأنا حَيٌّ، ولا أخلّي غطفان تتّخذ حَرَمًا أبدًا[1].

ثمّ جمع زهير قومه، وزعم لهم أنّ في منع غطفان عن فعلتها هذه، مَأْثُرةً له ولهم، وسار مع رهطه، وقاتَلَ غطفان وأصاب حاجته منهم، وأسر فارسًا منهم، وقتله في الحرم الذي أقاموه، وأبطل هذا الحرم، ثمّ منَّ على غطفان فَردَّ النساء وأخذ الأموال.

وقال في ذلك قصيدة منها:

ولم تَـصْـبِـرْ لـنـا غَـطَـفـانُ لَـمَّـا تَـلاَقَـيْـنـا وأُحْـرِزتِ الـنِّـسـاءُ

والخَبرُ الذي سُقناه أُشيرَ إليه في غير ما مصدر[2]. فهو من حيث حدوثه، واقع على الأرجح، ولكنّه يُشتَبه بينه وبين خبر آخر، يفيد بأنّ ظالم بن أسعد بنى لغطفان بيتًا

---

(١) الأصفهاني: الأغاني ١٩: ١٥ ـ ١٦، وابن الأثير: الكامل ١: ٥٠٣.

(٢) أنظر الفيروز أبادي: القاموس المحيط (بس)، والزبيدي: تاج العروس (بس) و(عزن).

فوق ذاتِ عِرق إلى البستان بتسعة أميال بالنخلة الشاميَّة بقرب مكّة، وقيل بالطائف. وسَمَّاهُ بُسًّا، وأقام لها سَدَنة، فبعث رسول الله ﷺ خالد بن الوليد رضي الله عنه فهدم البيت وأحرق السَّمُرَة... وقد تنبَّهَ (الزبيْدي) على الاشتباه بين هذا الخبر، والخبر السابق، فقال:

«ولعلَّ هذا البيت هُدِمَ مرَّتَين، مرَّة في الجاهليَّة على يد زهير، وقُتِل إذَّاك بانيه ــ ظالِم، والمرّة الثانية عام الفتح على يد خالد بن الوليد رضي الله تعالى عنه، وقُتِل إذَّاك سادِنُه ربيعة بن جَرِيْر السلمي»[1].

ويهمّنا هنا أن نتساءل عن السبب الذي جعل شاعرنا يقوم بهذه الفِعْلة، فيتصرَّف كما لو أنّه حارس حريص على عدم استقلال القبائل، كلّ منها بطقوسها وأصنامها وبيتها.

ونجد في تاج **العروس** بعض ما يردُّ على تساؤلنا، ففيه يقول (الزُّبيْدِي): ولبني كَلْب يد بيضاء في نصرتهم لقريش حين بَنَوا الكَعْبَة، ذكر ابن الكلبي في **الأنساب** ما نصُّهُ:

«.. من بني عبدالله بن هُبَل بن أبي سالم الذي أتى قُرَيْشًا حين أرادوا بناء الكعبة، ومعه مال، فقال: دعوني أشرككم في بنائها، فبنى جانبه الأيمن»[2].

فكَلْب، وفق هذا الخبر، شاركت في مَجْدِ قريش الدينيّ، ومن هنا كان على زعيمها زهير بن جناب أن يرعى هذا المَجد، ويُقاتل مَن يحاول نَقض أسبابه وأسسه، تلك التي كان منها التقاء العرب حول بيت مقدَّس ــ ساهمت كَلْب في بناء جانبه الأيمن. أضِف إلى ذلك أنّ مأثرة زهير في قتال غطفان، المُتَطَلّعة إلى الاستقلال ببيتها وأصنامها، كانت تسهم في وحدة التوجُّه إلى مكّة، قبلة أنظار العرب قبل الإسلام، وتحوّل دون تحوُّلهم، أو تحوّل بعضهم، آنئذ، إلى طرق ومراكزَ لا يرضاها زهير الذي ربّما كان حارِسًا وقيِّمًا على طرق ومراكز يمرّ بها الحاجّون إلى مكّة، ولعلّ هذا ما حدا بِــ (بلاشير) إلى القول في ابن جَناب: «وجعله الغساسنة من حرّاس البادية»[3]. وكان الأولى به أن يقول: وجعله الأحباش من حرّاس البادية.

---

(١) و (٢) ــ الزبيدي: م. س (بس).
(٣) بلاشير: تاريخ الأدب العربيّ ٢: ٧٣ .

أمّا حَرْبُ زُهَيْر الأخيرة فقد كانت ضدّ بني القَيْن بن جَسْر، وقد روى خبرها أبو الفرج عن أبي عَمْرو الشيباني، فقال: «كان الجُلاَح بن عوف السَّحْمِيّ قد وطَّأَ لزهير بن جناب، وأنزله معه، فلم يزل في جناحه حتّى كثر مالُه وولدُه، وكانت أخت زهير متزوِّجة في بني القين بن جَسْر، فجاء رسولها إلى زهير ومعه بُرْدٌ فيه صِرار رملٍ وشوكة قتاد، فقال زهير لأصحابه: أتتكم شوكة شديدة وعدد كثير فاحتمِلُوا، فقال له الجُلاح: أنحتمل لقول امرأة! والله لا نفعل، فقال زهير:

أمّـا الجُلاحُ فـإنّـنـي فـارَقْـتُـهُ ... لاعَنْ قِلَىً ولقدْ تَشُطُّ بنا النَّوى
فَلَئِنْ ظَعَنْتَ لأُصْبِحَنَّ مُخَيِّمًا ... ولئنْ أقمْتَ لأظْعَنَنَّ على هَوَى

قال: فأقام الجُلاح، وظعن زهير، وصبَّحَهم الجيش فقتل عامّة قوم الجلاح، وذهبوا بماله.. ومضى زهير لوجهه، حتّى اجتمع مع عشيرته من بني جناب، وبلغ الجيش خبره، فقصدوه، فحاربهم، وثبت لهم، فهزمهم، وقتل رئيسًا منهم، فانصرفوا عنه خائبين»[1].

ولسنا نعرف تاريخًا لهذا الحدث، ولكنّ الخبر هنا يشير إلى أنّ زهيرًا لم يكن في ذروة مجده وهيبته، بدليل ما جاء عنه في مقدّمة الخبر، فهو في جناح الجُلاح حتّى كثر ماله وولده. ومن وَجهٍ آخر، تدلّ هذه الواقعة، التي ربّما كان للخيال فيها نصيب، على ذكاء زهير وحكمته وقدرته على الاستنتاج، وهي أمور زادتها الأيّام والسنون، التي عاشها الشاعر حِدَّةً وقوَّةً، حتّى إنّه صار، كما يقول ابن الكلبي: «إذا قال: ألاَ إنّ الحيَّ ظاعن، ظعنت قضاعة، وإذا قال: إنَّ الحيَّ مُقيم، نزلوا وأقاموا»[2].

وفاة زهير ووصاته

ذَكرنا أنّ زُهيرًا عُدَّ من المعمَّرين، ولمَّا هَرِمَ وغرض من الحياة، ذهب عقله، فلم يكن يخرج إلاّ ومعه بعض ولده، أو وَلَدُ ولدِهِ. ويروي أبو حاتم عن زهير: «أنَّهُ خرج ذات عشيَّة إلى مال ينظر إليه فاتَّبعه بعض ولده، فقال له: ارجع إلى البيت قبل الليل، فإنّي أخاف أن يأكلك الذئبُ، فقال: قد كنت وما أُخَشَّى بالذئب، فذهبت مثلاً»[3]. وممَّا يُرْوى عن هُتْرِه وخرفه أنّه كان يتحدَّث بين القُلُب ـ يعني الآبار ـ وكان إذا

(١) الأصفهاني: **الأغاني** ١٩: ٢٤ ـ ٢٥، وابن الأثير: **الكامل** ١: ٥٠٥.
(٢) الأصفهاني: م.س ١٩: ٢٣.
(٣) السجستاني: **المعمّرون** ص ٣١، وابن عساكر: **تاريخ مدينة دمشق** (ج ٦ ق ٢٢٦/ب).

انصرف عنه اللَّيل شقَّ عليه. فقالت امرأته لَمِيْس الأراشِيَّة، لابنها خِداش بن زُهَيْر: إذهب إلى أبيك حين ينصرف فخُذ بيده فقُدْهُ. فخرج حتّى انتهى إلى زهير، فقال: ما جاء بك يا بني؟ قال: كذا وكذا.

قال: اذهب، فأبى، وانصرف تلك الليلة معه، ثمَّ كان من الغد، فجاءه الغلام، فقال له انصرف، فأبى فكتمه، فتَوَعَّدَهُ، فأخبر الغلام الخبر فأخذه، فاحتَضَنه فرجع به، ثمَّ أتى أهله، فأقسم زهير با لله، ألاَّ يذوق إلاَّ الخَمْرَ حتّى يموت، فمكث ثمانية أيَّام، ثمَّ مات»[1].

وجاء في رواية ثانية إنَّ موت زهير لم يكن بسبب هذا، بل بسبب مخالفة ابن أخيه له، فقد رُوِيَ عن هشام الكلبي أنّ زهيرًا: لمَّا أسنَّ نصَّب ابن أخيه عبدا لله بن عُلَيْم للرياسة في كَلْب، وطمع أن يكون كعمِّه، وتجتمع قضاعة كلّها عليه، فقال زهير يومًا: ألاَ إنَّ الحيَّ ظاعِن، فقال عبدا لله: ألاَ إنّ الحيَّ مُقِيْم، فقال زهير: ألاَ إنَّ الحيَّ مُقِيم، فقال عبدا لله: ألاَ إنّ الحيّ ظاعن، فقال زهير: مَن هذا المُخالِف عليَّ منذ اليوم؟ فقالوا: ابن أخيك عبدا لله بن عُلَيْم، فقال: أَعْدَى النّاس لِلمرء ابنُ أخيه، إلاَّ أنّه لا يَدَعُ قاتِلَ عمِّه، أو يقتله، ثمَّ أنشأ يقول:

وكيفَ بِمَنْ لا أستطيعُ فِراقَهُ ... ومَنْ هُوَ إنْ لَمْ تَجْمعِ الدّارُ لاهِفُ
أميرُ شقاقٍ إنْ أُقِمْ لا يُقِمْ مَعِيْ ... ويَرْحَلْ، وإنْ أرْحَلْ يُقِمْ ويُخالِفُ

ثمَّ شرب الخمر صِرْفًا حتّى مات[2].

ومهما تكن الطريقة التي مات بها زهير، فإنّنا لا نعرف بدقّة متى وقعت وفاته، ولكنّنا لا نرى وجهًا لما زعمه (جرجي زيدان) من أنّها كانت في السنة ٥٠٠ م[3]، ذلك لأنَّ زهيرًا التقى أبْرَهة الحَبَشِي الذي غزا نَجْدًا في السنة ٦٦٣ سبئي، أي ٥٤٧ م، وهي الغزوة التي لم يشر إلى غيرها (بروقوبيوس)، والتي يعدّها الدكتور (خالد العسلي) جزءًا من حملة الفِيل[4]. ومع ذلك فنحن نجهل كم عاش شاعرنا بعد هذا

(١) السِّجِسْتاني: م. س ٣٢، وابن عساكر: م. س (ج ٦ ق ٢٢٦/ب).
(٢) الأصفهاني: الأغاني ١٩: ٢٣ ـ ٢٤، والسجستاني: المعمّرون ٣٥ ـ ٣٦، وابن قتيبة: الشعر والشعراء ١: ٣٧٩ ـ ٣٨٠، وابن عساكر: تاريخ مدينة دمشق (٦ ق ٢٢٧/ب). وابن الأثير الكامل: ١: ٥٠٥ .
(٣) أنظر جرجي زيدان: تاريخ آداب اللغة العربيّة ١: ١٣٧ .
(٤) أنظر مقال د. خالد العسلي: حَمْلة شمريُهَرْعَش على شرقيّ الجزيرة ـ مجلّة العرب (الرياض، =

التاريخ. ولا نستطيع أن نجاري الأب (لويس شيخو) في قوله إنّ وفاة زهير كانت نحو ٥٦٠ م[١]. وذلك لفقدان الأدلّة، أو القرائن المُرجِّحة.

وقد ترك لنا هذا العلم الجاهليّ ـ على عادة المعمّرين ـ وصيّة لبنيه جاء فيها: «يا بنيَّ قد كَبُرَتْ سِنِّي، وبلغتُ حَرَسًا (يعني دَهْرًا من عُمْرِي)، وأحكمتني التجارب، والأمور تجربةٌ واختبار، فاحفظوا عنّي ما أقول، وعوه: إيّاكم والخذر عند المصائب، والتواكل عند النوائب، فإنَّ ذلك داعية للغمّ، وشماتة العدوّ، وسوء الظنّ بالربّ، وإيّاكم أن تكونوا بالأحداث مُغترّين، ولها آمنين، ومنها ساخرين، فإنّه والله ما سخر امرؤٌ قطّ إلاَّ ابْتُلِيَ، ولكن استعفوا منها، وتوقَّعوها فإنّما الإنسان في الدنيا غَرَضٌ تعاوره الرُّماةُ، فمُقصِّرٌ دونَهُ، ومُجاوِزٌ لموضِعه، وواقع عن يمينه وشماله، ثمَّ لا بُدَّ أنّهُ مُصيبُهُ»[٢].

شاعريّة زهير وشعره

يشبه هذا الشاعر، من حيث أسرته الشعريّة، قَطَنَ بن نَهْشل الدارمي الذي مرَّ ذكره، وزُهَير بن أبي سُلْمَى، إذ يبدو أنّه نَبَت في بَيت شعرٍ وإبداع، فقد ورث الشعر عن غيره، وأورثه لغيره. وها هو ذا أبو الفرج يذكر أنَّ جدّ زهير ـ هُبَل بن عبدالله عاش ستمائة سنة وسبعين، وهو القائل:

يا رُبَّ يَوْمٍ قَدْ غَنِيْ فيهِ هُبَلْ ... لَهُ نَوالٌ ودُرُوْرٌ وجَذَلْ
كأنَّهُ في العِزِّ عَوْفٌ أو حَجَلْ[٣]

هذا جَدُّ زهير. أمّا وَلَدُه فقد قال فيهم أبو الفرج أيضًا: «ولم يوجد شاعِرٌ في الجاهليّة والإسلام وَلَد من الشعراء، أكثر مِمَّن وَلَد زهير»[٤].

وذكر منهم أبو الفرج: مَصادَ بنَ أسْعَد بن جُنادة بن صَهْبان بن امْرِئ القَيْس ابن زهير بن جناب، وحُرَيْثَ بنَ عامِر بن الحارث بن امرئ القيس بن زهير بن جناب،

= ج ٩ ـ أيار ١٩٧١ ـ ص ٨٣٥)، وبيغوليفسكيا: العرب على حدود بيزنطة وإيران ١٢٧ ـ ١٢٨.

(١) أنظر شيخو: شعراء النصرانيّة ١: ٢٠٧، وقارن برأي د. الطاهر أحمد مكي في كتابه: امرؤ القيس ص ١٣٠.

(٢) السجستاني: المعمّرون والوصايا ١٢٩، والشريف المُرْتَضى: أمالي المرتضى ١: ٢٣٩. وانظر ابن عساكر: تاريخ مدينة دمشق (٦ ق ٢٢٧/أ) ففيه زيادة ونقص واختلاف عمّا جاء في المعمّرون، وأمالي المرتضى.

(٣) الأصفهاني: الأغاني ١٩: ٢٤، والدرور: الكَثْرة. والجَذَل: الفَرَح. وعَوْف وحَجَل: قبيلتان من كَلْب.

(٤) م. ن: ١٩: ٢٩.

والْحَزَنْبَلَ بن سَلامة بن زُهَيْر بن أَسْعَد بن صَهْبان بن امرئ القيس بن زهير جناب، وغُرَيْرَ بنَ أبي جابِر بن زهير بن جناب، وعَرْفَجَةَ بنَ جُنادة بن أبي النعمان بن زهير بن جناب، والمُسَيَّبَ بنَ رِفْل بنَ حارِثة بن جَناب بن قيس بن امرئ القيس بن أبي جابر بن زهير بن جناب، وكان يسوق لكلّ واحد من هؤلاء نموذجًا من شعره. ثمَّ ختم أبو الفرج ترجمته لزهير بقوله:

«ومن بني زُهَيْر شُعَراء كثير، ذكرتُ منهم الفحول دونَ غيرِهم»[1].

أمّا شعر زهير نفسه، فيبدو أنّه كان مجموعًا وموجودًا في أواخر القرن السادس الهجريّ بدليل وجود قصيدة منه في **منتهى الطلب**، فصاحب **منتهى الطلب** هذا الذي جمع كتابه بين سنتَي (٥٨٨ ـ ٥٨٩ هـ / ١١٩٢ ـ ١١٩٣ م) بمدينة السلام، يقول:

«هذا كتاب جمعتُ فيه ألفَ قصيدة، اخترتُها من أشعار العرب الذين يستشهد بأشعارهم... ولم أُخِلَّ بذكرِ أحدٍ من شعراء الجاهليّة والإسلاميّين الذين يُستَشهد بشعرهم، إلاّ مَن لم أقف على مجموع شعره، ولم أرَهُ في خزانة وَقْفٍ ولا غيرها»[2]. فالأرجح أنّ محمّد بن المبارك بن مَيْمون البغدادي كان يحوز نسخةً من مجموع شعر زهير بن جناب. ومصادره التي ذكرها، باستثناء كتاب ابن دُرَيْد، الموسوم **بالشوارد**، لم تذكر قصيدة زهير القافيّة التي وجدناها عنده في **منتهى الطلب**. وأغلب الظنّ أنّه اختار قصيدة زهير من مجموع شعره الذي كان بين يديه في أواخر القرن السادس الهجريّ.

ولدينا احتمالٌ آخر مُؤَدّاه: أَنَّ شعرَ شاعرنا كان بين يدي العَيْنيّ (٨٥٥ هـ ـ ١٤٥١ م) صاحب **المقاصد النحويّة**، المطبوع على هامش **خزانة الأدب**، فقد ذكر (العَيْنِيّ) من بين الشعراء الذين آل إلى دواوينهم، وهو يشرح الشواهد الشعريّة، شاعرًا يُدْعَى زُفَر بن حنان[3]. وقد ذهب البحّاثة (سزكين) إلى أنَّ ثمّة تصحيفًا في هذا الاسم من زهير بن جناب، إلى زفر بن حنان[4]، وهذا رأيٌ يقتضي إثباته أن نجزم بعدم وجود شاعر يُدعى زفر بن حنان. وهذا لا نقدر عليه الآن، وإن كان احتمال التصحيف والتحريف واردًا ها هنا...

---

(١) م. ن: ١٩: ٢٧ ـ ٢٩.

(٢) يَحْيَى الجبوري: قصائد جاهليّة نادرة ١٣.

(٣) أنظر البغدادي: خزانة الأدب (ط بولاق) ٤: ٥٩٧.

(٤) أنظر سزكين: تاريخ التراث العربيّ (مج ٢) ٢: ٧٠.

ومهما يكن من أمر شعر زهير، فيما مضى من الزمان، فإنّه لم يصل إلينا، لذا قمنا بمراجعة العديد من كتب التراث، في أبوابها المختلفة، فتيسّر لنا جَمْعُ (١٣٧) بيتًا نسبتها المصادر إلى شاعرنا. وكان من بينها (١٠) أبيات عُزِيَت لزهير، ولشعراء أُخَر.

وقد كوّنت أشعارُ زهير خمسَ قصائد، وإحدى وعشرين مقطوعة، يُضاف إليها أربع مقطوعات نازع زهيرًا فيها شعراء أُخَر. وها هي ذي جميعها محقَّقةً ومشروحة ومخرَّجة:

شِعر زُهير بن جَنابِ الكَلبي

(١)

في الأغاني (١٩: ١٦ ـ ١٧)[١]: (الوافر)

١ ـ وَلَم تَصْبِرْ لَنا غَطَفانُ لَمَّا ... تَلاقَيْنا وَأُحْرِزَتِ النِّساءُ[٢]

٢ ـ فَلَوْلا الفَضْلُ مِنَّا ما رَجَعْتُمْ ... إلى عَذْراءَ شِيْمَتُها الْحَياءُ[٣]

٣ ـ وكَم غادَرْتُمُ بَطَلاً كَمِيًّا ... لَدَى الْهَيْجاءِ كانَ لَهُ غَناءُ[٤]

٤ ـ فَدُونَكُمُ دُيُونًا فاطْلُبُوها ... وَأَوْتارًا وَدُونَكُمُ اللِّقاءُ[٥]

٥ ـ فإنَّا حَيْثُ لا يَخْفَى عَلَيْكُم ... لَيُوثٌ حِيْنَ يَحْتَضِرُ اللِّواءُ[٦]

٦ ـ فَخَلَّى بَعْدَها غَطَفانُ بَسًّا ... وما غَطَفانُ والأَرْضُ الْفَضاءُ[٧]

٧ ـ فَقَدْ أَضْحَى لِحَيِّ بَني جَنابٍ ... فَضاءُ الأرضِ والْماءُ الرَّواءُ[٨]

---

(١) روى أبو الفرج مناسبة هذه الأبيات عن ابن الأعرابي فقال ما مؤدّاه: قال زهير في حربه ضدّ غَطَفان، وكان سبب هذه الحرب أنّ غطفان اتّخذت لها حَرَمًا مثل حرم مكّة لا يُقتَل صيدُه، ولا يُعضَد شجره، ولا يُهاجُ عائِذُه، فلمّا بلغ ذلك زهيرًا، قال: والله لا يكون ذلك أبدًا، وأنا حَيٌّ، فسار في قومه بني جَناب إليهم، وقاتلهم، وظفر بهم. وأسر فارسًا منهم فقتله، ثمّ مَنَّ على غطفان وردَّ النساء، واستاق الأموال، وقال في ذلك: (الأبيات).

(٢) في الكامل لابن الأثير «فلم تصبر». وأُحرزت: من الحِرز، وهو الموضع الحصين، أو هو ما أحرزَك من موضع وغيره. وأحرزت النساء: صارت في موضع حصين لا يُوصَل إليه.

(٣) في المختصر في أخبار البشر: «ولولا الفضلُ».

(٤) الكميُّ: الشجاع الجريء. والغَناء: النفع والكفاية.

(٥) الأوتار: مفردها: وَتْر. وقد وترته وَترًا وتِرَةً. وكلّ مَن أدركتَهُ بمكروه فقد وَتَرته.

(٦) في مختار الأغاني: «يُهْتَصَر اللّواء» ولعلّه الصواب. ويُهْتَصر: يسقط ويتحطّم. ويحتضر: يحضر.

(٧) البَسُّ: مصدر بَسَّ أي خلط وعجن وفتّت، وفي الواقعة: «وبُسَّتِ الجبالُ بَسًّا». ٥٦: ٥. قال الفرّاء: حبّات كالدقيق. وبَسُّ الشيء: فَتُّهُ. اللسان (بس).

(٨) الماء الرَّواء: الماء الكثير العذب.

٨ ـ وَيَصْدُقُ طَعْنُنا في كُلِّ يَومٍ وعِندَ الطَّعنِ يُختَبَرُ اللِّقاءُ
٩ ـ نَفَيْنا نَخوَةَ الأَعداءِ عَنَّا بأرماحٍ أَسِنَّتُها ظِماءُ[1]
١٠ ـ ولولا صَبْرُنا يَومَ الْتَقَيْنا لَقِينَا مِثْلَ ما لَقِيَتْ صُداءُ[2]
١١ ـ غَداةَ تعرَّضُوا لِبَني بَغِيضٍ وصِدْقُ الطَّعْنِ لِلنُّوكَى شِفاءُ[3]
١٢ ـ وَقَدْ هَرَبَتْ حِذارَ الْمَوْتِ قَيْنٌ على آثارِ مَنْ ذَهَبَ العَفَاءُ[4]
١٣ ـ وَقَد كُنَّا رَجَونا اَنْ يُمِدُّوا فأَخلَفَنا مِنِ اخوَتِنا الرَّجاءُ
١٤ ـ وأَلْهى القَيْنَ عَن نَصْرِ الموالِي جِلابُ النِّيبِ والمَرْعَى الضَّراءُ[5]

(٢)

في الأغاني (١٩: ٢٣): (الوافر)

١ ـ لَقَدْ عُمِّرْتُ حتَّى لا أُبالِي أَحَتْفِي في صباحِيَ أَمْ مَسائِي[6]
٢ ـ وحُقَّ لِمَنْ أَتَتْ مائتانِ عامٍ عَلَيهِ أنْ يَمَلَّ مِنَ الثَّواءِ[7]
٣ ـ شَهِدْتُ المُوقِدِينَ عَلَى خَزازَى وبالسُّلاَّنِ جَمْعًا ذا زُهاءِ[8]

---

(١) النَّخْوة: من نخا يَنخُو، إذا افتخر وتعظَّم. ونَخوة الأعداء: فخرهم واعتدادهم.
(٢) صُداء: اسم قبيلة من مَذحِج، ولعلّ الشاعر أراد هنا ما لقيته صُداء من ضَبِّيم في وقائع لها مع بني بغيض ـ أنظر في ذلك ديوان لبيد ١٩٣، والنقائض ٤٦٩ .
(٣) في الكامل لابن الأثير: (تَصدَّعُوا) تحريف. وبنو بغيض: قبيلة من غطفان. والنَّوْكَى: مفردها أَنْوَك، وهو الأحمَق. أراد الشاعر أنَّ الطَّعْنَ يُعِيدُ للحَمْقَى صوابهم.
(٤) قَيْن: أراد بني قَين بن جَسر. وكانت أخت زُهَير بن جَناب متزوِّجة فيهم. وقد قاتلهم زهير وهزمهم ـ أنظر الأغاني ١٩: ٢٤ ـ ٢٥ .
(٥) النِّيب: مفردها ناب ونيوب، وهي الناقة المُسِنَّة. والضَّراء: ما واراكَ من أرض أو شجر، أو نحو ذلك.
(٦) في حماسة البحتري، والمعمَّرون، وتاريخ ابن عساكر: «ما أُبالي... أو مسائي». و«أو» في هذه الروايات لا تلائم همزة الاستفهام.
(٧) في حماسة البحتري: «أتى مائتان». وفي الأغاني، وحماسة البحتري، وتاريخ ابن عساكر: «مائتان عامًا» وهو خطأ. وأثبتُّ رواية المعمَّرون لصوابها. وفي الأزمنة والأمكنة: «من الشواءِ» تحريف. والثواء: طول المقام والبقاء. وأثبتَ الشاعر نُونَ المثنّى في «مائتان» رغم إضافتها. وكان الوَجْه أن يقول: مائتا عام، وإثبات النون هنا مِمّا يجوز للشاعر، ضرورةً، أنظر: ما يجوز للشاعر في الضرورة ٩٨، والكتاب ١: ٢٠٨ .
(٨) في المعمَّرون، وتاريخ ابن عساكر: «المُخضِعِين على خَزازِ». ولم أجد (المُخْضِعِينَ) فيما رجعْتُ إليه من معاجم. وفي معجم ما استعجم: «شَهِدْتُ الوافِدِيْن». وخَزاز وخزازى، واحد. وهو اسم جَبَلٍ وقع فيه يومٌ عظيم من أيّام العرب، وكان بين أهل الشمال وأهل الجنوب، وفيه أوقدت النار على خَزاز، وقيل فيه: إنّه أعظم يوم التقت فيه العرب في الجاهليّة ـ أنظر النقائض ١٠٩٣، والعقد ٥: ٢٤٥، والعمدة ٢: ٢١٢، ومعجم ما استعجم ٤٩٧، ومعجم البلدان (خزاز)، والكامل لابن الأثير ١: ٥٢٠. والسُّلاَّن: =

٤ ـ ونادَمْتُ المُلُوكَ مِنَ آلِ عَمْرٍو   وَبَعْدَهُمُ بَنِي ماءِ السَّماءِ[١]

(٣)

في الأغاني (١٩: ٢٥):   (الكامل)

١ ـ أمَّا الجُلاحُ فإنَّنِي فارَقْتُهُ   لا عَن قِلَىً ولَقَدْ تَشُطُّ بِنا النَّوَى[٢]

٢ ـ فَلَئِنْ ظَعَنْتَ لأُصْبِحَنَّ مُخَيِّمًا   وَلَئِنْ أقَمْتَ لأَظْعَنَنَّ عَلَى هَوَى

(٤)

في الأغاني (١٩: ١٩)[٣]:   (الخفيف)

١ ـ حَيِّي دارًا تَغَيَّرتْ بالْجَنابِ   أقْفَرَتْ مِنْ كَواعِبٍ أتْرابِ[٤]

٢ ـ أيْنَ أيْنَ الْفِرارُ مِنْ حَذَرِ المَوْ   تِ وإذْ يَتَّقُونَ بالأسْلابِ[٥]

= أودية، أو بطون من الأرض غامضة ذات شجر. وهو أيضًا اسم ليومَين من أيّام العرب، أحدهما بين بني عامر والنعمان بن المنذر ـ أنظر **الكامل** ١: ٦٣٩، والثاني بين مَعَدّ ومَذْحِج، وكَلْب يومئذ مَعَدّيّون. وكان قبل يوم خَزاز، وقد شهده زهير بن جناب ـ أنظر **مجمع الأمثال** ٢: ٤٣٨، **ومعجم البلدان** (السُّلاّن). وذو زُهاء: أي له عدد كثير.

(١) في **الخزانة**: «وَلازَمْتُ... آلِ نَصرٍ». وآل عمرو: قال السجستاني: «ويعني بآل عمرو آكِلِ المُرار» ـ **المعمّرون** ٣٤.

وقال البغدادي شارحًا: «وماء السماء: أمّ المنذر بن امرئ القيس. وسُمّيت بذلك لجمالها. وقيل لولدها: بنو ماء السماء. وهم ملوك العراق» ـ **الخزانة (بولاق)** ٢: ٣٢٠.

(٢) الجُلاح: هو الجُلاح بن عَوْف السُّحْمِي. وكان قد وطَّأ لزهير بن جناب وأنزله، فلم يزل في جناحه حتّى جاءَهُ رسولٌ من أخته المتزوِّجة في بني القَيْن بن جَسْر، ومعه صِرار رمْل وشوكة وقتاد، فقال زهير لأصحابه أتَتْكُم شوكة شديدة وعدد كثير، فاحتَمِلُوا، فأبى الجُلاح الرحيلَ، فصبَّحهُ الجيش وقتل عامّة قومه، وذهبوا بماله، ونجا زهير ـ أنظر **الأغاني** (١٩: ٢٤ ـ ٢٥) والقِلَى: البُغض والكُره. وشَطَّتِ الدارُ تَشُطُّ وتَشِطُّ شطًّا: بَعُدَت. والنَّوى: الوَجْه الذي ينتويه المسافِرُ من قرب أو بعد، والنوى أيضًا الدار، وهو أيضًا التحوّل من دار إلى دار.

(٣) قدَّم أبو الفَرَج لهذه القصيدة بقوله: «قال زُهَيْر يُعَيِّرُ بني تَغْلِبَ في هزيمته لهم».

(٤) الجَناب، بالفتح: موضع في أرض كَلْب في السَّماوة بين العراق والشام. والكواعِب: مفردها كاعِب، وهي الجارية التي نَهَدَ ثَديُها. والأتراب: مفردها تِرب، وهو مَن في سنّك، أو مَن وُلِد معك.

(٥) في **الكامل لابن الأثير**: «إذا يَتَّقُون». و«إذ»، هنا، بمنزلة إذا الفجائيّة، وقد حذف الضمير بعدها. والتقدير إذا هم يتّقون. أنظر **الكتاب** ٣: ٧٦ . ولعلّ رواية «إذ» هي الأوْلَى لأنّه كرّرها في البيت الثالث. والأسلاب: مفردها سَلَب، وهو ما يأخذه أحد القِرْنين من قِرْنه، ممّا يكون عليه أو معه من ثياب وسلاح ودابّة.

٣ ـ إذْ أَسَرْنا مُهَلْهِلاً وأخاهُ　　وابنَ عَمرٍو في القِدِّ وابنَ شِهابِ[1]

٤ ـ وسَبَيْنا من تَغْلِبٍ كُلَّ بَيْضا　　ءَ رَقُوْدِ الضُّحَى بَرُوْدِ الرُّضابِ[2]

٥ ـ يَومَ يَدْعُو مُهَلْهِلٌ يا لَبَكْرٍ　　ها أَهَذِي حَفِيظَةُ الأَحْسابِ[3]

٦ ـ وَيْحَكُمْ وَيْحَكُمْ أُبِيْحَ حِماكُم　　يا بَنِي تَغلبٍ أَما مِن ضِرابِ[4]

٧ ـ وَهُمُ هارِبونَ في كُلِّ فَجٍّ　　كَشَرِيدِ النَّعامِ فَوقَ الرَّوابِي[5]

٨ ـ وَاستدارَت رَحَى المَنايا عَلَيهِمْ　　بِلُيُوثٍ من عامِرٍ وَجَنابِ

٩ ـ طَحَنَتْهُمْ أَرْحاؤُها بِطَحُونٍ　　ذاتِ ظُفْرٍ حَدِيدَةِ الأَنيابِ[6]

١٠ ـ فَهُمُ بَيْنَ هاربٍ ليسَ يَأْلُوْ　　وَقَتيلٍ مُعَفَّرٍ في التُّرابِ[7]

١١ ـ فَضَلَ العِزُّ عِزُّنا حِيْنَ يَسمُو　　مِثلَ فَضلِ السَّماءِ فوقَ السَّحابِ

(٥)

في شروح سقط الزند (٧٦٦):　　(الوافر)

١ ـ وَأَرسَلَ مُهْمَلاً جَذَعًا وحِقًّا　　بِلاَ جَحْدِ النَّباتِ ولا جَدِيْبِ[8]

---

(١) في الكامل: «في القيد». والقِدُّ: سَير يُقَدُّ من الجلد. ومُهَلْهِل: الشاعر الجاهليّ المعروف. وأخو مُهَلْهِل: كُلَيب وائل الذي هاجت بمقتله حرب البسوس.

(٢) رَقُود الضحى: كناية عن المرأة المُنعَّمة المُرفَّهة. والرُّضاب: الريق وما تقطّع منه. وماء رُضاب: ماء عذب.

(٣) في الكامل «حِيْنَ تَدْعُو مُهَلْهِلاً». والحَفِيْظَة: الذَّبُّ عن المحارم والمَنْعُ لها عند الحروب. والأحساب: مفردها حَسَب، وهو الكرم وما يعدّه المرء من مفاخِر آبائه. واللام في «يالَبَكر» للاستغاثة، وهي تفيد التعجّب.

(٤) في الكامل: «أنا ابنُ رضاب» تحريف. والضِّراب: من ضارَبَ ضِرابًا ومضاربة إذا قارَع بالسيف. وأُبِيْح: انكشف ولم يعد مصونًا.

(٥) الفَجُّ: الطريق الواسِع بين جبلَين، أو الطريق الواسع في الجبل عامّة.

(٦) الأَرْحاء: مفردها رَحًى، وهو الحجر العظيم، أو ما يُطْحَن به. والطَّحون: الكتيبة من الجيش.

(٧) يَأْلُوْ: أَلاَ يَأْلو أَلْوًا، أيْ قَصَّر وأبطَأَ.

(٨) المُهْمَل: البعير الذي لا راعي له. والجَذَع: قبل الثَّنِي. «وقال اللَّيث: الجَذَع من الدوابّ والأنعام قبل أن يَثْني بسنة، وهو أوّل ما يستطاع ركوبه والانتفاع به» ـ اللسان، والتاج (جذع). والحِقُّ من أولاد الإبل قال الجوهري: «سُمّي حِقًّا لاستحقاقه أن يُحْمَلَ عليه وأن يُنْتَفَع به» ـ الصحّاح (حقق). والجَحْد: القليل من كلّ شيء، وجَحَدَ النبات: إذا قلَّ ولم يَطُلْ. والجَدِيْب: القَفْر الذي لا خِصْبَ فيه. وهو فعيل بمعنى مفعول.

(٦)

في جمهرة النسب (٢: ٣١١)[1]: (مجزوء الكامل)

١ ـ لَوْ كُنتُ مِن جُشَمَ بنِ بَكْـ ـرِ [مَـنْ] إذا أُوْذِيْ غَـضِـبْ[2]

٢ ـ قَـتَّـلـتُ هِـدمًـا بِـغِـيَـا ثٍ أَوْ عِـكَـبُّ بـنَ عِـكَـبّ

(٧)

في الأغاني (١٩: ٢٣)[3]: (الطويل)

١ ـ إنْ تُـنْـسِـنـي الأَيَّـامُ إلاَّ جَـلالـةً أَمُـتْ حِـينَ لا تَـأْسَـى عَـليَّ العَـوائِـدُ[4]

٢ ـ فَيَأْذَى بِيَ الأَدْنَى ويَشمَتُ بِيَ العِدا وَيَـأْمَنُ كَـيْـدِي الكاشِـحونَ الأباعِـدُ[5]

(٨)

في أنساب الأشراف (١: ١٩): (الطويل)

١ ـ وَلَـم أَرَ حَـيًّـا مِـن مَـعَـدٍّ تَـفَـرَّقُـوا تَـفَـرُّقَ مِـعْـزَى الفِـزْرِ غَيرَ بَنِي نَـهْـدِ[6]

(٩)

في تاريخ ابن عساكر (٦: ق ٢٢٨/أ): (الطويل)

١ ـ وَكَـمْ مُـقِـلٍّ لا يَـقِـلُّ ومُـكـثِـرٍ مُـقِـلٌ وإنْ كـانـتْ كَـثِـيْـرًا أبـاعِـرُهْ

٢ ـ وَكَمْ قائِلٍ: إنَّ ابنَ بِنْتٍ هو ابْنُهُ وَقَـدْ هُـدِمَ البَـيـتُ الـذي هُـوَ عـامِـرُهْ

---

(١) قال ابن الكلبي قبل البيتين: «ووَلَد كِنانةُ بن تَيْم عِكَبًّا وسعدًا، وصريمًا وعَبْدًا! فولد عكَبّ بن كنانة عكبًّا، وهِدْمًا، ولهما يقول زهير بن جناب (البيتين)».

(٢) في الأصل عجز البيت: «ـرِ إذا أُوْذِيْ غُـضَـبْ». وهذه رواية غامضة ومخلّة بالوزن ومحرَّفة! ولعلَّ الصوابَ ما أثْبتناه. وجُشَم بن بَكر: قبيلة من قَيْس عَيْلان. ولم يتضح لنا معنى البيت بدقّة.

(٣) قدَّم أبو الفرج للبيتَين بقوله: «وقال زهير أيضًا في كِبَره».

(٤) جُلالة: من جَلَّ يَجِلُّ جَلالة: أي أسنّ واحْتَنَك. وتَأْسَى: تَحْزن. والعَوائِد: مفردها عائِدة وهي واحدة النسوة اللاتي يَعُدْنَ المريض.

(٥) الكاشِحون: مفردها كاشِح، وكشح كشحًا، أي شكا كَشْحَه. وفي اللسان: «الكاشِح الذي يضمر لكَ العداوة» ـ اللسان (كشح).

(٦) قوله: تفرّق مِعْزَى الفِزْر (هذا مَثَلٌ. والفِزْرُ لُغةً، تعني الاثنَين فأكثر. وهو لَقَب سَعْد بن زَيْد مَناة بن تَميم. وكان الفزر هذا قد أتى بمعزاه سوق عكاظ، وأنهَبها فيه للناس واحدة واحدة فتفرَّقوا بها...». ومعنى المَثَل أنّهم لا يجتمعون أبدًا. أنظر أمثال العرب للضبّي ٧٥، ومجمع الأمثال ٢: ٢١٢، واللسان، والتاج (فزر). وبنو نَهْد قوم من قضاعة ـ قبيلة زهير الكبرى.

٣ ـ فأَوْدَى عَمُوداهُ وَرَثَّتْ حِبالُهُ   وأُصْلِحَ أُوْلاهُ وأُفْسِدَ آخِرُهْ[١]

(١٠)

في أنساب الأشراف (١: ١٩):   (الوافر)

١ ـ لَقَدْ عَلِمَ القبائِلُ أَنَّ ذِكْرِي   بَعِيدٌ في قُضاعَةَ أَوْ نِزارِ[٢]

٢ ـ وما إبلِيّ بِمُقْتَدَرٍ عَلَيْها   وما حِلْمِي الأَصِيلُ بِمُسْتَعارِ

وفي معجم ما استعجم (٣٠):

٣ ـ سَتَمْنَعُها الفوارِسُ مِن بَلِيٍّ   وَتَمْنَعُها فَوارِسُ مِن صُحارِ[٣]

٤ ـ وَيَمنَعُها بَنُو القَيْنِ بنِ جَسْرٍ   إذا أَوْقَدْتُ لِلْحَدَثانِ نارِي[٤]

٥ ـ وَيَمْنَعُها بَنُو نَهدٍ وَجَرْمٌ   إذا طالَ التَّجاوُلُ في الْغِوارِ[٥]

٦ ـ بِكُلِّ مُناجِدٍ جَلْدٍ قُواهُ   وأَهْيَبُ عاكِفونَ على الدُّوارِ[٦]

---

(١) أودى عموداه: ذهبت قوّته. وأصْلُ العمود عِرْق يسقي القلْبَ أو الكبد. وقيل عمود الكبد عرقان ضخمان جانبي الصرّة يمينًا وشمالاً. ورَثَّ الحبل يَرِثُّ ويَرَثُّ رَثاثةً ورثوثةً: بَلِيَ.

(٢) في تاريخ ابن عساكر: «وَلَقَد...» وبالواو يصبح البيت مخزومًا. وفي أنساب الأشراف: «من نِزار». وأثبتُّ روايةَ ابن عساكر في الشطر الثاني لملاءمتها للمعنى، ولأنَّ قضاعة ليست من نِزار عند بعض علماء النَّسَب. ونَسَبُ قضاعة مُختَلفٌ فيه: «فقوم يقولون: هو قُضاعة بن معدّ بن عَدْنان. وقوم يقولون هو قضاعة بن مالِك بن حِمْيَر، فا لله أعْلَم» ـ جمهرة أنساب العرب ٨. ويذهب ابن الكلبي إلى أنّ قضاعة من مَعَدّ، فهو يقول: «وأشعار قضاعة في الجاهليّة، وبعد الجاهليّة، تدلّ على أنّ نَسَبهم في مَعَدّ» أنظر جمهرة النسب (ط الكويت) ٧١، ونسب قريش ٥ وأنساب الأشراف ١: ١٥ ـ ٢٠، وتاريخ الطبري ٢: ٢٧٠، وجمهرة أنساب العرب ٨، ٤٤٠.

(٣) بَلِي وصُحار: قبيلتان تنتهي كلّ منهما في النَّسَب إلى قضاعة ـ قبيلة الشاعر الكُبْرى.

(٤) في معجم البلدان: «وتَمْنَعُها بَنُو» وبَنُو القَين بن جَسْر: قوم كانت أخت الشاعر متزوّجة فيهم ـ الأغاني ١٩: ٢٤.
والحَدَثان: مصائِب الدهر ونُوَبُه. وإيقاد النار يعني وقوع الخطر والحرب عند العرب القدماء. فهي مثلاً أُوْقِدت في خَزازى ـ انظر شرح القصيدة الدامغة ٩٦ ـ ٩٧، واللسان (وقد).

(٥) في معجم البلدان: «وتمنعها بنو» وبنو نَهْد وجَرْم عشيرتان من قضاعة. والتجاول: التصاوُل في الغارات. ويقال رجل مِغوار، أي بَيِّن الغِوار، وهو المقاتِل والكثير الغارات على أعدائه.

(٦) المُناجِد: المُعين والمُنجِد: والجَلْد: الصلب في المُواجَهة. وأَهْيَب: قوم من بني كَلْب بن وَبرة بن قضاعة. وعكف على الشيء: إذا أقام عليه ولازمه. والدوار: اسمُ صَنَم، وفي التهذيب: «هو صَنَم كانت العرب تنصبه، يجعلون موضعًا حوله يدورون به» ـ التهذيب ١٤: ١٥٢، وانظر التاج (دور).

(١١)

في الجيم (١: ١٥٢): (الطويل)

١ ـ هُذُوءَ الْمُوَسَّى ثُمَّ نَصَّتْ سَمِيعَةً شَدِيدةَ أَعْلَى ماضِغٍ وحِتَارِ[١]

٢ ـ فَأَلْقَتْ بِعِرْنانَ الْجِرانَ مُنِيمَةً وَضَمَّتْ حَشًا عَنْ كَلْكَلٍ وشِوارِ[٢]

وفي الجيم (٣: ٧):

٣ ـ وإِنْ عِفْتَ هذا، فادْنُ دُونَكَ إِنَّني قَليلُ الْغِرارِ والشُّرَيْجُ شِعارِي[٣]

(١٢)

في شرح القصيدة الدامغة (١٠٠): (الخفيف)

١ ـ سَنَّها رابِعُ الجُيُوشِ عُلَيْمٌ كُلُّ يَومٍ تَأْتِي الْمَنَايَا بِقَدْرِ[٤]

(١٣)

في شرح أشعار الهُذَلِيِّين (٢: ٥٦٦)[٥]: (مجزوء الكامل)

١ ـ في آلِ مُرَّةَ شُنَّأُ لِي قَدْ عَلِمْتُ وآلُ مُرَّه[٦]

٢ ـ ساداتُ قَومِهِمُ الأُلَى مِن وائلٍ وأُلَى بِحَرَّه[٧]

---

(١) المُوَسَّي: لعلّها من الوَشي، وهو الحَلْق والمُوَسَّى الذي يهدأ ليُحلَقَ له. ونَصَّت سَمِيعَةً: رفعتْ أذنًا سميعةً، فحذف الموصوف. والحِتار: قال أبو عَمْرو الشَّيْباني شارحًا: «قال الزُّهَيْري: شيء يكون في أقصى فَم البعير كأنّه ناب، وهو لحم» ـ الجيم ١: ١٥٢.

(٢) العِرْنان: اسم جَبَل، أو وادٍ ـ أنظر معجم البلدان (عرنان). والجِران: عنق البعير. والمُنِيمَة: لعلّها من صفات الناقة، فقد قال صاحب الجيم: «المُنِيمَة: التي اطمأنَّ إليها، وعلم أنّها ستُنْجِيه ـ بإذن الله ـ مِمّا يخاف» ـ الجيم ١: ١٥٣. والكَلْكَل: الصدر. والشوار: مَتاع الرَّحل.

(٣) الغِرار: النَّوم. والشُّرَيج: العُود يُشَقُّ منه قوسان، فكلّ واحدة منهما شريج وقيل الشريج: القَوس المُنشَقَّة، وجمعها شرائج «وقيل: الشريجة من القِسِيّ، التي ليست من غُصْن صحيح مثل الفلْق» ـ اللسان (شرج). والشعار: ما وَلِيَ جَسَدَ الإنسان من الثياب. وادنُ دُونَكَ: بمعنى اقترب.

(٤) سنَّها: شرَعها، والضمير فيها يعود على عادات وأعراف نُصاحِب الحربَ، كان الهَمداني قد ذكرها قبل أن يسوق البيت ـ انظر شرح القصيدة الدامغة ٩٦ ـ ١٠٠. وعُلَيْم أخو زهير بن جناب وجاء في كتاب النسب لأبي عُبَيْد: إنَّ عُلَيْمًا أوّل مَن سنَّ المِرْباع في قضاعة ـ كتاب النسب ٣٤٤.

(٥) روى السكّري هذه الأبيات لزُهَيْر بن جَناب في أثناء شرحه لشعر عَمْرو ذو الكَلْب الهُذَلي.

(٦) قال السكّري شارحًا: «ومُرَّةُ الأوّلُ من قَيْس ثمّ من غَطَفان. ومُرَّة الثاني ابن ذُهْل بن شَيْبان» ـ شرح أشعار الهذليّين ٢: ٥٧٣. والشُّنَّأ: الأعداء، واحدهم شانِئ، وهو المُبغِض.

(٧) الأُلى: الأوائل. وحَرَّة: لعلّها مكان أراد الشاعر أنّ شانِئيه قد كانوا أوائل من حلّوا به.

٣ ـ وَلِـكُـلِّـهِـم أعـدَدْتُ تَـيَّـا   حَـا تُـمَـرُّ لَـهُ الأجِـرَّه[1]

(١٤)

في الأغاني (١٩: ٢٤)[2]: (الطويل)

١ ـ وَكَيْفَ بِمَنْ لا أسْتَطِيْعُ فِراقَهُ   وَمَنْ هُوَ إنْ لا تَجْمَعِ الدَّارُ لاهِفُ[3]

٢ ـ أَمِيْرُ شِقاقٍ إنْ أُقِمْ لا يُقِمْ مَعِي   ويَرحَلْ وإنْ أَرحَلْ يُقِمْ ويُخالِفُ[4]

(١٥)

في منتهى الطَّلب (١: ق ١٠٢ ـ ١٠٣): (الطويل)

١ ـ أَمِنْ آلِ سَلْمى ذا الْخَيالُ المُؤَرِّقُ   وَقَدْ يَمِقُ الطَّيْفَ الطَّرُوْبُ المُشَوَّقُ[5]

٢ ـ وأنّى اهْتَدَتْ سَلْمى وَسائِلَ بَيْنَنا   وما دُونَها مِنْ مَهْمَهِ الأرْضِ يَخْفُقُ[6]

٣ ـ فَلَمْ تَرَ إلّا هاجِعاً عِنْدَ حُرَّةٍ   على ظَهْرِها كُوْرٌ عَتِيْقٌ ونُمْرُقُ[7]

٤ ـ فَلَمَّا رَأَتْنِي والطَّلِيْحَ تَبَسَّمَتْ   كما انْكَلَّ أعْلَى عارِضٍ يَتَألَّقُ[8]

---

(١) في التهذيب: «فَلِكُلِّهِم... تُغارُ له الأجِرَّة». وفي اللسان، والتاج «فَلِكُلِّهِمْ.. تغازله الأجرة» تصحيف. والتيّاح: الفرس السريع، وتُمَرُّ: يُجاد فَتْلُها. ومنه المُمَرّ: الحَبْل الجيّد الفَتْل، والأَجِرَّة: مفردها جَرِير، وهو الحَبْل.

(٢) ذكر أبو الفرج أنّ هذين البيتين قالهما زهير بن جَناب في ابن عمّه ـ عبدالله بن مُلَيْم، حينما صار يخالفه بعد أن نصّبه خلفًا له في رئاسة كَلب. وذكر أبو الفرج وغيره أنّ زهيرًا، بعد مخالفة عبدالله له، شرب الخمر صِرفًا حتّى مات، وفي هذا نظر.

(٣) في الأغاني: «ومَنْ هُوَ إن لم تَجْمعِ الدّارُ آلِفُ». وأثبتُّ رواية المعمّرون لملاءمتها لمعنى الصدر. وفي تاريخ ابن عساكر: «إن لا يَجْمعِ» ولاهِف: هنا، أرى أنّها فاعل بمعنى مفعول، فالشاعر لا يستطيع فراق ابن أخيه، وهو ملهوف عليه حينما لا تجمع الدار بينهما.

(٤) في المعمّرون، وتاريخ ابن عساكر: «أَمِيْرُ خِلافٍ..». والوَجه في رَفع «يخالف» أنّ الكلام هنا بعدَ الواو جَرَى مَجراه في غير الجَزاء. قال سيبويه: «وتقول: إن تأتِني فهو خيرٌ لك، وأُكْرِمُكَ، وأن تأتِني فأنا آتِيْكَ، وأُحْسِنُ إليك. وقال عزّ وجلّ، وإنْ تُخفوها وتُؤْتُوها الفقراءَ فهو خَيْرٌ لكم، ونكفّرُ عنكم من سيّئاتكم، والرَّفْعُ هنا وجه الكلام، وهو الجيّد» ـ أنظر الكتاب ٣: ٩٠.

(٥) في الأغاني: «الطَّيْفَ الغَرِيْبُ المُشَوَّقُ». والمؤرِّق: المُقْلِق. ومَق يَمِق: أحب يحبّ. والطروب: الكثير الطَّرب، والطرب: الفرح والحُزن. والمُشوَّق: الذي هاج شوقُه. وشوَّقني: هاجني.

(٦) في الأغاني: «سَلْمى لِوَجْهِ مَحَلِّنا». والوسائل مفردها وسيلة، وهي القرابة والمنزلة اللطيفة. والمَهْمَهُ: المفازة البعيدة، أو الفلاة التي لا ماء فيها ولا أنيس. ويخفق: يضطرب بريحه وسرابه.

(٧) الهاجع: النائم أو المُرتاح دون نَوْم. والحُرَّة: الناقة الكريمة. والكُور: رَحْل الناقة. والعَتِيْق: الكريم من كلّ شيء. والنُّمْرُق: الوِسادة التي تكون على الرَّحْل يفترشها الراكِب.

(٨) في الأغاني: «ولمّا... كَمَا انْهَلَّ». وهي رواية سائغة. والطَّلِيْح: الناقة أو البعير الذي أعياه السفر. وانكلّ: تبسّم. وهنا بمعنى لَمَعَ لَمعًا خفيفًا. والعارِض: السحاب الذي يعرض ويقيم ولا يكاد يبرح.

٥ ـ فَحَيَّاكِ وَدٌّ زَوِّدِينا تَحِيَّةً   لَعَلَّ بِها عانٍ مِنَ الكَبْلِ يُطْلَقُ[١]

٦ ـ فَرَدَّتْ سَلامًا ثُمَّ وَلَّتْ بِحَلْفَةٍ   ونَحْنُ لَعَمْري يا ابْنَةَ الخَيْرِ أَشْوَقُ[٢]

٧ ـ فَيا طِيبَ ما رَيًّا ويَا حُسْنَ مَنظَرٍ   لَهَوْتُ بِهِ لَوَ اَنَّ رُؤْيَاكِ تَصْدُقُ[٣]

٨ ـ وَيَوْمًا بأَبْلِيٍّ عَرَفْتُ رُسُومَها   وَقَفْتُ عَلَيْها، والدُّمُوْعُ تَرَقْرَقُ[٤]

٩ ـ فكادَتْ تُبِيْنُ الوَحْيَ لَمَّا سَأَلْتُها   فتُخبِرُنا لو كانتِ الدَّارُ تَنْطِقُ[٥]

١٠ ـ فَيا رَسْمَ سَلْمَى هِجْتَ لِلْعَيْنِ عَبْرَةً   وحُزْنًا سَقاكَ الوَابِلُ المُتَبَعِّقُ[٦]

١١ ـ أَلَم تَذْكُرِيْ إِذْ عَيْشُنا بِكِ صالِحٌ   وإِذْ أَهْلُنا وُدٌّ وَلَم يَتَفَرَّقُوا[٧]

١٢ ـ لَمَّا اعتَلَيْتُ الهَمَّ عَدَّيتُ جَسْرَةً   زِوَرَّةً أَسْفارٍ تَخُبُّ وتُعْنِقُ[٨]

١٣ ـ جُماليَّةً، أَمَّا السَّنامُ فَتامِكٌ   وأَمَّا مكانُ الرِّدْفِ مِنها فَمُخْنَقُ[٩]

١٤ ـ شُوَيْكِيَّةَ النَّابَيْنِ لَمْ يَغْذُ دَرُّها   فَصِيلاً، وَلَمْ يَحمِلْ عَلَيْها مُوسَّقُ[١٠]

١٥ ـ إذا قُلْتُ عاجِ، جَلَّحَتْ مُشْمَعِلَّةً   كما أَرْمَدُ أَذْفَى ذو جَناحَيْنِ نِقْنِقُ[١١]

---

(١) في الأغاني: «فحُيِّيْتِ عنَّا.. العانِي مِنَّ». ووُدّ: بالفتح والضمّ، صَنَمٌ كانوا يعبدونه، وفي التهذيب: والودّ صَنَمٌ كان لقوم نُوْح. وكان لقريش صَنَمٌ يدعونه ودًّا. ومنهم مَنْ يَهْمِز، فيقول: أُدّ، ومنه سُمِّي عَبْد وُدّ، ومنه سُمِّي أُدُّ بن طابِخة. وأُدَد جدّ مَعَدّ بن عَدْنان» التهذيب ١٤: ٢٣٥ .
والعاني: الأسِير. والكَبْل: القَيْد.

(٢) الحَلْفة: اسم مرّة من حَلَف. ويقال حَلَف يَحْلِفُ حَلْفًا وحَلِفًا ومَحْلُوفًا.

(٣) ما: زائدة. والريًّا: الرائحة الطيِّبة.

(٤) في الأغاني «ويَوْمَ أُثَالَى قَد عَرَفْتُ.. فعُجْنا إليها». وأَبْلِيّ: جَبَلٌ معروف عند أَجَأ وسَلْمى ـ معجم البلدان (أَبْلِيّ).

(٥) في الأغاني، وخزانة الأدب: «وكادَتْ تبينُ القَوْلَ.. وتُخْبرني». والوَحْي: الإشارة والكتابة والرسالة والإلهام الخفي.

(٦) في الأغاني: «فيا دارُ... فماءُ الهَوى، يَرفَضُّ أو يَتَرقْرَقُ». وفي الخزانة: «وذِيْ دارُ سَلْمى قد عَرَفْتُ رُسُومَها.. فعُجْتُ إليها والدموع تَرَقْرَق». وانظر التخريج. والوابِل: السحاب الماطِر أو الشديد الهطول. والمُتَبعِّق: المُنْبَعِج بالمطر والمُنْدَفِق بالماء.

(٧) الوُدّ: الأَحِبَّة المتآلِفون.

(٨) عَدَّيْتُ: أَحْضَرْتُ. والجَسْرَة: الناقة الطويلة الضخمة. وزِورَّة: شديدة. وتَخُبُّ: مَن خَبَّت الدابّة تَخُبُّ خَبًّا وخَبَبًا وخَبِيْبًا، إذا أَسْرَعتْ. وتُعْنِق: من العَنَق، وهو نوع من السير السريع.

(٩) الجُماليَّة: الناقة التي تُشبه الجَمَل في خَلقِها وشدّتها وعظمتها. والتّامِك: السَّنام العظيم المكتِنِز المرتفع. والرِّدْف والرَّدِيف: الذي يركب خلف الراكِب. والمُخْنَق: الضامِر القليل اللحم.

(١٠) شُوَيْكِيَّة النابَين: طويلة النابَين. والدَّرُّ: الحليب. والفَصِيل: وَلَد الناقة. والمُوَسَّق: المُحَمَّل، ومنه الوَسْق: وهو حِمْل البعير.

(١١) عاجِ: لفظة تُزْجَر بها الناقة، يقال عَجْعَجْتُ بالناقة إذا قلتُ لها عاجِ عاجِ. وجلَّحتْ: أقبلتْ وحملت =

١٦ ـ أبَى قَومُنا أنْ يَقْبَلُوا الحَقَّ فانتَهَوا إليهِ، وأنْيابٌ مِنَ الحرْبِ تَحْرُقُ[١]

١٧ ـ فَجاؤوا إلى رَجْراجةٍ مُكْفَهِرَّةٍ يَكادُ المُرَنِّي نَحْوَها الطَّرْفَ يَصْعَقُ[٢]

١٨ ـ دُرُوعٌ وأَرْماحٌ بأَيْدي أعِزَّةٍ ومَوْضُونَةٌ مِمَّا أفادَ مُحَرِّقُ[٣]

١٩ ـ وَخَيلٍ قَدْ جَعَلْناها دَخِيلَ كَرامةٍ عَتادًا لِيَوْمِ الحرْبِ تُحْفَى وتُغْبَقُ[٤]

٢٠ ـ فما بَرِحوا حَتَّى تَرَكنا رَئِيسَهُم تَعَفَّرَ فِيهِ المَضْرَحِيُّ المُذَلَّقُ[٥]

٢١ ـ فَكائِنْ تَرَى مِن ماجِدٍ وابنِ ماجِدٍ بِهِ طَعْنَةٌ نَجْلاءُ لِلْوَجْهِ تَشْهَقُ[٦]

٢٢ ـ فلا غَرْوَ إلاَّ يومَ جاءَتْ عَطِيْنَةٌ لِيَسْتَلِبُوا نِسْوانَنا ثُمَّ يُعْنِقوا[٧]

٢٣ ـ موالِي يَمِيْنٍ لا مَوالِي عَتاقَةٍ أُشابةُ حَيٍّ لَيْسَ فِيْهِمْ مُوَفَّقُ[٨]

= في سيرها. ومُشْمَعِلَّة: مُسرعة. وارمدَّ: أسْرَع. والأدفَى: ذو الجناحَين الطويلَين، وأراد هنا الظليم، وهو ذكر النعام، وسمّي بذلك لأنه يَنِقُّ «تقول نَقَّ الظليمُ والدجاجةُ والحَجَلةُ والرَّخمةُ والضفْدعُ والعقربُ يَنِقّ نَقِيقًا: صَوَّت» ـ اللسان (نقق).

(١) في الأغاني: «أبَا قَوْمُنا إن تَقْبَلُوا... وإلاَّ فأنيابٌ».

(٢) في منتهى الطَّلب: رَجْراجة مُشْمَيِّزة» وبها لا يقوم الوزن. واخترنا رواية الأغاني لصوابها. وفي الأغاني «يكاد المدير». والرَّجْرَاجة: الكتيبة الضخمة. والمُرنِّي الطرف: المُصَعِّد النظر. ويَصْعَق: يَذْهَل ويَنْدَهِش.

(٣) في الأغاني: «سُيُوفٌ وأرْماحٌ». والمَوْضُونة: الدّروع المُضاعفة النَّسج. وأفاد: اقتنى وحاز. ومحرّق: لَقَبُ مَلِك، وقد لُقِّبَ بهذا اللقب امرؤ القيس اللَّخْمي، وهو المحرِّق الأكبر، وعَمْرو بن هِنْد مُضَرِّط الحِجارة، سمّي بذلك لتحريقه بني تميم يوم أُوارة. وكذلك لقب بمُحرِّق الحارثُ بن عمرو مَلِك الشام من آلِ جفنة، وإنّما سُمِّيَ بذلك لأنه أوّل مَن حرَّق العَرَب في ديارهم. ولعلَّ الشاعر هنا أراد امرأ القيس اللخمي والد عَمْرو بن هند، وذلك لقرب عَهْدِه به ـ انظر خزانة الأدب (بولاق) ٢: ٢٣٠ .

(٤) الدَّخِيل: الفَرَس الذي يُخَصُّ بالعَلَف. وتُحْفَى: يُبالَغ في رعايتها والاهتمام بغذائها. وتُغْبَق: تُسْقَى عشاء. ومنه شُرْب الغَبوق، وهو شُرْب العشيّة.

(٥) في الأغاني: «وقَدْ مارَ فيهِ المَضْرَحِيُّ» والمَضْرحِي: الصَّقْر الذي طال جناحاه. والمُذَلَّق: الذي أهْزَلَهُ الجوعُ وأضعفه الصومُ.

(٦) في الأغاني: «وكائِن.. لَهُ طَعْنَةٌ نَجْلاءُ لِلْوَجْهِ تَشْهَقُ». والنجلاء: الطعنة الواسِعة. وتشهق: ترتفع. وكائِن وكأيِّن: بمعنى «كَم» ـ أنظر الصاحبي في فقه اللغة ١٦١ .

(٧) عَطِيْنة: عَطَنَت الإبل عن الماء إذا رَوِيَتْ ثمّ بَرَكَتْ. ولعلّ الشاعر شبّه أعداءه بهذه الإبل. ويجوز أنّه أراد تشبيهَ أعدائِه بالقوم المُنْتِنين؛ يقال: إنّما هو عطينة، إذا ذُمَّ في أمر، أي مُنْتِن كالإهاب المَعْطون.

(٨) موالي يَمين: أي حُلَفاء بالقَسَم والعَهْد، وهم يقابلون موالي العَتاقة الذين ينتسبون إليك بِنَسَبِكَ كالأخ والابن والعمّ وابن العمّ، وحينئذ يُسمَّى المولى المُعْتَق، فيكون بمنزلة الأخ وابن العمّ، عليك نصرُهُ، ولك أن تَرِثَه. والأُشابة: مِنْ أشَبَ الشيءَ يأشِبُهُ أشْبًا: خَلَطَه. والأُشابة من الناس: الأخلاط، والجَمْعُ الأشائِب.

(١٦)

في نشوة الطرب (١: ١٧٣)[١]: (الخفيف)

١ ـ فارِسٌ يَكْلأُ الصَّحابةَ مِنْهُ ... بِحُسامٍ يَمُرُّ مَرَّ الْحَرِيقِ[٢]

٢ ـ لا تَراهُ لَدى الوَغى في مَجالٍ ... يَعْتَلِي العَيْرَ لا، ولا في مَضِيقِ[٣]

٣ ـ مَنْ يَراهُ يَخَلْهُ في الْحَرْبِ يَوْمًا ... أَنَّهُ أَخْرَقٌ مُضِلُّ الطَّرِيقِ[٤]

(١٧)

في تهذيب اللغة (٢: ٤٢٠): (الخفيف)

١ ـ جَلَّحَ الدَّهْرُ فانْتَحَى لِي وَقِدْمًا ... كانَ يُنْحِي القُوَى على أَمْثالِي[٥]

٢ ـ يُدْرِكُ التَّمْسَحَ الْمُوَلَّعَ في اللُّجَّـ ... ـةِ والعُصْمَ في رُؤُوسِ الْجِبالِ[٦]

٣ ـ وَتَصدَّى لِيَصْرَعَ الْبَطَلَ الأَرْ ... وَعَ بَيْنَ العَلْماءِ والسِّرْبالِ[٧]

---

(١) قال ابن سَعِيْد في نَشْوة الطَّرب، بعد حديث له عن زهير: «وأنشد له أبو تمّام في حماسته». ولكن الأبيات ليست في حماسة أبي تمّام الكُبرى، ولا في حماسته الصغرى.

(٢) يكلأ: يحفظ. ويمرّ مرَّ الحريق: يمرّ سريعًا كمرّ النار في الهشيم.

(٣) الوَغَى: الحَرْب. العَيْر: هنا الجَبَل. والمضيق: المكان الحرج الضيِّق. أراد الشاعر أنّ هذا الفارس الذي مدحه في البيت الأوّل لا يلجأ إلى الجبال في القتال هربًا، ولا يعوذ بالأماكن الضيِّقة خوفًا من الأعداء.

(٤) الأَخْرَق: الأَحْمَق. يَراه: الأصل أن يُجْزَم، لأنه فِعْلُ الشرط، فيصبح «يَرَه» ولكنّ الشاعر أجرى المعتلّ مَجرَى الصحيح من الأفعال، وهذا ضرورة ـ أنظر ما يجوز للشاعر في الضرورة ٦١ ـ ٦٢، والكتاب ٣: ٣١٦، والمزهر ٢: ٤٩٨، والخزانة (بولاق) ٣: ٥٣٤. وكذلك تنوين «أَخْرَق» ضرورة شعريَّة ـ أنظر ضرائر الشعر ٣٢ وما بعدها.

(٥) جَلَّحَ الدَّهْرُ: حَمَلَ عليَّ وكَشَّر لي. وانتحى لي: تَصدَّى لي. والقُوَى: مفردها قُوَّة، وهي في الأصل الطاقة الواحدة من طاقات الحَبل، وهنا بمعنى الشدّة والمصيبة.

(٦) التِّمْسَح والتِّمْساح: كلاهما بمعنى، وهو معروف. والمُوَلَّع في اللجّة: القابع في جَوْف الماء دومًا. والعُصْم: مفردُها أَعْصَم، وهو الوعل، وينعت بالعُصْمة لِبياضٍ في ذراعَيْه.

(٧) في اللسان: «تَصَدَّى لِتَصْرَعَ... العَلْهاءِ والسِّرْبالِ». وفي معجم ما استعجم: «بين العَلْهاء». والأَرْوَع: ذو الجسم والجَهارة والفَضْل والسُّؤدد. والعلْماء: قال الأزهري شارحًا: «قال شَمِر، فيما قرأتُ بخطهِ في كتاب السلاح له: العَلْماء من أسماء الدروع قال ولم أسْمَعْه إلاّ في بيت زُهَيْر بن جَناب». وأضاف الأزهري: «ويَرْوِي غَيْرُ شَمِر هذا البيت لعَمْرو بن قَمِيئة. وقال بين العَلْهاء والسِّرْبال، بالهاء. والصواب ما رواه شَمِر» ـ تهذيب اللغة ٢: ٤٢٠، وفي اللسان: «العَلْهاء ثوبان يندف فيهما وبر الإبل يلبسهما الشجاع تحت الدِّرْع يَتوقَّى بهما الطعن قال عَمْرو بن قَمِيئة: (البيت)» اللسان (عله). والسِّرْبال: القميص والدرع، وقيل: كلُّ ما لُبِس فهو سِرْبال.

(١٨)

في المؤتلف والمختلف (١٩١): (الوافر)

١ - إذا ما شِئْتَ أنْ تَسْلَى حَبِيْبًا ... فَأَكْثِرْ دُونَهُ عَدَدَ اللَّيَالِي[١]

٢ - فَما نَسَّى حَبِيْبَكَ مِثْلُ نَأْيٍ ... ولا بَلَّى جَدِيْدَكَ كابْتِذالِ[٢]

(١٩)

في أسماء المغتالين (١٢٨): (الكامل)

١ - فَجَعْتُ عَبْدَ القَيْسِ أَمْسِ بِجَدِّها ... وَسَقَيْتُ هَدَّاجًا بِكَأْسِ الأَقْزَلِ[٣]

(٢٠)

في الأغاني (١٩: ١٩): (الكامل)

١ - تَبًّا لِتَغْلِبَ أنْ تُساقَ نِساؤُهُمْ ... سَوْقَ الإماءِ إلى الْمَواسِمِ عُطَّلا[٤]

٢ - لَحِقَتْ أوائِلُ خَيْلِنا سَرَعانَهُمْ ... حتَّى أَسَرْنَ على الحُبَيِّ مُهَلْهِلا[٥]

٣ - إنَّا - مُهَلهِلُ - ما تَطِيْشُ رِماحُنا ... أَيَّامَ تَنْقُفُ في يَدَيْكَ الْحَنْظَلا[٦]

٤ - وَلَّتْ حُماتُكَ هارِبِيْنَ مِنَ الوَغَى ... وَبَقِيْتَ في حَلَقِ الْحَدِيْدِ مُكَبَّلا[٧]

---

(١) في محاضرات الأدباء: «تَسْلُوْ خَلِيْلاً». وسَلاَ يَسْلُو، وسَلاَ يَسْلِي: نَسِيَ.

(٢) في حلية المحاضرة: «فما سَلَّى». وفي أمالي المرتضى: «فما سلَّى.. وما أبْلَى». وفي تاريخ ابن عساكر: «فما سَلَّى حَبِيْبَكَ غيرُ.. ولا أبْلَى». وفي نشوة الطرب: «فما سَلَّى.. ولا أبْلَى». وفي محاضرات الأدباء: «فما سَلَّى حبيبًا... ولا أبْلَى جديدًا». والنأْيُ: البُعْدُ والفِراق. والابتِذال: الامتهان وتَرْك التَصاوُن.

(٣) في شَرْح القصيدة الدامغة: «أَمْسِ بربِّها». وفي أسماء المُغتالِين: «بكأْسِ الأَفْزَلِ». وقال هارون - محقّق أسماء المغتالين: «ولعلّها الأَوَّلِ، أي التي شربها الأوّلون». والتصويب من شرح الدامغة للهمداني. وعَبْدالقَيْس: قَوْمٌ كان الشاعر قد غزاهم، وقتل منهم هدّاج بن مالِك بن عَبْدِ القَيْس. والأَقْزَل: لعلّه اسم رجل قُتِل قبل هدّاج، فكان أن سُقِي الأخيرُ بكأس الأوّل، وهذا من أساليب العرب، وانظر شرح الدامغة ١٦٤ .

(٤) تَبًّا لِتَغْلِبَ: هذا دعاء على تَغْلِب بالخُسْران والهَلاك والضَّلال. والعُطَّل: مفردها عاطِل، وهي المرأة التي لم تلبس الزينة، وخلا جيدها من القلائد.

(٥) السرعان والسرعان: أوائل القوم المُسْتَبِقُون إلى الأمر. وسَرعان الخَيل: أوائِلُها. والحُبَيّ: اسم موضع بتهامة. ومُهَلْهِل: هو الشاعر الجاهليّ المعروف.

(٦) تَطِيْش: تَضِلّ. ونَقْفُ الحَنْظَل: كناية عن البُكاء، لأنّ ناقف الحنظل تدمع عيناه لحرارة الحنظل.

(٧) الوَغَى: ساحة المعركة. والمكبَّل: المقيَّد.

٥ ـ فلَئِنْ قُهِرْتَ لَقَدْ أَسَرْتُكَ عَنْوَةً وَلَئِنْ قُتِلتَ لَقَدْ تكونُ مُرَمَّلا[(١)]

(٢١)

في أساس البلاغة (٣٥٢): (الوافر)

١ ـ ضَرَبْتُ قَذَالَهُ بالبُجِّ حتّى سَمِعْتُ السَّيْفَ قَبْقَبَ في العِظامِ[(٢)]

(٢٢)

في المعمرون (٣٤)[(٣)]: (الطويل)

١ ـ أَلاَ يا لَقَوْمِي لاَ أَرَى النَّجْمَ طالِعًا مِنَ اللَّيْلِ إلاَّ حاجِبِي بِيَمِينِي[(٤)]

٢ ـ مُعَرَّبتي عِنْدَ القَفا بِعَمُودِها يكونُ نَكِيْرِي أَنْ أَقولَ ذَرِينِي[(٥)]

٣ ـ أَمِينًا على سِرِّ النِّساءِ ورُبَّما أَكُونُ على الأسْرارِ غَيْرَ أَمِينِ[(٦)]

٤ ـ وَلَلْمَوْتُ خَيْرٌ مِنْ حِداجٍ مُوَطَّأٍ مَعَ الظُّعْنِ، لا يأتِيْ المَحَلَّ لِحِيْنِ[(٧)]

(٢٣)

في المعمّرون (٣٥): (الخفيف)

١ ـ لَيْتَ شِعْري والدَّهْرُ ذُو حَدَثانِ أَيَّ حِينٍ مَنِيَّتي تَلْقانِي[(٨)]

---

(١) في الأغاني: «تكونُ مُؤَمَّلا» تحريف. وأثبتُّ رواية مختار الأغاني. والعَنْوة: الغَصْب: والمُرَمَّل: المُلَطَّخ بالدماء.

(٢) في التكملة والذيل: «سَمِعْتُ البَجَّ». والقَذال: جماعُ مُؤَخَّر الرأس من الإنسان والفَرَس. والبُج: سَيْف زُهَيْر بن جَناب. وقَبْقَبَ: صَوَّت. وقَبْقَبَ السَّيْفُ بالضَّرِيْبة، إذا قال: قَبْ. والقَبُّ، هو صَوْت السَّيْف.

(٣) قال في المعمّرون: «وقال أيضًا زُهَيْر وسمع بعضَ نسائِه تتكلّم بما لا ينبغي لامرأة تتكلّم به عند زوجها، فنهاها، فقالت له: «اسكُتْ وإلاّ ضربتُكَ بهذا العَمود، فوالله ما كنتُ أراكَ تسمعُ شَيْئًا ولا تعقله، فقال عند ذلك: (الأبيات)».

(٤) في الأغاني: «ولا الشَّمْسُ إلاّ حاجِبِي» ولعلّها أشْبَه بالصواب. وفي أمالي المرتضى: «ألاَ... ولا الشمس إلاّ حاجِبِي». والحاجِب: العَظْم الذي فوق العين. وقيل الشعر النابت على هذا العظم.

(٥) في الأغاني (١٩: ١٤): «مُعَزَّبَتي خَلْفَ القَفا... فَجُلُّ نَكِيْرِي». وفي الأغاني (١٩: ٢٣): «فأقصى نَكِيْرِي» والمُعَرَّبة: إمرأة الرجل.

(٦) في الأغاني: «أَمِيْنٌ على أسرارِهِنَّ، وقد أُرَى». وقال أبو الفرج شارحًا: «إنَّ النِّساءَ صُرْنَ يتحدَّثْنَ بينَ يَدَيَّ بأسْرارِهِنَّ، ويفعلْنَ ما كُنَّ قبلَ ذلك يَرْهَبْنَنِي فيه، لأنَّني لا أضرُّهُنَّ» ـ الأغاني (١٩: ١٤).

(٧) في الأغاني (١٩: ١٤): «فلَلْمَوْتُ». وفي الأغاني (١٩: ٢٣): «فلَلْمَوْتُ... على الظعن». والحِداج، كالحِدْج: مَرْكَب من مراكِب النساء. والمُوَطَّأ: المُدَمَّث السهل الذي لا يؤذي صاحبه.

(٨) حَدَثان الدَّهر: نُوَبُه ومصائبه.

٢ ـ أَسُباتٌ على الْفِراشِ خُفاتٌ أَمْ بِكَفِّيْ مُفَجَّعٍ حَرَّانِ[١]

(٢٤)

في الأغاني (١٩: ٢٦ ـ ٢٧): (البسيط)

١ ـ سائِلْ أُمَيْمَةَ عَنِّي هَلْ وَفَيتُ لَها أَمْ هَلْ مَنَعْتُ مِنَ المَخْزاةِ جِيْرانا[٢]

٢ ـ لا يَمْنَعُ الضَّيْمَ إلاَّ ماجِدٌ بَطَلٌ إنَّ الْكَرِيْمَ كَرِيْمٌ أَيْنَما كانا[٣]

٣ ـ لَمَّا أَبَى جِيْرَتِي إلاَّ مُصَمِّمَةً تَكْسُو الْوُجُوْهَ مِنَ المَخْزاةِ أَلْوانا[٤]

٤ ـ مِلْنا عَلَيْهِمْ بِوِرْدٍ لا كِفاءَ لَهُ يَفْلِقْنَ بالبِيْضِ تَحْتَ النَّقْعِ أَبْدَانا[٥]

٥ ـ إذا ارْجَحَنُّوا عَلَوْنا هامَهُم قُدُمًا كأَنَّما نَخْتَلِي بالْهامِ خُطْبانا[٦]

٦ ـ كَمْ مِنْ كَرِيْمٍ هَوَى لِلْوَجْهِ مُنْعَفِرًا قَدِ اكْتَسَى ثَوْبُهُ في النَّقْعِ أَلْوانا

٧ ـ وَمِنْ عَمِيْدٍ تَناهَى بَعْدَ عَثْرَتِهِ تَبْدو نَدامَتُهُ لِلْقَوْمِ خَزْيانا[٧]

وفي الوحشيّات (٢٦٥):

٨ ـ إنَّ بَنِي مالِكٍ تَلْقَى غَزِيَّهُمُ في الزَّادِ فَوْضَى، وعِنْدَ المَوْتِ إخْوانا[٨]

(٢٥)

في التكملة والذيل (غور): (الطويل)

١ ـ يا راكِبًا إمَّا عَرَضْتَ فَبَلِّغَنْ سِنانًا وقَيْسًا مُخْفِيًا ومُنادِيًا[٩]

---

(١) السُّبات: النومُ الخَفِي كالغَشْية. والخُفات: الموت بَغْتَةً، من خَفَتَ الرجل خُفُوتا، أي مات. والمُفَجَّع: المُصاب بفجيعة، لإصابته بما يعزُّ عليه من مال أو قريب حميم. والحرَّان: العَطْشان، من حرَّ يَحَرُّ، فهو حَرَّان، وهي حَرَّى، وهو، هنا، المحزون على قتلاه.

(٢) المَخْزاة: الفضيحة والعار. و«أَمْ»، هنا، بمعنى «بل».

(٣) في الأغاني: «الضيف إلاّ» تحريف. وأثبتُّ ما في مختار الأغاني لجَوْذيَه.

(٤) المُصَمِّمة: الفِتنة الشديدة. ويقال لها أيضًا الصمَّاء، والصمَّام، والمُصمِّم: الماضي في رأيه. والمُصَمِّم من السيوف: الذي يَمُرُّ في العظام.

(٥) الوِرْد: الجَيْش. ولا كِفاء له: لا مثيلَ له. ويفلقْنَ: أراد الخيل. والبِيْض: السيوف. والنَّقْع: غُبار المعركة.

(٦) إرجحنَّ: مالَ وتهاوى. ونَخْتَلِي: نَقْطَع، من الخَلَى، وهو الرُّطْب من الحشيش. وخلا الخَلَى خَلْيًا واختَلاه فانْخَلَى، قَطَعه ونزعه. والخُطْبان: نبتة في آخر الحشيش، كأنّها الهِلْيون.

(٧) عَمِيْد القوم: زعيمهم وقائدهم. وتَناهى: سَكَن وأقْلع عن التحدِّي.

(٨) الغَزِيّ: اسمٌ لِلْجَمْع، وهو على مثال فعيل، مثل حاجّ وحَجِيْج، وقاطِن وقَطِيْن، حكاها سيبويه وقال: «قلب فيه الواو ياءً، لخفّة الياء وثِقَلِ الجَمْع، وكسرت الزاي لمجاورتها الياء». قال الأزهري: «يقال لجمع الغازي غَزِيّ مثل نادٍ ونَدِي، وناجٍ ونَجِيّ» ـ أنظر الكتاب ٣: ٦٢٤ ـ ٦٢٦، والتهذيب ٨: ١٦٣.

(٩) مُخْفِيًا: مُعْلِنا وكاشفًا، من خَفَيْتُ الشيء أي أظهرتُه، وخَفَى من الأضداد ـ أنظر كتب الأضداد ـ

٢ ـ أَلَمْ تَرَ أَنَّ الدَّهْرَ يَوْمٌ ولَيْلَةٌ   وأَنَّ الفَتَى يَسْعَى لِغارَيهِ عانِيَا[١]
٣ ـ يَرُوحُ ويَغدُو، والمَنِيَّةُ قَصْرُهُ   ولا بُدَّ مِنْ يَوْمٍ يَسُوقُ الدَّواهِيَا[٢]
٤ ـ ضَلالاً لِمَنْ يَرْجُو الفَلاحَ وَقَدْ رأى   حَوادِثَ أَيَّامٍ تَحُطُّ الرَّوابِيَا[٣]
٥ ـ أَصَبْنَ سُلَيْمانَ الذي سُخِّرَتْ لَهُ   شياطِيْنُ يَحْمِلْنَ الْجِبالَ الرَّواسِيَا[٤]

(٢٦)

في طبقات فحول الشعراء (١: ٣٦ ـ ٣٧):   (مجزوء الكامل)

١ ـ أَبَنِيَّ إِنْ أَهْلِكْ فإِنْـــ   ـــنِي قَدْ بَنَيْتُ لَكُمْ بَنِيَّةْ[٥]
٢ ـ وَجَعَلْتُكُمْ أَبْناءَ سا   داتٍ زِنادُكُمُ وَرِيَّةْ[٦]
٣ ـ مِنْ كُلِّ ما نالَ الفَتَى   قَدْ نِلْتُهُ إِلاَّ التَّحِيَّةْ[٧]
٤ ـ كَمْ مِنْ مُحَيًّى لا يُوا   زِينِي، ولا يَهَبُ الرَّعِيَّةْ[٨]

= للأصمعي، والسجستاني، وابن السكيت (ضمن الكنز اللغوي) ٢١، ١١٥، ١٧٧، ٢٢٨، والأضداد لأبي الطيّب اللغوي ٢٣٧ وما بعدها.

(١) في إصلاح المنطق، والمجمل، واللسان: «دائِبا» وهو تحريف. ففي التكملة (غور) «قال الجوهري: الغاران: البطن والفرج، قال الشاعر:

أَلَمْ تَرَ أَنَّ الدَّهْرَ يَوْمٌ ولَيْلَةٌ   وأَنَّ الفَتَى يَسْعَى لِغارَيْهِ دائِبا

وكذا وقع في المُجْمَل، والإصلاح، واللسان. والرواية: (عانِيا).. والقافية يائيّة، والشعر لزُهَيْر بن جَناب»

(٢) القَصْد: الغاية والنهاية.

(٣) تحطُّ الرَّوابي: أراد أنّ الحوادث تهزُّ الرجالَ العظام.

(٤) سُلَيمان: أراد سُليمان الحكيم الذي سُخِّرت له الإنس والجنّ.

(٥) في المعمَّرون، والأغاني، والبصائر والذخائر، وتهذيب إصلاح المنطق: «قَدْ أَوْرَثْتُكُمْ مَجْدًا بَنِيَّهْ». وفي أَلِف با: «قَدْ تَرَكْتُ لَكُمْ بَقِيَّهْ». والبَنِيّة: البِناء، يعني بنيّة مَجْد.

(٦) في حماسة البحتري، والأغاني: «وتَرَكْتُكُمْ أَبْناءَ». وفي المعمّرون، وشرح القصائد السبع الطوال، وتاريخ ابن عساكر، وأَلِف با: «وتَرَكْتُكُمْ أَوْلاد». وفي أمالي المرتضى، ومعجم ما استعجم: «وتَرَكْتُكُمْ أَرْبابَ». وفي اللسان: «وَجَعَلْتُكُمْ أَرْبابَ». والزِّناد: جمع زَنْد: وهو العُود الأعْلَى الذي تُقْدَح به النار، والسفلى زَنْدَة، يقال: زَنْدٌ وارٍ، ووَرِيٌّ، إذا كان سريع النار.

(٧) في المعمّرون، وتاريخ ابن عساكر: «كلُّ الذي نالَ». وفي إصلاح المنطق، والأغاني، وحماسة الظرفاء: «ولكلِّ ما نالَ». والتحيّة: المُلْك، والتحيّة: البقاء.

وساق صاحب اللسان البيت، وعلّق عليه بقوله: «قيل أراد المُلْكَ، وقال ابن الأعرابي: أراد البقاء لأنّه كان ملكًا في قومه» ـ اللسان (حيا).

(٨) في المعمّرون: «الدَّعِيَّة» تحريف. والمُحَيّى: يعني مَلِكًا يُحَيّى. ويوازي: يسامي. والرعيّة: ما يتولاه الراعي.

٥ ـ وَلَقَدْ رَأَيْتُ النَّارَ للسُّـــ ـــلاَّفِ، تُوقَدُ في طَمِيَّهْ[(١)]

٦ ـ وَلَقَدْ رَحَلْتُ البازِلَ الْـــ ـــوَجْناءَ لَيْسَ لها وَلِيَّهْ[(٢)]

٧ ـ وَلَقَدْ عَدَوْتَ بِمُشْرَفِ الطُّـــ ـــرَفَينِ لَمْ يَغْمِزْ شَظِيَّهْ[(٣)]

٨ ـ فَأَصَبْتُ مِنْ حُمْرِ القَنَا نِ معًا ومِنْ حُمْرِ القَفِيَّهْ[(٤)]

٩ ـ وَنَطَقْتُ خُطْبَةَ ماجِدٍ غَيْرِ الضَّعِيفِ ولا العَيِيَّهْ[(٥)]

١٠ ـ والْمَوْتُ خَيْرٌ لِلْفَتَى وَلَيَهْلِكَنْ، وَبِهِ بَقِيَّهْ[(٦)]

١١ ـ مِنْ أَنْ يُرَى الشَّيْخَ البَجا لَ وَقَدْ يُهادَى بالعَشِيَّهْ[(٧)]

---

(١) في الأغاني، واللسان: ولقد شَهِدْتُ النَّار للأسْلاَّف». وفي شرح المفضّليّات للأنباري: «النَّارَ للأضيافِ» وفي البصائر والذخائر: «النارَ للإنقاذِ».
والسُّلاَّف: مفردها سالِف، وهو المتقدّم في السير. وطَمِيَّة: رأس جبل منيع كان به منزل الشاعر. والشاعر هنا يشير إلى يوم خَزازى ـ انظر فيه: الأغاني ١٩: ٢٣، والمعمّرون ٣٤، ومجمع الأمثال ٢: ٤٣٨ . وخَزازى، أو خَزاز: هو أوّل يوم غَلَتْ فيه نِزار على اليمن ـ أنظر النقائض ١٠٩٣، والعقد ٥: ٤٥، والعمدة ٢: ٢١٢، ومعجم البلدان (خزاز).

(٢) في الأغاني، وأمالي المرتضى، واللسان: «البازلَ الكَوْماءَ». ورَحَلْتُ: وَضَعْتُ الرَّحل على ظهر البعير. والبازِل: البَعير إذا بَزَل نابُه أي فطر وانشقّ. وذلك في السنة الثامنة أو التاسعة. والوجناء: الناقة العظيمة الوجنتَين أي الغليظة الصلبة، من الوَجِيْن، وهو الأرض الغليظة. الوَلِيَّة: البَرْذَعة. وقيل التي تحت البرذعة، وقيل كلّ ما وَلِيَ الظهر من كساء هو وَلِيّة.

(٣) في الأغاني، والجبال والأمكنة: «بِمُشْرِف القُطْرَيْن». وفي البصائر والذخائر: «بناسِر الطرفَين». وفي اللسان: «بِمشرف الحجبات». ومشرف الطرفَين: يعني فرسًا مُشْرِف العُنُق. وغَمزت الدابّة تَغْمِز غَمْزًا: ظَلَعَتْ من قبل رجلها ظلعًا خفيفًا. وهو عيب. والشظيّة: إبرة من العظم في وظيف الفرس لاصقة إذا تحرّكت من موضعها ظلع الفرس.

(٤) في الأغاني: «مِنْ بَقَرِ الْحَبابِ ضُحَىً». وفي الجبال والأمكنة: «فَأَصَبْتُ من عُمُر القَنا... نِ وَصِدْتُ مِنْ». وفي «غُمُرٍ» تحريف. وفي اللسان (بجل): «فأصبْتُ مِنْ بَقَر الْحبابِ وصِدْتُ مِنْ». والقَنان: جبل لبني أَسَد ترتع فيه الحُمُر. والقفيّة لعلّها مكان تهوي إليه حُمُر الوحش ـ كما يقول المحقّق الأستاذ محمود شاكر. والقفيّة: الناحية.

(٥) في الأغاني: «وَخَطَبْتُ». وفي تاريخ ابن عساكر: «وقَطَعْتُ». وفي البصائر والذخائر: «وَخَطَبْتُ.. الضعيفِ ولا العَيِيَّهْ». وفي المعمّرون: «غيرِ الضعيفةِ والعَيِيَّهْ». والعِيُّ: خِلاف البيان. وهو عَيٌّ وعَيِيّ، أي غيرُ مُفْصِح. وقال محقّق الطبقات: «وزاد التاء للمبالغة ـ كما يقال للرجل كريمٌ وكَريمة» ـ الطبقات ١: ٣٧ .

(٦) في المعمّرون، والأغاني: «فالمَوْتُ... فَلَيَهْلِكَنْ». وفي محاضرات الأدباء: «الموتُ... فَلَيَهْلِكَنْ». وفي تهذيب إصلاح المنطق: «المَوْتُ أَجملُ... فَلَيَهْلِكَنْ» وفي الشعر والشعراء، والبصائر والذخائر، واللسان (بجل): «فَلَيَهْلِكَنْ».

(٧) في المعمّرون، والبصائر والذخائر: «أن يُرَى.. تَهْدِيهِ وِلْدانُ المَقامةِ». وفي الأغاني، ومحاضرات =

وفي المعمّرون (٣٢):

١٢ ـ جَدُّ الرَّحِيلُ وما وَقَفْـــتُ عَلَى لَمِيسَ الأَرْأَشِيَّهْ[1]

١٣ ـ وَلَقى ثوائِي اليَوْمَ مَا عَلِقَتْ حِبالُ القاطِنِيَّهْ[2]

١٤ ـ حَتَّى أُوَدِّيَها إلى الْـــمَلِكِ الْهُمامِ بِذِي الثُّوِيَّهْ[3]

١٥ ـ قَدْ نالَنِي مِنْ سَيْبِهِ فَرَجَعْتُ مَحْمُودَ الحَذِيَّهْ[4]

ما يُنْسَب إلى زُهَيْر بن جَناب، وإلى غيرِهِ منَ الشعراء

(١)

في مسالك الأبصار (٧٥)[5]: (الطويل)

١ ـ أَلاَ أَصبَحَتْ أَسْماءُ في الْخَمْرِ تَعْذِلُ وَتَزْعَمُ أَنِّي بالسَّفاهِ مُوَكَّلُ[6]

٢ ـ فَقُلْتُ لَها: كُفِّي عِتابَكِ نَصْطَبِحْ وإلاَّ فَبِينِي فالتَّعَزُّبُ أَمْثَلُ[7]

(٢)

في الشعر والشعراء (١: ٣٨١)[8]: (الكامل)

١ ـ إِرْفَعْ ضَعِيفَكَ لا يُحِرْ بِكَ ضُعْفُهُ يَوْمًا فَتُدْرِكُهُ عَواقِبُ ما جَنَى[9]

= الأدباء: «وَقَدْ تَهادَى». وفي تهذيب إصلاح المنطق، وتاريخ ابن عساكر، واللسان (بجل): «يُقاد يُهْدَى بالْعَشِيَّهْ». والْبَجال: السيِّد له هَيْبةٌ وسِنٌّ وتَبْجيل. ويُهادَى: يعتمد على رَجُلَين، وهو بينهما، لِضَعفٍ فيه وتمايُل. وقال التبريزي في البيت «ففي يُرى ضمير يعود على الفتى قد قام مقام الفاعل فيه. والشيخ مفعولٌ ثانٍ، والبَجال نعت له» ـ تهذيب إصلاح المنطق ٢٧٨ .

(١) لَمِيس الأَرْأَشِيَّة: روى ابن الكلبي أنّها امرأة زَهير بن جناب ـ تاريخ ابن عساكر (٦ ق ٢٢٦/ب).

(٢) الثَّوَاء: المَقام والمكوث. وعَلِقَتْ: رَبِحَتْ وكَسِبَتْ. والقاطِنيّة: لم أجدْها فيما عدت إليه من المعاجم.

(٣) الهُمام: العظيم وذو الهمّة. وذُو الثُّوِيَّة: إسم موضع قريب من مكّة، وقيل: خُرَيْبة إلى جانب الحِيْرة على ساعة منها كانت سِجْنًا للنعمان بن المنذر.

(٤) السَّيْب: العَطاء، والعرْف، والنافلة. والحذِيّة: العطيّة، مِنْ حذاه إذا أعطاه.

(٥) ونُسِب البيتان، مع ثالث لهما، إلى زُهَيْر بن شَريك الكَلبي ـ نشوة الطرب ١: ١٧٢ ـ ١٧٣ .

(٦) السَّفاه والسَّفاهة: الْجَهْل ونَقِيض الحِلْم. والمُوَكَّل: القائم بالأمر والمسؤول عنه.

(٧) في نشوة الطرب: «عِتابَكِ نَصْطَحِبْ». ونصطبح: نشرب الصبوح. وهو ما يشرب في الغَداة، دون القائلة من لَبَنٍ أو خَمْر. وبِينِي: ابتعدي. والتَّعَزُّب: البُعْد. والأَمْثَل: الأفْضَل والأعْدَل.

(٨) نُسِبت الأبيات، أو بعضها، إلى غَرِيض اليَهُودِي، ووَرقة بن نَوْفَل، وزَيْد بن عَمْرو بن نُفَيْل، وعامِر ابن المُجْنون الجَرْمي ـ أنظر التخريج.

(٩) في محاضرات الأدباء: «لا يَسُوؤكَ ضُعْفُه.. الْعَواقِبُ قَدْ غَنَى». وفي جَمْهرة نَسَب قُرَيْش: «لا يَحُلْ بِكَ». وهي صحيحة المعنى. وفي الحماسة الصغرى، ونَسب قريش، وجمهرة نسب قريش، والمعاني الكبير، والبرهان، وسمط اللآلي، وزَهْر الآداب، والخزانة: «الْعوَاقِبُ قَدْ نَمى». وفي =

٢ ـ يَجْزِيْكَ أَوْ يُثْنِي عَلَيْكَ وإِنَّ مَنْ أَثْنَى عَلَيْكَ بما فَعَلْتَ كَمَن جَزَى[1]

وفي بهجة المجالس (١: ٣١٠ ـ ٢٠٠):

٣ ـ إِنَّ الْكَرِيْمَ إذا أَرادَ وِصالَنَا لَمْ يُلْفِ حَبْلِيْ واهِيًا رَثَّ القُوَى[2]

٤ ـ أَرْعَى أَمانَتَهُ وأَحْفَظُ غَيْبَهُ جَهْدِي فَيَأْتِي بَعْدَ ذَلِكَ ما أَتَى

(٣)

في المزهر (٢: ٤٧٦)[3]: (الوافر)

١ ـ إذا قالَتْ حَذامِ فَصَدِّقُوها فإِنَّ الْقَوْلَ ما قالَتْ حَذامِ[4]

(٤)

في السيرة النبويَّة (١: ١٢٩)[5]: (الوافر)

١ ـ أَلاَ مَنْ مُبْلِغٌ عَنِّي رِزاحًا فإِنِّي قَدْ لَحَيْتُكَ في اثْنَتَيْنِ[6]

٢ ـ لَحَيْتُكَ في بَنِيْ نَهْدِ بنِ زَيْدٍ كما فَرَّقْتَ بَيْنَهُمُ وبَيْنِي

٣ ـ وَحَوتَكَةَ بنِ أَسْلَمَ إِنَّ قومًا عَنَوْهُمْ بالْمَساءَةِ قَدْ عَنَوْنِي[7]

= تاريخ ابن عساكر: «العواقبُ ما جَنَى». وفي شرح نهج البلاغة: «الحوادِثُ قد نما». ولا يَحُرْ: لا يَرْجِعْ بك. وحارَ إلى الشيء، وعنه، حَوْرًا ومَحاراً ومَحارةً وحُؤُورًا: رَجَعَ عنه وإليه.

(١) في بَهْجَة المَجالِس: «وأَجزِيْهِ أو أُثْنِي عليهِ فإِنَّ مَنْ». وفي العقد: «فإِنَّ مَنْ». وفي الحماسة الصغرى، وجمهرة نسب قريش، والبرهان، وسمط اللآلي، وشرح نهج البلاغة: «فقد جزى».

(٢) الواهِي: الضعيف. والرَّثُّ: البالي.

(٣) نُسِبَ البيت أيضًا إلى لُجَيْم بن صَعْب، وإلى دَيْسَم بن طارِق، وإلى عِجْل بن لُجَيْم ـ أنظر التخريج.

(٤) في أساس البلاغة، ومجمع الأمثال: «حَذامِ فانْصِتُوها» وحَذام: إسم امرأة مبني على الكَسْر. وهو مأخوذ من الحَذْم، أي القطع السريع. وحَذامِ هذه هي حذامِ بنت ريّان. وهي زوجة عِجْل بن لُجَيْم، أو لُجَيْم بن صَعْب. وقيل: إنّ هذه المرأة قالت قولاً صدقت فيه، فقال زوجها هذا البيت، فصار شطرُه الثاني مَثلاً، وفي رواية أخرى أنّ حَذامِ بنت الريّان قد نَبَّهت أباها على خطر أعدائه عندما طار القطا ليلاً، وقالت:

أَلاَ يا قَوْمَنا ارْتَحِلُوا وسِيْرُوا فَلَوْ تُرِكَ القَطَا ليلاً لَنَامَا

فلم يلتفتوا إلى قولها، فقال دَيْسَم بن طارِق:

إذا قالَتْ حَذامِ فَصَدِّقُوها فإِنَّ القولَ ما قالَتْ حَذامِ

أنظر مجمع الأمثال ٢: ١٠٦ و١٧٥، وشروح سقط الزند ١٥٠٨ ـ ١٥٠٩.

(٥) في السيرة رُوِيَتْ هذه الأبيات لِقُصَيّ بن كِلاب، ثمَّ جاء بعدها: «قال ابن هشام: وتُرْوَى هذه الأبيات لِزُهَيْر بن جَناب الكلبي». وانظر التخريج.

(٦) لَحَيْتُكَ: لُمْتُكَ، من لَحا الرجل يَلْحاه لَحْيًا، إذ لامَهُ وشَتَمَهُ وعَنَّفَهُ.

(٧) في الاشتقاق: «وأَحْوَتَكَ يا بْنَ.. عَنَوْكُمْ». وفي الروض الأنف: «وَحَوْتَكَة... عَنَوْكُمْ». والحَوْتَك: الصغير من كلّ شيء. وبنو حَوْتَك: من قبائل جَرْم بن ربّان بن قُضاعة. ـ أنظر الاشتقاق ٥٤٣ وما بعدها.

تخريج شعر زهير بن جناب الكلبي

(١)

١ ـ ١٤ في الأغاني ١٩: ١٦ ـ ١٧ لِزُهَيْر بن جَناب.

١ ـ ٢، ٤ ـ ٥، ٧، ٩ ـ ١١ في الكامل لابن الأثير ١: ٥٠٣ لِزُهَيْر بن جَناب

٢ في المختصر في أخبار البشر ١: ٧٦ لِزُهَيْر بن جَناب.

(٢)

١ ـ ٤ في المعمّرون والوصايا ٣٤، والأغاني ١٩: ٢٣، وتاريخ ابن عساكر (٦ ق ٢٢٧/أ) لِزُهَيْر بن جَناب.

١ ـ ٢ في حماسة البحتري (ط ٢) ١٠١، وأمالي المرتضى ١: ٢٤١، ومختار الأغاني ٤: ١٧٧ لزهير بن جناب.

٢ ـ ٤ في الأزمنة والأمكنة ٢: ٢٧٣ لِزُهَيْر.

٣ في معجم ما استعجم ٤٩٧، ومجمع الأمثال ٢: ٤٣٨، ومعجم البلدان (السلان) لِزُهَيْر.

٤ في خزانة الأدب (بولاق) ٢: ٢٣٠ لِزُهَيْر.

(٣)

١ ـ ٢ في الأغاني ١٩: ٢٥، ومختار الأغاني ٤: ١٧٨ لزهير بن جناب.

(٤)

١ ـ ١١ في الأغاني ١٩: ١٩ لزهير.

٢ ـ ٨، ١٠ ـ ١١ في الكامل لابن الأثير ١: ٥٠٥ لزهير

٢ ـ ٥، ٧ ـ ١١ في مختار الأغاني ٤: ١٧٦ لزهير.

(٥)

١ في شروح سقط الزند (التبريزي) ٧٦٦ لزهير

(٦)

١ ـ ٢ في جمهرة النسب ٢: ٣١١ لزهير

(٧)

١ ـ ٢ في الأغاني ١٩: ٢٣ لزهير

(٨)

١ ـ في أنساب الأشراف: ١: ١٩، وتاريخ ابن عساكر (٦ ق ٢٢٨/ أ) لِزُهَير

(٩)

١ ـ ٣ في تاريخ ابن عساكر (٦ ق ٢٨٨/أ) لِزُهَيْر

(١٠)

١ ـ ٢ في أنساب الأشراف ١: ١٩، وتاريخ ابن عساكر (٦ ق ٢٢٨/أ) لِزُهَيْر

٢ ـ ٦ في معجم ما استعجم ٣٠، ومعجم البلدان (صحار) لزهير.

(١١)

١ ـ ٢ في الجيم ١: ١٥٢ و١٨٠، وعجز الأوّل في الجيم ١: ١٨٥ لزهير.

٣ في الجيم ٣: ٧ لزهير، واللسان (دون) لزهير بن خباب، وهو خطأ.

(١٢)

١ في شرح القصيدة الدامغة ١٠٠ لزهير.

(١٣)

١ ـ ٣ في شرح أشعار الهذليّين ٢: ٥٦٦، ٥٧٣، وديوان الهذليّين ٣: ١١٣ لزهير بن جناب

٣ في التهذيب ١٠: ٤٨١، واللسان، والتاج (جرر) لزهير.

(١٤)

١ ـ ٢ في الأغاني ١٩: ٢٤٠، والمعمّرون ٣٦، وتاريخ ابن عساكر (٦ ق ٢٢٧/أ) لزهير.

(١٥)

١ ـ ٢٣ في منتهى الطلب (١ ق ١٠٢ ـ ١٠٣) لزهير

١ ـ ١٠، ١٦ ـ ١٨، في الأغاني ١٩: ٢٥ ـ ٢٦ لزهير

٢٠ ـ ٢١

٨ ـ ١٠ في خزانة الأدب (بولاق) ١: ٣١١ لزهير و(ط هارون ٢: ١٩١) وهنا أنشد البغدادي هذا البيت

«أدارًا بَجزْوَى هِجْتِ لِلْعَيْنِ عَبْرَةً ... فَماءُ الْهَوَى يَرْفَضُّ أَوْ يَتَرَقْرَقُ»

ثمّ قال: «هذا البيت مَطْلِعُ قصيدة طويلة لذي الرُّمّة، عِدَّةُ أبياتها سَبْعةٌ وخَمْسون بيتًا، كلّها غَزَل وتَشْبِيْب بمَي. وقد أخذه من زُهَيْر بن جَناب، وهو شاعر جاهليّ من قصيدة منها: (الأبيات)». وذكر البغدادي الأبيات الثلاثة ثمّ قال: «وقد أخذ منه بيتًا آخر هو:

وَقَفْنا فَسَلَّمنا فكادت بمُشْرِفٍ ... لعرفانِ صوتي، دِمْنَةُ الدّار تَنْطِق»

والبيت ليس في القصيدة التي رواها صاحب مُنْتَهى الطلب لزهير.

(١٦)

١ ـ ٣ في نشوة الطرب ١: ١٧٣ لزهير

(١٧)

١ ـ ٣ في تهذيب اللغة ٢: ٤٢٠ والتكملة والذيل (علم) لزهير. وهي ضمن قصيدة من ١٣ بيتًا في ديوان عَمْرو بن قَمِيْئة (ط بغداد) ص ٤٥ ـ ٤٦ .

١، ٣، ٢ في اللسان (علم) لزهير.

٣ في التكملة والذيل (عله). وهنا قال الصغاني: «إنّ الجوْهري نَسَبُه إلى عَمْرو بن قَمِيْئة». وصحَّح صاحب التكملة نِسْبته إلى زهير ابن جناب، وأضاف: «ويُروى لعُبَيْدة رجل من بني سعد بن ثَعْلبة». والبيت في معجم ما استعجم ٩٦٥ لعمرو بن قميئة وهو في اللسان (عله) لعمرو بن قميئة، ثمّ عن تهذيب اللغة لزهير بن

جناب.

(١٨)

١ ــ ٢ في المؤتلف والمختلف ١٩١، وحلية المحاضرة ١: ٢٩٩ ــ ٣٠٠، وأمالي المرتضى ٢: ٢٤٣ ومحاضرات الأدباء ٣: ٦٨، وتاريخ ابن عساكر (٦ ق ٢٨٨/أ)، ونشوة الطرب ١: ١٧٣ لزهير بن جناب. وفي التذكرة السعديَّة ٤٥٤ لإبراهيم بن جَناب الكلبي، وهو خطأ.

(١٩)

١ ــ في أسماء المغتالين (نوادر المخطوطات مج ٢: ١٢٨)، وشرح القصيدة الدامغة ١٦٤ لزهير.

(٢٠)

١ ــ ٥ في الأغاني ١٩: ١٩، ومختار الأغاني ٤: ١٧٦ لزهير.

١ في أساس البلاغة (قبب)، والتكملة والذيل (بجج) لزهير.

(٢٢)

١ ــ ٤ في المعمّرون ٣٤، والأغاني ١٩: ١٤، ٢٣ وأمالي المرتضى ١: ٢٤٠، وتاريخ ابن عساكر (٦ ق ٢٢٧/أ) لزهير.

٢ في أساس البلاغة (عزب) دون عَزو.

(٢٣)

١ ــ ٢ في المعمّرون ٣٥، وأمالي المرتضى ١: ٢٤١، وتاريخ ابن عساكر (٦ ق ٢٢٧/أ) لزهير.

(٢٤)

١ ــ ٧ في الأغاني ١٩: ٢٦ ــ ٢٧ لزهير.

١ ــ ٢ في مختار الأغاني ٤: ١٧٨ لزهير.

٢ في حماسة البحتري ١٥ لزهير.

٨ في الوحشيَّات ٢٦٥، والشعر والشعراء ١: ٣٨١ لزهير.

(٢٥)

١ ـ ٥ في التكملة والذيل، والتاج (غور) لزهير.

٢ في إصلاح المنطق ٣٩٦، والمجمل ٦٩٠، وتهذيب إصلاح المنطق ٨١٨، واللسان (غور) دون عزو.

(٢٦)

١٢ ـ ١٥، ١ ـ ١١ في المعمّرون ٣٢ ـ ٣٣ لزهير، وساق أبو حاتم السجستاني الأبيات ١٢ ـ ١٥ أوّلاً، ثمّ ساق الأبيات ١ ـ ١١ مرتّبة حسبما جاءت في طبقات فحول الشعراء، وكان قال بعد الأبيات الأربعة الأولى (١٢ ـ ١٥): «ويقال أوّلها كما أخبرنا أبو زيد الأنصاري عن المفضّل: «أبنيّ إن أهلك». ثمّ ساق الأبيات ١ ـ ١١ كما أسلفنا. وترتيب الأبيات عند السجستاني في المعمّرون هو ذاته في تاريخ ابن عساكر (٦ ق ٢٢٦/أ وق ٢٢٧/أ). وهي لزهير أيضًا.

١ ـ ١١ في طبقات فحول الشعراء ١: ٣٦ ـ ٣٧ لزهير. وزاد المحقّق الأستاذ محمود شاكر الأبيات من ٤ ـ ٩ من المصادر الأخرى. والأبيات في البصائر والذخائر ٤: ١٠١ ـ ١٠٣ لزهير.

١ ـ٣، ٥ ـ ١١ في الأغاني ١٩: ٢٢، واللسان (بجل) لزهير.

١ ـ ٣، ٦، ٩، ١٠، ١١ في أمالي المرتضى ١: ٢٤٠ ـ ٢٤١ لزهير.

١ ـ ٣، ١٠ ـ ١١ في حماسة البحتري ١٠١، والزينة ١: ٣٥ ـ ٣٦ لزهير.

١٠ ـ ١١، ١ ـ ٣ في مختار الأغاني ٤: ١٧٠ ـ ١٧١ لزهير.

١ ـ ٣ في المؤتلف ١٩٠، وشرح القصائد السبع ٢٩٨، والروض الأنف ١: ١١٠، والألِف با ٢: ٨٨، واللسان (حيا) لزهير.

١ ـ ٢، ١٠ ـ ١١ في تهذيب إصلاح المنطق ٢٧٧ لزهير.

١، ٣، ٥ في شرح المفضّليّات لابن الأنباري ١١٧ لزهير.

٣، ١٠، ١١ في حماسة الظُّرفاء ٢: ٨ دون عزو.

٣ في إصلاح المنطق ٣١٦، وتهذيب إصلاح المنطق ٦٧٠، والمخصّص ٢: ١٨٩، واللسان، والتاج (حيا) والمزهر ٢: ٤٧٦

لزهير.
وفي محاضرات الأدباء ٢: ٤٥٦ لِلجُيْم بن صعب.

٧ ـ ٨ في الجبال والأمكنة ١٩١ لزهير.

١٠ ـ ١١ في محاضرات الأدباء ٣: ٣٣٢ لزهير بن حباب، وهو تصحيف، والصواب جَناب.

١١ في الجيم ١: ٩١، وإصلاح المنطق ١٠٨، والبارع ٦٥٠ لزهير.

تخريج ما نُسِب إلى زهير بن جَناب وإلى غيره من الشعراء

(١)

١ ـ ٢ في مسالك الأبصار ٧٥ لزهير بن جناب، وهما مع ثالث لهما في نشوة الطرب: ١: ١٧٣ ـ ١٧٤، والمختصر في أخبار البشر ١٠٠ لزُهَيْر بن شَرِيك الكلبي.

(٢)

١ ـ ٢ في الشعر والشعراء ١: ٣٨١، والعقد ١: ٢٧٩، ٥: ٢٧٥، وتاريخ ابن عساكر (٦ ق ٢٢٦/أ) لزهير بن جناب.
وهما في محاضرات الأدباء ٢: ٥٧ دون عزو. وفي جمهرة نسب قريش ٤٠٩ ـ ٤١٠، ضمن قصيدة من ١٠ أبيات، لوَرَقة ابن نَوْفل. وأضاف الزبير بن بكّار: إنّ البيتَين الأخيرَين، وهما بيتانا هنا، رُوِيا لليهوديّ.
والبيتان في نَسب قريش ٢٠٧ ـ ٢٠٨، والأغاني ٣: ١١٨، ضمن قصيدة من ١٠ أبيات، وسمط اللآلي ٢٠٦، والخزانة ٢: ٣٩ (بولاق) لورقة بن نوفل. وهما في الوحشيّات ١١٠، ضمن قصيدة من ١٢ بيتًا، لسَعْيَة بن غَرِيْض اليهوديّ.
وفي الأغاني ٣: ١١٧، وزهر الآداب ٢: ٢٠٥، ومجموعة المعاني ١٢٨، لغريض اليهوديّ. وجاء في زهر الآداب: «رُوِيَ عن عائشة رضي الله عنها قالت: كان رسول الله ﷺ كثيرًا ما يستنشد قول اليهوديّ (البيتَين)». وهما في الأبيات التي ألحقها

محقّق ديوان السموأل إلى الديوان ـ الملحق ٥٣ .

٣ ـ ٤، ٢ في بهجة المجالس ١: ٣١٠ ـ ٣١١، وقال ابن عَبْدِ البَرِّ بعدها: «وهذا الشعر لا يصحّ فيه إلاّ ما رُوِيَ عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة أنّه لغريض اليهوديّ. وهو الغريض بن السموأل بن عادياء من ولد الكاهن هرون بن عامر بن ساعر. وأمّا أهل الأخبار فاختلفوا في قائله، فقيل هو لورقة بن نوفل، وقِيْل لزهير بن جناب، وقيل لعامر بن المجنون، وقيل لزيد بن عمرو بن نفيل، ومنهم مَن قال إنّه ليزيد بن عمرو أو ورقة بن نوفل، البيتان الأوّلان. والصحيح فيها وفي الأبيات وغيرها أنّها للغريض اليهوديّ، والله أعلم».

(٣)

١ في المزهر ٢: ٤٧٦ لزهير. وفي الكامل في اللغة ٢: ٧١، والاشتقاق ١١٨، وتهذيب اللغة ٤، ٤٧٥، والصحاح (رقش)، وإيضاح الوقف والابتداء ١٩٨، وأساس البلاغة (نصت)، وشروح سقط الزند ٥١٢، وشروح نهج البلاغة ٩: ٣٠، وشَرح المفصّل، ٤: ٦٤ دون عزو.

وفي الفاخر ١٤٦، ومجمع الأمثال ٢: ١٧٥، لديسم بن طارق. واللسان، والتاج (حذم) لوسيم بن طارق. ولعلّه (ديسم). وفيهما: «ويُقال لِلُجَيْم بن صَعْب». وفي الفاخِر: «حكى أبو عبيدة أنّه سمع ابن الكلبي يقول: إنّ هذا البيت للجيم بن صعب والد حَنِيْفة وعِجْل ابني لُجَيْم، وكانت حذامِ، امرأته».

وفي الزينة ١: ٣٦، والإكمال ٣: ١٣٢، وشروح سقط الزند (البطليوسي) ١٥٠٩، ومجمع الأمثال ٢: ١٠٦، وما بنته العرب على فعال ٨٩، واللسان (رقش) للجيم بن صعب. وفي شروح سقط الزند (الخوارزمي) ١٥٠٩ لدميس بن ظالم الأعصري، وفي الشروح نفسها (التبريزي) ١٥٠٨ لعجل بن لجيم.

(٤)

١ ـ ٣ في السيرة النبويَّة ١: ١٢٩، والروض الأُنف ١: ١٥٢، لقصيّ ابن كِلاب، ثمَّ لزهير بن جناب. ويبدو أنّ هذه الأبيات لقصيّ، وليست لزهير، فقد قال ابن هشام: «وقد كان بين رِزاح بن ربيعة حين قَدِم بلاده، وبين نَهْد بن زَيْد وحَوْتَكة بن أَسْلَم وهما بطنان من قُضاعة شيء، فأخافهم حتّى لحقوا باليمن، وأُجْلوا من بلاد قضاعة، فهم اليوم باليمن، فقال قصيٌّ بن كِلاب، وكان يحبّ قضاعة ونماءها واجتماعها ببلادها، لِمَا بينه وبين رِزاح من الرحم، ولبلائهم عنده إذ أجابوه إذ دعاهم إلى نصرته، وكره ما صنع رزاح: (الأبيات)، السيرة ١: ١٢٩، وقارن بمعجم ما استعجم ٣٠، ٣٩.

٣ في الاشتقاق ٥٤٦ لزهير.

٣٧ ـ أُحَيْحَةُ بنُ الْجُلاَحِ الأَوْسِيّ

أُحَيْحَة بنُ الجُلاَح شاعِرٌ جاهِليّ قديم، ينتمي إلى قبيلة الأَوْس، التي كانت تقطن مدينة يَثْرِب مع أختها الخَزْرَج إثر هجرتهما من اليمن بسبب خراب سدّ مأرب. وقد ذكرته مصادر كثيرة، وساقت له مجموعة طيّبة من الأخبار والأشعار. وما توفَّر لنا معلومات عنه يمكّننا من البحث في اسمِهِ ونسبِهِ، وزمانه، وحروبه التي كان منها حَرْب سُمَيْر، وحرب كَعْب بن عَمْرو، وقصّته مع قيس بن زُهَيْر بن جَذِيْمة العبْسِي. ويَجْعَلُنا نحاول رسم صورة مبسّطة عن صفاته. أمّا شعرُه فقد تيسر لنا جَمعُ (١٢٣) بيتًا منه، من بينها «مذهّبته» التي أوردها له أبو زَيد القُرَشِيّ في **جَمهرة أشعار العرب**، و«أصمَعِيَّتُه» التي أدرجها الأصمعيّ في مختاراته المعروفة باسمه.

إسمُه ونَسبُه

هو أُحَيْحَة بن الجُلاَح بن الْحَرِيش بن جَحْجَبَى بن كُلْفة بن عَوْف بن عَمْرو ابن عَوْف بن مالِك بن الأَوْس بن حارِثة بن ثَعْلَبة بن عَمْرو بن مُزَيْقِيَاء بن عامِر بن

ماء السَّماء بن حارِثة بن الغِطْرِيْف بن امرئ القَيْس بن ثَعْلبة بن مازِن بن الأزد. ونَسب الأزد هو: الأزد بن الغوث بن نَبت بن مالِك بن زَيْد بن كَهْلان بن سَبَأ بن يَشْجُب بن يَعْرب بن قَحطان[1].

وضَبَط اسمَ شاعرنا صاحبُ الخزانة، فقال: «وأُحَيْحَة بضمّ الهمزة وبالحاءَين المُهْمَلَتَيْن مُصَغَّر الأَحِيْحَة[2]، وهو الغَيظ وحزازة الغَمّ، والجُلاَح بضمّ الجِيْم وتخفيف اللام وآخره حاء مُهْمَلَة، وهو، في اللغة، السَّيْلُ الجُراف. والحَرِيْش بفتح الحاء وكسر الراء المهملتَين وآخره شين معجمة، وهو نوع من الحيّات أَرْقَط، و(جَحْجَبَى) بحاء مُهْمَلة ساكنة بين جِيْمَيْن مَفْتُوحَتَين، وبعد الموحَّدة أَلِفٌ مقصورة.. و(كُلْفة) بضمّ الكاف وسكون اللاّم»[3].

ويكْنَى أُحَيْحَة أبا عَمْرو[4]. وقد كان عبد الملك بن مَرْوان يعرف أُحَيْحة بهذه الكنية، وذلك في خبر ذكره النّهرواني (٣٩٠ هـ ـ ٩٩٩ م)، يشير إلى معارف عبدالملك من جهة، وإلى اشتِهار أُحَيْحة بهذه الكُنْية حتّى العصر الأموي من جهة أخرى[5].

ووالدة عَمْرو بن أُحَيْحة، هي سَلمى بنت عَمْرو بن زَيْد بن لَبِيْد النَّجّاريَّة، وكان أُحَيْحَة قد تزوّجها، فولدت له عَمْرًا ومَعْبَدًا، ثمّ طلَّقها، فخَلَفهُ عليها هاشِم بن عَبْد مَناف جدّ الرسول ﷺ الثاني ـ فأنجبَت له (عَبْدَ المُطَّلِب)[6]. وكانت سَلْمَى امرأة حُرَّة أمرُها بيدِها، إذا أغْضبَها شيءٌ من الرجل طلَّقته. وقد عُدَّت من النساء

---

(١) أنظر ابن حَزم: جَمهرة أنساب العرب ٣٣٥ و٣٣٢ و٤٨٤، وانظر في نسب أُحَيْحة: الأصفهاني: الأغاني ١٥: ٣٧، والسُّهَيْلي: الروض الأنف ١: ١٦٢، وابن قُدامة المقْدِسي: الاستبصار ٣٠٧، وابن حُجْر: الإصابة ١: ٢٤، والبغدادي: الخزانة: ٣: ٣٥٧

(٢) يقول ابن دُرَيْد في كتابه الاشتقاق: أُحَيْحَة من الأَحاح، والأُحاح ما يَجِدُ الإنسان في صدره من حرارة الغَيْظ ـ الاشتقاق ٤٤١ .

(٣) البغدادي: خزانة الأدب ٣: ٣٥٧ .

(٤) أنظر ابن حَبيب: كُنَى الشعراء (ضمن نوادر المخطوطات) ٢: ٢٩٤ والبغدادي: م. س ٣: ٣٥٧ .

(٥) أنظر النهرواني: الجليس الصالح الكافي ١: ٤٧٨ ـ ٤٧٩ .

(٦) أنظر في زواج سلمى من أُحَيْحة أوّلاً، ثمّ زواجها من هاشِم ثانيًا: ابن الكلبي جَمْهرة النسب (ط الكويت) ١: ٩٦، وابن قُتَيْبة: المعارف ١٣٠، وابن دُرَيْد: الاشتقاق ٩، والأصفهاني: الأغاني ١٥: ٤٩، وابن قُدامة المَقدِسي: الاستبصار ٣٠٩، والبغدادي: م. س ٣: ٣٥٨، وفي أنساب الأشراف ١: ٦٤ ذكر البلاذري أنّ أُحَيْحَة مات عن سَلْمى، بعد أن ولدت له ولدَين، هما عَمْرو ومعبد، وقد هلكا أيضًا، ثمّ خطبها هاشِم. وهو خبر يخالف إجماع الروايات السابقة.

المُنجِبات لولادتها عَبْدَ المُطَّلِب[1]. وذكرت مصادر متأخّرة خَبَرًا يعكس ترتيب زواجَي سَلمى: من أُحَيْحَة ثمّ من هاشِم، بحيث صارا: من هاشِم أوّلاً، ثمّ من أُحَيْحَة[2].

ونقع عند ابن قُدامة المقدسي (٦٢٠ هـ ـ ١٢٢٣ م) على خبرَين يفيد أوّلهما أنّ أُحَيْحَة خَلَفَ هاشِمًا على امرأة تُدْعَى أسماء، فولدت له عمرًا ومعبدًا وأنيسة. وهو خبر فريد، إذ لم يُذكر في أيٍّ من المصادر التي عُدنا إليها أنّ أم عمرو ومعبد تدعى أسماء، ولكن الخبر يفيدنا ـ إن صَحّ ـ بأنّ لأُحَيْحة ابنةً تدعى أنيسة.

والخبر الثاني يُطلِعنا على أنّ لأحيحةَ ولدًا رابعًا يقال له سُهَيْلاً. وقد نعته ابن قُدامة المَقْدِسي بأنّه جاهليّ شريف، ولعلّ أباه أحيحة هو الذي خاطبهُ قائلاً:

ألاَ أبـلِـغ سُـهَـيْـلاً أنّـــــ ... نِـــي ما عِـشْـتُ كـافِـيْـكَـا

فـلا يُـلْـهِـيْـكَ عـن مـالِـــــ ... ــكَ فـي قَـوْمٍ تَـرَائِـيْـكَـا

وشَـــدِّدْ طَـــبَـــقَ الحَيْـــزُوْ ... مِ إنَّ الْـمَـوْتَ لاقِـيْـكَـا[3]

وفي الاستبصار أيضًا نقع على ابن خامس لأُحَيْحة، هو عُقْبَة. وقد أنجب عقبة هذا ولدًا يدعى مُحَمَّدًا، وأنجب محمّد المُنذِر، وشَهِدَ بَدْرًا، وقُتِلَ يومَ بئرِ مَعُوْنة[4]. وذكر البغدادي حفيدَ أُحَيْحة الثاني هذا، فقال: «والمنذر بن محمّد بن عقبة بن أُحيحة، صحابيّ شهد بَدْرًا، وقُتِل يوم بئر معونة، كذا في **الجمهرة**. وعدّ عبدان في الصحابة محمّد بن عُقْبة هذا، لكنّه نسبه إلى جدّه، فقال: محمّد بن أُحَيْحة. وقال بلغني أنّه أوّل مَن سُمّيَ مُحمَّدًا في الجاهليّة... قال ابن الأثير: مَن يكون أبوه تزوّج سَلْمى أمّ عَبْدِ المطَّلب، مع طُولِ عُمْر عَبْدِ المطَّلب، كيف تكون له صُحبةٌ مع النبيّ ﷺ؟ هذا

(١) ابن حبيب: **المحبّر** ٤٥٦ و٤٥٧.
(٢) أنظر ابن ظُفْر: أنباء نُجَباء الأبناء ١٦٤، وابن الأثير: **أُسْد الغابة** ٤: ٨٣، وابن حُجْر: **الإصابة** ١: ٢٤.
(٣) أنظر ابن قدامة: **الاستبصار** ص ٣١٣. وقُلنا: لعلّ الأبيات لِأُحَيْحَةَ، لأنّ محقّق الاستبصار الأستاذ علي نُوَيْهِض لم يتمكّن من قراءة اسم قائلها، كما يذكر هو في حاشية الصفحة المذكورة. وقد تأكّد لنا أخيرًا أنّها لِأُحَيْحَة.
(٤) م. ن ٣١٥. وفي **الاشتقاق** ٩ أنّ محمّدًا هو ابنٌ لبلال بن أُحَيْحة، وليس ابنًا لعقبة ولم نقرأ في غير الاشتقاق أنّ لأحيحة ولدًا يُدعى بلالاً وقد ولد محمّدًا.

بعيدٌ، ولعلّه محمّد بن المنذر بن عقبة بن أُحَيحَة الذي ذكروا أباه فِيْمَنْ شهد بدرًا. قال ابن حُجْر في **الإصابة**: وفيه نَظر، لأنّهم لم يذكروا للمنذر ولدًا اسمه محمّد، انتهى ـ والصواب ما في **الجمهرة**، وبه يزول الإشكال»[1].

ولكنّنا حين نُراجع **الإصابة** نجد ابن حُجْر (٨٥٢ هـ ـ ١٤٤٨ م) يُميِّز بين اثنَين دُعِيا باسم أُحَيْحة بن الجُلاَح، وكلاهما أبو عَمرو، فيقول: «وأُحَيْحة بن الجُلاح المشهور كان جاهليًّا شريفًا في قومه مات قبل أن يولَد النبيّ ﷺ بدَهْر. ومن ولده محمّد بن عُقْبة بن الجُلاَح أحد من سُمِّيَ محمّدًا في الجاهِليَّة... ومات محمّد بن عقبة في الجاهليَّة، وأسلم ولدُهُ المنذرُ بنُ محمّد، وشهد بدرًا وغيرها، واستشهد في حياة النبيّ ﷺ، ببئر معونة»[2].

وتأييدًا لكون محمّد بن عقبة بن أحيحة جاهليًّا، نذكر أنّ ابنَ قُدامة المَقدسي قال فيه: إنّه جاهليٌّ فارس شريف نافر الزبرقان بن بَدْر[3].

زمان أُحَيْحة

في الذي تقدَّم عن أسرة أُحَيْحة ما يشير إلى قِدَمِهِ، وما لو دَقَّقنا فيه، لَكَشف لنا عن زمنه التقريبيّ، فهو أوّلاً زوج سَلمى النجّاريَّة، التي صارت، أو كانت، زوجًا لهاشم ابن عَبْد مَناف، وفي الوقت نفسه، أمًّا لعَبْدِ المُطَّلب، وهما جَدًّا الرسول ﷺ الأوّل والثاني. وقد قال ابن سَلاَّم في علاقتهما بأوَّليَّة الشعر العربيّ: «ولم يكن لأوائل العرب من الشعر إلاَّ الأبيات يقولها الرجل في حاجته، وإنّما قُصِّدتِ القصائد، وطُوِّلَ الشعر على عهد عَبْد المُطَّلب وهاشِم بن عَبْد مَناف. وذلك يدلّ على إسقاط شِعر عاد وثَمود وحِمْيَر وتُبَّع»[4]. فخبر ابن سلاّم هذا يشير إلى أنّ تقصيد القصائد وتطويل الشعر كانا أيضًا في عهد أُحَيْحة، الذي كان يعاصر هاشم بن عَبْد مَناف، وإن كان أحدهما في

---

(١) البغدادي: **الخزانة**: ٣: ٣٥٧ ـ ٣٥٨.

(٢) ابن حُجْر: **الإصابة** ١: ٢٤، ومن الغريب أنّ ابن حجر يعود فيذكر محمّد بن عقبة بن أُحَيْحة بين الصحابة ـ أنظر **الإصابة** ٣: ٥٠٨ بعد أن كان قد قال ومات محمّد في الجاهليّة ـ **الإصابة** ١: ٢٤. وقد صحَّح هذا الغَلَط صاحب **الخزانة** باعتماده رواية مؤلِّف **الجمهرة** التي تقول: إنّ المنذر بن محمّد بن عقبة بن أحيحة هو الصحابي الذي أسلم وشهد بدرًا واستشهد في يوم بئر معونة، حسبما ذكر أعلاه.

(٣) ابن قُدامة: **الاستبصار** ٣٠٨ و٣١٥.

(٤) ابن سلاّم: **طبقات فحول الشعراء** ١: ٢٦.

يَثْرِب، والآخر في مكّة، وعليه فإنّ معرفتنا بزمن هاشم تعني معرفتنا بزمن أُحَيْحة.

ولنبدأ بتعرّف حياة عَبْدِ المُطَّلب بن هاشم، فقد روى ابن هشام في السيرة أنّه: «لمّا بلغ رسول الله ﷺ ثماني سنين هلك عبد المطّلب بن هاشِم، وذلك بعد الفيل بثماني سنين»[1]. ومن الشائع والمعروف أنّ عام الفيل هو العام الذي هاجم فيه (أَبْرَهَة الحَبَشيّ)، حاكم اليمن، مكّة. وقد أشرنا في بحث زُهَيْر بن جَناب، قبل قليل، إلى أنّ الدكتور (خالد العسلي) قارن بن ما اكتُشف من نقوش في شبه الجزيرة العربيّة، وبين الروايات العربيّة عن عام الفيل، وخلص إلى أنّ حَمْلَة (أَبْرَهة) على شمالي الجزيرة التي لم يُشر إليها (بروقوبيوس) إلاّ مرّة واحدة، وقعت حسب النقش RY 506 في السنة ٦٢٢ سبئي، وهي تقابل السنة ٥٤٧ أو ٥٥٢ م. وهو تاريخ عام الفيل حسب رواية الزُّهري[2].

ولهذا فإنّ عامَ الفيل هو جزء من حَملة (أبرهة الحبشي) المؤرَّخة بالسنة ٥٥٢ م. وإذا كان عَبْدُ المطّلب قد توفّي بعد ثماني سنين من عام الفيل، فإنّه يكون قد مات سنة ٥٦٠ م. وإذا عرفنا كَمْ سنة عاش عبد المُطَّلِب، نعرف متى وُلِد، ثمّ نُقَدِّر بُرهةً لأبيه هاشم، تكون هي البُرْهة التقريبيّة أيضًا لشاعرنا أُحَيْحة بن الجُلاَح.

ثمّة إجْماع على أنّ عَبْد المطَّلب عُمِّر عمرًا مديدًا. لعلّ أقلّه اثنتان وثمانون سنة[3]، وأكثره مائة وأربعون سنة[4]. قال البَلاذُرِيّ: «قالوا: وتُوفّي عبد المطّلب وهو ابن اثنتَين وثمانين سنة، ودُفن بالحَجُون من مكّة، ولرسول الله ﷺ ثماني سنين، ولحَمْزَة نحو من اثنتَي عشرة سنة... ويقال إنّ عبد المطّلب مات، وله ثمانٍ وثمانون سنة، وفي رواية الواقدي وغيره، أنّ أمّ أيمن حدَّثت أنّ رسول الله ﷺ كان يبكي خلف سرير

(١) ابن هشام: السيرة ١: ١٦٩، وتاريخ الطبري ٢: ٢٧٩.

(٢) أنظر مقال د. خالد العسلي: حملة شمّر يَهَرْعَش على شرقيّ الجزيرة في مجلّة العرب ـ الجزء التاسع ـ ربيع الأوّل ١٣٩١ هـ ـ أيّار (مايو) ١٩٧١، ص ٨٣٥، ونينا ڤيكتورفنا بيغوليفسكيا: العرب على حدود بيزنطة ص ٢١٧. وقد أصبْتُ في مصادرنا العربيّة رواية غير منسوبة تفيد أنّ قصّة الفيل قبل الرسول ﷺ بسنين ـ أنظر ابن كثير: البداية والنهاية ٢: ١٧٥. أمّا رواية الزهري عن تاريخ هذا اليوم فلم أجدها.

(٣) و (٤) ـ أنظر البلاذري، أنساب الأشراف ١: ٨٤، والسُّهَيْلي: الروض الأنف ١: ٧ وفي الكامل لابن الأثير، مائة وعشرون سنة، الكامل ٢: ١٥. وانظر ابن سيِّد الناس: عيون الأثر ١: ٣٩ ـ ٤٠ حيث ذكر أنّ عبد المطلّب عاش خمسًا وتسعين سنة في رواية، ومائة وعشرين سنة في رواية أخرى.

عبد المطّلب وهو ابن ثماني سنين»[1].

وفي أخبار أخرى عن عُمْر عبد المطّلب قال البَلاذُريّ: إنّه مائة وعشرون سنة، وعن عبدالله بن عبّاس: ثمان وثمانون سنة[2].

فإذا أخذنا بالعمر الأقلّ لعبد المطّلب، وهو اثنتان وثمانون سنة، وجعلنا عام الفيل، هو العام ٥٥٢ م، لا ٥٤٧ م، لِنَأْمَنَ المبالغة والتزيُّد، يكون مولد عبد المطّلب قبل العام ٥٥٢ م باثنتَين وثمانين سنة، أي نحو السنة ٤٧٠ م. ولكي ينجب هاشِم بن عَبْدمَناف، ابنه عبد المطّلب نحو السنة ٤٧٠ م، لا بُدَّ أن يكون قد قارب العشرين عامًا على الأرجح، فهو مولود إذًا قبل العام ٤٧٠ م بعقدَين من السنين، أي نحو السنة ٤٥٠م، وهو التاريخ الذي نقدّر أن يكونَ أُحَيْحة بن الجُلاَح قد وُلِدَ فيه، أو في سنة قريبة منه، سواء أكان قد سَبَق هاشمًا إلى الزواج من سَلمى النجّاريّة، أم خَلَفه عليها.

وإذا تذكّرنا أنّ ابنَ حُجْر قد قال في أُحَيْحَة: ماتَ قبل أن يولد النبيّ ﷺ بدَهر[3]. فإنّ حياته تكون محصورة بين أواسط القرن الخامس وأواسط القرن السادس الميلاديّين، وربّما قارب الصواب (جرجي زيدان) عندما حدّد سنة وفاة أُحَيْحة بِـ ٥٦١م[4]. وكذلك نقل الدكتور (محمّد عيد الخطراوي) عن حواشي البخلاء أنّ أُحَيْحةَ عاش بين سنتَي ٤٦٤ و٥٦١م[5]. وإذا كُنّا قَد توصّلنا ـ بأدلّة سقناها سابقًا ـ إلى ما يقارب التقديرات السابقة، فإنّنا نأنف من تحديد سنة بعينها لولادة شاعر جاهليّ قديم كأحيحة، أو سنة محدّدة لوفاته، خاصّة أنّنا، هنا، نجهل المدلول الزمنيّ لكلمة «دَهْر» التي وردت في عبارة ابن حُجْر القائلة: «مات أُحَيْحَةُ قبلَ أن يُوْلَد النبيُّ بدهر»[6].

ومهما يكن من أمر، فإنّ الأحداث التي عاصرها الشاعر تشهد له، إن صحَّت، بقِدَمِه وتؤكّد حياته ما بين حدّي الفترة التي ذكرناها، فيكون بذا معاصرًا لجيل الشعراء الجاهليّين القُدامى، أمثال عَمْرو بن قَمِيئة، ومالِك بن العَجْلان، وعَمْرو بن

---

(١) و (٢) البلاذري: م. س ٨٤.

(٣) ابن حُجْر: الإصابة ١: ٢٤.

(٤) أنظر زيدان: تاريخ آداب اللغة العربيّة ١: ١٤٩.

(٥) الخطراوي: المدينة في العصر الجاهليّ ـ الحياة الاجتماعيّة والسياسيّة ١٤٣.

(٦) إبن حُجْر: الإصابة ١: ٢٤.

امرئ القيس، وزُهَيْر بن جَناب، والفِنْد الزمّاني.

ولعلّنا لا نبعد عن الصواب إذا قاربنا أخبار أُحَيْحة وفق الترتيب الآتي:

١ ـ أُحَيْحة وتُبَّع الأخير أبو كَرِب بن حسّان ٢ ـ أُحَيْحَة وحَرْب سُمَيْر ٣ ـ أُحَيْحَة وحَرْب كَعْب بن عَمْرو ٤ ـ خبرهُ مع قَيْس بن زُهَيْر العَبْسِي ٥ ـ صفاته وملامِحه ـ ٦ ـ شِعْرُه.

١ ـ أُحَيحَة وتُبَّع الأخِيْر

روى صاحب **الأغاني** وغيره[1] أنّ تُبَّعًا الأخير، وهو أبو كَرِب حسّان بن أسعد الحِمْيَري قَدِمَ من اليمن سائرًا يريد المَشْرِق ـ كما كانت التَبابِعة تفعل، فمَرَّ بـ (المدينة) فخلَّف بها ابنًا له، ومضى حتّى قَدِمَ الشام، ثمَّ سار من الشام حتّى وصل إلى العراق، فنزل المشقَّر، فقُتِلَ ابنه غيلة في (المدينة)، فبلّغه ذلك، فكرَّ راجعًا، وقال:

يـاذا مُـعـاهِـرُ مـا تـزال تَـرُوْدُ   رَمَـدٌ بِـعَـيْـنِـكَ عـادَهـا أَمْ عُـوْدُ

مُـنِـعَ الرُّقـادُ فَـمَـا أُغـمِّـضُ ساعةً   نَـبَـطٌ بـيَـثْـرِبَ آمِـنُـونَ قُـعُـوْدُ

ثمَّ أقبل حتّى دخل (المدينة)، وهو مُجمِع على إخراجها، وقَطع نخيلها، واستئصال أهلها، فأرسل إلى أهلها ليأتوه، فأتاه الأزياد الثلاثة، وهم: زَيْد بن ضَبِيْعة بن زيد بن عَمْرو بن عَوْف، وابن عمّه زيد بن أميّة بن زيد، وابن عمّه زيد بن عُبَيد بن زيد، وأُحَيْحَة بن الجُلاح، فقَتَل تبّع الأزياد الثلاثة. أمّا أُحَيْحَة فضرب خِباءَهُ، وكانت معه قَيْنةٌ تُدعَى مليكة، ثمَّ إنّه خدع تُبَّعًا وفرَّ من ليلته، فتبعه تبّعٌ بخيله، وكان أحَيْحَة قد تحصّن في أُطُمِهِ (الضَّحْيَان)، فحاصره جماعة تبّع ثلاثة أيّام وليالٍ، وكان أحيحةُ يقاتلهم بالنهار، ويرميهم بالنبل والحجارة، ويرميهم ليلاً بالتمر... ولمَّا مضت الأيّام الثلاثة رجع أعداؤه، فقالوا لتبّع: بعثْتَنا إلى رجلٍ يقاتلنا بالنهار، ويضيفنا بالليل، فتركه، وأمرهم أن يحرقوا نخله، وشبَّت الحرب بين أهل (المدينة) جميعًا وتبّع، وتحصّنوا بالآطام في حربهم هذه، وكانت عزّهم ومنعتهم.

وتمضي رواية أبي الفرج إلى القول: «قالوا: فبينا تبّع يريد إخرابَ المدينة، وقَتْلَ المقاتلة، وسَبْيَ الذريَّة، وقطع الأموال، أتاه حبران من اليهود. فقالا: أيّها الملك انصرف

(١) أنظر الأصفهاني: **الأغاني** ١٥: ٣٨ فما بعدها، والبغدادي: **الخزانة** ٣: ٣٥٤ ـ ٣٥٦، وقارن بأخبار عبيد ابن شريّة في كتاب وَهْب بن مُنَبِّه: **التيجان** ٤٦٣ فما بعدها.

عن هذه البلدة فإنّها محفوظة، وإنّا نجد اسمها كثيرًا في كتابنا، وإنّها مُهاجَرُ نبيٍّ من بني إسماعيل، اسمه أحمد، يخرج من هذا الحرم من نحو البيت الذي بمكّة، تكون داره وقراره، ويتبعه أكثر أهلها.

فأعجبه ما سمع منهما، وكفَّ عن الذي أراد بالمدينة وأهلها، وصدَّق الحبرَين بما حدَّثاه، وانصرف تبّع عمّا كان أراد بها، وكفّ عن حربهم وآمنهم، حتّى دخلوا عسكره، ودخل جنده المدينة»[1].

ويتابع الأصفهاني حديثه عن هذا التبّع فيذكر أنّه هو الذي دلّته هُذَيلٌ على البيت الحرام وأغرته به، فذهب إلى مكّة. وبدلاً من الإساءة إلى البيت الحرام، حلق رأسه عنده وكساه الخصف، وأقام فيه ستّة أيّامٍ ينحر في كلّ يوم ألف بعير... وقد تهوّد أهل اليمن بسبب ذينك الحبرَين...[2] وتنطبق قصّة التبّع التي ساقها أبو الفرج، على أعمال التبّع أسعد أبي كرب الحِمْيَري، وهو والد حسّان، وليس ابنه كما جاء في مصادر أخرى[3]. وجاء في **أخبار عبيد بن شريّة** أنّ التبّع الذي قدم المدينة، وسمع من حبريها، وكسا البيت، هو أسعد أبو كَرِب الأوسط. وقد أورد له ابن شريّة قصيدة تقع في (٤٧) بيتًا، حوت الأبيات التي ذكرها أبو الفرج في **الأغاني**، والتي منها:

يـا ذا مُـعـاهِـرُ مـا تـزالُ تَـرُوْدُ ... رَمَـدٌ بـعـينِكَ عـادَهـا أمْ عُـوْدُ[4]

والقصيدة من الشعر المصنوع الذي أسقطه ابن سلاّم في خَبر له ذكرناه قبل قليل، يقول فيه: «... وذلك يدلّ على إسقاط شعر عاد وثمود وحِمير وتبّع»[5]، فشعر تبّع ساقِط إذًا، ليس لأنّ ابن سلاّم فقط قال فيه رأيه، بل لأنّه كان بحقّ من ذلك الشعر الذي كان يتقوّله القصّاصون أمثال عَبِيْد بن شريّة وغيره... وعليه فإنّ مجيء هذا الشعر، في ذاك الخبر يجعل من الخبر مثارًا للشبهة وموطنًا للشكّ. أضف إلى ذلك أنّ

---

(١) الأصفهاني: **الأغاني** ١٥: ٤٢، والبغدادي: **الخزانة** ٣: ٣٥٦، وفي **أخبار عَبِيْد بن شريّة** ٤٦٤ ذكر أنّ كَعْب بن عَمْرو هو الذي تنبّأ بأن تكون يثرب مُهاجَر نبيّ يخرج من مكّة. وهو من ولد إسماعيل بن إبراهيم.

(٢) الأصفهاني: م. س ١٥: ٤٥ ـ ٤٦.

(٣) أنظر وَهْب بن مُنَبِّه: **التيجان في ملوك حمير** ٣٠٥ ـ ٣٠٦، وعبيد بن شريّة: **أخبار عبيد بن شرية** ٤٦١ فما بعدها، والنويري: **نهاية الأرب** ١٥: ٢٩٦

(٤) الأصفهاني: م. س ١٥: ٤٢، وعبيد بن شرية: م. س ٤٦١.

(٥) ابن سلاّم: **طبقات فحول الشعراء** ١: ٢٦.

قائله شخصيَّة غامضة وغير معروفة بدقَّة.

ودليلنا على غموضها أنّنا لا نقع في قوائم أسماء ملوك حِمْيَر ممَّن ذكرتهم النقوش، وحكموا ما بين سنتَي ٤٢٠ و٥٢٥ م على مَن يُدعى أبا كَرِب بن حسّان بن أسعد الحِمْيَري، بل نعثر على اسم حسّان بن أسعد، الذي ملك ما بين سنتَي ٤٢٠ ـ ٤٢٥ م، حسبما يذكر جرجي زيدان[1]. أو وُجِد في سنتي ٤٤٨ و٤٥١ ملكًا، حسبما تذكر قائمة (كريفّيْني)[2] المعتمدة على النقوش المكتشفة آنئذٍ.

وفي الوقت الذي تذكر فيهِ الروايات العربيَّة أنّ عَمْرو بن أسعد قتل أخاه حسّانًا، وتولَّى الملك بعده[3]، نجد جرجي زيدان يذكر بعد حسّان، اسمَ شُرَحْبِيْل يَعْفُر، ويحدِّد ملكه بين سنتَي ٤٢٥ ـ ٤٥٥[4]، أمّا جواد علي فينقل عن المستشرق، (جامه) اسم خليفة حسّان على أنّه (أبْكَرِب أسْعَد) ويُحدِّد ملكَه بين سنتي ٤٢٥ و٤٣٠ م[5]. ومهما يكن من أمر، فإنّنا لكي نثق بلقاء ابن حسّان بن أسعد الحِمْيَري بأُحَيْحَة، فإنّ هذا اللقاء ينبغي أن يكون قد تمَّ في أواخر القرن الخامس الميلاديّ، وهو التاريخ الذي يُتَوقَّع أن يكون فيه أُحَيَحَة رَجُلاً مُكتمِلَ الرجولة، وقادرًا على مجابهة أو مُداورة غازٍ آت من الجنوب. وبعبارة أخرى، فإن كان ثمّة تبَّعٌ جاء إلى (المدينة) في زمن أُحَيْحَة بن الجُلاَح، فإنَّ هذا التبّع، سواء أكان اسمه أبا كَرب بن حسّان بن أسعد الحميري، أم غيره، فالظنّ الغالب، أنّه من التبابعة الذين وُجِدوا في أواخر القرن الخامس الميلاديّ، أي ما بين سنتَي ٤٨٠ ـ ٥٠٠ م، أو بعد ذلك بقليل[6].

---

(١) أنظر زيدان: **العرب قبل الإسلام** ص ١٢٨.

(٢) أنظر مقال (كريفيني)، (بالإيطاليَّة): **قصيدة قُدَم بن قادِم في مجلّة الدراسات الشرقيَّة** ـ روما ١٩١٨ ـ المجلّد السابع ص ٢٩٣ ـ ٣٦٣.

(٣) أنظر ابن حبيب: **المحبّر** ٣٦٧، وأبا الفداء: **المُختَصر في أخبار البشر** ١: ٦٧.

(٤) زيدان: م.س ١٢٨.

(٥) جواد علي: **المفصَّل في تاريخ العرب** ٢: ٥٧٧.

(٦) يذكر الدكتور محمَّد عيد الخَطْراوي أنّ أُحَيْحة قاد الثورة ضدّ تبّع حوالي السنة ٤٩٤ م، وهو على رأس الثلاثين، ولسنا ندري ما هي أدلّته على هذا الجزم والقطع! أنظر: **المدينة في العصر الجاهليّ ـ الحياة الاجتماعيَّة والسياسيَّة** ص ١٥٣، ومن أسباب تردُّدنا في القطع بتاريخ التبابعة الحِمْيَرِيِّيْن قول أبي الفِداء: «قال صاحب **تاريخ الأمم**: ليس في جميع التواريخ أسْقَمُ من تاريخ ملوك حِمْيَر، لِمَا يُذْكَر فيه من كثرة عدد سِنِيْهِم، مع قلّة عدد ملوكهم، فإنّهم يزعمون أنّ ملوكهم ستّة وعشرون ملكاً في ألفَيْن وعشرين سنة» ـ أبو الفِداء: **المختصر في أخبار البشر** ١: ٦٨، وانظر ابن سعيد الأندلسي: **نشوة الطرب** ١٦٣.

٢ ـ أُحَيْحَة وحَرْبُ سُمَير

وإذا كان خَبَرُ أحيحة، وأبي كرب بن حسّان الحميري يشوبه غموض واضطراب، فإنّ خبرًا آخر يتّصل بحروب شاعرنا، يُعَدُّ أدخل في باب التاريخ والحقائق والوقائع، منه في باب الخرافة والتهويل والخيال، وهو مشاركة أُحَيْحَة في حَرب سُمَير، وهي حَرب ذكرت مرارًا في كتب التاريخ والأدب ووقعت في مدينة يثرب، وهي أُولى حروب الأوس والخَزْرَج، وقد روى قصّتها أبو الفرج فقال ما خلاصتُهُ:

أَنَّ رجلاً من غَطَفان جاء بفرس وحُلَّة إلى يثرب ليدفع بهما إلى أعزّ أهلها، وكان لمالِك بن العَجْلان حليف يُدعى: كعبًا الثَّعْلَبِيّ، فقال: مالِكُ بن العَجْلان أَعَزُّ أهل يثرب، وقام رجل آخر، فقال: بل أُحَيْحة بن الجُلاح أعزّ أهل يَثْرب. فدفع الرجل الغطفاني بالفرس والحلّة إلى مالك، دون أُحَيْحة، فغضب رجل من بني عَمْرو ابن عوف يقال له سُمَيرًا، من فعلة الغَطَفانِيّ، ورَصد كعبًا، فقتله. فأُخْبِرَ مالك بن العجلان بذلك، فراح يطالب بثأر حليفه، فقال قوم من الأوس: الذي قتله بنو جَحْجَبَى، وقالت بنو جَحْجَبَى: بل هم بنو زيد. ثمّ طالب ابن العجلان بتسليم سمير، فأبت الأوْس ذلك، وأرسلوا يعرضون الدِّيَةَ، فقبل مالك على أن تكون دِيَةَ حليفه كَدِيَةِ الصَّريح، وهي عَشرٌ من الإبل، فأبت الأوس إلاَّ دَفع دِيَةِ الحليف، وهي النصف، وحُكِّمَ بينهم عَمْرو بن امرئ القيس الشاعر، وهو جدّ عبدا لله بن رُواحة، فحَكَمَ لمالك بِدِيَةِ الحليف، فأبى مالك ذلك... وأرسل إلى بني عمرو يؤذنهم بالحرب، فالتقى الخزرج والأوس بِفَضاء، وكان بين بئر سالم وقباء، فاقتتلوا، فانتصفوا جميعًا، ثمَّ التقوا مرّةً أخرى عند أُطُم بني قَيْنقاع، فحاربوا حتّى حجز الليل بينهم، وكان الظفر يومئذ للأوس. وفي هذا اليوم قَتَل أُحَيْحةُ نضلة بنَ مالك بن العجلان. وكان أُحَيْحة على رأس الأوْس، ونضلة سيِّدُ بني سالم... واستمرَّت حَرْب سُمَير ـ كما يقول الرواة ـ عشرين سنة. وكانت لهم فيها وقائع وأيّام لم تُحفَظ. ثمَّ حكموا بينهم ثابتَ بن المُنْذِر ابن حَرام أبا حسّان بن ثابِت، وقيل جدّه، فحكم بأن يُؤدَى حليفُ مالك ديةَ الصريح، ثمَّ تعود السُّنَّة بعدَهُ كما كانت عليه من قبل، فرضي الفريقان[١].

---

(١) أنظر في حرب سُمَيْر: الأصفهاني: الأغاني ٣: ١٨ ـ ٢٦، وابن الأثير: الكامل ١: ٦٥٨ ـ ٦٥٩، والسمهودي: وفاء الوفا ١: ١٥٢.

وقد أرَّخ القدماء والمحدثون لهذه الحرب، فقال ابن الأثير: إنّ بين حَرْب سُمَيْر وحَرْب حاطِب نحو مائة سنة، وأضاف إنّ حَرْب حاطِب كانت آخر وقعة بين الأوْس والخَزْرَج قبل الإسلام، إلاّ يوم بُعاث[1].

فإذا عَرَفنا أنّ يوم بُعاث كان قبل الإسلام أيضًا، أي قبل السنة ٦٢٢ م، بل قَبل الهجرة بخمس سنين على الأصحّ حسب رواية السمهودي[2]، تأكّد لدينا أنّ حرب سُمَير كانت قبل حَرْب بُعاث بمائة سنة على الأقلّ، لأنّها هي ذاتها وقعت قبل حرب حاطِب بمائة سنة، وحربُ حاطِب قبل حرب بُعاث كما تقدَّم. وبالتالي نخلص إلى أنّ شاعرنا شهد حرب سُمَير في مطلع القرن السادس الميلاديّ في أغلب الظنّ.

وقد ارتأى بعض المعاصرين أن يُحدِّدَ سنةً بعينها لحروب الأوس والخزرج، فنقل الدكتور محمّد عيد الخطراوي أن (سيديو) يؤرِّخ لحروب الأوس والخزرج بما بين سنتَي ٤٦٧ و٦١٥ ميلادية، أمّا الخطراوي نفسه فقرَّر أنَّ حَرْب سُمَيْر تمَّت سنة ٥٠٤م[3]. ويَهمُّنا أن نشير هنا إلى أنّ شاعرنا الذي كان زعيم الأوس في تلك الحرب ينبغي أن يكون آنئذٍ قد دلف إلى سنّ الكهولة واكتمال الرجولة.

٣ ـ أُحَيْحَةُ وحَرْب كَعْب بن عَمْرو

وننتقل مع شاعرنا إلى خبر يحكي معاصرته ومشاركته في حرب كعب بن عمرو، وهي حَرب أخرى من حروب الأوس والخزرج، تلت حرب سُمَيْر. فقد جاء في **الأغاني** أنّ رجلاً من بني مازن يقال له كَعب بن عَمْرو تزوَّج امرأة من بني سالم بن عوف، فكان يختلف إليها، فقعد له رَهْطٌ من بني جَحْجَبَى بمَرْصَد، وضربوه، حتّى قتلوه، وفي شعر أُحَيْحَة ما يؤكِّد أنّه هو الذي قتل كَعْبًا، أو كان وراء قتلِه على الأقلّ. ولمّا بلغ مَقتلُ كَعْب، أخاه عاصمَ بنَ عَمْرو بن عَوْف، خرج ببني النجّار، وخرج أُحَيْحة بن الجُلاح ببني جَحْجَبَى، فالتقوا بالرُّحابة، فاقتتلوا قتالاً شديدًا، فقتل أُحيحةُ أخَا عاصِم، وكان يكنى (أبا وَحْوَحَة). وطلب عاصمٌ، أُحَيْحَةَ، ففرَّ أمامَهُ، ولاحقه عاصم حتّى البيوت، فأدركه عند باب دارِهِ، فزجَّه بالرُّمح، فحال الباب بينه وبين

---

(١) ابن الأثير: م. س ١: ٦٧١.
(٢) السمهودي: وفاء الوفا ١: ١٥٢.
(٣) أنظر الخطراوي: المدينة في العصر الجاهليّ ـ الحياة الاجتماعيّة والسياسيّة ١٥٣ ـ ١٥٤.

الرمح... ورجع عاصم، وراح يتحيَّن الفرص لقَتْلِ غريمه، فطلب أُحَيْحَة ليلاً، ليقتله في داره، فبلغ ذلك أحيحة، وقيل له أيضًا إنَّ عاصمًا رُئِيَ البارحة عند الضحيان، والغابة، وهي أرض لأحيحة، فقال أُحَيحة حينئذٍ:

نُبِّئْتُ أنَّكَ جِئْتَ تَسْرِي بينَ دارِيْ والقُبابَةْ
أُعُصَيْمُ لا تَجْزَعْ فإنَّ الحَرْبَ لَيْسَتْ بالدُّعابَةْ
فأنا الذي صَبَّحْتُكُمْ بالْقَوْمِ إذْ دَخَلُوا الرُّحابَةْ
وقَتَلْتُ كَعْبًا، وعَلَوْتُ بالرَّأْسِ الذُّوابَةْ[1]

واستنجد أُحَيْحَةُ بقومه حين هاجمه عاصِم، فأنجدوه، ولاحقوا عدوَّه، فأعجزهم، وقرَّر أحيحةُ بعدئذ أن يكفَّ أذى بني النجَّار، قوم عاصم، فبيَّتَ لهم الغارةَ. وكانت عنده زوجه سلمى النجَّاريَّة، فأدركت خطَّة أُحَيْحَة ضدَّ قومها، الذين ينتمي إليهم عاصِم بنَ عَمْرو، فاحتالت، كما يزعم الرواة، على زوجها بأن أجْبَرَته على السهر حتّى ساعة متأخِّرة من الليل، إذ رَبطت ابنَها عَمْرًا بخيط أوجَعَه، وبات يبكي، وهي تحمله، وبات أُحَيْحَة ساهِرًا، ولمّا نام الصبيّ، صاحت: وَارَأْساه، فصار أُحَيْحَة يعصب رأسَها، حتّى إذا لم يبقَ من الليل إلاَّ أقلّه، قالت له: قُم، فنَم، ثمَّ أخذت حبلاً وأوثقته برأس الحصن، وتدلَّت منه، ولهذا سُمِّيَت بالمُتَدلِّية، وانطلقت إلى قومها، وأخبرتهم بنيّة أُحَيْحَة، فحَذِروا، واستعَدُّوا، ولمّا أراد أحيحة مهاجمتهم في الغداة، وجدهم قد تأهّبوا له، فانحاز عنهم، وعرف أنَّ ذلك من عَمَل سلمى، فعاد إليها، وضربها، وكسر يدها، وطلَّقها. وكانت هذه الحادثة وراء نظم أحيحة لقصيدته «المذهَبة» التي جعلها أبو زيد القَرَشِي (القرن الرابع الهجريّ) بين القصائد السبع المُذهَبات في مجموعته **جمهرة أشعار العرب**، وفيها يقول أُحَيْحَة:

صَحَوْتُ عن الصِّبا والدَّهْرُ غُوْلُ — ونَفْسُ الْمَرْءِ آوِنَةً قَتُوْلُ
إذا باتَتْ أعصِّبُها فَنامَتْ — عليَّ مَكانَها الْحُمَّى الشَّمولُ
لَعَلَّ عصابَها يَبْغيكَ حَرْبًا — ويأتِيهِمْ بِعَوْرَتِكَ الدَّلِيلُ
وَقَدْ أعدَدْتُ لِلْحَدَثانِ عقْلاً — لَو انَّ المرءَ تَنْفَعُهُ العُقُولُ[2]

(١) أنظر الأصفهاني: **الأغاني** ١٥: ٤٧، وابن الأثير: **الكامل** ١: ٦٦٠.
(٢) الأصفهاني: م. ن ١٥: ٥٠، وابن الأثير: م. ن ١: ٦٦١.

وقد اختار الشيخ (عَبْدُ القادِر المَغْرِبيّ) في محاضرة له أن يسوق خبر سَلْمى وأُحَيْحَة في سياق من الرضا عمّا فعلته سَلمى بزوجها[1]. ولا شكّ في أنّ الظرف السياسيّ الذي كانت تمرّ به سورية آنئذ، وهو ظَرف الانتداب الفرنسيّ، كان وراء ذلك التوجيه لخبر سَلمى وأحيحة.

ولسنا نعرف بالضبط الزمن الذي وقع فيه إفساد سَلمى لخُطَّةِ أُحَيْحَة ضدّ بني النجّار، ولكنّنا نظنّ ظنًّا أنّه كان قبل حرب داحِس والغَبْراء بزمن، بدليل قصّة وقعت مع الشاعر قبل هذه الحرب، تشهد أنّه عاش حتّى زمن وقوعها، وهي قصّته مع قَيْس ابن زُهَيْر العَبْسِي.

٤ ـ أُحَيْحَةُ وقَيْس بن زُهَيْر العَبْسي

جاء في غير ما مصدر أنَّ أُحَيْحَة كان يملك دِرْعًا ليس كمثلها درعٌ، فجاءه قَيْسُ بن زُهَيْر بن جَذِيْمة العَبْسي، وقال له: يا أبا عَمْرو نُبِّئْتُ أنّ عندك درعًا ليس بيثربَ دِرعٌ مثلها، فإن كانت فضلاً فبعنِيها، أوْهَبها لي. فقال أحيحة: يا أخا بني عبس، ليس مثلي يبيع السلاح، ولا يفضل عنه، ولولا أنّي أكرهُ أن أَسْتَلِيْمَ بني عامر لوهبتُها لكَ، ولحملتك على سوابق خيلي. ولكن اشترِها بابن لَبُوْن، فإنَّ البيع مُرتَخَصٌ وغالٍ، وكان أُحَيْحَة يشير إلى علاقة له بخالِد بن جعفر الذي امتدح أحيحة بقوله:

إذا ما أردْتَ العِزَّ في آلِ يَثْرِبٍ ... فنادِ بصوتٍ يا أُحَيْحَةُ تُمْنَعِ

رأينا أبا عمرو أُحَيْحَةَ، جارُهُ ... يبيتُ قريرَ العَيْنِ غَيْرَ مُرَوَّعِ

ومَنْ يَأتِهِ مِنْ خائِفٍ يَنْسَ خَوْفَهُ ... ومَنْ يأتِهِ مِنْ جائعِ البطنِ يَشْبعِ

فضائِلُ كانتْ لِلْجُلاَحِ قَدِيْمَةٌ ... وأكرِمْ بفَخْرٍ مِنْ خصالِكَ أرْبَعِ

فقال قيس: يا أبا عَمْرو، ما عليك بعد هذا من لَوْم، فلها عنه، ثمَّ عاوده، فساومه، فغضب أحيحة، وقال له: بِتْ عندي، فبات عنده، فلمّا شربا تغنّى أحيحة، وقيسٌ يسمع:

أَلاَ يا قَيْسُ لا تَسُمَنَّ دِرْعِي ... فما مِثْلي يُساوَمُ بالدُّرُوْعِ

في خمسة أبيات[2].

---

(١) أنظر محاضرات مجمع اللغة العربيّة بدمشق ١: ١٧١.

(٢) أنظر المفضل بن سَلَمة: الفاخِر ١٦٢ ـ ١٦٣.

وفي حين سكت المفضّل بن سَلَمة (٢٩١ هـ ـ ٩٠٣ م) الذي روى هذا الخبر عن نتيجة المساومة، ذكر أبو الفرج أنّ قيسًا أمسكَ عن المساومة[١]. أمّا البَطَلْيَوْسِي فذكر في **شروح سقط الزند** أنّ قيسًا اشترى الدرع بابنِ لبون. وكانت هذه الدرع تُسمّى المُوَشّاة، وقال بعضهم ذات المواشِي[٢]. وكذلك قال الخوارِزمي: إنّ الدرع بِيْعَتْ بابن لبون[٣]. وهناك مَن يجعل تنازُعَ الربيع بن زِياد مع قَيْس بن زُهَيْر على هذه الدرع هو سبب حرب عبس وذبيان، فقد قال التبريزي: «أُحَيْحَة بن الجُلاح الأوْسِي كانت له الدرع التي وقعت بين عبس وذُبيان الحربُ لأجلها، واشتراها منه قيس ابن زهير ورغب فيها الربيع بن زياد، فأخذها من قيس، فاحتربت القبيلتان»[٤].

ونلتقي في **شرح القصيدة الدامغة** بخبرٍ يفيد أنّ عَمْرو بن حسّان، وهو تُبَّع الأصغر، هو الذي وهب هذه الدرع لجدّ أحيحة[٥]. ويذكّرنا خبر الهَمْداني هذا باسم التبّع الذي قدم إلى المدينة. فهل كان ثمّة تُبَّعان: أحدُهما وَهَبَ جَدَّ أحيحة دِرْعًا، والآخر حارب أحيحة في أواخر القرن الخامس الميلاديّ؟ أم أنّ خبر الهَمْداني كلّه لا أساس له من الصحّة، فهو داخل في باب اصطناع المفاخر اليمنيّة واختلاقها، لتكون بإزاء مفاخر أهل الشمال ومآثرهم بعد الإسلام؟

وعلى الرغم من أنّنا نستنتج من خلال **تاريخ ابن الأثير، وأبي الفداء**، وتعاقب الأخبار فيهما، أنّ خلاف قيس بن زهير، والزياد بن ربيع، على الدرع المشتراة من أحيحة، قد وقع قبل حرب داحس والغبراء[٦]. فإنّنا لا نستطيع الجَزْم بسنة محدّدة لتأريخ هذه الحادثة، بيد أنّ في حوزتنا ما يشهد لبقاء أحيحة حيًّا، حتّى ما يقرب من نشوب داحس والغبراء، التي أُرِّخ لها بالسنة ٥٦٨[٧]، فقد قال ابن الأثير: واتّفق جماعة من (المدينة) هم: عَمْرو بن الإطنابة، ومالِك بن العجلان، وأُحَيْحَة بن الجُلاح، وقَيْس بن

(١) أنظر الأصفهاني: **الأغاني** ١٥: ٥٢.
(٢) **شروح سقط الزند** ١٤٨٨.
(٣) م. ن ١٤٨٩.
(٤) م. ن ١٤٨٧
(٥) أنظر الهَمْداني: **شرح القصيدة الدامغة** ٤٣٠.
(٦) إبن الأثير: **الكامل** ١: ٥٤٧، وأبو الفداء: **المختصر في أخبار البشر** ١: ٧٩.
(٧) أنظر عمر الدسوقي: **النابغة الذبياني** ١٠٦. وقد اعتمد الدسوقي في تأريخ هذه الحرب على (كوسان دي برسفال) في كتابه: **مقال في تاريخ العرب قبل الإسلام**، الذي لم أتمكّن من العودة إليه.

الخَطِيْم، وغيرهم على أن يَسْعَوا بالصلح بين الحيَّيْن (أي عَبْس وذُبْيان)، فلم ينجحوا[1].

وبعد هذا الخبر لم نعدْ نقرأ شيئًا عن أُحَيْحَة يدلّ على وجوده بعد مولد الرسول ﷺ. الأمر الذي يشير إلى أنّه تُوفِّيَ، على الأرجح، قبل السنة ٥٧٠ م، كما يُفْهَم من خبر ابن حجر المذكور آنفًا، بزمن ربّما يكون متقدّمًا أيضًا على العام ٥٦٨ م، الذي قد لا يكون هو الآخر، عام شبوب حَرب داحس والغبراء بين عبس وذبيان. فقد أصبت خبرًا يقول: «روى الأصمعي عن أبي طفيلة قال: حدَّثني مَن رأى مَسَاوِر بن هِنْد أنّه وُلد في حرب داحس والغبراء قبل الإسلام بخمسين عامًا»[2]. فإذا كان الرسول ﷺ قد بُعِثَ سنة ٦١٠ م، فإنّ ما قبلها بخمسين عام، هو السنة ٥٦٠ م، والله أعلم.

٥ ـ صفات أُحَيْحة وملامِحه

كان أُحَيْحةُ سيِّدَ الأوْس في الجاهِليَّة: وتميَّز بصفات كثيرة ذكرتها كتب الأدب والتاريخ واللغة والأمثال. فقد نعته صاحبُ **الأغاني** بأنّه كان كثير الصواب، حتّى لاعتقدَ الناس آنئذ أنّ تابعًا من الجنّ يكلِّمه، لأنّه كان لا يظنّ الشيء فيخبر به قومه، إلاّ كان كما قال[3] وفي شعره حِكَم تشهد بحنكته وحكمته، فهو يقول:

إستغنِ عَنْ كلِّ ذِي قُرْبَى وذِيْ رَحِم ... إنَّ الغَنِيَّ مَنِ اسْتَغْنَى عن النّاسِ
والبسْ عدوَّكَ في رِفْق وفي دَعَةٍ ... لباسَ ذِيْ إرْبةٍ للدَّهْرِ لَبَّاسِ
ولا تغرَّنْكَ أضغانٌ مُزَمَّلةٌ ... قَدْ يُضْرَبُ الدُّبُرُ الدَّامِي بأَحْلاسِ

وهذه حِكَمٌ شعريَّة تتواكب وموقفه من جنود تبّع، الذين كان يحاربهم في النهار، ويرمي إليهم التمر بالليل، حتّى لكأنّها جاءت لتفسّر سياستَه التي اصطنعها آنئذٍ، والتي عرضنا لها في حديثنا عن حربه مع تبَّع.

وقد ذُكِرَ من صفات أُحَيْحة أنّه رجل صَنَعٌ للمال يبيعُ بَيع الرِّبا بالمدينة، حتّى كاد يحيط بأموالهم[4]، فكأنَّ عدوى من طباع اليهود الذين كان بين ظهرانِيهم قد

(١) إبن الأثير: **الكامل** ١: ٥٧٦.
(٢) إبن حُجْر: **الإصابة** ٦: ١٧١.
(٣) الأصفهاني: **الأغاني** ١٥: ٣٩، والبغدادي: **الخزانة**: ٣: ٣٥٥.
(٤) الجاحظ: **البيان والتبيين** ٢: ٣٦.

أصابته... وها هو ذا يؤكِّد في شعره رغبته في الغِنى وتعلُّقه بالمال، وتكالُبه عليه:

إسْتَغْنِ أومُتْ، ولا يَغْرُرْكَ ذُوْ نَشَبٍ ... مِـنِ ابـنِ عَـمٍّ ولا عَـمٍّ، ولا خـالِ
واجمعْ ولا تَـحْـقِـرَنْ شيئًا تُـجَـمِّـعُـهُ ... ولا تـضـيِّـعـهُ يـومًـا عـلـى حـالِ
كُـلُّ الـنـداءِ إذا نـادَيْـتُ يَـخْـذِلُـنـي ... إلاَّ نِـدايَ إذا نـادَيْـتُ يـا مـالِـي[1]

ولم يَدْعُ أُحَيْحَةُ إلى كَسْبِ المال والغنى فحسب، بل حاز هذا المال وظَفِرَ بالغنى، ومِمّا عرف عنه أنّه امتلك حقولَ النخيل، وقام على إصلاحها، وأتقن تأبير النخل، وحرص على شرائه، رغم لَومِ قومه له على ذلك، فهو يقول:

لَـقَـدْ لاَمَـنـي فـي اشْـتِـراءِ الـنَّـخِـيْـلِ قَـوْمِـي فـكـلُّـهُـمْ يَـعْـذِلُ
هِـيَ الـظِّـلُّ فـي الـصَّـيْـف حَـقُّ الـظَّـلِـيْـلِ، والمَـنْـظَـرُ الأَحْـسَـنُ الأَجْـمَـلُ
وتُـضْـبِـحُ حَـيْـثُ يَـبِـيْـتُ الـرِّعـاءُ وإنْ ضَـيَّـعُـوْهـا وإنْ أَهْـمَـلُـوا[2]

وفي البيت الأخير نلاحظ أنّ شاعرنا هنا يفضِّل اقتِناء النخيلِ على اقتناء الإبل، ويقارن بين الأمرَين، فيرى أنّ النخل خَيْرٌ من الإبل، فقد قال ابن منظور في هذا البيت: «إنّما عَنَى بالرِّعاء حَفَظَة النخل، لأنّه إنّما هو في صِفَةِ النخيل، يقول: تصبح النخل في أماكنها لا تنتشر كما تنتشر الإبل المُهْمَلة»[3]. ولعلَّ حياة أُحَيْحَة في المدينة، وبعده عن البادية، كانا وراء نظرته الاقتصاديَّة هذه، ووراء جنوحه إلى الإشادة بمظهر من مظاهر الحياة الزراعيَّة، التي كان يحياها أهل يثرب، على عكس ما هي الحال في موقف الناس من مُعطَيات الحياة البدويَّة، التي كان قوامُها وعمادُها، الإبل والشاء في البادية.

ومِمّا شُهِرَ به شاعرنا بناؤه للآطام، وهي حصونهم وموطن عزّهم، ومن آطامه اثنان، هما: المستظِلُّ، وهو الذي تحصَّن فيه يوم حارب تُبَّعًا، أبا كَرِب الحِمْيَري.. والضَّحيان، وهو في العصبة من أرضه التي يُقال لها الغابة[4]. وقد ذكر ابن حبيب أنّ (سِنِمّار) هو الذي بناه لأحيحة، وكان يعرفُ منه حَجَرًا، لَوْ زُعْزِعَ لسقط الحصن بأسره، ولمّا دلَّ عليه أحيحة، رماهُ إلى الأسفل، فمات[5]. وإن صَدق هذا الخبر، دلَّ على

(١) النهراوني: الجليس الصالح الكافي ١: ٤٧٨ ـ ٤٧٩.
(٢) المرزوقي: الأزمنة والأمكنة ٢: ٣٣٥.
(٣) إبن منظور: اللسان (رعى).
(٤) أنظر الأصفهاني: الأغاني ١٥: ٤٧، والبغدادي: الخزانة ٣: ٣٥٨.
(٥) أنظر ابن حبيب: المنمّق ٣٣٩ ـ ٣٤٠.

لُؤمٍ وعقوق كبيرَين انطوت عليهما روح أُحَيْحَة...

وإذا كان هناك سحابة من الشكّ تلفُّ هذا الخبر[1]، فإنّنا ربّما نصدق ما أُلصِق بشاعرنا من صفة البخل وشدّة الحِرص. فقد قال المُبرِّد (٢٨٦ هـ ــ ٨٩٩ م) مثلاً: «ويُرْوَى أنّ أُحَيْحَةَ بن الجُلاح الأنصاري، وكان يُبَخَّل، كان إذا هبَّتِ الصبا طلع من أطمه، فنظر إلى ناحية هبوبها، ثمّ يقول لها: هبّي هبوبَكِ، فقد أعددتُ لك ثلاثمائة وستّيْن صاعًا من العجوة، أدفع إلى الوليد منها خمس تمرات فيردّ عليّ منها ثلاثًا لصلابتها، بعد جهد ما يلوك منها اثنتَين»[2].

ورُوِي عن حِرصه أنّ شخصًا رآه وهو يلقط ثمرة فعاتبه، فقال: «التمرة إلى التمرة تَمرٌ»[3]، ثمّ قال:

إسْتَغْنِ أوْمُتْ ولا يَغْرُرْكَ ذُوْ نَشَبٍ ... مِن إبْنِ عَمٍّ، ولا عَمٍّ ولا خالِ
إنّي مُقِيمٌ على الزوراءِ أعمُرُها ... إنَّ الحبيبَ إلى الإخوانِ ذُوْ المالِ
كلُّ النّداءِ إذا نادَيْتُ يَخْذُلُني ... إلاَّ نِدايَ إذا نادَيْتُ يا مالِي

فاشتهر بالبخل لذلك. وقالت له الأَوْس: فضحتنا بِبُخْلِكَ، كلّما أردنا أن نقدِّمَكَ قالوا: بخيل لا يصلح للتقديم»[4].

والحقّ أنّه لا يصحّ التسليم بكلّ ما جاء في هذا الخبر، فنحن نقرأ في مصادر أخرى أنّ أحيحة كان فارس الأَوْس وشاعرَهم وجوادَهم[5]، وهي صفات سنعالجها ها هنا. فأمّا أن يكون فارسَهم، فهذا ما وقع إثباته فيما تقدّم، فقد شارك أحيحة في حَرب سُمَير، وقتل نضلة بن مالِك بن العجلان، وأسْهَم في حَرْب كَعْب بن عَمْرو، وقتل

(١) نشكُّ في هذا الخبر لأنّ (سِنِمّار) نفسه هو الذي يروى أنّه بنى الخَوَرْنَق للنعمان بن الشَّقِيقة، وهو النعمان بن امرئ القيس بن عَمْرو بن عَدِي بن نَصْر، فكان جزاؤه كما هو معروف. والنُّعْمان بن امرئ القيس بن عَمْرو بن عدي من رجال القرن الرابع الميلاديّ، لأنّ أباه هو الذي ذكرت وفاته سنة ٣٢٨ م في نقش النمارة ــ أنظر **الأغاني** ٢: ١٤٤.
(٢) المبرّد: **الكامل في اللغة** ٣: ٦١.
(٣) هذا مثلٌ، وممّا يُعزَى إلى أُحَيْحة قوله: «الذود إلى الذود إبل»، أنظر **الفَرْق بين المذكَّر والمؤنَّث**، ص ٧٢، والبكري: **فَصْل المقال** ٢٨٢.
(٤) إبن سعيد الأندلسي: **نشوة الطرب** ١٩٠ ــ ١٩١.
(٥) أنظر ابن قُدامة: **الاستبصار** ص ٣٠٧.

أخا عاصم بن عَمْرو المَدْعُو (أبا وَحْوَحة). وأمّا كونه شاعرهم فسنعرض لشعره بعد قليل، ولكنَّ نَعْته بأنَّه جواد بني الأَوْس فهذا هو المُحيِّر، فكيف يكون جوادًا مَن مرّت أخبار عن حُبِّهِ للمال، وحرصه على تجميعه، وتفانيه في تحصيل الغنى، وبُخلِه ورباه؟

وممّا يزيد الطين بَلَّة أنّ ابنَ قُدامة المَقدِسي (٦٢٠ هـ ـ ١٢٢٣ م)، وهو صاحب الخبر السابق، قد روى منافرةً مزعومة وقعت بين حفيد أحيحة، محمّد بن عُقبة، والزِّبْرِقان بن بَدْر، أمام النابغة الذُّبْياني، فقال فيها الحفيد عن جدِّهِ:

«وأمَّا أُحَيْحَةُ فرأْسٌ مَعْبُود، وخَلْقٌ مَحْسُودٌ، قاتل[1]... وعلم الجود، وواهبُ ذات المواشي لقيس بن زهير ثمنها ثمان مائة ناقة، وضَمِنَ لكلّ مَن أتاه إذا عقر ناقته على باب داره خلفها، واحتفظ على عياله، فأُحَيْحَة أفضل من بدر»[2].

والمبالغة والتهويل واضحان في هذه المنافرة المُدَّعاة، فثمن الدرع الموشّاة لا يعقل أن يكون ثماني مائة ناقة، وهذا التزيُّد والتكثُّر ينسحب على كلّ ما ورد في هذه المنافرة من صفات لأُحَيْحَة، الأمر الذي يثير شُبهةً في وقوع المناظرة بالذات، وفي مضمون ما جاء فيها أيضًا.

ويقتضي الإنصاف أن نشير إلى أنّ أحيحة كانت له شخصيّة متعدِّدة الجوانب، فلعلّه، وإن كان بَخيلاً، لم يكن ليأتي برذائل أو عيوب تُوْدِي بسمعته، ولا سيَّما أنّه كان زعيمًا من زعماء الأوس دون ريب، وللزعامة شروطها وحقوقها... ولهذا نجده يقسم بالبيت الحرام أنّه لا يُعوِّل على خطَّة دَنِيَّة، يقول:

إنِّــي والمِشْــعَــرِ الْــحَــرامِ ومــا ... حَــجَّــتْ قــريــشٌ لَــهُ ومــا شَــعَــرُوا

لا آخــذُ الخُطَّــةَ الــدَّنِــيَّــةَ مــا ... دامَ يُــرَى مِــن تَــضَــارُعٍ حَــجَــرُ[3]

ولكنّنا لا نستطيع استبيان ما المراد بالخطّة الدنِيَّة، بيد أنّ هذين البيتَين يكشفان لنا عن تبجيلٍ وتكريم يصدران عن أحيحة إزاء البيت الحرام، الذي كان موطن تقديس وتقدير عند العرب قاطبة. ومن المؤسف أن نفتقد أيضًا ما يعيننا على تحديد عقيدة الشاعر الروحيّة، أو مفاهيمه الدينيّة، التي ربَّما كان للتقليد اليهوديّ في يثرب تأثيرٌ فيها.

(١) كلمة ساقطة في أصل المخطوط كما قال المُحقِّق.

(٢) إبن قدامة: الاستبصار ٣١٤.

(٣) ياقوت: معجم البلدان (تضارع).

٦ ـ شعر أحيحة

إنَّ الأدلّة الكثيرة التي قدَّمناها ربّما كشفت لنا بوضوح أنّ أحيحة كان شاعرًا من الشعراء الجاهليّين الأوائل. الذين قُصِّدَ القصيد في عهدهم. ولهذا وقع اختيارنا عليه ليكون أحد الشعراء المُمثِّلين لبواكير الشعر العربيّ الصحيح.

ويبدو أنّه كان لأحيحة ديوان من الشعر قام بصنعه أحد علمائنا القُدامى، فقد ذكر ابن خَيْر الإشْبِيلِيّ (٥٧٥ هـ ـ ١١٧٩ م) شعرَهُ بين الأشعار التي رحلت إلى الأندلس، فكان مِمّا ذَكَرَه أبو مروان بن سراج مِمّا رواه عن أبي سهل الحرّاني[١]، ولكن لم يصل إلينا اسمُ جامع هذا الشعر أو صانعه، وكذلك لم تصل أيّة نسخة من نُسَخ المخطوطات التي أخذت عنه، فهو حتّى الآن في عِداد المفقود أو المجهول من دواوين الشعراء الجاهليّين. ولهذا قُمْنا بجَمْعِ شعره ودراسة أخباره. وقد سَبَقنا إلى جمع شعر أُحَيْحَة الدكتور (حَسن محمّد باجودة)، ونشره عام ١٩٧٩ في منشورات نادي الطائف الأدبيّ بالسعوديّة. ولكنّ عمل الدكتور (باجودة) لم يَثْنِنا عن صُنع هذا الشعر من جديد، وذلك لمّا انطوى عليه العمل السابق من ملاحظات وثغرات، بينها، مثلاً، أنّه لم يَضبِط شعر أحيحة الضبط اللائق، وكان تخريجه للأبيات يشكو من نقص كبير، ومراجِعُه لم تزد على (٣٧) مرجعًا، وأبيات أحيحة عنده لم تبلغ أكثر من (١٠٣) أبيات.

أمّا عملنا هنا، فقد ضبطنا فيه شعر الشاعر ضبطًا كاملاً، وتوسّعنا في تخريجه قدر المستطاع، ورصدنا رواياته المختلفة، وبلغت مصادرنا في دراسة حياة الشاعر، وصنع شعره، ما هو أكثر من ثلاثة أضعاف مصادر الدكتور (باجودة)، الأمر الذي مكّننا من إضافة (١٦) ستّة عشر بيتًا إلى ما تمّ العثور عليه في المحاولة التي سبقت محاولتنا. وقد فَصَلْنا بين ما أجمع الرواة، تقريبًا، على أنّه لأحيحة، وما نُسب إلى شاعرنا، وإلى غيره من الشعراء. وشَرَحْنا غريب شعره، وعرضنا لكثير من مشكلاته اللغويّة والنحويّة والعروضيّة، وهي أمور افتقر لها الصنيع السابق لهذا الشعر.

ورغم ذلك، فنحن نُقدِّر أنّ كثيرًا من شعر أحيحة قد ضاع في رحلته من القرن الخامس الميلاديّ، حتّى هذا القرن، بدليل أنّ أبياتًا قليلة من قصائد طويلة هي وحدها التي وصلت إلينا، وضاعت بقيّة القصيدة، فأبو الفرج الأصفهاني مثلاً يقول بعد هذين

---

(١) أنظر ابن خير الإشْبِيلي: فهرسة ابن خير ٣٩٧.

البيتَين اللذين قالهما أُحَيْحَة:

أخْلَقَ الرَّبْعُ مِنْ سعادَ فأمْسَى رَبْعُهُ مُخْلقًا كَدَرْسِ الملاةِ
باليًا بَعْدَ حاضِرٍ ذِيْ أنِيْسٍ من سُلَيْمى إذْ تَغْتَدِي كالْمَهاةِ

«وهي قصيدة طويلة، يقال إنّ في هذين البيتَين منها غِناء»[1].

وقد عثرنا في معاجم اللغة، كاللسان وغيره، على أبيات مفردات، لا نظنّ إلاّ أنّها أبعاض قصائد مُندثِرة، لم يبلغنا منها إلاّ هذه الشذرات. فورود أبيات لشاعرنا في أكثر من خمس وعشرين مادّة في اللسان[2]، يصعب أن يقع دون أن يكون صاحب اللسان، أو مَن نقل عنهم، قد عادوا إلى ديوانٍ لأُحَيْحَة بقي سالِمًا إلى القرن الثامن الهجريّ، أو إلى زمنٍ قريب منه.

ومهما يكن من أمر، فالديوان لم يصل إلينا. وقد تمكّنا ـ كما ذكرنا ـ من جمع (١٢٣) بيتًا لأحيحة توزّعت على إحدى وعشرين قصيدة ومقطّعة، من بينها سِتُّ قصائده. أمّا الأبيات التي نازع أحيحةَ فيها شعراء آخرون، فقد بلغت (١٤) بيتًا. وها هي ذي أشعار أُحَيْحَة مَشْفُوعة بتعليقاتنا الكاملة عليها:

شعر أُحَيْحَة بن الجُلاَح الأوْسِي

(١)

في الأغاني (١٥: ٣٦، ٤٠)[3]: (المنسرح)

١ ـ يَشْتَاقُ قَلْبِيْ إلى مُلَيْكَةَ لَوْ أمْسَتْ قَرِيْبًا مِمَّنْ يُطالِبُها[4]
٢ ـ ما أحْسَنَ الْجِيْدَ مِنْ مُلَيْكَةَ والـ ـلَّبَّاتِ إذْ زانَها تَرائِبُها[5]
٣ ـ يا لَيْتَني لَيْلَةً إذا هَجَعَ الـ ـنَّاسُ ونامَ الكِلابُ، صاحبُها[6]

---

(١) الأصفهاني: الأغاني ١٥: ٥١.
(٢) أنظر تخريج شعر أحيحة بعد قليل.
(٣) قال أُحَيْحَة هذه الأبيات عندما شَعر أنَّ تُبَّعًا أبا كَرِب بن حسّان بن أسْعَد الحِمْيَري يريد قَتله. وقد غنَّت قَيْنَتُه المُسَمَّاة مُلَيْكَة بالأبيات الأربعة الأولى.
(٤) في الحماسة البصريّة: «يشتاق شوقي إلى... لِمَنْ يُطالِبُها». وفي شرح شواهد المغني، والخزانة: «لِمَنْ يُطالِبُها».
(٥) اللبّات: مفردُها لَبّة، وهي موضع القِلادة من الصدر. والترائب: مفردها تَرِيْبَة، وهي مثل اللبَّة.
(٦) في شرح شواهد المغني «ليلة هَجَع الـ.. نَّاسُ ورامَ الكلابُ». وفيه سَقْط وتحريف لا يقوم بهما الوزن ولا المعنى.

٤ ـ فـي لَـيْـلـةٍ لا يُـرَى بِـهـا أَحَـدٌ يَـسْـعَـى عَـلَـيْـنـا إلاَّ كَـواكِـبُـهـا[١]

٥ ـ لِـتَـبْـكِـنـيْ قَـيْـنـةٌ ومِـزْهَـرُهـا ولْـتَـبْـكِـنِـي قَـهْـوَةٌ وشـارِبُـهـا[٢]

٦ ـ ولْـتَـبْـكِـنـي نـاقـةٌ إذا رَحَـلَـتْ وغـابَ فـي سَـرْدَحٍ مَـنـاكِـبُـهـا[٣]

٧ ـ ولْتَبْكِني عُـصْـبةٌ إذا جُـمِـعَـتْ لمْ يَـعْـلَـمِ الـنَّـاسُ ما عـواقِـبُـهـا[٤]

وفي الحماسة البصريَّة (٢: ١٨٧):

٨ ـ فَمَا تُرَجِّي النُّفوسُ من طَلَبِ الْخَيْرِ وحُبُّ الْحَياةِ كاذِبُها[٥]

(٢)

في الكامل لابن الأثير (١: ٦٦٠)[٦]: (مجزوء الكامل)

١ ـ نُـبِّـئْـتُ أَنَّـكَ جِـئْـتَ تَـسْـ ـرِيْ بَـيْـنَ داري والـقُـبـابَـهْ[٧]

---

(١) في مختار الأغاني: «لا تَرَى بِها أَحَدًا.. يَسْعَى». وفي أمالي ابن الشَّجري، والكافي في العروض والقوافي، وشرح شواهد المغني: «لا تَرَى بها أَحَدًا.. يحكي علينا». وفي الكتاب، والمقتضب، والحماسة البصريَّة، والمغني، والخزانة: «لا نرى بها أحَدًا.. يَحْكِي عَلَيْنا». وقال الأعْلَم شارحًا: «وصف أنَّه خَلاَ بِمَن يحبّ في ليلةٍ لا يطلع فيها عليهما، ويخبر بحالهما، إلاَّ الكواكب لو كانت مِمَّن يُخْبِر» ـ الكتاب ١: ٣٦١ (بولاق). والبيت شاهد نَحْوِي، ففيه جاء «علينا» بمعنى «عن» ـ المغني ١٥٣، وجاءت «كواكبُها» مرفوعة على أنّها بَدَل من الفاعل المُسْتَتِر في «يحكي» المَنفِيّ معنى ـ أنظر المُغْني ٧٥٥، ورواية البيت فيه في الموضعَين:

فـي لـيـلـةٍ لا نَـرَى بِـهـا أحـدًا يَـحْـكِـي عـلـينا إلاَّ كـواكِـبُـهـا

(٢) في شرح شواهد المغني: «قَيْنَةٌ ومِزْمَرُها». والقَهْوة: الخَمْرة.

(٣) في مختار الأغاني: «إذا ارتَحَلَتْ.. أو غابَ». وفي شرح شواهد المغني، والخزانة: «في سَرْبَخٍ مناكِبُها». والسَّرْدَح: الأرض اللَّيِّنة المستوية. والسَّرْبَخ: الأرض الواسعة البعيدة الأرجاء.

(٤) في شرح شواهد المغني، والخزانة: «إذا اجتمعت». وفي مختار الأغاني: «إذا اجْتَمَعَتْ.. لا يعلمُ». والعُصْبة: جماعة ما بين العشرة إلى الأربعين، وهي جَمْعٌ لا واحد له.

(٥) في حماسة البحتري، وديوان عَدِي بن زيد: «ماذا تُرَجِّي». وفي الأغاني: «ماذا تُرَجِّي.. الحياة كارِبُها». وكِذْبُ النفس: أُمْنِيَّتُها بغير حقّ. وقد سُمِّيت النفس بالكَذُوْب ـ اللسان (كذب).

(٦) قال ابن الأثير: «إنَّ بني جَحْجَبَا من الأوس، وبني مازن بن النجّار من الخزرج، وقع بينهم حرب، كان سببه أنّ كعب بن عمرو المازني تزوَّج امرأة من بني سالِم، فكان يختلف إليها، فأمر أُحَيْحَةُ بن الجُلاَح سيِّد بني جَحْجَبَا جماعةً، فرصدوه، حتّى ظفروا به، فقتلوه. فبلغ ذلك أخاه، عاصِم بن عَمْرو، فأمر قومه، فاستعدُّوا للقتال، وأرسل إلى بني جَحْجَبَا يؤذنهم بالحرب، فالتقوا بالرُّحابة، فاقتتلوا قتالاً شديدًا، فانهزمت بنو جَحْجَبا ومن معهم، وانهزم معهم أُحَيْحَة، فطلبه عاصِم بن عَمْرو فأدركه، وقد دخل حِصْنَه، فرماه بسهم، فوقع بباب الحصن، فقتل عاصِمٌ، أخا أحيحة، فمكثوا بعد ذلك ليالِيَ، فبلغ أحيحة أنّ عاصمًا يتطلّبه، ليجد له غِرَّة، فقال أحيحة: (الأبيات)».

(٧) القُبابة: أُطُم من آطام المدينة، أي بناء مرتفع كالحِصْن.

٢ ـ فَلَقَدْ وَجَدْتُ بجانِبِ الـ ـضُّحْيانِ شُبّانًا مُهابَهْ[1]
٣ ـ فِتْيانَ حَرْبٍ في الْحَدِيـ ـدِ وشامِرِينَ كأُسْدِ غابَهْ[2]
٤ ـ هُمْ نَكَّبُوكَ عَنِ الطَّرِيـ ـقِ، فَبِتَّ تَرْكَبُ كُلَّ لابَهْ[3]
٥ ـ أَعُصَيْمُ لا تَجْزَعْ فإ نَّ الْحَرْبَ لَيْسَتْ بالدُّعابَهْ[4]
٦ ـ فَأَنَا الَّذِي صَبَّحْتُكُمْ بالْقَوْمِ إذْ دَخَلُوا الرُّحابَهْ[5]
٧ ـ وقَتلتُ كَعْبًا قَبْلَها وعَلَوْتُ بالسَّيْفِ الذُّؤَابَهْ[6]

وفي اللسان (سيب):

٨ ـ أَقْسَمْتُ لا أُعْطِيكَ في كَعْبٍ ومَقْتَلِهِ سَيَابَهْ[7]

(٣)

في الأغاني (١٥: ٥١)[8]: (الخفيف)

١ ـ أخلَقَ الرَّبْعُ منْ سُعادَ فأمْسَى رَبْعُهُ مُخْلِقًا كَدَرْسِ الْمُلاَةِ[9]
٢ ـ بالِيًا بَعْدَ حاضِرٍ ذِي أَنِيسٍ مِنْ سُلَيْمَى إذْ تَغْتَدِي كالْمَهاةِ[10]

(١) الضُّحْيان: حِصْنٌ بَناه أُحَيْحة في أرضه التي يُقال لها الغابة ـ أنظر معجم البلدان (ضحيان)، والأغاني ١٥: ٤٨.
(٢) شَمَرَ وشَمَّر وتَشَمَّر: مَرَّ جادًّا.
(٣) نكَّبَ: عَدَلَ ومال عن الشيء. واللأبة: الأرض التي أُلبِسَت حجارة سُوْدًا.
(٤) عُصَيْم: هو عاصِم بن عَمْرو.
(٥) الرُّحابة: أُطم بالمدينة، أي بناء مرتفع كالحصن.
(٦) كَعْب: هو كَعْب بن عَمْرو المازني، وقد شَبَّت الحرب بسبب قَتله، بين قوم أحيحة وقومه، والذؤابة: منبت الشعر من النَّاصية، وقيل: هي الشعر المَضْفُور من الرأس.
(٧) السَّيابة: واحدة البَلَح.
(٨) قال أُحَيْحَة هذَيْن البيتَين يذكر ما فعلته زوجه سَلْمَى حين خدعته، وأخبرت قومها بنيّته أن يغزوهم. وقال أبو الفرج بعد أن أنشدهما: «وهي قصيدة طويلة، يُقال: إنَّ في هذين البيتَين غناء».
(٩) أخلَق: بَلِيَ. والرَّبْع: المنزل والدار. والمُخْلِق: البالي. والملاة أصلها المُلاءَة، وهي المِلْحَفة. ودَرْسُها: بِلاها «ودَرْس المُلاة» من قبيل إضافة الصفة إلى الموصوف. وأصل الكلام المُلاءَة الدَّرِسة. وحَذف الهمزة في الملاة، ضرورة ـ أنظر ما يجوز للشاعر ٩٥.
(١٠) تَغْتَدِي: تذهب في الغَداة، أي تُبكِّر. والمَهَاة: البقرة الوَحْشِيَّة، وسمِّيت بذلك لبياضها.

(٤)

في إيضاح الوقف والابتداء (٨٦): (الوافر)

١ ـ بِهِ أحْمِيْ المُضافَ إذا دَعانِي إذا ما قِيْلَ للأبطالِ هَيْتَا[١]

(٥)

في الأصمعيّات (١٢٠): (الوافر)

١ ـ إذا ما جِئْتُها قَدْ بِعْتُ عِذْقًا تُعانِقُ أوْ تُقبِّلُ أوْ تُفَدِّي[٢]

٢ ـ أَهَنْتُ الْمالَ في الشَّهَواتِ حتَّى أصارَتْني أسِيْفًا عَبْدَ عَبْدِ[٣]

٣ ـ فَمَنْ نالَ الْغِنَى فَلْيَصْطَنِعْهُ صَنِيْعَتَهُ ويَجْهَدْ كلَّ جَهْدِ[٤]

٤ ـ أُعلِّمُكُمْ، وقد أرْدَيْتُ نَفسي فَمَنْ أَهْدِيْ سَبِيْلَ الرُّشْدِ بَعْدِي[٥]

(٦)

في الاستبصار في نَسب الصحابة (٣٠٨)[٦]: (البسيط)

١ ـ مَهْلاً بَنِيْ عَمِّنا فإنَّكُمُ أَجَرْتُمْ في الضَّلالِ فاقْتَصِرُوا[٧]

٢ ـ نَحْنُ الْمَراجِيْحُ في مَجالِسِنا قِدْمًا ونحنُ المَصالِتُ الصُّبُرُ[٨]

---

(١) المُضاف: هو مَن أُحِيط به في الحرب، فصار في حَرَجٍ وشَرٍّ مُحْدِقَين، وهَيَّتَ بالقوم وهوَّت: إذا ناداهم والأصل فيه حكاية الصوت.

(٢) الهاء في «جِئْتُها» تعود على امرأة لم يَجْرِ لها ذِكْرٌ. والعِذْق من النخل: كالعنقود من العنب. وفَدَّى: قال جعلت فِداك.

(٣) في الصاحبي: «قطعْتُ الدهْرَ في... أعادَتْني عَسِيْفًا». وفي اللسان: «أطعْتُ النَّفْسَ في... أعَادَتْني عَسِيفاً عَبْدَه». وفي المُمتِع في علم الشعر: «أطعْتُ العِرْسَ في.. أصارتني عَسِيْفًا عَبْدَه». والأسِيْف: الشَّيْخ الفاني، والعَسِيف: الأجير أو المَمْلوك المُسْتَهان به.

(٤) في حماسة البحتري: «فَمَنْ وَرِثَ الغِنَى». وفي الممتع في علم الشعر: «فمنْ وَجَدَ الغِنَى.. ذَخِيْرَتَه ويَجْهَد» واصْطَنع الشيء: تَدَبَّره ورعاه.

(٥) أرْدَيْتُ نفسي: أهلَكْتُها.

(٦) قال ابنُ قُدامة في هذه الأبيات: «وكان أُحَيْحَة على بَنِي جَحْجَبا يوم أطم بني قَيْنَقاع. وهو يوم من أيّام الأوس والخزرج. وفي ذلك اليوم طعن أحيحةُ نضلةَ بن مالك بن العجلان. وفي ذلك قال أحيحة قصيدة منها: (الأبيات).

(٧) أجرتُمْ: اتَّخذتُم لكم جِيْرة، أو حَمَيْتُم. واقْتَصَر: كفَّ واقتصد.

(٨) المراجِيْح: الحُكماء، ويُوْصَف الحِلْم بالثِّقَل. والمَصالِت: مفردها مِصْلَت، وهو الحازم والماضي في أمره. والصُّبُر: مفردها صَبُور، وهو ضدّ الجَزُوْع.

٣ ـ الضاربُو الكَبْشَ في قَوَانِسِهِ وحَوْلَهُ في الكَتِيبَةِ الْوَزَرْ[١]
٤ ـ والمُطْعِمُو الشَّحْمَ في الجِفانِ إذا هَبَّتْ رِياحُ الشِّتاءِ والقَرَرْ[٢]

وفي معجم البلدان (الجمَّاء):

٥ ـ إنّي والمِشْعَرِ الحَرام وَمَا حَجَّتْ قُرَيْشٌ لَهُ وما نَحَرُوا[٣]
٦ ـ لا آخُذُ الخُطَّةَ الدَّنِيَّةَ ما دامَ يُرَى مِن تُضارُعٍ حَجَرُ[٤]

(٧)

في البيان والتبيين (٢: ٣٦١): (البسيط)

١ ـ إسْتَغْنِ عَنْ كُلِّ ذِي قُرْبَى وذِي رَحِمٍ إنَّ الغَنِيَّ مَنِ اسْتَغْنَى عنِ النَّاسِ
٢ ـ والبَسْ عَدُوَّكَ في رِفْقٍ وفي دَعَةٍ لِباسَ ذِي إرْبَةٍ لِلدَّهْرِ لَبَّاسِ[٥]
٣ ـ ولا تَغُرَّنْكَ أَضْغانٌ مُزَمَّلَةٌ قَدْ يُضْرَبُ الدَّبَرُ الدَّامِي بِأَحْلاسِ[٦]

---

(١) في شرح القصيدة الدامغة: «في قَوارِسِهِ» والكَبْش: الرئيس والسيِّد، والوَزَر: مفردها وَزِير، وهو مَنْ يُؤَازِر المَلِكَ، فيحملُ بعض أثقاله وأعبائه. والقوانِس مفردها قَوْنَس وهو مُقدَّم الرأس، ومن السلاح الحديدة، الطويلة في أعلى البيضة.

(٢) الجِفان: مفردها جَفْنة، وهي أعظم ما يكون من القصاع. والقَرَّ: الريح الشديدة القاسية.

(٣) في معجم البلدان (تضارع)، ووفاء الوَفا: «إنّي والمِعْشِر الحرامِ.. وما شَعَروا» والمِشْعَر الحَرام: مناسِك الحجّ.

(٤) الخُطَّة: النيّة القبيحة أو السيّئة. وتُضارِع: اسم جَبل. وقال ياقوت: «بضمّ الراء على تفاعُل عن ابن حبيب، ولا نظير له في الأبنية، ويُرْوَى بِكَسْر الراء جَبَل بِتِهامة لبني كِنانة» ـ **معجم البلدان** (تضارع). وفي **اللسان** «قال ابن بَرّي صوابُهُ تُضارِع بكَسْر الراء... فأمّا بضمّ التاء والراء فهو غَلَط، لأنّه ليس في الكلام تُفاعُل ولا فُعالُل. قال ابنُ جنيّ: ينبغي أن يكون تُضارِعُ فُعالِلاً بمنزلة عُذافِر، ولا نحكم على التاء بزيادة إلاّ بدليل» ـ **اللسان** (ضَرَع).

(٥) في حماسة البحتري: «أطْوار ذِي إرْبَةٍ». وفي لُباب الآداب: «ذِي إرْبَةٍ للنّاسِ لبّاسٍ». والأَرْبة: بكسر الهمزة، وفَتْحها، الدهاء، والبصر بالأمور.

(٦) في حماسة البحتري: «قد يُرْكَبُ الدُّبُر». والأضغان: الأحقاد. وزمَّل الشيءَ: أخفاه وأصْلُ التزمُّل التلفُّف بالثَّوْب. والدَّبَرُ هنا: الظهر. والأحْلاس: مفردُها حِلْس، وهو ما وَلِيَ ظَهْرَ البَعيرِ أو الدابّة تحت الرَّحلِ والقَتَب والسَّرْج.

(٨)

في الفاخر (١٦٣)[(١)]: (الوافر)

١ ـ أَلاَ يا قَيْسُ لا تَسُمَنَّ دِرْعِيْ ... فَمَا مِثْلِي يُسَاوَمُ بالدُّرُوْعِ[(٢)]

٢ ـ فَلَوْلاَ خُلَّةٌ لأَبِيْ جُزَيْءٍ ... وأنّي لَسْتُ مِنْها بالنُّزُوْعِ[(٣)]

٣ ـ لأُبْتُ بِمِثْلِها عَشْرٍ وطِرْفٍ ... لَحُوْقِ الإطْلِ جَيَّاشٍ تَلِيْعِ[(٤)]

٤ ـ ولكنْ سَمٌّ ما أحْبَبْتَ فِيْها فليْسَ ... بِمُنْكَرٍ غَبْنُ الْبُيُوْعِ[(٥)]

٥ ـ فَمَا هِبَةُ الدُّرُوْعِ أَخَا بَغِيْضٍ ... ولا الخَيْلِ السَّوابقِ بالْبَدِيْعِ[(٦)]

(٩)

في التاج (شوع): (السريع)

١ ـ إذا جُمادَى مَنَعَتْ قَطْرَها ... زانَ جَنابِي عَطَنٌ مُغْضِفٌ[(٧)]

---

(١) قِيلَتْ هذه الأبيات في مُساومة قَيْس بن زُهَيْر بن جَذِيْمة العبسي لأُحَيْحة بن الجُلاح، لشراء درع كانت عنده، وذلك عندما كان قيس يتجهَّز لقتال بني عامر، ولمّا سمع قيس أبيات أحيحة أمسك عن المساومة ـ أنظر الفاخر ١٦٣، والأغاني ١٥: ٥٢.

(٢) تَسُمَنَّ: أصلها تَسُوْمَنَّ: وإسقاط الواو هنا ضرورة، إذ وقع الاجتزاء عنها بالضمَّة، وهذا من قبيل الاكتِفاء بالحركة عن حَرْفَي المدّ واللين المُجانسَيْن لها في حَشْو الكَلمة ـ أنظر ضرائر الشعر ١٢٩، والخصائص ٣: ١٣٣ ـ ١٣٦.

(٣) في الأغاني، ومختار الأغاني: «لأبي جُوَيٍّ... لَسْتُ عَنْها». وجُزَيْء تصغير جَزْء، وأبو جَزْء كنية، لا ندري مَن أراد بها أُحَيْحة. والنُّزُوع: المُعْرِض والكافّ عن الشيء.

(٤) في مختار الأغاني: «أَنَلْتُكَها مُصاحِبةً لِطِرْفٍ» وآبَ: عاد ورجع. والهاء في «مثلها» تعود على الدِّرْع، أي لأُبْتُ بعَشْرِ دروع مثلها. والطِّرْف: الفَرَس الكريم الطرفَين، أي الأبوَين. واللُّحُوق: الضامِر. والإطْل: الخاصِرة. والتَّلِيْع: الطويل العنق.

(٥) في الفاخر: «غَبْنُ البُيُوع». وأثْبَتُّ ما في الأغاني. والغَبْن في البَيْع: تجاهُلُ قيمةِ المَبِيْع، وعدم تقديره حَقَّ قَدْرِه، إرادةَ الخدعة.

(٦) أخو بَغِيْض: هو قَيْس بن زُهَيْر العَبْسي. وبَغِيْض: هم قومه الأغلون. والخيل السوابِق: الخَيْل المُتقدِّمة في العَدْوِ وفي كلّ شيء. والبديع: لعلّها الأمر المُبْتَدَع.

(٧) في اللسان، والتاج (جمد): «زانَ جِنانِي». وفي شرح القصائد السبع الطوال، واللسان (عصف)، والتاج (شوع): «عَطَنٌ مُعْصِف». وأثبتُّ رواية اللسان في (غضف) والتاج في (جمد). وقال ابن منظور في (عصف): «وروايتنا: مُغْضِفٌ» وجُمادَى: أراد الشتاء. وفي اللسان عن أبي سعيد: «الشتاء عند العرب جُمادَى لجمود الماء فيه». وعن ابن سِيْدَه: «وجُمادى من أسماء الشهور معرفة سُمِّيت بذلك لجمود الماء فيها عند تَسْمِية الشهور. وقال أبو حَنِيْفة: جُمادَى عند العرب الشتاء كلّه، في جُمادى كان الشتاء أو في غيرها» ـ اللسان (جمد). والجَناب: الناحية والفناء، وما قرب من محلّة القوم. والعَطَن: مَراح الإبل، وأراد بها هنا نخيله الراسخة. والمُغْضِف: الكثير الحمل، وأراد أحيحة: «إذا لم يكن المطرُ الذي به العُشْب يُزيِّن مواضع الناس فجنابي تُزَيِّن بالنخل» ـ اللسان (جمد).

٢ ـ مُـغْـرَوْرِفٌ أَسْـبَـلَ جَـبَّـارَهُ   أَسْـوَدُ كـالـغـابـةِ مُـغْـدَوْدِفُ[١]
٣ ـ يَـزْخَـرُ فـي أَقْـطـارِهِ مُـغْـدِقٌ   بـحـافَـتَـيْـهِ الـشُّـوْعُ والـغِـرْيَـفُ[٢]

(١٠)

في الأغاني (١٥: ٤٣ ـ ٤٤)[٣]: (الوافر)

١ ـ أَلاَ يَا لَهْفَ نَفْسِي أيَّ لَهْفِ   على أَهْلِ الفَقارةِ أيَّ لَهْفِ[٤]
٢ ـ مَضَوا قَصْدَ السَّبِيْلِ وخَلَّفُوْني   إلى خَلْفٍ مِنَ الأبْرامِ خَلْفِ[٥]
٣ ـ سُدَىً لا يَكْتَفُونَ ولا أراهُمْ   يُطيعُون امْرأً إنْ كانَ يَكْفِي[٦]

(١١)

في جمهرة النسب (٢: ٣٧٩):[٧] (الهزج)

١ ـ أَلاَ أَبْـلِـغْ سُـهَـيْـلاً أَنّـــ   ـــنِي ما عِشْتُ كافِيْكا

وفي الاستبصار في نَسَب الصحابة (٣١٣):

٢ ـ فَـلاَ يُلْهِيْكَ عن مالِـــ   ـــكَ في قَوْمٍ تَرائِيْكا[٨]

---

(١) في قطعة من كتاب النبات، واللسان (شوع):
مُغْرَوْرِفٌ أَسْبَلَ جَبَّارَهُ   بحافَتَيْهِ الشُّوْعُ والغِرْيَفُ
وفي جمهرة اللغة: «بأكنافِها الشُّوْعُ». وفي التاج (شوع): «بأكنافِهِ الشُّوْعُ» واغرَوْرَفَ: صار له عُرْفٌ، أي طالَ وَنَمَا. والجَبَّار: ما طال من النخل وفاتَ اليدَ. واغْدَوْدَفَ: اسودَّ، أو صارَ إلى سواد.

(٢) في التاج (جمد): «يَزْخَرُ في حافاتِهِ مُغْدِقٌ». ويَزْخَر: يكثر. وأقطاره: جَنَباته. ومُغْدِق: غزير. والشُّوع: شجر البان. وفي التاج (شوع): «قال ابن بَرِّي، والصغاني: هو لأحيحة يصف غَطَنَهُ، وأنَّ له بساتين وأرضين يزرعها ويسقيها بالسواني، فلا يعبأ بتأخُّر المطرِ وانقطاعِه».

(٣) قال أحيحة هذه الأبيات يرثي بها «الأزياد» الذين قتلهم تُبَّع، وهم زَيْد بن ضُبَيْعة بن زَيْد بن عَمْرو بن عَوْف، وابن عمّه زيد بن أميّة بن زيد، وابن عمّه زيد بن عبيد بن زيد ـ أنظر الأغاني ١٥: ٣٩، والخزانة ٣: ٣٥٥ (ط هارون).

(٤) أهل الفقارة: هم الأزياد الذين يرثيهم الشاعر. والفقارة: واحدة الفقار، وهي أجزاء الحرَّة التي قُتِلوا فيها، وشُبِّهت بفقار الظهر ـ الأغاني ١٥: ٤٠.

(٥) قَصْدَ السبيل: واضِح الطريق. والخَلْف عكس السَّلَف، والأبرام: مفردها بَرَم، وهو اللئيم، والبَرَم، في الأصل، «الذي لا يدخلُ مع القوم في المَيْسِر ولا يُخْرِج معهم فيه شيئًا» ـ اللسان (برم).

(٦) السُّدَى: المُهْمَل. والجَمْع والواحد فيه سواء.

(٧) جَعَلْنا هذه القصيدة في أشعار أحيحة غير المُخْتَلَف فيها، لأنّنا وَجَدْنا قرائن شديدة الإغراء، وقويَّة التشجيع، على ما ذهبنا إليه ـ أنظر التخريج.

(٨) التَّرائِي: النظر في المِرْآة. وفي اللسان: «وقال أبو زيد: تَرَاأَيْتُ في المرآة ترائيًا ورأَّيْتُ الرجل تَرئِيَةً إذا أمسكتُ له المِرْآة لينظر فيها» ـ اللسان (رأى). ولعلَّ في الترائي شيئًا من معنى العُجْبِ والاختِيال.

٣ ـ وشَدِّدْ طَبَقَ الحَيْزُو م إنَّ المَوْتَ لاقِيكَا[١]
٤ ـ ولا تَجْزَعْ مِنَ المَوْتِ إذا حَلَّ بَوادِيكَا[٢]
٥ ـ فَقَدْ أعْلَمُ أقْوامًا وإنْ كانُوا صَعالِيكَا
٦ ـ مَسَارِيعًا إلى النَّجْدَا تِ لِلْغَيِّ مَتارِيكَا[٣]

وفي شرح الحماسة للتبريزي (١: ١١٥) (ط بولاق):

٧ ـ وخَفِّضْ عَنْك في المِشْـ ـيَةِ لا يُغْنِي تَبازِيكَا[٤]

(١٢)

في معجم البلدان (أيْلة): (الطويل)

١ ـ ألاَ إنَّ عَيْنِي بالبُكاءِ تَهَلَّلُ جَزُوْعٌ صَبُورٌ كُلُّ ذَلِكَ يُفْعَلُ[٥]
٢ ـ فإنْ تَعْتَرِيْنِي بالنَّهارِ كآبَةٌ فَلَيْلِي، إذا أُمْسِي، أَمَرُّ وأَطْوَلُ
٣ ـ فَمَا هِبْرِزِيٌّ مِنْ دَنانِيْرِ أيْلَةٍ بأيْدِي الوُشاةِ ناصِعٌ يَتَأكَّلُ[٦]
٤ ـ بأحْسَنَ منهُ يَوْمَ أصْبَحَ غادِيًا ونَفَّسَنِي فيهِ الحِمامُ المُعَجَّلُ[٧]

---

(١) في شرح الحماسة للمرزوقي، والأساس: «حيازِيْمَكَ للموتِ.. فإنَّ». وفي القوافي للتنوخي، والعمدة، ومجمع الأمثال، والنهاية في غريب الحديث، وشرح نهج البلاغة، واللسان، والتاج: «أشدُدْ، حَيازِيْمَكَ لِلْمَوْتِ.. فإنَّ». وبذا يصبح البيت مَخْرومًا، ووقع خَرْمُهُ هنا بأربعة أحرف ـ أنظر القوافي ٧١، ومجمع الأمثال ١: ٣٦٧. والطبق: الغِطاء أو مُلْتَقَى المظمَّيْن في الحيزوم. والحَيْزوم: الصدر، وقال المرزوقي: سُمِّيَ بذلك لأنّه موضع الحَزْم والعَزْم لاشتماله على القَلْب ـ شرح الحماسة ١: ٣٣١.

(٢) الجَزَع: نقيض الصبر.

(٣) في الأصل المطبوع: «مَسارِيْعِ» وهو غير مستقيم نحوًا، لذا أصلحناه، ومساريع مفردها مِسْراع، وهو الشديد الإسراع. والغَيّ: الضلال والخيبة.

(٤) التبازي: سعة الخَطْو، وتَبازَى الرَّجُل أيضًا، إذا تكثَّر بما ليس عنده.

(٥) تَهَلَّلُ: تَتَهلَّلُ وتسيل. ولعلّ الشاعر أراد في عجز البيت أن يقول: إنّ نفسه تترجَّح بين الجزع والصبر.

(٦) الهِبْرِزي: الدِّينار الجديد. وأيْلَة: مدينة على ساحل بحر القلزم، أي البحر الأحمر، وقيل هي في آخر الشام وأوّل الحجاز، والوُشاة: ضرَّابُو الدنانير، يعني ضُرَّاب الذهب. وأوْشَى المعدنُ، واسْتَوْشَى: وُجِدَ فيه شيء يسير من الذهب ـ اللسان (وشي). ويتأكَّل. يأكل بعضُهُ بعضًا مِنْ حُسْنِهِ.

(٧) الغادي: المُبْكِر. وأراد هنا المُقْتَدَر صغيرًا. ونَفَّس: رَغَّب بالشيء. والحِمام: الموت.

(١٣)

في الأزمنة الأمكنة (٢: ٣٣٥): (المتقارب)

١ ـ لَقَدْ لأمَنِيْ في اشْتِراءِ النَّخِيْـ ـلِ قَوْمِي، فكُلُّهُمْ يَعْذِلُ[١]

٢ ـ وأَهْلُ الذي باعَ يَلْحُوْنَهُ كَمَا عُذِلَ الْبائِعُ الأَوَّلُ[٢]

٣ ـ هِيَ الظِّلُّ في الصَّيْفِ حَقُّ الظَّلِيْـ ـلِ، والْمَنْظَرُ الأَحْسَنُ الأَجْمَلُ[٣]

٤ ـ تَعَشَّى أسافِلُها بالجَبُوْبِ وتأتي حَلُوْبَتُها من عَلُ[٤]

٥ ـ وتُصْبِحُ حَيْثُ تَبِيْتُ الرِّعاءُ وإنْ ضَيَّعُوْها وإنْ أَهْمَلُوا[٥]

٦ ـ ولا يُصْبِحُوْنَ يُبَغُّوْنَها خِلالَ الْمَلاَ كُلُّهُمْ يَسْأَلُ[٦]

٧ ـ فَعُمٌّ لِعُمِّكُمْ نافِعٌ وطِفْلٌ لِطِفْلِكُمْ يُؤْمَلُ[٧]

---

(١) في ديوان أميّة بن أبي الصّلت: «يَلُوْمُوْنَنِي.. أَهْلِي». وفي محاضرات الأدباء. وإيضاح الوقف، والمغني، وشرح شواهد المغني: «يَلُوْمُوْنَنِي.. أهلي كُلُّهُم أَلْوَمُ». وفي أمالي ابن الشّجري: «يَلُوْمُوْنَنِي.. وكُلُّهم أَلْوَمُ». وفي الأضداد لأبي الطيّب: «أهلي، فكُلُّهم». وفي قوله: «يَلُوْمُوْنَني أَهْلِي» لغة (أكلوني البراغيث). وقال ابن هشام في واو الجماعة هنا: «هي علامة المُذكّرين في لغة طيّئ وأَزْد شَنُوْءَة وبلحارث.. وهي عند سيبويه حرف دالّ على الجماعة كما أنّ التاءَ في: (قالت) حرفٌ دالّ على التأنيث» ـ المُغني ٤٠٤ ـ ٤٠٥، وانظر مصادر التخريج.

(٢) لَحَاهُ يَلْحاهُ لَحْيًا: لامَهُ وشَتَمَهُ وعَنَّفَهُ.

(٣) في الأزمنة والأمكنة: «هو الظِّلُّ». وأثبتُّ ما في اللسان، والتاج. وفي محاضرات الأدباء: «هِيَ الماءُ والظِّلُّ حقُّ الظَّليل». وقال ابن سِيْدَه: «المعنى عندي هي الشيءُ الظليلُ، فوضع المصدر موضع الاسم» ـ اللسان، والتاج (ظلل).

(٤) في الأزمنة والأمكنة: «تعشّى أسافِلُها بالجنوبِ.. ويَأتي حَلُوبَتُها». وأثبَتُّ ما في اللسان. وفي محاضرات الأدباء:

تَغَشَّى الجُبُوْبَ بأنابِها ويَجْلُبُ مِنْ ضَرِّتِها مِنْ عَلُ

وهي مُحَرَّفة وغامضة. والجَبوب: الأرض الغليظة، أوْ وجْه الأرض، وقال ابن منظور شارحًا: يعني بها النخل، يعني أنّها تعشّى مِن أسفل أي تشرب الماء، ويأتي حَمْلُها من فوق، وعنى بحلوبتها حَمْلَها كأنّه وضع الحلوبة موضع المحلوب» ـ اللسان (عشا). ويُقال في «مِنْ عَلُ»: أتيتُهُ من عَلُ بضمّ اللام، ومِنْ عَلُوْ بضمّ اللام وسكون الواو، ومن عَلِي بياء ساكنة. وهو في رسم (عَلُ) في موضع المبنى علي الضّمّ ـ اللسان (علا). وانظر إصلاح المنطق ٢٥ ـ ٢٦.

(٥) الرِّعاء: مفردُها الراعي، وهو معروف. وقال ابن منظور شارحًا: «إنّما عَنَى بالرِّعاء هنا حَفَظَة النَّخْل لأنّه إنّما هو في صِفَةِ النخيل، يقول تُصْبِحُ النخل في أماكنها لا تنتشر كما تنتشر الإبل المُهْمَلة» ـ اللسان (رعى).

(٦) المَلاَ: المُتَّسَع من الأرض، والمَلاَ: الصحراء. وما زال أُحَيْحَة هنا، يُقارن بين النخل والإبل.

(٧) في الأزمنة والأمكنة: «فعمُّ لعمِّيكم نافِعٌ» تحريف، وأثبتُّ ما في محاضرات الأدباء. والعُمُّ من =

(١٤)

في جمهرة أشعار العرب (٢: ٦٤٦ ـ ٦٥١)[1]: (الوافر)

١ ـ صَحَوْتُ عن الصِّبا والدَّهْرُ غُوْلُ ... وَنَفْسُ الْمَرْءِ آوِنَةً قَتُوْلُ[2]

٢ ـ وَلَوْ أَنّي أَشاءُ نَعِمْتُ حالاً ... وباكَرَنِي صَبُوْحٌ أَوْ نَشِيْلُ[3]

٣ ـ وَلاَعَبَنِي عَلَى الأَنْماطِ لُعْسٌ ... على أَفْواهِهِنَّ الزَّنْجَبِيْلُ[4]

٤ ـ ولكنِّي جَعَلْتُ إزايَ مالِيْ ... فأُقْلِلُ بَعْدَ ذَلِكَ أَوْ أُنِيْلُ[5]

٥ ـ فَهَلْ مِنْ كاهِنٍ أَوْ ذِي إِلَهٍ ... إذا مَا حانَ مِنْ رَبٍّ أُفُوْلُ[6]

٦ ـ يُرَاهِنُني، فَيَرْهَنُنِيْ بَنِيْهِ ... وأَرْهَنُهُ بَنِيَّ بِما أَقُوْلُ[7]

٧ ـ وما يَدْرِي الفَقيرُ مَتَى غِناهُ ... وما يَدْرِي الغَنِيُّ مَتَى يَعِيْلُ[8]

=الرجال: البالِغون المدركون. وقال أبو الطيِّب اللُّغَويّ شارِحًا: «أراد أحيحة أنَّ الكبارَ من النخل للكبارِ من الرجال، وأنَّ الصغار للأطفال تشبُّ معهم، والنَّخْلُ يُؤَنَّث، ويذكَّر. والتأنيث لغة أهل الحجاز» ـ الأضداد ٢: ٦٥٦، وانظر الأضداد للأنباري ٢٥.

(١) قصيدة أحيحة هذه واحدة من القصائد المُذْهَبات في جمهرة أشعار العرب، وقد أضفنا إليها البيتَين ١١ و١٢ من الأغاني بحسب ترتيبهما فيه. وقد قال أحيحة قصيدته هذه بعد أن أجمع بالغارة على قوم زوجه سَلْمى ومرَّ خبرها من قبل ـ أنظر الأغاني ١٥: ٥٠.

(٢) في الاستبصار: «والْجَهْلُ غُوْلُ.. آونةً عَقُوْلُ». وفي شرح الحماسة للتبريزي، واللسان، والتاج: «آونةً مَلولُ». والغَوْل: كلُّ ما غال، أي أهْلَكَ. والآونة: مفردها أوان، وهو الوقت والحين.

(٣) في البخلاء: «فَلَوْ أَنّي». والصَّبُوْح: كلّ ما أُكِلَ أو شُرِبَ في الصباح، والنَّشِيْل: ما طُبِخَ من اللحم بغير تابِل، يخرج من المَرَق ويُنْشَل.

(٤) في البخلاء: «على أنيابِهِنَّ الزَّنْجَبِيْلُ». والأنماط: مفردُها نَمَط، وهو ضَرْبٌ من الثياب المُصَبَّغة. واللُّعْس: مفردها لَعْساء، وهي الجارية التي في لونها أدْنَى سَواد فيه شُرْبةُ حُمْرة، وليست بالنّاصِعة. والزَّنْجبيل: الخَمْرة، وأصلُ الزنجبيل نَبْت بأرْض عُمان، وهو مُسْتَطابٌ عِنْدَهم جدًّا.

(٥) في البخلاء: «ولكنّي خُلِقْتُ إذًا لِمالي». وفي المعاني الكبير: «جُعِلْتُ إزاءَ مالي.. فأَبْخَلُ بَعْدَه». وإزايَ: تجاهي، وهي مُخَفَّفة من إزائي. وأراد «لا أُبالي أَسْتَغْنَيْتُ أم افتقرْتُ». جمهرة أشعار العرب ٢: ٦٤٧.

(٦) في جمهرة اللغة:

فَمَنْ شَاءَ كاهِنًا أوْ ذَا إلَهٍ ... إذا ما حانَ مِنْ إلٍّ نُزُوْلُ

وقد خُفِّفَ فِعْلُ (شاء) هنا، فحُذِفت منه الهمزة. وفي الكامل لابن الأثير:

فَهَلْ مِنْ كاهِنٍ آوِيْ إلَيْهِ ... إذا ما حانَ مِنْ إلٍّ نُزُوْلُ

وفي الأشباه والنظائر: «إذا ما كان مِنْ قَدَرٍ نُزُوْلُ». وفي اللسان: «إذا ما كانَ مِنْ رَبّي قُفُوْلُ». وذُو الإله: صاحب الدِّين. والرَّبّ: المالِك أو السيِّد المُطاع. والأُفُوْل: الغُرُوْب وزوال الجاه والسلطان.

(٧) في الكامل لابن الأثير: «يُراهِنُني». ورَهَنَ: دَفَعَ شيئًا للمراهِن لقاءَ الوفاء بوعْدٍ أو قول.

(٨) في الأشباه والنظائر: «لما يدري». وفي جمهرة اللغة، والاستبصار، والكامل لابن الأثير: «فما يدري». =

٨ ـ وما تَـدْرِي وإنْ أَلْـقَـحْـتَ شَـوْلاً ... أَتَـلْـقِـحُ بَـعْـدَ ذَلِـكَ أَوْ تَـحِـيْـلُ[(١)]

٩ ـ وما تَـدْرِي إذا ذَمَّـرْتَ سَـقْـبًـا ... لِـغَـيْـرِكَ أَمْ يكـونُ لـكَ الْـفَـصِـيْـلُ[(٢)]

١٠ ـ وما تَـدْرِي وإنْ أَجْـمَـعْـتَ أَمْـرًا ... بـأيِّ الأرْضِ يُـدْرِكُـكَ المَقْـيِـلُ[(٣)]

[١١ ـ تَـفَـهَّـمْ أيُّـها الرَّجُـلُ الجَهُـوْلُ ... ولا يَـذْهَـبْ بِـكَ الرَّأْيُ الْـوَبِـيْـلُ[(٤)]

١٢ ـ فإنَّ الْـجَـهْـلَ مَـحْـمَلُهُ خَفِـيْـفٌ ... وإنَّ الحِلْـمَ مَـحْـمَـلُـهُ ثَـقِـيْـلُ]

١٣ ـ لَعَـمْـرُ أَبِـيْكَ ما يُغْـنِـي مَقَـامِي ... مِـنَ الْـفِـتْـيـانِ زُمَّـيْـلٌ كَـسُـوْلُ[(٥)]

١٤ ـ نَـؤُوْمٌ لا يُـقَـلِّـصُ مُـشْـمَـعِـلاً ... عَـنِ الْـعَـوْراتِ مَـضْـجَـعُـهُ ثَـقِـيْـلُ[(٦)]

= وفي مجموعة المعاني، والتذكرة السعديَّة، ونهاية الأرب: «فما يَدْري.. ولا يَدْرِي». وفي شرح نهج البلاغة، وأنوار الربيع: «ولا يدري الغَنِيُّ». وعالَ يَعِيْلُ عَيْلَةً وعُيُوْلاً: إذا افتقر.

(١) في حماسة البحتري: «وما تَدْري إذا أَضْرَبْتَ شَوْلاً.. أم تَحِيْلُ». وفي شرح نهج البلاغة: «إذا أَلْقَحْتَ.. أَتُنْتِجُ بَعْدَ ذلكَ أمْ تَحِيلُ». وفي الاستبصار: «إذا أَضْرَبْتَ شَوْلاً.. عامَ ذلك أمْ تحيلُ». وفي الأشباه والنظائر: «إذا أنْتَجْتَ شولاً.. أمْ تَحِيْلُ». والشَّوْل من النُّوق: واحدتها شائِلة وهي التي نُصِل ولدُها عنها، فلا تزال شَوْلاً حتّى يُرْسَلَ فيها الفحل. وحالت الناقة: لم تَحْمِل.

(٢) في الأشباه والنظائر:

وما تَـدْرِي إذا أَنْـتَـجْـتَ سَـقْـبًـا ... لأيِّ الـنَّـاسِ يَـنْـتَـقِـلُ الْـفَـصِـيْـلُ

وفي الاستبصار: «وإنْ رَشَّحْتَ سَقْبًا». وفي الكامل لابن الأثير: «وإن أَنْتَجْتَ سَقْبًا». وفي التذكرة السَّعْدِيَّة: «وإن أَنْتَجْتَ سَقْبًا.. أو يكونُ». والتذمير: لَمْسُ جَنِيْنِ الناقة على علباوَيْه ليُنْظَرَ أذَكَرٌ هو أم أُنْثَى. والسَّقْب: وَلَدُ الناقة بعد أن تضعه ويعرف أنّه ذَكَرٌ ـ التهذيب ٨: ٤١٦. والفصيل ولد الناقة بعد أن يُفْصَلَ عنها.

(٣) في مجموعة المعاني، والحماسة البصريَّة: «ولا تَدْري إذا يَمَّمْتَ أرضًا.. بأيِّ الأرض». وفي شرح نَهج البلاغة، ونهاية الأرب، واللسان: «إذا أَزْمَعْتَ أَمْرًا». وفي الأشباه والنظائر: «إذا أَجْمَعْتَ». وفي جمهرة اللغة، والاستبصار، والتذكرة السَّعْدِيَّة: «وإن أَزْمَعْتَ أَمْرًا». وأَجْمَعْتَ الأمرَ: عزمْتَ عليه. والمَقِيلُ: زمان القَيْلُوْلَة ومَكانها.

(٤) لم يرد هذا البيت والذي يليه في جمهرة أشعار العرب وأضفتهما بترتيبهما من الأغاني. والرأي الوَبِيْل: الرأيُ الفاسد والضارّ.

(٥) في شمس العلوم: «لاَ وَأَبِيْكَ ما يُغْنِي غَنائِي». وفي الاستبصار: «ولا وأبيكَ ما يُغْني مَكاني.. رائحةٌ جَهُوْلُ». وفي مختار الأغاني: «ما يُغْنِي مكاني.. رائحةٌ جَهُولُ». وفي الكامل لابن الأثير: «مِنَ الخَلْفاءِ آكِلَةٌ غَفُولُ». وفي جمهرة أشعار العرب: «من الفِتْيانِ أَنْجِيَةٌ حَفُوْلُ». وبعض هذه الروايات لا يخلو من تحريف أو تصحيف. وأَثْبَتُّ الشطر الثاني حسبما وَرَد في سائر المصادر. والزُّمَّيْل: الضَّعِيْف والجَبان والرُّذْل.

(٦) في جمهرة أشعار العرب: «يَرُوْمُ ولا يُقَلِّصُ». وفي الأغاني: «نَؤُوْمٌ ما يُقلِّصُ مُشْتَقِلاً... على الغايات مَضْجَعُهُ» فَخَلص لنا منهما الروايةُ الأعلى. وفي الكامل لابن الأثير: «ما يُقلِّصُ.. على الغاياتِ مَضْجَعُهُ». وفي مختار الأغاني: «ما تقلّصُ مُسْتَقِلاً... على الغاياتِ مَضْجَعُهُ». وفي الاستبصار: «عن الغارات مَضْجَعُهُ». والنَّؤُوْم: الكثير النوم. ويُقلِّص: يُدانِي ويَضُمُّ، والمُشْمَعِل: المُنْتَشِر =

١٥ ـ تَبُوْعٌ لِلْحَليلةِ حَيْثُ كانَتْ ... كما يَعْتادُ لِقْحَتَهُ الْفَصِيْلُ[١]

١٦ ـ إذا ما بِتُّ أَعْصِبُها فَباتَتْ ... عَلَيَّ مَكانَها الحُمَّى النَّشُوْلُ[٢]

١٧ ـ لَعَلَّ عِصابَها يَبْغِيْكَ حَرْبًا ... ويَأْتِيْهُم بعَوْرَتِكَ الدَّلِيْلُ[٣]

١٨ ـ وقدْ أَعْدَدْتُ لِلْحَدَثانِ حِصْنًا ... لَوَ انَّ الْمَرْءَ تَنْفَعُهُ الْعُقُوْلُ[٤]

١٩ ـ طَويلَ الرَّأْسِ أَبْيَضَ مُشْمَخِرًّا ... يَلُوْحُ كأنَّه سَيْفٌ صَقِيْلُ[٥]

٢٠ ـ جَلاَهُ القَيْنُ ثُمَّتَ لَمْ يَشِنْهُ ... بناحِيَةٍ ولا فيهِ فُلُوْلُ[٦]

٢١ ـ هُنالِكَ لا يُشاكِلُنِي لَئِيْمٌ ... لَهُ حَسَبٌ أَلَفُّ ولا دَخِيْلُ[٧]

٢٢ ـ وَقَدْ عَلِمَتْ بنو عمرٍو بأنِّي ... مِنَ السَّرَوَاتِ أَعْدِلُ ما تَمِيْلُ[٨]

٢٣ ـ إذا ما إخْوَةٌ كَثُرُوا وطابُوا ... فإنَّهُمُ لأُمِّهِمُ الْهَبُوْلُ[٩]

= والمُتَفرِّق من الإبل وغيرها. والعَوْرات: مُفْرَدُها عورة، وهي كلّ أمْرٍ يُسْتَحْيَا منه. ومضجعُهُ ثقيل: أي بطيء الاستيقاظ والنهوض. أراد أنّه يبتعد عن كلّ نقيصة أو مَعَرَّة.

(١) في الكامل لابن الأثير: «تَنَزَّعُ لِلْجَليلةِ حَيْثُ كانَتْ» تحريف وتصحيف. وفي الاستبصار: «حيثُ حَلَّتْ». وساق ابن قُدامة المَقْدِسي، مؤلِّف الاستبصار، بعده، هذا البيت أيضًا:

إذا أَلْقَى بِجانِبِها جِرانًا ... تَحَمْحَمَ كالْحِصانِ لَهُ صَهِيْلُ

والتَّبُوع: الكثير التَّبَع والملاحقة. والحَلِيْلَة: الزوجة أو الجارة. واللِّقْحَة: الناقة في أوَّل نتاجها. والفَصِيْل: وَلَدُ الناقة عند فَصْلِهِ عنها، فهو يلحّ في اتّباعها.

(٢) في الأغاني:

إذا باتَتْ أُعَصِّبُها فنامَتْ ... عليَّ مكانَها الحُمَّى الشَّمُوْلُ

وفي الاستبصار: «حُمَّى نَسُوْلُ». والنَّشُول: السريعة.

(٣) في الاستبصار: «يأْتِيْكَ ضَرْبًا... بعَوْذَتِكَ الدَّلِيْلُ» تحريف. وعصائبها: اسم لِما يُعْصَب بها. والعَوْرة هنا: الثُّغْرة أو الخَلَل الذي يُتَخَوَّف مجيء العدوّ منه.

(٤) في الأغاني: «للحِدْثان عَقْلاً». وفي المجمل، والمقاييس: «للحِدْثانِ صَعْبًا». وفي مختار الأغاني: «للحدثان أصلاً.. يَنْفَعُهُ»، وفي تهذيب اللغة، والكامل لابن الأثير: «يَنْفَعُهُ العُقُول». والعُقول: مفردها عَقْل، وهو الحصن.

(٥) الأبيض، هُنا: حِصْن أُحيحة المعروف بالضَّحْيان ـ الأغاني ١٥: ٤٨ . والمُشْمَخِرّ: العالِي.

(٦) في الكامل لابن الأثير:

جَلاهُ الْقَيْنُ ثُمَّتَ لم تَخُنْهُ ... مَضارِبُه، ولاطَتْه فُلُوْلُ

والقَين: الحدّاد وصانع السيوف. وشانَ: عاب. والفلول: مفردها فَلّ، وهو الثَّلْم في السيف.

(٧) شاكَلَ: شابَهَ. والحَسَب الأَلَفُّ: الحَسَبُ المَدْخُول الدَّنِيء. والدخيل: المُدْخِل نفسَه في قوم ليس منهم.

(٨) في المعاني الكبير، والأشباه والنظائر: «وَقَدْ عَلِمَتْ سراةُ الأَوْسِ أَنِّي... مِنَ الفِتْيان أَعْدِلُ». وبنو عَمْرو: قوم أحيحة. والسَّروات: مفردها سراة والسراة اسمٌ للجَمْع، وسَراة كُلِّ شيء أعلاه، والسُّراة مفردها سَرِيّ، وهو الشريف الرفيع في قومه. وأَعْدِلُ: أُقَوِّمُ العِوَج والمَيْل.

(٩) في جمهرة أشعار العرب: =

٢٤ ـ سَتَثْكَلُ أَوْ يُفارِقُها بَنُوها ... سَرِيعًا أَوْ يَهُمُّ بِهِمْ قَبِيلُ(١)

(١٥)

في الجليس الصالح (١: ٤٧٨ ـ ٤٧٩): (البسيط)

١ ـ إسْتَغْنِ أَوْ مُتْ ولا يَغْرُرْكَ ذُو نَشَبٍ ... مِنِ ابْنِ عَمٍّ، ولا عَمٍّ، ولا خالِ(٢)

٢ ـ يَلْوُونَ ما عِنْدَهُمْ عَنْ حَقِّ جارِهِمُ ... وعَنْ عَشِيرَتِهِمْ، والْحَقُّ لِلْوالِي(٣)

٣ ـ واجْمَعْ ولا تَحْقِرَنْ شَيْئًا تُجَمِّعُهُ ... ولا تُضَيِّعْهُ يَوْمًا على حالِ(٤)

٤ ـ إِنِّي أُقِيمُ عَلَى الزَّوْرَاءِ أَعْمُرُها ... إِنَّ الكَرِيمَ عَلَى الأقْوامِ ذُو المالِ(٥)

= وما مِنْ إخْوَةٍ كَثُرُوا وطابُوا ... بِناسِبَةٍ لأُمِّهِمُ الهَبُولُ

وأثبتُّ ما في حماسة البحتري. وفي الكامل لابن الأثير:

وما إنْ إخوةٌ كَبُروا وطابُوا ... لِباقِيَةٍ، وأُمُّهُمُ هَبُولُ

والْهَبُوْل: الثكول، من الهَبَل، وهو الثُّكْل.

(١) في حماسة البحتري: «بِمَوتٍ أَوْ يَرُوْعُهُمُ قتيلُ». وفي الكامل لابن الأثير: «بموتٍ، أو يَجِيءُ لَهُمْ قَتُول»، والثُّكل والثَّكَلُ: فَقْدُ الوَلَد، أو الزَّوْج. وهَمَّ بالشيء: نَواهُ وأرادَهُ وعزم عليه.

(٢) في العقد الفريد:

فَلاَ يَغُرَّنْكَ ذُوْ قُرْبَى وذُوْ نَشَبٍ ... مِن ابْنِ عَمٍّ ومِنْ عَمٍّ ومِنْ خالِ

وفي الحماسة البَصْرِيَّة: «اسْتَبْقِ مالَكَ لا يَغْرُرْكَ». وفي المُمْتِع في عِلْم الشعر، ومعجم البلدان: «ذُوْ نَسَبٍ». والنَّشَبُ: المال والعقار.

(٣) في مختار الأغاني: «يَلوونَ ما لهمُ عَنْ حَقِّ أَقْرَبِهِمْ». وفي فصل المقال:

يَلْوُوْنَ ما عندَهُمْ عَنْ حَقِّ أقْرِبِهِمْ ... ومِنْ عشيرتِهِمْ، والمالُ بالوالِي

وفي عيون الأخبار: «مِنْ حَقِّ... عن صديقِهِم، والمالُ بالوالي». وفي الجليس الصالح، والبيان والتبيين، ومعجم البلدان: «والمالُ بالوالِي». وأثبتُّ ما في الأغاني. ولَوَى: جَحَدَ، والَّوَى: استأثَرَ بالشيء. والوالِي: الأدْنَى لكَ نَسبًا وقُرْبًا.

(٤) في معجم البُلدان: «فاجْمَعْ وَلاَ.. ولا تُضَيِّعَنْهُ». ونون التوكيد، هنا، أخلَّتْ بالوزن.

(٥) في عيون الأخبار، والوساطة: «ولا أزالُ على.. على الإخوانِ ذُوْ». وزاد الجرجاني في الوساطة بعد هذا البيت:

وإنْ أرَدْتُ مُساماةً تَقاعَدُ بي ... عمّا يُنَوِّهُ باسْمِي رِقَّةُ الحالِ

وفي مجموعة المعاني: «ولنْ أزالَ على... على الإخوانِ ذُوْ». وفي حماسة البحتري: «ولنْ أزالَ عَلَى.. إنَّ الحبيبَ إلى الإخوانِ ذُو المالِ». وفي البُخَلاء: «إنّي أُكِبُّ على...». وفي البيان والتبيين، وجمهرة الأمثال (٢: ٣٨٤): «إنّي أُكِبُّ على.. على الإخوانِ ذُوْ». وفي الأغاني وجمهرة الأمثال (١: ٢١٧)، والممتع في علم الشعر، وألف با، واللسان (زور): «على الإخوانِ ذو». وفي الأمثال لأبي عبيد، والعقد، وفصل المقال، ومعجم البلدان، والحماسة البصريّة، ونشوة الطرب، وشرح مقامات الحريري، وأنوار الربيع: «إنَّ الحبيبَ إلى الإخوانِ ذو المالِ». والزَّوْراء: أَرْضٌ كانت لأُحَيْحَة بن الجُلاح.

٥ ـ لَها ثلاثُ بِئارٍ في جَوانِبِها وكُلُّها عُقَبٌ تُسْقَى بإقْبالِ[(١)]
٦ ـ كُلُّ النِّداءِ إذا نادَيْتُ يَخْذُلُني إلاَّ نِدائِي إذا نادَيْتُ يا مالِي[(٢)]
٧ ـ ما إنْ أقولُ لِشَيْءٍ حِيْنَ أَفْعَلُهُ لا أسْتَطِيعُ، ولا يَنْبُو عَلَى حالِ[(٣)]

(١٦)

في المقاصد النحويَّة (٤: ٣٦)[(٤)]: (الرجز)

١ ـ تَأَبَّرِي يا خَيْرَةَ الْفَسِيلِ[(٥)]
٢ ـ تَأَبَّرِي مِنْ حَنَذٍ فَشُولِي[(٦)]
٣ ـ إذْ ضَنَّ أَهْلُ النَّخْلِ بالفُحُولِ[(٧)]
٤ ـ تَرَوَّحِي أَجْدَرُ أنْ تَقِيلِي[(٨)]

---

(١) في معجم البلدان: «بها ثلاثُ بناءٍ في.. فكلُّها». وفي «بناء» تحريف. وفي الأغاني: «جوانبها... في كلِّها». وفي الأغاني أيضًا: «قال الزُّبَيْر: العُقَب: الذي في أوَّل المال عندَ مَدْخلِ الماء. والطُّلَب: الذي في آخره» ـ الأغاني ١٥: ٣٧.

(٢) في فصل المقال، ونشوة الطرب: «إلاَّ نِدايَ إذا».

(٣) في الجليس الصالح: «حِيْنَ يَفْعَلُهُ». وهي رواية لا تنسجم مع المعنى في البيت السابق، لذا أثْبَتُّ ما في معجم البلدان. ونَبَا يَنْبُو: امتنع ولم يَنْقَدْ.

(٤) رَتَّبْنا هذه الأبيات طِبْقًا لِمَا لاحظه (العَيْنِي) من تقديم وتأخير فيها، وانظر التكملة والذيل (أبر). وفي تهذيب إصلاح المنطق: «قال أبو محمَّد الأعرابي كانت لأُحَيْحَة نخلةٌ مِئْخار، أطلعتْ بعدَ ذهاب الفُحَّال، فلم يجد ما يُؤَبِّرُها به، حتّى أتى بلدًا يُقال له: حَنَذ، فجاء بشيءٍ أَلْقَح به نخلته، فقال هذا» ـ تهذيب إصلاح المنطق ٢١٣.

(٥) في المُحْتَسَب: «يا خَيْرةَ الفَصِيل» تحريف. وأنشد التبريزي هذا البيت، وقال: «ويُرْوَى: تَلَقَّحِي يا حُرَّةَ الفَسِيْلِ» وأضاف شارحًا: «تأبَّرِي أيْ اقبلي التأبِيْرَ، وهو إصْلاح النخل، يقال أَبَرْتُ النخلَ آبُرُهُ وأبرْتُهُ إذا أصْلَحْتُهُ» ـ تهذيب إصلاح المنطق ٢١٢.

(٦) في إصلاح المنطق، ومعجم البلدان، ووفاء الوفا: «وشُوْلِي». وحَنَذ: قرية قريبة من المدينة فيها نخل كثير. وقيل إنّها لأحيحة ـ أنظر معجم ما استعجم ٤٧١، ومعجم البلدان (حنذ). «وقوله: شُوْلِي: شبَّهها بالناقةِ التي تُلْقَح فتَشُوْلُ ذَنَبَها، أي ترفعه» ـ اللسان (حنذ).

(٧) قال التبريزي: «ويُرْوَى: أهلُ الفَحْلِ بالفُحولِ». وأضاف شارحًا: «أي لم يعطوه طلْعَ الفحولِ وهو ما يُلَقَّح به».

(٨) تروَّحَ النبتُ والنخلُ: إذا طال. وتقيلي: قال العيني: «تقيلي مِن قال يقيل قَيْلولةً وقَيْلاً ومَقِيلاً، وهو النوم في الظهيرة». وقد نبَّه العيني أيضًا على أنّ كثيرين ممَّن تعاطوا تفسير هذا البيت، حتّى الأفاضل منهم، جعلوا الخطاب في قوله: «تَرَوَّحي» للناقة، وقالوا: «مَعْناهُ اصبري على السير في وقت الرواح، وهو وقت العشيّ، هو من زوال الشمس إلى الليل». وقال ابن الشجري في هذا البيت: «وفيه على ما ذهب إليه، ولم يذكره في الإيضاح (يعني أبا علي الفارسي) خمسة حذوف، لأنّه قد (رأَيْتُ مكانًا أَجْدَرَ بأن تَقِيْلِيْ فيه)، فحذف الفعلَ، وحَذَفَ المفعول الموصوف الذي هو «مكانًا»، وحذف الباء التي يتعدَّى بها «أَجْدَر»، =

٥ ـ غَــدًا بِــجَــنْــبَــيْ بَــارِدٍ ظَــلِــيـلِ

٦ ـ ومُــشْــرِبٍ يُــشْــرِبُــهـا رَسِــيـلِ[١]

٧ ـ لا آجِــنِ الــطِّــبْــعِ ولا وَبِــيْــلِ[٢]

وفي جمهرة اللغة (٣: ٣٩):

٨ ـ وإنَّــمـا الــنَّــخْــلُ مِــنْ الْــفَــسِــيْــلِ

٩ ـ كَــذلِــكَ الــقَــرْمُ مِــنَ الأَفِــيْــلِ[٣]

(١٧)

في المعاني الكبير (٧٨): (الكامل)

١ ـ تَذَرُ الْعَنَاجِيْجُ الْجِيادَ بقَفْرةٍ مَـرَّ الـدُّمُـوْكِ بمُـحْـصَـدٍ ورِجـامِ[٤]

(١٨)

في اللسان (برم): (الخفيف)

١ ـ إنْ تُـرِدْ حَـرْبِـيْ تُـلاَقِ فَـتَـىً غَـيْـرَ مَـمْـلُـوْكٍ وَلاَ بَـرَمَـهْ[٥]

وفي اللسان (حرم):

٢ ـ قَـسَـمًـا مـا غَـيْـرَ ذِي كَـذِبٍ أنْ نُـبِـيْـحَ الْـخِـذْنَ والْـحُـرَمَـهْ[٦]

= وحذف الجارّ في «فيه»، فصار (تقيليه)، فحذف العائد إلى الموصوف» ـ أمالي ابن الشجري ١: ٣٤٣ ـ ٣٤٤.

(١) الرَّسِيْل: السَّهْل، وهو صِفةٌ للمُشْرِب.

(٢) الآجِن: المُتَغيِّر الطَّعْم واللَّوْن، والطِّبْع: الماء الذي طُبِعتْ فيه الرواية. والطِّبْع: النَّهْر. والوَبِيل: الوَخِيْم.

(٣) القَرْم: الفَحْل الذي يُتْرَك من الركوب والعَمَل ويودع لِلْفِحْلة. والأَفِيْل: ابن المَخاض وما فوقه. أرادكما يصير الفسيلُ نخلا، يصير الأَفِيْل قَرْمًا.

(٤) تَذَرُ: تَدَع «وقال الليث: العرب قد أماتَت المصدر منْ يَذَر، والفعل الماضي فلا يُقال وَذِرَهُ ولا واذِر، ولكن تَرَكَهُ وهو تارك» ـ اللسان (وذر). والعَناجِيْج: مفردها عُنْجُوْج، وهو الرائع من الخيل، والقَفْرة: الخَلاء من الأرض وشرح ابن قتيبة الشطر الثاني قائلاً: «الدُّمُوْك بَكَرة سريعة الدوران، مُحْصَد: حَبْلٌ شديد الفَتْل. والرِّجام: حَجَرٌ يُشَدُّ في طَرَفِ الحَبْل ثمَّ يُدَلَّى في البئر يُخَضْخَضُ به الحَمْأَةُ حتّى تثور، ثمَّ يُسْتَقى ذلك الماء، فيُسْتَنْقَى البئر، وهذا إذا بعدت فلم يُنْزَل إليها» ـ المعاني الكبير ٧٨.

(٥) المَمْلوك: العَبْد. والبَرَمة: أصلها البَرَم، وهو الذي لا يدخل مع القوم في المَيْسِر. والبَرَم: اللئيم. وفي اللسان «قال ابن سِيْدَه: إنَّما عنى بالبَرَمة: البَرَم. والهاء مُبالغة. وقد يجوز أن يؤنّث على معنى العين والنفس» ـ اللسان (برم).

(٦) في حاشية اللسان: «وقوله أنْ نُبيحَ الخِذْنَ كذا في الأصل. والذي في نسختين من المُحْكَم: أنْ نُبيحَ الحِصْنَ». والحُرْمة والحُرَمة: العَهْد والمِيْثاق. «وقال ابن سِيْده: فإنّي أحسب الحُرَمة لغة في الحُرْمة. وأحْسَنُ مِنْ ذلك أن يقول والحُرُمة بضَمّ الراء، فتكون من باب ظُلْمة وظُلُمة، أو يكون أَتْبَعَ =

(١٩)

في البيان والتبيين (١: ٥): (مجزوء الكامل)

١ ـ والصَّمْتُ أَجْمَلُ بالْفَتَى ما لَمْ يَكُنْ عِيٌّ يَشِينُهْ[١]

٢ ـ والقَوْلُ ذُوْ خَطَلٍ إذا مَا لَمْ يَكُنْ لُبٌّ يُعِينُهْ[٢]

(٢٠)

في حماسة البحتري (٢١٧): (مجزوء الكامل)

٣ ـ والمَرْءُ قَدْ يَرْجُو الرَّجا ءَ مُغَيَّبًا والْمَوْتُ دُوْنَهْ[٣]

(٢١)

في شرح القصيدة الدامغة (١٣): (الخفيف)

١ ـ وَكَرِيْمٍ نالَ الكَرامةَ مِنَّا ولَئِيْمٍ ذي نَخْوَةٍ قدْ أَهَنَّا[٤]

٢ ـ ثُمَّ لَمْ يَرْجعِ الكلامُ إلَيْنا لَوْ تَرَى في الْكَلامِ أن قد أَذِنَّا

(٢٢)

في الأغاني (٥: ٤٨)[٥] (الرجز)

١ ـ بَنَيْتُ بَعْدَ مُسْتَظِلٍّ ضاحِيَا[٦] ٢ ـ بَنَيْتُهُ بعُصْبَةٍ منْ مالِيَا[٧]

= الضَّمُّ للضرورة» ـ اللسان (حرم).

(١) في بَهجة المجالِس: «الصمتُ أَكْرَمُ». وفي غُرَر الخصائص الواضِحة: «الصَّمْتُ أَزْيَنُ». والعِيُّ: العَجْزُ وعدم القدرة على إحكام الكلام. وشانَهُ يشينُهُ شَيْنًا: عابَهُ

(٢) في الاستبصار، وشرح نهج البلاغة: «لبٌّ يَزِيْنُه». والخَطَل: الكلام الفاسِد المضطرب. واللُّبُّ: العقل.

(٣) المُغَيَّب: المُتناسِي والمتغافِل.

(٤) النَّخْوة: العظمة والكِبْر والفَخْر.

(٥) قال أبو الفَرَج ما خلاصته: كان لأحيحة أُطْمان، أحدُهما في قومِهِ ويقال له المُسْتَظِلّ. وهو الذي تحصَّن فيه حين قاتَلَ تُبَّعًا أسعد أبا كَرِب، والثاني الضَّحْيان، وهو بالقصبة من أرضه التي يُقال لها الغابة، بناه بحجارة سُوْد، وبنى عليه نَبْرَةً بيضاء مثل الفضّة، ثمّ جعل عليها مثلها يراها الراكبُ من مسيرة يوم أو نحوه، ولمّا بناه، قال: (الأبيات).

(٦) الضَّاحِي: أراد الضَّحْيان، وهو، لغةً، البارز للشمس، غير المُسْتَتِر، كأنّه سمّاه به ـ أنظر شرح شواهد الشافِيَّة ٤: ١٥١.

(٧) العُصْبة: أرض لأُحَيْحة، أو هي أرض قومه ـ أنظر معجم البلدان (عصبة)، والجبال والأمكنة والمياه (عصبة) ـ وانظر تعليق البغدادي على البيت في شرح شواهد الشافِيَّة ٤: ١٥٠.

٣ ـ لِلسَّرِّ مِمَّا يَتْبَعُ القَواصِيَا[١]   ٤ ـ أخْشَى رُكَيْبًا أوْ رُجَيْلاً عادِيَا[٢]

ما يُنْسَبُ إلى أُحَيْحَة وإلى غيرِهِ من الشعراء

(١)

في الحماسة البَصريَّة (٢: ٤٢١ ـ ٤٢٢)[٣]:   (المنسرح)

١ ـ لَمْ أرَ مِثْلَ الأقْوامِ فِي غَبَنِ الأيَّامِ يَنْسَوْنَ ما عَواقِبُها[٤]

٢ ـ يَرَوْنَ إخوانَهُمْ ومَصْرَعَهُمْ   وكَيْفَ تَعْتَاقُهُمْ مَخالِبُها[٥]

٣ ـ فَمَا تُرَجِّي النُّفُوسُ مِنْ طَلَبِ الْـ   ـخَيْرِ، وحُبُّ الْحَياةِ كاذِبُها[٦]

(٢)

في إيضاح الوَقف (٨٠)[٧]   (الوافر)

١ ـ وذِي ضِغْنٍ كَفَفْتُ النَّفْسَ عَنْهُ   وكُنْتُ على مَساءَتِهِ أُقِيتُ[٨]

---

(١) في الكشّاف: «والشرُّ مِمَّا يَتْبَعُ القَواصِيَا». وفي الخزانة: «للسَّتْرِ مِمَّا يتبعُ القواصِيَا» تصحيف. والقواصِي: الأباعِد.

(٢) في الكشّاف: «أخشى رجلاً أو رَكيْبًا عادِيًا». وفي الخزانة: «رَجِيلاً عادِيًا». والرُّكَيب: مُصَغَّر رَكْب وهو الجماعة الراكبون. والرُّجيل: مُصَغَّر الرَّجْل، وهو الجماعة الراجِلون. والرَّكْب والرَّجْل اسمان لِلْجَمْع.

(٣) تُعْزَى الأبيات أيضًا إلى عَدِيّ بن زَيْد العبادي، وهي في في ديوانه ٤٥ ـ أنظر التخريج.

(٤) في الأغاني: «مِثْل الفِتْيانِ في». وفي ديوان عَدِي «كالفِتْيانِ». وقال أبو الفرج شارحًا: «الأيّامُ تغبن الناس فتخدعهم وتختلهم مثل الغبن في البيع» ـ الأغاني ٢: ١٤٧، وقال ابن الشجَري: «قوله: في غبن الأيّام يدلّ على أنّهم استعملوا الغَبَن المتحرِّك الأوسط في البيع، والأشْهَر غبنتُهُ غَبْنا بسكون الأوْسط، والأغلب على الغَبْن أن يُستعمَل في الرأي... ومفعول الغَبَن في البيت محذوف، أي في غبن الأيّام إيّاهم» ـ أمالي ابن الشجري ١: ٧٤ ـ ٧٥.

(٥) في الأغاني: «ينسونَ إخوانَهم». وقال أبو الفرج: «تعتاقهم: تَحْبِسهُم، يُقال إعتاقَهُ واعتقاه» ـ الأغاني ٢: ١٤٧، والاعتقاء: الاحتِباس، وهو قَلْبُ الاعتياق، اللسان (عقا).

(٦) في حماسة البحتري، وديوان عَدِي: «ماذا تُرَجِّي». وفي الأغاني: «ماذا تُرَجِّي.. الحياة كارِبُها». والهاء في «كاذبها» تعود على النفوس، وكَذْب النفوس: أمنيتُها بغيرِ حقّ. وقد سُمِّيت النفس بالكَذُوب ـ اللسان (كذب).

(٧) ويُنْسَب البيت أيضًا إلى ثَعْلَبة بن مَحيْصة الأنصاري، وإلى رِفاعة بن عَوْف الأوْسِي، وإلى قَيْس بن رِفاعة اليهودي، وإلى الزُّبَيْر بن عَبْدِ المُطَّلِب ـ أنظر التخريج.

(٨) في إيضاح الوقف، وإصلاح المنطق، وتهذيب إصلاح المنطق، وجمهرة اللغة، والصحّاح، والتكملة والذيل، واللسان، والإتقان: «مساءتِهِ مُقيتَا». وقال الصغاني في التكملة: «والرواية: أُقِيتُ، والقافية مضمومة وبَعْدَه:

يَبِيتُ الليلَ مُرْتَفِقًا ثَقِيلاً   على فَرْشِ القَناةِ وما أبِيتُ» =

(٣)

في التخليص في علوم البلاغة (٢٥٣)[١]: (الطويل)

١ ـ وَقَدْ لاحَ في الصُّبْحِ الثُّرَيَّا لِمَنْ يَرَى ... كَعُنْقُودِ مُلاَّحِيَّةٍ حِينَ نَوَّرا[٢]

(٤)

في الاستبصار (٣١١)[٣]: (المنسرح)

١ ـ يا مالِ لا تَلْتَمِسْ ظُلامَتَنا ... فإنَّنا مالِ مَعْشَرٌ أُنُفُ[٤]

٢ ـ إنَّ كُعَيْبًا عَبْدٌ لِغَيْرِكُمُ ... والحَقُّ فِيهِ لأمْرِكُمْ نَصَفُ[٥]

= ولهذا أثبتْنا الرويَّ بالرفع. وفي المقاييس، والتاج: «إساءته مُقِيْتا». وقال صاحب التاج: «وأنشد الفراء:

وذِي ضِغْنٍ كَفَفْتُ النَّفْسَ عَنْهُ ... وكُنْتُ على إساءَتِهِ مُقِيْتا

أي مُقتَدِرًا. وقرأت على هامش نسخة الصحّاح بخطّ ياقوت ما نصّه ذكر أبو محمّد الغُنْدُجانيّ أنّ هذا البيت في قصيدة مرفوعة ورواه: «على مساءته مُقِيتُ» ـ التاج (قوت). وقال الأستاذ محمود شاكر مُعَلِّقًا على البيت: «والرفعُ في رواية ابن سَلاَّم وَجْهٌ عربيّ صحيح ـ أنظر ابن مالِك في كتابه شواهد التوضيح لمشكلات الجامع الصحيح ٢١ ـ ٢٢. وتأويل البيت: وكنتُهُ على مساءَتِه مُقِيتٌ فحذف خبرَ كان لأنّه ضمير متّصل، كما يحذف المفعول به إذا كان ضميرًا متّصلاً ويُسْتَغْنَى عنه، بنيّة الضمير، يعني = = «وكنتُه ذا ضِغْنٍ مثله، وأنا على مساءتِهِ مَقيتٌ» ـ طبقات فحول الشعراء ١: ٢٨٩.

والضِّغْن: الحِقْد والعداوة والبَغْضاء. وأُقِيتُ: أقْتَدِر.

(١) لم يُعْزَ هذا البيت في التلخيص لأُحَيْحة، بل عزاه لَهُ الشيخ (محمّد عَبْدُه)، شارح التلخيص وناشره، ولم يذكر الشيخ عَبْدُه مصدرَه القديم. ومثله فعل (هـ. رِيْتر) مُحقِّق أسرار البلاغة، إذ قال: «ويُرْوَى لأحيحة»، ولم يذكر مصدره. ويُنْسَب البيت إلى قَيْس بن الخطيم، وأبي قَيْس بن الأسْلَت ـ أنظر التخريج.

(٢) في تهذيب تاريخ ابن عساكر: «في الجوّ». وفي التخليص، والصحاح، واللسان، والتاج: «كما تَرَى». وأثْبَتُّ رواية سائر المصادر. والمُلاّحيّة: ضَرْب من العنب أبيض في حَبِّهِ طُوْل. ونوَّرَ: أظْهَرَ وأسْفَر.

(٣) قال ابنُ قُدامة المَقْدِسي: «ولمّا قال مالِك بن العَجْلان حين قَتَل سُمَيْرُ ـ أخو دِرْهم الشاعر، أبناءَ زَيْد بن ضُبَيْعة، وجار مالك، ومَنَعَهُ قومه:

إنَّ سُمَيْرًا أرى عَشِيرَتَهُ ... قَدْ حَدَبُوا دُوْنَه وقَدْ أَنِفُوا

فقال أُحَيحة يُجيبه: (الأبيات)». والأبيات ليست لأُحيحة، فهي مُلَفَّقة من غير قصيدة مَعْزُوَّة لعَمْرو بن امرئ القيس، ولِدِرْهم بن يَزِيْد، وقَيْس بن الخَطِيْم ـ أنظر التخريج.

(٤) في الأغاني:

يا مالِ لا تَبْغِيَنْ ظُلاَمَتنا ... يا مالِ إنّا مَعاشِرٌ أُنُفُ

ومالِ: ترخيم مالِك، وهو مالِك بن العجلان الذي قتل سُمَيْرُ بن دِرْهم بن يَزِيْد جاره الثعلبي. والظُّلامَة: ما تطلبه عند الظالِم، وهي اسمُ ما أُخِذَ منك، والأنف: مفردها أَنُوْف، والأَنُوْف الشديد الأَنَفَةِ، وهي الحميّة والغيرة والغضب.

(٥) كُعَيْب: تصغير كَعْب، وهو كَعْب الثَّعْلبي، جار مالك بن العَجْلان. والنَّصَف: الحقّ والعدل.

٣ ـ قَدْ سَلَكُوا في سَبيلِهِ وَضَحَ الْـ ـقَصْدِ وفيكُمْ غَيْرُ قَصْدِهِ جَنَفُ[١]

(٥)

في التنبيهات (ضمن المقصور والممدود)[٢]: (الخفيف)

١ ـ يا بَنِيَّ التُّخُومَ لا تَظْلِمُوْها إنَّ ظُلْمَ التُّخُومِ ذُوْ عُقَّالِ[٣]

(٦)

في الأغاني (١٥: ٣٩)[٤]: (المديد)

١ ـ لَيْتَ حَظِّي مِنْ أَبِي كَرِبٍ أَنْ يَرُدَّ خَيْرُهُ خَبَلَهْ[٥]

(٧)

في تفسير الطبري (ط شاكر) (٢: ١٢٩)[٦]: (الكامل)

١ ـ قَدْ كُنْتُ أَغْنَى النَّاسِ شَخْصًا واحِدًا وَرَدَ الْمَدِيْنَةَ عَنْ زِراعَةِ فُوْمِ[٧]

تخريج شِعْرِ أُحَيْحَة بن الجُلاَح الأَوْسِيّ

(١)

١ ـ ٤، ٥ ـ ٧ في الأغاني ١٥: ٣٦، ٤٠ لأُحَيْحَة بن الجُلاَح الأَوْسِيّ.

---

(١) الجَنَف: المَيْل والجَوْر.

(٢) ويُرْوَى البيت أيضًا لأبي قَيْس بن الأسلت، ولصِرْمة بن أبي أَنَس، ولحسّان ـ أنظر التخريج.

(٣) التُّخوم: مفردها تَخْم وتُخْم، وهو الحَدُّ والمَعْلَم ومُنْتَهَى كلّ قرية أو أرض. وفي اللسان: «قال ابن بَرِّي: يُقال تَخُوْم وتُخُوْم وزَبُوْر وزُبُوْر وعَذُوْب وعُذُوْب في هذه الأحرف الثلاثة» ـ اللسان (تخم). وذو عُقَّال: ذُو دَاء لا يُبْرَأُ مِنْهُ.

(٤) ويُرْوَى البيت أيضًا لأُمّ مالِك بن العَجْلانِ، وللأعشى، ولعجوز من بني سالِم.

(٥) في التيجان، والروض الأنف: «أن يَسُدَّ خَيْرُه». وأبو كَرِب: هو تُبَّع الأخير بن حسّان بن أسعد الحميري، وذكر أنّه جاء من اليمن سائرًا نحو المشرق، فمَرَّ بالمدينة، وحاربَ أهلَها. وكان مِمّن اصطدم به الشاعر أُحَيْحَة بن الجلاح، كما تقول الروايات ـ أنظر دراستنا لأخبار أحيحة قبل قليل.

(٦) ويُرْوَى البيتُ أيضًا لأبي مِحْجَن الثقفي.

(٧) في المُحْتَسَب: «قد كنت أحيبُني كأغْنَى واحِدٍ... وَرَدَ». وفي الإتقان: «قد كُنْتُ أحيبني كأغْنَى واحدٍ... قَدِمَ المدينة». وفي الصحّاح، واللسان: قد كنت أُحَيبُني كأغْنَى واحِدٍ.. وَرَدَ». وفي التاج: «قد كنتُ أُحَيبُني كأغْنَى واحِدٍ... نَزَلَ المدينةَ». وفي الروض الأنف: «سَكَنَ المدينة». وفي الأغاني، وسفر السعادة: «قد كُنْتُ أُحَيبُني كأغْنَى واحِدٍ.. زراعةَ فُوْلِ». والبيت في أكثر المصادر جاء شاهدًا على أنّ «الفُوْم» هو الحِنْطة، وقيل: الفُوْم: هو كلّ ما يُخْتَبَزُ من الحبوب.

١ ـ ٧	في شرح شواهد المغني ١: ٤١٧ ـ ٤١٨، وعُزِيَ الأوّل إلى عَدِي ابن زيد نقلاً عن الكتاب، ثمَّ لرجل من الأنصار، ثمَّ الأبيات جميعها لأحيحة نقلاً من الأغاني، وهي في الخزانة ٣: ٣٥١ ـ ٣٥٢ (ط هارون) لأُحَيْحَة بن الجُلاح.
١، ٥، ٧، ٢ ـ ٤	في مختار الأغاني ١: ٣٥٤ لأُحَيْحَة بن الجُلاَح.
١ ـ ٤، ٨	في الحماسة البصريَّة ٢: ١٨٦ لأُحَيْحَة بن الجُلاَح.
١ ـ ٤	في الملحقات التي ألحقها المحقّق بديوان عدي بن زيد ١٩٤ .
٢ ـ ٤	في أمالي ابن الشجري ١: ٧٤، والخزانة ٣: ٣٥٣ لأحيحة، وفي نهاية الأرب ٥: ٦١ دون عزو.
٢ ـ ٣	في الحيوان ١: ٣٦٨ لأحيحة.
٣	في الحيوان ٢: ٦٠ لأحيحة.
٤	في الكتاب ٢: ٣١٢ (ط هارون) و١: ٣٦١ (ط بولاق) لعدي ابن زيد. وفي المقتضب ٤: ٤٠٢، والكافي في العروض والقوافي ١٤٧، والمغني ١٥٣، ٦٢٢، ٧٥٥، وعجزه في الكتاب ٢: ٣١٨ (ط هارون) دون عزو.
٨	في حماسة البحتري ٨٨، والأغاني ٢: ١٤٧ مع أبيات أخر، لعَدِي بن زيد، وعنهما في ديوان عَدِي ضمن قصيدة من ٣١ بيتًا ص ٤٥ .

(٢)

١ ـ ٧	في الكامل لابن الأثير ١: ٦٦ لأحيحة بن الجلاح.
٨	في اللسان، والتاج (سيب) لأحيحة.

(٣)

١ ـ ٢	في الأغاني ١٥: ٥١ لأحيحة.

(٤)

١	في إيضاح الوقف والابتداء ٨٦، والإتقان في علوم القرآن ١: ١٣٢ لأحيحة.

(٥)

١ ـ ٤ في الأصمعيّات ١٢٠ لأُحَيْحة.

٢، ١، ٣ في الممتع في عِلم الشعر ٤٦ لأحيحة.

٢ في الصاحبي في فقه اللغة ٢٦٦ دون عزو، وفي اللسان (عسف) لنبيه بن الحجّاج.

٣ في الكتاب ٣: ٩ (ط هارون) لأحيحة. وفي حماسة البحتري ٢١٦، مع آخر، لأبي قيس بن الأسلت، وهو في ديوان أبي قيس ابن الأسلت ٧١.

(٦)

١ ـ ٤ في الاستبصار في نسب الصحابة ٣٠٨ لأُحَيْحة.

٣ في شرح القصيدة الدامغة ١٦٦ لأحيحة.

٥ ـ ٦ في معجم البلدان (جماء) و(تضارع)، ووفاء الوفا ٢: ٢٠٧ لأحيحة.

(٧)

١ ـ ٣ في البيان والتبيين ٢: ٣٦١، والبخلاء ١٦٦ لأحيحة.

١ ـ ٢ في بهجة المجالس ١: ٢١٣، ولباب الآداب ٣٥٦ لأحيحة.

٢ ـ ٣ في حماسة البحتري ١٤ لأحيحة.

(٨)

١ ـ ٥ في الفاخر ١٦٣، والأغاني ١٥: ٥٢، ومختار الأغاني ١: ٣٦١ لأحيحة.

(٩)

١ ـ ٣ في التاج (شوع) لأحيحة.

١ في شرح القصائد السبع الطوال ٥٤٤، والتكملة والذيل (غضف) لأحيحة، وفي الصحاح، واللسان، والتاج (جمد) لبعض الأنصار. وفي اللسان (عصف) جاء: «ونسب الجوهريّ هذا البيت إلى أبي قَيْس بن الأَسْلَت، قال ابن بَرِّي: هو لأُحَيْحَة بن الجُلاح، لا

لأبي قيس». وهو في ديوان أبي قيس بن الأسلت ٨٢.

٢ في قطعة من كتاب النبات ٤٩، وقد لُفِّق من صدر الثاني وعجز الثالث، وجمهرة اللغة ٢: ٦٢، واللسان (شوع) لأحيحة. وقال ابن منظور: «استشهد الجوهري بعجزه ونسبه لقيس بن الخطيم» ونسبه ابن بَرّي، أيضًا لأحيحة بن الجلاح، والبيت من صدر الثاني وعجز الثالث في ديوان الأدب ٣: ٣١٧، وتهذيب اللغة ٨: ١٠٢ والمجمل ٦٧٠ دون عزو.

٣ في التاج (غرف) لأحيحة، وعجزه هو عجز البيت الثاني.

(١٠)

١ ـ ٣ في الأغاني ١٥: ٤٣ ـ ٤٤ لأحيحة.

(١١)

١ ـ ٦ في الاستبصار في نَسَب الصحابة ٣١٣. وقد وردت على النحو التالي: ذكر ابن قدامة المقدسي مؤلِّف الاستبصار ترجمة أحيحة، ثمَّ ذكر ابن أحيحة سهيلاً فقال فيه: «جاهليّ شريف، وهو الذي يقول له...» (كذا). ولم تتَّضح الكلمة التي بعد: «له»، لعلّي نُوَيْهِض ـ محقّق الاستبصار، لذا لم يقطع بعزو هذه الأبيات لأحيحة. ونحن نرى أنّ ثمَّة احتمالاً قويًا جدًّا، يُوشِك أن يكون يقينًا، بأنّ أحيحة هو قائل هذه الأبيات، بدليل أنّها جاءت أوّلاً في نطاق ترجمة أحيحة. وسياق عبارة مؤلِّف الاستبصار يوحي بقوَّة أنّها لأحيحة. وثالثًا عُزي البيتان الثالث والرابع في مجمع الأمثال لأحيحة، لذا جزمنا بأنّ القصيدة كلّها لأحيحة.

١ في جمهرة النسب ٢: ٣٧٩ (ط دمشق) لأحيحة.

٣ ـ ٤ في مجمع الأمثال ١: ٣٦٦ ـ ٣٦٧ لأحيحة. وفي القوافي ٧١، والعمدة ١: ١٤١، وشرح نهج البلاغة ٦: ١١٤ رويت على لسان عليّ بن أبي طالِب رضي الله عنه، وقال محقِّق الاستبصار علي نويهض: تمثَّل بهذَين البيتَين أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب فرواها قوم له. ونقل أيضًا عن صانع ديوان علي بن أبي طالب

السيِّد مُحيِسن الإمام أنّ الشعر ليس للإمام عليّ، إنّما تمثَّل به ـ أنظر الاستبصار ٣١٣، والبيتان في الأساس (حزم) دون عزو.

٣ في شرح الحماسة للمرزوقي ١: ٣٣١، واللسان والتاج (حزم)، والنهاية في غريب الحديث ١: ٤٦٧ أنشدهُ عليّ بن أبي طالب، ويبدو أنّه لم يقله.

٧ في شرح الحماسة للتبريزي ١: ١١٥ لأحيحة.

(١٢)

١ ـ ٤ في معجم البلدان (أيلة) لأحيحة.

٣ ـ ٤ في التاج (هبرز) لأحيحة.

٣ في التكملة والذيل (هبرز) لأحيحة، وتهذيب اللغة ٦: ٥٢٤، واللسان (هبرز) دون عزو.

٤ في اللسان (نفس) دون عزو.

(١٣)

١ ـ ٧ في الأزمنة والأمكنة ٢: ٣٣٥ لأحيحة.

١، ٤، ٧، ٣ في محاضرات الأدباء ٤: ٥٨٧ ـ ٥٨٨ لأحيحة.

١، ٧ في الأضداد لأبي الطيِّب اللغويّ ٢: ٦٥٥ لأحيحة.

١ في أمالي ابن الشجري ١٣٣، وإيضاح الوقف ٧٩٠، والمغني ٤٠ وشرح شواهد المغني ٧٨٣ دون عزو. وفي المقاصد النحويَّة ٢: ٤٦٠ قال العيني: لم أقف على اسم قائلهِ، وقوله أَلْوَم أفْعَل تفضيل من اللوم، ويُروى، فكلّهم يعذل. قلت: عزاهُ السخاوي في المفصَّل إلى أُحَيْحة بن الجلاح. وأورده بلفظ «قومي فكلّهم يعذل» وقال ابن الدهّان في الغُرَّة: يرويه الفرَّاء بالميم: ألْوَم والبصري يرويه باللام، يعذل». والبيت في ديوان أميّة بن أبي الصلت ٥٥٤ . وقال محقّق الديوان في البيت: «وهو في شرح شواهد ابن عقيل للجرجاوي ١٤٦، وفتح الجليل (مطبوع على هامش الجرجاوي). وقال الجرجاوي قِيل: إنّه لأميّة، وأنشده التبريزي في شرح الحماسة ٢: ٣١٣، وقال: يُنشد لأحيحة».

وانظر ديوان أميّة بن أبي الصلت ٦١٩ ـ ٦٢٠ .

٣ في اللسان، والتاج (ظلل) لأحيحة.

٤ في اللسان (عشا) لأحيحة.

٥ في اللسان (رعى) لأحيحة.

٧ في الأضداد للسجستاني ٧٤، والأضداد للأنباري ٢٥ دون عزو.

(١٤)

١ ـ ١٤ في جمهرة أشعار العرب ٢: ٦٤٦ ـ ٦٥١ (ط البجاوي) باستثناء البيتَين ١١ و١٢، فهما في الأغاني ١٥: ٥٠ لأحيحة بن الجلاح.

١، ١٦ ـ ١٧، ٧، ٩، ١٣، ١٥ في الاستبصار في نَسَب الصحابة ٣١٠ ـ ٣١١ لأحيحة.

١ في شرح الحماسة للتبريزي ١: ١٤، واللسان، والتاج (مكل) لأحيحة.

٢ في التاج (نشل) لأحيحة.

٢ ـ ٤ في البخلاء ١٦٦ لأحيحة.

٤ في المعاني الكبير ٢: ١٠٢٤ دون عزو.

١٣ ـ ١٥، ١٨، ٢٠، ٥ ـ ٧، ١٠، ٩، ٢٣، ٢٤ في الكامل لابن الأثير ١: ٦٦١ ـ ٦٦٢ لأحيحة.

٢٢، ١٨، ١٣، ٥ ـ ١٠، ٩، ٨ في الأشباه والنظائر ١: ١٦ لأحيحة.

٥ ـ ٧، ١٠ في اللسان (عيل) لأحيحة.

٥ ـ ٧ في اللسان، والتاج (رهن) لأحيحة.

٧، ١٠، ٨، ٩ في التذكرة السعديّة ٣٧٠ ـ ٣٧١ لأُحَيْحة.

٧، ١٠، ٨ في حماسة البحتري ١٢٤ لأحيحة.

١٠، ٧، ٨ في شرح نهج البلاغة ٩: ١١٣ ـ ١١٤ دون عزو.

٧، ١٠ في مجموعة المعاني ٦، ونهاية الأرب ٨: ١٨٩ لأحيحة.

٧ في جمهرة اللغة ٣: ١٤١، والصحاح، والتاج (عيل)، وأنوار

	الربيع ٢: ٧٥ لأحيحة، وفي مجاز القرآن ١: ٢٥٥ و٢: ٣٠٢، وإعراب ثلاثين سورة ١٢١ دون عزو.
٨، ١٠، ٩	في جمهرة اللغة ٢: ١٩٣ لأحيحة.
٩	في المجمل ٣٦٠، والمقاييس ٢: ٣٦٠، وشَمْس العلوم ٢: ١٧٧ لأحيحة.
١١ ـ ١٤، ١٦ ـ ١٨	في الأغاني ١٥: ٥٠ لأحيحة.
١١ ـ ١٥، ١٨	في مختار الأغاني ١: ٣٥٨ ـ ٣٥٩ لأحيحة.
١٣	في المجمل ٤٤٠، والمقاييس ٣: ٢٦، والصحاح، واللسان، والتاج (زمل) وشمس العلوم ٢: ٣٢٦ لأحيحة.
١٨ ـ ١٩	في وفاء الوفا ١٣٧ لأحيحة.
١٨	في المقاييس ٤: ٧٠، والأساس (عقل) وتثقيف اللسان ٤١٠ لأحيحة، وفي التهذيب ١: ١٤١ دون عزو.
٢٢	في المعاني الكبير ١٠١٧ لأحيحة.
٢٣ ـ ٢٤	في حماسة البحتري ٢٢٨ لأحيحة.

(١٥)

١ ـ ٧	في الجليس الصالح ١: ٤٧٨ ـ ٤٧٩، ومعجم البلدان (الزوراء) لأحيحة.
١ ـ ٢، ٤، ٦	في عيون الأخبار ١: ٢٤٠ لأحيحة.
١، ٤، ٢، ٦	في فَصْل المقال ٢٨٢ لأحيحة.
٤، ٥، ١، ٢	في مختار الأغاني ١: ٣٥٢ لأحيحة.
١، ٤، ٢	في البيان والتبيين ٢: ٣٦١ لأحيحة.
١ ـ ٢	في الأغاني ١٥: ٣٨ لأحيحة.
١، ٤، ٥	في الممتع في علم الشعر ٤٦ لأحيحة.
٤، ٥، ١	في الأغاني ١٥: ٣٧ لأحيحة.
١، ٤، ٦	في الحماسة البصريَّة ٢: ٤٢، ونشوة الطرب ١: ١٩٠ وشرح المقامات للشريشي ٢: ١٤١ لأحيحة.

٤، ١، ٦	في العقد ٣: ٣١ لأحيحة.
١، ٤	في الأمثال لأبي عُبَيْد ١٩٠، والبخلاء ١٦٥، وجمهرة الأمثال ١: ٢١٧، ومجموعة المعاني ١٢٧، وأنوار الربيع ٢: ٧٤ لأحيحة. وفي جمهرة الأمثال ٢: ٣٨٣ ـ ٣٨٤ دون عزو.
٤	في حماسة البحتري ٢١٦، واللسان (زور). والوساطة ٣٨٧ لأحيحة وأضاف الجرجاني في الوساطة بعد هذا البيت.

وإنْ أردْتُ مساماةً تَقاعَدُ بِي   عَمَّا يُنوِّه باسْمِي رِقَّةُ الحالِ

والبيت ـ كما قال المُحقِّق ـ في التبيان ٢: ٢٦، ونسبه إلى الخليل ابن أحمد، وهو في ألف با ٢: ١٢٧ دون عزو.

(١٦)

١ ـ ٧	في المقاصد النحويَّة ٤: ٣٦ لأحيحة.
١ ـ ٣	في معجم ما استعجم ٤٧١، وتهذيب إصلاح المنطق ٢١٢، ومعجم البلدان (حنذ)، والتكملة والذيل (أبر)، واللسان (حنذ) و(فحل)، ووفاء الوفا ٢: ٢٩٦، لأحيحة، وفي إصلاح المنطق ٨١، واللسان، والتاج (أبر) دون عزو.
١ ـ ٢	في اللسان (شول) لأحيحة.
٢، ١	في المجمل (حنذ) دون عزو.
١، ٤	في المُحتَسب ١: ٢١٢ دون عزو.
٤ ـ ٥	في أمالي ابن الشجري ١: ٣٤٣ دون عزو.
٨ ـ ٩	في جمهرة اللغة ٣: ٣٩ لأحيحة.

(١٧)

١	في المعاني الكبير ٧٨ لأحيحة.

(١٨)

١	في اللسان (برم) لأحيحة.
٢	في اللسان (حرم) لأحيحة.

(١٩)

١ ـ ٢ في البيان والتبيين ١: ٥، ٢: ٢٧٥، والفاضل ٧، وبهجة المجالس ١: ٨١، ولباب الآداب ٢٧٧، والاستبصار في نَسب الصحابة ٣١١، وشرح نهج البلاغة ٧: ٨٨، و١٣: ١٧ لأحيحة. وفي غُرَر الخصائص الواضحة ١٦٧ دون عزو.

(٢٠)

١ في حماسة البحتري ٢١٧ لأحيحة.

(٢١)

١ ـ ٢ في شرح القصيدة الدامغة ١٣ لأحيحة.

(٢٢)

١ ـ ٢ في الأغاني ١٥: ٤٨، وخزانة الأدب ٣: ٣٥٩، وشرح شواهد الشافية ٤: ١٥٠ لأحيحة.

٢ ـ ٤ في شرح المفصل لابن يعيش ٥: ٧٧ لأحيحة.

٣ ـ ٤ في الجبال والأمكنة والمياه ١٦٩ لامرئ القيس.

٤ في الكشاف للزمخشري ٤: ١٦٨ دون عزو.

ما يُنسَب إلى أحيحة بن الجلاح، وإلى غيره من الشعراء

(١)

١ ـ ٣ في الحماسة البصريَّة ٢: ٤٢١ لأحيحة. وفي الأغاني ٢: ١٤٧ وأمالي ابن الشجري ١: ٧٤، وخزانة الأدب ٣: ٣٥٣ لعَدِيّ بن زَيْد العبادي، وهي في ديوانه ٤٥ .

٣ في حماسة البحتري ٨٨ ضمن قصيدة لعَدِيّ بن زيد. وورد البيت أيضًا في القصيدة رقم (١) من شعر أحيحة هذا الذي صنعناه.

(٢)

١ في إيضاح الوقف ٨٠ والإتقان ١٣٢ لأحيحة. وفي إصلاح المنطق ٢٧٦، والمقاييس ٥: ٣٨، والصحاح (قوت) دون عزو.

وفي تهذيب إصلاح المنطق ٦٠١ لثعلبة بن مَحِيْصة الأنصاري. وفي التكملة والذيل (قوت) لثعلبة بن محيصة، ثمَّ لرفاعة أخي بني عوف الأوسي. وفي اللسان (قوت) لأبي قيس بن رفاعة، ثمَّ للزبير بن عَبْد المطَّلِب عمِّ الرسول ﷺ. والبيت أحد أبيات قصيدة مؤلَّفة من تسعة أبيات لأبي قيس بن رفاعة في طبقات فحول الشعراء ١: ٢٨٨ ــ ٢٨٩.

(٣)

١ في التلخيص في علوم البلاغة ٢٥٣ دون عزو، غير أنَّ الشيخ محمّد عَبْدُه ــ شارع التلخيص وناشره قال: «ويُروى لأحيحة بن الجلاح، وكذلك قال (هـ. ريتر) محقِّق أسرار البلاغة ٨٥: «ويروى لأحيحة»، وكلاهما لم يذكر مصدره القديم الذي عُزِيَ فيه البيت لأُحَيْحَة. والبيت في أسرار البلاغة لقَيْس بن الخَطِيْم، وهو في ديوانه ٢٣٤، وقال الدكتور ناصر الدين الأسد مُحقِّق الديوان، «البيت منسوب إلى أبي قَيْس بن الأسلت ٧٣، وهو في النخل والكرم للأصمعي ٢٥، والأزمنة والأمكنة ٢: ٢٣٥ وتهذيب تاريخ ابن عساكر لابن بدران ٦: ٤٥٧، والصحاح، واللسان (ملح)، والخزانة ٣: ٤١٣ (ط هارون) لابن الأسلت. وفي الخزانة قال البغدادي: «كونه لابنِ الأسْلَت هو ما ذكره أبو حنيفة الدينوري في كتاب النبات، وهو في معرفة الأشعار أديبٌ غيرُ مُنازَع فيها. وقد نسبهُ الزمخشري في الأحاجي إلى الشمّاخ. وقد راجعتُ ديوانه فلم أجدْه... ونسبهُ بعض فضلاء العجم في شرح أبيات المفصّل تِبْعًا الزمخشري في شرح أبيات الكتاب لأبي قَيْس بن رفاعة الأنصاري، أقول: لم يوجد في كتب الصحابة مَن يقال له أبو قيس بن رفاعة، وإنّما الموجود قَيْس بن رِفاعة... إلخ». وفي التاج (ملح) دون عزو.

(٤)

١ ــ ٣ في الاستبصار ٣١١ لأحيحة.

١ ـ ٢ في الأغاني ٣: ٢١ لِدِرْهم بن يزيد (أو زيد) ضمن قصيدة من ثمانية أبيات. ويبدو أنّ الأبيات الثلاثة المعزوّة لأحيحة من عدّة أبيات تنتمي إلى قصائد لشعراء منهم: مالِك بن العَجْلان، وعَمْرو بن امرئ القيس الخَزْرجي، ودِرْهم بن يزيد، وقَيس بن الخَطيم، وحسّان بن ثابت، تشترك جميعها في البحر والرويّ ذاتهما. أنظر الأغاني ٣: ١٨ ـ ٢٤، وخزانة الأدب ٤: ٢٧٥ ـ ٢٨٣.

(٥)

١ في التنبيهات لعلي بن حمزة ٢٩٦، واللسان (عقل)، والإتقان ١٣٣ لأحيحة. وفي اللسان (تخم) لأحيحة، ثمّ لأبي قيس بن الأسلت. وفي إصلاح المنطق ٢٨٢، وكتاب ليس ٤٤، والأساس (تخم) دون عزو. وفي المعارف ٦٣ مع بيتَين آخرين لِصِرْمة بن أبي أَنس. وفي تهذيب إصلاح المنطق ٦١٢ لأبي قيس بن الأسلت. وفي شمس العلوم ١: ٢٢٣، وهنا قال نشوان الحميري: «وأنشد المبرّد لحسّان»، ثمّ ساق البيت.

(٦)

١ في الأغاني ١٥: ٣٩، ومختار الأغاني ١: ٣٥٣ لأحيحة. وفي التيجان ٣٠٥ دون عزو. وفي أخبار عبيد بن شرية ٤٦٣ لأمّ مالك بن العجلان، وورد نَثْرًا على أنّه مثل. وفي الروض الأنف ١: ٣٩ قال السهيلي بعد أن ساق البيت: «قال البُرقي: نُسِبَ هذا البيت إلى الأعشى، ولم يصحّ، قال: إنّما هو لعجوز من بني سالم، أحسبه قال في اسمها: جميلة قالته حين جاء مالك بن العجلان بخبر تُبّع. فدخل سِرًّا، فقال لقومه: قد جاء تُبّع، فقالت العجوز: البيت».

(٧)

١ في تفسير الطبري ٢: ١٢٩ (ط شاكر)، والجامع لأحكام القرآن

للقرطبي ١: ٤٢٥، وجامع البيان للطبرسي ١: ٢٧١ لأحيحة. وفي الروض الأنف ٢: ٢٩٨ ـ ٢٩٩ لأحيحة، ثمّ لأبي مِحْجَن الثَّقَفي، وفي الأغاني ١٩: ٢، والصحاح، واللسان، والتاج (قوم)، والإتقان في علوم القرآن ١: ١٢٨ لأبي محجن الثقفيّ. وفي المحتسب ١: ٨، وسفر السعادة ٢: ٨٥٧ دون عزو.

٣٨ ـ هُنَيُّ بنُ أَحْمَر الكِنَانِي أو «ضَمْرَة رجل من كنانة»

ذُكِرَ «ضَمْرَة» الذي هو رجل من كنانة، في **مجالس ثعلب**، على أنّه رصيفٌ لثلاثة شعراء جاهليّين أوائل، هُم: المُهَلْهِل، وذُؤَيْب بن كَعْب بن عَمْرو بن تَمِيْم، والأضبَط بن قريع، وذلك في خَبَرٍ عن الأَصْمَعِي يقول: «قال الأصمعي: أوَّلُ مَنْ تُرْوَى له كلمةٌ تَبْلُغُ ثلاثين بيتًا من الشعر مُهَلْهِلٌ، ثمّ ذُؤَيْبُ بن كَعْب بن عَمْرو ابن تَمِيْم... ثمّ ضَمْرَةُ رَجُلٌ من بني كِنانة، والأَضْبَط بن قُرَيْع... وأنشد لِضَمْرَة:

يا ضَمْرَ أَخْبِرْني ولسْتَ بفاعِلٍ وأَخُوْكَ نافِعُكَ الذي لا يَكْذِبُ

... قال: وكان بين هؤلاء وبين الإسلام أربعمائة سنة، وكان امرؤ القيس بعد هؤلاء بكثير»[1].

ويطرح هذا الخبر مُشكلَتَين اثنتَين: أوْلاهما عَزو هذا البيت إلى شاعر غامض، فكان، بذا، عزوًا يكاد يخالِف الإجماع. وقد ترتّب على مناقشته، الانتهاء، تَرجيحًا، إلى أنّ قائلَ البيت هو: «هُنَيُّ بن أحْمَر الكِناني». وثانيتهما: مشكلة تحديد زمن هُنَيٍّ ابن أحْمَرَ الكِناني.

وفي بَسط القضيّة الأولى نقول: قد تبيَّن لنا من خلال الجهد الذي بذلناه في تخريج هذا البيت الوحيد المعزو إلى ضَمْرة، في **مجالس ثعلب**، أنّ البيت مطلع قصيدة مُؤلَّفة من سبعة أبيات، لا نرى بأسًا في إنشادها، وفقَ رواية العَيني لها، فقد ذكر العَيني هذا البيت من القصيدة:

هذا وَجَدِّكُمُ الصَّغارُ بِعَيْنِهِ لا أُمَّ لِي إنْ كانَ ذاكَ ولا أَبُ

(١) ثَعْلَب: مجالِس ثعلب ٢: ٤٧٩.

وعلّق عليه بقوله: «وقال بعضهم: إنّه من الشعر القديم جدًّا. وكان لقائل هذا الشعر أَخٌ يُسمَّى جُنْدُبًا، وكان أبوه وأهله يُؤْثِرونه عليه ويفضّلونه، فأَنِفَ من ذلك وقال هذا، وهو من قصيدة بائيّة، وأوّلُها هو قوله:

يا ضَمْرُ أَخْبِرْني ولَسْتَ بفاعِلٍ	وأَخُوكَ نافِعُكَ الذي لا يَكْذِبُ
أَمِنَ السَّوِيَّةِ أنْ إذا اسْتَغْنَيْتُمُ	وأَمِنْتُمُ، فأنا البَعِيْدُ الأَخْيَبُ
وإذا الشَّدائِدُ بالشَّدائِدِ مَرَّةً	أَشْجَتْكُمُ، فأنا الْحَبِيْبُ الأَقْرَبُ
ولِجُنْدُبٍ سَهْلُ البِلادِ وعَذْبُها	ولِيَ المِلاَحُ، وحَزْنَهُنَّ الْمُجْدِبُ
وإذا تكونُ كريهةٌ أُدْعَى لَها	وإذا يُحاسُ الْحَيْسُ يُدْعَى جُنْدُبُ
عَجَبًا لِتِلْكَ قَضِيَّةٌ وإقامتي	فيكم على تِلك الْقَضِيَّةِ أَعْجَبُ
هذا وَجَدُّكُمُ الصَّغَارُ...	...»[1]

وعُزِيَتْ هذه القصيدة ــ التي افْتُتِحَتْ بالبيت المَنسوب إلى ضَمْرة الكناني ــ أو أبيات منها ــ إلى شعراء كُثر، منهم: عامر بن جُوَين الطّائِي، ومُنْقِذ بن مُرَّة الكِناني، وعَمْرو بن الحارث بن عَبْد مَناة الكِناني، وإلى رجل من بني عَبْدمَناة قالها قبل الإسلام بخمسائة سنة، ولِضَمْرَة بن جابر بن قَطَن بن نَهْشَل بن دارِم، وهو ضَمْرة بن ضَمْرة، عند البغدادي[2]، وإلى عَمْرو بن الغَوْث بن طَيِّئ، وإلى حَرِّي بن ضَمْرة أبي مالك، وقد قالها لعمّه ضَمْرة بن جابر بن قَطَن بن نَهْشَل بن دارم، وإلى شعراء أُخَر ذَكَرَتْهم المصادِرُ المختلفة[3].

ويتّضح مِن نَسب هؤلاء الشعراء أنّ أربعةً منهم من كِنانة، هم: مُنْقِذ بن مرّة، وهُنَيُّ بن أحْمَر، وعَمْرو بن الحارث بن عَبْد الكِناني، ورابع لم يذكر ابن الأعرابي (٢٣١ هـ ــ ٨٤٥ م) اسمَهُ، إذ اكتفى العَيني الذي نقل عنه بالقول: «وزعم ابنُ الأعرابي أنّه لرجلٍ من بني عبدمناة قبل الإسلام بخمسمائة عام»[4]، وهناك شاعران من تميم هما:

(١) العَيْنِي: المقاصد النحويّة ٢: ٣٣٩، والقصيدة في ياقوت: معجم البلدان (أجأ)، والسيوطي: شرح شواهد المغني ٢: ٩٢١، والبغدادي: الخزانة ١: ٢٤٢ ــ ٢٤٣ (ط بولاق) و٢: ٣٧ ــ ٣٨ (ط هارون)، ومنها أبيات في حماسة البحتري ٧٨، وذيل الأمالي ٨٤، والمؤتلف والمختلف ٤٥، ومعجم الشعراء ٢٦، ٤٧٢، وشرح أبيات سيبويه لابن السيرافي ١: ٢٣١، وفرحة الأديب ٥٤ ــ ٥٦.

(٢) أنظر البغدادي: م. س ١: ٢٤٣، (ط بولاق).

(٣) أنظر تخريج البيت الذي نحن بصدد تحديد عَزْوِهِ في هذه الدراسة.

(٤) العيني: المقاصد النحويّة ٢: ٣٣٩، وفيها (عبد مناف) والصواب ما أثبتْنا.

ضَمْرة بن جابِر، وحرِّيُّ بن ضَمْرة، وآخران من طَيِّئ هما: عامِر بن جُوَيْن، وعَمْرو ابن الغَوْث بن طيِّئ.

ونحن نرى أن نحصُرَ عَزْوَ هذه الأبيات، التي تصدَّرها بيتُ ضَمْرة الكِناني، عند ثعلب، في أحد رجال كنانة، وذلك لأنّ ثعلبًا قال إنّها: «لِضَمْرَة رجلٍ من بني كِنانة» ولأنّ الآمدي عزا بعضَها إلى هُنَيِّ بنِ أحْمَر الكِناني[1]، ولأنّ المرزباني روى ثلاثة أبيات منها لِعَمْرو بن الحارث بن عَبْدمَناة الكِناني[2]، ثمّ روى، في موضع آخر من **معجم الشعراء**، أربعة منها لِهُنَيِّ بن أحْمَر الكناني، وقال بعدها: «وقد رُوِيَتْ هذه الأبيات لغيره، وقد تقدَّم ذكرها، والثَّبْتُ أنّها لِهُنَيّ»[3].

وبعد، فلعلَّنا لا نَبْعُد عن الصواب إذا رَجَّحْنا أنّ البيت، الذي هو أصل أبيات القصيدة الواردة عند العيني، والذي رواه ثعلب عن الأصمعي، لِضَمْرة الكِناني، هو لِهُنَيّ بن أحْمَر الكِناني، وليس لِضَمْرة. وعليه فالشاعر الذي ورد اسمه في **مجالس ثعلب** «ضَمْرة» قد لا يكون، بحقّ، هو ضَمْرة. وربّما يكون قد وقع خَلطٌ واضطراب في **مجالس ثعلب** آلَ إلى هذه المشكلة. ويؤيِّد هذا الاحتمال خبرٌ عند الآمِدي، يُسْتَشِفُّ منه وقوع الخَلْطِ والاضطراب في ما نُشِر من **مجالس ثعلب**، وهو يتّصل بموضوعنا اتِّصالاً وثيقًا، فقد قال الآمدي تحت عنوان مَن يقال له: «ابن أحْمَر»: ومنهم ابن أحْمَر الكِناني، وهو هُنَيُّ بن أحْمَر من بني الحارث بن مرّة بن عَبْدمَناة بن كنانة ابن خُزَيْمة، جاهليّ وهو القائل:

ضَمْرُ أخْبِرْني ولَسْتَ بمُخْبِري ... وأَخُوكَ ناصِحُكَ الذي لا يَكْذِبُ

هَلْ في القضيَّةِ أنْ إذا اسْتَغْنَيْتُمُ ... وأَمِنْتُمُ، فأنا البَعِيدُ الأجْنَبُ

وإذا الشَّدائِدُ بالشَّدائِدِ مَرَّةً ... أشْجَتْكُمُ، فأنا المُحِبُّ الأقْرَبُ

وإذا تكونُ كَرِيهَةٌ أُدْعَى لَها ... وإذا يُحاسُ الحَيْسُ يُدْعَى جُنْدُبُ

هذا ما أنشده أبو العبّاس، أحْمَد بن يَحيى ـ ثَعْلب، وزاد أبو اليَقظان:

---

(١) أنظر الآمدي: المؤتلف والمختلِف ٤٥ .

(٢) أنظر المرزباني: معجم الشعراء ٢٦ .

(٣) أنظر م. ن: ٤٧٢، وفي اللسان (حيس) ذكر ابن منظور ستّة أبيات من القصيدة، خلا عنها بَيْتُ ضَمْرة، وقال قبلها: «قال هُنَيّ بن أحمر الكناني، وقيل: هو لزرافة الباهلي». وانظر الزبيدي: التاج (حيس).

أَلِـمـالِـكٍ طِـيْـبُ الـبِـلادِ ورَغْـيُـهـا   وَلَـيَ الـثِّـمـادُ وَرَغْـيُـهُـنَّ الْمُجْـدِبُ
هـذا لَـعَـمْـرُكُـمُ الـصَّـغـارُ بِـعَـيْـنِـهِ   لا أُمَّ لِـــيْ إنْ كــانَ ذاكَ ولا أَبُ»[1]

وإذا قارنّا بين ما جاء في المطبوع من **مجالس ثعلب**، وبين هذا الخبر الذي رواه الآمدي عن ثعلب أيضًا، وَجَدْنا فَرْقًا، بل تَناقُضًا، ففي **المجالس** عزا ثعلب البيت الأوّل في كتاب الآمدي، إلى ضَمْرة، رجل من كنانة. وفي **المؤتلف والمختلف** رُوِي البيت، عن ثعلب، ومعه ثلاثة أبيات أُخَر، إلى هُنَيّ بن أحْمَر الكِناني. وفي هذه المسألة نحن إزاء احتمالَين، أوّلهما: أنَّ الآمدي كان ينقل عن نسخة من **مجالس ثعلب**، تُخالِف النسخة التي أُخرِجَ عنها ما طُبِعَ من هذه **المجالس**، وثانيهما: أنّ الآمدي كان ينقل عن كتاب آخر لثعلب عُزِيَت فيه الأبيات الأربعة إلى هُنَيّ بن أحْمَر.

ونحنُ أمْيَلُ إلى الاحتمال الأوّل، وذلك لأنّ الآمدِي نقل عن **مجالس ثعلب**، أو **أماليه**، وكلاهما اسمان لمُسَمّى واحِد، غيرَ مرَّة في كتابه **المؤتلف والمختلف**، فمرَّة في حديثه عن أعشى طَرود[2]. وثانية في حديثه عن الأحْمَر بن سُمَيَّة السَّعْدي[3]، وثالثة في كلامه على عبد الرحمن بن جُمانة بن عُصَيْم[4]، ورابعة في كلامه على الرَّمّاح بن نَهْشَل الأسدي[5].

وإذا كان الآمدِي، والحقُّ يقال، قد اكتفى بردِّ رواية أبيات هُنَيّ بن أحْمَر إلى ثعلب دون أن يذكر اسم **مجالسه**، أو **أماليه**، فإنَّ هذا لا ينفي احتمال كونها منقولة عن **المجالس**، وخاصّة أنّ المجالس المطبوعة التي نتداولها اليوم، فيها ما فيها من الخلط والاضطراب[6].

ومن دواعي ترجيحنا عَزْو الأبيات إلى هُنَيّ قولَةُ المرزباني فيها: «والثَّبْتُ أنّها لِهُنَيّ»[7]. فغيره من الرواة لم يقطع بِعَزْوِها مثلَ هذا القَطْع.

---

(١) الآمدي: م. س ٤٥ .
(٢) م. ن. ١٦ .
(٣) م. ن. ٤٢ .
(٤) م. ن. ١٠٨ .
(٥) م. ن. ١٨٠ .
(٦) أنظر مقدّمة مجالس ثعلب ص ٢٥ ــ ٢٦ .
(٧) أنظر المرزباني: معجم الشعراء ٤٧٢ .

وإذا صحَّ لنا هذا الترجيح، ولعلَّه صحيح، نكون إزاءَ شاعِرٍ جاهليّ قديم جدًّا، هو هُنَيٌّ بن أحْمَر الكناني، الذي نحاول الآن تقدير الزمن الذي عاش فيه، ونكون بهذه المحاولة قد وصلنا إلى معالجة المشكلة الثانية في أخبار هذا الشاعر.

وقد اكتفى الآمدِي، وابن ماكَوْلاَ، بالقول فيه: «هُنَيٌّ بن أحْمَر الكِناني من بني الحارث بن مرّة بن عَبْد مَناة بن كِنانة بن خُزَيْمة شاعر جاهليّ»[1].

وعلى رغم مراجعتنا جداولَ أنساب بني الحارث بن مرّة بن عَبْدِمَناة في **جمهرة أنساب العرب**، فإنّنا لم نجد اسمَ هذا الشاعر، ولم نظفر أيضًا باسم أبيه (أحْمَر)، ولا بالآباء الذين يفصلون بينه، وبين جدّه الأقرب الحارث بن مرّة بن عبْدمَناة، هذا الذي كان بنوه يسمّون بني غَوِي «فسمّاهم رسولُ الله ﷺ بني الرُّشد، وهم من بني عَوْف ابن الحارث بن عَبْد مَناة. ومنهم الشمّاخ، وتَيْم، ابنا عامر بن عوف بن الحارث بن عَبْدمَناة: عَقَد الشمّاخ حلْفَ الأحابيش مع قُرَيْش، وعقد تيم حلْفَ القارة معهم. والحُلَيْس بن علقمة بن عمرو بن الأوقح بن عامر بن جذيمة رئيس الأحابيش يوم أُحُد»[2].

ولكن شعرَ هُنَيٍّ بن أحمر الكناني وُصِف بأنّه قِيل قبل الإسلام بدهرٍ طويل، ولهذا فإنّنا ربّما نتمكّن من القول: إنّ شاعرَنا شاعرٌ قديم من شعراء الجاهليّة، ورغم افتقادنا السبل لتقدير زمانه، لا نرى جُناحًا علينا بأن نُدرِجُه بين الأوائل، ولا سيّما أنّ مُنطَلق ذلك كان معالجة خبر للأصمعي عن أوائل الشعراء[3].

وأخيرًا، فإنّه، إن صحّ أنّ القصيدة، التي أنشدناها في مقدّمة هذه الدراسة، لهُنَيٍّ ابن أحمَر، يكون قد وَصلنا من شعره سبعة أبيات. وفي الصفحات القادمة نسوق بيت هُنَيّ بن أحْمَر مَتبوعًا بتعليقاتنا وتخريجاتنا له:

(١) أنظر الآمدي: المؤتلف والمختلف ٤٥، وابن ماكَوْلاَ: الإكمال ٧: ٤١٥.
(٢) إبن حَزم: جمهرة أنساب العرب ١٨٨.
(٣) أنظر ثعلب: مجالس ثعلب ٢: ٤٧٩.

شِعر هُنَيّ بن أحْمَر الْكِنَانِي

(١)

في مجالس ثَعْلَب (٢: ٤٧٩)[١]: (الكامل)

١ ـ يا ضَمْرُ أخْبِرْنِي، ولَسْتَ بِفاعِلٍ وأَخُوْكَ نافِعُكَ الّذي لا يَكْذِبُ[٢]

تخريج شعر هني بن أحمر الكناني

(أو ضمرة الكناني)

(١)

١ في مجالس ثعلب ٢: ٤٧٩ لضمرة الكناني، وفي حماسة البحتري ٧٨، مع أربعة أُخَر لعامر بن جوين الطائي، ثمَّ لِمُنْقِذ بن مرّة الكناني. وفي ذيل الأمالي ٨٤، مع ستّة أُخَر، دون عزو، وفي المؤتلف والمختلف ٤٥، ومعجم الشعراء ٤٧١ ـ ٤٧٢ مع أبيات أُخَر لِهُنَي بن أحْمَر الكناني. وقال المرزباني: «وقد رُوِيتْ لغيره. والثَّبْت أنّها لهني». وفي معجم الشعراء أيضًا ٣٦، مع أبيات أُخَر لعمرو بن الحارث بن عبد مناة بن كنانة، وقال المرزباني: «وقد

(١) روى ثعلب هذا البيت لِضَمْرة الكناني. والبيت مطلع قصيدة مؤلّفة من سبعة أبيات عَزَتْها مصادر كثيرة، أو عَزَت بعضها لشعراء كثُر منهم: عامِر بن جُوَيْن الطّائي، ومُنقِذ بن مرّة الكناني، وعَمْرو بن الحارث ابن عَبد مناة الكِناني، وضَمْرة بن جابِر بن قطن النَّهْشَلِي، وهُنَيّ بن أحْمَر الكِناني... وقد رَجَّحْنا عزو البيت للشاعر الأخير ـ أنظر التخريج.

(٢) في ذيل الأمالي:

أَأُخَيَّ أخْبِرْني، ولَسْتَ بِصادِقي وأَخُوكَ نافِعُكَ الذي لا يَكْذِبُ

وفي المؤتلف والمختلِف:

ضَمْرَ أَخْبِرْني، ولَسْتَ بِمُخْبِري وأخوكَ ناصِحُكَ الذي لا يَكْذِبُ

وفي هذه الرواية خُرِمُ البيتُ بحرفَين، فصار الجزء الأوّل فيه (فاعلن) بدل (متفاعلن). وفي معجم البلدان: «يا طَيُّ أخْبِرْني.. وأخوكَ صادِقُكَ الذي». وفي الخزانة:

يا جُنْدُبُ أخْبِرْني ولسْتَ بِمُخْبِري وأَخوكَ ناصِحُكَ الذي لا يَكْذِبُ

وبهذه الرواية يختلّ وزنُ البيت. وفي معجم الشعراء (٢٦):

يا عَمْرو خَبِّرْني ولَسْتَ بكاذِبٍ وأخوكَ يَصْدُقُكَ الذي لا يَكْذِبُ

وفي معجم الشعراء (٤٧٢): «يا ضَمْرَ خَبِّرْني ولَسْتَ». وفي حماسة البحتري: «ولَسْتَ بكاذِبٍ... صاحِبُكَ الذي». وفي المقاصد النحويّة قال العيني: «وقوله ولسْتَ بكاذبٍ، ويُرْوَى: فَلَسْتَ بصادِقٍ، وكِلْتا الروايتَيْن في الذيل» ـ المقاصد النحويّة ٢: ٣٣٩.

رُويَتْ لِهُنَيّ بن أحْمَر الكناني». وفي معجم البلدان (أجأ) مع ستّة أُخَر لعمرو بن الغوث بن طَيِّئ، وفي المقاصد النحويَّة ٢: ٣٣٩، وشرح شواهد المغني ٢: ٩٢١، والخزانة ١: ٢٤٢ ـ ٢٤٣ (ط بولاق)، مع أبيات أُخَر، لشعراء كثر متشابهين في المصادر الثلاثة. وقال العيني في هذا البيت من تلك الأبيات:

هذا وَجدِّكُمُ الصغارُ بِعَيْنِهِ ... لا أُمَّ لي إنْ كانَ ذاكَ ولا أَبُ

قال: «أقول: قائِلُهُ هو رجل من مَذْحِج، كذا قال سيبويه في كتابه، وذكر أبو رياش أنّ قائله همّام بن مرّة أخو جسّاس بن مرّة قاتِل كليب. وزعم ابنُ الأعرابي أنّه لرجل من بني عبد مناة (في الأصل مناف) قبل الإسلام بخمسمائة عام. وقال الحاتمي: هو لابن أحمر. وقال الأصفهاني: هو لِضَمْرة بن ضَمْرة... وقال بعضهم إنّه من الشعر القديم جدًّا. وكان لقائل هذا الشعر أخٌ يُدعى جُنْدبًا، وكان أبوه وأهلهُ يُؤثرونه ويفضِّلونه، فأَنِفَ من ذلك، وقال هذا، وهو من قصيدة بائيّة، أوّلها قوله:

يا ضَمْرُ أخْبِرْنِي ولسْتَ بكاذِبٍ ... وأخوكَ نافِعُكَ الذي لا يَكْذِبُ» ـ

المقاصد النحويّة ٢: ٣٣٩.

وفي الخزانة ذكر البغدادي البيت المنسوب إلى ضَمْرة عند ثعلب، مع أبيات أخر. ثمَّ قال: «هذا الشعر لِضَمْرة بن جابر بن قَطَن بن نهشل بن دارم شاعر جاهليّ، ويقال: إنّ ضَمْرة كان اسمه شقَّة فسمَّاه النعمان ضَمْرة بن ضَمْرة». ثمَّ إنَّ البغدادي خَطَّأَ نِسبة هذا الشعر، إلى ضمرة بعد سطور ـ أنظر الخزانة ١: ٢٤٣ (بولاق) و٢: ٣٨ (ط هارون). وتحدَّث الميمني عن الأبيات الأخوات، فقال في تخريجها «ابن الكلبي في الجمهرة ورقة ٦١ من نسخة دار التحف البريطانيَّة لِجَرِّي بن ضَمْرة أبي مالك قالها لعمِّه ضَمْرة بن جابر بن قَطَن بن نهشل بن دارم» ـ السمط ٣: ٤١ ـ ٤٢.

ومن وجه آخر عُزِيَ أحدُ أبيات القصيدة السابقة، وهو:

عَجَبٌ لَتِلْكَ قَضِيَّةٌ وإقامتي ... فيكُمْ على تِلْكَ القضيَّةِ أعْجَبُ

في كتاب سيبويه ١: ٣١٩ «لبعض بني مَذْحِج، وهو هُنَيُّ بن أَحْمَر الكِناني». وفي عبارة «وهو هُنَيُّ بن أحمر الكِناني» التي تُفَسِّر (بعض بني مَذْحِج) التباسٌ، وذلك أنّ كِنانة التي ينتمي إليها هني بن أحمر ليست كنانة بن ناجية بن يحابر ـ (أنظر جمهرة أنساب العرب ٤٠٦) بل هي كنانة بن خزيمة، وهذا ما قرَّره الآمدي في المؤتلف ٤٥،

ويبدو أنّ عبارة: «وهو هُنَيّ بن أحْمَر الكِناني» ليست عبارة سيبويه، فمن المعروف أنّ أبا عُمَر الجَرْمِي (٢٢٥ هـ ـ ٨٣٩ م) هو الذي قام بِعَزْوِ شواهد الكِتاب إلى أصحابها ـ (أنظر طبقات النحويِّين واللغويِّين للزبيدي ٧٥، والخزانة ١: ٣٣٣ ـ ٣٣٤ ـ (ط بولاق))، والعبارة، على صوابها، فيما نرى، أحدثت لبسًا، لأنّها جاءت بعد القول: «لبعض بني مذحج». ولا ندري من أين جاءت هذه العبارة. ومن المستبعد أن يقع أبو عُمَر الجَرْمي في مثل هذا التناقض. ولعلّ ذلك جاء من النسَّاخ. والله أعلم.

وقال الأسود الغندجاني في الأبيات السالفة: ذكر أبو عبيدة في كتاب العَقَقَة والبررة، أنّها لِهُنَيّ بن أحمر الكناني ـ أنظر فرحة الأديب ٥٥ . ولم أجد الأبيات في كتاب أبي عُبَيْدة المذكور. وقد جاء البيت الذي نحن بصدده، مع أبيات أخر، في اللسان، والتاج (حيس). وعُزِيَ فيهما إلى هُنَيّ بن أحْمَر الكِناني، ثمّ لزرافة الباهلي.

وأخيرًا، فإنّ البيت الذي أنشده ثعلب في (مجالسه)، وعزاه إلى ضَمرة الكناني، وهو الذي قادنا إلى هذا الاستطراد الطويل، ليس خالص النسبة إلى ضمرة، بل هو، على الأرجح لهُنَيّ بن أحْمَر الكِناني لأنّ رواة عدّة قالوا: إنّ هذا البيت، أو أبياتًا من قصيدة، هو أحدها، لِهُنَيّ بن أحْمَر الكِناني.

٣٩ ـ الأَسْعَرُ الجُعْفِيّ

١ ـ إسمُهُ ولَقَبُهُ ونَسَبُهُ

إسمُ شاعرنا هذا هو مرثَد بن أبي حُمران الجُعْفي. أمّا نَسبه، فنستطيع معرفته من خلال نسب ابن أخيه «مُحمَّد بن حُمْران»، وهو شاعر من شعراء هذه الدراسة، فهما يلتقيان بالنسب عند الأب (أبي حُمْران) فهو جدّ الشاعر محمّد ووالد شاعرِنا مَرْثَد، ومَرْثَد إذًا هو ابن أبي حُمْران الحارِث بن معاوية بن الحارث بن مالك بن عَوْف بن سَعْد ابن عوف بن حَرِيْم بن جُعْفِي بن الشَّاجي بن سَعْد العَشِيْرة بن مالك بن أُدَد[1].

(١) أنظر الآمدي: المؤتلِف والمختلِف ٢٠٨ و٥٨، وابن منظور: اللسان (شعر).

ولُقِّب مَرْثَد بن أبي حُمْران بالأشعر لبيتٍ قاله، هو:

فَلاَ تَـدْعُـني الأقْـوامُ لِسَـعْـدِ مالِـكٍ　　إذا أنـا لم أُشـعِـرْ عـليهـم وأُثْـقِـبِ[1]

وفي حين روى ابن حَبِيْب أنَّ الأشعَر كُنِّيَ بأبي زُهَيْر[2]، نجد ابنَ ماكَوْلاَ يقول: إنَّ كُنْيَةَ الأشعَر، أبو حُمْران[3]، وكنية والد الشاعر (أبو حمران) تُشعِر بوجود أخ له يُدعى (حُمْران)، هو والد شاعرٍ عاصرَ امرأ القيس ـ اسمه محمَّد بن حُمْران (الشُّوَيْعِر) كما سلف أن أشرنا. أمّا بقيَّة أفراد أسرته فلا نعرف عنهم شيئًا.

٢ ـ زمانه

إنّ علاقة القُربى بين (الأشعر) و(الشُّوَيْعِر)، وكون الأوّل عمَّ الثاني، ومعاصرة الثاني لامرئ القيس بن حجر الكندي، كلُّ أولئك يؤكِّد أنّ شاعرنا كان من معاصري امرئ القيس، وربَّما كان مُتقدِّمًا عليه زمنيًّا بعض الشيء، فهو إذًا من الشعراء الأوائل الذين وُجِدوا في النصف الأوّل من القرن السادس الميلاديّ.

٣ ـ أخباره

ذكر خَبَرٌ رواه ابن الكلبي وغيره[4]، أنّ شاعرنا قد قُتِل أبوه، وهو غلام، فوثب إخوته لأبيه، فباعوا فرسَ أبيهم، وأكلوا ثمنها، فلمّا شبَّ الأسعر أدرك ثأر أبيه، واتّخذ الخيل، وأكثر من حديثه عنها.

ويشير الخبر إلى أنّ خصومَ الشاعر كانوا من بني مازن، من الأزد. وقد كان يُصبِّحُهم فجأةً، فيقتل منهم، ثمَّ يهرب، وكانت خالته متزوِّجة فيهم، فدلَّتهم على حيلة للقبض عليه، مآلها: أن يعرضوا على فرسه (المُعَلَّى) اللبنَ، فالشاعر لا يستطيع ثَنْيَ جوادِه هذا عن شرب اللبن. ففعلوا، ولمّا أخفق الشاعر في كفِّ فرسه عن اللَّبن، غَشِيَتْهُ الرماح، فصاح: واثُكْلَ أمّي وخالتي! فصاحت خالته عندئذٍ: اضربْ قُنَبَهُ، ففعل، ونجا، ولم تدركه الخيل.

---

(١) أنظر ابن دُرَيْد: **الاشتقاق** ٤٠٨، والآمدي: م. س ٥٨ ـ ٥٩ والبكري: **السمط** ٩٤ ـ ٩٥، وابن منظور: م. س والزبيدي: **التاج** (سعر)، والسيوطي: **المزهر** ٢: ٤٣٨.

(٢) إبن حبيب: **كُنَى الشعراء** (ضمن نوادر المخطوطات) ٢: ٢٩٣.

(٣) إبن ماكولا: **الإكمال** ١: ٨٦.

(٤) إبن الكلبي: **أنساب الخيل** ١٠٨ ـ ١٠٩، وأبو عبيدة: **الخيل** ١٠ ـ ١١، والزبيدي: **التاج** (علو).

وممّا يلاحظه دارس أخبار الأشعر الجُعْفِي أنَّ الأخذ بالثأر، عند الشاعر، شريعة ينبغي الاحتِكام إليها، وهذا ما كان يصنعه قولاً وفعلاً، فهو مثلاً يُندِّد بإخوته الذين قبلوا دِيَةَ أبيهم، ولم يثأروا له، بقوله:

مسحوا لِحاهُم ثمَّ قالوا: سالِموا يا ليتَني في القومِ إذْ مَسَحُوا اللِّحَى

ومَسْحُ اللِّحى علامةٌ من علامات الصلح.

كما يلاحظ المرء مفاخرةَ الشاعر بأفراسٍ كثيرة كان يحوزها، فهي التي تُبلِّغ المرء غرضه، وتصونه، وتحصّنه من المعتدين الظالمين:

ولقد علمْتُ على تجشُّمِيَ الرَّدَى أنَّ الحُصُونَ الخيلُ لا مَدَرُ القُرَى

راحُوا بَصائِرُهم على أكْتافِهم وبَصِيرَتي يَعْدُو بِها عَتِدٌ وَأَى

فقد أراد الأسعر القول: إنّ إخوتَه تركوا ثأْر أبيهم، في حين حمل هو هَمَّ الثأر على كتفه ومتن فرسِهِ...

ويبدو أنّ شاعرنا أولَى الخيلَ عنايةً فائقةً في حياته، فقد امتلك أكثر من فرس في الجاهليّة، ومن أفراسه التي ذَكَرَتْها له كتبُ الخيل: الأغرُّ، وفيه يقول:

لولا الأغرُّ، وجَرْيُهُ، ابنةَ مالكٍ أَلْفَيْتُ ما بفِنائِكُمْ يَتَمزَّعُ[1]

والمُعلَّى، وفيه يقول:

أريدُ دماءَ بني مازِنٍ وراقَ المُعَلَّى بياضُ اللَّبَنْ

خَليطانِ مُخْتَلِفٌ شأنُنا أريدُ العَلاءَ ويَهْوَى السِّمَنْ[2]

والوَرْدُ، وقال فيه:

كُلَّما قلْتُ: أنْ سَيَلْحقه الْوَرْ دُ تمطَّتْ بهِ كُمَيْتٌ ذَنُوبُ[3]

وكذلك روى ابن الأعرابي أنّ (الضَّبيح) من أفراس الأسْعَر، ولكن يبدو أنّه كان من خيل ابن أخيه (الشُّوَيْعِر)، أعني محمّد بن حُمْران، الذي ذكره أيضًا في شعره[4].

---

(١) أنظر الغندجاني: أسماء خيل العرب ٤٢ ـ ٤٣.

(٢) أنظر ابن الكلبي: أنساب الخيل ١٠٩، والغندجاني: م. س: ٢٢٠، وابن هُذَيْل: حِلْية الفرسان ١٦٣.

(٣) الغندجاني: م. س ٢٥٨.

(٤) أنظر ابن الأعرابي: أسماء خيل العرب ٨٣، والفيروز أبادي: القاموس المحيط (ضبح).

٤ ـ شعره

لم نستطع، رغم بذل الجهد، أن نجمع من شعر الأشعَر أكثر من ٤٨ بيتًا، بينها مقصورته (الأُصمعيَّة)، التي اختارها أيضًا (أبو تمّام) في **حماسته الصغرى**. وملاحظة شعر الأسعر الدقيقة، تُفضي إلى أنّه كان شاعرًا وصّافًا للخيل، يمكن قرنه إلى الشعراء الذين عُرفوا بوصف الخيل، كطُفيل الغنوي، وأبي دؤاد الإيادي، والنابغة الجعدي، وقد أطرى قُدامة بن جَعْفر أبيات شاعرنا التالية، بوصفها مثالاً على صحّة التقسيم:

أمّـا إذا اسْـتَـقْـبَـلْـتَـهُ فـكـأنّـهُ   بـازٌ يُـكَـفْـكِـفُ أنْ يـطـيـرَ وقـدْ رَأى

أَمّـا إذا اسْـتَـدْبَـرْتَـهُ فَـتَـسُـوقُـهُ   سـاقٌ خَـمُـوْصُ ٱلْـوَقْـعِ عارِيةُ النَّسَـا

أَمّـا إذا اسْـتَـعْـرَضْـتَـهُ مُـتَـمَـطِّـرًا   فتقـولُ: هـذا مِـثْـلُ سِـرْحانِ الْـغَـضَـا

فقال قُدامة: «فلم يَدَعْ هذا الشاعر قسمًا من أقسام النصبة التي ترى في الفرس إذ رُئِيَ عليها، إلاّ أتى بها...»[1]. وقد تابع قدامة في إشادته هذه ابن رَشِيْق القَيْرواني[2]، وحازِمُ القَرْطاجنيّ[3].

وكذلك لاحظ ابنُ قُتَيْبة أنّ الأشعَر قد تقدَّم غيرَه في بعض التشبيهات، فوقع الاتكاء على شعره مِمَّن تَلاهُ، فقد ذكر ابن قُتَيْبة الشاعرَ عليَّ بن جَبَلة، وأنشد له هذا البيت، وهو في الخيل:

يَـخْـرُجْـنَ مِـنْ غَـمَـراتِ المَوْتِ سامِـيةً   نَـشْـرَ الأنامـلِ مِـنْ ذِي القِـرَّةِ الصَّـالِـي

ثمّ قال بعده: «أخذه من الأشعَر الجُعْفِي، إذ ذكر الخيل فقال:

يَـخْـرُجْـنَ منْ خَـلَـلِ الْـغُـبارِ عَـوابِـسًـا   كَـأَصَـابِـعِ الْـمَـقْـرُوْرِ أَقْـعَـى واصْـطَـلَـى

أراد أنّها تخرج متساويةً كأصابع المُصْطَلي، لأنّها تَسْتَوِي إذا اصْطَلى، فقبضها»[4]. وإذا كنّا نقرُّ بجمال التصوير الشعريّ في بيت الأسْعر، فمن الصعوبة أن نسلِّمَ لابن قتيبة بحكمه القاضي باستفادةِ عليّ بن جَبَلة من بيت الأشعَر تحديدًا، فمِثل هذا الحكم يستدعي بحثًا أوْسَعَ وأدقّ، نتأكّد، من خلاله، أنّ الأشعَر الجُعْفي كان،

---

(١) قدامة بن جعفر: **نقد الشعر** (ط مصر) ١٣١ ـ ١٣٢.

(٢) إبن رشيق: **العمدة** ٢: ٢٢.

(٣) حازم القرطاجنّي: **مِنهاج البُلَغاء** ١٠٠.

(٤) إبن قتيبة: **الشعر والشعراء** ٨٦٦ ـ ٨٦٧.

بحقّ، هو أوّلُ مَن ابتدع هذا التشبيه، فاقتفى أثره عليُّ بن جَبَلة. وهذا أمرٌ ليس في طَوْقنا الآن.

وها نحن الآن نُوْرِدُ أبيات الأسْعَر الجُعْفِي جميعًا مشروحةً ومخرّجةً بالكامل:

شِعر الأَسْعَر الجُعْفيّ

(١)

في الوحشيّات (٤٣ ـ ٤٥)[١]: (الكامل)

١ ـ أَبْلِغْ أَبا حُمْران أنَّ عَشِيْرَتِي ... ناجَوا، ولِلنَّفَرِ الْمُنَاجِيْنَ التَّوَى[٢]

٢ ـ باعُوا جَوادَهُمُ لِتَسْمَنَ أُمُّهُمْ ... ولكيْ يَبِيتَ على فِراشِهِمُ فَتَى[٣]

٣ ـ عِلْجٌ إذا ما ابْتَزَّ عَنْها ثَوْبَها ... وتَخامَصَتْ، قالَتْ لهُ: ماذا تَرَى[٤]

٤ ـ لكنْ قَعَيْدةُ بَيْتِنا مَجْفُوَّةٌ ... بادٍ جَناجِنُ صَدْرِها، ولها غِنَى[٥]

٥ ـ تُقْفِي بِعِيْشَةِ أَهْلِها مَلْبُوْنَةً ... أَوْ جُرْشُعًا عَبْلَ المَحازِمِ والشَّوَى[٦]

٦ ـ مَن كانَ كارِهَ عَيْشِهِ فَلْيَأْتِنا ... يَلْقَ الْمَنِيَّةَ أَوْ يَؤُوْبَ لهُ غِنَى[٧]

٧ ـ ولَقَدْ عَلِمْتُ على تَجَنُّبِيَ الرَّدَى ... أنَّ الحُصُونَ الخَيْلُ لا مَدَرُ القُرَى[٨]

---

(١) قَرَضَ الأسْعَرُ هذه القصيدةَ يُعرِّض فيها بإخوته لأبيه الذين قبلوا ديةَ أبيهم، بعدَ أن باعوا فرسَه حين قُتِل، وأكلُوا ثمنَها. ولمّا شبَّ الأسعرُ ثَأَرَ بأبيه أبي حُمْران الجُعْفِي، واتّخذ الخيل، ووصفَها، وآثرها على غيرها، وافتخر ببطولاته على صهواتها ـ أنظر أنساب الخيل ١٠٨ ـ ١٠٩، والتاج (علو).

(٢) في الأصمعيّات، والسمط: «ولِلْقَومِ المُناجِين». وأبو حُمْران: هو أبو الشاعر، واسمه الحارث بن معاوية. وناجاه يناجيه: سارَّه. والتَّوَى: الهَلاك.

(٣) في الأصمعيّات، والسمط: «ولكي يَعُوْدَ على». وقال البكري شارِحًا: أراد أنّهم أخذوا ديةَ أبيهم، فآثروا أمّهم باللَّبَن وعيالهم على خيلهم، فإذا سَمِنَتْ أُمُّهم زوَّجوها» ـ السمط ٩٥ .

(٤) في الأصمعيّات: «ما بَزَّ عَنْها». والعِلْج: الرجل الشديد الغليظ. وابتزَّ عنها ثوبَها: جرَّدها منه. وتخامصت: قال البكري: «أدخلت يديه إلى بطنها لِتُرِيه أنّها خَمِيْص» ـ السمط ٩٥ . والخَمِيص: ذات البطن الضامر.

(٥) قَعِيْدَةُ البيت، وقعيدة الرجل: إمرأته. ومَجْفوّة: مُهْمَلة، من جَفَاهُ يَجْفُوْهُ. والجَناجِن: مفردها جُنْجُن، وهو عَظْمُ الصَّدْر. والغِنَى هنا: نقيض الفقْر.

(٦) في الأصمعيّات، والأنوار ومحاسن الأشعار: «أهلِها وثَّابةً... أو». وفي السِّمط:

تُقْفِي بعيشةِ أَهْلِها وثّابةً ... أو جُرْشُعٌ نَهْدُ المَراكِلِ والشَّوَى

وأَقْفَى يُقْفِي: آثرَ وفضَّل. والمَلْبونة: الفرس التي رُبِّيت على اللَّبَن. والجُرْشُع: الجواد الغليظ المنتفخ الجنبَين. والعَبل: المُمْتَلِئ. والمحازم: مفردها مِحْزَم، وهو موضع الحِزام. والشَّوى: الأطراف والقوائم.

(٧) أراد مَن أراد قتالَنا، فهو بين أمرَين: لقاء الموت، أو الكسب والغنيمة.

(٨) في الأصمعيّات: «على تَجَشُّمِيَ الرَّدَى». وفي الأنوار ومحاسن الأشعار، واللسان: «على توقّيَ الرّدى». والمَدَر: قِطَع الطِّين اليابِس.

٨ ـ راحُوا بَصائِرُهُمْ على أكْتافِهِمْ	وبَصِيرَتي يَعْدُو بِها عَتَدٌ وَأى[١]
٩ ـ نَهْدُ الْمَراكِلِ لا يَزالُ زَمِيلُهُ	فَوْقَ الرِّحالَةِ ما يُبالِي ما أتَى[٢]
١٠ ـ أمَّا إذا اسْتَدْبَرْتَهُ فَتَسُوقُهُ	رِجْلٌ قَمُوصُ الوَقْعِ عارِيَةُ النَّسَا[٣]
١١ ـ أمَّا إذا اسْتَعْرَضْتَهُ مُتَمَطِّرًا	فتقولُ: هذا مِثْلُ سِرْحانِ الْغَضَا[٤]
١٢ ـ أمَّا إذا اسْتَقْبَلْتَهُ فكأنَّهُ	بازٌ يُكَفْكِفُ أنْ يَطِيرَ وقَدْ رَأى[٥]
١٣ ـ إنِّي وَجَدْتُ الخَيْلَ عِزًّا ظاهِرًا	تُنْجِيْ مِنَ الغُمَّى ويَكْشِفْنَ الدُّجَى[٦]
١٤ ـ ويَبِتْنَ بالثَّغْرِ الْمَخُوفِ طَوالِعًا	ويُثِبْنَ لِلصُّعْلوكِ جَمَّةَ ذِي الْغِنَى[٧]

---

(١) في تفسير الطبري: «حَمَلُوا بَصائِرَهُمْ». والبَصائِر: مفردها البصيرة، وهي مقدار من الدم يكون على الأرض يستدلّ به على الرمية، وهي هنا، دَمُ أبيهم، والعَتَد والعَتِد: الفرس الشديد التّام الخَلق الذي ليس فيه اضطراب أورخاوة. والوَأى: الطويل من الخَيْل، وقيل الصُّلب. وقال ابن سِيدَه في شرح البيت: «يقول: تركوا ثأرهم وطلبتُهُ أنا، ويعني بالبصائر دَمَ أبيهم، أنّهم جعلوه خَلْفَهم لم يثأروا به» ـ المُخَصَّص ٦: ٩٣.

(٢) في الأصمعيّات:

نَهْدُ الْمَراكِلِ مُدْمَجٌ أرْساغُهُ   عَبْلُ المَعاقِمِ ما يُبالِي ما أتَى

والنَّهْد: التّام الجسم. والمَراكِل: مفردُها مَرْكَل، وهو حيث يضرب الراكِبُ الدابّة، برجله. والزَّمِيل: الرَّدِيف يكون وراء الراكِب.

(٣) في الأصمعيّات: «وإذا هو اسْتَدْبَرْتَهُ». وفي الخيل لأبي عبيدة: «فترى له.. ساقًا قَمُوصَ» وفي الحيوان، ونقد الشعر (ط مصر)، والعمدة، والخزانة. «ساقٌ قَمُوصُ». واسْتَدْبَرْتَه: نظرتَ إليه من الخَلْف. وقَمَصَ الفرسُ يَقْمِص، ويَقْمُصُ: إذا رفع يدَيْه وطَرَحَهُما معًا وعجن برجلَيه. والنَّسا: عِرْقٌ من الوَرِك إلى الكَعْب. وقوله: «عارِيَة النَّسا» يعني سمينة، لأنّه إذا سمنت الدابّة انْفَلَقَ فخذاها بلحمتين عظيمتَين، وجرى النسا بينهما واستبان.

(٤) في الأصمعيّات: «وإذا هُوَ اسْتَعْرَضْتَهُ». وفي مِنهاج البُلَغاء:

أمَّا إذا اسْتَقْبَلْتَهُ   فتقول: هذا مِثْلُ سِرْحانِ الغضا

وهو مُلَفَّق ومَبْتُور الصدْر، وقد نبَّه المُحقِّق عليه ـ أنظر المنهاج ١٠٠. والمُتَمَطِّر: المُسْرِع. والسِّرْحان: الذِّئْب. والغَضَا: شَجَر. وذِئْبُ الغَضَا أخْبَثُ الذئاب، لأنّه لا يُباشِر النَّاسَ إلاّ إذا أراد أن يُغِيْر.

(٥) الباز: ضَرْبٌ من الصُّقور يُصادُ بِهِ. والباز، لغةٌ، في البازي، وبعضُهم يَهْمِزُ ألِفَه. ويكفكف: أراد يكفكف جناحيهِ ليطير. وقوله: «وقد رأى». لعلّه أراد: وقد رأى صَيْدًا يصيده.

(٦) في الأصمعيّات، والخيل لأبي عبيدة: «إنّي رأيْتُ الخيلَ». والغُمَّى: الشدّة والضِّيْق. والدُّجَى: سواد الليل.

(٧) في حلْيَة الفُرْسان:

وتَبِيتُ لِلثَّغْرِ المَخُوفِ طلائِعًا   وتَبِيتُ للصُّعْلوكِ غُرَّةَ ذِي الْغِنَى

وفي الأصمعيّات، والخيل لأبي عبيدة، والأنوار ومَحَاسن الأشعار: «المَخُوفِ طلائعًا». وأثابَ يُثِيبُ: أعطى ومنح. والصعلوك: الفقير. والجَمَّة أصلها معظم الماء، وهي هنا معظم مال الغني.

١٥ ـ وإذا رأيتَ مُحارِبًا ومُسالِمًا فَلْيَبْغِني عندَ المُحارِبِ مَنْ بَغَى

١٦ ـ وخَصاصةُ الجُعْفِيِّ ما صاحَبْتَهُ لا تَنْقَضِي أبدًا، وإنْ قِيلَ انْقَضَى[(١)]

١٧ ـ إخوانُ صِدْقٍ ما رَأَوْكَ بِغِبْطَةٍ فإنِ افْتَقَرْتَ، فقد هَوَى بكَ ما هَوَى[(٢)]

١٨ ـ مَسَحُوا لِحاهُمْ، ثمَّ قالُوا: سالِمُوا يا لَيْتَني في القَوْمِ إذْ مَسَحُوا اللِّحَى[(٣)]

١٩ ـ وكتيبةٍ لَبَّسْتُها بِكَتِيبَةٍ حتَّى تقولَ سَراتُهُمْ: هذا الفَتَى[(٤)]

٢٠ ـ لا يَشْتَكُونَ المَوْتَ غيرَ تَغَمْغُمٍ حَكَّ الجِمالِ جُنُوبَهُنَّ مِنَ الشَّذَا[(٥)]

٢١ ـ يَخْرُجْنَ من خَلَلِ الغُبارِ عَوابِسًا كأَصابِعِ المَقْرُورِ أَقْعَى فاصْطَلَى[(٦)]

٢٢ ـ يَتَخالَسُونَ نُفُوسَهُمْ بِنَوافِذٍ فَكَأَنَّما عَضَّ الكُماةُ على الحَصَى[(٧)]

٢٣ ـ فإذا شَدَدْتُ شَدَدْتُ غيرَ مُكَذِّبٍ وإذا طَعَنْتُ كَسَرْتُ رُمْحِيَ أَوْ مَضَى[(٨)]

---

(١) الخصاصة: الفقر وسوء الحال، وانقضى: فَنِيَ وذَهَب.

(٢) في حماسة البحتري: «فإذا افْتَقَرْتَ». والغبطة: حُسْنُ الحالِ والنعمة والسرور. وهَوَى بِكَ: نزل بك وأصابك.

(٣) في الخزانة: «عَقُّوا بسَهْمٍ ثُمَّ». وفي اللسان: «عقّوا بسَهْمٍ ثمّ قالوا: صالِحوا.. يا». ومعنى عَقُّوا: لَجؤوا إلى العَقِيقة، وهو سَهْم الاعتِذار، وتفسيره: «قالت العَرَبُ إنَّ أصْلَ هذا أن يُقتَل رجلٌ من القبيلة فيُطالَب القاتلُ بدمه، فتجتمع جماعة من الرؤساء إلى أوْلياءِ القتيل، ويعرضون عليهم الدية، ويسألون العفْوَ عن الدم، فإن كان وليّه قويًّا حَمِيًّا، أبى أخْذَ الدية، وإن كان ضعيفًا شاوَرَ أهْلَ قبيلته، فيقول للطالبين: إنَّ بيننا وبين خالِقنا علامة للأمر والنهي، فيقول لهم الآخرون: ما علامتكم فيقولون: نأخذ سَهْماً فنركبّه على قَوس، ثمّ نرمي به نحو السماء، فإن رجع إلينا مُلطَّخًا بالدم، فقد نُهِيْنا عن أخذِ الدية، ولم يرضوا إلاّ بالقود، وإن رجع نقيًّا كما صعد، فقد أُمِرنا بأخذ الدية، وصالحوا. قال: فما رجع هذا السهم قطُّ إلاّ نَقِيًّا، ولكن لهم بهذا عُذْرٌ عند جُهّالِهِم» ـ اللسان (عقق). ومَسْحُ اللِّحَى: علامةُ الصُّلْحِ ـ اللسان (عقق)، والخزانة ٤: ١٥١.

(٤) في الأصمعيّات: «وَجَّهْتُها لِكَتيبةٍ.. حتّى». ولَبَّسَ: سَتَرَ وغطّى. والسُّراة: مفردها سَرِيّ، وهو الرجل الشريف الكريم.

(٥) التَّغَمْغُم: أصوات الأبطال في الوَغَى. والشَّذا: مفردُها شَذاة، وهو ذُباب أزْرَق عظيم يقع على الدَّواب فَيُؤْذِيها. وعلّق شارِحاً الأصمعيّات (شاكر وهارون) على البيت بقولهما: «وفي صُلْب الشَّنْقيطيَّة: يستشفون بالموت كما تستشفي الإبلُ بالحكِّ مِمّا يُؤذِيها».

(٦) في الشعر والشعراء: «واصْطَلَى». والعوابس: مفردها عابس، والعابس: الكريه المَلْقَى والجَهْم المحيّا. والمقرور: الذي أصابه القُرُّ، أي البَرد. واصطلى: تدفَّأ بالنار. وقال ابن قتيبة في البيت: «أراد أنّها تخرج متساوية كأصابع المُصْطِلي، لأنّها تستوي إذا اصْطَلَى..» ـ الشعر والشعراء ٨٦٧.

(٧) في الأصمعيّات: «برماحِهِمْ... فكأنّما». وتخالَس القِرْنان أو تَخالَسا نَفْسَيْهما: رامَ كُلُّ واحدٍ منهما قَتلَ صاحبِهِ. أراد أنّ هؤلاء المتحاربين صامتون لا يتكلّمون، وكأنّهم عضّوا على الحَصَى.

(٨) شَدَّ على القوم في القتال يَشِدُّ ويَشُدُّ شَدًّا: حَمَل، وقوله: مضى، أراد مضى في هدفه ونفذ.

٢٤ ـ مِنْ وُلْدِ أَوْدٍ عارِضِيْ أَرْماحَهُمْ ‏ ‏ ‏ أَنْهَلْتُهُمْ: باهَى المُباهِي وانْتَمَى[١]

٢٥ ـ يا رُبَّ عَرْجَلَةٍ أصابُوا خَلَّةً ‏ ‏ ‏ دَأَبُوا وحارَ دَلِيلُهُمْ حتّى بَكَى[٢]

٢٦ ـ باتَتْ شآميةُ الرِّياحِ تَلُفُّهُمْ ‏ ‏ ‏ حتّى أَتَوْنا بَعْدَ ما سَقَطَ النَّدَى[٣]

٢٧ ـ فَنَهَضْتُ في البَرْكِ الْهُجُود وفي يدي ‏ ‏ ‏ لَوْنُ المَهَزَّةِ ذُوْ كُعُوْبٍ كالنَّوَى[٤]

٢٨ ـ أَحْذَيْتُ رُمْحِيْ عائِطًا مَمْكُوْرةً ‏ ‏ ‏ كَوْماءَ أَطْرافُ العِضاهِ لَها خَلَى[٥]

٢٩ ـ فَتَطايَرَتْ عَنِّي وقُمْتُ بِعاتِرٍ ‏ ‏ ‏ صَدْقِ الْمَهَزَّةِ ذِي كُعُوْبٍ كالنَّوَى[٦]

٣٠ ـ باتَتْ كِلابُ الْحَيِّ تَسْنَحُ بَيْنَنَا ‏ ‏ ‏ يَأْكُلْنَ دَعْلَجَةً ويَشْبَعُ مَنْ عَفَا[٧]

٣١ ـ ومِنَ اللَّيالِي لَيْلَةٌ مَزْؤُودَةٌ ‏ ‏ ‏ غَبْراءُ لَيْسَ لِمَنْ تَجَشَّمَها هُدَى[٨]

٣٢ ـ كَلَّفْتُ نَفْسِيْ حَدَّها ومِراسَها ‏ ‏ ‏ وعَلِمْتُ أَنَّ الْقَوْمَ لَيْسَ بِها غَنَا[٩]

٣٣ ـ ومُناهِبٍ أَقْصَدْتُ وَسْطَ جُمُوْعِهِ ‏ ‏ ‏ وعِشارِ راعٍ قَدْ أَخَذْتُ فَمَا تُرَى[١٠]

---

(١) أَوْد: هو أَوْدُ بن صَعْب بن سَعْد العشيرة، قبيلة يمانيّة. وأَنْهَلَ: أورد الشربة الأولى، من النَّهَل، وهو أوّل الشرب. وباهَى يُباهِي مُباهاة: فاخَرَ. وانْتَمَى: انْتَسَبَ مُعْتَزًّا بقومه وأهله.

(٢) في الأصمعيّات: «وحارَدَ لَيْلُهُم» وفيها تحريف، ولعلَّ الصوابَ ما أَثْبَتْناه. والعَرْجلة: جماعة من الناس راجلة غالبًا. والخَلَّة: الحاجة، أو الفُرْجة بين شَيْئَيْن.

(٣) شآميّة الرِّياح: أراد الرياح الآتية من الشام. وقوله: بعدما سقط النَّدى: يعني في الضُّحى، لأنّ سقوط الندى يكون فيه.

(٤) البَرْك: جماعة الإبل الباركة، وهو اسم جَمْع، والهُجُود: مفردها هاجد، وهو البارك، وأَهْجَد البعير: وَضَعَ جِرانَه على الأرض. ولَدْنُ المَهَزَّة: أراد رمحًا يهتزُّ من لينه. والكعوب: مفردها كَعْب، وهو العقدة ما بين الأنبوبَين من القصب والقَنا. والنَّوى: مفردها النواة، وهي عجمة التمر والزَّبيب وغيرهما.

(٥) في الوحشيّات: «أطرافُ الرِّماح لها»، وأثبَتُّ ما في الأصمعيّات. وفي الأصمعيّات: «لها خُلَى». وأثبَتُّ ما في الوحشيّات. وأَحْذَيْتُ: جعلت رمحي حُذْيًا للناقة، أي هِبةً، أراد نَحَرْتُ. والعائط من الإبل: البَكْرَة التي أَدْرَكَت اللّقاح ولم تَلْقَح. والمَمْكورة: المُدْمَجة الخَلْق والفَخْمة السَّنام. والكَوْماء: الضَّخمة السَّنام. والعِضاه: شَجَرٌ عِظام. والخَلَى: الرُّطْب من الحشيش.

(٦) العاتِر: الرمح المُضطرب: وصَدْق المهزّة: أراد رمحًا يهتزُّ لِلِينِهِ.

(٧) سَنَحَ يسنَح سُنُوْحًا: عَرَض ومَرَّ، وقيل: مَرَّ من المياسِر إلى الميامِن. وقال ابن منظور في البيت: «والدَّعْلَجة: لُعْبَة للصبيان يختلفون فيها الجَيْئة والذهاب قال: (البيت) ذكر كَثْرة اللحم، ويشبع مَنْ عفا: يشبع من يَأْتِيْنا» ـ اللسان (دعلج).

(٨) زَأَدَهُ يَزْأَدُهُ زُؤُوْدًا: أَفْزَعَهُ، ومَزْؤُودَة: مُفْزَعة ومُرْعَبة. وتَجشَّمَ أمرًا: حَمَل نفسَه عليه، وتكلَّفه.

(٩) في الأصمعيّات: «ليسَ لهمْ غِنَى». وحَدُّ النَّفس: شِدَّتُها وصُعُوْبتها. والمِراس: الممارسة وشدّة العلاج، من مَرَس مَرْسًا. والغَنَا: النَّفْع والجَدْوَى وأصلها الغَناء. وقد قَصَرَ الشاعر الممدود، وهذه ضرورة ـ أنظر ضرائر الشعر ١١٦.

(١٠) مُناهِب: راغِب في الغنيمة، فانتَهَبَ ونَهَبَ وناهَبَ، كلُّها بمعنى ـ اللسان (نهب). وأقصدتَ الرجلَ: =

٣٤ ـ ظَلَّتْ سَنابِكُها على جُثْمانِهِ يَلْعَبْنَ دُحْرُوْجَ الوَلِيْدِ وقدْ قَضَى[١]
٣٥ ـ ولقدْ ثَأَرْتُ دِماءَنا مِنْ واتِرٍ فالْيَوْمَ إنْ كانَ المَنُوْن قَدِ اشْتَفَى[٢]

(٢)

في أنساب الخَيل (١٠٦): (الخفيف)
١ ـ كُلَّما خِلْتُ أَنَّني أَلْحَقُ الوَرْ دَ تَمَطَّتْ بِهِ سَبُوحٌ ذَنُوْبُ[٣]

(٣)

في الاشتقاق (٤٠٨): (الطويل)
١ ـ فَلاَ يَدْعُني قَوْمِي لِسَعْدِ بنِ مالِكٍ لَئِنْ أَنا لَمْ أُسْعِرْ عَلَيْهِمْ وأُثْقِبِ[٤]

(٤)

في الوحشيّات (٢١٣): (المتقارب)
١ ـ كَفَيْتُ حَزِيْمًا ومُرَّانَها مِراسًا وخلَّيْتُهُمْ لِلْفَخارِ[٥]
٢ ـ فَلاَ تَدْعُونهُمْ إلى نَجْدةٍ ولكنْ فَهَيِّبْ بِهِمْ مَنْ تُجارِي[٦]
٣ ـ زعانِفُ سُوْدٌ كخُبْثِ الحَدِيْـ ـدِ يَكْفي الثلاثةَ شِقُّ الإزارِ[٧]

= طعنْتَهُ، أو رميْتَهُ فلم تخطئ مقاتِلَه، أي قَتَلْتَهُ، والعِشار: مفردها عُشَراء، وهي الناقة في الشهر العاشِر من لَقْحِها، وقيل في الثامن، والأوّل أَوْلَى، لمكان لَفْظِهِ ـ اللسان (عشر).

(١) السنابِك: أراد سنابكَ الخيل، ولم يَجْرِ لها ذِكْرٌ من قبل. والدُّحْروج: لم أجدها باللغات، بل وجدت الدُّحْرُوْجة، وهي ما يُدَحْرِجه الجُعَل من البنادق فكأنَّ الدحروج شيء كان يدحرجه الولدان في بعض ألعابهم آنئذ، والله أعْلَم.

(٢) الواتِر: الذي صَنَعَ الوَتْر، أي القتل، والجريمة، والضغينة.

(٣) في أسماء خيل العرب للغندجاني:
كُلَّما قلتُ أنْ سَيَلْحَقُه الْوَرْ دُ تَمَطَّتْ بهِ كُمَيْتٌ ذَنُوْبُ
والوَرْد: فَرَس للأَسْعر الجعْفي. وتمطَّى: سار سَيْراً طويلاً مَمْدوداً. والسَّبُوح: نَعْتٌ للفرس الذي يَسْبَح بيديه في سَيْرِه. والذَّنُوْب: الفَرَس الوافِر الذَّنَب أو الطويل الذَّنَب.

(٤) في اللسان، والتاج: «فلا تَدْعُني الأقوامُ من آلِ مالِك.. إذا أنا». وفي المُزْهِر: «لمن أنا» تحريف. وسَعد ابن مالِك: قبيلة يَمانيَّة من مَذْحِج. وأَسْعَرَ: أَوْقَدَ النار، أو هَيَّجَ الحربَ. وأَثْقَبَ النارَ: أَوْقَدَها. وبهذا البيت سُمِّي الشاعر بالأَسْعَر الجُعْفِي، واسمُه مَرْثَد بن أبي حُمْران ـ أنظر **المؤتلف والمختلف** ٥٨ ـ ٥٩، **والاشتقاق** ٤٠٨، **واللسان، والتاج** (سعر).

(٥) حَزيم: اسم رَهْطٍ يهجوهم الشاعر. والمُرَّان: الرماح الصُّلْبة اللَّدنة، واحدتها مُرَّانة. والمِراس: شِدَّة العلاج والخبرة في الأمور.

(٦) هيَّبَ الشَّيءَ: جَعَلَهُ مَهِيْبًا. وجارَى: بارَى وسابَقَ.

(٧) الزَّعانِف: ما تَخَرَّقَ من أسافلِ القميص ـ يشبَّه به رُذَّال الناس، وهي القِطَع من القبائل تَشِذُّ وتنفرد. =

(٥)

في أنساب الخيل (١٠٩): (المتقارب)

١ ـ كأنَّ الْـمُـعَـلَّـى ورَيْـبَ الْـمَـنُـوْ نِ والْـحَـدَثَـانِ بِـهِ وَقْـعُ فَـاسِ[١]

(٦)

في أسماء خيل العرب للغندجاني (٤٣): (الكامل)

١ ـ لَـوْلاَ الأَغَـرُّ وجَـرْيُـهُ ابْـنَـةَ مالِـكٍ أُلْـفِـيْـتُ ما بِـفَـنـائِـكُـمْ يَـتَـمَـزَّعُ[٢]

(٧)

في الوحشيّات (٤٦)[٣]: (المتقارب)

١ ـ ولمَّا رَأَى وَضَـحًـا فـي الإنـا ءِ قـامَ لَـهُ زَمْـجَـرٌ كـالْـمُـرِنّ[٤]

٢ ـ خَـلِـيْـلانِ مُـخْـتَـلِـفٌ شَـأْنُـنا أُرِيْـدُ الْـعَـلاَءَ ويَـنْـوِي السِّـمَـنْ[٥]

٣ ـ أُرِيْـدُ دِمـاءَ بَـنـي مـازِنٍ وراقَ الْـمُـعَـلَّـى بَـيـاضُ الـلَّـبَـنْ[٦]

(٨)

في حماسة البحتري (١٤٧): (المتقارب)

١ ـ وسِـرُّكَ مـا كـانَ فـي واحِـدٍ وسِـرُّ الـثـلاثـةِ غـيـرُ الْـخَـفِـيْ

= والخُبث: الرديء. والإزار: الرداء.

(١) في أسماء خيل العرب: «وَقْعُ فارِسٍ». والمُعَلَّى: اسم فرسٍ للأشعَر الجُعْفِي. والْحَدَثان: نُوَبُ الدَّهْر ومصائبه.

(٢) الأغرُّ: اسمُ فرسٍ للشاعر. وتَمزَّع: تفرَّق وتقطَّع.

(٣) روى ابن الكلبي مناسبة هذه الأبيات وقد تقدَّم شرحها في أخبار الشاعر من قبل ـ أنظر أنساب الخيل ١٠٨، والتاج (علو).

(٤) في أنساب الخيل، والتاج: «إذا ما رأى.. سَمِعْتُ له زَمْجَرًا كالمُغِنْ». والوَضَح: البَياض، وأراد هنا اللَّبَن. والزَّمْجَر: الصوت، وخَصَّ بعضهم فقال: الصوت من الجَوْف. والمُرِنُّ: القَوْس، وهي صِفَةٌ غَلَبَتْ غَلَبَةَ الاسم.

(٥) في أنساب الخيل: «خَلِيْطان.. أُرِيْدُ العُلَى ويريدُ السِّمَن». وفي التاج: «العَلاء ويَهْوَى الْيَمَنْ».

(٦) المُعَلَّى: اسمُ فَرَسٍ للأشعَر الجُعْفِي.

ما يُنسَب إلى الأسْعَر الجُعْفِي، وإلى غيرِه من الشعراء

(١)

في أمالي المرتضى (٢: ٣٢)[1]: (الكامل)

١ ــ إلاَّ رَواكِدَ بَيْنَهُنَّ خَصاصَةٌ سُفْعَ المَناكِبِ كُلُّهُنَّ قَدِ اصْطَلَى[2]

(٢)

في الأزمنة والأمكنة (٢: ١١)[3]: (الكامل)

١ ــ أمَّا إذا يَعْدُوْ، فَثَعْلَبُ جِرْبَةٍ أَوْ ذِئْبُ عادِيَةٍ يُعَجْرِمُ عَجْرَمَهْ[4]

تخريج شعر الأسْعر الجُعْفِي

(١)

١ ــ ٣٥ في الوحشيَّات ٤٣ ــ ٤٥ للأُسْعَر الجُعْفِي.

١ ــ ٥، ٧ ــ ٩، في الأصمعيّات ١٤٠ ــ ١٤٣ للأُسْعَر الجُعْفِي.

١٢، ١٠، ١٣ ــ ١٦،

١٨ ــ ٢٢، ٢٥ ــ ٢٨،

٣٠ ــ ٣٥

١ ــ ٤ في سمط اللآلي ٩٤ ــ ٩٥ للأَسْعَر الجُعْفِي.

٤ ــ ٥ في الكامل للمبرد ٣: ٤٠١ للأَسْعَر.

٤ في اللسان (قعد) و(حصن) للأَسْعر.

٥، ٧، ١٣ ــ ١٤ في الأنوار ومحاسن الأشعار ١: ٢٨٥ للأسْعَر.

٨، ١٢، ١٠، ١١، في الخيل لأبي عُبَيْدة ١٠ ــ ١١ للأسعر.

١٣ ــ ١٤، ٢١، ٧

---

(١) ويُنْسَب أيضًا للرُّخَيْم العَبْدِي.

(٢) قال القالي شارحًا: «رواكِد: ثوابِت، يعني أشافِي. والخَصاصة: الفُرْجة. والسُّفْعَة: سوادٌ تَعْلُوْه حُمْرَة» ــ الأمالي ١: ٤٦ . وقوله: اصطلى، أراد بالنار، أي لوّحته النارُ إذ تَعَرَّض لحرِّها.

(٣) ويُنْسَب أيضًا إلى عَمْرو بن مَعْدِيكَرِب الزُّبَيْدِي.

(٤) في اللسان، والتاج: «فثَعْلَبُ جَرْيَةٍ». وفي جمهرة اللغة: «فثَعْلَب جَرْيَةٍ.. أو سِيْدُ غادِيَةٍ»، وفي التاج: «فثَعْلَبُ جَرْيَةٍ.. أوْ ذِئْبُ عارِيَةٍ». والجِربة: البقعة الحسنة النبات. والعادِيَة: الحِدَّة والشرُّ والظلم. وهي مصدر جاء على فاعِلة كالراغِيَة والثَّاغِيَة، أي الرُّغاء والثُّغاء» ــ اللسان (عدا). وعَجْرَم: أسْرَعَ وقارَبَ الخَطْوَ.

٧، ١٣، ١٤	في حلية الفرسان ١٧٨ للأسعر.
٧	في الحيوان ١: ٣٤٦ للأسعر.
٧، ٢١	في المؤتلف والمختلف ٥٩ للأسعر.
٨	في الخيل لأبي عبيدة ١١٩، واللسان (عتد) للأسعر. وفي تفسير الطبري ٢: ٢٤ (ط شاكر)، والمُخصَّص ٦: ٩٣، ١٥: ١٧٤ دون عزو.
١٢، ١٠، ١١	في نقد الشعر ١٣١ ـ ١٣٢، والعمدة ٢: ٢٢، والخزانة ٩: ١٨١ للأسعر.
١٢، ١١، ١٠	في الخيل لأبي عبيدة ٩٩، والحيوان ١: ٢٧٥ للأسعر.
١١	في منهاج البلغاء ١٠٠ دون عزو.
١٧	في حماسة البحتري ٦٨ للأسعر.
١٨	في اللسان (عقق)، وخزانة الأدب ٤: ١٥١ (ط هارون) للأسعر.
٢١	في الشعر والشعراء ٢: ٨٦٧ للأسعر.
٣٠	في اللسان (دعج) دون عزو.

(٢)

١	في أنساب الخيل ١٠٦، وأسماء خيل العرب للغندجاني ٢٥٨ للأسعر. وفي التاج (ورد) للأشعر، بالشين، وهو تصحيف.

(٣)

١	في الاشتقاق ٤٠٨، والمؤتلف ٥٨، والسمط ٩٤، واللسان، والتاج (سعر)، والمُزْهِر ٢: ٤٣٨ للأسعر.

(٤)

١ ـ ٣	في الوحشيَّات ٢١٣ للأسعر.

(٥)

١	في أنساب الخيل ١٠٩، وأسماء خيل العرب للغُنْدُجاني ٢٢٠ للأسعر.

(٦)

١ في أسماء خيل العرب للغندجاني ٤٣ للأشعر.

(٧)

١ ـ ٣ في الوحشيّات ٤٦ للأشعَر.

٣، ١، ٢ في أنساب الخيل ١٠٨ ـ ١٠٩، والتاج (علو) للأسعر.

١ في أسماء خيل العرب للغندجاني ٢٢٠ للأسعر.

٢ ـ ٣ في مجموعة المعاني ١٦٩ للأسعر، وفي الاشتقاق ٤١٢ للأفوه الأودي، وهما في ديوانه ٢٤ نقلاً عن المصدرَين السابقَين.

٣ في أسماء خيل العرب لابن الأعرابي ٨٣ للأسعر.

(٨)

١ في حماسة البحتري ١٤٧ للأسعر.

ما يُنسب إلى الأسعر الجُعْفي، وإلى غيره من الشعراء

(١)

١ في أمالي المرتضى ٢: ٣٢ للأسعر. وفي اللسان، والتاج (خصص) للأشعر، بالشِّين، وهو تصحيف. وفي السمط ١٨٩ للرخَيم العَبدي. وفي أمالي القالي مع بيت آخر ١: ٤٥ دون عزو.

(٢)

١ في الأزمنة والأمكنة ٢: ١١، واللسان (عجرم) للأسعر. وفي جمهرة اللغة ٣: ٣٢٤، واللسان، والتاج (عجرم) لعمرو بن معديكرب، وهو في ديوان عمرو هذا ١٥٣ .

٤٠ ـ مُحَمَّد بن حُمْران بن أبي حُمْران الجُعْفِيّ

١ ـ لقبُه ونسبه

يتميَّز هذا الشاعر عن غيره بلقب «الشُّوَيْعِر»، فقد قال الجاحظ: «وسمعتُ بعض العلماء يقول: طبقات الشعراء ثلاث، شاعر، وشُوَيْعر، وشُعرور، قال: والشُّوَيْعر مثل مُحمَّد بن حمران بن أبي حُمْران سمَّاه بذلك امرؤ القيس»(١).

ونعت صاحبَنا بالشُّوَيْعر كثيرون غير الجاحظ(٢)، وقصّة ذلك، كما أوضحها الآمدِي، أنّ امرأ القيس بن حُجر الكندي أرسل إلى محمَّد بن حمران في فرس يبتاعها منه، فمنعه ابن حمران، فقال امرؤ القيس:

أَبْلِـغـا عنِّـي الـشُّـوَيْـعِـرَ أَنّـي ... عَمْـدُ عَيْنٍ نَكَّبْتُـهُـنَّ حَرِيْـما

فسُمِّي، بهذا البيت، الشُّوَيْعِر»(٣).

أمّا نسبه فهو: «مُحمَّد بن حُمران بن أبي حُمْران الحارث بن معاوية بن الحارِث بن مالِك بن عَوْف بن سَعْد بن عَوْف بن حَرِيْم بن جُعْفي بن الشَّاجِي بن سَعْدالعشيرة بن مالك بن أُدَد»(٤).

وقد كان هذا الشاعر أحدَ مَن سُمِّيَ مُحَمَّدًا في الجاهليَّة، والمُسَمَّون بهذا الاسم قِلَّة قبل المَبْعَث النبويّ(٥). وقد تحدَّث عنهم البغدادي في الخزانة، وذكر من بينهم شويعرنا، فقال: «ومنهم محمّد بن حُمْران بن أبي حُمْران، واسمه رَبيعة بن مالِك الجُعْفي المعروف بالشُّوَيْعِر ذكره المرزباني، فقال: هو أحد من سُمِّي في الجاهليَّة

(١) الجاحظ: البيان والتبيين ٢: ١٠.

(٢) أنظر ابن حَبيب: ألقاب الشعراء ٢: ٣٢٥، وابن دُرَيْد: الاشتقاق ٨ ـ ٩ و٤٠٨ والآمدي: المؤتلف والمختلف ٢٠٨ ـ ٢٠٩، والقفطي: المحمّدون من الشعراء ٣٠١، والصغاني: التكملة والذيل ٢: ٦٧، وابن منظور: اللسان، والفيروز أبادي: القاموس (شعر)، وابن حجر: الإصابة ٣: ٥١١، والسيوطي: المُزْهِر ٢: ٤٣٢، والبغدادي: الخزانة ٣: ٣٦١ (ط هارون).

(٣) الآمدي: م. س ٢٠٨، وابن منظور: م. س (شعر).

(٤) م. ن: ٢٠٨.

(٥) أنظر في ذلك ابن حبيب: المُحَبَّر ١٣٠، وابن دُرَيْد: م. س ٨ ـ ٩، وابن رسته: الأعلاق النفيسة ٢٠١ ـ ٢٠٢، وابن منظور م. س (حمد)، والبغدادي: م. س ٣: ٣٦١ (ط هارون).

محمّدًا، وله قصّة مع امرئ القيس»[1]. وقد سقطت ترجمة هذا الرجل ممّا طبع من كتاب **معجم الشعراء** للمرزباني، فاستدركه ناشر المعجم المرحوم عبد الستّار الفرّاج نقلاً عن **الإصابة**، و**خزانة الأدب**[2]، وفعل الصنيع نفسه إبراهيم السّامرّائي في كتابه: **من الضائع من معجم الشعراء** مثبتًا ما جاء عن هذا الشاعر في **الإصابة**، و**خزانة الأدب**[3].

٢ ـ زمانه وأخباره

إنّ اقترانَ اسم هذا الشاعر باسم امرئ القيس، وتسبُّب الأخير في تَلْقِيْبه بهذا اللقب المُزْرِي، يدلاَّن على معاصرة محمّد بن حُمْران لامرئ القيس، وهذا يشير في الوقت نفسه إلى أنّ عَلَمَنا هذا كان من رجال النصف الأوّل من القرن السادس الميلاديّ، على الأرجح. ولعلّ في قول الآمدي فيه ما يؤيِّد ذلك، إذ قال: «وهو ابن أخي الأشعَر الجُعْفي... وهو قديم»[4]. أمّا ابن دُرَيْد، فقد نصّ على معاصرته للملك الضِّلِّيل فقال: «وكان في عصر امرئ القيس بن حُجْر»[5].

والحقُّ أنّ المصادر التي عُدنا إليها لا تتيح لنا أن نتوسَّع في الحديث عن أخبار محمّد بن حُمْران الجُعْفي، إذ لم تزوِّدنا بما ينقع الغلّة. وممّا يستوقفنا في أخباره أنّ علاقته بامرئ القيس لم تُسْفِر عن هجاءٍ للملك الضلِّيل، بل وصل إلينا ما يشعر بعكس ذلك، فالمُتَأَمِّل في شعر محمّد بن حُمْران، الذي وجّهه للأمير الكندي، يلاحظ نغمة الثناء والمديح، لا نغمة العداء والتجريح، فهو يقول:

أَتَـتْـنِـي أُمـورٌ فـكـذَّبْـتُـهـا	وقد نُـمِـيَـتْ لِـيَ عامًا فَـعَـامَا
بأنَّ امرأ الـقـيسِ أَمْـسَـى كَـئيبًا	على أهْـلِـهِ ما يذوقُ الطَّـعاما
لَـعَـمْـرُ أبيـكَ الـذي لا يُـهـانُ	لقد كانَ عرضُـكَ مِـنِّـي حَـرامَا
وقـالـوا: هَـجَـوْتَ ولمْ أهْـجُـهُ	وهلْ يَـجِـدَنْ فيكَ هاجٍ مَـذامَا[6]

---

(١) البغدادي: الخزانة ٣: ٣٦١ (ط هارون).

(٢) أنظر المرزباني: معجم الشعراء ٥٣١.

(٣) أنظر إبراهيم السامرّائي: من الضائع من معجم الشعراء ص ١٢٠ ـ ١٢١.

(٤) الآمدي: المؤتلف والمختلف ٢٠٨.

(٥) إبن دُرَيْد: الاشتقاق ٩.

(٦) الآمدي: المؤتلف والمختلف ٢٠٩.

ولا نعرف السِّرَّ في هذه اللهجة، التي لا تتلاءم مع ما أطلقه امرؤ القيس من غليظ القول في ابن حُمْران، فهل كان هذا يخشى لسان الأمير الكندي السليط؟ أم يخاف مكانته، بوصفه أميرًا مَهِيْبًا؟ أم أنّ هجاء الجُعْفي لامرئ القيس كان قبل هذه الأبيات، ثمَّ تراجع عنه فيها؟

يبقى أن نشير إلى مَلْمَحٍ يبدو أنّ شاعرنا كان يتمتّع به، وهو الفروسيَّة، فقد كان ـ فيما يبدو ـ فارِسًا. وقد ذُكِر اسمُ فرسِهِ، وكان اسمُهُ (الضُّبَيْح)، ذكر ذلك ابنُ الأعرابي أوّلاً، ثمَّ الصغاني، ثانيًا، في معجمه[1]. ولعلَّ فروسيَّته، وشعره، وعلاقته بامرئ القيس، كانت وراء بقاء ذِكره، وخلود بعض أخباره وأشعاره.

٣ ـ شعره

إنَّ ما أصبناه من شعر محمَّد بن حُمْران نَزْرٌ وقليل، فهو لم يزدْ على (٢٠) بيتًا تقع في ثلاث قِطَعٍ شعريَّة، بينها قصيدتان، إحداهما (٩) أبيات، والثانية (١٠) أبيات.

ويبدو أنّ هذه الأبيات ليست كلّ ما قال محمّد بن حمران من شعر. وثمَّة احتمالٌ قَوِيٌّ أن يكون قد ضاع بعض ذاك الشعر. والدليلُ أنّ الآمدي يقول فيه: «وله في كتاب بني جُعْفي أشعار جِياد»[2]. ومن الجائز أن يكون بعض هذه الأشعار هو ممّا بين أيدينا، وبعضها الآخر قد فُقِد وطواه النسيان... وها نحن الآن نسوق جميع أبيات محمّد بن حمران مشروحة ومُخرَّجة وفق منهجنا المعهود سابقًا:

شِعر مُحمَّد بن حُمران بن أبي حُمْران الجُعْفي *

(١)

في ديوان الأدب (٢: ٣٩): (الطويل)

١ ـ فنِلْتُ بِهِ ثَأْرِي، وأدْرَكْتُ ثُؤرَتِي   إذا ما تَنَاسَى ذَحْلَهُ كُلُّ عَيْهَبِ[3]

---

(١) أنظر ابن الأعرابي: أسماء خيل العرب ٨٣، والصغاني: التكملة والذيل (ضبح).

(٢) الآمدي: م. س ٢٠٩.

(٣) في اللسان (عهب): «حَلَلْتُ بِهِ، وَتْرِيْ وأدْرَكْتُ». وفي اللسان (غهب): «كُلُّ غَيْهَبِ». وهي رواية سائغة. والثَّأْرُ والثُؤرَة: الطَّلَب بالدم، وقيل: الدمُ نفسه، وقال الأصمعي: «أدرك فلانٌ ثؤرتَه إذا أدرك مَن يطلب بثأره» ـ اللسان (ثأر). والذَّحْل: الثأر. والعَيْهَب: الضعيف عن طَلَبِ وِتْرِه، والغَيْهَب: البليد الذي فيه ضَعْفٌ وغَفَلَة.

(٢)

في المؤتلف والمُختَلِف (٢٠٨ ـ ٢٠٩): (المُتقارب)

١ ـ أَتَتْني أُمُورٌ فَكَذَّبْتُها وقدْ نُمِيَتْ لِيَ عامًا فَعامَا[١]

٢ ـ بأنّ امرأَ القَيْسِ أمْسَى كَئِيبًا على أَلِهِ ما يَذُوقُ الطَّعامَا[٢]

٣ ـ لَعَمْرُ أبيكَ الذي لا يُهانُ لقدْ كانَ عِرْضُكَ مِنِّي حَراما[٣]

٤ ـ وقالوا: هَجَوْتَ، ولَمْ أَهْجُهُ وهلْ يَجِدَنْ فيكَ هاجٍ مَذَامَا[٤]

٥ ـ أَتَتْنِي ثَمانُونَ أُعْطِيتُها تَخالُ مَتالِيَهُنَّ الْجِلاَما[٥]

٦ ـ أَلَسْتَ الجوادَ كَفَيْضِ الفُرا تِ مُنْهزِمًا جانباهُ انْهِزاما[٦]

٧ ـ أَلَسْتَ الوَفِيَّ بِجِيرانِهِ فَلَمْ تُضْطَلَمْ أُذْناهُ اصْطِلاما[٧]

٨ ـ وحُلَّتُهُ ضُرِّجتْ بالْعَبِيرِ وَهَبْتَ معًا والصَّقيلَ الْحُساما[٨]

٩ ـ وَمهْرِيَّةً كَصَفاةِ الْمَسِيـ ـلِ لا يَجِدُ الماءُ فِيها اهْتِضاما[٩]

---

(١) نُمِيَتْ لي: بَلَغَتْ سَمْعِي.

(٢) في المُؤتَلِف: «على أهْلِهِ». وفي اللسان (شعر): «على آلِهِ». وأثبتُّ رواية اللسان في (حمد) لجودتها. والأَلَة: الحَيْرة. وهي من أَلِهَ يَأْلَهُ أَلَهًا، إذا تَحَيَّر. والكآبة: تغيُّر النفس بالانكسار وشدَّة الهمّ والحُزْن.

(٣) في المُؤتَلِف: «لا يهين». وأثبتُّ رواية اللسان في (حمد) و(شعر).

(٤) في اللسان (حمد) و(شعر): «هاجٍ مَرامًا». وهي رواية سائِغة. والمَذام: مفردها مَذَمَّة، والمَذَمَّة: العَيْب والمَلامَة. وقد خفَّفَ الشاعر المَذامَّ في البيت، وهذا ضرورة ـ أنظر ضرائر الشعر ١٣٥ .

(٥) الْمَتالِي: مفردها مُتْلٍ ومُتْلِيَة، وهي الأمّ إذا تلاها وَلَدٌ، وأَتْلَتِ الناقةُ إذا تلاها ولدُها، والجِلام: مفردها جَلَم، وهو الجَدْي، وقيل الجِلام غَنَمٌ من غَنَم الطائِف صِغار، وقيل، هي شاءُ أَهْلِ مكَّة واحدتُها جَلَمة.

(٦) الانْهِزام: المُطاوَعة لِفِعْل الهَزْم، يُقال: هَزَمَ الشيءَ يَهْزِمُهُ هَزْمًا، فانهَزَم، إذا غَمَزَه بيدِهِ، فصارَ فيهِ وَقْرَةٌ وكذلك القِرْبة تُهْزَم في جوفِها.

(٧) أُصْطُلِم الشيءُ: اسْتُؤْصِل وقُطِع.

(٨) الحُلَّة، في الأصل: الرداء والقميص، أو هي ثلاثة أثواب القميص والإزار والرداء. ويُقال: لَبِسَ فلان حلَّتَه، أي سلاحَه. والمُضرَّج: المُلطَّخ. وثوب ضَرِجٌ ومُضَرَّج وإضْرِيج: مُتَضَرِّج بالحُمْرة أو بالصُفْرة. والعَبِير: هو الزعفران عند أهل الجاهليَّة، أو هو نوع من الطيب ذو لون يُجمَع من أخلاط، ويبدو أنّ لون العبير كان أحمرَ، فأبو ذؤيب يقول:

وسِرْبٍ تَطَلَّى بالعَبِيرِ كأَنَّهُ دِماءُ ظِباءٍ بالنُّحورِ ذَبِيحُ

(٩) المَهْرِيَّة: الناقة المَعْزُوَّة إلى حيٍّ عظيم، هم بنو مَهْرَة بن حَيْدان ـ اللسان (مهر). والصَّفاة: الحَجَر الصَّلد الضخم شَبَّهَ الناقة به.

(٣)

في الوحشيَّات (٤٦ ـ ٤٧): (مجزوء الكامل)

١ ـ أَبْـلِـغْ بـنـي حُـمْـرانَ أنّـي عـنْ عَـدَاوَتِـكُـمْ غَـنِـيّ[١]
٢ ـ يَـكْـفِـيْـكَ بَـغْـيُ الأبْـلَـخِ الْـجَـبَّـارِ إذْ تُـرِكَ الـنَّـضِـيّ[٢]
٣ ـ فـي نَـحْـرِهِ مُـتَـقَـبِّـضًـا كَـتَـقَـبُّـضِ الـسَّـبُـعِ الـرَّمِـيّ[٣]
٤ ـ إنَّ الـضُّـبَـيْـحَ طَـحَـا بِـمَـتْـنَـيْـهِ الأَيـاصِـرُ والـنَّـصِـيّ[٤]
٥ ـ والْـحالِـبُ الـعَـجْـلانُ كـالْـمِـخْـراقِ، والـزِّقُّ الـرَّوِيّ[٥]
٦ ـ مـا إنْ يَـغِـيْـبُ بِـهِ الـدَّهـاسُ، ولا يَـزِلُّ بِـهِ الـصُّـفِـيّ[٦]

---

(١) في الأمالي، وسمط اللآلي:

ألا أبْـلِـغْ بَـنِـي عُـصْـمٍ رَسولاً فـإنّـي عَـنْ فُـتاحَـتِـكُـمْ غَـنِـيّ

وفي إصلاح المنطق:

ألا أبْـلِـغْ بَـنِـي عَـمْـرٍو رَسولاً فـإنّـي عـنْ فُـتاحَـتِـكم غَـنِـيّ

وفي اللسان (فتح):

ألا مَـنْ مُـبْـلِـغٌ عَـمْـرًا رَسـولاً فـإنّـي عـنْ فُـتاحَـتِـكُـمْ غَـنِـيّ

والبيت بالروايات السابقة من (الوافر)، والقصيدة من مجزوء الكامل، والفُتاحة: الحكومة والقضاء. وفي رسالة الصاهل والشاحِج:

مَنْ مُبْلِغٌ عُصُمًا بأنّي عَنْ فُتاحَتِكُمْ غَنِيّ

وفي السِّمْط:

أبلغْ بني عُصُمٍ فإنّي عَنْ فُتاحِتكُمْ غَنِيّ

وفي المُحَمَّدون من الشعراء: «بلِّغْ بَنِي». وفي الإصابة: «حُمْرانَ أنني». وبهذه الرواية يختلّ الوَزنُ. وفي تهذيب إصلاح المنطق:

بلِّغْ بني عُصُمٍ بأنّي عن فُتاحتكمْ غَنِيّ

وبنو حُمْران: قوم الشاعر، وينتهون بنسبهم إلى سَعْد العشيرة، وهي قبيلة يمانيّة.

(٢) في المُحَمَّدون: «إذ نَزَلَ النَّضِي». والأبْلَخ: المُتكبِّر والمُتجبِّر. والنَّضِيّ: هو نَضِيُّ الرمح، وهو ما فوق المقبض من صدر الرمح. والنضيّ أيضًا نَصْلُ السَّيْف.

(٣) في الإصابة: «في بَحْرِهِ مُنْقبضًا كتقبُّضِ» تحريفٌ وإخلال بالوزن. والرَّمِيّ: المَرْمِي، فَعِيْل بمعنى مَفْعُول.

(٤) في الوحشيَّات: «إنَّ المَنِيحَ طَحَابِهِ... نِيةُ الأياصِر». وفيه تحريف كثير. وأثبتُّ رواية الغُنْدجاني في أسماء خيل العرب، مع الإبقاء على الرويّ مَوقوفًا. والضُّبَيْح: اسمُ فرسٍ للأشعَر. وطَحَا بِهِ: ذَهَب به. والأياصِر: مفردها الأيْصَر، وهو الحشيش المُجْتمِع. والنَّصِيُّ: نَبْتٌ معروف عندهم، وهو أبيض ناعم المرعى للخيل.

(٥) في أسماء خيل العرب للغندجاني: «والصَّحْنِ الرَّوِي». والمِخْراق: ما يلعب به الفتيانُ من الخِرَق. والزِّقُّ: وعاءٌ من الجِلْد يُتَّخذ للشراب ونحوه. والرَّوِيّ: الضعيف.

(٦) الدَّهاس: المكان الليِّن جدًّا ليس بتُراب ولا طِيْن. والصُّفي: جمع صَفَوات وصفوات جمع صَفاة، =

٧ ـ يَغْدُو كَعَدْوِ الثَّعْلَبِ الْـ ـمَمْطُورِ رَوْحَهُ الْعَشِيّْ[١]
٨ ـ بِقَوائِمٍ عُوجٍ شَمَا طِيطٍ، وهادٍ رَغْشَنِيّْ[٢]
٩ ـ تُدْرَى ذَوائِبُهُ كَمَا تُدْرَى إِلى العُرْسِ الهَدِيّْ[٣]

وفي رسالة الصاهِل والشاحِج (٦٤٨):

١٠ ـ لاَعَمَّتِي أَمَةٌ وَلاَ خالِي كَخَالِكَ مُقْتَوِي[٤]

تخريج شِعر مُحَمَّد بن حُمْران بن أبي حُمْران الجُعْفِي (الشُّوَيْعِر)

(١)

١ في ديوان الأدب ٢: ٣٩، واللسان (عهب) لِمُحَمَّد بن حُمْران الجُعْفِي (الشويعر) وفي اللسان (غهب) دون عزو.

(٢)

١ ـ ٩ في المؤتلف والمختلف ٢٠٨ ـ ٢٠٩ لمُحمَّد بن حُمْران (الشويعر).
١ ـ ٤ في اللسان (حمد) و(شعر) لمُحمَّد بن حُمْران (الشويعر).

(٣)

١ ـ ٩ في الوحشيَّات ٤٦ ـ ٤٧ لمحمّد بن حُمْران.
١ ـ ٣ في المُحمَّدون من الشعراء وأشعارهم ٣٠١ لمحمّد بن حمران.
١، ٣ في الإصابة ٣: ٥١١ لمحمّد بن حمران.

= والصفاة: الحجر العريض الأمْلَس الذي لا يُنْبِت شيئًا.

(١) المَمْطُور: الذي أصابه المَطَر. وراحَ يَرُوْحُ رواحًا: سار في العَشِيّ. والعَشِيّ والعَشِيَّة: آخر النهار، وقيل: هو ما بينَ زوالِ الشمس وغروبها.

(٢) الشماطِيْط: مفردها شِمْطاط وشُمْطوط، وقوله: شَماطِيْط يعني فِرَقًا وقِطَعًا. وقال ابن منظور: «قال سيبويه: لا واحدَ للشُماطِيْط» ـ اللسان (شمط). والهادي: العُنُق: والرَّغْشَنُ: المُرْتَعِش، والنون فيه زائدة، كما زِيْدَت في الصَّيْدَن، وهو الأَصْيَدُ من الملوك ـ اللسان (رعش).

(٣) دَرَى رأسَهُ بالمِدْرَى: مَشَطَه، وادَّرَتِ المرأة: سرَّحَتْ شَعْرَها. والذوائِب: مفردها ذُؤَابة، وهي أعلى شعر الرأس. والهَدِيّ: العروس.

(٤) في السمط، وتهذيب إصلاح المنطق:

لا أُسْرَتِي قَلَّتْ ولا خالِي لخالِكَ مُقْتَوِي

وفي اللسان (قتا):

لا أُسْرَتِي قَلَّتْ ولا حالِي لحالِكَ مُقْتَوِي

وقَتَوْتُ أَقْتُو قَتْوًا: خَدَمْتُ. والمُقْتَوِي: الخادِم.

١، ١٠	في رسالة الصاهل والشاحج ٦٤٧ ـ ٦٤٨، والسمط ٩٢٨، وتهذيب إصلاح المنطق ٢٨٨ لمحمّد بن حمران. وفي اللسان (قتا) للجعفي (كذا).
١	في اللسان (فتح) للأشعر الجعفي (بالشين) وهو تصحيف. وفي إصلاح المنطق ١١٢، والأمالي ٢: ٢٨٢ دون عزو.
٤ ـ ٥	في أسماء خيل العرب للغندجاني ١٥٥ لمحمّد بن حمران.
٤	في أسماء خيل العرب لابن الأعرابي ٨٣ للأسعر الجعفي.



المصادر والمراجع

آ ـ المصادر

١ ـ الآمدي، الحَسَن بن بِشْر (٣٧٠ هـ ـ ٩٨٠ م):

ـ **المُؤْتَلِف والمُخْتَلِف**، تحقيق عبد السّتّار فرّاج، القاهرة (١٣٨١ هـ ـ ١٩٦١ م).

٢ ـ الأبْشِيْهِي، شهاب الدين محمَّد بن أحمد (٨٥٠ هـ ـ ١٤٤٦ م):

ـ **المُسْتَطْرَف من كلِّ فنٍّ مُسْتَظْرَف**، مصر ـ د.ت، جزآن.

٣ ـ إبن أبي الحديد، عبد الحميد بن أبي الحديد (٦٥٦ هـ ـ ١٢٥٨ م):

ـ **شَرْح نَهْج البلاغة**، تحقيق محمَّد أبو الفضل إبراهيم، ط ٢، مصر ١٩٦٥، ٢٠ جزءًا.

٤ ـ إبن أبي عون (٣٢٢ هـ ـ ٩٣٣ م):

ـ **التَّشبيهات**، تحقيق محمَّد عبدالمعين خان، كمبردج ١٩٥٠ .

٥ ـ إبن الأثير الجَزَرِي، عليّ بن محمَّد (٦٣٠ هـ ـ ١٢٣٢ م):

ـ **أسْد الغابة في معرفة الصَّحابة**، مصر ١٢٨٠ هـ ، ٤ أجزاء.

ـ **الكامِل في التاريخ**، بيروت ١٩٦٥، ١٠ أجزاء.

٦ ـ إبن الأثير الجزري، مَجْد الدين أبو السعادات المبارك بن محمَّد (٦٠٦ هـ ـ ١٢٠٩ م):

- **النهاية في غريب الحديث والأَثَر**، القاهرة (١٣٨٣ هـ - ١٩٦٣ م) - ٥ أجزاء.

٧ - ابن إسحق، محمَّد (١٥١ هـ - ٧٦٨ م):

- **البسوس (أو كتاب بكر وتغلب)**، ط نخبة الأخيار - القسطنطينيَّة ١٣٠٥ هـ.

٨ - ابن الأعرابي (٢٣١ هـ - ٨٤٥ م):

- **أسماء خيل العرب**، تحقيق نوري حمّودي القيسي وحاتم الضامن، بغداد ١٩٨٥.

٩ - ابن الأنباري، أبو بكر محمّد بن القاسم (٣٢٨ هـ - ٩٣٩ م):

- **إيضاح الوقف والابتداء في كتاب الله عزّ وجلّ**، تحقيق محي الدين رمضان، دمشق ١٩٧١، جزآن.

- **شرح القصائد السبع الطوال الجاهليَّات**، تحقيق عبد السلام هارون، ط ٢ - القاهرة ١٩٦٩.

١٠ - ابن هُذَيْل الأندلسي، عليّ بن عبد الرحمن:

- **حلْية الفُرْسان وشعار الشجعان**، تحقيق محمّد عبد الغني حسن، دار المعارف بمصر - د.ت.

١١ - ابن إياس (٣٣٤ هـ - ٩٤٥ م):

- **تاريخ الموصِل**، تحقيق علي حبيبة، القاهرة ١٩٦٧.

١٢ - ابن الجرّاح، محمَّد بن داوُد (٢٩٦ هـ - ٩٠٨ م):

- **من اسمُهُ عَمْرو من الشعراء**، نشره حَمَد الجاسِر، في مجلّة العرب السعوديَّة - الرياض - أعداد كانون الأوّل وكانون الثاني وشباط ١٩٧٠.

- **نقد الشعر**، تحقيق كمال مصطفى، الخانجي ط ٣ - القاهرة ١٩٧٨.

١٣ - ابن جَنْدَل، سَلامة:

- **ديوان سلامة بن جندل**، تحقيق فَخْر الدين قَباوة، حلب ١٩٦٣.

١٤ - ابن جِنّي، أبو الفَتْح، عثمان بن جنّي (٣٩٢ هـ - ١٠٠١ م):

- **التمام في تفسير أشعار هُذَيْل مِمّا أغفله أبو سعيد السكّري**، تحقيق

القيسي والحديثي ومطلوب، بغداد ١٩٦٢ .

- **الخصائص**، تحقيق عليّ محمّد النجّار، القاهرة ١٩٥٢، ٣ أجزاء.

- **سرّ صِناعة الإعراب**، تحقيق مصطفى السقّا وصحبه، مصر ١٩٥٤ .

- **المُبهج في تفسير أسماء شُعراء الحماسة**، ط ٢، بيروت ١٩٨٣ .

- **المُحْتَسَب**، تحقيق عليّ النجدي ناصف وصاحبيه، القاهرة ١٣٨٦ هـ. ٤ أجزاء.

١٥ - إبن حَبِيْب، محمّد بن حبيب (٢٤٥ هـ - ٨٥٩ م):

- **أسماء المُغْتالِين**، (ضمن نوادر المخطوطات)، تحقيق عبد السلام هارون، مجلّد ٢ - ط ٢ القاهرة ١٩٧٣ .

- **شرح ديوان جَرِير**، تحقيق نعمان محمّد أمين طه، دار المعارف بمصر ١٩٦٩ م.

- **كُنَى الشعراء**، (ضمن نوادر المخطوطات)، تحقيق عبد السلام هارون، ط ٢، القاهرة ١٩٧٣ م.

- **المُحَبَّر**، تحقيق الدكتورة إيلزة ليختن شتيتر، بيروت، المكتب التجاري للطباعة. د.ت.

- **مختلف القبائل ومؤتلفها**: (ضمن كتاب الإيناس في علم الأنساب)، نشره حَمَد الجاسر، الرياض ١٩٨٠ .

- **المُنَمَّق في أخبار قريش**، تحقيق فاروق خورشيد، حيدر آباد ١٣٨٤ - ١٩٦٤ م.

١٦ - إبن حُجْر، أحمد بن عليّ (٨٥٢ هـ - ١٤٤٨ م):

- **الإصابة في تمييز الصحابة**، مصر ١٣٣٢ هـ، ٤ أجزاء.

١٧ - إبن حَزْم الأندلسي، أبو محمّد عليّ بن سعيد (٤٥٦ هـ - ١٠٦٣ م):

- **جمهرة أنساب العرب**، تحقيق عبد السلام هارون، القاهرة ١٩٦٢ .

١٨ - إبن خالَوَيْه، الحسين بن أحمد (٣٧٠ هـ - ٩٨٠ م):

- **إعراب ثلاثين سورة من القرآن الكريم**. طبعة دار الكتب المصريّة ١٣٦٠ هـ - ١٩٤١ م.

- **كتاب ليس**، مصر، د.ت.

١٩ - إبن خلدون، عبد الرحمن بن محمّد (٨٠٨ هـ - ١٤٠٥ م):

- **المقدّمة في التاريخ**، تحقيق علي عبد الواحد وافي، القاهرة، ٤ أجزاء.

٢٠ - إبن خِلّكان، شمس الدين أحمد بن خِلّكان (٦٨١ هـ - ١٢٨٢ م):

- **وفيات الأعيان**، تحقيق إحسان عبّاس بيروت. د.ت، ٨ أجزاء.

٢١ - إبن خَيْر الإشْبِيْلي، أبو بكر محمّد بن خَيْر (٥٧٥ هـ - ١١٧٩م):

- **فَهْرَسة ابن خَيْر**، سرقسطة ١٨٩٣ م.

٢٢ - إبن دُرَيْد، محمّد بن الحَسَن (٣٢١ هـ - ٩٣٣ م):

- **الاشتقاق**، تحقيق عبد السلام هارون، القاهرة ١٩٥٨، جزآن.

- **جمهرة اللغة**، طبع حيدر آباد الدكن ١٣٤٤ هـ، ٤ أجزاء.

٢٣ - إبن رسْتَه، أبو علي بن رسته (القرن الرابع الهجريّ، العاشر الميلاديّ):

- **الأعلاق النفيسة**، طبع مصر.

٢٤ - إبن رشيق، الحسن بن رشيق القيرواني (٤٦٣ هـ - ١٠٧٠ م):

- **العُمْدَة**، تحقيق محمّد محي الدين عبد الحميد - ط ٤ - بيروت ١٩٧٢، جزآن.

٢٥ - إبن سعيد الأندلسي، (٦٨٥ هـ - ١٢٨٦ م):

- **نَشْوَة الطَّرَب في تاريخ جاهليّة العَرَب**، تحقيق نصرت عبد الرحمن، عمّان ١٩٨٢، جزآن.

٢٦ - إبن السِّكّيت، يعقوب بن إسحق (٢٤٤ هـ - ٨٥٨ م):

- **إصلاح المنطق**، تحقيق أحمد شاكر وعبد السلام هارون - القاهرة ١٩٤٩.

٢٧ - إبن سلاّم، أبو عُبَيد القاسم بن سلاّم (٢٢٤ هـ - ٨٣٨ م):

- **الأمثال**، تحقيق عبد المجيد قَطامِش، مصوّرة دار المأمون للتراث، دمشق، د.ت - جزآن.

- **الغريب المصنّف**، طبع مصر.

- **كتاب النسب**، (رسالة ماجستير) تحقيق مريم الدرع، كلّيّة الآداب، جامعة دمشق ١٩٨٧.

٢٨ ـ إبن سلاَّم، محمّد بن سلاّم الجُمَحي (٢٣١ هـ ـ ٨٤٥ م):
ـ **طبقات فحول الشعراء**، تحقيق محمود شاكر، ط ٢، القاهرة ١٩٧٤، جزآن.
٢٩ ـ إبن سِيْدَه، أبو الحسن علي بن إسماعيل (٤٥٨ هـ ـ ١٠٦٥ م):
ـ **المُخَصَّص**، بيروت، ٥ أجزاء.
٣٠ ـ إبن الشَّجري، هِبَة الله بن علي العلوي (٥٤٢ هـ ـ ١١٤٨ م):
ـ **الأمالي الشجريّة**، حيدر آباد ١٣٤٩ هـ.
ـ **الحماسة الشجريَّة**، تحقيق عبد المعين الملوحي وأسماء الحمصي، دمشق ١٩٧٠، جزآن.
٣١ ـ إبن شريّة، عُبَيْد بن شَرِيَّة الجُرْهمي (نحو ٦٧ هـ ـ نحو ٦٨٦ م):
ـ **أخبار عُبَيْد بن شَرِيَّة الجُرْهمي**، (ضمن التيجان في ملوك حمير) ـ ط ٢، صنعاء ١٩٧٩.
٣٢ ـ إبن طَيْفور، أحمد بن طَيْفور (٢٨٠ هـ ـ ٨٩٣ م):
ـ **المنثور والمَنْظُوم**، تحقيق محسن غيّاض، منشورات عويدات، بيروت وباريس ١٩٧٧.
٣٣ ـ إبن عَبْد البَرّ، يوسف بن عبدالله: (٤٦٣ هـ ـ ١٠٧٠ م):
ـ **الاستيعاب في معرفة الأصحاب**، تحقيق علي محمّد البجاوي، مصر د.ت، ٤ أجزاء.
ـ **بَهْجة المَجالِس وأنس المُجالِس**، مصر ١٩٦٢ م.
ـ **القَصد والأَمَم**، القاهرة ١٣٥٠ هـ.
٣٤ ـ إبن عَبْد ربّه (٣٢٨ هـ ـ ٩٣٩ م):
ـ **العقد الفريد**، تحقيق أحمد أمين وصحبه، القاهرة ١٩٤٩ ـ ٧ أجزاء.
٣٥ ـ إبن عساكر، عليّ بن حسين (٥٧١ هـ ـ ١١٧٥ م):
ـ **تاريخ مدينة دمشق ـ قسم السيرة النبويَّة**، تحقيق نشاط غزاوي، دمشق ١٩٨٤.
ـ **تاريخ مدينة دمشق (مخطوط)** ـ (ج ٦ عن نسخة سليمان باشا) من

مخطوطات الظاهريَّة بدمشق.

٣٦ ـ إبن عَصْفور، أبو الحسن علي بن مؤمن (٦٦٩ هـ ـ ١٢٧٠ م):

ـ **ضرائر الشعر**، تحقيق السيِّد إبراهيم محمّد، بيروت ١٩٨٠ .

٣٧ ـ إبن العِماد الحَنْبلي، عبد الحي بن أحمد (١٠٨٩ هـ ـ ١٦٧٨ م):

ـ **شَذَرات الذَّهَب في أخبار مَن ذَهَب**، بيروت ١٩٧٩ ـ ٨ أجزاء.

٣٨ ـ إبن فارِس، أحمد بن فارس (٣٩٥ هـ ـ ١٠٠٤ م):

ـ **أبيات الاستشهاد**، (ضمن نوادر المخطوطات)، تحقيق عبد السلام هارون، ط ٢ ـ القاهرة ١٩٧٣ .

ـ **الصاحبي في فِقه اللغة وسَنَن العَرَب في كلامِها**، تحقيق مصطفى الشويْمي، بيروت ١٩٦٣ .

ـ **المُجْمَل في اللغة**، تحقيق زهير عبد المحسن سلطان، بيروت ١٩٨٤، ٤ أجزاء.

ـ **المقاييس في اللغة**، تحقيق هارون، القاهرة ١٩٦٩، ٥ أجزاء.

٣٩ ـ إبن قُتَيبة، عبدالله بن مُسْلِم (٢٧٦ هـ ـ ٨٨٩ م):

ـ **الأنواء في مواسِم العرب**، طبعة حيدر آباد الدكن ١٣٧٥ هـ.

ـ **الشعر والشعراء**، تحقيق أحمد شاكر ط ٢، القاهرة ١٩٦٦، جزآن.

ـ **عيون الأخبار**، طبعة دار الكتب المصريَّة ١٩٢٥، ٤ أجزاء.

ـ **المعارف**، تحقيق ثَرْوَتْ عُكاشة، القاهرة ١٩٦٠ .

ـ **المعاني الكبير**، طبعة حيدر آبادر ١٩٤٩ .

٤٠ ـ إبن قُدامة المَقْدِسِيّ، موفَّق الدين عبدالله بن قُدامة (٦٢٠ هـ ـ ١٢٢٣ م):

ـ **الاستبصار في نَسب الصحابة من الأنصار**، تحقيق عليّ النُّوَيْهِض، بيروت ١٩٧١ .

٤١ ـ إبن قَمِيئةَ، عَمْرو بن قَمِيئة:

ـ **ديوان عَمْرو بن قَمِيئة البكري**، تحقيق خليل إبراهيم العطيَّة، بغداد ١٩٧٢ .

٤٢ ـ إبن كَثِير، إسماعيل بن عُمَر (٧٧٤ هـ ـ ١٣٧٢م):

- **البداية والنهاية**، مصر ١٣٥١ هـ - ١٩٣٢ م، ١٤ جزءًا.
٤٣ - إبن الكلبي، هشام بن محمّد (نحو ٢٠٦ هـ - نحو ٨٢١ م):
- **الأصنام**، تحقيق أحمد زكي، مصر ١٩٢٤.
- **أنساب الخيل**، تحقيق أحمد زكي، القاهرة ١٩٥٩.
- **جَمْهَرة النسب**، تحقيق عبد الستّار فرّاج، الكويت ١٩٨٣، الجزء الأوّل فقط.
- **جَمْهَرة النَّسب**، تحقيق محمود فردوس العظم، دمشق ١٩٨٣، ٣ أجزاء.
٤٤ - إبن ماكُولا، علي بن هِبة الله (٤٧٥ هـ - ١٠٨٢ م):
- **الإكمال في رَفع الارتياب عن الأسماء والكُنى والأنساب**، تصحيح المعلمي اليماني، نشر محمّد أمين دمج، بيروت د.ت.
٤٥ - إبن مالك النحوي، محمّد بن عبدالله (٦٧٢ هـ - ١٢٧٣ م):
- **شواهِد التوضيح والتصحيح لمُشْكِلات الجامع الصحيح**، طبعة حيدر الله آباد، ١٣١٩ هـ.
٤٦ - إبن المعتزّ، عبدالله (٢٩٦ هـ - ٩٠٨ م):
- **فُصول التماثيل في تَباشير السرور**، مصر ١٩٢٥.
٤٧ - إبن مَنْظُور المَصْري، محمّد بن المُكَرَّم (٧١١ هـ - ١٣١١ م):
- **لسان العرب**، طبعة صادر، بيروت، ١٥ جزءًا.
- **مختار الأغاني في الأخبار والتهاني**، تحقيق إبراهيم الأبياري وصحبه، القاهرة ١٩٦٥ - ١٩٦٦، ٨ أجزاء.
- **مختصر تاريخ ابن عساكر**، تحقيق عدّة باحثين، بيروت - دار الفكر ١٩٨٧ فما بعدها، عدّة أجزاء.
٤٨ - إبن مَيَّادة، الرمَّاح (١٤٩ هـ - ٧٦٦ م):
- **شعر ابن ميّادة**، تحقيق حنّا جميل حدّاد، دمشق ١٩٨٢.
٤٩ - إبن نُباتة المصري، جمال الدين محمّد بن نباتة (٧٦٨ هـ - ١٣٦٦ م):
- **سرح العيون في شرح رسالة ابن زيدون**، تحقيق محمّد أبو الفضل

إبراهيم، دار الفكر العربيّ بمصر ١٩٦٣ .

٥٠ ـ إبن النديم، محمّد بن إسحق (٣٨٥ هـ ـ ٩٩٥ م):

ـ **الفهرست**، تحقيق رضا تجدّد، بيروت ١٩٧١ .

٥١ ـ إبن هشام، محمّد بن عَبْد المَلِك (٢١٣ أو ٢١٨ هـ ـ ٨٢٨ أو ٨٣٣ م):

ـ **السيرة النبويَّة**، تحقيق مصطفى السقّا وصحبه، ط ٢ القاهرة ١٩٥٥، ٤ أجزاء.

٥٢ ـ إبن هشام، عبدالله بن يوسف (٧٦١ هـ ـ ١٣٥٩ م):

ـ **مُغْني اللَّبِيب عن كتب الأعاريب**، تحقيق مازن المبارك ومحمّد علي حَمَد الله، ط ٢، بيروت ١٩٦٩، جزآن.

٥٣ ـ إبن يَعِيْش النحوي (٦٤٣ هـ ـ ١٢٤٥ م):

ـ **شرح المفصَّل**، المطبعة المنيريَّة مصر د.ت.

٥٤ ـ إبن ولاّدة أبو العبّاس، أحمد بن محمّد (٣٣٢ هـ ـ ٩٤٣ م):

ـ **المَقْصور والمَمْدُود**، مصر ١٣٢١ هـ ـ ١٩٠٨ م.

٥٥ ـ أبو بكر الحَنْبَلِي، تقيّ الدين بن زَيد الجِراعي (٨٨٣ هـ ـ ١٤٧٨ م):

ـ **الأوائل**، تحقيق عادل الفريجات، بيروت ١٩٨٨ .

٥٦ ـ أبو تمّام، حَبيب بن أوس الطُّائِي (٢٣١ هـ ـ ٨٤٥ م):

ـ **الوحشيَّات**، تحقيق الميمني وشاكر، طبعة دار المعارف بمصر ١٩٦٣ .

٥٧ ـ أبو دُؤَاد الإيادي:

ـ **ديوان أبي دُؤَاد الإيادي**، تحقيق إحسان عبّاس وغوستاف فون غرونباوم، بيروت ١٩٥٩ .

٥٨ ـ أبو زيد الأنصاري، سعيد بن أوس (٢١٥ هـ ـ ٨٣٠ م):

ـ **النوادر في اللغة**، تحقيق محمّد عبد القادر أحمد، دار الشروق، بيروت ١٩٨١ .

٥٩ ـ أبو زيد القُرَشي (نحو ٣١٠ هـ ـ نحو ٩٢٢ م):

ـ **جمهرة أشعار العرب**، تحقيق محمّد علي الهاشمي، الرياض، (١٤٠١ هـ ـ ١٩٨١ م) ـ ٣ أجزاء.

- **جمهرة أشعار العرب**، تحقيق علي محمّد البجاوي، القاهرة ١٩٦٤، جزآن.

٦٠ - أبو الطيّب اللُّغوي، عبد الواحد بن عليّ (٣٥١ هـ - ٩٦٢ م):

- **الإبدال**، تحقيق عزّة الدين التنّوخي، دمشق ١٩٦٠.

- **الأضداد**، تحقيق عزّة حَسَن، دمشق ١٩٦٣.

٦١ - أبو عُبَيْدة، مَعْمَر بن المثنّى (٢١٠ هـ - ٨٢٥ م):

- **الخيل**، طبعة حيدر آباد ١٣٥٨ هـ.

- **مجاز القرآن**، تحقيق فؤاد سزكين، مصر ١٩٥٤ - ١٩٦٢، جزآن.

- **نقائض جرير والفرزدق**، طبعة بِيْفان، ليدن ١٩٠٥، ٣ أجزاء.

٦٢ - أبو عَمْرو الدَّانِي، الحسن بن قاسم المرادي (٧٤٩ هـ - ١٣٤٨ م):

- **الجَنَى الدَّاني في حروف المعاني**، تحقيق فخر الدين قباوة، وفاضل، بيروت ١٩٨٣.

٦٣ - أبو العُمَيْثل الأعرابي (٢٤٠ هـ - ٨٥٤ م):

- **المأثور فيما اتّفق لفظه واختلف معناه**، صورة مخطوطة له في مخطوطات الظاهريَّة بدمشق.

٦٤ - أبو الفداء إسماعيل بن الملك الأفضل (٧٣٢ هـ - ١٣٣١ م):

- **المُخْتَصر في أخبار البشر**، مصر د. ت.

٦٥ - أبو قيس بن الأسلت:

- **ديوان أبي قَيس بن الأسلت**، تحقيق حسن محمّد باجودة، القاهرة ١٩٧٣.

٦٦ - الأخطَل، غِياث بن غَوْث التَّغْلِبيّ (٩٠ هـ - ٧٠٨ م):

- **ديوان الأخطل**، تحقيق أنطوان صالحاني، بيروت.

٦٧ - الأخفش الأصغر، أبو الحسن علي بن سليمان (٣١٥ هـ - ٩٢٧ م):

- **الاختيارَين**، تحقيق فخر الدين قباوة، دمشق ١٩٧٣.

٦٨ - الأخفش، سعيد بن مَسْعدة (٢١٥ هـ - ٨٣٠ م):

- **القوافي**، تحقيق عزة حسن، دمشق ١٩٧٠.

٦٩ ـ الأزرقي، محمّد بن عبدالله (٢٥٠ هـ ـ ٨٦٤ م):
ـ **أخبار مكّة**، طبعة غتنغة، د.ت.
٧٠ ـ الأزهري، أبو منصور محمّد بن أحمد (٣٧٠ هـ ـ ٩٨٠ م):
ـ **تهذيب اللغة**، تحقيق عبد السلام هارون وصحبه، مصر ١٩٦٤ ـ ١٩٦٧، ١٦ جزءًا.
٧١ ـ الأزهري، خالد:
ـ **شرح التصريح**، مصر طبعة بولاق، د.ت. جزآن.
٧٢ ـ أسامة بن منقذ: (٥٨٤ هـ ـ ١١٨٨ م):
ـ **كتاب العصا** (ضمن نوادر المخطوطات)، تحقيق هارون، ط ٢، القاهرة ١٩٧٢.
ـ **لُباب الآداب**، تصحيح أحمد شاكر، القاهرة ١٩٣٥.
ـ **المنازل والديار**، نشر المكتب الإسلاميّ، دمشق.
٧٣ ـ الأشنانداني، أبو عثمان (٢٨٨ هـ ـ ٩٠٠ م):
ـ **معاني الشعر**، تحقيق عزّ الدين التنّوخي، دمشق ١٩٦٩.
٧٤ ـ الأصفهاني، الراغب، حسين بن محمّد (٥٠٢ هـ ـ ١١٠٨ م):
ـ **محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء**، بيروت، ٤ أجزاء.
٧٥ ـ الأصفهاني، حَمْزة بن الحَسَن (٣٦٠ هـ ـ ٩٧٠ م):
ـ **تاريخ سِنِي ملوك الأرض والأنبياء**، بيروت د.ت.
ـ **التنبيه على حدوث التصحيف**، تحقيق الشيخ محمّد حسن آل ياسين، بغداد ١٩٦٧.
٧٦ ـ الأصفهاني، حَمْزة (٣٥١ هـ ـ ٩٦٢ م):
ـ **الدرّة الفاخرة في الأمثال السائرة**، تحقيق عبد المجيد قطامش، القاهرة ١٩٧١، جزآن.
٧٧ ـ الأصفهاني أبو الفرج، عليّ بن الحسين (٣٥٦ هـ ـ ٩٦٦ م):
ـ **الأغاني** (مصوّرة عن طبعة دار الكتب) ٢٤ مجلّدًا.
٧٨ ـ الأصمعي، عبد الملك بن قريب (٢١٦ هـ ـ ٨٣١ م):

- **الإبل**، (ضمن الكنز اللغويّ)، تحقيق أوغست هفنر، بيروت ١٩٠٣ .
- **الأصمعيّات**، تحقيق أحمد شاكر وعبد السلام هارون ط ٢، القاهرة، دار المعارف ١٩٦٤ .
- **فُحُولة الشعراء**، تحقيق عبد المنعم خفاجي وطه الزيني، القاهرة ١٩٥٣ .
- **ملوك العرب الأوّليّة**، تحقيق محمّد حسن آل ياسين، بغداد ١٩٥٩ .
- **النّخل والكرم**، بيروت ١٩٠٨ .

٧٩ ـ أمرؤ القيس:
- **ديوان امرئ القيس**، تحقيق محمّد أبو الفضل إبراهيم، طبعة دار المعارف بمصر، ط ٣، ١٩٦٩ .

٨٠ ـ الأنباري، أبو محمّد، القاسم بن محمّد (٣٠٤ هـ ـ ٩١٦ م):
- **شرح ديوان المفضّليّات**، تحقيق كارلوس يعقوب لايل، بيروت ١٩٢٠ .
- **شرح القصائد السبع الطوال الجاهليّات**، تحقيق عبد السلام هارون، ط ٢، القاهرة ١٩٦٩ .

٨١ ـ الأنباري، أبو البركات عبد الرحمن بن محمّد (٥٧٥ هـ ـ ١١٧٩ م):
- **أسرار العربيّة**، تحقيق محمّد بهجة البيطار، دمشق ١٩٥٧ .
- **الأضداد**، تحقيق محمّد أبو الفضل إبراهيم، الكويت ١٩٦٠ .

٨٢ ـ أوْس بن حَجَر:
- **ديوان أوْس بن حَجَر**، تحقيق محمّد يوسف نَجْم، بيروت دار صادر، ط ٢، ١٩٦٧ .

٨٣ ـ البارقي، سُراقة (٨٩ هـ ـ ٦٩٨ م):
- **ديوان سُراقة البارقي**، تحقيق حسين نصّار، القاهرة ١٩٤٧ .

٨٤ ـ البحتري، أبو عبادة الوليد بن عبيد (٢٨٤ هـ ـ ٨٩٧ م):
- **حماسة البحتري**، تحقيق لويس شيخو، ط ٢، بيروت ١٩٦٧ .

٨٥ ـ البصري، صدر الدين عليّ بن أبي الفرج (٦٥٩ هـ ـ ١٢٦٠ م):
- **الحماسة البصريّة**، حيدر آباد ١٩٦٤، جزآن.

٨٦ ـ البغدادي، عبد القادر بن عُمَر (١٠٩٣ هـ ـ ١٦٨٢ م):

- **حاشية على شرح بانت سُعاد**، تحقيق نظيف محرم خواجة، فيسبادن ١٩٨٠ .
- **خزانة الأدب**، تحقيق هارون، الرياض والقاهرة ١٩٧٩ فما بعدها، ١٣ جزءًا.

٨٧ ـ البكري، أبو عبيد عبدالله بن عبد العزيز (٤٨٧ هـ ـ ١٠٩٤ م):
- **التنبيه على أوهام أبي علي القالي في أماليه**، دار الكتب المصريَّة ١٣٤٤ هـ.
- **سمط اللآلي**، تحقيق عبد العزيز الميمني، القاهرة ١٩٣٦ م.
- **فَصْل المَقال في شَرْح كتاب الأمثال**: تحقيق إحسان عبّاس وعبد المجيد قطامش، بيروت ١٩٧١ .
- **معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع**، تحقيق مصطفى السَّقَّا، القاهرة ١٩٤٥، ٤ أجزاء.

٨٨ ـ البلاذري، أحمد بن يحيى (٢٧٩ هـ ـ ٨٩٢ م):
- **أنساب الأشراف**، تحقيق محمّد حميد الله، القاهرة ١٩٥٦ .

٨٩ ـ البَلَوِي، يوسف بن محمّد (٦٠٥ هـ ـ ١٢٠٨ م):
- **أَلِف با**، مصر ١٢٨٧ هـ.

٩٠ ـ البَيْهَقِي، أحمد بن الحسين (٤٥٨ هـ ـ ١٠٦٥ م):
- **المحاسن والمساوِئ**، تحقيق محمّد أبو الفضل إبراهيم، القاهرة ١٩٦١ .

٩١ ـ التبريزي، أبو زكريّا يحيى بن علي (٥١٢ هـ ـ ١١٠٨ م):
- **تهذيب إصلاح المنطق**، تحقيق فخر الدين قباوة، بيروت ١٩٨٥ .
- **شرح اختيارات المفضّل الضبّي**، تحقيق فخر الدين قباوة، دمشق ١٩٧٢، ٣ أجزاء.
- **شرح ديوان الحماسة**، مصر ١٢٩٦ هـ ـ ٤ أجزاء.
- **شرح القصائد العشر**، تحقيق فخر الدين قباوة، بيروت ط ٣، ١٩٧٩ .
- **شروح سقط الزند**، دار الكتب المصريَّة ١٩٤٥ .
- **الكافي في العروض والقوافي**، تحقيق الحسّاني حَسن عبدالله، بيروت،

د.ت.

٩٢ ـ التُّمِيْمِي السرَقُسْطِي، محمّد بن يوسف (٥٣٨ هـ ـ ١١٤٣ م):

ـ **المُسَلْسَل في غريب لغة العرب**، تحقيق محمّد عبد الجواد، القاهرة ١٩٥٩ ـ ١٩٦١.

٩٣ ـ التنّوخي، أبو يَعْلى (٣٨٤ هـ ـ ٩٩٤ م):

ـ **الفرج بعد الشدّة**، مصر ١٩٣٨.

ـ **القوافي**، تحقيق عمر الأسعد ومحي الدين رمضان، بيروت ١٩٧٠.

٩٤ ـ التَّوْحِيْدِي، أبو حيّان (نحو ٤٠٠ هـ ـ ١٠٠٩ م):

ـ **البصائر والذخائر**، تحقيق إبراهيم الكيلاني، دمشق، ٦ أجزاء.

٩٥ ـ الثعالبي، عبد الملك بن محمّد (٤٢٩ هـ ـ ١٠٣٧ م):

ـ **التمثيل والمحاضرة**، تحقيق عبد الفتّاح الحلو، القاهرة ١٣٩١ هـ ـ ١٩٦١م):

ـ **ثِمار القلوب**، تحقيق محمّد أبو الفضل إبراهيم، القاهرة ١٩٦٥.

ـ **لطائِف المعارف**، تحقيق إبراهيم الأبياري وحسن كامل الصيرفي، القاهرة ١٩٦٠.

٩٦ ـ ثَعلب، أحمد بن يَحْيَى (٢٩١ هـ ـ ٩٠٣ م):

ـ **شرح ديوان زهير بن أبي سُلْمَى** (مصوّرة دار الكتب المصريّة)، ١٩٤٤م.

ـ **قواعد الشعر**، تحقيق رمضان عبد التوّاب، القاهرة ١٩٦٦.

ـ **مجالس ثعلب**، تحقيق هارون، مصر، ط ٢، ١٩٤٩، جزآن.

٩٧ ـ الجاحِظ، أبو عثمان عَمْرو بن بحر (٢٥٥ هـ ـ ٨٦٨ م):

ـ **البخلاء**، تحقيق طه الحاجري، القاهرة ١٩٤٨.

ـ **البُرصان والعُرجان والعُميان والحُولان**، تحقيق محمّد مرسي الخولي، بيروت، ط ٢، ١٩٨١.

ـ **البيان والتبيين**، تحقيق هارون، مصر، ١٩٤٩، ٤ أجزاء.

ـ **الحيوان**، تحقيق هارون، مصر ١٣٥٧، ٧ أجزاء.

ـ **رسائل الجاحظ**، تحقيق هارون، مصر القاهرة ١٩٦٤، ٤ أجزاء.

٩٨ ـ الجرجاني، أبو الحسن علي بن عبد العزيز (٣٦٦ هـ ـ ٩٧٦ م):
ـ **الوساطة بين المُتَنبِّي وخصومه**، تحقيق محمّد أبو الفضل إبراهيم وعلي البجاوي، ط ٤ ـ القاهرة ١٩٦٦ .
٩٩ ـ الجوهري، إسماعيل بن حمّاد (٣٩٣ هـ ـ ١٠٠٢ م):
ـ **الصحاح**، تحقيق عبد الغفور عطّار، مصر ١٩٥٦، ٦ أجزاء.
١٠٠ ـ الحاتمي، محمّد بن الحسن (٣٨٨ هـ ـ ٩٩٨ م):
ـ **حِلْية المحاضرة**، تحقيق جعفر الكتّاني، بغداد ١٩٧٩، جزآن.
١٠١ ـ حازم القرطاجني (٦٨٤ هـ ـ ١٢٨٥ م):
ـ **منهاج البلغاء وسراج الأدباء**، تحقيق محمّد الحبيب بن الخوجة، تونس ١٩٦٦ .
١٠٢ ـ الحصري، أبو اسحق إبراهيم بن علي (٤٥٣ هـ ـ ١٠٦١ م):
ـ **زهر الآداب وثمر الألباب**، تحقيق علي البجاوي، ط ٢، القاهرة ١٩٦٩، ٤ أجزاء.
١٠٣ ـ حُمَيْد بن ثَوْر:
ـ **ديوان حُمَيْد بن ثور**، تحقيق عبد العزيز الميمني، القاهرة ١٩٥١ .
١٠٤ ـ الحِمْيَرِي، عبد المِنْعِم (القرن الثامن الهجريّ، الرابع عشر الميلاديّ):
ـ **الروض المِعطار في خَبَر الأقطار**، تحقيق إحسان عبّاس، بيروت ١٩٧٥ .
١٠٥ ـ الحميري، نشوان أبو سعيد (٥٧٣ هـ ـ ١١٧٧ م):
ـ **الحور العين**، تحقيق كمال مصطفى، القاهرة ١٩٤٨ .
ـ **شمس العلوم ودواء ما في كَلام العرب من الكُلُوْم**، تحقيق ل. سترستن، ليدن ١٩٥١، جزآن.
١٠٦ ـ الدينوري، أبو حنيفة، أحمد بن داود (٢٨٢ هـ ـ ٨٩٥ م):
ـ **الأخبار الطِّوال**، تحقيق عبد المنعم عامر، القاهرة ١٩٦٠ .
ـ **النبات ـ قطعة من كتاب النبات**، تحقيق ب. لوين، ليدن ١٩٥٣ .
١٠٧ ـ الذبياني، النابغة:
ـ **ديوان النابغة الذبياني بشرح ابن السكّيت**، تحقيق شكري فيصل، بيروت

.١٩٦٨

١٠٨ ـ الذهبي، (٧٤٨ هـ ـ ١٣٤٧ م):
ـ **تاريخ الإسلام**، مصر، د.ت.
ـ **العِبَر في خبر مَن غَبَر**، تحقيق صلاح الدين المنجد، ط ٢ الكويت ١٩٨٤، ٦ أجزاء.

١٠٩ ـ الرازي، أبو حاتم (٣٢٢ هـ ـ ٩٣٣ م):
ـ **الزينة في الكلمات الإسلاميَّة**، تحقيق حسين الهمداني اليعفري الحرازي، القاهرة ١٩٥٧، جزآن.

١١٠ ـ الربعي، عيسى بن إبراهيم (٤٨٠ هـ ـ ١٠٨٧ م):
ـ **نظام الغريب**، تحقيق محمّد بن علي الأكوع الحوالي، دمشق ١٩٨٠. وتحقيق بولس برونله، القاهرة، المطبعة الهنديَّة.

١١١ ـ الزبيدي، أبو بكر محمّد بن الحسن (٣٧٩ هـ ـ ٩٨٩ م):
ـ **طبقات النحويِّين واللغويِّين**، تحقيق محمّد أبو الفضل إبراهيم، القاهرة ١٩٧٣.

١١٢ ـ الزبيدي، المرتضى محمّد بن محمّد (١٢٠٥ هـ ـ ١٧٩٠ م):
ـ **تاج العروس في شرح جواهر القاموس**، الكويت (١ ـ ٢٥)، وطبعة بولاق (١ ـ ١٠) مصر.

١١٣ ـ الزبيري، مُصعب (٢٣٦ هـ ـ ٨٥٠ م):
ـ **جَمْهرة نسب قريش**، تحقيق محمود شاكر، القاهرة ١٩٦٢.
ـ **نسب قريش**، نشر أ. ليڤي بروڤنسال، القاهرة ١٩٥٣.

١١٤ ـ الزمخشري، محمود بن عُمَر (٥٣٨ هـ ـ ١١٣٤ م):
ـ **أساس البلاغة**، طبعة دار الكتب المصريَّة، ١٩٢٣، جزآن.
ـ **الجبال والأمكنة والمياه**، تحقيق إبراهيم السامرائي، بغداد ١٩٦٨.
ـ **الكشّاف**، طبعة البابي الحلبي، بمصر ١٩٦٨، ٤ أجزاء.
ـ **المستقصى في أمثال العرب**، طبعة حيدر آباد ١٩٦٢، جزآن.

١١٥ ـ الزوزني، أبو محمّد عبدالله بن محمّد (٤٣١ هـ ـ ١٠٣٩ م):

- **حماسة الظُّرَفاء**، تحقيق محمّد عبد الجبّار المُعَيْبِد، بغداد ١٩٧٨ .

- **شرح المُعَلَّقات السبع**، تحقيق محمّد علي حَمَد الله، دمشق ١٩٦٣ .

١١٦ ـ السجستاني، أبو حاتم (٢٥٠ هـ ـ ٨٦٤ م):

- **الأضداد**، نشر أوغست هفنر، بيروت ١٩١٢ .

- **المعمّرون والوصايا**، تحقيق عبد المنعم عامر، القاهرة ١٩٦١ .

١١٧ ـ السخاوي، علم الدين أبو علي بن محمّد (٦٤٣ هـ ـ ١٢٤٥ م):

- **سِفْر السعادة وسَفِير الإفادة**، تحقيق محمّد الدالي، دمشق ١٩٨٣، ٣ أجزاء.

١١٨ ـ السرقسطي، أبو عثمان سعيد بن محمّد (بعد ٤٠٠ هـ ـ بعد ١٠٠٩ م):

- **الأفعال**، تحقيق حسين محمّد شرف ومحمّد مهدي علام، القاهرة ١٩٧٤، ٣ أجزاء.

١١٩ ـ السكّري، أبو سعيد (٢٧٥ هـ ـ ٨٨٨ م):

- **شرح أشعار الهذليّين**، تحقيق عبد الستّار فراج، القاهرة ١٩٦٥، ٣ أجزاء.

١٢٠ ـ السمهودي، علي نور الدين (١٠١١ هـ ـ ١٦٠٢ م):

- **وفاء الوفا**، مصر ١٣٢٦ هـ.

١٢١ ـ السهيلي، أبو القاسم عبد الرحمن بن عبدالله (٥٨١ هـ ـ ١١٨٥ م):

- **الروض الأنف**، تحقيق طه عبد الرؤوف سعد، بيروت ١٩٧٨، جزآن.

١٢٢ ـ سيبويه، أو بشر عمرو بن عثمان (١٨٠ هـ ـ ٧٩٦ م):

- **الكتاب**، تحقيق عبد السلام هارون، بيروت ١٩٦٦، ٥ أجزاء.

١٢٣ ـ السيرافي، ابن السيرافي (٣٨٥ هـ ـ ٩٩٥ م):

- **شرح أبيات سِيْبَوَيه**، تحقيق محمّد على سلطاني، دمشق ١٩٧٦، جزآن.

١٢٤ ـ السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر (٩١١ هـ ـ ١٥٠٥ م):

- **الإتقان في علوم القرآن**، مصر ١٢٨٧ هـ.

- **شرح شواهد المغني**، تحقيق أحمد كوجان، بيروت، د.ت. جزآن.

- **المزهر**، تحقيق محمّد أحمد جاد المولى وصاحبَيه، القاهرة طبعة البابي الحلبي د.ت.، جزآن.

ـ **هَمْع الهوامع**، صحّحه بدر الدين النعساني، القاهرة ١٣٢٧ هـ.
ـ **الوسائل إلى معرفة الأوائل**، تحقيق إبراهيم العدوي، وعلى محمّد عُمَر، القاهرة ١٩٨٠ .
١٢٥ ـ الشبلي، أبو عبدالله:
ـ **محاسن الوسائل إلى معرفة الأوائل** (مخطوط مصوَّر في المكتبة الظاهريَّة).
١٢٦ ـ الشريشي، أحمد بن عبد المؤمن (٦٢٠ هـ ـ ١٢٢٣ م):
ـ **شرح مقامات الحريري**، مصر ١٣٠٦، جزآن.
١٢٧ ـ الشمشاطي، (القرن الرابع الهجري ـ العاشر الميلاديّ):
ـ **الأنوار ومحاسن الأشعار**، تحقيق السيِّد محمّد يوسف، الكويت ١٩٧٧، جزآن.
١٢٨ ـ الشهرستاني، محمّد بن عبد الكريم (٥٤٨ هـ ـ ١١٥٣ م):
ـ **المِلَل والنِّحَل**، مصر ١٢٦٣ هـ.
١٢٩ ـ الشيباني، أبو عمرو (٢١٣ هـ ـ ٢٢٨ م):
ـ **الجيم**، تحقيق إبراهيم الأبياري وصحبه، القاهرة ١٩٧٤ ـ ١٩٧٥، ٣ أجزاء.
١٣٠ ـ الصغاني، الحسن بن محمّد (٦٥٠ هـ ـ ١٢٥٢ م):
ـ **التكملة والذَّيل والصلة**، تحقيق عبد العليم الطحاوي وصحبه، القاهرة، ١٩٧٠ ـ ١٩٧٩، ٦ أجزاء.
١٣١ ـ الصفدي، صلاح الدين (٧٦٤ هـ ـ ١٣٦٢ م):
ـ **الغيث المُسْجَم**، بيروت د. ت.
ـ **الوافي بالوفيات**، تحقيق يوسف ڤان إس، فيسبادن، ألمانيا ١٩٧٤، الجزء ٩ .
١٣٢ ـ الصقلي، ابن ظُفْر (٥٦٥ هـ ـ ١١٦٩ م):
ـ **أنباء نُجَباء الأبناء**، بيروت د.ت.
١٣٣ ـ الضبِّي، المفضَّل (١٦٨ أو ١٧٨ هـ ـ ٧٨٤ أو ٧٩٤ م):
ـ **أمثال العرب**، تحقيق إحسان عبّاس، بيروت ١٩٨٠ .
ـ **المفضَّليَّات**، تحقيق أحمد شاكر وعبد السلام هارون، القاهرة، ط ٥، ١٩٧٦ .

١٣٤ ـ الطبري، محمّد بن جرير (٣١٠ هـ ـ ٩٢٢ م):
ـ **تفسير القرآن الكريم**، تحقيق محمود شاكر، دار المعارف بمصر ١٣٧٤ هـ.
ـ **تاريخ الأمم والملوك** (تاريخ الطبري)، تحقيق محمّد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف بمصر ١٩٦٨، ١٠ أجزاء.
١٣٥ ـ طَرَفة بن العَبد:
ـ **ديوان طرفة بن العبد**، تحقيق درّيّة الخطيب ولطفي الصقّال، دمشق ١٩٧٥

١٣٦ ـ العبّاسي:
ـ **معاهد التنصيص**، تحقيق محي الدين عبد الحميد، مطبعة السعادة بمصر ١٩٤٧.
١٣٧ ـ العبيدي، محمّد بن عبد الرحمن:
ـ **التذكرة السعديّة في الأشعار العربيّة**، تحقيق عبدالله الجبّوري، بغداد ١٩٧٢.
١٣٨ ـ العجّاج، عبدالله:
ـ **ديوان العجّاج**، رواية عبد الملك بن قريب الأصمعي وشرحه، تحقيق عبد الحفيظ السطلي، دمشق ١٩٧١.
١٣٩ ـ العَدْواني، ذو الأصبع:
ـ **ديوان ذي الأصبع العدواني**، تحقيق محمّد علي العدواني ومحمّد نايف الدليمي، الموصل ١٩٧٣.
١٤٠ ـ عَدِيُّ بن زَيد العبادي: **ديوان عدي بن زيد**، تحقيق محمّد عبد الجبّار المُعَيْبِد، بغداد ١٩٦٨.
١٤١ ـ العسكري، أبو أحمد الحسن بن عبدالله (٣٨٢ هـ ـ ٩٩٢ م):
ـ **شرح ما يقع فيه التصحيف والتحريف**، تحقيق عبد العزيز أحمد، القاهرة ١٩٦٣.
١٤٢ ـ العسكري، أبو هلال الحسن بن عبدالله (٣٩٥ هـ ـ ١٠٠٤ م):
ـ **الأوائل**، تحقيق محمّد المصري ووليد قصّاب، دمشق ١٩٧٨، جزآن.

- **جمهرة الأمثال**، تحقيق أبو الفضل إبراهيم وعبد المجيد قطامش، القاهرة ١٩٦٤ جزآن.
- **كتاب الصناعتَين**، تحقيق علي البجاوي، ومحمّد أبو الفضل إبراهيم، القاهرة ١٩٥٢.

١٤٣ ـ العلوي، المظفّر (٦٥٦ هـ ـ ١٢٥٨ م):
- **نُضْرة الإغريض في نُصْرة القَرِيْض**، تحقيق نهى عارف الحسن، دمشق ١٩٧٦.

١٤٤ ـ العيني، محمّد بن أحمد (٨٥٥ هـ ـ ١٤٥١ م):
- **المقاصد النحويَّة**، (على هامش خزانة الأدب) (ط بولاق).

١٤٥ ـ الغندجاني الأسود، أبو محمّد الأعرابي (كان حيًّا سنة ٤٣٠ هـ ـ ١٠٣٨ م):
- **إصلاح ما غَلِط فيه أبو عبدالله النمري من أبيات الحماسة**، تحقيق محمّد علي سلطاني، الكويت ١٩٨٥.
- **فُرحة الأديب في الردّ على ابن السيرافي في شرح أبيات سيبويه**، تحقيق محمّد علي سلطاني، دمشق ١٩٨٠.

١٤٦ ـ الفارابي، إسحق بن إبراهيم (٣٥٠ هـ ـ ٩٦١ م):
- **ديوان الأدب**، تحقيق أحمد مُختار عمر، القاهرة ١٩٧٤، ٥ أجزاء.

١٤٧ ـ الفَرَّاء، يحيى بن زياد (٢٠٧ هـ ـ ٨٢٢ م):
- **معاني القرآن**، تحقيق محمّد علي النجار وأحمد يوسف نجاتي، مصر ١٩٥٥.

١٤٨ ـ الفرزدق، همّام بن غالب (١١٠ هـ ـ ٧٢٨ م):
- **ديوان الفرزدق**، بيروت (طبعة صادر) ١٩٦٠، جزآن.

١٤٩ ـ الفيروز أبادي، محمود بن يعقوب (٨١٦ هـ ـ ١٤١٣ م):
- **القاموس المحيط**، طبعة بولاق، مصر، د.ت. ٤ أجزاء.

١٥٠ ـ القالي، علي بن القاسم (٣٥٦ هـ ـ ٩٦٦ م):
- **الأمالي**، القاهرة، دار الكتب المصريَّة ١٩٢٦، جزآن.
- **البارع في اللغة**، تحقيق هاشم الطعان، بغداد وبيروت ١٩٧٤.

- **النوادر**، القاهرة، دار الكتب المصريَّة ١٩٢٦ .

١٥١ ـ القزّاز القيرواني (٤١٢ هـ ـ ١٠٢١ م):

- **ما يجوز للشاعر في الضرورة**، تحقيق المُنْجِي الكعبي، تونس ١٩٧١ .

١٥٢ ـ القزويني، زكريّا بن محمّد (٦٧١ هـ ـ ١٢٧٢ م):

- **آثار البلاد وأخبار العِباد**، بيروت ١٩٦٠ .

١٥٣ ـ القزويني، محمّد بن عبد الرحمن (٧٣٩ هـ ـ ١٣٣٨ م):

- **التلخيص في علوم البلاغة**، بشرح البرقوقي، مصر ١٣٢٢ هـ ـ ١٩٠٤ م:

١٥٤ ـ قُطْرُب، عليّ بن محمّد (بعد ٢٠٦ هـ ـ بعد ٨٢١ م):

- **الأزمنة وتلبية الجاهليَّة**، تحقيق حنّا جميل حدّاد. الزرقاء ـ الأردن ١٩٨٥ .

١٥٥ ـ القفطي، علي بن يوسف (٦٤٦ هـ ـ ١٢٤٨ م):

- **المُحَمَّدون من الشعراء**، تحقيق رياض مراد، دمشق ١٩٧٥ .

١٥٦ ـ القلقشندي، أحمد بن علي (٨٢١ هـ ـ ١٤١٨ م):

- **صُبْح الأعشى**، القاهرة ١٩٢٤ فما بعدها.

١٥٧ ـ لبيد:

- **ديوان لبيد بن ربيعة العامري**، تحقيق إحسان عبّاس، ط ٢ الكويت ١٩٨٤.

١٥٨ ـ المبرّد، محمّد بن يزيد (٢٨٦ هـ ـ ٨٩٩ م):

- **التعازي والمراثي**، تحقيق محمّد الديباجي، دمشق ١٩٧٦ .
- **الفاضل**، تحقيق عبد العزيز الميمني، دار الكتب المصريَّة ١٩٥٥ .
- **الكامل في اللغة والأدب**، تحقيق محمّد أبو الفضل إبراهيم والسيّد شحاته، مصر، د.ت، جزآن.
- **المُقتَضب**، تحقيق محمّد عبد الخالق عضيمة، القاهرة ١٩٦٣، ٤ أجزاء.

١٥٩ ـ المُتلَمِّس الضُّبَعِي:

- **ديوان المُتَلَمِّس**، تحقيق حسن كامل الصيرفي، مجلّة معهد المخطوطات العربيَّة ـ مجلّد ١٤، القاهرة ١٩٧١ .

١٦٠ ـ المدني، ابن معصوم (١١٢٠ هـ ـ ١٧٠٨ م):

- **أنوار الربيع في أنواع البديع**، تحقيق شاكر هادي شكر، النجف الأشرف ١٩٦٨ ـ ١٩٦٩ .

١٦١ ـ المُرْتَضَى، الشريف (٤٣٦ هـ ـ ١٠٤٤ م):

- **أمالي المُرْتَضى**، أو غرر الفوائد ودُرَر القلائد، تحقيق محمّد أبو الفضل إبراهيم، القاهرة ١٩٥٤ .

١٦٢ ـ المرزباني، محمّد بن عمران (٣٨٤ هـ ـ ٩٩٤ م):

- **معجم الشعراء**، تحقيق عبد الستّار فرّاج، القاهرة ١٩٦١ .
- **المُوَشَّح**، تحقيق علي البجاوي، القاهرة ١٩٦٥ .

١٦٣ ـ المرزوقي، أحمد بن محمّد (٤٢١ هـ ـ ١٠٣٠ م):

- **الأزمنة والأمكنة**، حيدر آباد الدكن ١٣٢٢ هـ ـ ، جزآن.
- **شرح ديوان الحماسة**، تحقيق أحمد أمين وعبد السلام هارون، ط ٢ ـ القاهرة ١٩٦٧ ـ ٤ أجزاء.

١٦٤ ـ المسعودي، علي بن الحسين (٣٤٦ هـ ـ ٩٥٢ م):

- **التنبيه والأشراف**، تصحيح عبدالله الصاوي، بغداد ١٩٣٨ .
- **مروج الذهب**، تحقيق محمّد محي الدين عبد الحميد، ط ٥، بيروت ١٩٧٣، ٤ أجزاء.

١٦٥ ـ المعرّي، أحمد بن الحُسَيْن (٤٤٩ ـ ١٠٥٧ م):

- **رسالة الصاهِل والشاحِج**، تحقيق عائشة عبد الرحمن، القاهرة ١٩٥٧ . وط ٢ ـ ١٩٨٤ .
- **رسالة الغفران**، تحقيق عائشة عبد الرحمن، دار المعارف بمصر ط ٧، ١٩٧٧ .

١٦٦ ـ المفضَّل بن سَلَمة (٢٩١ هـ ـ ٩٠٣ م):

- **الفاخِر**، تحقيق عبد العليم الطحاوي، القاهرة ١٩٧٤ .

١٦٧ ـ المقدسي، مطهَّر بن طاهِر (بعد ٣٥٥ هـ ـ بعد ٩٦٥ م):

- **البَدْء والتاريخ**، نشر كلمان هوار، باريس ١٨٩٩ ـ ١٩١٩ .

١٦٨ ـ مؤلّف مجهول:

ـ **مجموعة المعاني**، القسطنطينيّة ١٣٠١ هـ.

١٦٩ ـ الميداني، أحمد بن محمّد (٥١٨ هـ ـ ١١٢٤ م):

ـ **مجمع الأمثال**، تحقيق محمّد محي الدين عبد الحميد، طبعة دار الفكر، ط ٣، بيروت ١٩٧٢، جزآن.

١٧٠ ـ النمري، أبو عبداف:

ـ **معاني أبيات الحماسة**، تحقيق عبداف عسيلان، القاهرة ١٩٨٣.

١٧١ ـ النهرواني، أبو الفرج مُعافَى بن زكريّا (٣٩٠ هـ ـ ٩٩٩ م):

ـ **الجليس الصالِح الكافي والأنيس الناصِح الشافي**، تحقيق محمّد مرسي الخولي، بيروت ١٩٨٣.

١٧٢ ـ النهشلي، عبد الكريم (٤٠٣ هـ ١٠١٢ م):

ـ **المُمْتِع في عِلْم الشِّعْر وعَمَلِه**، تحقيق المُنْجي الكَعْبي، تونس ١٩٧٨.

١٧٣ ـ النويري، أحد بن عبد الوهّاب (٧٣٣ هـ ـ ١٣٣٢ م):

ـ **نهاية الأرب في معرفة أحوال العرب**، طبعة دار الكتب المصريّة ١٩٢٤.

١٧٤ ـ الهُذَلِيُّون:

ـ **ديوان الهذليّين**، صنعة السكّري، القاهرة ١٣٨٥ هـ ـ ١٩٦٥ م.

١٧٥ ـ الهَمداني، الحسن بن أحمد (بعد ٣٤٥ هـ ـ ٩٥٦ م):

ـ **الإكليل، الجزء الأوّل**، تحقيق محمّد بن علي الأكوع الحوالي، بغداد ١٩٧٧.

ـ **الجزء الثاني**، تحقيق محمّد بن علي الأكوع الحوالي، القاهرة ١٩٦٧.

ـ **الجزء الثامن**، تحقيق محمد بن علي الأكوع الحوالي، دمشق ١٩٧٩.

ـ **الجزء العاشر**، تحقيق محبّ الدين الخطيب، القاهرة ١٣٦٨ هـ.

ـ **شَرْح القصيدة الدامغة**، تحقيق محمّد بن علي الأكوع الحوالي، القاهرة ١٩٧٨.

ـ **صفة جزيرة العرب**، تحقيق محمّد بن علي الأكوع الحوالي، الرياض ١٩٧٤.

١٧٦ ـ الواحدي، عليّ بن أحمد (٤٦٨ هـ ـ ١٠٧٥ م):

ـ **الوسيط في الأمثال**، تحقيق عفيف عبد الرحمن، الكويت ١٩٧٥ .

١٧٧ ـ الوزير المغربي، الحسين بن علي (٤١٨ هـ ـ ١٠٢٧ م):

ـ **أدب الخواص**، نشر حَمَد الجاسِر، الرياض ١٩٨٠ .

ـ **الإيناس في علم الأنساب**، نشر حَمَد الجاسر، الرياض ١٩٨٠ .

١٧٨ ـ الوطْوَاط، أبو بكر اسحق بن برهان الدين (٧١٨ هـ ـ ١٣١٨ م):

ـ **غُرَر الخصائص الواضحة**، مصر ١٣١٨ هـ.

١٧٩ ـ وَهب بن مُنَبِّه: (نحو ١١٤ هـ ـ ٧٣٢ م):

ـ **التيجان في ملوك حمير**، ط ٢، صنعاء ١٩٧٩ .

١٨٠ ـ اليزيدي، محمّد بن العبّاس (٣١٠ هـ ـ ٩٣٢ م):

ـ **أمالي اليزيدي**، حيدر آباد الدكن (١٣٦٧ هـ ـ ١٩٣٨ م).

١٨١ ـ اليعقوبي، أحمد بن يعقوب المعروف بابن واضِح الإخباري (٢٩٢ هـ ـ ٩٠٤ م):

ـ **تاريخ اليعقوبي**، بيروت ١٩٦٠، جزآن.

١٨٢ ـ ياقوت الحموي (٦٢٦ هـ ـ ١٢٢٦ م):

ـ **معجم الأدباء**، طبعة الرفاعي، بيروت د.ت.، ٢٠ جزءًا.

ـ **معجم البلدان**، طبعة صادر، بيروت ١٤٠٤ هـ ـ ١٩٨٤ م، ٥ أجزاء.

ب ـ المراجع

١ ـ أبو الفضل عوض الله، أحمد:

ـ **مكّة في عصر ما قبل الإسلام**، الرياض، ط ٢، ١٩٨١ .

٢ ـ أحمد، عبد القادر:

ـ **طُفَيل الغنوي**، حياته وشعره، بيروت ١٩٧٩ .

٣ ـ الأزهري، عبد العزيز:

ـ **الأُسُس المُبْتَكرة لدراسة الأدب الجاهليّ**، القاهرة ١٩٥٠ .

٤ ـ الأَسَد، ناصر الدين:
ـ **مصادر الشعر الجاهليّ وقيمتها التاريخيّة**، القاهرة، ط ٤، ١٩٦٩ .
٥ ـ الأعظمي، علي ظريف:
ـ **تاريخ ملوك الحيرة**، مصر، ١٣٣٨ هـ ـ ١٩٢٠ م.
٦ ـ الألوسي، محمود شُكْري:
ـ **بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب**، تحقيق محمّد بهجت الأثري، القاهرة ١٣٤٢، ٣ أجزاء.
٧ ـ بروكلمان، كارل:
ـ **تاريخ الأدب العربيّ**، تعريب عبد الحليم النجّار وصحبه، القاهرة ١٩٧٣، ٦ أجزاء.
٨ ـ البغدادي، مريم:
ـ **التأصيل الفنّيّ للبكائيّة القديمة في الشعر الجاهليّ**، مجلّة أبحاث اليرموك، إربد ـ المجلّد الرابع العددان الأوّل والثاني.
٩ ـ البهبيتي، نجيب محمّد:
ـ **المدخل إلى دراسة التاريخ والأدب العربيّين**، الدار البيضاء ١٩٧٨ .
ـ **المعلّقات ـ سيرةً وتاريخًا**، الدار البيضاء ١٩٨٢ .
ـ **المُعلَّقة العربيّة الأولى**، الدار البيضاء ١٩٨١، جزآن.
١٠ ـ بوجوفتش، راوي:
ـ **بحث عن ذاتيّة الشاعر الجاهليّ**، مجلّة التراث العربيّ، دمشق، العدد ٢٠ .
١١ ـ البياتي، عادل:
ـ **أيّام العرب لأبي عبيدة (ملتقطات)**، بغداد ١٩٧٩ .
ـ **مدخل إلى البدايات الشعريّة عند العرب**، مجلّة كلّيّة الآداب، جامعة بغداد، العدد ٢٥ .
١٢ ـ بيناشيتي، فابريزيو:
ـ **العرب والآراميّون قبل الإسلام وبداية تكوُّن اللغة العربيّة**، مجلّة الفكر العربيّ، بيروت، العدد ستّون (٦٠).

١٣ ـ الجاسر، حمد:
ـ **مَن اسمه عمرو من الشعراء، مجلّة العرب**، الرياض، ١٩٧٠ فما بعدها.
١٤ ـ الجبوري، سُهَيْلة:
ـ **أصل الخطّ العربيّ وتطوّره حتّى نهاية العصر الأمويّ**، بغداد ١٩٧٧ .
١٥ ـ الجبوري، يحيى:
ـ **قصائد جاهليّة نادرة**، بيروت، مؤسّسة الرسالة ١٩٨٢ .
١٦ ـ حامد، أمين:
ـ **الحيوان في فنّ الرافدين القديم، مجلّة فكر**، بيروت، العدد ٣٥ ـ ٣٦ .
١٧ ـ حتّي، فيليب:
ـ **تاريخ العرب (مُطَوَّل)**، بيروت، ط ٤، ١٩٦٥ .
١٨ ـ الخازن، نسيب وهيبة:
ـ **من الساميّين إلى العرب**، بيروت، دار مكتبة الحياة ١٩٦٢ .
١٩ ـ خان، محمّد عبد المعين:
ـ **الأساطير العربيّة قبل الإسلام**، القاهرة ١٩٣٧ .
٢٠ ـ الخطراوي، محمّد عيد:
ـ **المدينة في العصر الجاهليّ ـ الحياة الاجتماعيّة والسياسيّة والثقافيّة والدينيّة**، دمشق، بيروت ط ٢، ١٩٨٤، ٣ أجزاء.
٢١ ـ خورشيد، فاروق:
ـ **في الرواية العربيّة ـ عصر التجميع**، القاهرة.
٢٢ ـ الدسوقي، عُمَر:
ـ **النابغة الذبياني**، القاهرة، ط ٦، ١٩٧٦ .
٢٣ ـ روسي، بيير:
ـ **مدينة إيزيس، أو تاريخ العرب الحقيقيّ**، ترجمة فريد جحا، دمشق ١٩٨٠.
٢٤ ـ الزركلي، خير الدين:
ـ **الأعلام**، بيروت، دار العلم للملايين، ط ٥، ١٩٨٠، ٨ أجزاء.

٢٥ ـ زيدان، جرجي:
ـ **تاريخ آداب اللغة العربيّة**، القاهرة ٣ أجزاء.
ـ **العرب قبل الإسلام**، بيروت، د.ت.
٢٦ ـ سالم، عبد العزيز:
ـ **تاريخ العرب في العصر الجاهليّ**، بيروت ١٩٧٠ .
٢٧ ـ السامرّائي، إبراهيم:
ـ **من الضائع من معجم الشعراء**، بيروت، مؤسّسة الرسالة، ١٩٨٤ .
٢٨ ـ سزكين، فؤاد:
ـ **تاريخ التراث العربيّ**، ترجمة محمود فهمي حجازى، الرياض ١٩٨٣، ١٠ مجلّدات.
٢٩ ـ السطلي، عبد الحفيظ:
ـ **ديوان أُميّة بن أبي الصَّلت**، دراسة وتحقيق ط ٢، دمشق ١٩٧٧ .
٣٠ ـ سفر، فؤاد، ومصطفى، محمّد علي:
ـ **الحضر ـ مدينة الشمس**، بغداد ١٩٧٨ .
٣١ ـ السندوبي، حسن:
ـ **أخبار المَراقِسة**، القاهرة ١٩٣٩ .
٣٢ ـ الشطي، سليمان:
ـ **قراءة في مقدّمة طبقات فحول الشعراء**، مجلّة عالم الفكر، الكويت، المجلّد ٨، العدد الأوّل.
٣٣ ـ الشمس، ماجد:
ـ **الحَضْر**، بغداد ١٩٦٨ .
٣٤ ـ الشنقيطي:
ـ **الدرر اللوامع**، مصر.
٣٥ ـ شهيد، عرفان:
ـ **نظم الشعر في القرن الرابع**، بحث في كتاب دراسات تاريخ الجزيرة العربيّة ـ الجزيرة العربيّة قبل الإسلام، (الكتاب الثاني) الرياض ١٩٨٤ .

٣٦ ـ شيخو لويس:
ـ **شعراء النصرانيّة**، دار المشرق ط ٣، بيروت ١٩٨٢ .

٣٧ ـ ضيف، شوقي:
ـ **تاريخ الأدب العربيّ** (العصر الإسلاميّ)، دار المعارف بمصر ط ٣، ١٩٦٣.

٣٨ ـ الطُّرَيْحي، محمّد سعيد:
ـ **الديارات والأمكنة النصرانيّة في الكوفة وضواحيها**، بيروت ١٩٨١ .

٣٩ ـ عبد الرحمن، عفيف:
ـ **الشعر وأيّام العرب في العصر الجاهليّ**، بيروت ١٩٨١ .

٤٠ ـ عبد الرؤوف، عوني:
ـ **بدايات الشعر العربيّ بين الكَمّ والكَيْف**، القاهرة ١٩٧٦ .

٤١ ـ عبد الصبور، صلاح:
ـ **رأي في بدايات الشعر**، مجلّة الشعر، القاهرة، العدد ١٦.

٤٢ ـ عتمان، أحمد:
ـ **الشعر الإغريقيّ ـ تراثًا إنسانيًا عالميًا**، الكويت ـ سلسلة عالم المعرفة، ١٩٨٢ .

٤٣ ـ العتوم، علي:
ـ **قضايا الشعر الجاهليّ**، عَمّان ١٩٨٥.

٤٤ ـ العسلي، خالد:
ـ **الأعراب في النقوش العربيّة الجنوبيّة**، دراسة في مجلّة العرب ـ الرياض، السنة الخامسة ج ٥ .
ـ **حملة شمَّرْيَهَرْعش على شرقيّ الجزيرة**، دراسة في مجلّة العرب، الرياض، ١٩٧١، ج ٩ .

٤٥ ـ العش، يوسف:
ـ **نشأة تدوين الأدب العربيّ**، في كتاب المحاضرات العامّة للجامعة السوريّة ـ دمشق.

٤٦ ـ علي، جواد:
ـ **المفصَّل في تاريخ العرب قبل الإسلام**، بيروت، دار العلم الملايين، ط ٢،

١٩٧٨، ١٠ أجزاء.

٤٧ ـ غرونباوم، غوستاف ڤون:

ـ، **دراسات في الأدب العربيّ**، ترجمة إحسان عبّاس وصحبه، بيروت ١٩٥٩.

٤٨ ـ فارمر، هـ. ج:

ـ **تاريخ الموسيقى العربيّة**، ترجمة حسين نصّار، القاهرة ١٩٥٦

٤٩ ـ فرزات، محمّد حرب:

ـ **الكتابة والحضارة**، مقال في مجلّة المعرفة، دمشق، العددان ٢٩٨ ـ ٢٩٩.

٥٠ ـ فرّوخ، عمر:

ـ **تاريخ الأدب العربيّ**، بيروت، (الجزء الأوّل فقط).

ـ **تاريخ الجاهليّة**، بيروت، ط ٢، ١٩٨٤.

٥١ ـ الفريجات، عادل:

ـ **بشر بن أبي خازم الأسدي ـ حياته وشعره**، بيروت، دار الجيل، ١٩٩١.

٥٢ ـ فيشر، أرنست:

ـ **ضرورة الفنّ**، ترجمة أسعد حليم، القاهرة ١٩٧٢.

٥٣ ـ فيشر، ديترش:

ـ **اللغة العربيّة في إطار اللغات السامية**، مجلّة حوليّة الجامعة التونسيّة ـ تونس، العدد ٢٣.

٥٤ ـ كريستنسن، آرثر:

ـ **إيران في عهد الساسانيّين**، ترجمة يحيى الخشّاب، القاهرة ١٩٥٧.

٥٥ ـ كريفيني، أ.

ـ **قصيدة قُدَم بن قادِم**، في مجلّة الدراسات الشرقيّة: Poemetto di Qudam Ben Qadim-Rivista degli Studi Orientali-VII روما ١٩١٨.

٥٦ ـ كزارة، صلاح:

ـ **شعر تميم في العصر الجاهليّ**، غوتنجن، ألمانيا ١٩٨٢.

٥٧ ـ م. ماكدونالد:
ـ **الشعر المنقول شِفاهًا في الجزيرة العربيّة قبل الإسلام والمجتمعات الأخرى غير المتعلّمة:** في مجلّة الأدب العربيّ Journal of Arabic Literature ليدن ١٩٧٨.

٥٨ ـ المطلبي، عبد الجبّار
ـ **قصّة الثور الوحشيّ وتفسير وجودها في القصيدة الجاهليّة**، مجلّة كلّيّة الآداب ـ جامعة بغداد العدد ١٢.

٥٩ ـ المعيني، عبد الحميد:
ـ **شعر بني تميم في العصر الجاهليّ**، بريدة، السعوديّة ١٩٨٢.

٦٠ ـ موسكاتي، سبتينو:
ـ **الحضارات السامية القديمة**، ترجمة السيّد يعقوب بكر، بيروت ١٩٨٦.

٦١ ـ مؤلّفون عدّة:
ـ **دراسات المستشرقين حول صحّة الشعر الجاهليّ**، ترجمة عبد الرحمن بدوي، دار العلم للملايين، بيروت ١٩٨٠.
ـ **محاضرات مجمع اللغة العربيّة بدمشق**، دمشق، الجزء الأوّل.

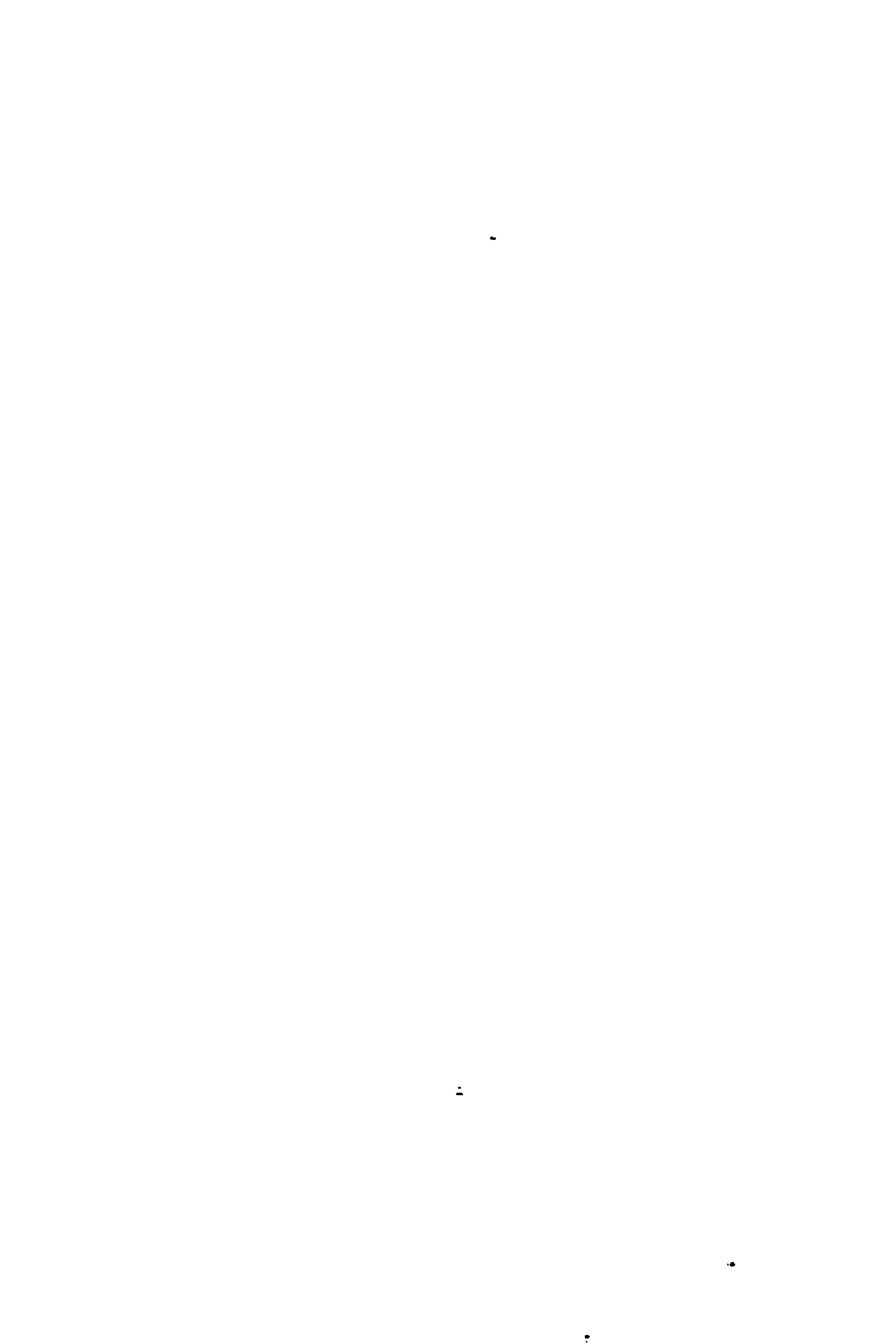
٦٢ ـ نصّار، حسين:
ـ **نشأة التدوين التاريخيّ عند العرب**، القاهرة د.ت.
ـ **قبيلة الأزد**، دراسة في مجلّة العرب، الرياض، السنة الخامسة ـ الجزء التاسع.

٦٣ ـ نغرين جيواويد:
ـ **مانِي والمانَويّة**، ترجمة سُهَيْل زكّار، دمشق ١٩٨٥.

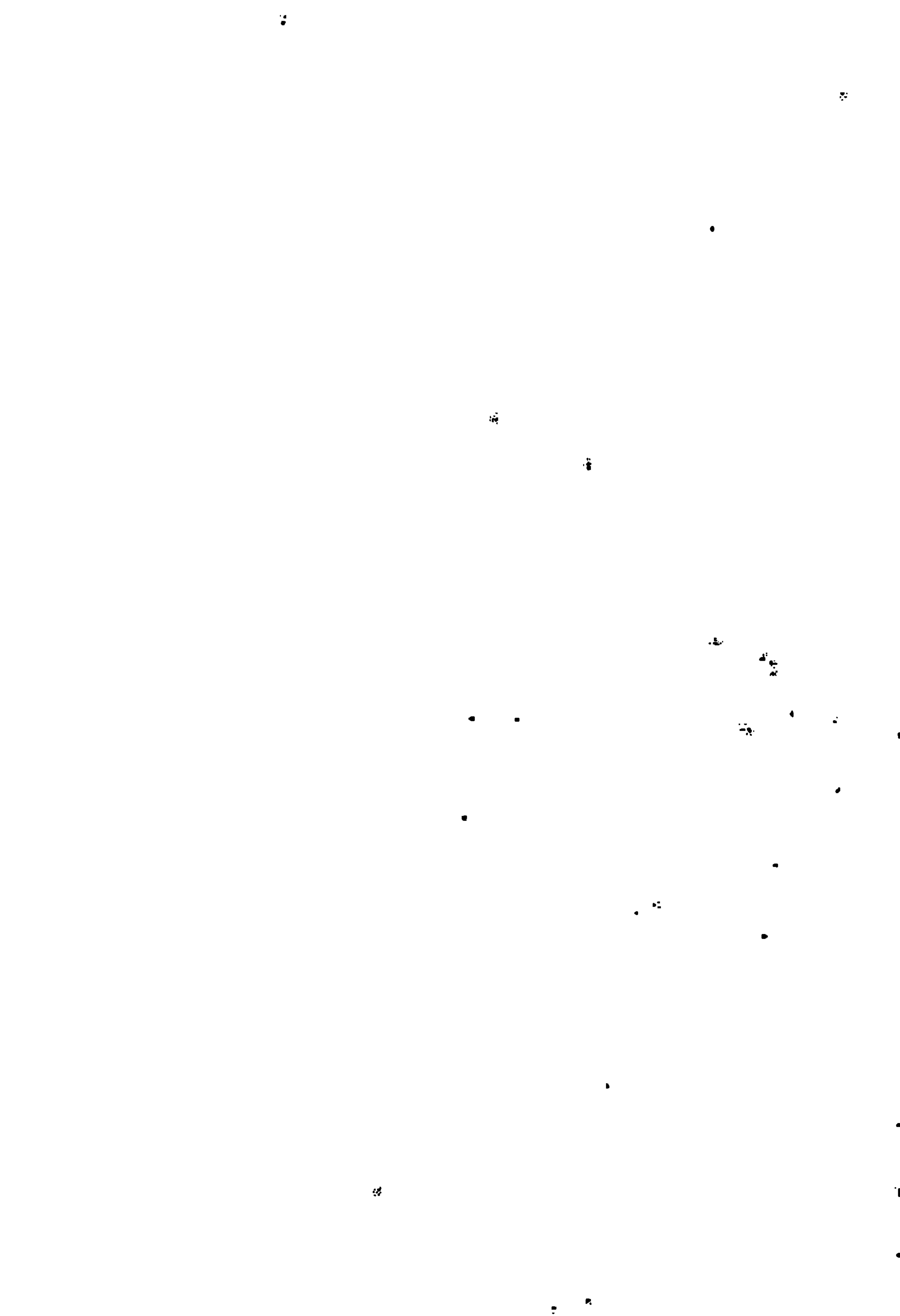
٦٤ ـ نَولدكه، تيودور:
ـ **أمراء غسّان**، تعريب بندلي الجوزي وقسطنطين زريق، بيروت ١٩٣٣.

٦٥ ـ نينا ڤيكتور ڤناليفسكيا:
ـ **العرب على حدود بيزنطة وإيران**، ترجمة صلاح الدين عثمان هاشم، الكويت ١٩٨٥.

الفهارس



١ - فهرس أسماء الشعراء الأوائل على حروف المعجم



٢ - فهرس الأعلام

- أ -

– ب –

- ت -

- ث -

- ج -

- ح -

- خ -

– د –

– ذ –

- ر -

- ز -

- س -

- ط -

- ظ -

- ع -

- غ -

- ف -

- ق -

- ك -

- ل -

- م -

– ن –

- هـ -

٣ - فهرس الأُمَم والقبائل والجماعات والأرهاط

– ب –

– ت –

- ث -

- ج -

- ح -

- غ -

- ف -

- ق -

- ك -

- ل -

- م -

- ن -

- هـ -

- و -

- ي -

٤ - فهرس البلدان والأماكن

- ص -

- ض -

- ط -

- ظ -

- ع -

- غ -

- ن -

- هـ -

- و -

- ي -

٥ - فهرس أيّام العرب وحروبهم ووقائعهم

(إستيلاء - أيّام - حرب - عام - غارات - غزوات - فتح - معركة - وقعة - يوم)

٦ - فهرس الأمثال والحِكَم والأَقْوال المأثورة

- ل -

- م -

- ن -

- ي -

٧ - فهرس الآيات القرآنيّة بحسب أرقام السُّوَر



٨ – فهرس القوافي لِشِعْر الشُّعراءِ الأوائِل المُحقَّق والمُخْرَّج

صدر البيت	قافيته	القائل	البحر	عدد الأبيات	الصفحة
		– الهمزة –			
ولم تَصْبِرْ...	النِّساءُ	زُهَيْر بن جَناب	الوافر	١٤	٣٩٤
دارتِ الحربُ...	برحائي	الفِنْد الزِّمَّانيّ	مجزوء الرمل	٣	٣٤٩
لقدْ عُمِّرْتُ...	مسائِي	زُهَيْر بن جَناب	الوافر	٤	٣٩٥
		– ى –			
أمّا الجلاحُ...	النَّوى	زُهَيْر بن جَناب	الكامل	٢	٣٩٦
إرفعْ ضعيفكَ...	ما جَنَى	زُهَيْر بن جَناب	الكامل	٤	٤١٠
أَبْلِغْ أبا...	التَّوَى	الأَسْعَر الجُعْفِيّ	الكامل	٣٥	٤٧٨
إلاَّ رَواكِدَ...	اصطلى	الأَسْعَر الجُعْفِيّ	الكامل	١	٤٨٤
		– ب –			
يا كعبُ...	كعبُ	ذُؤَيْب بن كَعْب	السريع	١١	٢٤٥
وقدْ يُبْتَلَى...	تَئُوبُ	الأَضْبَط بن قُرَيْع	الطويل	١	٢٥٧
لم أرَ...	عواقبُها	أُحَيْحَة بن الجُلاح	المنسرح	٣	٤٥٤
يا ضمْرُ	لا يكذبُ	هنيّ بن أحمر	الكامل	١	٤٧٢
كلّما خِلْتُ...	ذنوبُ	الأَسْعَر الجُعْفِيّ	الخفيف	١	٤٨٢
يشتاقُ قلبي...	يطالبُها	أُحَيْحَة بن الجُلاح	المنسرح	٨	٤٣٨
قدْ رَابني...	اضطرابُها	العَنْبَر بن عَمْرو	الرجز	٣	٢٠٧

– م –

- ن -

- هـ -

- ي -

٩ - فهرس المحتويات

صَدَرَ لِلْمُؤَلِّف

آ – في التأليف:

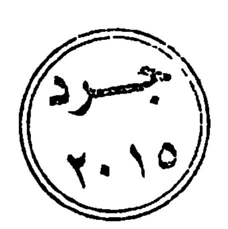
١ – إضاءات في النَّقْد الأَدَبِيّ، دمشق ١٩٨٠، وطبعة ثانية دمشق ١٩٨٥
٢ – خَمْسَةُ إِشكالاتٍ نَقْدِيَّة، دمشق ١٩٨٩
٣ – بِشْر بن أبي خازِم الأَسَدي، بيروت ١٩٩١
٤ – الشُّعَراء الجاهليُّون الأوائل، بيروت ١٩٩٤

ب – في التحقيق:

١– الأوائل: تأليف أبي بَكْر تَقِيّ الدِّيْن بن زَيْد الجراعِي، بيروت ١٩٨٨

صدر في سلسلة «نصوص ودروس - المجموعة الأدبيَّة»

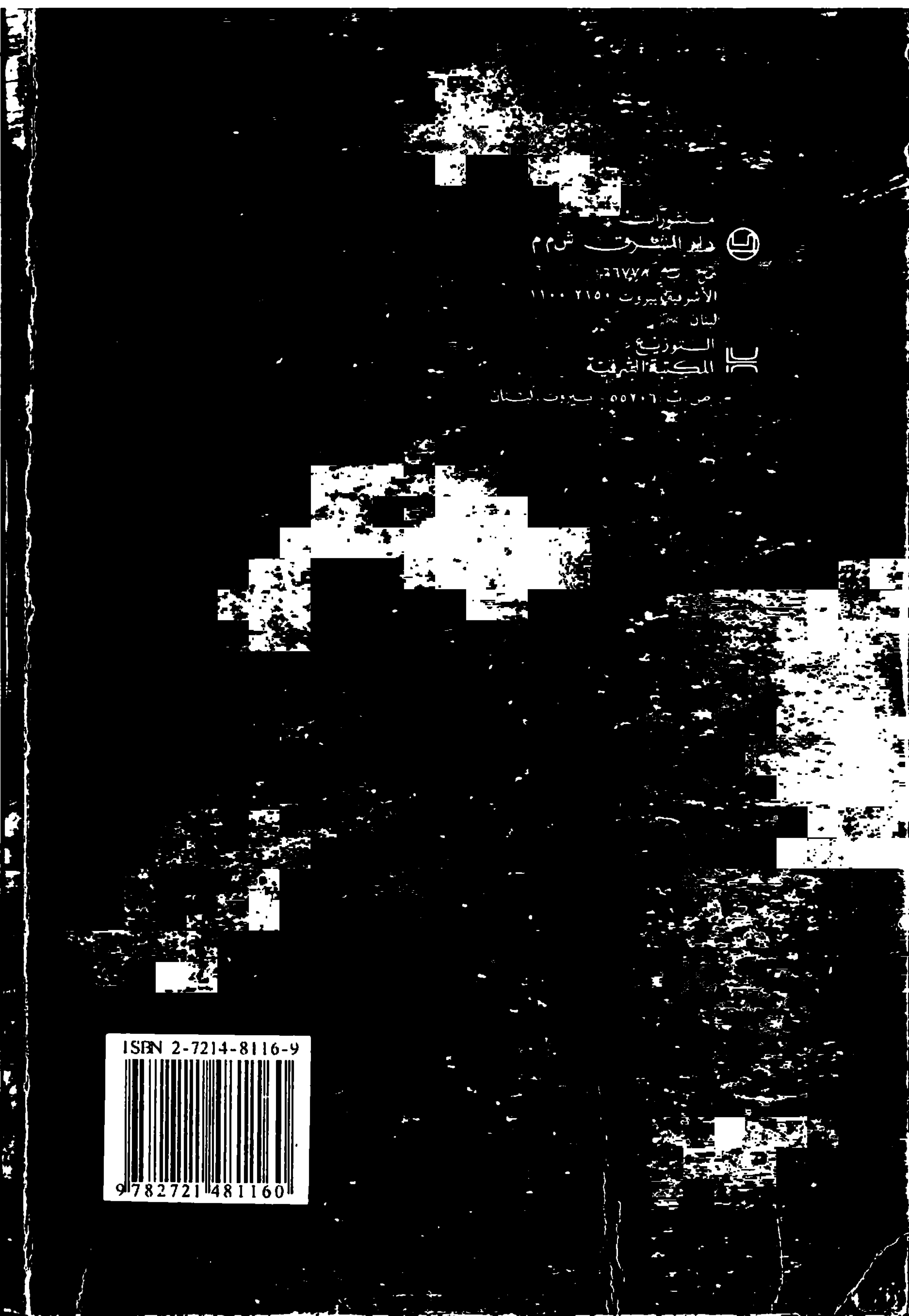
١ - رسائل متبادلة بين الشيخ إبراهيم اليازجي وقسطاكي الحمصيّ؛ جمعها وحقّقها الأب كميل حشيمه اليسوعيّ.
٢ - النزعة الكلاميَّة عند الجاحظ؛ بقلم فكتور شلحت.
٣ - غرائب اللغة العربيّة (عربيّ)، بقلم الأب رفائيل نخله اليسوعيّ.
٤ - البيان والتبيين وأهمّ الرسائل للجاحظ، قدّم له وعلّق عليه الدكتور جميل جبر.
٥ - بلوغ الأرب في علم الأدب، لجرمانوس فرحات؛ تحقيق إنعام فوّال.
٦ - إعجاز القرآن وأثره في تطوّر النقد الأدبيّ؛ بقلم الدكتور علي مهدي زيتون.
٧ - محمود تيمور وعالم الرواية في مصر (دراسة نفسيَّة تحليليَّة)؛ بقلم الدكتور بيار خبّاز.
٨ - الشعراء الجاهليّون الأوائل؛ بقلم الدكتور عادل الفريجات.
٩ - أديب مظهر رائد الرمزيَّة في الشعر العربيّ؛ بقلم د. ربيعة أبي فاضل.
١٠- التطوّر والإصلاح عند أمين الريحانيّ؛ بقلم د. منى حسين الدسوقيّ.
١١- جبران والتراث العربيّ؛ بقلم د. ربيعة أبي فاضل.



تصميم الغلاف : جان قرطباوي

الصفّ والطباعة : شركة الطّبع والنّشر اللّبنانيّة
(خليل الديك وأولاده)

١٥٤٤-١-٣٠/٤/٢٠٠٨


منشورات
دار المشرق ش م م
ص.ب ١٦٦٧٧٨
الأشرفية بيروت ١١٠٠ ٢١٥٠
لبنان

التوزيع:
المكتبة الشرقية
ص.ب ٥٥٢٠٦ بيروت، لبنان

ISBN 2-7214-8116-9
9782721481160